النُسخة الفَريدة الكاملة والمُحققة والمهذبة لكتاب

دَعوةُ المقاوَمةِ الإسلاميّةِ العالميّةِ

من أجل الجيل الثالث من الجهاديين

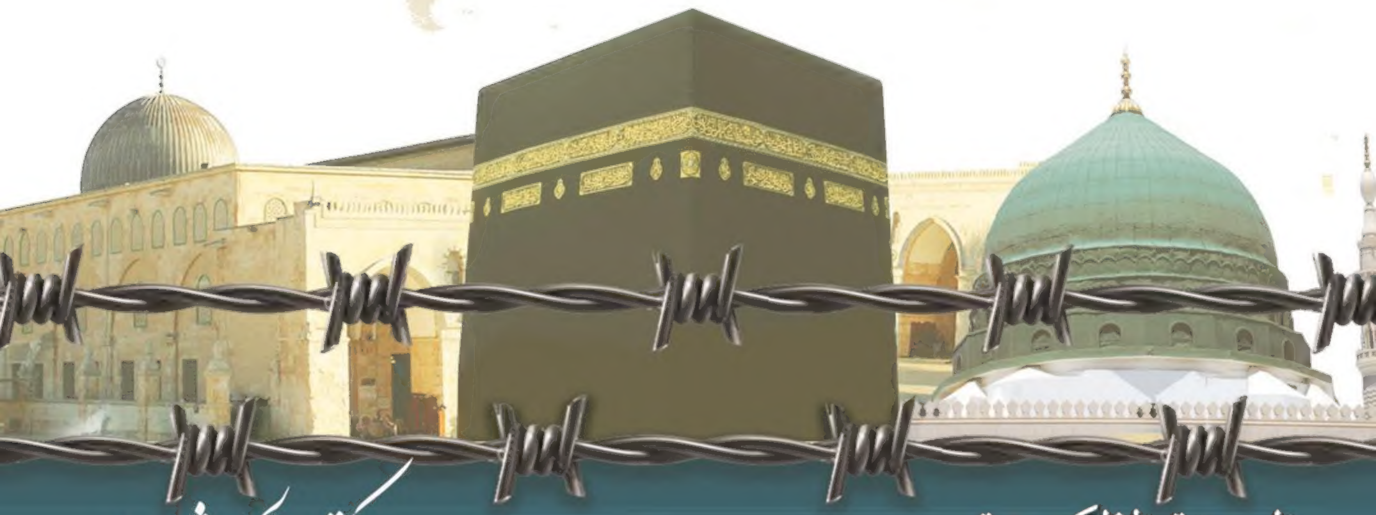
تأليف

الشّيخ عُمَر عَبْدُ الحَكيم أبو مُصْعَب السّوري

"فك الله أسره"

حققهُ وهذّبهُ

أبو العباس القلموني



مكتبة الجيل الثالث

النسخة الإلكترونية

٢٠١٨م - ١٤٣٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

دَعوةُ المُقاوَمةِ الإسلاميّةِ العالميّةِ

الجُزءُ الثّاني

(الدّعوة - المنهج - الطّريقة)

بقَلَم الفَقِيرِ إلى رَحْمَةِ الله

الشّيخ عُمَر عَبْدُ الحَكِيم أبو مُصْعَب السُّوري

فهـرس

الجُزْءُ الثَّانِي

الدّعوة - المنهج- الطّريقة

الفهرس بالتفصيل

مسك الختام

جولة مع مختارات من أحاديث الملاحم والفتن

وأحداث آخر الزّمان وأشراط السَّاعة

(١) – فساد الأحوال في آخر الزّمان، وبلاء المُؤمِنين فيه
(٢) – العُلَماء في آخر الزّمان
(٣) – غربة الصّالحين في آخر الزّمان
(٤) – علامات السَّاعة
(٥) – المهدي وعلاماته، والرّايات السود والسفياني والقحطاني
(٦) – الملاحم مع الرُّوم
(٧) – خروج الدَّجَّال ونزول عيسى عليه السلام
(٨) – خروج يأجوج ومأجوج

* * * * * * * * * * *

وهذه وصيتي

* * * * * * * * * * *

«مقدمة الجزء الثاني»

الحَمْدُ لله أهل الحمد والثناء، الحَمْدُ لله المحمود في الأرض والسماء، الحَمْدُ لله الّذي صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، الحَمْدُ لله الّذي أمر رسول ﷺ أمراً يعم كلّ مؤمن من أمته ﷺ، فقال عزَّ من قائل:

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء]

والصّلاة والسَّلام عَلى حبيبه وخيرته من خلقه، نبينا وسيدنا وقائدنا وحبيبنا الضحوك القِتَال نبي المرحمة ونبي الملحمة، القائل صلوات الله وسلامه عليه: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١)، صدق رسول الله ﷺ، وبعد:

فقبل أن ألج إلى هذا الجزء الهام الّذي لم يكن الجزء الأوّل عَلى طوله وبكل ما فيه، إلا مقدمات ومتكآت شرعيّة وتارِيخِيَّة وسياسيّة وفكريّة ومنهجيّة لما سيحتويه هذا الفَصل إن شاء الله.

و قبل ذلك أحب أن أقدم لأبواب هذا الفَصل بجملة من النقاط توطئ له وتساعد عَلى مزيد من فهمه إن شاء الله.

أولاً: الثَّابِت والمتحول في الفكر الجهاديّ ونظريات دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

ذكر المباركفوري في كتابه القيم (الرحيق المختوم) الّذي اختصر فيه سيرة رسول الله ﷺ خُلاصة ذلك الخبر فقال:

[وتحرك رسول الله ﷺ بجيشه ليسبق المشركين إلى ماء بدر، ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه، فنزل عشاءً أدنى ماء من مياه بدر، وهنا قام الحبابُ بن المنذر رضي الله عنه كخبيرٍ عسكريٍّ وقال: "يَا رَسُولَ الله! أرأيتَ هَذا المنزل، أمنزِلاً أَنزَلَكَهُ اللهُ ليسَ لَنَا أَنْ نَتقدَّمهُ ولا نَتَأَخرَ عَنهُ؟ أَم هُوَ الرَّأيُ والحَربُ والمكيدَةُ؟

---

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر والألباني (صحيح الجامع-٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاري.

قَالَ: «**بل هُوَ الرَّأيُ والحَربُ والمكِيدَةُ**»، قَالَ: يا رسولَ الله! فإنَّ هذا لَيسَ بِمنزِلٍ، فانهَض بالنّاسِ حتَّى نأتي أَدنى ماءِ القومِ – قُريش – فننزِلَهُ ونَغور – أي نخرِّب – ما وراءهُ من القلبِ، ثمَّ نبني عليهِ حَوضَاً فنملأه ماءً، ثمَّ نُقاتِلُ القومَ فنشربُ ولا يشربونَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأيِ**»](١).

وقد حوى هذا الأثر العظيم حكماً عظيمة يعلمنا بها رسول الله ﷺ فوائد عظيمة ومن ذلك:

١. أدب المسلم مع دين الله فما كانَ وحياً فلا نتقدم ولا نتأخر.

٢. ضرورة الاجتهاد فيما كانَ من مسائل (الرَّأي والحَرب والمكيدة).

٣. أدب الجندي مع قائده في العرض.

٤. أدب القائد مع أعوانه عندما تعرض عليه الاجتهادات والإبداعات.

٥. وجوب عرض الآراء دون وجل مهما علت منزلة وعلم القائد، وأمامنا مثال عرض فيه الرَّأي عَلى المعلم الأكبر رسول الله ﷺ.

٦. الوضوح والجزم في عرض الرَّأي بعد أن تأكد أنه من مجالات الاجتهاد: (ليسَ هَذَا بِمَنزِل).

٧. أخذ القيادة بما تبين صوابه، وعدم التجاوز عَلى حق ظهر، بصرف النَّظر عن صغر قيمة قائلة.

ونذكر منها إشارة تهمنا في هذه المقدِّمة إلى أنه وضع قاعدة ذهبية للثابت والمتحول الّتي يجب أن يقوم عليه الفكر الجهاديّ الحَركيّ، وفقه العمل والحركة في الصّحوة الإِسْلَاميّة كلها. بل أعتقد بأنه عَلى أساس هذه القَاعِدَة مدار كافّة وجوه نشاط وحركة المسلم في حياته كلها.

وهذه الإشارة تقسم القواعد والقوانين محط التَّفكير والعمل إلى قسمين:

- **ثابت** من أساسِيَّات الدّين والمعتقد وقواعد المنهج الراسخة، وهذه فرضية التعامل معها عَلى أساس: " منزلٌ أَنزَلَكَهُ اللهُ تَعَالَى، ليسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدّمَهُ ولَا نَتَأَخَّرَ عَنهُ".

- **متحول** بحسب الأحوال والوقائع، وهو ميدان تسابق العقول والأفهام والخبرات والتَّجَارب، ومجال الإبداع فيها، وهو: ما كانَ من قضايا (الرَّأي والحَرب والمكيدة).

---

(١) ضعف إسناده ابن حجر في الإصابة والألباني في تخريجه لفقه السيرة للغزالي.

الحكمة الثّانية الهامة من فقه هذا الأثر العظيم هيَ تعليم القائد والمقود وكلّ من جاء بعد رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، كيف يكون التعامل مع مسائل الثّابِت والمتحول من قضايا الاعتقاد والعمل والتطبيق فعلى كلّ إنسان أنْ يُعمل هذا العقل الّذي أنعم الله به عليه وجعله مناط التكليف في كلّ أمر يستقبله، وأن يسأل ويتبين إن لم يكن يعلم، يسأل أهل الذكر عما يعترضه من مسائل هل هو من ثوابت الاعتقاد والأحكام الشَّرعيَّة الثَّابِتة ؟ فيكون حاله معه التسليم والانقياد (فلا يتقدَّم ولا يتأخَّر)، أم أنه من مسائل الاجتهاد في الرَّأي والحَرب والمكيدة وما شابها من وجوه النَّشَاط الإنساني ؟ فإن تبين له أنها من هذه، فليقدم رأيه وخبرته واجتهاده بكل رجولة وأدب ومسؤولية، كما فعل ذلك الصحابي الجليل رضي الله عنه، وعلى كلّ قائد ابتلاه الله بحسم القرار، أن يفسح المجال ويستمع، ويشجع المقود عَلى تحمل مسؤولية التَّفكير والاقتراح والإبداع، كما فعل رسول الله ﷺ، وهو المستغني بالوحي دون من بعده عن كلّ ذلك، بل ويتعدى ذلك للنزول عَلى رأي المجتهد الخبير، إن أصاب، وأن يقول إزاء ذلك ما قاله ﷺ: «لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأيِ»، بل وينقاد لذلك الرَّأي.

وهما مدرستان في القيادة ! مدرسة تقبل المقترحات في ميدان الرَّأي والحَرب والمكيدة، وتشجيع المبدعين عَلى الشورى ؛ «لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأيِ»، ومدرسة الفرعون الّتي أخبر عنها تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر]، وكان كلّ مستنده في ذلك أنه: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف]، ما أوصله للزعم الفاجر عندما نفخه الشّيطان: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]

وليس هنا مجال الاستفاضة بما تجيش به النّفس ويستطرد القلم في كنوز تلك النّصوص الإلهية العظيمة، والآثار النّبويّة الكريمة، وفيما مر من الإشارة كفاية لما نحن بصدده.

وما أقدمه فيما سيتلو من نظَريَّات أضعها كخطوة، ضمن خطوات أولى يجب أن تحصل اليَوْم، قبل فوات الأوان في التّيار الجهاديّ، وميدان الفكر العملي في الصّحوة الإِسْلَاميّة المجيدة، كي نفتح باب التصحيح والتطوير من خلال قرارنا الاستراتيجي العقدي بالثّبات، الثّبات عَلى درب الجِهَاد.

ما أقدمه هو في معظمه أفكار من نوع قضايا (الرَّأي والحَرب والمكيدة)، ولاسيما ما يختص منها بقطاع العمل التطبيقي للجِهَاد في عالم ما بعد سِبتَمبر كما أتصوُّرها.

وهناك جانب منها هو من قطاع الثَّابِت بمقتضى اعتقادنا بأساسِيَّات ديننا الحنيف ومعتقداتنا الدّينيّة وأحكامها الشَّرعيَّة الثَّابِتة، وهي ثوابت منهجيّة لدينا توارثناها في هذه الصّحوة الإِسْلَاميّة المباركة، وفي التّيار الجهاديّ المجيد، عبر عقود متتالية، عن الثقاة الأثبات من قادتنا وعلمائنا ومَشَايخنا المُجَاهدين العاملين، ومعظم هذه الثّوَابِت الّتي أنقلها، مبثوثة في هذا الكتاب في الأبواب الّتي عنت بالفكر والمنهج والعَقِيْدَة القتاليّة، والأساسِيَّات الثَّابِتة في السّياسة الشَّرعيَّة عند ما نتطرق للنظريَّة السّياسيّة للمقاومة، بالإضافة للمناحي التربَويّة الدّينيّة أيضاً.

ويستطيع القارئ تميز ذلك بسهولة، وسأشير إليها في مكانها لتميز ما هو معتقد دين ثابت، أو حكم شَرعِيّ موقفنا معه أن لا نتقدم عنه ولا نتأخر وإنما ؛ **سمعنا وأطعنا.**

كما أن هناك اختيارات فقهيّة أخذنا بها، وهذه خاضعة للقاعدة الذهبية الّتي لخصها الإِمَام الفقيه الجليل الإِمَام مالك رحمة الله في الأثر العظيم عند ما قَالَ: (**كلُّ إنسانٍ يُؤخذُ من كلامِه ويُردُّ إلَّا صاحبَ القبرِ الشريف** ﷺ) فهي نظَريَّاتٌ مطروحةٌ للحوارِ والنِّقاشِ والتَّجربة والتَّطبيق، من أجل إطلاق دعوة وطريقة عمل ومقاومة أرى ساحة العمل الإِسْلَاميّ والصّحوة المباركة بأمسِّ الحاجة لمثلها.

وقد أسميتها (**دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة**)، ووضعت لإطلاقها أُسُسَاً في مختلف مناحي ومقوّمات الحركة، عبر نظريّاتها الثّمانية الّتي تكوِّن الفَصل الثّامن، والّذي يشغل معظم مساحة الجزء الثّاني من هذا الكتاب، وهو لبّه والغاية منه.

أقدم هذه النَّظريَّات بعد أن وصلت بحسب ما اعتقد اليَوْم إلى مستوى كافٍ في نضجِها، وأقنعتني تداعيات عالم ما بعد سِبتَمبر، ووقائع سير الحملات الصّليبيّة اليَهُوْديةِ الأمريكيّةِ الغربيّةِ الجَدِيدة، وأهدافها الشّاملة لكل الصّعد والمجالات الحَضَاريَّة، أقنعتني وزادتني إيماناً بصواب معظم ما كنت قد ذهبت إليه في تطوير هذه النَّظريَّات عبر أربعة عشر عاماً، منذُ ١٩٩٠ وإلى اليَوْم.

وأرجوا من الله الهدى للحق، وأن يلهمني الإخلاص، ويهديني للصواب، ويمن علي بالقبول، فما كانَ من توفيق للصواب فهو من الله تَعَالَى، وما كانَ من زلل فهو من نفسي القاصرة، ومن الشّيطان، والقصور طابع عمل ابن آدم، واستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

ثانياً: نظَريَّات دعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة. نظَريَّات عمليَّة:

في كتابي (**الثَّورة الإِسْلَاميّة الجهاديّة في سوريا**) الّذي كانَ باكورة إنتاجي سنة ١٩٨٧، ذكرت في الفَصل الثّالث من الجزء الأوّل بعض التعريف المهم لما اصطلحت عليه بـ (**النَّظريَّة العمليّة**)، وكنت أتمنى لو كانَ الكتاب بمتناولي، لأنقل منه تلك الفقرة هنا.

فقد كتبت فيه ما فحواه ؛ أن هناك فرقا جوهريا بين (النَّظريَّات النَّظريَّة)، و(النَّظريَّات العمليّة)، فالنَّظريات النَّظريَّة ؛ هيَ تصوُّرات فكريّة يضعها أصحابها من خلال بنات أفكارهم وسبحاتهم الفكريّة والفلسفية، ليثبت الواقع بعد ذلك خطأها من صوابها، وكثيراً ما تتسم تلك النَّظريَّات ببعدها عن الواقع، وبقائها متصفة بصفات الأبراج العاجية حيث يجلس أصحابها، ولاسيما عندما يتناولون في نظرياتهم، مجالات بعيدة عن مجالات تجاربهم العمليّة، وخبراتهم الواقعية.

أما النَّظريَّات العمليّة، فهي نظَريَّات عمل تولد في مجال الحركة والتطبيق من قبل أصحابها، الّذين يولدونها من خلال المسار العملي، ومن أجل تصحيحه والسير به نحو الأفضل وصولاً لتحقيق الأهداف، وفي مجال الجِهَاد والمَعْرَكة.

و يمكن تعريف النَّظريَّات العمليّة بأنها: نظَريَّات تولد في ميدان المَعْرَكة والمُوَاجَهة. يصوغها المفكرون المُجَاهدون المتحركون في أرض الواقع، والعُلَماء العاملون في ميدان المَعْرَكة، وتسطرها الأقلام المُجَاهدة الميدانية، ولا تنزل عليهم من فوق، من قيادات قاعدة، ولا من علماء قد يبّست مفاصلهم المكيّفات، في جلسات الترف الفكريّ عَلى الطاولات الفارهة، بعد عشاء دسم قد حفل بالملذات.

لأنَّ المخلص من أولئك الكتَّاب - إن وجد فهم مخلصون - يمكنهم أن يكتبوا في فقه الجِهَاد وأحكامه، ليعيدوا تلصيق النّصوص القديمة، ويعيدوا كتابتها، ويمهروها بأسمائهم المسبوقة بألقاب الشَّيْخ والأستاذ والدّكتور والمفكّر، ثمّ يسّوقوها في طبقات أنيقة، عَلى ورق ثمين، ليقرأها جمهور لا يقل عنهم ترفاً، وقد يستفيد مما فيها من حكمة مؤمنون تحركوا بها وبغيرها من آفاق الحكمة في ميادين القِتَال.

إن نظَريَّات الجِهَاد العمليّة، يولدها أصحابها في ميدان الجِهَاد والمُوَاجَهة وساحات المَعْرَكة، تأتي وتولد بعد هضم تجارب الماضي، واستعراض الأثمان الباهظة لسلسلة تجارب الفشل سعياً إلى التصحيح والتطوير، من خلال استراتيجية الثّبات واختيارها كما أسلفت، فالعالمون في النّاس قليل، والعاملون

فيهم أقل، والعالمون العاملون منهم أنذر من الحجار الكريمة في هذه السلاسل المترامية الأطراف من ركام الحجارة والتراب، والمخلصون في هَؤُلَاءِ، ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، نسأل الله بجميل كرمه أن يجعلنا منهم.

إن النَّظريَّات العمليّة مهمة من حملوا عَلى عاتقهم أمانة السّيف والقلم، ووفقهم الله لفهم حكمة التَّجَارب والدُّروس.

وقلت في ذلك الكتاب قبل سبعة عشر عاماً إن لم تخني الذاكرة ما فحواه:

إن الانتصارات في تجارب المواجهات قليلة، إذا ما قيست بالتَّجَارب الفاشلة، ولكن دُروس الفشل أكثر إغناء من دُروس الانتصارات، وأفدح منها ثمناً، وهي بفوائدها تسير بالعامل نحو النّصر والنجاح.

إن دُروس الفشل مزدوجة الفائدة، لأنها تعلمنا العبرة من التَّجربة، وتوجد لنا المجرب، فإذا ما قدر للمجربين الثّبات، فإنّهم يتأهّلونَ بموجبِ تلكَ الدُّروسِ لإنتصاراتٍ كُبرى بإذنِ اللهِ.

وفي هذا السِّياق أقول.

إن نظَريَّات دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الّتي أضمنها هذا الكتاب، هيَ وليدة أمرين اثنين بعد توفيق الله تَعَالَى.

أوَّلهما: التَّجربة الميدانيّة المباشرة عَلى مر نحو ربع قرن من مواكبه تجارب الصّحوة الإِسْلَاميّة تماساً وإطلاعا، ومن العمل الميداني وسط التّيار الجهاديّ منخرطاً في العديد، منها، ومحتكاً مع الكثير من روادها وقادتها وعناصرها.

و ثانيهما: توليدها من خلال دراسة فاحصة، ومراجعة متأنية لتجارب الصّحوة الإِسْلَاميّة الماضية عامة، والمحاولات الجهاديّة خاصّة، مطلعاً عَلى أدبياتها وتاريخها ومنشوراتها، وروايات أصحابها مباشرة، حيث لم تتوفر كتابة، ثمّ اعتماد مبدأ التصحيح والتطوير لتلك التَّجَارب، بعد تبني خيار الثّبات، كمرتكز شَرعِيّ ديني وعقدي، وأساس استراتيجي حركي.

وبهذا تأتي هذه النَّظريَّات في التّيار الجهاديّ والصّحوة الإِسْلَاميّة بصفتها نظَريَّات عمليَّة.

لقد أخذت هذه النَّظريَّات - بعون الله - آلاف الساعات، من المطالعة والتأمل والتَّفكير والمقارنة، ومتابعة دقيقة ويومية لمختلف وسائل الإعلام للوقوف عَلى مستجدات واقع المُسلِمِين ومخططات

أعدائهم، ومثل ذلك الجهد والوقت من الحوار والمدارسة والنقاش، مع مختلف المستويات في وسط التّيار الجهاديّ، وغيرهم من رجال الصّحوة، ولاسيما في قطاع المفكرين والدعاة والقادة المُجَاهدين أصحاب التَّجَارب.

وقد يسر الله بعد تلك الساعات الكثيرة من الدّراسة والمحاورة، ولادة كثير من الأفكار الإشراقات، الّتي ربما التقطت بعضها من أفواه بعض أفراد المُجَاهدين العاديين البسطاء من رواياتهم وآرائهم عن تجاربهم، أو من قيادات مجربة عاملة، من غير المهتمين بالتأليف أو القادرين عَلى الكتابة، فصغتها بأسلوبي ووضعتها في سياقها، وجمعتها كما يفعل الصائغ بحبات الجوهر الثمين.

وربما سبب لي حوار مع البعض، أن تنقدح في ذهني تداعيات فكرة طُرحت لتتطور عندي وتتداعى تبعاتها الفكريّة لتأخذ مكانها في السياق، ويعود كثير من الفضل فيما يبدو إبداعياً ومبتكرا في هذه النَّظريَّات، لعشرات من حاورتهم من الرّجال والدعاة والمُجَاهدين العاملين، وبذلك أستطيع الادعاء بأنها نظَريَّات عمليَّة، وإثبات ذلك، ومن هنا اعتقد أن هذه النَّظريَّات تأخذ قيمتها، ولهذا أذكر هذه المراحل في توليدها، وأسال الله الإخلاص.

ثالثاً: آلية توليد النَّظريَّات من خلال منهج الثّبات والتصحيح والتطوير:

لقد تكلمت عَلى هذا المنهج في آخر الفَصل السَّادس ومطلع السَّابع من الجزء الأوّل، ما فيه الكفاية عن استراتيجية وخيار الثّبات، وعن أهمية التصحيح، واستناده لمبدأ عرض العلة بلا حرج ودراستها، وعن مبدأ استعراض أساليب العمل وتناولها بعيداً عن التقديس لأنها آلة ووسيلة، وتطويرها أو إلغاؤها، أو استحداث ما يناسب الوقت مما لم يسبق تجربته كأسلوب.

وقد أدى بي ذلك إلى استعراض حصاد تجارب التّيار الجهاديّ بكل انفتاح وحرية، وبفقه منهج نقد ذاتي يهدف إلى أهداف سامية، وهل هناك أسمى من الجد في البحث عن سبيل للجِهَاد نرجو أن يحقق النّصر وينهض بهذه الأُمّة من ضحضاح الهزيمة؟

وقد تناولت مناحي ذلك الحصاد في الفَصل السَّابع، بعد أن مر مختصر تاريخ التَّجَارب في الفَصل السَّادس، وهو من أطول فصول الكتاب، ولكني هنا أشير إلى آلية توليد النَّظريَّات بعد إجراء عمليَّة

استعراض علل وأخطاء تلك التَّجَارب والأساليب، الّتي لم يكن غالبها خطأً وإنما كانت أساليبا استهلكت وتجاوزها الزَّمن، بمعنى أنها لم تكن خطأً ولم تعد صواباً، ولقد كانَ من أهمّ الفقرات إفادة للبحث عن نظَريَّات الصواب المفترض، فقرة البحث في الأسباب الداخليَّة الذاتية لفشل مشاريع الجهاديّين، وأخطاء المنهج والبنية والمسار، وأخطاء طريقة الأداء الّتي عرضتها في الفَصل السَّابع.

وبعد ذلك قمت بعملية البحث عن الصواب أو عن المناسب المقابل لما اعتقدت أنه خطأ، أو أنه لم يعد مناسباً.

و كما كانَ مجموع الأخطاء يساوي فشلاً في المحصلة، أو يشكل أهمّ أسباب الفشل، شكلت مجموعة فرضيات الصواب (**نظَريَّات دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيَّة**)، بهذا الشّكل الّذي يوضحه هذا الجدول التمثيلي.

خطأ مفترض	صواب مفترض	النَّظريَّة الجَدِيدة
أخطاءٌ منهجيّة	تصوُّرات منهجيّة صحيحة	نظريَّة الفكر والمنهج في دعوة المُقاوَمة
أخطاءٌ تربَويّة	تصوُّرات منهجيّة صحيحة	نظريَّة التَّربية في دعوة المُقاوَمة
أخطاءٌ سياسيّة تطبيقيّه	تصوُّرات سياسيّة صحيحة	النظريَّة السّياسيَّة في دعوة المُقاوَمة
أخطاء في الأساليب العسكريّة أو أساليب استهلكت	تصوُّرات عسكريّة مناسبة	النَّظريَّة العسكريّة لدعوة المُقاوَمة

وهكذا، في باقي مجالات نظَريَّات الدّعوة، الّتي سعيت أن تكون شامة ومتكاملة، بدءاً من الأساسِيَّات العقدية والفكريّة والسّياسيّة، ومروراً بالمنهج التربوي المناسب، وانتهاءً بالأساليب

التطبيقية للعمل العسكريّ، وما يلزمه من الإِعداد والتّدريب والتَّنظِيم والتّمويل، من دون أن ننسى الأساليب المناسبة للدعوة والإعلام والتّحريض.

رابعاً: اعتماد منهج حشد الأُمّة من أجل المُقاوَمة دون المساس بثوابت المنهج:

لا يمكن إثبات صحة نظريَّة ما، إلا بإثبات خطأ ما يناقضها في مجالها، وهو ما أسميته في بعض محاضراتي القديمة بـ (**مبدأ الهدم والبناء**)، وهو مبدأ معتمد في الدعوات كلها.

فأساس دعوة الإِسْلَام يقوم عَلى ذلك:

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فلا يمكن أن يبني الإيمان بالله، إلا عَلى هدم الإيمان بالطَّاغوت والكفر به، وينسحب هذا المبدأ عَلى ما هو أقل مستوى في التناقض، من مجالات الحقّ والبَاطِل، إلى مجالات الخطأ والصواب، وهي افتراضات اجتهادية في مجالات العمل والحركة خاصّة.

فلا يمكن إثبات أن الجِهَاد هو الحلّ للخروج من أزَمَاتنا، إلا بإثبات أن البرلمان ليس الحل، وقل مثل ذلك عن الأساليب المتعددة المطروحة في سوق الصّحوة الإِسْلَاميّة.

وعند ما يتعلق الأمر باستعراض التَّجَارب وتقييمها تشتد حساسية المسألة، فالتَّجَارب دعوات، والدعوات أفكار ومناهج، ونقدها يثير حساسية أصحابها، وأكثر من هذا حساسية، أن الدعوات أشخاص ورموز، وأعمال عاملين، وانتقادها يثير حساسية أكبر، بل يثير الشعور بالعدوان، ويستفز للرد.

وهنا لا بُدَّ من العودة إلى أصول الخلاف وأدب الخلاف وفق قواعد الإِسْلَام، فنظريات (**دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة**) تقف مع مختلف شرائح مكوّنات خط الحَرب المفترض حشده في هذه الأُمّة في مُوَاجَهة أعدائها أمام مستويين من التعارض: **مستوى إختلاف**، و**مستوى خلاف**.

ففي التعرض لما يمس ثوابتنا العقدية والمنهجيّة الفكريّة فنحن ومن يرى غير ذلك بمن فيهم بعض مكوّنات وحركات الصّحوة الإِسْلَاميّة ومناهجها ومدارسها وإعلامها في مجال خلاف، خلاف تضاد، فالفارق مثلا بيننا وبين الإِسْلَاميّين (البرلمانيين والديمقراطيين) هو مجال خلاف تضاد وليس اختلاف تنوع مقبول.

وأظن أن هذا المثال الصارخ الإشكالية يوضح نظائره من المشاكل المنهجيّة.

وأما ما يمس أساليب العمل، وآليات المُوَاجَهة، ضمن التّيار الجهاديّ ومدارس العمل الإِسْلَاميّ، فنحن في مجالات اختلاف تنوع ممكن، وربما مفيد، فهو اختلاف في وسائل العلاج.

وهنا ربما تكون الحساسية أقل، أو هذا ما يجب عَلى الأقل.

وقد حرصت رغم الطبيعة الثّوريّة لمثل هذه الأفكار المطروحة في هذا الكتاب، أن ألطّف من كافّة تبعات هذا الخلاف والاختلاف، لكوننا في حالة مُوَاجَهة صائل ليس أوجب بعد توحيد الله من دفعه، ويجب رص الصف وتأليف القلوب، رغم صعوبة المسألة، فالنفوس جبلت عَلى تقديس الأفكار والأشخاص، وهي اكبر المعضلات الّتي قامت في طريق الأنبياء فمن بعدهم، من أتباعهم وورثة دعواتهم.

ولكني جهدت وسأجهد في أن لا تؤثر جدية الطرح، وعمق انقلابيته وأبعاده التجديدية، عَلى ما أقصده من الحشد للمقاومة، فإني هنا بصدد إنشاء نظَريَّات دعوة، وليس إرساء قواعد تنظيم أو تجمع حركي ينافس الآخرين في ميدان العمل، ويصارعهم عَلى تجاذب مقوّمات العمل، البشرية والمادية، كما حصل ويحصل وللأسف في ميدان الصّحوة الإِسْلَاميّة والتّيار الجهاديّ.

بل لقد ذهبت في هذا الطرح لما هو أبعد من ذلك في رص الصفوف ومحاولة جمع الأُمّة، وذلك أن مجالات الخلاف والاختلاف، تصبح مجالات تناقض وعداء، عندما نخرج من دائرة الصّحوة الإِسْلَاميّة، إلى مختلف الشرائح والمكوّنات الفكريّة والثّقافيَّة والسّياسيّة للأمة الإِسْلَاميّة، بمجموعها البشري، وتركيبها الثقافي والحضاري المعقد، من مثل التّيارات ذات الأفكار المستوردة مثل التّيارات القوميّة، والوطنيّة العلمانيّة، وغيرها الّتي تشتمل - للإنصاف - رغم تناقضنا مع أفكارها، وعدائنا لما تحتويه من الإنحراف والضلال، فإنها تشتمل عَلى قطاع عريض من الشرفاء الّذين يريدون بإخلاص الاشتراك في المُقاوَمة لذات أعدائنا، ويقصدون - من حيث لم يوفقوا للصواب - إلى خلاص هذه الأُمّة، ويرجون انتصارها ورفعتها، وقد شاركونا كإسلاميين الكثير من ضرائب العناء مع الأنظمة الطّاغية ومن وراءها من القوى الاستعماريّة.

فحتى هذا القطاع، حرصت في نظَريَّات المُقاوَمة، دون أن أجاوز ما يسمح به المعتقد وثوابت الدّين المقدّسة، أن أتألف تلك القلوب ما أمكن، وأن أدخل من بوابات مجالات الإتفاق معها، معتمداً عَلى ما لديهم من النخوة والشرف والحمية، والعاطفة الإِسْلَاميّة عند من تتوفر عندهم، وصولاً إلى كسبهم إلى أن يكونوا عَلى يمين خط حرب المُقاوَمة لأمريكا وإسرائيل وحلفائها من المرتدّين والمُنَافِقين، إن لم يكن حلفاً عَلى نصرة الحقّ، فحياداً تجاهنا عَلى الأقل.

وهذا من أهمّ واجبات من يتصدرون لعملية الحشد، حشد الأُمّة عَلى المُقاوَمة، وهذا ما سعيت إليه كواحد ممن يرجون الوقوف في هذا الصف.

وأرجوا أن تتسع الصدور جميعها، وهي تستعرض ما لم أستطع أن أتجاوزه من نقد بعض الأمور، أو ما لم يحالفني الأسلوب المناسب في تناولها، وخاصة من قبل إخوة العَقِيْدَة والسّلاح من الجهاديّين، أو أخوة طريق الصّحوة وخدمة الإِسْلَام من الإِسْلَاميّين، أو من يجمعنا بهم الهدف النبيّل والشرف والنخوة للسعي نحو تحقيقه.

خامسا: خصائص وملامح في نظَريَّات دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

(١) - تعتمد الدّعوة منهج التجديد في أساليب العمل الجهاديّ والفكر الحَركيّ للصحوة الإِسْلَاميّة.

ومرد ذلك إلى التغيرات الجذرية لظروفنا المحيطة، منذُ قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وانطلاق الحملات الصّليبيّة الصّهيونيّة واعتمادها عَلى تحالف أنظمة الرِّدَّة وقوى النِّفَاق في بلادنا معها. ولاسيما بعد ما عرف بعالم ما بعد الحادي عشر من سِبتَمبر، ثمّ تكشف بَرَامج الحملات الصّهيونيّة الصّليبيّة الأمريكيّة عَلى عالمنا الإِسْلَاميّ، ومشاريعها الحَضَاريَّة الشّاملة لعالمنا الّذي أسمته (الشّرق الأوسط الكبير)، وهجمت عليه عسكريّاً وسياسيّاً وثقافيّاً وعلى كلّ صعيد، فجذرية التجديد اقتضتها جذرية التّحولات الناشئة عن الحملات وتركيبة الصف المعادي.

(٢) - السمة الأساسيّة للدعوة - رغم شمولية المنهج- أنها دعوة مقاومة جهاديّة للعدو الخارجي أساساً.

فقد قامت معظم مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة، ولاسيما السّياسيّة منها، وخاصة الجهاديّة من أجل الإطاحة سياسيّاً أو جهاديّاً بأنظمة الحكم، القائمة عَلى غير شرع الله، ومن أجل إقامة الحكم الإِسْلَاميّ عَلى أنقاضها، وكان هذا هو هدف الصّحوة بكل مدارسها، وبسبب هذه الهدف تحددت خصائص المناهج، وأساليب الحركة، وكانت كما كانت.

ولكن الهدف الّذي تقوم من أجله دعوة المُقاوَمة مختلف الآن، وهو تحديدا دفع صائل العدوّ الخارجي، وإن كانَ نجاحنا في تحقيق هذا الهدف، سيؤدي تلقائياً لنفس الهدف الشّامل للصحوة الإِسْلَاميّة والجهاديّة، وهو إقامة دولة الإِسْلَام وتحكيم شريعة الله، ولكن الهدف الاستراتيجي المرحلي الّذي فرضه الواقع الآن، ليس إقامة تنظيم أو تنظيمات تطيح بحُكُومَات محليَّة، سواءً عبر تنظيمات سرية، أو أحزاب سياسيّة (قانُونيّة)، لأن الداهية الآن أكبر، والتّصَدّي لها أعجل وآكد.

فهدف دعوة المُقاوَمة هو:

مقاومة صائل الحملات الصّهيونيّة الصّليبيّة الغازية بقادة أمريكا وحلفائها اليَهُوْد والصّليبيّن من قوى الكفر الخارجيّة، ومن قوى الرِّدَّة والنِّفَاق المحليَّة المتعاون معها، وبتغير الهدف الإستراتيجي القديم، وهو مُوَاجَهة الحُكُومَات، تتغير معطيات المناهج المطلوبة والأساليب الحَركيّة المناسبة.

ويجب أن لا يفهم أحد من هٰذا، أنه ليس من أهداف دعوة المُقاوَمة (إقامة حكم شرع الله)، معاذ الله، وهل يكون مؤمناً من لا يكون هذا هدفه؟ ولكننا نعتبر هذا الهدف النّهائيّ نتيجة لنجاح المُقاوَمة في دحر هذه الحملات، وإسقاط القوّة العظمى أمريكا.

لقد بينا فيما مر في الجزء الأوّل، بما فيه الكفاية، ما أدت إليه الأساليب القديمة، الجهاديّة منها، أو السّياسيّة عَلى طريق الصِّرَاع مع الحُكُومَات القائمة، وترك القوى الخفية الّتي دعمتها، وما أدى إليه ذلك من الاحتراب الداخلي، والدَّوران في حلقات مفرغة، ومن حسن الحظ، ولكي تكون المَعْرَكة عَلى بينة، جاءتنا تلك القوى اليَوْم صراحة بخيلها ورجلها ولله الحمد، وإن دحرها سيؤدي تلقائياً إلى سقوط حلفائها المرتدّين والمُنَافِقين، ومن يصر عَلى الرِّدَّة منهم بتحالفه مع الأَعدَاء الغُزَاة، ولا ينعطف لينضم إلى جموع الأُمّة المُقاوَمة.

وبحكم طبائع الأشياء، ستكون القوى السّياسيّة والجهاديّة المنتصرة في الْمُقاوَمة إن شاء الله هيَ المرشحة تلقائياً لملء ذلك الفراغ، وهل ستملؤه بعد كلّ ذلك المسار الجهاديّ من التضحيات إلا بتحكيم شرع الله وإقامة دولة الإِسْلَام ؟ وهل ستجرؤ قوى محليَّة ظلامية جديدة، عَلى الوقوف في وجه ذلك الهدف حينئذ، مع غياب القوى الدّولية العظمى - الّتي زرعت أحزاب الكفر وجموع العملاء في بلادنا - واستراحة البشرية من شرورها.

إن انتصار مشروع الْمُقاوَمة وسقوط أمريكا، بإذن الله، سيبدل موازين القوى، ويجعل الأرض غير الأرض، ولن يحكمنا عندها إلا شرع الله، ولهذا الهدف يجب أن نعمل الآن.

فالهدف الاستراتيجي للمقاومة هو صد الحملات، وجمع الأُمّة عَلى ذلك، تحت شعار الجِهَاد ومنهج الإِسْلَام، في دعوة تربَويّة شاملة متكاملة، ستولد بإذن الله جيلا، بل أجيالا لا ترضى بغير الله ربا، وبغير الإِسْلَام دينا، وبغير القرآن كتاباً ودستورا، وبغير نبينا محمّد ﷺ نبياً ورسولاً وقائداً وإماماً.

(٣) - نظَريَّات دعوة الْمُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة تحمل في كثير من جوانبها أبعاداً سياسيّة شرعيّة.

والسّياسة الشَّرعيَّة، كما هو ظاهر من تركيب هذا (المصطلح) هيَ وليدة:

(شريعة + سياسة)، والشّريعة أحكام ثابتة، وخطوط عريضة تحد مجالات السّياسة، لتسير وفق الهدى الرباني لسياسة واقع.

والواقع متحول يقوم عَلى حركة بشر، وسلوك متحول يعتمد فن الممكن، وقلوب متقلبة ضمن أصابع الرَّحْمٰن جل وعلا يقلبها كيف يشاء.

ولذلك يجب أن تتحرك دعوة الْمُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ضمن هذه الآفاق، بضوابط السّياسيّة الشَّرعيَّة، بثبات ثابتها، وتحول متحولها، بانسيابية حركيَّة تناسب التجدد والتقلب الهائل في الظرف والمعطيات، فإن من خصائص النَّظريَّات العمليّة، القدرة عَلى التجديد ومواكبة المتغيرات، من قبل العاملين ذاتهم، واتصال سلسلة السائرين عَلى بصيرة من دينهم، بعد اختيار استراتيجية الثّبات والاستمرار بعون الله.

(٤) - إن دعوة الْمُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، دعوة لتنظيم جهد المجموع من خلال إبراز دور الفرد.

فهي مستوحاة من قوله تَعَالَى:

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء].

فدعوة المُقاوَمة هيَ دعوة قامت كي يستطيع الفرد كفرد، والمجموعة الصغيرة مهما قلت إمكانيَّاتها، أن تؤدى فريضة الجِهَاد العيني لدفع الصّائل، بما يناسب حالها وقناعتها وقدرتها عَلى التجمع والتَّنظِيم، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلۡ﴾، ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ فتطلق الفرد للعمل، إذا لم يجد من لا يضم جهده إليه، فإن وجد من يعينه، وينضم إليه، فبها ونعمت.

وهو ليس قتال عَلى أي مبدأ كانَ ! وإنما ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وسبيل الله منضبط – باختصار- بشرع الله، وهو معتقد دين، وأحكام شريعة، ينتج سلوكاً ومنهجاً.

وهي إذ تكلف الفرد، كلّ فرد مهما قل شأنه وإمكانيَّاته، ما خلا أصحاب الأعذار الشَّرعيَّة – وليس أعذار القعدة والمُنَافِقين – تكلفه بالقتال، وتضيف تكليفاً آخر لكل بحسب قدرته عامة ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، فتخص أهل الذكر، وأهل العلم، ورجال الفكر، وأصحاب الرَّأي، تضيف إليهم فريضة أُخرى وهي القيام بالتّحريض عَلى المُقاوَمة ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، فعليه أن يحرض ويدعو للمقاومة، فضلا عن واجبه القتالي.

ومجال التّحريض هو للمؤمنين، وهم الّذين آمنوا، كلّ الداخلين تحت مسمّى لَاإِلٰهَ إِلَّا الله محمّد رسول الله، وهم دائرة التّحريض العامّة.

كلّ ذلك من أجل هدف تحققه هو بيد الله تَعَالَى توقيتاً وكيفاً، ونحن مكلفون بالسعي إليه، فكل ذلك الجهد والمُقاوَمة والقتال؛ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ يكف بأسهم وعدوانهم، ثمّ ليؤمن كلّ مُجَاهد تحقيقه عقدية من أساسِيَّات الإيمان، وهي قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ فهم سيهزمون ببأس الله وسيؤولون في الدُّنيَا والآخرة إلى نكاله.

والعاقبة للمتقين، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة] ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصافات]

وكما قَالَ عليه الصّلاة والسَّلام، وكفى بها شحنة معنوية دافعة: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ»(١)، فلَاإِلٰهَ إِلَّا الله محمّد رَسُولُ الله والله أكبَر ولله الحمد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإلى النَّظريَّات الثمانية لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة نبدؤها، بأهمها ومرتكزها كما هو مستند كلّ دعوة وطريقة، نظريَّة المُوَاجَهة، (المنهج والعَقِيْدَة القتاليّة).

****

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧) وصححه الأرنؤوط.

الفصل الثامن

نظَريَّات

المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة

الفصل الثامن

الباب الأول

﴿ المنهج والعَقِيْدَة الجهاديّة ﴾

لدعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة

العَقِيْدَة القتاليّة:

هيَ مجموعة الأفكار والمعتقدات الّتي يحملها المقاتل في عقله وقلبه ونفسه، ويتحرك بدافعها للقتال من أجلها، فتورثه الثّبات عَلى تكاليف هذا القِتَال، الّذي يكلفه كلّ ما يملك وأعز ما يملك، نفسه وماله وولده وأهله وكل كيانه، كما تشتمل عَلى الأخلاقيات والسُّلُوكيات والقواعد والأحكام الّتي تلزمه أثناء مسيرته القتاليّة.

وهذه العَقِيْدَة القتاليّة هيَ الّتي حركت الجُيُوش، وأزكت الصِّرَاعات، وأقامت الدّول عبر التّاريخ، وبسببها نهض الرّجال، وثبت الأبطال في ميادين النزال، وببواعثها صبر المصابرون عَلى تكاليف المسار كي يبلغوا أهدافهم في كلّ زمان ومكان، وفي كلّ أمة وملة ونحلة، وبها سار كلّ إناء بالذي فيه ينضح منذُ قديم الزّمان.

وفي العصور الحديثة حرصت الدّول وقيادات الجُيُوش، والتَّنظِيمات العقائدية، والثورات والحركات والأحزاب الّتي حملت المبادئ، كما حرص القادة والزعماء عَلى تعبئة جنودهم بعَقِيْدَة قتالية تدفعهم إلى البذل والعطاء، وتقديم الجهد والصّبر في ميادين القِتَال، لتقنعهم بالحق أو بالبَاطِل بعدالة قضيتهم، وبسمو المبادئ الّتي يقاتلون من أجلها، سواءً كانت ديناً أو معتقداً، أو حباً للوطن وإخلاصاً للأمة.

ففي كلّ جيش من جُيُوش العالم اليَوْم دائرة هامة من دوائر قيادات الجيش والقوّات المُسلّحة تسمَّى (دائرة التّدريب والتوجيه المعنوي)، أو ما يوازي ذلك من المسميات، حيث يعمل بها

المتخصصون من العُلَماء والأدباء والمفكرين والأطباء النّفسانيين، ويقومون بإعداد البَرَامج والمناهج من المحاضرات والدُّروس، لزرع الأفكار والحفاظ عَلى مستوى قناعة الجند بعقيدتهم القتاليّة واحتفاظهم بقيمهم، وروحهم المعنوية.

وتأخذ هذه المواد حيزاً يجاوز في كثير من الأحيان نصف ساعات التّدريب العام وبَرَامج الإِعداد، وقد يصل في بعض الحركات الثّوريّة والتَّنظِيمات العقائدية، إلى أكثر من ٨٠٪ من الوقت المخصص للعمل والإِعداد لدى الأتباع والجنود.

وقد كانت الأديان والمعتقدات الدّينيّة وما زالت منذُ قديم الزّمان وإلى اليَوْم، الباعث الأساسي والأكثر تأثيراً في إيجاد هذه العَقِيْدَة القتاليّة والروح المعنوية لدي المقاتلين، وحتى في التَّجَمُّعات والدّول الّتي اعتمدت الإلحاد ومذاهب العلمانيّة - ومعظمها يتهاوى اليَوْم - يشهد العالم عودة نحو التدين والتعصب الدّيني، أو أنها حاولت أن تعوض بتلك المذاهب المادية العلمانيّة عن الأديان بعقائد من وضع البشر لها هيبة الدّين وقداسة المعتقد لدى أصحابها.

الفارق بين المقاتل المحارب، والمُجَاهد والجندي العقائدي:

أسهبت الدراسات الّتي عنت بالعَقِيْدَة القتاليّة وأهميتها في الجُيُوش الحديثة بإيضاح هذا الفارق، فالمقاتل أو المحارب لغير قضية، من غير معتقد، ولغير هدف مقدّس سام عنده، مثل اللصوص وقطاع الطرق، والجنود المرتزقة، يشتركون مع أي جندي ومقاتل عقائدي يقاتل لهدف شريف وعَقِيْدَة مقدّسة عنده، بكل خصائص المقاتل إلا العَقِيْدَة، فهم يشتركون في كلّ وجوه الإِعداد، وفي كلّ حركات القِتَال والأعمال العسكريّة.

فهم يتدربون ويتقنون استخدام السّلاح، وتكتيكات القِتَال، والفنون الملحقة اللازمة لذلك، وربما فاق رجال العِصَابات والمافيات والمجرمون واللصوص وقطاع الطرق، أقدر الجنود ورجال الأمن والإستخبارات في إتقان التقنيات القتاليّة والمعلوم الفنية اللازمة للقتال بكل أشكاله، وربما فأقوهم شجاعة وإقداماً ومراساً في القِتَال والإصرار، ولكن هناك فوارق جوهرية بين هَؤُلَاءِ وبين المقاتل

العقائدي، فوارق سرعان ما يبدو أثرها جلياً مع استمرار المُوَاجَهة وقسوة الظّروف، ولاسيما في حالات الهزيمة وتتالي التضحيات.

فالذي لا يقاتل لعَقِيْدَة ومبدأ، لا يصبر عَلى الهزائم، ولا يصبر عَلى استمرار وطول فترة المعاناة، وسرعان ما يكون عرضة لأن يبيع ذمته وضميره لعدوه، وربما يعمل لحساب عدوه إذا وفر له نفس غاياته الدنيوية، أو زاد عَلى من وفرها له، من قبيل أنواع متاع الحياة الدُّنيَا، من المال والنِّسَاء والجاه والسمعة والرياسة وغيرها، فينقلب ويخون، أو عَلى الأقل يستسلم وينسحب إلى حياته الخاصّة مؤثراً السَّلامة مكتفياً بما حصله وجناه، فرحاً بالنجاة إن لم يظفر بسواها.

لكن المقاتل العقائدي يثبت، ولا يخون ولا ينقلب، ولا يكون عميلا لعدوه، ولا يستسلم إلا مكرها قد أحيط به، ويحاول الفكاك من عدوه ومتابعة العطاء، ويصبر ويحتسب عناءه عند الله، ويكون له من راحة ضميره، أو تصوُّراته عن مآله وازعاً لذلك الصّبر والصمود، ولو فتر وسكن لفترة مضطرا، تبقى نفسه تواقة وضميره يعذبه ويدفعه لمعاودة الجِهَاد من أجل أهدافه وقيمه العليا، وشتان شتان بين المحارب وبين المقاتل العقائدي.

وقد أدرك المربون من كلّ ملة ونحلة أثر ذلك، فأولوا العَقِيْدَة القتاليّة مكانتها في مناهج الإِعداد والتّدريب، حيث تزخر المكتبات بالمواد التّعليميّة والمنهجيّة والدراسات المتخصصة في هذا المجال.

العَقِيْدَة الجهاديّة لدى المُسلِمِين وأثرها ومكانتها:

نحن المُسلِمُون نسمي قتال أعدائنا، (جِهَاداً في سبيل الله)، وبالتالي يكون المصطلح المناسب المرادف (للعَقِيْدَة القتاليّة) عند غيرنا هو مصطلح (العَقِيْدَة الجهاديّة)، ومكانة العَقِيْدَة الجهاديّة عندنا ظاهرة بينة، تطفح بها نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة المطهرة، وتراث له أول وليس له آخر من أقوال العُلَماء، وحكم الحكماء، وأدب الأدباء شعراً ونثراً عَلى مدى القرون المتتالية من تاريخنا المجيد.

وتتميز عقيدتنا الجهاديّة عن غيرها من العقائد القتاليّة، أنها تحتوي فوق ما تحتويه كلّ تلك العقائد، من إثارة بواعث الحمية للوطن والأرض والعرض، ومكامن الرجولة والشرف والإباء، وآفاق الخلق الحميد والمزايا الرفيعة، فقد ربطت المُجَاهد في سبيل الله بما وعدته من التمكين والعز في الدُّنيَا له أولمن

يأتي من إخوانه وأهل ملته من بعده وعداً أكيداً لهم من الله، بالتمكين إن هم ثابروا عَلى درب الجِهَاد والصّبر، والمصابرة والمرابطة عَلى جلاد أعداء الله، ووعدته بما هو أسمى وأعز من ذلك وأحبه لنفسه، وهو ما وعده الله به من الجزاء في الآخرة من الثواب والجنة ورضوان الله لقاء جهده وصبره وفتنة بارقة السيوف فوق رأسه، فأوجبت له الجنّة لقاء قيامه في الصف مُجاهداً لدقائق معدودة - فواق ناقة- (وهو المدة ما بين حلب الناقة وعودة الحليب إلى ضرعها)، فعن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «من قاتلَ في سبيلِ الله فُواقَ ناقةٍ فقد وجَبَتْ له الجنةُ، ومن سألَ اللهَ القتلَ من نفسِه صادقاً ثم ماتَ أو قُتِلَ فإن له أَجرَ شهيدٍ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ الله أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ، لونُها لونُ الزعفرانِ، وريحُها ريحُ المِسك، ومن خَرج به خُرَاج في سبيل الله فإن عليه طابَعَ الشهداءِ»[1].

وأما لو قتل في سبيل الله فقد وعدته بأجر الشّهيد الصّابر، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر عَلى قلب بشر.

وقد حفلت نصوص القرآن والسنة بما يجعل القلوب تقفز من بين الضلوع شوقاً، وترقص الأحاسيس طرباً، وتطير الأرواح رغبةً إلى لقاء الله وموعوده من تفاصيل ذلك النعيم، وما أعد الله له من ذلك، وفوقه صحبة حبيبه المصطفى ﷺ، مع من أنعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشّهداء والصّالحين، ثمّ النعيم الأعظم، رضى ربّ العزة، ورؤيته، وأن يضحك له ويسقط عند الحساب.

وقد زودت العَقِيْدَة الجهاديّة لدى المُسلِمِين المُجَاهد، بتفاصيل مفصلة عن كلّ شيء، عن خلقه ونشأته ومساره في الدُّنيَا، وعن معاده في الآخرة، فلم تترك له سؤالاً بلا جواب في حنايا نفسه.

عقائد مفصلة، وشرائع مقننة، وقوانين متناسقة، وسبحات روحانية، فسبحان من لم يخلقنا عبثاً ولم يتركنا سدى.

فلو قدر لأي مخلوق أن يحتار في أمره، وأن تضيق عليه أقطار نفسه، فقد أنجى الله المؤمن والمُجَاهد من هذا العذاب في الدُّنيَا والآخرة، فإذا تاهت نفس الملحد حيرة وتلجلج يقول مقالة الشاعر العربيّ

(١) رواه أبو داود (٢٥٤١) والترمذي (١٦٥٧) والنسائي (٣١٤١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

النّصراني البائس الّذي غنى شعره مطرب بائس مثله وتمايل عَلى ألحانه البائسون التائهون من الضائعين في هذه الأُمّة عند ما قَالَ.

جئتُ لا أعلم من أين لكني أتيت ۞ ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت

كيف جئت أين أمضي لست أدري

فإن المؤمن والمُجَاهد خاصّة يدري ويعلم، فسبحان الله الّذي علمنا قوله:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢﴾ [الكهف]، فكتاب ربنا كما وصفه تعَالَى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل: ٨٩].

وأما في ميدان الجِهَاد والعَقِيْدَة الجهاديّة، فقد بين له الإِسْلَام لِمَ يجاهد؟ ومن يجاهد؟ وكيف يجاهد؟ ولأي غاية يجاهد؟ وكيف يكون سلوك المُجَاهد وآداب الجِهَاد، وبين له شرائع ذلك وأحكامه في الدِّماء والأموال والأعراض، وتفاصيل أحكام القتل والأسرى والغنائم، وزوده بما يعين عَلى التقوى وما يحليه بالصّبر والثّبات، وما يزكي في نفسه مكامن الشجاعة والإقدام، وعلمه آداب الذلة عَلى المُؤمِنِين والعزة عَلى الكافرين وأمره بجِهَاد الكفّار والمُنَافِقين وأن يجدوا منه غلظة، وعلمه أنه جندي لدين الرحمة ونبي الرحمة، إلى آخر ما امتلأت به الكتب، وحفلت به المكتبة الإِسْلَاميّة، لهذا الدّين العظيم.

ولو جئنا لنستقصي شيئاً من ذلك هنا لطال بنا المقام وخرج بنا عن المقصود، فسبحان منْ مَنّ علينا بقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وبسبب هذه العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة عامة، والعَقِيْدَة الجهاديّة خاصّة، كانَ لنا في التّاريخ نماذج فذة تحتذى، وأخرج لنا قافلة من النماذج والرّجال القدوة الّذين كانَ في طليعتهم من قَالَ فيه ربه سبحانه:

﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ۝٢١﴾ [الأحزاب]

كما حفظ لنا التّاريخ قصصاً مجيدة عند ما حضرت تلك العَقِيْدَة القتاليّة في نفوس أصحابها المُؤمِنِين من انتصار الرهط القليل من المُؤمِنِين عَلى جموع أعدائهم عند ما استعلت فيهم تلك العَقِيْدَة.

وقصصاً مريرة وأخباراً مؤلمة مما حلّ بهم، لما جاءت أجيال خبت في نفوسها جذوة تلك العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة والروح الجهاديّة، أو سيطر حب عرض الدُّنيَا عليهم خلال أوقات المُوَاجَهة، فكانت

صفحات مروعة من عكس ذلك عند ما هزمت جموعهم ودكت حصونهم وسقطت قلاعهم ونهبت قصورهم وقتل أشرافهم وسبيت نساءهم في مشاهد غزوات التّتار، والحملات الصّليبيّة، وسقوط الأندلس، وغيرها عَلى مر التّاريخ، وصولاً لمثل ذلك من تاريخنا المعاصر الملىء بالآلام والمآسي، حيث تبزر فيه أيضاً بعض البقع المضيئة من نماذج صبر الصابرين وجِهَاد المُجَاهدين المستعلنين بعقيدتهم الجهاديّة السامية.

آفاق من العَقِيْدَة الجهاديّة عند المُسلِمِين:

- إن أول ما تعلمنا إياه العَقِيْدَة الجهاديّة لدينا معشر المُسلِمِين، هو حقيقة أن (لَاإِلٰهَ إِلَّا الله محمّد رسول الله)، وما يتفرع عن ذلك من عقائد هذا الدّين وأحكامه ومقتضياته، فنحن لا نعبد إلا الله ولا نطيع إلا ما أمر الله، بالكيفيَّة الّتي نزلت عَلى رسوله وحبيبه قائدنا وحبيبنا محمّد رَسُولُ الله ﷺ.
- ومما تأمرنا به عقيدتنا القتاليّة قوله تَعَالَى بأن نقاتل أعداءنا ومن انتهك حرمات ديننا أو المُؤمِنِين به، حتَّى يكون الدّين كله لله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ [البقرة]، وتعلمنا وتملؤنا إيمانا أن الحكم لله وحده: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠]، وأن شريعة الله جاءت لتحكم وتسود، ولتضبط حياة المُسلِمِين: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [النساء]، وتعلمنا أن الإعراض عن ذلك يسبب لنا خزي الدُّنيَا وتداعي الأَعدَاء، وعذاب الآخرة وسخط الله.
- وتبين لنا عقيدتنا الجهاديّة، من هم أولياءنا المُؤمِنُون وتأمرنا بموالاتهم، ومن هم أعداؤنا الكافرون وتأمرنا بالبَرَاءة منهم وجِهَادهم بما استطعنا.
- وتعلمنا بأن من والى المؤمن فهو المؤمن، وأن من يوالي أعداءنا الكافرين فهو منهم، ومثلهم حكماً في الدُّنيَا والآخرة، وتأمرنا بقتالهم.

- وتبين لنا عقيدتنا الجهاديّة وجوب العمل عَلَى تحكيم شرع الله ونصب الإِمَام المسلم وإقامة دولة الإِسْلَام.
- وتأمرنا عقيدتنا بقتال من تولى أعداءنا وقاتل تحت رأيتهم، وتفصل لنا تفاصيل أحكام أصنافهم وأشكالهم من الموالين والجاهلين والمكرهين.
- وتزودنا عقيدتنا القتاليّة بما يعين عَلَى ذلك من الخصال والأخلاق، من الإيمان والصّبر، والكرم والشجاعة، والثّبات والرحمة، والعِبَادة والنسك، وبذل النّفس والمال والوالد والولد في سبيل الله.
- وتأدب المُجَاهد في سبيل لله بأخلاق الرحمة والعدل والإنصاف وكل آفاق الأخلاق والآداب الحميدة.
- وتعلمنا كذلك آداب معاملة العدوّ ذاته، وأحكام ذلك في ميدان المَعْرَكة، أو في حالة العهد والهدنة والصُّلح، فتعلمنا أحكام الذمة والاستئمان كما أمر الله، لا كما يروج اليَوْم كهان السّلاطين أولياء الكافرين.
- وتعلمنا العَقِيْدَة الجهاديّة طاعة أولياء أمور المُسلِمِين، كما تعلمنا أن لا طاعة لمن عصى الله، وأن الطاعة في المعروف، وتعلمنا أن نناصحهم ونوازرهم ونعينهم عَلَى البر والتقوى، لا عَلَى الإثم والعدوان، وأن نصبر عَلَى زللهم وخطئهم، وحتى ظلمهم ولو جلدوا الظهر وسلبوا المال، وأن نتجاوز عن كلّ ذلك ما لم يبلغ مبلغ أفسد الفساد وأفسق الفسق، وتعلمنا ذلك بنص قرآني محكم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء].

وتبين لنا من هم أولياء الأمر الّذين هم (منا)، ما أقاموا شرائع الإِسْلَام، وتبين لنا بنص محكم أيضا، أن حكامنا إن تولوا أعداءنا لم يعودوا منا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ ﴾ [المائدة] قَالَ علماء الإِسْلَام: ﴿مِنۡهُمۡۗ﴾ ؛ [**أي كفار مثلهم**].

- وعندها تعلمنا عقيدتنا أن الفريضة هيَ الخروج عَلى أئمة الكفر، أولياء أعداء الله، ومنابذتهم بما رأينا من الكفر البواح الصراح الّذي لدينا معه من الله البراهين.
- وتعلمنا عقيدتنا الجهاديّة فرضية دفع الصّائل عن الدّين والعرض والنّفس والمال والأرض، وإن كانَ مسلماً فما بالك لو كانَ كافراً غازياً.
- وتعلمنا أن المسلم أخوا المسلم ووليه وناصره ومعينه، وله عليه حق النّصر والمعاونة، حتَّى ولو كانَ فاجراً فاسقاً مقصراً، وأن الكافر أخوا الكافر ووليه وأن من والاه ونصره عَلى المُسلِمين وظاهره في العدوان فهو مثله ولو أدعى الإيمان والإِسْلَام وصام وصلى.
- وتعلمنا عقيدتنا الجهاديّة الرحمة والشفقة والتّعاون عَلى البر والتقوى، وحرمة التّعاون عَلى الإثم والعدوان، وأن نتم لكل ذي عهد عهده، وأنه لا تزر وازرة وزر أُخرى، أمر الله تَعَالَى، وتعلمنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ [المائدة]
- وتعلمنا قول حبيبنا المصطفى: «وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»(١).
- وتعلمنا كلّ ما يندرج تحت مكارم الأخلاق، وتنهى عن ضدّ ذلك، إلى آخر ما تعلمنا إياه تلك العقائد المُتكامِلة والأحكام الشَّرعيَّة المفصلة.
- وتعلمنا ما روي عنه في الأثر عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ الْجِهَادُ حُلْوًا أَخْضَرَ مَا قَطَرَ الْقَطْرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَقُولُ فِيهِ قُرَّاءٌ مِنْهُمْ: لَيْسَ هذا زَمَانَ جِهَادٍ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ فَنِعْمَ زَمَانُ الْجِهَادِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَاحِدٌ يَقُولُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، مَنْ عَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٢)

و صدق رسول الله، فعليهم لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين !!

---

(١) رواه مسلم (١٨٤٨).

(٢) (السنن الواردة في الفتن – ٣٧١) و في إسناده عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف جداً.

أثر غياب العَقِيْدَة الجهاديّة عند المُسلِمِين:

إن مما تعلمنا إياه عقيدتنا القتاليّة وتنذرنا منه ما جاءت الأيّام بتصديقه وإثباته معجزة ضمن سلسلة معجزات نبوية لا متناهية.

فقد روى أبو داود عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قَالَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ الله مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ الله فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١).

وهو ما نعيش اليَوْم بصورة واضحة.

فقد بين هذا الحديث الشريف والأثر العظيم أثر غياب العَقِيْدَة الجهاديّة عَلى المُسلِمِين وأسباب ذلك مما حلّ في قلوبهم، بإيجاز معجز من قبل من لا ينطق الهوى وإنما كلامه وحي يوحى.

فإذا ما خبت جذوة العَقِيْدَة عند المُسلِمِين عَلى مر الأزمان كما حصل مرات عديدة، كانت نتيجتها دائماً واحدة، أن تتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الذئاب الضارية الجائعة إلى فريستها، فتقطع أوصالها، وتدوس مقدّساتها، وتزهق نفوسها، وتنتهك أعراضها، وتحتل أرضها وتنهب ثرواتها ومقدراتها، وكان السبب دائماً واحد.

فإذا ما ضعفت جذوة الإيمان في نفوسهم، ابتعدوا عن عيش حقيقة أحكام دينهم وشرائعه، وتنافسوا في الدُّنيَا وملاذاتها الّتي تجرهم إلى التنافس فيها، والتباغض والتحاسد والتقاتل عليها وعلى السيادة فيها، وتدفع كبراء مجرميهم إلى ولاية أعدائهم لأجلها وخيانة أمتهم في سبيلها.

فإذا ما وقع ذلك، ودب الفساد في صلحائهم، واحتراف العلم والدّين من يشترون به ثمنا قليلا، عندها يملأ قلوبهم الوهن، الّذي أخبر به ﷺ ؛ «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».

عند ذلك تحصل النَّتِيجَة الطبيعة التلقائية، فينزع الله مهابتهم من قلوب أعدائهم، ويحل بهم الرعب منهم، وتكون النَّتِيجَة ما رأينا عَلى مر العصور والأجيال، مما حفظته كتب التّاريخ.

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وقال الألباني : صحيح - السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

واقرؤوا إن شئتم عن حال الأُمّة أيّام غزو التّتار، وكذلك أيّام الحملات الصّليبيّة، وما علمنا عن سقوط الأندلس.

ولماذا نذهب بعيداً وتاريخنا الحديث حافلٌ ماثلٌ بشواهد غياب العَقِيْدَة الجهاديّة عن قلوب معظم هذه الأُمّة. فهذا تاريخنا الحديث يحدّثنا:

فقد انطلقت الحملات الصّليبيّة الرُّوميّة الجَدِيدة، فأسقطت الخِلافَة سنة ١٩٢٤م، ثمّ قطّعت معاهدات سيكس بيكو الأُمّة وأراضيها وشعوبها إرباً إرباً، وجعلتهم دولاً وإمارات، وممالك متنازعة متفرقة، واحتلت مقدّساتهم ونهبت ثرواتهم، ووطنت اليَهُوْد في عقر دارهم، وكان ما روينا طرفاً موجزاً عنه في الفصول السَّابقة، ولمن لا يعرف التّاريخ، ويقصر علمه وفهمه عن دراسته، فهذا حاضرنا الماثل مع الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الجَدِيدة، بقيادة أمريكا وحلفائها في النّاتو من الدّول الغربيّة، ومخططاتها للشرق الأوسط الكبير، لتحتله من أقصاه إلى أقصاه، ولتجند حكامه ليقتلوا نخبة شباب شعوبهم، وتستعمل عساكر المُسلِمِين في ذبح الإِسْلَام والمُسلِمين، ثمّ لتصنع بَرَامج حرب الأفكار، فتفرض علينا تغير مناهج التّفكير والتّربية والتّعليم في مدارسنا وحتى خطب الجمعة ودروس الدّين في مساجدنا وتحدد لنا الآيات القرآنية الّتي يجب أن لا نطبعها ولا ندرسها ولا ننشرها.

فهذا بعض آثار نتائج غياب العَقِيْدَة الجهاديّة، وكل ذلك مما نشاهد من كفر الحكّام، وفساد أكثر العُلَماء، وضلال غالبية العامّة، وتملك الجميع الوهن ؛ «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ»!

بل أن الأمور تبشر بالأسوأ، وهو خروج أجيال تقدس عقائد المحتل الغازي الجَدِيد، وتدعوا لأفكاره ونظم حكمه وحياته وثقافته وأتباعه في كلّ شيء، وها هيَ الأرض تسير وكأنها تتهيأ لاستقبال الدَّجَّال، جموع هائمة عَلى وجوهها لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون مُنكراً.

لقد عرف العدوّ العلة وأخذ في زرعها ورعايتها، حرب الأفكار وتجفيف مولدات المُقاوَمة والقضاء عَلى عقائد الإِسْلَام، وأهم ذلك جوانب العَقِيْدَة القتاليّة لديها، وهذا هو الداء وبعكسه الدَّواء، لا بُدَّ من التمسك بالدّين، وإعادة زرع العَقِيْدَة الجهاديّة في شباب هذه الأُمّة.

العَقِيْدَة الجهاديّة في التّيار الجهاديّ الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة:

بعد سقوط الخِلافَة، وإبان أواخر أيّامها وصففها ولدت بواكير الصّحوة الإِسْلَاميّة، وكانت دعوات إصلاح شامل، وكان جانب العَقِيْدَة الجهاديّة حاضراً في معظمها ولا أول عَلى ذلك من الشَّعَار الشهير في أم الحركات الإِسْلَاميّة وقلبها ؛ دعوة الإخوان المُسلِمِين وما تولد عنها من حركات في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، فقد قَالَ الشَّعَار في حينها.

(الله غايتنا، الرَّسُول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجِهَاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.)

ولا أجد في أدب أديب ولا بيان كاتب في هذه الأُمّة المعاصر أجمع لمقوّمات العَقِيْدَة الجهاديّة من هذا الشَّعَار الّذي يجمع حذافير الدّين وأساسِيَّاته وفرعياته.

وقد سارت الصّحوة عَلى ذلك الستار صدرها الأوّل، ولكن ما الّذي حصل بعد ذلك عَلى أرض الواقع، لقد دب الفساد في تلك العَقِيْدَة الجهاديّة، وآلت كثير من الحركات، ليكون البرلمان غايتها، والغربُ قدوتها، والدِّيمقراطيَّة دستورها والانتخابات سبيلها، والوصول للمشاركة مع الطواغيت في حُكُومَاتهم أسمى أمانيها، هذه هيَ الحقيقة الماثلة مهما تكن مؤلمة ومهما يشكل كشفها صفعة عَلى وجوه أصحابها.

بل سار الحال إلى الأسوأ، فإن أكثر علماء الإِسْلَام وقادتهم ورموز صحوتهم يسيرون اليَوْم لتكيف عقائد الإِسْلَام عَلى مزاج الغُزَاة الجدد تحت دعاوى الإعتدال واحترام الآخر.

إن من أول أولوياتهم اليَوْم التجاوب مع حرب الأفكار في قطع جُذُور العَقِيْدَة القتاليّة، لقد صارت العَقِيْدَة الجهاديّة إرهاباً، وفكراً إرهابياً يجب حربه، ويجب أن تنساه الأجيال القادمة، ولو قدر لهم أن ينجحوا لا قدر الله، ولن ينجحوا بإذن الله، لأَنّهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون.

أقول لو قدر لهم أن ينجحوا فستولد أجيال لا يعرف أكثرها دين ربّهم ولا تاريخ أمتهم، بل ولا لغة آبائهم وأجدادهم، وستكون أجيالا بلا عَقِيْدَة جهاديّة تحفظ هذه الأُمّة من الزوال وتدافع عن بقائها ومقوّمات وجودها.

أقول بكل بساطة – ومهما تكن الحقيقة مؤلمة– لقد تماوتت العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة في مدارس

الصّحوة الإِسْلَاميّة شيئاً فشيئاً منذُ مطلع الستينات، ولم يحافظ عليها ويزكيها إلا ما اصطلح عليه باسم (التّيار الجهاديّ)، جماعات وأفراد هنا وهناك.

و لقد ذكرنا طرفاً من تاريخ ذلك في الفَصلين الخامس والسَّادس والسَّابع من الجزء الأوّل. وبينا كيف أن معظم مدارس الصّحوة ولاسيما المتسيسة منها، ومن أجل دفع ثمن دخولها مجال (المشروعية القانُونيّة) للممارسة السّياسيّة لدى الحُكُومَات، قامت بالتخلي عن عقيدتها الجهاديّة القتاليّة تدريجياً، بل ألتفت كثير من رموزها وقادتها، لمحاربة أولئك الّذين تمسكوا بتلك العَقِيْدَة من أبنائهم، وفصلوهم من تنظيماتهم، وضيقوا عليهم، فضلاً عن محاربة التّيار الجهاديّ دعوياً وفكرياً وإعلامياً، بل وأمنيّاً في بعض الأحيان حيث تولى بعض الدعاة إبلاغ الأمن عن نوايا الجهاديّين !!

لقد حمل التّيار الجهاديّ عبر تنظيماته وأدبيات مفكريه وكتابه وإعلامه تلك العَقِيْدَة بمقتضى الشَّعَار الأوّل للصحوة، قولاً وعملاً، وقامت الجماعات والتَّنظِيمات الجهاديّة المختلفة عَلى تلك الأسس وتفاوت عطائها ومدى وضوح وتجذر تفاصيل تلك العَقِيْدَة في مناهجها.

وبشكل إجمالي يمكن القول أن معظم التَّنظِيمات الجهاديّة تبنت العَقِيْدَة الجهاديّة وكان لها فكراً ومنهجاً جهاديّاً مكتوباً وتبعاً لذلك كانَ لها برنامجها التربوي الّذي رسخ تلك العَقِيْدَة الجهاديّة في عقول عناصرها، وقد مرت كافّة تلك التَّنظِيمات بمرحلتين من النَّاحية المنهجيّة والتربَويّة وتربية الأعضاء عَلى ذلك.

مرحلة ما قبل الصدام مع السُّلطات في بلادها، ومرحلة ما بعد الصدام، وبالإجمال استطاعت تلك التَّنظِيمات والجماعات أن تربي في مرحلة الإِعداد قبل الصدام كادراً طيباً كماً ونوعاً عَلى تلك العَقِيْدَة والمناهج وخرجت نماذج ناضجة نموذجية كمُجَاهدين عقائديين يحملون عَقِيْدَة جهاديّة راسخة واضحة، وهم الرعيل الأوّل والثّاني في كلّ حركة وتنظيم جهاديّ تقريباً، ولكن معظم تلك الجماعات بعد فتح الصدام المُسلّح عجزت للأسباب الّتي مر ذكرها عن تربية الطبقات التّالية من الأتباع، ورغم أن المناهج معروفة ومدونه إلا أن نوعية ومستوى التّربية انخفض فيما بعد.

ولما هاجرت تلك التَّنظِيمات. حاولت استئناف المسيرة واستطاعت أن تبني شيئاً من ذلك ولاسيما من خلال مرحلة الجِهَاد الأفغاني في شوطين الأوّل والثّاني.

وبالإجمال يشكل عناصر التَّنظِيمات الجهاديّة النموذج الأفضل للمُجَاهد العقائدي الّذي يحمل عَقِيْدَة جهاديّة في ظاهرة الصّحوة الإسْلَاميّة المعاصرة.

وفي تجربة الجِهَاد الأفغاني بشوط الأوّل، كانَ تجمع الأفغان العَرَب تجمعاً غير متجانس، وكانت الشريحة الأكبر منه لا تنضوي تحت تنظيم ولا جماعة ولا أمير، وكانت مُعَسْكَرَات التّدريب العامّة المفتوحة تقتصر تقريباً عَلَى التّدريب العسكريّ، ولم تر من الدُّروس المنهجيّة القليلة البسيطة فيها ما يمكن وصفه بأنه منهج تربوي يرسخ عَقِيْدَة قتالية، باستثناء بعض الدُّروس القيمة والقليلة الّتي ألقاها الشَّيْخ عبدالله عزام رحمة الله في الطّبقة الأولى من تجمع المُجَاهدين العَرَب قبل أن تشغله المشاغل ثمّ تختطفه يد الردى رحمه الله تَعَالَى رحمة واسعة. وقد ترك الشَّيْخ عبدالله رحمه الله تراثاً هائلاً يحتوي الكثير من مناحي العَقِيْدَة الجهاديّة، وما زال تراثه مظلوما مهملاً يحتاج من يخرج ما فيه من درر.

ورغم تجمع أكثر من ٤٠ ألف مُجَاهد عربي ومسلم في الشوط الأوّل للأفغان العَرَب، مما شكل فرصة نادرة الحصول لتربية تلك المجموع أو طلائعها عَلَى عَقِيْدَة قتالية جهاديّة، لمواكبة ما يتربص بالأُمّة من أحداث وحملات صليبيّة وشيكة، إلا أن تلك الفرصة ضاعت.

وكان السبب الأوّل في اعتقادي عدم إدراك القيادة العليا للتجمع الجهاديّ العربيّ آنذاك لأهمية تلك العَقِيْدَة الجهاديّة. وأعتقد أن كثيرا منهم في تلك المَرحَلَة، لم يكونوا يملكون تلك العَقِيْدَة الجهاديّة أصلاً ولا يقيمون لها وزناً، بل كانوا يعملون بدافع عاطفة دينية وقناعات جهاديّة محدودة ومحددة، بل كانَ بعضهم يحمل أفكاراً متناقضة مع مقتضيات العَقِيْدَة الجهاديّة أصلاً تحمل بصمات ما تربوا عليه من مناهج غير جهاديّة، ولو لا فضل الله ووجود دعاة جهاديّين وبعض العُلَماء والمفكرين ووجود التَّنظِيمات الجهاديّة من الّذين يحملون تلك العَقِيْدَة الجهاديّة، لاجتمع الجمع وانصرم ولم يخلف وراءه إلا صدى طلقات المعارك ودورات التّدريب الّتي سرعان ما تلاشت، بعد أن قضى لأمريكا حاجتها ووطرها من ذلك الجمع دون أن يدري ودون أن يكون قد استفاد لصالح مسار الجِهَاد شيئاً لحسابنا الخاص لمسلمين ومُجَاهدين.

ولكن تلك الكوكبة الواعية الفاهمة بذرت بذور الفكر الجهاديّ واستطاعتها عبر مُعَسْكَرَات ومضافات التَّنظِيمات الجهاديّة، وعبر بعض الدُّروس والمحاضرات الّتي عقدها بعض المفكرين وطلاب العلم الواعين لعقيدتهم الجهاديّة وأهميتها فضلاً عن انتشار الأدبيات الّتي تحمل الفكر الجهاديّ.

ولكن النجاح في ميدان زرع العَقِيْدَة الجهاديّة عَلى مستوى عشرات الآلاف أولئك كانَ ضحلاً، وواجه مقاومة شرسة من قبل الأوساط السّعُودِيّة الّتي كانت مسيطرة عَلى معظم ذلك الجمع عبر مؤسسات كثيرة، وقد أثبت المردود الواهي لتلك المجموع وعدم مساهمتها فيما تلا من أحداث، ذلك الفشل الذريع لمشروع تربية أولئك المُجَاهدين، وإحصائية تقريبية تثبت ذلك بكل وضوح.

لقد تكون الجمع العربيّ من زهاء ٤٠ ألف مُجَاهد، ارتادوا بيشاور ومُعَسْكَرَات التّدريب وجبهات القِتَال ما بين (١٩٨٥-١٩٩٢)، ولا شَكَّ أن أكثر من ثلثيهم قد تلقى تدريباً عسكريّاً معقولًا، وأن أكثر ممن نصفهم دخل جبهات القِتَال، وأن ربعهم عَلى الأقل شارك في معارك حقيقية بشكل فاعل جعل منه مقاتلاً محترفاً عَلى نحو طيب.

وقد تراوحت النسب التقريبية لجنسيات تلك المجموع بحسب ما تقصيتها قدر ما استطعت.

السّعُودِيّة	نحو	٢٠٠٠٠ مُجَاهد
اليمن	نحو	٥٠٠٠ مُجَاهد
مصر	نحو	٤٠٠٠ مُجَاهد
الجَزَائِر	نحو	٢٠٠٠ مُجَاهد
المغرب (مراكش)	نحو	عدّة مئات المُجَاهدين
ليبيا	نحو	عدّة مئات المُجَاهدين
فِلَسطِين	نحو	عدّة مئات المُجَاهدين
إمارات الخليج العربيّ	نحو	عدّة مئات المُجَاهدين

أما تونس، العراق وسوريا ولبنان وموريتانيا والصّومال فقد جاء من كلّ منها، أرقام تتراوح بين المئات وعشرات المُجَاهدين، وكذلك باقي دول العالم.

هذا بالإضافة لعشرات آلاف المُجَاهدين الباكستانيين الّذين حضروا وشاركوا من خلال تجمعات ومُعَسْكَرَات مستقلة أو مع الأفغان مباشرة.

ولنبق في إطار المُجَاهدين العَرَب، فباستثناء عدّة مئات من المطاردين أصلاً في بلادهم، عادت معظم تلك الآلاف المُؤلّفة إلى بلادها، وقد انطلق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد واحتل جَزِيرَة العَرَب، ودمر العراق وحاصرها، واشتعلت الإنتفاضة، وزحفت روسيا إلى الشِّيشَان، ووقعت مذابح الصّرب في البوسنة، واستمرت مآسي المُسلِمِين بشكل فظيع مع اقتراب القرن العِشرين من نهايته وحملت وسائل الإعلام إلى كلّ بيت، ما يفجر القهر والغيظ في ضمير أي مسلم.

فماذا كانَ دور تلك الآلاف من المُجَاهدين الّذين أعدوا وتدربوا وأتقنوا استخدام السّلاح خفيفة وثقيلة وتعلموا استخدام المتفجرات وكل صنف الأَسْلِحة ؟! ماذا كانَ أثرهم عَلى تلك المَعْرَكة المشتعلة في كلّ مكان عامة، وفي الشّرق الأوسط الجَزِيرَة والعراق والشّام خاصّة!

تقريباً لاشيء، فباستثناء بعض العمليَّات الجهاديّة الفرديَّة الّتي قام بعظمها من لا علاقة لهم أصلاً بذلك الجمع، وباستثناء بعض الّذين التحقوا بجبهة البوسنة والشِّيشَان عَلى نفس الطَّريقة الأفغانية، لم تساهم تلك الحشود في المَعْرَكة.

لقد تراوحت في مسلكها بين بعض حالات الانقلاب عَلى الجِهَاد والصّحوة أصلاً كما حصل في اليمن من التحاق كوادر جهاديّة بأجهزة الإستخبارات والجيش اليمني.كانَ من بينهم مقربون ومعاونون للشيخ أُسَامَة بن لادن ذاته !! وبين حالات العودة التَّامَّة للدنيا الّتي خرجوا منها للجِهَاد ثمّ عادوا للانغماس فيها تماماً وكأنه لا كانَ جِهَاد ولا إعداد!!!

هذا فضلاً عن بعض حالات الشذوذ والانحراف الفكريّ والسُّقوط في متاهات الغلو والتكفير والإحباط نتيجة الحماس وعدم وجود عَقِيْدَة جهاديّة صحيحة !

فلم كانَ ذلك ؟!

السبب واضح جداً، كانَ ذلك لأن تلك الجموع لم تتلق أي توجيه وتدريب في مجال العَقِيْدَة القتاليّة الجهاديّة، ولم تتلق شيئا من المحاضرات الشَّرعيَّة العقدية، لا في مجال السّياسة وفقه الواقع، ولا في نطاق الفكر الحَركيّ والوعي السّياسيّ الشَّرعيّ.

تدريب عسكريّ، تدريب عسكريّ، رياضة، سلاح، جلسات نشيد، قتال، معارك، فقط، لقد قاومت بعض قيادات الجمع العربيّ المُجَاهد أي طرح للفكر الجهاديّ والتوعية السّياسيّة.

لقد كانَ لذلك أسبابه الّتي قد أعرض لها إن كتبت عن تاريخ تلك المَرحَلَة، وليس مكان هذا هنا.

ولكني أشير إلى نتائج غياب التّربية والتوعية في مجال الفكر والعَقِيْدَة الجهاديّة بشكل صحيح وكاف، وأضرب مثالاً صارخ الوضوح.

فقد كانَ التجمع الأكبر للمُجَاهدين العَرَب، هم مُجَاهدوا جَزِيرَة العَرَب الّذين قدموا من دول مجلس التّعاون الخليجي واليمن وعلى رأسها السّعُودِيّة، وكانوا زهاء ٢٥ ألف مُجَاهد وربما أكثر، وزاد عليهم عدّة آلاف ممن أموا البوسنة والشّيشَان وغيرها من الجبهات المفتوحة.

لقد عادوا لبلادهم خلال النصف الثّاني من التسعينات ليعيشوا حالة الاحتلال شبه العَلنيّ من قبل أمريكا وانطلاقها وحلفائها من دول النّاتو من أراضيهم لقتل المُسلِمين في العراق، ودعم وقتل اليَهُوْد في فِلَسطِين، فضلاً عما لاقوه من الاضطهاد والسّجن والتحقيقات عَلى يد أجهزة الاستخبارات في بلادهم ولاسيما السّعُودِيّة فماذا كانَ رد فعل عَلى كلّ ذلك؟ ببساطة لاشيء!!

أين العُلَماء؟ أين الخطباء؟ أين الدعاة الّذين ملؤوا الدُّنيَا حماساً للجِهَاد والاستشهاد؟ لم يكن لذلك أي أثر!!

فمنذ عام ١٩٩١ وإلى ٢٠٠١م وعلى مر عقد من الزّمن، لم تتعرض القوّات الأمريكيّة عَلى أرض جَزِيرَة العَرَب إلا إلى عمليتين يتيمتين في الرِّيَاض والخبر، وإذا قبلنا معظم الإشارات بأن عمليَّة الخبر كانت من فعل أتباع الاستخبارات الإيرانية ومن حزب الله الشيعيّ، لا يبقى إلا عمليَّة واحدة، وهي تفجير مقر سكن للأمريكان في الرِّيَاض في العليا قتل فيه أربعة أمريكان! هذا في عشر سنين !! وهذا يخجل أي أمة تحتل أرضها بمئات آلاف الجنود ثمّ يكون هذا حجم مقاومتها !! إنه أمر مخزٍ !

هذا في بلد تحيل فيه العدوّ عقر دار الإِسْلَام الّذي يحتوي كعبتهم ومسجد نبيهم ﷺ، بل وبيت ما لهم الّذي يضخ في خزانة أمريكا كلّ يوم أكثر من مليار دولار كلما أشرقت الشّمس وغربت!

وأثناء التحقيق ثبت أن المُجَاهدين الأربعة الّذين أُعدموا رحمهم الله في ذلك الحادث، هم من الّذين شذوا عن قاعدة التجمع، وتلقوا فكراً وعَقِيْدَة جهاديّة، عَلى بعض الجهاديّين من التَّنظِيمات الجهاديّة، وقضوا وقتا معهم في أفغانستان، وبدا أثر الفكر والعَقِيْدَة الجهاديّة واضِحاً عليهم من خلال اعترافاتهم وما نقل التلفزيون السّعُودِيّ من مقابلات معهم.

وفي آخر أيّام الشوط الثّاني للأفغان العَرَب، بدأت الصُّورة العامّة تتضح أكثر فأكثر للجميع، وبدأت صفاقة أمريكا وهجمتها، والوقوف الصريح لحكام العَرَب والمُسلِمين معها، ومع المشروع الصّهيونيّ تلعب دورا أساسيا في انتشار العَقِيْدَة الجهاديّة، وبدأت فضائح ونفاق علماء السّلاطين تدخل مرحلة مزرية لم يعد بإمكان محبيهم ترقيعها، وبدأت معالم الصُّورة تتضح، وبدأت أسس العَقِيْدَة الجهاديّة تطرح نفسها بتلقائية في أوساط الأُمّة عمومًا، وتهيأت الأجواء لفكر جهاديّ ثوري مبشر.

وجاءت أحداث سِبتَمبر وما تلاها، ثمّ احتلال العراق وما تبعه، وأحداث الإنتفاضة وما يجري فيها، لتجعل خيار الجِهَاد، وطرح الجهاديّين هو الطرح الأكثر جماهيرية ومنطقية في أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة بل أوسط مختلف شرائح الأُمّة بكافة تكويناتها، وهنا تبدو الحاجة ماسة جدا لإعادة طرح أسس العَقِيْدَة الجهاديّة وتفاصيلها بأسلوب جماهيري يناسب المَرحَلَة.

حالة العَقِيْدَة الجهاديّة في الأُمّة والصّحوة والتّيار الجِهَادى اليَوْم:

إن حالة العَقِيْدَة الجهاديّة لدى مختلف شرائح الأُمّة وطبقاتها تمر رغم العَوَاطِف الجياشة، في أزمة حقيقية لا يمكن النهوض بالأُمّة المُوَاجَهة والمُقاوَمة إلا بالبدء بإصلاحها.

وهذا ميدان وجهة من أهمّ ميادين وأخطر خطوط المُوَاجَهة في الحَرب الّتي تخوضها الأُمّة اليَوْم، ويشتد أوارها يوماً بعد يوم، وهذا ميدان هو مسؤولية العُلَماء والمفكرين والكتاب والأدباء والمثقفين ورجال السّياسة والإعلام في هذه الأُمّة، ولاسيما وعلى وجه الخصوص رجال الصّحوة الإِسْلَاميّة،

وبشكل أخص أولئك الّذين سيحملون أمانة الجِهَاد وتوجيه المُقاوَمة والتّيار الجهاديّ في مرحلتين: المَرحَلَة المقبلة الخطيرة الراهنة، والمَرحَلَة القادمة.

مفارقة خطيرة وحقيقة وهامة:

لقد أدرك العدوّ أن خط الحَرب هذا هو أهمّ وأخطر خطوط المُوَاجَهة، وأدرك أنهم يتفوقون علينا في كلّ خطوط الحَرب الأخرى، عسكريّاً وتكنولوجياً وعلمياً وحضارياً، وإعلامياً وسياسيّاً وأمنيّاً واقتصادياً، إن العدوّ الصّليبيّ اليَهُوْدي بقيادة أمريكا وحلفائها اليَوْم من الكفّار والمرتدّين والمُنَافِقين، يتفوقون علينا بشكل ساحق غير قابل للمقارنة في كلّ تلك الميادين والمناحي، مما يوفر لهم أسباب النّصر المادية في كلّ خطوط هذه المواجهات، ولذلك غزونا في هذا الوقت، ولكنهم أدركوا أيضاً أنّنا نتفوق عليهم في خط المُوَاجَهة عَلى جبهة العَقِيْدَة الجهاديّة والقيم المعنوية، بشكل ساحق غير قابل للمقارنة أيضاً، ولذلك أعلن رامسفيلد الصّليبيّ المتصهين، وزير دفاع أمريكا، أن المُوَاجَهة مع (الإِرهَاب) كما يدعونها، دخلت في مرحلة حرب الأفكار، وأنها من أهمّ مراحل (استراتيجية الحَرب الإستباقية)، ولقد مرت حرب أمريكا المعلنة عَلى المُسلِمِين منذُ عهد كلينتون أواسط التسعينات بعدة مراحل، ثمّ حافظ بوش اللعين عَلى استراتيجيتها وأضاف عليها مناحٍ جديدة.

لقد قامت حرب أمريكا مع المُسلِمِين وحملتها الصّليبيّة تحت ستار ما يسمي مكافحة الإِرهَاب (يقصدون المُسلِمِين) عَلى الأسس الّتي فصلتها في الفَصل السَّادس وهي:

١ – تجفيف المنابع المالية والمادية للإرهاب.

٢ – اغتيال الرؤوس والمُقاومين أو أسرهم وسجنهم.

٣ – تصفية العناصر عن طريق الخطف والتسليم لبلدانهم أو للمعتقلات الدّولية.

٤ – إلغاء الملاذات الآمنة للإرهاب بإجبار الدّول عَلى ترحيل المُجَاهدين أو تصفيتهم

٥ – التشويه الإعلاميّ.

٦ – المطاردات الأمنيّة بالتّعاون مع حُكُومَات بلاد المُسلِمِين.

ثمّ أضاف بوش الابن إلى ذلك مصرحاً ومعلناً عدّة محاور وهي:

٧ - الزَّحف العسكريّ المباشر برايات صليبيّة يهودية صريحة عَلى بلاد المُسلِمِين. عبر ما أسماه (استراتيجية الحَرب الإستباقية).

٨ - عقد حلف دولي عسكريّ للمشاركة في هذا الزَّحف بقيادة أمريكا.

٩ - نقل المطاردات الأمنيّة للمجال الدّولي بإشراف أمريكي مباشر.

١٠ - تطبيق مبدأ الحَرب الاستباقية عَلى خلايا الصّحوة الإِسْلَاميّة والجهاديّة وهو ما أسموه (إجهاض المحاولات الإِرهَابية قبل نشوئها).

١١ - وأخيراً ما يهمنا في هذا الفَصل الّذي هو ما أعلنه رامسفيلد وأسماه: (حرب الأفكار). وتتولى الشمطاء كونديليسا رايس مستشارة الأمن القومي في الإدارة الأمريكيّة المشاركة في التنظير لهذه الحَرب الّتي يشارك فيها حتّى شيخ الأزهر وأئمة الحرمين !

من تكتيكات (حرب الأفكار) الأمريكيّة:

لقد اشتملت هذه الحَرب عَلى زخم إعلامي وفكري هائل، فكان من ذلك افتتاح عدّة محطات إذاعية باللغة العربيَّة ولغات المُسلِمِين، موجهة وممولة من قبل الحكومة الأمريكيّة مباشرة.

ثمّ دخلت أمريكا مجال القنوات الفضائية باللغة العربيَّة وبطاقم إعلامي عربي محترف من المُنَافِقين والمرتدّين والعملاء. فافتتحت قناة (الحرة).

كما ألزمت أمريكا الحُكُومَات العربيَّة والإِسْلَاميّة بتغير مناهج التّربية والتّعليم، وفرض رقابة صارمة لحذف كلّ ما من شأنه أن يزكي روح المُقاوَمة في الأُمّة، كما صدرت أوامر أمريكية لحُكُومَاتنا، بالتزام لائحة توجيهات تشمل حصار المساجد والدُّروس والخطب والتّعليم الدّيني، وتتضمن تفاصيل من الإلغاء والتضييق والتشويه والتحريف.

ومصيبة المصائب أن أمريكا تستعمل كثيراً من قطاعات العُلَماء ورموز الصّحوة الإِسْلَاميّة بفعل ضغوط الحُكُومَات، وتستعمل هذا القطاع الإِسْلَاميّ المحترف في معركة الأفكار لتشويه الدّين وإتلاف مقوّمات المُقاوَمة والجِهَاد فيه عن طريق الفتاوى العميلة المشوهة تحت مسمّى مكافحة الإِرهَاب والتطرف، وعن طريقة بث أفكار الخنوع والذوبان في الفكر والحضارة الأمريكيّة، تحت مسميات كثيرة،

منها: الإعتدال، والوسطية، والتّعاون والحوار مع الآخر، وغير ذلك من دعاوي الدعاة عَلى أبواب جهنم الّذين يلبسون لباسنا ويتكلمون بألسنتنا من أبناء جلدتنا.

وفي وسط هذه الفتن الطامة الطَّاغية، يمكن تلخيص حالة العَقِيْدَة القتاليّة لدى المُسلِمِين من خلال رصدها لدى ثلاثة شرائح هيَ:

- العَقِيْدَة القتاليّة الجهاديّة لدى عامة المُسلِمِين.
- العَقِيْدَة الجهاديّة لدى مدارس وقطاعات الصّحوة الإِسْلَاميّة.
- العَقِيْدَة الجهاديّة لدى الجِهَاديين اليَوْم بعد أحداث سِبتَمبر والعراق وما استجد من ظروف. ونتناول ذلك باختصار، ثمّ أنتقل إلى لب البَاب الأوّل وهو:

نظريَّة العَقِيْدَة الجهاديّة والمنهج في دعوتنا: دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

أولاً: أما عن العَقِيْدَة القتاليّة لدى قطاعات الشّعوب العربيَّة والإِسْلَاميّة اليَوْم:

فإنه لم يبق لدى معظم شرائح الأُمّة، بسبب تتالي العقود عَلى سياسات القمع والخوف والتجهيل، ومحاربة الإِسْلَام وتغيب شرائعه، والَّتي مارستها الحُكُومَات عبر وسائل الإعلام، ومناهج التّربية الّتي تعتمد الإفساد والعلمنة، والقضاء عَلى ما تبقى من مكوّنات الدّين والعَقِيْدَة لدى شعوبها في الغالبيّة السَّاحقَة لبلاد المُسلِمِين.

وبسبب ما ران عَلى قلوب الأكثرية من الوهن «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ»، لم يبق من العَقِيْدَة الجهاديّة لدى مختلف طبقات الأُمّة، إلا العَوَاطِف وبعض آثار ما تبقى من عَقِيْدَة الجِهَاد لدى النذر اليسير من الأُمّة.

ولكن حملات أمريكا علينا منذُ عقد من الزَّمن وتتالي استفزازاتها وما فعلته في العراق ثمّ أفغانستان ثمّ العراق ثانية، وما تطرحه اليَوْم من بَرَامج الإحتلال والعدوان عَلى كافّة الصعد، مستهدفة الجميع حكاماً ومحكومين، دولاً وجماعات، أحزاباً حاكمة أو معارضات، ودعمها اللامتناهي لإسرائيل وما تثيره القضية الفلسطينية ومجرياتها منذُ الانتفاضه خاصّة.

جعل أساسِيَّات العَقِيْدَة الجهاديّة تعود للأمة، حيث يشهد رجل الشارع العادي صَحوَة فطرية طبيعيّة لا يمنعها من توليد الأعمال والأفعال، إلا سياسات القمع والخوف والأنظمة البوليسية في كلّ مكان.

ولكن المبشرات تبدو أكبر بفضل الله، ثمّ بفضل حمق أمريكا وحلفائها الصّليبيّين، ومن ورائها قوى بني صهيون، إن تلك المبشرات تلمس اليَوْم في كلّ مكان.

وعلى العكس مما تظنه أمريكا، فإن حملاتها لتغير المناهج وأصول التّربية والتّعليم ومحاربة التدين، قد جلبت ردة الفعل هائلة حتَّى في صفوف وأوساط العلمانيين، الّذين لا يجدون لهم اليَوْم مادة وهوية للمُوَاجَهة بدوافع النخوة والشرف، إلا الإِسْلَام ورايته وهويته، إنَّهُ مكر الله.

إن روح العَقِيْدَة الجهاديّة تتسرب إلى الأُمّة بشكل يبعث عَلى الأمل. بل عَلى الاعتقاد بقرب التّحرّك نحو الإنتصار، فإن الجماهير تتململ.

لقد سلبت أمريكا دنياهم الّتي ابتلوا بحبها، وحببت إليهم الموت كحالة أفضل من ظروف الحياة الّتي تعدهم إياها، وهكذا تحل لنا أمريكا عقدة «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ المُوْتِ»!

إن أمريكا تساعدنا اليَوْم عَلى بغض الدُّنيَا وحب الموت، ويجب أن نشكرهم:

فلا جزاهم الله خيراً، وسلطنا عليهم موتا زؤاما.

وعندما سيصل هذا الإحساس ليكون جماهيرياً.ستلقى الجماهير عن كاهلها الوهن، وستسير الأمور بشكل عكسي، وعندها تعود المهابة منا إلى صدور أعدائنا، ولا نعود غثاء كغثاء السيل لا قيمة لنا، وإنما جماهير مؤمنة تتحرك بالقوة الدافعة لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله محمّد رسول الله.

ثانياً: وأما عن حالة العَقِيْدَة القتاليّة الجهاديّة في أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة:

لقد خلعت مختلف أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة غير الجهاديّة عَلى اختلاف مدارسها وعلى مدى عقود متلاحق عَلى طريق التسيس، خلعت كلّ مقوّمات العَقِيْدَة الجهاديّة عملياً، ولكن ومنذ قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، ولاسيما بعد سِبتَمبر وإعلان الحملات الصّليبيّة بعد احتلال العراق عَلى الشّرق الأوسط

الكبير وهو عملياً العالم الإِسْلَاميّ، منذُ ذلك الوقت تشهد الصّحوة الإِسْلَاميّة غير الجهاديّة حالة فرز وانقسام حادة.

فالأقلية الصّالحة من أهل الخير من علماء وقادة ورموز صَحوَة، استفزهم الهجوم وأحيا فيهم مكان الدّفاع والغيرة، فمالوا للفكر المقاوم، وإن كانَ عَلى استحياء، ولكنها صَحوَة داخل الصّحوة تبشر بخير، ولكن الأكثرية وللأسف تتحول للعمل كبيادق منافقة من حيث تدري أولاً تدري، في خدمة برنامج رامسفيلد لحرب الأفكار.

ويكفي للدلالة عَلى ذلك ولمعرفة الأسماء والهيئات والأشخاص الّتي تشن الغارة عَلى الإِسْلَام من داخل صفه، أن نقتفي أثر وسائل الإعلام المختلفة من إنترنيت وفضائِيَّات وصحف ومجلات ومؤلفات، لتتابع سيل عمل كتيبة حرب الله ورسوله والطليعة المُقاوِمة في هذه الأُمّة، تحت دعاوى الحوار والاعتدال والوسطية ونبذ الإِرهَاب.

لقد وصل الهجوم والسموم لكل مناحي ومبادئ هذا الدّين، تحليلاً للحرام، وتحريماً للحلال وحربًا لله ورسوله وهكذا تُبنَى مساجد الضِّرار بتخطيط رامسفيلد وكونديليسا.

إن مساجد الضرار النِّفَاق تبني محاريبها من جديد، وترفع مآذنها من جديد، إرصاداً لمن حارب الله ورسوله، لتحارب أصحاب مسجد قباء، الّذين أسسوا بنيانهم علىَ تقوى من الله ورضوان من أول يوم.

إن رحى المَعْرَكة الداخليَّة تدور اليَوْم، وستكون ضارية مع طلائع رامسفيلد المعممة من أصحاب اللحى المنمقة والبطون المكورة الّتي ملأها سحت الدّولارات رغباً، وروعتها سياط الحكّام ووعيدهم رهباً.

فأفرزت لنا أمثال شيطان العُلَماء (عبد المحسن العبيكان)، وإمام الحرم المنفوخ، الحبر السمين (عبد الرَّحمٰن السديس)، وشيخ الأزهر صاحب الطنطاويات، وأمثالهم في كلّ بلد إسلامي!

وأما عن حالة العَقِيْدَة الجهاديّة في التّيار الجهاديّ بعد سِبتَمبر:

فالحال يبشر بالخير الكثير، ولكن هناك إشكاليات تحتاج للكثير من الجهد والعمل.

أما بشائر الخير؛ فإن العدوان الأمريكيّ جعل كفة الطروحات الجهاديّة ترجح، وجعل الجماهير المؤيدة للمقاومة أوسع، وهذا يسهل عَلى دعوة الجِهَاد قيامها بالحشد.

وأما الإشكالات فعدة أمور:

أولها وأخطرها أن حرب أمريكا عَلى أفغانستان ثمّ عَلى التّيار الجهاديّ برمته قد كبدت التّيار الجهاديّ خسائر بشرية فادحة قتلاً أو أسراً، فإن معظم الكادر الأساسي منه قد قضى في سبيل الله، وقد سبقت الإشارة لذلك، ولم يبق من حملة رايته ودعوته، ومن كتابه ومنظريه خاصّة إلا النزر الأقل من القليل، حيث تقع عَلى كاهلها مهمة إحياء دعوة الجِهَاد، ونشر مبادئ العَقِيْدَة الجهاديّة، وإعادة نشر مناهجها.

كما أن التراث الجهاديّ المكتوب عَلى قلته بالإضافة للتراث الفكريّ للصحوة الإِسْلَامِيّة الّذي يشكل مرجعاً فكرياً وفقهياً للفكر الجِهَاد من أمثال مؤلفات سيد قطب رحمه الله، وغيره كمؤلفات أخيه الأستاذ محمّد قطب وبعض مؤلفات آخرين مما كتب في الستينات والسبعينات، يتعرض اليَوْم للهجوم وللمصادرة من المكتبات ووسائل النشر، كما يتعرض للطعن والتشويه.

وكذلك فكر دعوة الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب وعلماء المدرسة النجدية، وما بني عليها من تراث المخلصين من دعاة بلاد الحرمين، كلّ ذلك يتعرض اليَوْم للمصادرة والتغييب، والطعن والتشويه.

بل إن الأمر يذهب بعيداً، فقد طال الهجوم اليَوْم تراث أمثال الإِمَام ابن تيميه وابن القيم ومدرستهم، وغير ذلك عَلى مستوى كلّ ما من شأنه أن يوفّر مادة للعَقِيْدَة الجهاديّة.

إنهم يطاردون حتَّى بعض النّصوص القرآنية في كتب المدارس الابتدائية، إنهم صرحوا في بعض دراساتهم بأنهم لن يسمحوا بتدريس سورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ لأنها تقول في نهايتها ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ وهذا يشجع الإرهَاب، كيف ؟! الجواب بسيط: فاليوم ليس هناك إلا دين واحد، دين بوش الّذي يريد أن يفرض نفسه عَلى العالم رباً واحداً أحداً لا يقبل معه شريكا، وخسئ الكلب.

وعلى النّاس القرار: إما معه أو عليه، هكذا قرر المجرم.

فالعَقِيْدَة الجهاديّة مهددة في التّيار الجهاديّ بغياب روادها من جهة وبتغيب أدبياتها وما يدعمها من المكتبة الإِسْلَامِيّة من جهة أُخرى.

وهناك مشكلة ثالثة، وهي أن الفكر الجهاديّ، بني عَلى الحاكِمِيَّة ومبادئ المفاصلة مع كلّ أركان الجاهِليَّة، من أجل إطلاق تنظيمات جهاديّة نخبوية تحارب أنظمة، وكان له فقهه وأدبياته، وهو تراث يجب الحفاظ عليه، ولكن مع الانتباه لأمر هام:

إن معركتنا اليَوْم مختلفة، فهي معركة دفع صائل الأَعدَاء الكفّار مع أوليائهم بطريقة أممية ومقاومة شعبيَّة إسلاميّة عالميّة، وهذا مجال لم يكتب له إلا القليل ويحتاج اليَوْم فكره ونظرياته وفقهه وأحكامه وأدبياته.

فمن يقوم بهذا وقد عضت السيوف رجال التّيار الجهاديّ ومضوا إلى ربّهم شهداء، وسحبت السلاسل إلى غوانتانامو الأمريكيّة والكثير من (الغوانتاناموات) في البلاد الأوروبية، بل والعربيَّة والإِسْلَاميّة المُجَاهدين بالآلاف وبعشرات الآلاف !

إن الثغرة شاغرة، ونسأل الله أن يقبض لها فرسانها، فمن هنا البداية، يجب طرح عَقِيْدَة جهاديّة تناسب مرحلة المُقاوَمة.

وبعد هذه المقدمات والتوضيحات ندخل في صلب الموضوع.

****

مقوّمات العَقِيْدَة الجهاديّة والفكر والمنهج في

دعوة المُقَاوَمة الإِسْلَامِيّة العَالَمِيّة

ابتداءً نقول بأن العَقِيْدَة هيَ كلّ لا يتجزأ، وما هذا التقسيم الدراسي إلا لتسهيل الفهم، والتميز بين أقسام العَقِيْدَة، وتبيان ترابط تلك الأقسام.

(فالعَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة)، هيَ فرع من كلّ هو (العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة)، والّتي تشتمل بإيجاز عَلى كلّ أركان الإِسْلَام والإيمان، والتسليم بقواعد الشّريعة والدّين، والطاعة والانقياد لحكم الله ورسوله، وكل ما نشأ عن هذا الانقياد والتسليم، من الإيمان بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، وما يتبع ذلك من التصرفات والأفكار والأحاسيس، فكل ذلك من العَقِيْدَة، وكذلك ما يترتب عليها من السعي في فعل المأمور، وترك المحظور برضى وتسليم.

ولما هممت أن أقدم للعَقِيْدَة الجهاديّة، بنبذة عن العَقِيْدَة بشمولها، رأيت أن اقتطف مما كتبه الشَّيْخ عبدالله عزام، فإن من منهجي في الكتابة أنّي إذا تَوَصَّلت لمفهوم، أو كتبت شيئا، ثمّ رأيت لمن سلف إيجازاً حسناً، أن استغني عنه به).

فقد عرَّف شيخنا وأستاذنا الجليل أبو محمّد عبدالله عزام غفر الله له ورَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى رحمة واسعة، فقال في كتيبه الموجز القيم (العَقِيْدَة وأثرها في بناء الجيل):

[**العَقِيْدَة:** هيَ الضابط الأمين الّذي يحكم التصرفات، ويوجه السُّلُوك، ويتوقف عَلى مدى انضباطها وإحكامها كلّ ما يصدر عن النّفس من كلمات أو حركات، بل حتَّى الخلجات الّتي تساور القلب، والمشاعر الّتي تعمل في جنبات النّفس، والهواجس الّتي تمر في خيال، هذه كلها تتوقف عَلى هذا الجهاز الحساس.

وباختصار فالعَقِيْدَة هيَ دماغ التصرفات، فإذا تعطل جزء منها أحدث فساداً كبيراً في التصرفات، وانفراجاً هائلاً عن سوي الصراط....]

ثمّ قَالَ: [وعلى هذا فإن كلّ الإنحرافات الّتي نعانيها في سلوكنا، أفراداً وجماعات، راجعة بكليتها إلى الإنحراف في التصوُّر العقدي، فالنّاس في هذه الأيّام بحاجة إلى بناء العَقِيْدَة من جديد، وإلى تصحيح التصوُّر الإعتقادي، فلا بُدَّ من إفراد الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى بالألوهية، ولا بُدَّ من أن تستقر عظمة الله عَزَّ وَجَلَّ في الأعماق، وأن يعمر النفوس حبه، ولا مناص من أن تحيا القلوب وهي تستشعر هيبته وجلاله، ويقوم هذا الدّين على:

١- حقيقة الألوهية.

٢- حقيقة العبودية.

٣- الصلة بين العبد وربه.

وهذه أمور ثلاثة لا بُدَّ من استقرارها في النفوس:

- معرفة الله وقدره.

- معرفة العبد وحده.

- والصلة بين الخالق والمخلوق.

وعلى هذا فإنه من العبث تتبع فروع الشَّرع، وطلبها من شخص لا ترسخ في قلبه حقيقة هذا الدّين، ولا تستقر في كيانه عظمة الله الّتي تهيمن عَلَى كلّ سكنه ونأمة وحركة في هذا الكون، والحق أن النّاس غابت عنهم حقيقة هذا الدّين العظيم، ومثل كثير منهم - حتَّى الّذين يقيمون الشعائر التعبدية - كمثل الأعمى الّذي أمسك بذنب الفيل، ويحسب أنه أمسك بين يديه جسم الفيل...].

(ثمّ قَالَ): [**وقد أصبح اليَوْم لدينا شيئا مألوفا، أن نرى شخصاً يداوم عَلَى العِبَادات وهو في نفس الوقت يزاول أعمالاً تخرجه من إطار هذا الدّين، كالاستهزاء بسنة ثابتة عن رسول الله ﷺ، أو بفرضية وردت في محكم التنزيل، وهولا يعلم أنه بالاستهزاء إنما يهزأ من أوامر الله ويسخر منها، وهذا الّذي اتفق أهل الذكر من هذه الأُمّة ؛ أنه يعني ردة المستهزئ، وخروجه من الإِسْلَام، ومن هذا القبيل سب الدّين، أو سب الله أو رسوله، فمن فعلها حكم عليه بالردة...**].

(ثمّ قَالَ): [**أعود لأقرر الحقيقة الكبرى، أن النّاس لا يعرفون حقيقة هذا الدّين ويخلطون بين مناهج متعددة في حياتهم، قسم ضئيل من منهاج حياتهم من دين الله، وأما معظم المنهاج الّذي يوجه حياتهم،**

فهو من صنع هواه أو هوى غيره من البشر ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان]

وعلى هذا فإني أرى أن التركيز عَلى مسائل فرعية من الشّريعة بالنسبة للنَّاس أمر غير منطقي، بل محاولة عابثة لاستنبات البذور في الهواء، ولا يمكن أبداً بتجميع أغصان نضرة مع بعضها في الهواء، أن يتكون منها شجرة ذات جُذُور ضاربة في أعماق الأرض.

لا بُدَّ من سلوك المنهاج الرباني الّذي رسمه الله لهذا الخلق، فلابد من زرع البذرة في التربة، ثمّ تعهدها حتَّى تستوي قائمة عَلى أصولها، ثمّ تمتد بفروعها وأفنانها، وهكذا بالنسبة لبقية هذا الدّين العظيم، لابد من اقتفاء السبيل الّذي رسمه الله لهذا الكائن حتَّى يحمل هذا الدّين، لا بُدَّ من بناء الأساس بغرس البذرة في أعماق الأرض، أي غرس العَقِيْدَة في أعماق القلب.

والعَقِيْدَة هيَ الأساس المكين الّذي ترتكز عليه فروع هذا الدّين كله، ومن العبث محاولة إشادة بناء ضخم بلا أساس، ومن هنا: فإن محاولة تتبع فروع الشّريعة بالتفصيل والتعليل، هو اشتغال بالمهم عن الأهم، ولا يمكن أن تؤتي المحاولة أكلها الّتي نرجوا، والثمار الّتي نأمل، ومن الأولى أن نتبع المنهاج الرباني في بناء هذا الدّين للنفس البشرية، وذلك بترسيخ العَقِيْدَة أولاًفي الأعماق، ثمّ مطالبة النّفس بعدها بأوامر الشّريعة كلها، إذ أن المنهاج الرباني في تربية النّفس جزء من العَقِيْدَة ذاتها.

ولا ننسى أن الداعية إلى ربّ العَالَمِيْن، لابد أن يتمثل فيه المنهاج الإلهي كاملاً، ولا بُدَّ أن يكون مصحفاً يمشي عَلى الأرض، يتحرك فيتحرك بحركته القرآن، فالداعية يطالب بالشّريعة كاملة، ولكنه في الوقت نفسه، لا يطالب النّاس بفروع الشّريعة قبل أن يعلمهم هذا الدّين، ويشد أنظارهم إلى إطاره الكامل الشّامل، وبعد أن يرسموا في أذهانهم الصُّورة الكاملة، يدخل معهم داخل الإطار ليعلمهم تفاصيل هذا الدّين وتفريعاته، وهكذا قام الإِسْلَام أول مرّة في النفوس البشرية، وهكذا يقوم في كلّ مرّة يحاول فيها بناء هذه النفوس بالإِسْلَام، ولا مناص من اقتفاء هذا السبيل ولا مفر من انتهاجه، فكما أن هذه الأوامر والنواهي فريضة من عند الله، واتباعها فرض لازب في رقابنا، فكذلك اقتفاء المنهج الرباني في بناء النّفس فرض كذلك، وكل محاولة لإقامة هذا الدّين بغير هذا المنهج الرباني لابد أن تبوء بالفشل، وذلك لأن هذا الدّين لا يكون ولن يكون إلا كما أراد الله، ولن يبنى إلا بنفس المنهج الّذي رسمه ربّ

العَالَمِيّن، وكل منهج بشري نستعمله لإيصال حقيقة هذا الدّين إلى النّاس هو فاشل لا محالة، وهو عبث وملهاة ولعب.

لابد من إتباع المنهج الرباني القيم الّذي رسمه ربّ العَالَمِيّن، وسلكه سيّد البشرية محمّد ﷺ لإيصال دين الله إلى قلوب البشر ولابد من البدء بالعَقِيْدَة، من تعريف النّاس بإلههم الحقّ، وبحقيقة وجودهم عَلى هذه الأرض، والمهمة المنيطة بهم إبَّان مرورهم بهذه الدُّنيَا، من المسؤول عنهم؟ أي منهج يجب أن يحكمهم؟ صلة هذا الإنسان بالكون من حوله، مكانة هذا الكائن من الكون، وبعبارة أقصر إقرار جلال الله ورهبته وهيمنته في أعماق قلب الإنسان وطريقة الوصول إلى رضاه.

ومن ثمّ وفي هذا الوقت، فإني لا أرى تتبع الجزئيات من هذا الدّين في سلوك النّاس، كالشرب باليمين، وترك التدخين، والشرب جالساً، إلى غير ذلك من هذه التفاصيل الّتي لا تحتملها ولا تطيق الدوام عليها إلا نفوس بنيت عَلى العَقِيْدَة، وجبلت بعظمة الإيمان، لا بُدَّ أن نبدأ مع النّفس البشرية من حيث هيَ، بحيث نلتقطها من هذا الحضيض الّذي هبطت إليه، ثمّ نسير معها صعدا نعطيها الإيمان جرعة جرعة، نواكبها في نموها ونقيل عثراتها، ونردها من هنا ونهذ بها من هناك، حتَّى تشب قائمة عَلى عمودها، صلبة لا تهزها الزلازل والأعاصير، وهنا فقط نطلب منها كلّ ما يريده الله منها، فتنفذ وهي راضيه مستسلمة مطمئنة أن الخير كله فيما نفذت، لأن الخير كله منحصر في منهج الله والشر كله الشر في الخروج عن منهاج الله.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

وأعود فأذكر أن النفوس الّتي تقدم الإِسْلَام للنَّاس، لا مناص لها من أن تكون شريعة تدب عَلى الأرض، وتأخذ بالعزائم، ولا بُدَّ لها من أن تكون المرآة الصافية الّتي تعكس حقيقة هذا الدّين أصوله وفروعه، إذ لابد لها من أن يكون لحمها ودمها هو هذا الدّين الّذي إليه تدعوا، والمنهاج الّذي تهتف بالنّاس أن ينهجوا، ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم]

(ثمّ يقول):

[فالعَقِيْدَة تمثل الأساس للبناء، والعمارة الضخمة لابد لها من أساس مكين وقاعدة صلبة حتَّى يستقر فوقها البناء، وهنا يبرز عامل آخر ينبثق عن هذه الحقيقة، وهي أنه لابد من بناء الأساس قبل الشُّروع برفع البناء، وإلا فسينهار البناء كله، لابد من البداية مع أي نفس ندعوها إلى هذا الدّين أو نريد تربيتها عَلى أساس الإِسْلَام من الإيمان أولا، وقبل كلّ شيء، خاصّة في هذا العصر الّذي بهت فيه مفهوم العَقِيْدَة في نفوس أبناء هذا الجيل المنتسب إلى الإِسْلَام، لابد من انتهاج نفس الطّريق الّذي انتهجه رسول الله ﷺ من تثبيت العَقِيْدَة في النّفس ثمّ مطالبتها بالفروع، لابد أن نعرف النّاس بربهم وعظمته وهيمنته عَلى الكون، فهو مالك الملك، وهو الّذي بيده ملكوت كلّ شيء، وهو القاهر فوق عباده، وهو الّذي إليه يرجع الأمر كله، وهو الخالق الرازق، لابد من هذه البداية، أما أن نبدأ فنطالبهم بتطبيق فروع الشّريعة وهم لم يعرفوا صاحب الخلق والأمر، فهذا عبث ومحاولة لاستنبات البذور في الهواء.] أهـ. انتهى النقل من كلامه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

والآن وبعد أن أسهبت في النقل لأقدم لموضوع العَقِيْدَة الجهاديّة بهذه الكلمات الّتي عبر بها شيخنا الشّهيد عما أردت التعبير عنه بأفضل بيان يحمل في طياته أنفاس وأسلوب الشّهيد المعلم سيد قطب – رَحِمَهُ اللهُ – الّذي تمتلئ كتاباته بهذه المعاني والاصطلاحات، وما أريد أن أعقب به هنا، لربط الفرع بالأصل، أي ربط (العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة) الّتي نحن بصددها في هذا البَاب، بالعَقِيْدَة الكلية، وهي (عَقِيْدَة الإِسْلَام) بشمولها وكمالها.

أقول أن هذا الربط بين الأصل والفروع، أدركه العدوّ في هذا الزّمان أكثر من إدراك أكثر أهل الملة الإِسْلَاميّة له، فقد علم وهو يشرع بالغزو والاحتلال أنه ستكون (مقاومة)، وهذا بدهي، وعلم أن أهمّ جهات المُقاوَمة وأشدها وأعصاها عَلى المُوَاجَهة، هيَ المُقاوَمة النابعة من (العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة) لدى المُسلِمين عامة، والإِسْلَاميّين خاصّة، والجهاديّين عَلى وجه الخصوص.

ولأن هذا العدوّ المعاصر ذكي محترف للعدوان عَلى مر العقود والقرون، ولأنه يقيم أعماله عَلى الدراسات الاستراتيجيّة وآراء الأخصائيين ؛ فقد علم هذه المعادلة وفهمها بعمق عَلى بساطتها، فهما أعجم وللأسف عَلى أكثر المُسلِمين، بل حتَّى عَلى أكثر قواد الصّحوة وعلماء هذا الزّمان من المُسلِمين.

وهذه المعادلة الّتي فهمها العدوّ هيَ ببساطة:

(المُقاوَمة هيَ وليدة عَقِيْدَة جهاديّة، والعَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة هيَ فرع من شجرة العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة الشّاملة).

ولذلك يعمل العدوّ اليَوْم من أجل أن لا تنضج ثمرة المُقاوَمة، عَلى أن يجفف غصن العَقِيْدَة الجهاديّة وذلك بقطع جُذُور العَقِيْدَة الشّاملة، كمنهج اعتقاد وعمل وإحساس، كمنهج فكر وحركة لدى أهل ملة الإِسْلَام المعاصرين.

فأعلن بوش ووزير دفاعه ما أسموه (**حرب الأفكار**) و(**الحَرب الاستباقية الفكريّة**) بعد الحَرب الإستباقية العسكريّة، وجاءنا بمشاريع (**تغير المناهج**)، وتعديل أساليب التّربية والتّعليم، العام والدّيني، وضبط خطاب المساجد وطرق التّربية فيها، ثمّ أتبع ذلك بمشروع لخصه الإستراتيجيون الأمريكان في أكثر من ١٠٠٠ ورقة، وعنونوه باسم (مشروع الشّرق الأوسط الكبير، والّذي يضع قواعد التَّغيير الشّامل في العَالَمَيْن العربيّ والإِسْلَاميّ عَلى كلّ الصعد، السّياسيّة والاقتصاديَّة، والثَّقافيَّة والدّينيّة، والتارِيخيَّة واللغوية، والاجتماعيَّة والفنية، ومكوّناتنا الحَضَاريَّة كأمة، شعوبا وحكاما ومحكومين.

ومن هنا يجب أن ندرك وهذا ما أشرت إليه بمقدمة هذا الجزء الثّاني من الكتاب وكذلك في مقدمة الجزء الأوّل عن(**محاور المُقاوَمة ومستويات المُقاوَمة**)، وأعيد هنا ما له علاقة بالفقرة وهو قولي:

لابد لكي تحصل المُقاوَمة الّتي نطمح إليها، من نموا لعَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة، ولا يمكن لهذه أن تنبت إلا في نفوس قد امتلأت إيماناً بالمناحي الشّاملة للعَقِيْدَة الإِسْلَاميّة، والَّتي أساسها الانقياد التام لمعنى لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله، بالمفهوم المحدد لمعنى محمّد رَسُولُ الله، فاستعدت كي تبني منهج حياتها، بكل التسليم والانقياد والرضى لمعني هذه الشَّهَادة، مدركة تماماً معني قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب] وقوله تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]

إن عَلى علماء الأُمّة وقيادات الصّحوة، أن يعملوا عَلى ترسيخ أسس العَقِيْدَة الشّاملة الكاملة لدفع المُسلِمِين إلى التمسك بأصول دينهم، عَقِيْدَة وسلوكاً، وإبراز ملامح عقيدتهم الجهاديّة وإركائها.

ومن أجل التكامل الّذي نشير إليه بين الأصل والفرع، سأشير إلى مختلف مناحي العَقِيْدَة أولا، ثمّ أركز عَلى الجانب الّذي نحن بصدده، وهو (العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة) وما يتعلق بها من مسائل عقدية وسياسيّة شرعيّة ومبادئ تربَويّة أُخرى، وسأتناول ذلك بعون الله عَلى الشّكل التّالي:

١- موجز في المناحي العامّة للعَقِيْدَة الإِسْلَاميّة لأهل السّنّة والجماعة.

٢- المناحي العامّة للعَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

٣- بعض التفصيل في نقاط أساسية من العَقِيْدَة الجهاديّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

أولا: موجز في الأساسِيَّات والمناحي العامّة لعَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة[1]:

جاء في الحديث الشريف الصَّحيح مما رواه مسلم رَحِمَهُ الله عن عمر رَضِيَ الله عَنْه، أن رسول الله ﷺ، قَالَ عندما جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَام يسأله:

«الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[2].

وقد جمع هذا الحديث خُلاصة أركان الإِسْلَام، وأساسِيَّات الإيمان، ومراتب الإحسان والمعرفة.

وقد فصل علماء الإِسْلَام قديماً وحديثاً، في أبواب علوم العقائد والتّوحيد ما يشفي ويكفي، واستقرت عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة عَلى أساسِيَّات ننقل هنا منها ما أختصر به عقيدتي، وهي:

عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة والفرقة النَّاجِيَة بإذن الله:

(١) - فنحن نشهد أن لَاإِلٰهَ إِلَّا الله وحده لا شريك له وأن محمّداً عبده ورسوله.

---

(١) [اعتمدنا في صياغة هٰذا الموجز علىٰ كتاب العَقِيْدَة وأثرها في بناء الجيل للشيخ الشّهِيد عبدالله عزام، وكتاب شرح العَقِيْدَة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، وكتاب شرح العَقِيْدَة الواسطية للإمام ابن تيمية بشرح ابن عثيمين][المؤلف].

(٢) رواه مسلم (٨).

(٢) – ونؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والبعث من بعد الموت فيه، ونؤمن بالقدر خيره وشره.

(٣) – نوحد الله بربوبيته ونؤمن أنه الخالق الرازق المبدئ المعيد مالك الملك لا ربّ للكون سواه.

(٤) – ونوحد الله بألوهيته ونؤمن أنه الإله المعبود حقاً لا معبود سواه جَلَّ جَلَالُهُ.

(٥) – ونوحد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، ونؤمن بما وصف به سبحانه ذاته في كتابه الكريم، وما جاء عَلى لسان رسوله الأمين ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فهو سبحانه كما وصف نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى]

(٦) – ونعتقد مذهب الصّحابة ومن جاء بعدهم من السَّلَف الصّالح بالإيمان بأسماء الله تَعَالَى وصفاته، وهم الّذين علموا تلك الأسماء والصفات، وفوضوا الكيفِيَّة والكنه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وآمنوا بالله عَلى مراد الله، واعتقدوا أنه سُبحَانَهُ وتَعَالَى موصوف بهذه الصفات حقاً لا مجازاً، عَلى النحو والكيف الّذي يليق بجلال الله تَعَالَى، الّذي ليس كمثله شيء، ونؤمن بذلك كما أوجز الإمَام مالك رَحِمَهُ اللهُ منهج أهل السّنّة والجماعة والفرقة النَّاجِيَة، عندما قَالَ لما سأله سائل عن معنى استواء الله تَعَالَى عَلى عرشه وكيفيته، فقال: "**الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ وَالْإِيمَان بِهِ وَاجِب، وَالسُّؤَال عَنهُ بدعه** "[1]، فنحن نؤمن بأن لله تَعَالَى كما أثبت لنفسه، يداً وبصراً وسمعاً يليق بجلاله، ليس كأيدينا وأبصارنا، ونؤمن أن الله تَعَالَى ينزل إلى لسماء الدُّنيَا نزولاً يليق بجلاله، دون معرفتنا لكيف ذلك، وأنه تبارك وتعالى يضحك كما يليق بجلاله، وأنه تبارك وتعالى منزه عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ونؤمن بالعرش والكرسي واستغناء الله عنه، وأنه تَعَالَى محيط بكل شيء وفوقه.

(٧) – ونؤمن بأنه تَعَالَى مستوى عَلى عرشه، بائن عن خلقه، فوق السّماء السَّابعة، مع تنزيهه سُبحَانَهُ وتَعَالَى عن أن يحده زمان أو مكان، ونؤمن أنه مع خلقه بسمعه وبصره وعلمه.

(٨) – ونؤمن بالملائكة، وأنهم خلق من خلق الله، موكلون بأعمالهم الّتي كلفهم الله سبحانه بها، ومنها حفظ البشر وحمايتهم وإحصاء أعمالهم، ونؤمن بما جاء في السنة الثَّابِتة من أعمالهم، تفصيلاً لما ورد في

(١) انظرا شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨) للإمام اللالكائي.

القرآن، فمنهم الموكل بالوحي، ومنهم الموكل بقبض أرواح البشر، ومنهم الموكل بالقطر، والموكل بالجبال، وهم يحضرون مجالس الذكر ويرفعون الأعمال، ومنهم الحفظة الموجودون مع الإنسان.

(٩) – ونؤمن بكتب الله الّتي جاء ذكرها في القرآن والسنة الثّابتة، فنؤمن بصحف إبراهيم، وبالتوراة المنزلة عَلى موسى، وبالزبور الّذي نزل عَلى داوود، وبالإنجيل الّذي نزل عَلى عيسى، وبالقرآن الّذي نزل بخاتمة الرسالات عَلى خاتم الأنبياء نبينا محمّد عليه وعلى أنبياء الله أجمعين الصّلاة والسَّلام، مع الإيمان بأمرين هامين:

أ- أن الكتب السَّابقة للقرآن نزلت من عند الله ثمّ نالها التحريف والتعديل عَلى أيدي البشر، من الأحبار والرهبان، إلا القرآن الّذي حفظه الله تَعَالَى خاتمة الكتب والشرائع، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر].

ب- أن القرآن جاء ناسخاً لما قبله ومهيمناً عليه، وأن شريعة الإِسْلَام جاءت بعَقِيْدَة التّوحيد، وهي عَقِيْدَة جميع الأنبياء، وبالشّريعة الخاتمة النّاسخة لما قبلها.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٤٨﴾ [المائدة]

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران]

(١٠) – ونؤمن بأنبياء الله ورسله أجمعين، وأنه لا يصح إيمان من جحد رسالة أحدهم ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾ [البقرة]، فنحن نؤمن بهم ونحبهم ونصلي عليهم أجمعين.

(١١) – ونؤمن باليوم الآخر يوم القيامة، يوم يبعث الله الأولين والآخرين من بعد موتهم للحساب، فيؤول المُؤمِنُون إلى الجنّة، والكافرون إلى النار، ونؤمن بأن الله حرم الجنّة عَلى المشركين، وأن عصاة المُؤمِنِين إما يغفر الله لهم برحمته وعفوه، أو يعذبون بذنوبهم ما شاء الله، ثمّ يؤولون إلى الجنّة برحمة الله.

(١٢) – ونؤمن بقدر الله خير وشره، ونؤمن بأن الله قد قدر كلّ شيء، وكتب كلّ شئ، وأن نفساً لن تموت حتَّى تستكمل رزقها وأجلها المحتوم المقسوم، ونؤمن بأن الأُمّة لو اجتمعت، إنسها وجنها فإنهم

لا يضرون أو ينفعون أحداً إلا بما كتب الله، فقد رفعت الأقلام وجفت الصّحف، كما جاءت بذلك نصوص القرآن وصحيح السنة، وأن عَلى المؤمن الرضى بقدر الله خير وشره، وأنه من رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط، كما جاء عن رسول الله ﷺ.

ونؤمن بذلك بأن الله خلقنا وخلق أفعالنا، مع أن العبد مختار لأفعاله يحاسب عليها، ونؤمن أن الله قادر عَلى كلّ شيء قدير، فعال لما يريد، لا يكون شيء في هذا الكون إلا بأمره وقدره، فعقيدتنا - عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة - وسط بين القدرية الّذين أسندوا الأفعال إلى العِبَاد ونفت القدر وجعلت المخلوق خالقا لأفعاله من خير وشر، وبين الجبرية الّذين نفوا الاختيار عن العبد وجعلوه مجبرا عَلى فعله خيره وشره قدرا.

(١٣) - ونعتقد عَقِيْدَة سلفنا الصّالح، بأن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح والأركان، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

(١٤) - ونعتقد في ذنوب المُؤمِنِين ومعاصيهم عَقِيْدَة وسطا، فلا نكفر أصحاب المعاصي والكبائر كما فعلت الخوارج، ولا نقول بأنه لايضر مع الإيمان معصية كما قالت المرجئة، ولا نجعل ذلك كما قالت المعتزلة في منزلة بين المنزلتين بين الإيمان والكفر، فنرجوا الرحمة والفضل من الله للمحسن، ونعتقد أن المسيء من المُؤمِنِين، مآله إما إلى عفو الله، وإما إلى عقابه، فإن شاء عذبه بذنبه، وإن شاء غفر له برحمة الله الغفور الرّحيم.

(١٥) - ونعتقد بفضل الصّحابة كلهم، ولا نغلوا في أحد منهم، ونتولاهم جميعا، ونستغفر لهم ونحبهم ونذكر محاسنهم ونكف عن مساوئهم وما شجر بينهم، ونقر بفضلهم وأنهم جميعا ثقاة عدول ﷺ، ونعتقد أن أفضل الصّحابة أبا بكر ثمّ عمر، ثمّ عثمان ثمّ علي، ثمّ باقي العشرة المبشرين بالجنة (سعد وسعيد وطلحة والزبير وأبا عبيدة وعبد الرَّحمٰن بن عوف)، ثمّ أهل بدر ثمّ بيعة الرضوان، ثمّ باقي الصّحابة ﷺ أجمعين، ونحب آل بيت رسول الله ﷺ ونتولاهم، ولا نغالي فيهم ونعرف فضلهم وقرابتهم، ونحب أمهات المُؤمِنِين أزواج رسول الله ﷺ ونتولاهن جميعهن رضي الله عنهن جميعا.

(١٦) - ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، أو يعمل عملاً لا يحتمل إلا الكفر، كمن أنكر معلوماً من الدّين بالضّرورة، أو استحل حراماً مجمعاً عَلى حرمته، أو حرم حلالاً مجمعاً عَلى حله،

أو فعل فعلاً لا يحتمل إلا الكفر، كسب الله تَعَالَى، أو رسوله ﷺ، أو لبس الصليب، أو إهانة القرآن، ونذهب مذهب أهل السّنّة والجماعة في كفر من تحققت فيه الشُّرُوط وانتفت عنه الموانع، كما جاء تفصيل ذلك عن الأثبات من سلف الأُمّة وعلمائها الصّالحين.

(١٧) - ونؤمن بكرامات الأولياء، وأن كلّ المُؤمِنِين أولياء الله، وأقربهم إليه وأكرمهم عنده أتقاهم له، وأتبعهم للكتاب والسنة، وأنه من حصلت له الكرامة نظرنا في اتباعه للكتاب والسنة، فإن كانَ عليها كانت كرامة، وإلا فهي استدراج له من الله تَعَالَى، كما يحصل لبعض السحّار والمشعوذين فتنة لهم ولمن فتن بهم.

(١٨) - ونؤمن أنه لا يعلم الغيب إلا الله تَعَالَى، الّذي أطلع أنبياءه صلوات الله وسلامه عليهم بوحيه عَلى بعض غيبه، ومن أدعى علم الغيب من الإنس والجن فقد افترى عَلى الله الكذب، ولا نأتي كاهناً ولا عرافاً ولا ساحراً، ولا نصدقهم.

(١٩) - ونؤمن أن أهل الكبائر والذّنوب من الموحدين لا يخلدون في النار ما لم يشركوا بالله، وهم في مشيئة الله وحكمة إن شاء غفر لهم برحمته وإن شاء عذبهم بعدله.

(٢٠) - ونعتقد صحة الصّلاة خلف كلّ بر وفاجر من أمراء المُسلِمِين وعامتهم، ونصلي عَلى من مات منهم، ونأكل ذبيحتهم، فنؤمن أنه من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم ولا نشهد عَلى مسلم بكفر ولا نفاق ولا شرك، ما لم يظهر منهم قرينة ذلك وندع سرائرهم إلى الله تَعَالَى، ونكره أصحاب البِدَع ونبر أمن بدعهم وضلالاتهم.

(٢١) - ونؤمن بفتنة القبر ونعيمه وعذابه، وببعث النّاس للحساب يوم القيامة، ونؤمن بما جاء في القرآن والسنة الثَّابِتة، من نصب الموازين ونشر الدواوين يوم القيامة، ونؤمن بالصراط الّذي ينصب عَلى شفير جهنم، حيث يمر النّاس فوقه بسرعات عَلى قدر إيمانهم وأعمالهم.

ونؤمن بحوض رسول الله ﷺ وبشفاعته، ونؤمن بأن الجنّة والنار حق، موجودتان ولا تفنيان، ونؤمن برؤية المُؤمِنِين لربهم يوم القيامة لا يضارون في رؤيته.

(٢٢) - ونؤمن بأن القرآن منزل من عند الله كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود أنزله عَلى عبده ورسوله محمّد ﷺ، بواسطة أمين وحيد جبريل.

(٢٣) - ونؤمن بأن الاستغاثة بالعبيد والمخلوقات والأموات والقبور، واعتقاد النفع والضر منهم شرك، وأن التوسل بشيء من مخلوقات الله لا يجوز، ونرى أن بناء القبور عَلى غير هدي السنة وبناء القباب عليها ورفع الإعلام واتخاذ المزارات بدعة نهى الشَّرع عنها، تجب إزالة مظاهرها، بالأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر ما لم يؤد ذلك لُمنكر أكبر منه لدى القدرة عَلى ذلك.

(٢٤) - ونؤمن أن الجِهَاد ماض إلى يوم القيامة لا يمنعه جور جائر ولا عدل عادل، وهو مع عامة المُسلِمِين وأمرائهم برهم وفاجرهم، وأنه فرض كفاية عموماً إذا قام به البعض سقط عن الآخرين إلا في مواطن ثلاثة حيث يصبح فرض عين:

أ- إذا التقى صف العدوّ بصف المُؤمِنِين وجب الجِهَاد وحرم الانصراف.

ب- إذا استنفر الإِمَام الشَّرعيّ الحاكم بما أنزل الله الّذي يوالي المُؤمِنِين ويعادي الكافرين، وجب الاستجابة والنَّفِير للجِهَاد في سبيل الله معه.

ج- إذا دخل العدوّ الصّائل أرض المُسلِمِين، أو هددهم في دينهم أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم، وجب الجِهَاد وصار فرض عين كما هو هذه الأيّام.

(٢٥) - ونؤمن أن نصرة المُؤمِنِين واجبة في الدّين عَلى ما كانَ منهم من المعاصي والنقصان في الدّين لحق العَقِيْدَة وإخوة الإِسْلَام، فإن استنصروكم في الدّين فعليكم النّصر، ونؤمن أن المؤمن ولي المؤمن، وأن الكافرين والمُنَافِقِين بعضهم أولياء بعض، فأن من تولى الكفّار والمرتدّين والمُنَافِقِين فهو منهم كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وأن مظاهرة الكفّار عَلى المُسلِمِين كفر بدين الله، وأن من أقام بين المشركين بغير إكراه ولا ضرورة فقد أثم، وقد برئ منه رسول الله ﷺ.

(٢٦) - ونؤمن بأن توحيد الحاكِمِيَّة جزء أساسي، وركن ركين من توحيد الألوهية وواجبات العبودية، وأن من شّرع من دون الله بغير ما أنزل الله كفر وارتد وخرج عن ملة الإِسْلَام، وأن الحكَّام الحاكمين بغير ما أنزل الله جميعهم، كما وصفهم تَعَالَى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ و ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة] قد اجتمعت لهم كلّ هذه الصفات ومترتباتها، وهم مرتدون وإن زعموا أنهم مُسلِمِين بسبب تلبسهم بالتَّشريع من دون الله والحكم بغير ما أنزل الله.

(٢٧) – ونؤمن بأن دفع صائل الكفّار الّذين يغزون بلاد الإِسْلَام ويعتدون عَلى المُسلِمِين، وكذلك المرتدّين الّذين يشرعون من دون الله ويحكمون المُسلِمِين بغير ما أنزل الله. ودفعهم عن المُسلِمِين اليَوْم، فرض عين عَلى كلّ مسلم، وأن عَلى كلّ مسلم جِهَادهم، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وذلك أضعف الإيمان، وأنه لا عذر لأحد في القعود عن الجِهَاد، إلا من عذر الله من أصحاب الأعذار الشَّرعيَّة كالأعمى والأعرج والمريض، والّذين لا يجدون ما ينفقون، والمستضعفين الّذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، إذا انصحوا الله ورسوله ما عَلى المحسنين من سبيل، وكل امرئ حسيب نفسه والله رقيب عليه.

(٢٨) – ونؤمن بكل ما جاء في كتاب الله وصح عن رسول الله جملة وتفصيلاً.

رضينا بالله تَعَالَى رباً وبالإِسْلَام ديناً وبالقرآن إماماً وبسيدنا محمّد ﷺ نبياً ورسولا، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

وقبل أن أغادر هذه الفقرة الّتي لخصت فيها خُلاصة عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة، وهي عقيدتي الّتي أدين الله تَعَالَى بها وله وحده المنة والفضل وأسأله الثّبات عَلى ما يرضيه.

أحب أن أنوه إلى مسألة حرجة طالما أرهقت المُسلِمِين في تاريخ الإِسْلَام وهي إحدى الإشكالات الكبيرة الّتي لها بالغ الأثر عَلى مسألة وحدة المُسلِمِين في وجه أعدائهم، كما لها بالغ الأثر عَلى مسألة (العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة)، ومبادئها الأساسيّة الّتي سنعرض لها لاحقاً إن شاء الله.

هذه المسألة الشائكة هيَ افتراق أهل السّنّة والجماعة عَلى مذهبين في بعض مسائل (العَقِيْدَة) وعلى رأيين في مسألة (المذاهب الفقهيّة) وتفصيل ذلك الموجز وخلاصة رأيي فيه أسأل الله الهدى والتوفيق والرشاد لما يرضيه سأورده في الفقرة التّالية إن شاء الله.

من آثار وجود العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة حية في قلب المسلم وتطبيقها في واقع الحياة:

هذا موضوع كبير، كتبت فيه الكتب الكثيرة، وحتَّى لا يخرج بنا البحث عن غرضه أشير إلى بعض ذلك عَلى سبيل الذكر والإشارة، لآثار أركان الإِسْلَام والإيمان في نفس وسلوك المسلم.

- فإن المؤمن إذا شهد حقاً وصدقاً أن **لَا إِلَٰهَ إِلَّا الله وأن محمّداً رسول الله**، وامتلأ قلبه بها، وسرت أنوارها في عقله وكيانه، وانعكست عَلى معتقداته وأفكاره وأخلاقه وسلوكه، تحول إنساناً عجيباً في سموه ورقيه، وصار خيراً في ذاته مشعاً للخير عَلى من حوله.

فهو باعتقاده بأن **لَا إِلَٰهَ إِلَّا الله**، لا خالق لهذا الكون ولا ربّ له إلا الله ولا معبود بحق إلا الله، انعكس فهمه لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا عليه، فعلم أن الله هو مالك الملك، وبيده تصريف كلّ شيء، وأنه لا شيء في هذا الكون ينفع ويضر إلا بإذنه، وأنه الخلاق الرزاق، المحي المميت، الحكم العدل، الغفور الرّحيم، العزيز الجبار المتكبر، وآمن أنه هو وحده الخافض الرافع، المعز المذل، القوي القهار القيوم، الّذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يغيب عنه مثقال حبة من خردل، في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس، وأنه له الأمر والخلق، وأنه مطلع مدبر لخلقه سميع بصير، إلى آخر أنوار أسماء الله الحسنى وصفاته العلا ؛ اطمأنت نفسه وسكنت روحه، ولم يعد يرجوا النفع ويخشى الضر إلا منه وحده، وغدا إنسان عزيزاً كريماً سوياً، لا تستهويه الشَّهَوَات ولا يستزله الشّيطان، فإذا ما انزلقت قدمه بشيء من ذلك لضعف بشري، علم أنه له رباً تواباً رحيماً غفوراً فتاب وأناب من قريب، وإذا أحسن في عمله، علم أن له رباً شكوراً حليماً كريماً فاستزاد وسعى.

وإذا امتلأت روحه بأنوار **محمّد رسول الله**، علم أنه رسول الله الأمين، أنزل عليه القرآن من ربه هدى للنَّاس ورحمة ونوراً، وأنه الصادق المصدوق، الّذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

فإذا حصل له ذلك ؛ امتلأت نفسه إيماناً بكتاب الله، وسعى يلتمس عَلى هداها خطاه، يحل حلاله ويحرم حرامه، ويهتدي بهداه، ويتخذ من سيد المرسلين محمّد رَسُولُ الله ﷺ قدوته وأسوته فيستنُّ بسنَّته ويقتفي أثره ويتصبَّر بصبره، وكفى بها أسوة ونموذجاً رفيعاً، لنبي أنقذ الله به البشريّة وأخرجها من الظُّلمات إلى النُّور بإذنه وهداها صراطاً مستقيماً.

وإن المؤمن إذا أقام إلى الصّلاة، وحلّق في سبحاتها، وأداها عَلى وجهها، فنهته عن فحشائه ومُنكره، وكانت له موعداً متكرراً عَلى مائدة الله خمس مرات في اليَوْم والليلة، عدا ما يتنفل به لله سبحانه، خمس مواعيد يقف فيها بين يدي الله ويستشعر عظمته، ويكرر في كلّ ركعة ؛ فيحمد الله ربّ العَالَمِيّن، ويعلم أنه الرَّحمٰن الرّحيم، مالك يوم الدّين، ويتوجه إليه بالعِبَادة ويسأله الهداية قائلاً: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ

﴿نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة]، ويطلب من الله السّير عَلى أثر سلفه الصّالح وأن يجعله معهم ومنهم راغباً ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، سائلاً المولى أن يجنبه دروب أهل الشقاء من المغضوب عليهم والضالين، المغضوب عليهم من الّذين عرفوا الحقّ وهجروه كما كانَ حال اليَهُوْد، والضالين الّذين زاغت قلوبهم فلم يهتدوا للحق أصلاً كما هو حال النّصَارى، فإذا ما استرسل يتلوا آيات الله، وشعت أنوارها في قلبه، وركع وكبّر وهلّل وسبح وحمد، ثمّ جلس، فقرأ التحيات لله، وصلى وسلم عَلى نبيه، وعلى صحبه الكرام، وأحس بالانتماء إليهم، والسعي في آثارهم، والقرب منهم فحياهم، «السَّلامُ عَلينَا وعَلى عِبَادِ اللهِ الصَّالحينَ»، ثمّ وتشهد بشهادة التّوحيد موقنًا مؤمنًا ثمّ وصلى عَلى حبيبه سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه الطّيبين الطّاهرين، فكانت له الصّلاة بذلك موعداً متجدداً بين يدي الله، يذكره أن يجد في سلوكه الحسن، وخلقه الطّيب، فيستحيي مما اقترف من المعاصي والآثام، ويفرح بما غسلت الصّلاة أدرانه.

- وكما الصّلاة، فللزكاة آثارها في تزكية النّفس، وطهارة الرّوح، وقهر الشّحّ والبخل، والإحساس بالتّكافل والتّضامن مع عباد الله المحتاجين، والمسؤوليّة تجاه رابطة الأخوة في الله معهم.
- وللصّيام آياته وآثاره النّفسية والبدنية، وانعكاساته عَلى قوة الإرادَة وطهارة النّفس والرّوح، وصفاء الذّهن والإحساس بأحاسيس الآخرين من الجياع في هذه الدُّنيَا.
- وللحج وآياته ومعانيه آثارها في تكوين المؤمن، يستشعر بها أخوة الإيمان مع هَؤُلَاءِ الّذين جاؤوا من كلّ فج عميق، من كلّ جنس ولون، وطرحوا عنهم زينة الدُّنيَا، ولزموا الزي الواحد البسيط الّذي يحمل كلّ معاني المساواة والدعة والسَّلام، ووقفوا بين يدي الرَّحمٰن، في مجمع يذكرهم بيوم الحشر الأكبر، فيكون هذا دافعاً للغرم عَلى بداية طريق الخير من جديد.
- و إن القلب إذا امتلأ بأنوار أركان الإيمان، وعاشت الرّوح والنّفس فيوضها ورحماتها، ملأ الإيمان بالله وأسمائه وصفاته النّفس، وا نعكس عليها بطيب الأخلاق، وحدا بها إلى سلوك الخوف والرجاء لله وحده، وانخلع بذلك الإنسان عن كلّ ما سواه، وأوجد له هذا شخصية متوازنة كريمة جادة رحيمة.

- وإن الإيمان بكتب الله ورسالاته وأنبيائه أجمعين صلوات الله وسلامه عليهم، ومعرفة المسلم لأطراف من سيرتهم، وعذابهم وعنائهم في سبيل الله، وصبرهم عَلى إبلاغ دعوة الله، يجعل المؤمن يحس بالانتماء لهذه الأُمّة الواحدة، وهذه القافلة المجيدة السائرة قدماً منذُ وجود البشر عَلى هذه البسيطة، من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى، إلى خاتم الأنبياء محمّد عليهم جميعا الصّلاة والسَّلام، وما كانَ بينهم من دعوات ونبوات وأمم مُجاهدة صابرة عَلى مر التّاريخ.
- وأما الإيمان باليوم الأخر، فهو نعمة من أكبر نعم الله عَلى المؤمن، تشعر الإنسان بتمام العدل الإلهي، وأن ما تعلق من أمور ومظالم لم يستوفى فيها الحساب والعقاب في الدُّنيَا، سيتم الفَصل والعدل فيها يوم يضع الله فيه الموازين القسط ليوم القيامة، فيملؤه هذا خشية من الله أن يظلم أو يتجاوز أو يخطئ في حق ربه أو في حق نفسه أو في حق الآخرين، كما يملؤه طمعاً في رحمة الله وجزيل عطائه وعدله، فيملؤه هذا رغبة في الاستزادة من الخير، ورجاء الأجر والثواب، فيهم بالعمل عبادة ونسكاً وصلاة وصياماً وزكاة وحجاً، وجِهَاداً وأمراً بالمعروف، ونهياً عن المُنكر، وفعلاً للخير واجتناباً لشر، إن الإيمان باليوم الآخر طمأنينة وسعادة ورحمة تورث السكينة والرضا، وتدفع عَلى البذل والتَّضحِيَة والعطاء.
- وأما الإيمان بالقضاء والقدر، وأن ما شاء الله كانَ، وما لم يشأ لم يكن، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأن الله عَلى كلّ شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً.

فالإيمان بالقدر، من عظيم نعم الله عَلى نفس المؤمن، لأنه يورث الرضا والسكينة والتسليم، ويورث القوّة والشجاعة، والكرم والثّبات، وعدم خشية النّاس، وعدم الرغبة إليهم وإلى ما في أيديهم، عندها تنبعث في نفسه أنوار سنة رسول الله ﷺ، والّتي جاء في بعضها:

«يَا غُلَامُ احْفَظِ اللهَّ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللهَّ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَّ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍلَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأقلام وجفَّت الصُّحُف»[1].

أي والله، رفعت الأقلام وجفت الصّحف، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المُؤمِنُون.

فأي قوة تورثها هذه الأنوار في النّفس البشرية الضعيفة، وأي رجاء وأي أمل بالله، وأي انقطاع عن السعي لذلك لدي غيره من الضّعفاء المخلوقين.

إن هذه الأركان من عبادات الإِسْلَام وحقائق الإيمان متى شعت أنوارها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، تورث كلّ خير وتصرف عن كلّ شر.

والكلام في هذا يطول، لأن المجال رحب واسع طيب، ونذكر طرفا من ذلك عَلى سبيل الإيجاز:

فإن مما تورثه وبقدْر إيمان المرء بها وقدرته عَلى السعي فيها، تورث الطهارة والنظافة طهارة الرّوح، ونظافة الجوارح ظاهرا وباطنا، وتورث الاستعداد للتضحية في سبيل الله، وفي سبيل دفع الضر عن المُؤمِنِين، وتورث السعادة في الحياة.

تورث بر الوالدّين، وصلة الأرحام وحب الأسرة، والعطف عَلى الضّعفاء، والوفاء للزوج والزوجة، ورحمة الأولاد، والسعي في خيرهم وتربيتهم عَلى مكارم الأخلاق.

تورث الوفاء والإخلاص للأصحاب، وحب الوطن وحب الأُمّة، وبغض الأَعدَاء والظُّلمة والمجرمين والمفسدين.

إنها تورث السُّلُوك السوي والخلق الرفيع، وتورث الصّبر واليقين، وتورث الرضا والتسليم، وتورث الشجاعة والكرم، وتورث التأسي بالقدوة الحسنة، والسعي لأن يكون المؤمن قدوة لمن حوله ومن بعده، وتورث الإحساس بمعية الله والانتماء لقافلة الخير المختارة وصفوة البشر الّذي ﷺ ورضوا عنه،

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩، ٢٧٦٣، ٢٨٠٣) وصححه الألباني و الأرنؤوط.

وتورث القوّة والاستعلاء عَلى البَاطِل، وتورث السكينة والخشية واللين، والإحسان وحسن الخلق، والحلم والأناة والرفق والرحمة.

كما تورث الذلة عَلى المُؤمِنِين، والعطف عليهم، وتسم المسلم برقة القلب ودمعة الخشية والرحمة والتوبة، وتورثه الشدة عَلى الكفر وأهله والغلظة عَلى الكفّار والمُنَافِقِين، مع طلب الهداية والرحمة لهم والعدل في معاملتهم، والقسط مع الخلق في الرضا والغضب.

وتورث الصِّدق والعفاف عما في أيدي النّاس، وتورث حب الله وحب خلقه وعياله، والسعي في برهم ونفعهم، وتورث عَقِيْدَة الوَلَاء للمؤمنين، والبَرَاءة من الكافرين.

وتورث حب لقاء الله، وتورث التواضع لخلقه.

و تورث كلّ مكارم الأخلاق وتبعد المرء عن كلّ أضداد ذلك من مساوي الخلاق والأفعال والسُّلُوكيات والعادات، والبحث رحب واسع وتكفينا منه الإشارة.

- ثمّ إن الإيمان بصدق موعود الله ونصرة وتمكينه ومؤازرته لعبادة المُؤمِنِين، ذلك الوعد الحقّ الّذي جاءت به الكثير من نصوص القرآن وثابت السنة، يعطي اليقين، اليقين بالنّصر والظفر في الدُّنيَا والآخرة، وبالتمكين لهذا الدّين وبزوغ شمسه لتملأ العالم، وتصل ما بلغ الليل والنَّهَار، وبنصر أصحابه وأوليائه يوم القيامة وفوزهم برضوان الله، وهذا اليقين يولد الصّبر والعزم عَلى المسار، لأن الصّبر ابن اليقين.

- ويأتي الإيمان بحسن أجر العاملين، وبعظم أجر المُجَاهدين المخلصين، ومصير الشّهداء الصابرين المقبلين غير المدبرين، لتجعل من هذا المؤمن الموقن الثَّابِت جبلاً لا تهزه الرّياح، ولا تحركه العواصف وذلك بتثبيت من الله، فهو يعلم أنه إن لاقي ربه شهيداً فإنه حي يرزق في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأنه يسعى إلى رفقة الرفيق الأعلى مع النبيّين والصديقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقاً، فتهون عليه المشاق، ولا تهمة الصعاب، ويمضي واثقاً نحو إحدى الحسنيين إما نصر وإما شهادة.

العَقِيْدَة والنماذج:

إن هذه العَقِيْدَة لم تكن في تاريخ الإسْلَام مجرد نصوص جميلة، ومثاليات مسطورة في القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب العُلَماء وحسب، لقد تحققت نماذجها عَلى الأرض منذُ اللحظة الأولى وتحركت حية عَلى الأرض، فكان سيد ولد آدم عليه السلام، قدوة في كلّ شيء، ونموذجاً في كلّ شيء، وكفى به أسوة وقدوة، ومنذ ذلك اليَوْم، ومع الرعيل الأوّل، بدأت تتوالى النماذج.

فكانت خديجة ﵂، ثمّ أمهات المُؤمِنِين رضي الله عنهن، وكان الصّحابة تلاميذ المدرسة المحمّدية عَلى صاحبها الصّلاة والسَّلام، فكان نموذج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﵃، وكانت نماذج أهل بدر والرضوان، وكان المُهَاجِرون والأنصار، ومن مدرسته ﷺ مدرسة هذه العَقِيْدَة، تخرج الأبطال الفاتحون خالد وأبو عبيدة وعمرو شرحبيل وأُسَامَة بن زيد، ومن تلك المدرسة تخرج علماء الصّحابة معاذ وابن عباس وعبدالله بن مسعود وأبي بن كعب، ﵃ وعن صحابة رسول الله أجمعين،

لقد كانت عَقِيْدَة ومدرسة، خرجت نماذج ونجباء ﵃ من طليعة خير القرون، ثمّ كانَ التَّابعون، فكان فهم القادة الفاتحون والعُلَماء الأفذاذ والدعاة القدوة الّذين نشروا هذا الدّين وساروا عَلى درب أسلافهم، ثمّ جاء تابعوهم بإحسان، ووصل معهم الإسْلَام إلى تخوم الصين والسند والهند وخراسان وما وراء النهر شرقاً، وإلى القفقاس وأسوار القُسطَنْطينيَّة شمالاً وإلى شمال أفريقيا والأندلس وسواحل المحيط الأطلسي غرباً، فكان القادة والعُلَماء والنماذج الفذة، وكانت نساء المُؤمِنِين الصابرات المحتسبات اللواتي سرن عَلى خطى أمهات المُؤمِنِين والصحابيات الكريمات الرائدات، وتتابعت النماذج عبر التّاريخ في كلّ زمان ومكان.

فحيثما التزمت النفوس هذه العَقِيْدَة، فنشأت عَلى أنوارها وسارت عَلى هدي سلفها ؛ رأيت النماذج بازغة ساطعة، وحفل بها التّاريخ الإسْلَاميّ، فكان الخُلَفَاء والسلاطين والملوك والأمراء الصّالحون من عرب وعجم، فكان عمر بن عبد العزيز، وهارون الرَّشِيد، ونور الدّين زنكي التركماني، وصلاح الدّين الأيوبي الكردي، ومحمود بن سبكتكين الغزنوي الخراساني، وألب أرسلان السلجوقي، ومحمّد الفاتح التركي، وطارق بن زياد البربري، ويوسف بن تاشفين المغربي، وسواهم كثير.

وكان من العُلَماء أبو حنيفة ومالك والشّافعي وأحمد بن حنبل، وسفيان الثّوريّ والأوزاعي والشعبي، وسعيد بن جبير وابن المسيب وأبو حازم، وطاووس، ومحمّد بن أسلم الطوسي، وابن المبارك، والجويني، وأبو حامد الغزالي، وسواهم وغيرهم كثير رحمهم الله.

وكان الزهاد العِبَاد الفقهاء الأعلام، فكان الحسن البصري، وابن أدهم والجنيد وبشر الحافي، وحاتم، والسقطي، والبسطامي، والهروي، وغيرهم وسواهم كثير.

وكان من النِّسَاء الصّالحات العابدات ما ازدانت بسيرهم الكتب أيضا.

وقدمت هذه المدرسة نماذج للتجار الأمناء الّذين كانوا دعاة لهذا الدّين، فأوصلوه إلى قلب أفريقيا ومجاهلها وجزر البحار البعيدة، فوصل الإِسْلَام معهم إلى الفيليبين وإندونيسيا، وجنوب شرق آسيا وسواحل أفريقيا الشرقية كلها، وهكذا لو رحنا نستقصي قصصهم ونماذجهم وعبرهم لما كفتنا المجلدات.

والحَمْدُ لله فقد حفظت المكتبة الإِسْلَاميّة تراثاً ذاخراً، من نماذج العلم والعمل والجِهَاد والخلق والسُّلُوك والصلاح والاستقامة ما لم تأتي به أمة من الأمم قبلهم ولا بعدهم، وما كانَ ذلك إلا أثراً لتلك العَقِيْدَة الشّاملة الكاملة الربانية عندما صبغت في حياة النّاس.

من آثار غياب العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة عن البشر أو ضعفها في قلوب المُسلِمِين:

أما آثار عدم وجود مثل هذه العَقِيْدَة عند بني البشر، فلك أن تقرأ سير الأمم والحضارات غير المسلمة وما فعلته من الظُّلم والاستعباد والقهر والعسف للأمم والشّعوب ممن كانوا تحت حكم الأكاسرة والأباطرة والفراعين وأشباههم.

ولك أن تقرأ في كتب مؤرخي تلك الأمم في تاريخها وحاضرها إلى اليَوْم، عن تفسخ مجمعاتهم واعتلالها برذائل الزنا والفجور والخمور والربا والقلق والضياع، ولأن جهل تاريخهم جاهل، فلن يخطئ البصر بأحوالهم اليَوْم عاقل، ويكفي التجول في إحصائيات الجرائم والأمراض الاجتماعيَّة، ونسب الطلاق والانتحار، والقلق والمظالم والحُرُوب، والكوارث الّتي أحلتها تلك الحضارات الكافرة بشعوبها وبشعوب العالم أجمع قديماً وحديثاً.

بل وحتّى العَرَب أنفسهم هذه الأُمّة الّتي صارت بالإِسْلَام بتلك العَقِيْدَة خير أمة أخرجت للنَّاس، ماذا كانَ حالها قبل الإِسْلَام ؟ وإلى ماذا صار يوم هجرته بعد أن رفعها إلى قمم المجد؟!

هل كانَ العَرَب إلا شراذم متناحرة يأكل قويهم ضعيفهم، يعاقرون الخمور، ويمارسون الرذائل والزنا، ويسجدون للأحجار والمنحوتات، ويئدون البنات، ويقطعون السبيل والأرحام.

لا شأن لهم، ولا وزن لهم بين الأمم، مثل غيرهم من الأمم الكافرة في الضياع بيد أنه لم يكن لهم ما كانَ لتلك الأمم من الحضارة والمجد والسلطان والقوة، ثمّ ولمن أخطأ فهم التّاريخ وأحاطت به الجهالة به، لينظر في واقع الأُمّة العربيَّة والإِسْلَاميّة وبعدها عن دين الله، وما أورثها إياه بعد أن عزت به وسادت وعلت قمم المجد وآفاق العز والحضارة شرقاً وغرباً.

ألسنا اليَوْم أهون الأمم وأكثرها تخلفاً ؟ أليس حكامنا مثالاً للظلمة الكفرة الفجرة الخونة ؟ أليس أكثر علمائنا الّذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، نماذج للأحبار والرهبان الّذين يأكلون أموال النّاس بالبَاطِل ويكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى ؟ أليس كبراء النّاس وأغنياءهم نماذج للفساد والرَّذِيلة والإنحلال إلا نادر النادر ممن عصم الله ؟ ألم تنخر في هذه الأُمّة أمراض الفجور والعلل الاجتماعيَّة، لما سارت وراء الغرب، واعتلت بأسباب علله فاعتلت مثلما اعتلوا وأكثر.

ذاك الّذي أسلفنا قبلا كانَ نموذج حياة العَقِيْدَة، وهذا الحاضر الّذي نعيشه نموذج لغيابها، وتكفي الإشارة عن النماذج والتفاصيل والإطالة.

وقبل أن انتقل إلى الفقرة التّالية وهي لب البَاب (العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة لدعوة المُقاوَمة)، أشير إلى ملاحظة طالما كررتها في بعض دروسي ومحاضراتي ومحاوراتي في أوساط المُجَاهدين، ملاحظة طالما أتعبني أن تستولي عَلى واقع التّيار الجهاديّ وما آلت إليه، وهي الّتي دعتني أن أقدم للعَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة بالأسس الشّاملة العامّة لعَقِيْدَة الإِسْلَام، وهذه الملاحظة هيَ:

لقد لاحظت من طول احتكاكي بالمُجَاهدين وصحبتي وعضويتي في التّيار الجهاديّ، أنه غلب عَلى المتأخرين منهم، ولاسيما في تجارب الحشد الركامي، كما حصل في ساحات الجِهَاد المفتوحة كأفغانستان وغيرها، حيث لم تعر قياداتها وللأسف أهمية للتربية العقدية الشّاملة ولا الجهاديّة كما أشرت.

لقد سيطر عَلَى أكثر المُجَاهدين الشَّبَاب شعور بأن القِتَال هو الجِهَاد، وأن الجِهَاد هو الإِسْلَام !! وأورثهم الإحساس بأنهم يمارسون شعيرة ذروة سنام الإِسْلَام، بأنهم في غنى عن باقي ذلك الجسد الكامل المتكامل، لقد ضعفت لدى الكثيرين من المُجَاهدين أسس العَقِيْدَة بتمامها وشمولها الّتي أشرت إشارة عامة لمناجيها في هذه الفقرة.

وكثيراً ما ضربت المثال لإخواني وأعيده هنا.

لقد أسيء فهم قول رسول الله ﷺ بأن «ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَادُ»[1] من قبل كثير من المُجَاهدين، ويجب أن نعود لتمام الحديث الّذي وردت فيه هذه الجملة الشريفة منه ﷺ:

[عن معاذ رضي الله عنه قَالَ: فقلت يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تَلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] حَتَّى بَلَغَ ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة] ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»][2] رواه التِّرْمِذِيّ وقال حديث حسن صحيح، والحديث أوضح من أن يفسر.

فأصل الأمر الإِسْلَام، كلّ الإِسْلَام، بأركان الإِسْلَام وأركان الإيمان، وعموده (الصّلاة)، بتمام إقامتها وآفاقها، فـ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥][3]، ثمّ الصدقة، ثمّ النوافل وقيام الليل، ثمّ ذروة سنامه الجِهَاد في سبيل الله، قمة الجمل فوق جسده وعموده وما يحمله، ثمّ جماع ذلك: (حفظ اللسان)، وهذا رمز لحسن الخلق، لأن (اللسان) باب إلى الخير أو إلى الشر.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٠٥١) وصححه الأرنؤوط، وهو طرفٌ من لاحقه أيضاً.

(٢) رواه الترمذي (٢٦١٦) والنسائي (٢٢٢٤، ٢٢٢٥) وابن ماجة (٣٩٧٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) [في الأصل : الشيخ وضع حديثَ «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء....» وهو منكرٌ فاستبدلته بالآية]

قلت وأعيد الذكرى هنا: **ذروة سنام**، فشبه الجسد بالجمل، فهل يستطيع الراحل عَلى الراحلة السفر عَلى مجرد سنام حتَّى ولو ارتقى ذروته ؟! ؟! وكيف يرتحل عَلى قطعة شحم، إذا لم يكن السنام مستوياً عَلى جسد متكامل، قائمٌ عَلى أعمدة راسخة ؟!

الأمر بين، وهنا أصل إلى الخلاصة:

لا جِهَاد كما أمر الله تَعَالَى بلا عَقِيْدَة جهاديّة قتالية، ولا عَقِيْدَة جهاديّة قتالية صحيحة سليمة، ما لم تبنَ عَلى أسس العَقِيْدَة الإِسْلَامِيّة الشّاملة الكاملة، بطريقة تربَويّة شاملة كاملة صحيحة.

وهذا ما غاب عن كثير من المكوّنات التَّنْظِيمية للتيار الجهاديّ، ولاسيما في أشواطه الأخيرة.

والآن وقد مضى معظم الرعيل الأوّل من الجهاديّين فإننا بأمس الحاجة إلى إعادة البناء الجهاديّ في المَرحَلَة المقبلة عَلى أسس سليمة، وهو بناء العَقِيْدَة الإِسْلَامِيّة بشمولها وكمالها في النفوس وجعلها راسخة قوية، وبناء العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة كفرع منها عليها، وإلا فإنها والله الكوارث ما لم تتداركنا رحمة الله.

إن غياب العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة عن الأُمّة سيجعلها قاعدة، خائرة، غثاءً، قصعةً تتناهبها الذئاب الضواري والكلاب العوادي من هنا وهناك، بعد أن تداعت الأمم إلى قصعتها، لأن سوادها الأعظم، حكاماً ومحكومين، علماء وجهلاء، صاروا غثاء كغثاء السيل، قد ضربهم الوهن؛ «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ»، ولن تحيا هذه الأُمّة وتقاوم، إلا بعَقِيْدَة جهاديّة قتالية يحملها العُلَماء والدعاة والمَشَايخ، والكتاب والأدباء، والمفكرون والمثقفون المُسلِمُون، ويزرعونها في هذه الأُمّة التواقة للنهوض، ليقود هَؤُلَاءِ النُّخبَة مسيرة الشَّبَاب عَلى علم وبصيرة، وبقدوة حسنة.

وإن وجود مقاومة وممارسات جهاديّة، أو بالأحرى ثقافة قتالية عسكريّة، وعَوَاطِف وردود أفعال نتيجة الكرامة والشرف والنخوة والحماس لدي شباب الأُمّة.

إن وجود ثقافة ومبادئ قتالية جهاديّة، لم تبن عَلى أسس صحيحة من شمول العَقِيْدَة والدّين وتمامه، في ظل ظروف القهر والاحتلال؛ لينذر بكارثة أشد من كوارث القعود عن الجِهَاد أحيانا.

إن وجود السّلاح في أيدي مقاتلين يضربون العدوّ، ويرتكبون في مسارهم أفظع المصائب، نتيجة الجهل بالعَقِيْدَة وغياب التّربية المُتكامِلة، من الممكن أن يعود بالضرر عَلى الأُمّة والجِهَاد والمُقاوَمة وكل ما نصبو إليه.

وقد تسير الأمور إلى الهرج والفتن، واختلاط الحابل والنابل، وقد يسبب حصول الخيانات والتراجعات، والضرب غير الواعي عَلى غير بيان، وقد أمر الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤].

إن الظّروف صعبة، والعدو يقظ والصف الإِسْلَاميّ منخور، وعملاء العدوّ في كلّ قطاع، من حُكَّام وعلماء ومثقفين وأصحاب الأغراض كثر، أكثر من أن يشار إليهم،

وإذا دبت الفوضى فستقوم الثارات، وتقع ردود الأفعال، ويتعصب النّاس ويجرون وراء كلّ ناعق، ولن تستقيم مع ذلك مقاومة ولا جِهَاد.

فلا قتال بلا عَقِيْدَة جهاديّة صحيحة، بنيت عَلى أسس متينة من عَقِيْدَة إسلاميّة شاملة، تثبت اليقين وتضبط الأحكام، وتحفظ الأخلاق، أخلاق القِتَال وأحكام وآداب وشرائعه مع العدوّ والصديق، إنه دين كامل، فإما جِهَاد عَلى أسس دين، وإما قتال هرج وملاحم فتن أعاذنا الله منها.

وهنا تأتي مسؤولية العُلَماء، وقادة الصّحوة الإِسْلَاميّة، بالنزول لساحة قيادة الجِهَاد والمُقاوَمة، وكل امرئ حسيب نفسه.

اللّهم قد بلغنا فاشهد، اللّهم أعنا عَلى البلاغ والدّعوة عَلى بصيرة، والعمل عَلى بصيرة، والجِهَاد عَلى بصيرة، والشَّهَادة في سبيلك عَلى بصيرة.

ورغم حرصي عَلى عدم استطالة أبحاث الكتاب، آثرت أن أقدم للعَقِيْدَة الجهاديّة بأسس العَقِيْدَة الشّاملة، فهو الأساس الّذي تبني عليه، وبدونها لا تكون، وأرجو أن تكفي اللبيب الإشارة والاختصار، وأن يقيض الله لحملة الأقلام من العُلَماء العاملين والدعاة الصادقين أن يكفوا الأُمّة مؤونة البيان وبناء العَقِيْدَة وأسس الدّين، لنتفرغ لقتال أعداء الله، وليروا منا ومن المُجَاهدين في سبيل الله بإذن الله ما كانوا يحذرون، والله الموفق.

ثانياً: المناحي العامّة للعَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة لدعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة:

سأتناول بعون الله تَعَالَى هذه المناحي في هذه الفقرة عَلى سبيل العناوين والإشارة دون التطرق للأدلة الشَّرعيَّة عَلى تلك المبادئ السّياسيّة الشَّرعيَّة أو الفكريّة المنهجيّة أو الجهاديّة الحَركيّة، وسأختار من بينها بعض الأساسِيَّات الأساسيّة، الّتي يبني عليها ما تبقى، وأفصل في أدلتها الشَّرعيَّة وآفاقها في الفقرة التّالية إن شاء الله تَعَالَى.

وابتداءً أقول بأن كثيرا من المناحي المنهجيّة مما يحوي هذا الكتاب بكل فصوله ورسائله، وما سأحاول أن الحقّ به من رسائل دعوة المُقاوَمة، إن شاء الله وأعان عليه، هو من العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة، سواءً كانَ عقائد دينية، أو أحكاماً شرعيّة، أو قواعد سياسيّة شرعيّة، أو أفكار منهجيّة، أو معلومات تارِيخِيَّة، أو أفكار حركيَّة، أو مواقف سياسيّة، فكل ذلك منهج تفكير متكامل، ودعوة مترابطة الأركان، وكل ذلك من العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة، الّتي تكون ثقافة متكاملة، ومعلومات متعاضدة، تورث إيماناً وفكراً ومعتقداً، وخلقاً وسلوكاً، يوجد المُجَاهد المقاتل العقائدي، الّذي أرجو وجوده للقيام بأداء مهمة المُقاوَمة وجِهَاد أعداء الله

فمن العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة، الّتي إن وسع المُجَاهد العادي أن يعلمها بعمومها فقط، فإن عَلى كوادر المُقاوَمة وقيادات الجِهَاد أن تعرفها عَلى وجه التفصيل والفهم، منها ما يلي:

(١)- يجب أن يدرك المُجَاهد العقائدي الّذي سيتصدى لفعل المُقاوَمة جِهَاداً في سبيل الله، واقع المُسلِمين وما وصلوا إليه، في كلّ واقعهم الدّيني والسّياسيّ والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وكل مناحي واقع المُسلِمين الحاضر، وما يعيشونه تحت ظروف هذا العدوان والغزو الصّليبيّ اليَهُوْدي الداهم، وهذا ما تولاه الفَصل الأوّل في هذا الكتاب.

(٢)- يجب أن يعلم المُجَاهد أحكام شريعة الله في هذا الواقع، وعلى رأس ذلك وخلاصته أمران اثنان:

أ- أن الجِهَاد المُسلّح والمُقاوَمة المُسلّحة هيَ الحلّ الأوحد لهذه الإشكالات.

ب - أن هذا الحلّ هو فرض عين عليه تجب عليه ممارسته ما لم يكن من ذوي الأعذار الشَّرعيَّة كالأعمى والأعرج والمريض والعاجز والمحصور الّذي حيل بين وبين هذه الفريضة،

وهذا ما تولاه الفَصل الثّاني في هذا الكتاب بالإجمال ويأتي تمام ذلك وتفصيله إن شاء الله في الفقرة التّالية من هذا البَاب بعون الله،

(٣)- يجب أن يدرك المُجَاهد جُذُور هذا الصِّرَاع الّذي نحن فيه، ومسار تاريخه منذُ فجر التّاريخ وإلى اليَوْم عَلى سبيل الإجمال، وذلك من أجل لفهم تاريخ هذا الصِّرَاع، وحقيقته، وأطرافه إلى أن آل صراعاً بينا نحن المُسلِمِين مع أمريكا وحلفاءها من الرُّوم المعاصرين، كما كانَ صراعاً بين أجدادنا العظماء، وأجدادهم من بني الأصفر قدماء الرُّوم وقرونهم المتتالية، ومراحل ذلك، وكذلك شكل النّظام الدّولي الحالي وأطرافه، وجُذُوره والمراحل التارِيخِيَّة الّتي أدت إلى وصوله لهذه الصُّورة، وهذا ما تولاه الفَصل الثّالث من هذا الكتاب.

(٤)- يجب أن يفهم المُجَاهد العقائدي عَلى وجه التفصيل تاريخ هذا الصِّرَاع مراحله مع الرُّوم وحملاتهم الرَّئيسيَّة علينا ومعادلات تلك الحملات والأطراف الّتي اشتبكت فيها، بعد أن اطلع عَلى وجه الإجمال المسار التّاريخي لصراع الحقّ والبَاطِل ولاسيما منذُ انطلاق الإِسْلَام، فيجب أن يعرف كيف كانَ أداء المُسلِمِين في مراحل النّصر والهزيمة في الصِّرَاع مع الرُّوم، من حيث الأسباب، ما أسباب انتصارنا لما انتصرنا وما أسباب هزيمتنا لما انهزمنا، ليصل عبر الفهم الدقيق لسنن الله في ذلك المسار إلى فهم المعادلة النّهائيّة اليَوْم وأطرافها، ويستنتج كيفِيَّة مُوَاجَهة كلّ طرف منهم ووسائل ذلك، وهذا ما تولى الفَصل الرَّابع تفصيله،

وهذا الفَصل من أهمّ مرتكزات العَقِيْدَة الجهاديّة وأسَّسَها الأساسيّة، وهو معرفة من نحن ومن أعداؤنا، ومن معنا ومن علينا في هذه المُوَاجَهة، وإلا اختلطت الموازين عَلى المُجَاهد فلم يميز عدوا من صديق، ولم يعرف وسيلة جِهَاد كلّ عدو، ومن نجاهد بالسنان من الكفّار والمرتدّين أعوانهم، ومن نجاهد بالبيان من المُنَافِقين والمنحرفين والضلال وأشياعهم، وكيف يكون ذلك.

(٥)- بعد ذلك يجب عَلى المُجَاهد العقائدي أن يعرف جُذُوره التارِيخِيَّة كمُجَاهد يقاوم أعداء الله مطلع القرن الحادي والعشرين، ويقاوم طلائع الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الثّالثة الّتي دفعت إلينا بها الحضارة الغربيّة النكدة، ويعلم أن له سلفاً أوصلوا إليه راية هذا الجِهَاد والمُقَاوَمة وأن الحلقة الأخيرة، وليست النّهائيّة في سلسلة من حلقات هذه الصّحوة الجهاديّة، الّتي هيَ وليدة صَحوَة إسلاميّة شاملة يناهز

عمرها قرناً من الزَّمن تقريباً، بصرف النَّظر عن صواب وخطأ السائرين العاملين المخلصين الّذين بذلوا وسعهم واجتهدوا فأخطؤوا وأصابوا، فيعرف لكل أولئك فضلهم عليه، فيتعامل معهم بقول تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر] هذا من جهة، ومن جهة أُخرى ليفهم تاريخ تجاربهم وفشلهم نجاحهم وخطئهم وصوابهم، وهذا ما تناوله الفَصل الخامس عن مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة منذُ ثلاثة أرباع قرن من الزَّمن، فذلك من أهمّ وجوه ثقافة المقاوم المُجَاهد العقائدي ولاسيما القيادات والكوادر الّتي أرجو أن يولد فيها نخبة من المفكرين والكتاب الّذين يأطرون وينظرون لهذه المُقاوَمة الّتي أظنها ستأخذ معنا صدر هذا القرن الحادي والعشرين عَلى الأقل والله أعلم.

(٦)- **يجب أن يطلع المُجَاهد العقائدي عَلى تاريخ التَّجَارب الجهاديّة المعاصرة** ولو موجزاً، بعد الإطلاع العام عَلى تاريخ الصّحوة ومدارسها، فيعرف أسباب نجاح تلك التَّجَارب الجهاديّة وفشلها، كي يقتنع بأسلوب المُقاوَمة الّذي توصلنا إليه، ويكون لدي القدرة عَلى التطوير واختيار الأسلوب الّذي يناسب مرحلته، ولكي لا يكرر دُروس الفشل وأسباب الفشل، ولكي يعرف أنه سائر عَلى طريق سقط فيه عشرات آلاف الشّهداء، وعاني فيه عشرات آلاف الأسرى والمعذبين والمشردين، وليعرف قدر من أوصل إليه الرّاية، وفكرهم وتراثهم ومناهج عملهم وليسير عَلى بصيرة وخبرة، قد تولي الفَصل السَّادس والسَّابع من هذا الكتاب هذا الأمر وبه ختم الجزء الأوّل.

(٧)- **يجب أن يتسلح المُجَاهد العقائدي بعَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة الخاصّة ومنهج عمله الحَركيّ**، بعد أن أدرك ما سبق عَلى سبيل المعارف الحَركيّة والتارِيخيَّة السّياسيّة الشَّرعيَّة العامّة، وكما أسلفت يجب أن يبنى ذلك عَلى أساس متين من العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة بشمولها، القائمة عَلى أساس أركان الإِسْلَام والإيمان، ويجب أن يتولى غرس ذلك منهج تربوي متكامل أشرت إلى وجه مناحيه في أول هذا البَاب وسيتتولى البَاب الثّالث.

(٨) - **يجب أن يفهم المُجَاهد العقائدي أن صراعه هٰذا: (دِيني الحقيقة، سياسي الطابع، عسكريّ الوسيلة، أمني الأسلوب)**

وبالتالي فعليه أن يتسلح بعقيدته في هذه المُوَاجَهة وهذا سبقت الإشارة إليه، وعليه أن يفهم ويدرك الرابط بين ثوابت أصوليَّة المبادئ، وواقعية الحركة السّياسيّة ومعطياتها.

وهذه مهمة القيادات الجهاديّة، الّتي يجب أن تدرك نظريتها السّياسيّة، وتفهمها ما أمكن لمقاتليها، وعلى المقاتلين أن يسلموا لقياداتهم في إدارة هذه اللعبة السّياسيّة المتشابكة لهذه المُوَاجَهة، وهي أصعب ميادينها وأكثرها تعقداً، فإن الغالبيّة العظمى للانتصارات في هذا العصر تحسم سياسيّاً، وما الوسائل العسكريّة اليَوْم إلا لتدعيم بَرَامج السّياسيّات وتدعيم المواقف، فعلى قيادات المُقاوَمة أن تدرك واقع الأُمّة الضعيف اليَوْم، وتضع له سياسات من خلال فقه الواقع والضَّرورات وموازين المصالح والمفاسد، وهذا ما سيتولى البَاب الثّاني وضع بعض الخطوط عريضة فيه، ورسم معالم نظريتنا السّياسيّة، بعون الله وهديه إن شاء الله.

(٩)- ثمّ يجب أن يعرف المُجَاهد دور التّربية، وآفاقها المُتكامِلة، وأساليبها المناسبة، لأشير بأن دعوة المُقاوَمة دعوة للأداء الفَرديّ والجهد الفَرديّ، وسيلعب المُجَاهد العقائدي الدَّور الأساسي في بذل الجهد في تربية نفسه ومن معه، عَلى هذه المناهج والمعارف والعلوم الشَّرعيَّة والسّياسيّة والعسكريّة والأمنيّة الحَركيّة.

إن الموجه يستطيع أن يوجه المُجَاهد إلى النسك والعِبَادة والقرآن والذكر وقيام الليل ويضع له المنهج التربوي، ولكن علىَ المُجَاهد الإشراف علىَ تزكية نفسه وبذل الجهد، إذ يستطيع المرشد أن يرشده للمراجع والكتب وييسر له تناول الأبحاث، ولكن عليه أن يطلع ويتعلم بنفسه.

كما يستطيع المدرب أن يعده ويدربه، ولكن عليه أن يطور إمكانيَّات القتاليّة بنفسه.

ويستطيع الكتاب أن يرشده للجِهَاد ويحبب إليه الشّهَادة ويذكره بما أعداء الله له، ولكن عليه أن يتقدم ويعمل متوكلا علىَ الله.

إن دعوة المُقاوَمة دعوة تعلم الفرد المُجَاهد المسؤوليّة الأولى عن نفسه وعمن معه وعن الأمّة بكاملها.

وستتولى باقي الفصول مساعدته عَلى ذلك والله الموفق.

وهنا أنتقل إلى تحديد المحاور الأساسيّة في العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، وألخصها في نقاط موجزة:

العَقِيْدَة الجهاديّة

و

﴿ دستور دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ﴾

يرتكز دستور دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، وينطلق من أساسِيَّات العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة، وأحكام السّياسة الشَّرعيَّة، المنطلقة من خلال فهم الواقع السّياسيّ الحاضر للأمة، ومن خلال قاعدة درء المفاسد واستجلاب المصالح، وفقه الضَّرورات، واعتبار الأولويات، وأخذ المترتبات بعين الاعتبار، بناء عَلى فهم دقيق لواقع المُسلِمِين وواقع العالم من حولهم.

وسنورد هنا مختصراً عن أسس العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة لدعوة المُقاوَمة حيث ستشتمل الفقرة التّالية عَلى التفصيل والأدِلَّة الشَّرعيَّة لأهم هذه لأسس إن شاء الله.

- **المادّة ١:**

دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ليست حزباً، ولا تنظيماً، ولا جماعة محدودة محددة، فهي دعوة مفتوحة، هدفها هو دفع صائل القوى الاستعماريّة الصّليبيّة الصّهيونيّة الهاجمة عَلى الإِسْلَام والمُسلِمِين، ويمكن لأي تنظيم أو جماعة أو فرد اقتنع بمنهجها وأهدافها وطريقتها، الدخول فيها، بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر.

- **المادّة ٢:**

عَقِيْدَة دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، هيَ عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة بكافة مدارسهم ومذاهبهم الفقهيّة، وهي دعوة للتعاون مع كلّ المُسلِمِين الّذين يشهدون أن لَاإِلَهَ إِلَّا الله وأن محمّداً رسول الله، ويعتبرون أن القرآن كتابهم والكعبة قبلتهم، وأمة الإِسْلَام أمتهم.

فهي تجاهد مع أهل السّنّة، وتتعاون مع أهل القبلة، وتستعين بكل مخلص في نصرته للمسلمين في دفع هذا العدوّ الصّائل عليهم، من خلال ضوابط السّياسة الشّرعيَّة.

- **المادّة ٣:**

تعتقد دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة بمشروعية الجِهَاد مع كلّ بر وفاجر من أمراء المُسلِمِين وعامتهم، من أجل دفع صائل الكفّار عَلى المُسلِمِين وهذا من أسس العَقِيْدَة عند أهل السّنّة الجماعة.

- **المادّة ٤:**

تعتقد دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة أن الحملات الصّليبيّة الصّهيونيّة الهاجمة عَلى المُسلِمِين تتكون من تحالف يضم المكوّنات التّالية:

(١) – اليَهُوْد وقوى الصّهيونيّة العَالَمِيّة وزعمتها إسرائيل.

(٢) – قوى الصّليبيّة الدّولية، وزعيمتها أمريكا، ثمّ روسيا ودول حلف النّاتو ومن تحالف معهم من الدّول الصّليبيّة.

(٣) – قوى الرِّدَّة، وعلى رأسها الحكَّام والأنظمة القائمة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

(٤) – المُنَافِقين: وعلى رأسهم المؤسسات الدّينيّة الرّسميَّة وعلماء السُّلطَان، ومن تبعهم من فُقَهَاء النِّفَاق، وأجهزة الإعلام والأوساط الثَّقافيَّة الداعمة للأعداء في حملتهم عَلى المُسلِمِين.

وأن مختصر ومعادلة الصِّرَاع اليَوْم هو:

اليَهُوْد والصّهيونيّة وزعيمتها إسرائيل + الصّليبيّة العَالَمِيّة بقيادة أمريكا وبريطانيا ودول النّاتو وروسيا + الأنظمة المرتدّة وقوى العلمانيّة المحاربة للإسلام + المنافقون من علماء السُّلطَان وأصحاب الفكر المحارب للإسلام × قوى المُقَاوَمة المُسلّحة المُجَاهدة.

- **المادّة ٥:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة جِهَاد هذا الحلف الدّولي من اليَهُوْد والصّليبيّن والمرتدّين والمُنَافِقين، **فرض عين عَلى كلّ مسلم** يشهد أن لَاإِلَهَ إِلَّا الله وأن محمّد رَسُولُ الله، يثاب بأدائه ويأثم بتركه.

- **المادّة ٦:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة الجِهَاد المُسلّح والقتال (**جِهَاد السنان**) الوسيلة الأساسيّة لمُوَاجَهة الأطراف الثّلاثة الأولى من الحلف (اليَهُوْد والصّليبيّون والمرتدّون) ومن قاتل معهم، وتعتبر أن (**جِهَاد البيان**) والحجة والكلمة هو وسيلة مُوَاجَهة قوى النِّفَاق من علماء الاستعمار وفقهاء السّلاطين ووسائل إعلامهم.

- **المادّة ٧:**

تتخذ دعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة من قول الله تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النساء: ٨٤] شعارا لها، وتعتبر أن مقاتلة الغُزَاة وحلفائهم والدّعوة إلى ذلك فريضة في عنق كلّ مسلم، وتعتبر مبدأ ثابتا في حركتها وهو أن:

دعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة هيَ معركة الأُمّة المسلمة وليست صِرَاع النُّخبَة المُجَاهدة فقط.

- **المادّة ٨:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة كافّة أشكال تواجد أمريكا وحلفائها المحاربين لنا، في كافّة بلاد المُسلِمين اليَوْم أهداف مشروعة للجِهَاد، سواءً كانت تواجدا عسكريّاً أو دبلوماسيا أو اقتصادياً أو أمنيّاً أو ثقافيّاً أو مدنياً أو بأي شكل كانَ، وتطالبهم بالمغادرة وتنذر من بقي القتل والتصفية.

- **المادّة ٩:**

تعتبر دعوتنا كافّة حُكَّام بلاد المُسلِمين، الّذين يوالون أعداء المُسلِمين من الأمريكان وحلفائهم من اليَهُوْد والصّليبيّن، ويحكمون بلاد المُسلِمين بغير ما أنزل الله، ويشرعون لهم أحكاماً من دون الله، تعتبرهم كفارا مرتدين قد سقطت ولايتهم الشَّرعيَّة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ و﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧﴾ ولم يعد لهم حظ من قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ فقد أمرنا الله تَعَالَى بطاعة أولي الأمر ﴿مِنكُمۡ﴾ وهؤلَاءِ ما عادوا ﴿مِنَّا﴾، بل صاروا (**من أعدائنا**) وقد بين تَعَالَى ذلك فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ قَالَ كافّة أهل التفسير وأثبات العُلَماء، قالوا: ﴿مِنۡهُمۡ﴾ أي: [**كفار مثلهم**].

وكما في الحديث الصَّحِيح المتفق عليه، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قَالَ: دَعَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ»(١).وهل أشد بواحاً في الكفر من مُوالاة الأَعداء، ومظاهرتهم عَلى المُسلِمِين، وتمكينهم من ثغور المُسلِمِين، وإمدادهم بالعدد المدد لقتال الإخوة قي الدِّين ؟!

وهل أظهر في الخروج من ملة الإِسْلَام من حكم المُسلِمِين بشرائع الكفّار، وتبديل أديان الأُمّة ومناهجها وكل مقوّماتها طاعةً لهم، وقول الله تَعَالَى وسنة رسول الله ﷺ واضح في حكم خلعهم، والخروج عليهم، بل وقتلهم كما أمر ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(٢)، وهو ماسنسعى إليه بعون الله.

- **المادّة ١٠:**

تسقط دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، مشروعية أي عهد أو أمان أو معاهدة أو ذمة قدمها حُكَّام بلاد المُسلِمِين للكفار، وذلك بسبب ردتهم عن ملة الإِسْلَام وسقوط ولايتهم، ولأنهم أولياء لهم ومناصرون لهم عَلى المُسلِمِين، فلا شرعيّة لهم ولا لعهودهم وأمانهم ومعاهداتهم، إلى أن يقوم أئمة شرعيون، يؤمنونهم وفق مواثيق ومعاهدات شرعيّة وعلاقات متبادلة في إطار شريعتنا الإِسْلَاميّة.

- **المادّة ١١:**

كلّ من ظاهر أعداء المُسلِمِين الغُزَاة من الأمريكان وحلفائهم عَلى المُسلِمِين، فقاتل معهم وأعانهم عَلى المُسلِمِين بقتال أو دلالة أو مساعدة أو مشورة أو رأي ينصرهم به عَلى المُسلِمِين فهو مرتد كافر خارج من ملة الإِسْلَام، يجب قتاله أو يعود عن ذلك ويتوب إلى الله منه.

وما دام في فعله فله كلّ أحكام المرتدّين من انفساخ عقد زواجه، وانقطاع الميراث بينه وبين ذويه من المُسلِمِين، وعدم الصّلاة عليه، وعدم دفن في مقابر المُسلِمِين، وكل ما فصله فُقَهَاء من أحكام المرتدّ،

(١) متفق عليه، البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

(٢) البخاري: (٣٠١٧، ٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

وحكم قتال هَؤُلَاءِ بين الوجوب والجواز، وأما ممارسة ذلك فخاضع لقواعد المصالح والمفاسد، وليعلم كلّ مسلم أنه يرتد بهذا الفعل سواء قاتله المُجَاهدون أم تركوه،

- **المادّة ١٢:**

كلّ من ظاهر الحكّام المرتدّين وقاتل المُسلِمِين والمُجَاهدين معهم، من جنودهم وشرطتهم ورجال أمنهم وأعوانهم الّذين يدافعون عنهم ويأتمرون بأمرهم في قتل المُجَاهدين ومطاردتهم، لا نحكم بكفر كلّ أحد منهم عيناً، ويقاتلون عَلى أنهم طائفة ردة عامة بصرف النَّظر عن جاهلهم ومكرههم ومتأولهم، لاسيما وقد أدرك القاصي والداني والعالم والجاهل، وقوف أولئك الحكّام في خندق أمريكا وحلفائها ومحاربتهم لشباب المُسلِمِين المُجَاهد تحت رايتها وأمرها.

- **المادّة ١٣:**

دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، **دعوة جِهَاد للغزاة المُستَعمرين وأعوانهم، وليست دعوة تكفير للمسلمين**، فكل من شهد (أن لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله محمّد رسول الله) فقد عصم دمه وماله إلا بحقها وحسابه عَلى الله، وليس من مهام دعوة المُقاوَمة التّصَدّي لأعيان المُسلِمِين من الضُلال والمنحرفين وتكفيرهم وتبديعهم وتفسيقهم، فهذه مهمة من تأهل لذلك وانصرف لها من الدعاة والعُلَماء، وليست من أعمال المُقاوَمة المتجهة لحرب الصّائل.

- **المادّة ١٤:**

تتبنى دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة استراتيجية قتال جنود الإحتلال وكافة أشكال تواجد الدّول المحاربة للمسلمين ومصالحهم في بلاد المُسلِمِين هجوماً ودفاعاً وبكل أشكال المُقاوَمة المُسلّحة.

في حين تتبنى استراتيجية قتال رجال أمن حُكُومَات بلاد المُسلِمِين وجنودها وأعوانها دفاعاً عن النّفس فقط، رغم حِلّةِ قتالهم هجوما، وبكل وسيلة مشروعة دفعاً وطلباً، وذلك من أجل مصالح لا تخفى وتهدف إلى توحيد صف الأُمّة في وجه الغُزَاة الكفّار، والرفق مع جميع أبنائها، حتّى يتبين لهم الحقّ، ولكي يفيؤوا إلى صف أمتهم ويقاوموا عدوها، ومن أجل سد باب الفتن والاحتراب الداخلي دون طائل، ولقطع الطّريق عَلى من يقيم الحواجز بين المُجَاهدين وعامة الأُمّة من دعاة الضلالة وأجهزة إعلام الطواغيت.

ولذلك تدعو دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة قوى الجِهَاد والمُقاوَمة إلى تحاشي قصد رجال الجيش والشّرطة وقوى الأمن في بلادنا بالقتل، والاقتصار في ذلك عَلى عمليَّة الدّفاع عن النّفس، وتدعوهم لعدم قتل أسراهم وجرحاهم، والإحسان إليهم ودعوتهم بالحسنى للانضمام إلى صفوف الأُمّة في قتال أعدائها، كما تدعوا رجال الأمن والجيش والشّرطة إلى عدم طاعة قياداتهم في العدوان عَلى المُسلِمِين ومناصرة أعداء المُسلِمِين من الكفّار وتدعوهم إلى قتال أعدائهم الكفّار ورؤسائهم من كبار المرتدّين وليس إلى المُسلِمِين الأبرياء.

وهذا اجتهاد خاص بدعوتنا بناءً عَلى قواعد استجلاب المصالح ودفع المفاسد، واستفادة من تجاربنا الماضية، وهذا من المبادئ الحَركيّة الأساسيّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة بعد مبدأ جِهَاد المحتلين الغُزَاة بالسّلاح ومقاومتهم بكل وسيلة مشروعة ممكنة بكافة أشكالهم،

(أما أولئك الجنود العاملون مع قوَّات الإحتلال الكافرة، مثل الجيش والشّرطة في العراق وما شابهها، كالمحاربين للمسلمين في جيش الهند في كشمير، فهَؤُلَاءِ مرتدون يقاتلون قتال المحتلين.)

- **المادّة ١٥:**

تتبنى دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة مبدأ دفع الصّائل عَلى الدّين والنّفس والعرض والمال، ولو كانَ مسلماً لقوله ﷺ في الحديث الصَّحِيح: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[1]، وروي عنه ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[2]، وبهذا فهي تدعو المُجَاهدين والمقاومين إلى عدم تسليم أنفسهم إلى من قصدهم من عساكر الطواغيت وعملاء الإستعمار بالقتال والأذى، بل تدعوهم إلى قتالهم وقتلهم دفاعاً عن النّفس، والتزام سياسة الدّفاع هذه دو ن التّحول إلى جِهَادهم هجوماً كما أشرنا إلى ذلك آنفاً.

- **المادّة ١٦:**

(١) رواه أحمد (١٦٥٢) وصححه الأرنؤوط، وروى أبو داود نحوه (٤٧٧٢) وصحّحه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه النسائي (٤٠٩٣، ٤٠٩٦) وقال الألباني: صحيح- صحيح الجامع الصغير (٦٤٤٧).

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة كلّ حكومة يقيمها الاستعمار وقوى الاحتلال [من قبيل ما حصل في العراق (مثل مجلس الحكم) أو (الحكومة المعينة)]، تعتبرها حكومة احتلال بَاطِلة يجب جِهَادها وإسقاطها، وأقل ما يجب نحوها، اعتقاد عدم مشروعيتها، وعدم التّعاون معها، ولا تقبل أي اعتذارات في ذلك من قبيل ما يزعم من مصلحة البلاد والعِبَاد وتسيير أمور النّاس، وتعتبرها أعذارا بَاطِلة شرعاً، ومرفوضة عقلاً، فلا يأتي الإستعمار إلا بالشر ولا يرضى إلا عمن تبعوا ملته كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]

- **المادّة ١٧:**

لما كانت دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة تعتقد كفر الحكّام الحاكمين بغير ما أنزل الله، الموالين لأعداء المُسلِمِين وردتهم، مثل جميع الحكّام القائمين في بلاد المُسلِمِين اليَوْم، فإنها تعتبر الانتساب إلى مؤسسات حكومتهم وسلطاتها الثّلاثة:

- التنفيذية : الحكومة والوزارات.
- التَّشريعية: البرلمان أو مجلس الشعب أو مجلس الشورى.
- القضائية : المحاكم الحاكمة بغير ما أنزل الله.

عملا محرما، وفعلا من أفعال الكفر، يأثم صاحبه عَلى الأقل أو يكفر، وذلك بحسب مسؤوليته وجرمه، ونصيبه من العذر والتأويل، وسيأتي بيان ذلك في الشرح، في الفقرة التّالية إن شاء الله، وتدعوا كافّة المُسلِمِين عامة، والعُلَماء والإِسْلَاميّين خاصّة، إلى اجتناب الطّاغوت من أجهزة المُستَعمرين والمرتدّين، وتدعوهم أن لا يفتنوا المُسلِمِين بوجودهم في تلك الأجهزة الطّاغوتية.

- **المادّة ١٨:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة مبادئ الدِّيمقراطيَّة كفراً بالله تَعَالَى، ومعتقداً مناقضاً لمقتضيات شهادة أن لَاإِلَهَ إِلَّا الله، وتعتبر الدّعوة إليها وممارستها عملاً من أعمال الكفر، يأثم صاحبه، إثما قد يصل إلى خروجه من ملة الإِسْلَام، وذلك بحسب طبيعة اعتقاده بها، ونوع ممارسته لها، ونصيبه من أعذار الجهل أو التأول.

وهي تدعوا كافّة الإِسْلَاميّين إلى عدم السعي إلى المشاركة فيها والدّعوة إليها، سواءً بالتّعاون مع سلطات الإحتلال، أو سلطات الحكَّام المرتدّين، كما تدعوا المُسلِمِين إلى عدم المشاركة فيها، ومقاطعتها وعدم التصويت من خلالها لمصلح أو لمفسد، وتدعوا الإِسْلَاميّين ودعاة الإصلاح إلى النَّشاط من خلال المؤسسات الأهلية غير الحُكُوميّة، ومنظمات المجتمع المدني، في مختلف وجوه النَّشاط السّياسيّ والاجتماعي والثقافي وغيره، مما يهدفون إليه من الإصلاح، ومن غير الوقوع بالدناسة بدخول أجهزة الكفر، والغرض من ذلك اجتناب الطَّاغوت، وعزل شريحة الفساد والعمالة، اجتماعياً وسياسيّاً وعلى كلّ صعيد.

- **المادّة ١٩:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة جهود كلّ المخلصين في الصّحوة الإِسْلَاميّة ؛ الدعوية والإصلاحية والعلمية والدّينيّة، وغيرها، من الممارسات المشروعة شرعا، والَّتي تقوم بها كافّة مدارس الصّحوة من الدّعوة والتبليغ، والسّلفيّة، والإخوان المُسلِمِين، وحزب التحرير، وغير ذلك من مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة، وكذلك جهود العُلَماء والدعاة والمصلحين المستقلين، عَلى امتداد ومساحة طيف الصّحوة، جهوداً مشكورة لحفظ دين المُسلِمِين، وإصلاح أحوالهم، وتدعوهم جميعاً إلى التّعاون عَلى البر والتقوى ودعم المُقاوَمة، وتعتبر جهودهم في الدّعوة لدين الله دعماً وتقوية لجُذُور المُقاوَمة في الأُمّة، وحفظاً لمكوّناتها، وتدعوا الجميع إلى تجاوز نقاط الخلاف في هذه المَرحَلَة الّتي يتعرض فيها وجود المُسلِمِين كله إلى الخطر عَلى كافّة الصعد الحَضَاريَّة.

وتعيد التذكير بقناعتها، بأن مُجَاهدة القوى الصّليبيّة واليَهُوْدية ومن والاها وأعانها وقاتل معها بالجِهَاد المُسلّح، فريضة شرعيّة متعينة عَلى كلّ مسلم قادر من غير ذوي الأعذار الشَّرعيَّة، لا يسقط عنه فرض العين هذا ما يقوم به من أعمال البر والخير، مثلما لا تغني الزّكاة عن الصّلاة.

- **المادّة ٢٠:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة كلّ مسلم يقول (لَاإِلَهَ إِلَّا الله محمّد رَسُولُ الله) عَلى اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، ضمن دائرة الإِسْلَام العامّة الّتي دعاها الفقهاء (أهل القبلة)، وتعتبر الخلافات العقدية والمذهبية والطائفية مردها لأهل العلم للفصل فيها، وأن مجالات ذلك هيَ الحوار بالحق، والبيان

بالحكمة والموعظة الحسنة، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وتنهى عن الفتن والاقتتال بين المُسلِمِين، وتدعوا كلّ المُسلِمِين من أهل القبلة ؛ مذاهب وجماعات وأفراد، إلى التّعاون عَلَى دفع الصّائل وجِهَاد العدوّ الكافر الّذي يدهم بلاد المُسلِمِين، وتدعوا الجميع إلى نبذ دواعي الاحتراب الداخلي، الّذي لا يستفيد منه في مثل هذه الأحوال إلا العدوّ الكافر الغازي لبلاد المُسلِمِين.

- **المادّة ٢١:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة كافّة مبادئ المذاهب العلمانيّة من شيوعية واشتراكية وديمقراطية وقومية، وغير ذلك من أوجه الإنتماء الفكريّ والعقدي لغير ملة الإِسْلَام وهوية الإِسْلَام؛ تعتبرها دعوات كفر وضلالة، كلاً بحسبها وفق موازين الشّريعة، ولكنها تعتبر أن أكثر أتباع هذه المذاهب من أبناء هذه الأُمّة هم من المُسلِمِين الجهلة بدينهم المغرر بهم فكرياً، تبعاً لظروف التغريب الفكريّ والغزو الحضاري، الّذي تعرضت له الأُمّة، وكثير منهم يكن العاطفة لهذا الدّين، ويشعر بالاحترام لمكوّناته، كما يكن عداءً لقوى الاستعمار، وإرادَة عالية لمقاومة الغزو الخارجي، وتدعو دعوتنا كافّة مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة، وشرائح المُقاوَمة الإِسْلَاميّة المختلفة، إلى حسن الحوار والدّعوة في أوساط هذه الشرائح، كما تدعو كافّة القوى القوميّة والوطنيّة وكل الشرفاء في هذه الأُمّة إلى دراسة دينهم وفهمه عَلَى حقيقته، التّعاون عَلَى جِهَاد القوى الغازية الكافرة ومن يتعاون معها، والالتفاف جميعاً تحت شعار الإِسْلَام للدفاع عن المُسلِمِين ودينهم وحضارتهم.

- **المادّة ٢٢:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة كلّ مسلم قَالَ (**لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله محمّد رسول**)، معصوم الدَّم والمال إلا بحقها وحسابه عَلَى الله، وتعتبر دم المسلم من أقدس المقدّسات، وحفظه من أعظم الفرائض والأوامر الّتي شددت فيها الشّريعة الإِسْلَاميّة.

وتعتبر أن ما جاء في خطبة الوداع من قوله ﷺ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلَا تَرْجِعُنَّ

بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»(١)، دستوراً إلهياً ونصاً نبوياً قطعياً، يدعوا كلّ مسلم عامة، وكل مُجَاهد خاصّة إلى حفظ دم وعرض ومال كلّ مسلم.

وتدعوا كلّ مُجَاهد في سبيل الله يبذل جهده ونفسه وماله في سبيل الله ويجاهد الكفّار الغُزَاة من قوى الصّليبيّة والصّهيونيّة بحلفائها، إلى قول الله تَعَالَى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤]، وتدعوهم أن يتحاشوا أذى كلّ مسلم، وليتقوا الله ويتأملوا قوله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»(٢).

- **المادّة ٢٣:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة الطوائف الدّينيّة من غير المُسلِمين من المواطنين في بلادنا كالمسيحيين وغيرهم، مواطنين كفلت الشّريعة الإسْلَاميّة احترام حقوق مواطنتهم وسكنهم بين المُسلِمين في إطار قواعد شرعيّة معروفة مفصلة، يُتعامل بها معهم عندما يحكم شرع الله، وينصب الإمَام المسلم.

أما الآن فلا تعتبرهم دعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة هدفاً للجِهَاد، ما لم يتعاونوا مع الغُزَاة، وإنما الجِهَاد للقوى الغازية من القوى الصّليبيّة الصّهيونيّة ومن يتحالف معها.

حتَّى ولو ادعى الإسْلَام، وتدعو دعوة المُقاوَمة تلك الطوائف من المواطنين الأصليين إلى التعبير عن رفضهم للاستعمار والقوى الغازية، ودعوة أبناءها لعدم التّعاون معهم، كما تدعوا المُجَاهدين إلى عدم فتح معارك جانبية في مثل هذه المسائل الّتي تحول دون التركيز عَلى المنحي العام للمقاومة ودفع الصّائل.

---

(١) رواه البخاري (٦٧، ١٠٥، ١٧٤١..) ومسلم (١٦٧٩).

(٢) مسلم : (١٨٤٨).

- **المادّة ٢٤:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ساحة الجِهَاد الأساسيّة ضدّ أمريكا وحلفائها من الصّليبيّين والصهاينة هيَ بلاد المُسلِمِين، الّتي يحتلها هَؤُلَاءِ المُستَعمرون الغُزَاة بشكل مباشر أو غير مباشر، وفيها تتمركز قوّاتهم وقواعدهم العسكريّة، أو منها تعبر برّاً وبحراً وجوّاً، وفيها تتم عمليّات النهب والاستعمار الاقتصاديّ، وفيها تنتشر مختلف المؤسسات الاستعماريّة المختلفة من أمنيّة وسياسيّة وثقافية، وغير ذلك، وهي الأهداف الاستعماريّة الّتي يجب أن يستهدفها المُجَاهدون في طول العالم الإِسْلَاميّ وعرضه.

- **المادّة ٢٥:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة أن حربها أساسا هيَ مع حُكُومَات البلاد الّتي دخلت في حلف العدوان الصّليبيّ اليَهُوْدي الّذي تقوده أمريكا، وتعتبر كلّ دولة تشاركهم في المجهود الحَربي وتعينهم عَلى المُسلِمِين هدفاً للمقاومة، وفي مقدمتها حلف النّاتو الّذين يرتبطون بالتزامات دفاعية معها، وكذلك ضدّ كلّ دولة تعتدي عَلى المُسلِمِين في أي بلد أو مكان، وأما البلاد الكافرة الّتي لم تتورط في العدوان عَلى الإِسْلَام والمُسلمين، فهي ليست مجال حرب وقصد من قوى المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

- **المادّة ٢٦:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة حربها مع حُكُومَات الدّول المحاربة أساسا وليس مع شعوبها، وهي إذ تعتبر بلاد المُسلِمِين ساحة الجِهَاد والدّفاع الأساسيّة، تدعوا المُجَاهدين إلى ممارسة الجِهَاد ضدّ الحُكُومَات والدّول الاستعماريّة الغازية وحلفاءها في بلادها بضوابط سياسيّة شرعيّة تقتضيها أصول الشّريعة، وأحكام الجِهَاد، وبناءً عَلى نتائج مترتبات الأعمال من المصالح والمفاسد عَلى الإِسْلَام المُسلِمِين، ومن تلك الضوابط:

(١)- عدم ممارسة القِتَال والاستهداف العام في بلاد الدّول المحاربة إلا في حدود الردع والمعاملة بالمثل، وليس (هدفاً أساسياً وساحة قتال رئيسيَّة) فساحة الجِهَاد الأساسيّة هيَ الدَّفع في بلاد المُسلِمِين.

(٢)- تحاشى قتل نساء وأطفال الكفّار، وكذلك من جاءت نصوص الشّريعة بتحاشي قصدهم بالقتل، مثل الرهبان، ودور العِبَادة، وتحاشى قتل غير المحاربين من المدنيين إذا انفردوا ما أمكن.

والتركيز في حال عمليَّات الردع والمعاملة بالمثل في بلادهم عَلى الأهداف العسكريّة والسّياسيّة والاقتصاديَّة، مع مراعاة تحاشى من تقدم الإشارة إلى تحاشيهم ما أمكن.

- **المادّة ٢٧:**

تدعو دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة إلى تركيز جهد المُجَاهدين والتَّنظِيمات الجهاديّة وقوى المُقاوَمة لمُوَاجَهة الصّائل العدوان الخارجي، وعدم فتح مواجهات مع أنظمة الرِّدَّة والعمالة القائمة في بلاد المُسلِمِين في ثورات شاملة وفق التصوُّرات القديمة للتيار الجهاديّ، رغم قناعتنا بردتهم، والاقتصار عَلى استهداف كبار المرتدّين من أئمة الكفر لتعاونهم مع قوى الإحتلال والغزو الخارجي، والغرض من ذلك جمع الجهود عَلى دحر العدوّ الصّائل، الّذي ستنهار بعد النّصر عليه بإذن الله كافّة القوى العميلة التَّابعة له في بلادنا إن شاء الله.

- **المادّة ٢٨:**

تدعو دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة المُجَاهدين والمقاومين إلى عدم الانشغال في التّصَدّي بالقتال لمظاهر الفساد والفسوق والعصيان والبِدَع ومظاهر الإنحراف الدّينيّة... إلخ، في أوساط المُسلِمِين بأعمال جهاديّة، فهذه مظاهر لداء حكم الطَّاغوت الّذي تفرضه وتثبته قوى الكفر الغازية الخارجيّة الصّائلة، والانتباه لأمور ثلاثة هامة:

(١)- حرمة دم المسلم ولو كانَ فاسقاً عاصياً مهما تلبس به من ذلك ما لم يكفر.

(٢) - أن تنفيذ الحدود والأحكام الشَّرعيَّة عَلى مرتكبيها من أفراد المُسلِمِين هو للإمام الشَّرعيّ الممكن، وهو ليس موجود الآن، وإنما هدف المُقاوَمة بعد دفع الصّائل هو إقامته.

(٣) - أن الهدف الآن والفريضة الشَّرعيَّة الأولى، هو دفع الصّائل الكافر عن ديار المُسلِمِين.

- **المادّة ٢٩:**

تعتمد الحملات الصّليبيّة الغازية في بلادنا بالإضافة إلى القوى العسكريّة الداعمة لها المقاتلة معها عَلى دعامتين هامتين:

(١)- دعاة للاحتلال يرحبون بها ويدعون لأفكارها وحضارتها، ويندّدون بالإِسْلَام ودعاته.

(٢)- دعاة للانحلال والرَّذِيلة والفسق والمجون، ونشر الاختلاط والزنا والفواحش بدعوى الحريَّة الشَّخصيَّة، والعيش عَلَى النموذج الأمريكيّ.

وأكثر هَؤُلَاءِ هم من قطاع المثقفين والكتاب والمفكرين والفنانين والصحفيين والشعراء والأدباء، ورجال الإعلام.

وتدعو دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة المُجَاهدين، إلى تصفية كبار رؤوس هَؤُلَاءِ الدعاة الاستعماريّين ورؤوسهم، وكذلك كبار دعاة الرَّذِيلة والإنحلال الّذين يعملون عَلَى أن تشيع الفاحشة في اللذين آمنوا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ [التوبة: ١٢]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩]

وقال عزَّ من قائل: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١﴾ [الأحزاب]

فهذا الطابور الخبيث المنافق المجاهر بالكفر هم من أهمّ ركائز الإستعمار في بلادنا، ومن أهمّ العاملين عَلَى قطع جُذُور المُقاوَمة والانتماء لهذه الأُمّة، ونعيد التوضيح: المطلوب اغتيال (**كبار أئمة الكفر والفساد**)، وتصفية مؤسساتهم، وليس خدمهم والعاملون المرتزقة بالفجور معهم ولا أعيان فساق المُسلِمِين.

- **المادّة ٣٠:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الوجود الإسرائيلي الصّهيونيّ، في كلّ شبر وذرة تراب من أرض فِلَسطِين، وما جاورها من أراضي المُسلِمِين بَاطِلاً وغير شَرعِيّ، ومثل ذلك كلّ احتلال لأراضي المُسلِمِين أينما كانَ، وتعتبر دولة إسرائيل دولة غير شرعيّة، وكيان مُستَعمر دخيل يجب إزالته وتطهير وجه الأرض من وجوده.

ولا تعترف بأي معاهدة سلام، أو اتفاقية تفرط بأي حق من الحقوق الشَّرعيَّة للشعب الفلسطيني المسلم، وتعتبر المسألة الفلسطينية، قضية إسلاميّة وليست عربيَّة ولا فلسطينية فقط.

ولا تعترف بمشروعية السّلطة الوطنيّة الفلسطينية، وتعتبرها سلطة مارقة حكمها حكم كافّة الأنظمة العربيَّة والإِسْلَاميّة في الرِّدَّة، وتعتبر معظم أركانها الكبار مجموعة خونة وتجار دماء، وعملاء لليهود وعبيد لشهواتهم ومصالحهم.

وتعتبر أن الجِهَاد المُسلّح هو الحلّ الوحيد لتحرير فِلَسطِين، وتشد عَلى أيدي المُجَاهدين المُسلِمِين من المنظمات المُجَاهدة، وتدعوا كافّة المناضلين والمقاومين في المنظمات الفلسطينية المُسلّحة من القوميين والوطنيين واليساريين إلى الجِهَاد تحت شعار الإِسْلَام ونبذ مبادئ الكفر والضلالة الّتي أدت دائما وما زالت تؤدي إلى هزيمة الأُمّة، وإلى عدم قبول الشَّهَادة عند الله، قَالَ ﷺ «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»[١] «وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»[٢]، وتدعوا شباب فِلَسطِين أن لا يفرطوا بدمائهم بالعمل تحت تلك الرّايات الجَاهِليَّة، وإنما مع من رفع شعار الإِسْلَام والجِهَاد، لأن من مات ميتة جاهلية فهو في النار، ولا يبارك الله في عمله، وتدعوا المُسلِمِين في كلّ مكان إلى جِهَاد الصهاينة وأعوانهم وأشياعهم في فِلَسطِين وفي كلّ مكان.

- **المادّة ٣١:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة دعوة التطبيع مع اليَهُوْد والكيان السرطاني (إسرائيل)، دعوات بَاطِلة، وتعتبر من يدعوا إليها خائناً كافراً مرتداً عميلاً للاستعمار، وخاصة إذا كانَ من علماء المُسلِمِين المزعومين، أو حكامهم العملاء.

وتدعو المُجَاهدين في كلّ مكان إلى جِهَاد كافّة أشكال التطبيع، ومؤسساته، ورجاله ودعاته واستهداف كلّ منشآته السّياسيّة والثّقافيَّة والاقتصاديَّة... وغيرها، وتدميرها واغتيال القائمين عليها، والانتباه لعدم أذى المُسلِمِين خطأً أثناء ذلك.

- **المادّة ٣٢:**

(١) رواه البخاري (٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨) ومسلم (١٩٠٤) وأصحاب السنن.

(٢) رواه مسلم (١٨٤٨).

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة كافّة مؤسسات التنصير والتبشير الصّليبيّ في بلاد المُسلِمِين من أخطر مرتكزات الاستعمار وأخطر مكامن الفتنة للمسلمين، وتعتبرها أهدافاً مشروعة وتدعو المُجَاهدين إلى استهدافها وتدمير منشآتها، وتعتبر كلّ أمان وترخيص لهذه المؤسسات في بلاد المُسلِمِين ترخيصا بَاطِلا، وأمانا غير شَرعِيّ.

وتدعو المُجَاهدين والمقاومين إلى عدم الخلط بين هذه المؤسسات، وبين الكنائس ودور عبادة النّصَارى والمسيحيين من المواطنين المقيمين بين المُسلِمِين، وكذلك التميز بين مؤسسات التنصير والتبشير الأجانب، وبين رجال الدّين والرهبان المحليين المشرفين عَلى إدارة شؤون طوائفهم الدّينيّة، ولا يعملون في فتنة المُسلِمِين عن دينهم، ومعاونة الغُزَاة المُستَعمرين.

- **المادّة ٣٣:**

دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة دعوة أممية لا تعتبر هوية ولا انتساباً إلا إلى (لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله محمّد رَسُولُ الله)، بصرف النَّظر عن الجنس والقوم، أو اللون والوطن، أو اللغة، أو أي فارق.

وتعتبر ساحة عمل كلّ مُجَاهد ومقاوم حيث هو، وحيث يقيم ويتحرك، وحيث يكون أداؤه أجدى وأنفع وأنكى لأعداء الله.

- **المادّة ٣٤:**

يجري الآن إطلاق عمليَّة تطبيع مع الصّليبيّين والمُستَعمرين الأمريكان في بلاد المُسلِمِين، وهو تطبيع أشد خطراً بكثير من مسألة التطبيع مع إسرائيل والصّهيونيّة، حيث تتشعب مكوّنات هذه الظَّاهِرة اليَوْم في كافّة مجالات الحياة والنَّشَاطات السّياسيّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والعلمية والرِّيَاضية، وغير ذلك، مشاريع معلنة كثيرة وأخرى بأغطية شتّى ومن ذلك:

- <u>في المجال السّياسيّ:</u> العمل عَلى إنشاء مراكز ومؤسسات بإشرافهم مباشرة، في بلادنا وفي أمريكا، من أجل تخريج النخب السّياسيّة والفكريّة الّتي تحمل مشروعهم، لتقوم عَلى تلك المشاريع في غضون السَنَوات العشر القادمة للوصول لمراكز القرار والقيادة.

- <u>في مجال الاقتصاديّ:</u> مشاريع مشتركة (أمريكية - محليَّة) يقوم عليها رجال أعمال أمريكان ومؤسسات عملاقة ويشاركهم فيها رجال أعمال محليون وتجار وسماسرة.

- **في المجال العلمي**: إنشاء جامعات ومعاهد ومراكز بحث علمي (من قبيل ما أنشؤوه قبل فترة في (وادي عربة)، بالتّعاون مع الحكومة الأردنية والمؤسسات العلمية فيها وهو مشروع بين أمريكا وإسرائيل والأردن.

- **في المجال الثقافي**: إنشاء الكثير من المراكز الثّقافيَّة والفنية والرِّيَاضية وغيرها من وجوه النَّشَاط الثقافي بإشراف أمريكي ومشاركة محليَّة.

- **في المجال الاجتماعي**: نشر الكثير من المؤسسات تحت غطاء ومساعدات اجتماعيَّة ومراكز توعية تحت مزاعم الحريات، والأقليات، وحرية المرأة، ورعاية الطفولة، ونشر الدِّيمقراطيَّة، والمؤسسات الصحية...الخ.

وهذا الغزو الخطير الهائل أشد خطراً في تدمير الأُمّة وتفكيك مكوّناتها، من حملات (شوارزكوف، وفرانكس، وجون أبي زيد..)، وأساطيلهم العسكريّة.

وعلى المُجَاهدين والمقاومين استهداف هذه الأهداف كلها ونسفها وتصفية إداراتها الأجنبيّة، وكبار العاملين عليها محلياً، والانتباه جداً إلى تحاشي سفك دماء المُسلِمِين من روادها، وحتى العاملين فيها لأن أكثريتهم من المُسلِمِين الجهال بأهدافها ومقاصدها.

ويجب أن يرافق المجهود الحَربي في مُوَاجَهة مراكز التطبيع الصّهيونيّ والصّليبيّ، مجهود في التوعية يقوم به العُلَماء والدعاة بشكل مرادف لعمل خلايا المُقاوَمة في تدمير هذه الأهداف.

- **المادّة ٣٥:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة أن الأحكام الشَّرعيَّة للديار، هيَ كما بينها الفقهاء، عَلى ثلاثة أقسام:

أ- ديار الإِسْلَام: وهي البلاد الّتي تحكمها الشّريعة الإِسْلَاميّة.

ب- ديار الكفر: وهي البلاد الّتي تحكمها شرائع الكفر ولا تحكم بما أنزل الله.

ج- الحالة الخاصّة: وهي ديار الإِسْلَام الّتي غلب عليها حكم الكفّار، بعد أن كانت دار إسلام، ومازال أهلها مسلمون.

وعليه فإن الدِّيَار تنقسم في واقع العالم اليَوْم إلى أربعة أقسام بناءً ذلك:

١- ديار إسلام أهلها مُسلِمين:

وهي البلاد الّتي تحكمها شريعة الله وأكثر أهلها مسلمون، وهذا الصنف غير موجود اليَوْم وسيقوم قريباً بإذن الله.

٢- ديار إسلام أهلها كافرون:

وهي البلاد الّتي تحكمها شريعة الله وأكثر أهلها غير مُسلِمين، وهي كالبلاد الّتي فتحها المُسلِمُون الأوائل ولم يدخل أهلها في الإِسْلَام.

٣- ديار كفر أهلها مسلمون:

مثل حال جميع بلاد المُسلِمين الّتي تحكمها الأنظمة المرتدّة اليَوْم بقوانين الكفر، والمسلمون أكثرية شعوبها.

٤- ديار كفر أهلها كافرون:

مثل عموم بلاد الدُّنيَا غير بلاد العالم الإِسْلَاميّ اليَوْم.

ويترتب عَلى هذا اليَوْم أحكام شرعيّة كثيرة تجب معرفتها، نظراً لغياب الكيان السّياسيّ للمسلمين وعدم وجود الإِمَام المسلم، ومن أهمّ تلك الأحكام:

- أ - **للمسلم في أي من تلك الدِّيَار، في كلّ مكان ؛ حصانة الدَّم والمال والعرض** بشهادته أن (**لاإله إلا الله محمّد رسول الله**)، لا تخفز ذمته ولا يعتدي عليه.
- ب - **يجب العمل عَلى نصب الإِمَام المسلم في ديار المُسلِمين** وطاعته في المعروف حيث وجد.
- ج - **ليس للحكام بغير ما أنزل الله في ديار المُسلِمين اليَوْم أي شرعيّة وأي طاعة** وأي ذمة أوأمان، ويحرم التّعاون معهم وجباية الأموال إليهم طوعاً، ويجب التقرب إلى الله بعصيانهم، والعمل عَلى خلعهم، واستبدالهم بالإمام المسلم حيث أمكن ذلك، وتوفرت القدرة علية.
- **المادّة ٣٦:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة إقامة المسلم في بلاد الكفّار، وبين ظهراني المشركين محرمة إلا لضرورة، وقد جاءت نصوص السنة الصَّحِيحة الصريحة المفصلة بالنهي عن ذلك.

ففي الحديث الحسن الّذي رواه أبو داوود عن سمرة مرفوعا: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»(١)، وفي الحديث الحسن الّذي رواه النسائي: «لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ يُشْرِكُ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا، أَوْ يُفَارِقُ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ»(٢).

وعن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «بَرِئَتِ الذِّمَّةُ مِمَّنْ أَقَامَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي دِيَارِهِمْ»(٣).

وقد ترتب عَلى إقامة المُسلِمِين هناك مفاسد عظيمة عليهم في دينهم ودين ذراريهم، واليوم تشتعل الحَرب الصّليبيّة، وتجاهد سَرايا المقاومين المُجَاهدين في سبيل الله جُيُوش الصّليبيّين في بلادنا، وتصل عمليّاتها إلى بلادهم، وقد ترتب عَلى هذا ردود فعل من تلك المجمعات أدت إلى ظلم المُسلِمِين وتعرضهم للفتنة في دينهم ومظاهره وحجاب نسائهم، وقد صار بعض المُسلِمِين يميلون إلى ترك أساسِيَّات من دينهم خوفاً من الكفّار، ويظهرون موالاتهم لهم، والبَرَاءة من المُجَاهدين في سبيل الله، وبناء عَلى ذلك:

تدعو دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة المُسلِمِين المقيمين في بلاد الغرب وديار الكفر والكافرين إلى أمرين اثنين:

أولاً: **الهِجرَة من بلاد الكفر والشرك إلى بلاد المُسلِمِين**، ولو أدى ذلك إلى خسارة في الأمور الدنيوية، والتعرض لظلم حُكُومَات الرِّدَّة، فإن مصلحة حفظ الدّين ودين الأبناء، مقدمة عَلى حفظ الدُّنيَا ورفاه العيش، لمن لم يكن مضطرا أمنيّاً لذلك.

ثانياً: تذكر دعوة المُقاوَمة كلّ مسلم مقيم في ديار الغرب **وحتى من أهلها الأصليين**، بأن فريضة **جِهَاد حُكُومَات** تلك الدّول الكافرة الغازية الداخلة في حلف الأمريكان واليَهُوْد، هو **فرض عين عليه**، مثله مثل كلّ مسلم في كلّ مكان، وأداؤه أسهل عليه من المُجَاهدين غير المقيمين الّذين يقصدون تلك البلاد لردع حُكُومَاتها عن العدوان عن المُسلِمِين، فعليهم مقاومة تلك الحُكُومَات وجِهَادها وضرب

(١) رواه أبو داود (٢٧٨٧) وضعف إسناده الأرنؤوط، وصححه الألباني.

(٢) رواه النسائي (٢٤٣٦) وابن ماجة (٢٥٣٦) وأحمد (٢٠٠١١، ٢٠٠٣٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٢٦٢) والبيهقي في الكبرى (١٧٧٥٠) وحسنه الألباني: صحيح الجامع (٢٨١٨).

مصالحها واستهداف حكامها وقواها السّياسيّة والاقتصاديَّة، بضوابط أحكام الشّريعة والتميز بين من يستحق الاستهداف ومن لايستحقه.

ونكرر لهم النذير، إن كلّ مسلم مسؤول أمام ربه عن دينه ودين عياله، وحفظ أنفسهم وأعراضهم فالسَّلامة السَّلامة، والنجاة النجاة، فلا توردوا أنفسكم موارد الهلاك.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر].

انتهى.

****

ثالثاً: تفاصيل وأدلة شرعيّة في بعض النقاط الأساسيّة للعَقِيْدَة الجهاديّة لدعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة.

- أولاً: بلاد الإِسْلَام اليَوْم في حالة احتلال مباشر أو غير مباشر من قبل الأَعدَاء، وجِهَادهم فرض عين عَلى المُسلِمِين بالإجماع.
- ثانيا: حُكُومَات بلاد المُسلِمِين اليَوْم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله، وولائها للكفار وخيانتها لله ورسوله والمُؤمِنِين.
- ثالثا: الخروج عَلى الحاكم إن ارتد عن الإِسْلَام أو كانَ كافرا فرض عَلى المُسلِمِين بالإجماع.
- رابعا: أحكام الشّريعة الإِسْلَاميّة تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون مع الكفّار وأعانهم عَلى المُسلِمِين وتوجب قتاله.
- خامسا: أحكام الشّريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصّائل عَلى دين المُسلِمِين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم، حتَّى ولو كانَ مسلما.
- سادسا: أحكام الشّريعة تقرر حرمة دماء وأموال وأعراض المُسلِمِين، وتقرر أن جميع أشكال تواجد المعتدين الكفّار (دماءهم وأموالهم) في كلّ مكان حلال هدر للمسلمين.
- سابعا: وجوب نصرة المُسلِمِين في الدّين إن اعتدى الكفّار عليهم بصرف النَّظر عما تلبسوا به من المعاصي والنقائص، والجِهَاد المشروع قائم مع كلّ بر وفاجر من أئمة المُسلِمِين وعامتهم.
- ثامنا: مسألة الدِّيمقراطيَّة وتجارب حركات الصّحوة الإِسْلَاميّة فيها.
- تاسعا: مسألة الخلاف العقدي والمذهبي ضمن أهل السّنّة.
- عاشرا: مسالة (التَّكفِير)، أحكام التَّكفِير العامّة، وقضية تكفير المعين.

ولنتناول هذه الأحكام بشيء من التفصيل في أدلتها:

أولا: بلاد الإسْلَام في حالة احتلال وعدوان وغزو من قبل الأعدَاء، وجِهَاد الغُزَاة اليَوْم فرض عين علىَ المُسلِمِين بالإجماع:

كما أثبتنا في الفَصل الأوّل تحت عنوان (واقع المُسلِمِين اليَوْم) فإنه قد صار من المسلم به اليَوْم لدى كلّ عاقل مبصر، أن بلادنا كلها من أقصاها إلى أقصاها محتلة إما مباشرة من قبل الأَعدَاء، وإما بالنيابة

من قبل نوابهم المرتدّين، مع تواجد عسكريّ كثيف للصليبيين بانتشار قواعدهم في جميع أرجائها، مع احتلال اقتصادي كامل عبر سيطرة الاحتكارات الاقتصاديَّة، وبانتشار شبكات استخباراتهم ومراكزهم الأمنيّة.

وهاهي أمريكا اليَوْم تعيد احتلال العالم الإِسْلَاميّ من جديد جهارا نهارا، فقد احتلت أفغانستان مباشرة، وبسطت سيطرتها عَلى باكستان ووسط آسيا، وهاهي قد احتلت العراق، ووزعت مئات آلاف الجنود في جَزِيرَة العَرَب وتركيا وجنوب الشّام فضلا عن ما تنشره في مصر والقرن الإفريقي وشمال أفريقيا وما حول هذه المناطق من بحار، وهاهو بوش يعلن أنه يقود عَلى بلاد المُسلِمِين حملة صليبيّة ومعه حلفائه في حلف النّاتو من البلاد الأوروبية بالإضافة للحليف الرَّئيسي (إسرائيل) الّتي تحتل فِلَسطِين، وتستعد لهدم المَسجِد الأقصى وطرد من تبقى فيها من المُسلِمِين.

فما حكم الشّريعة في مثل هذه الأحوال؟ وماذا تفرض أحكام الدّين عَلى كلّ مسلم تجاهها؟

الجِهَاد عبادة وفريضة، فرضها الله عَلى المُسلِمِين، وهي ثابتة بتواتر الآيات في كتاب الله والأحاديث في سنة رسول الله ﷺ بما يغني عن إيراد الشواهد هنا، فهي أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر.

جاء في كتاب (الدّفاع عن أراضي المُسلِمِين أهمّ فروض الأعيان) للشيخ المُجَاهد الشّهيد عبدالله عزام شيخ المُجَاهدين العَرَب في أفغانستان أيّام جِهَاد الرُّوس رَحِمَهُ الله ما نقتطف منه ما يلي:

(وجِهَاد الكفّار نوعان:

١- جِهَاد الطلب (طلب الكفّار في بلادهم) بحيث يكون الكفّار، لا يحتشدون لقتال المُسلِمِين، فالقتال فرض كفاية، وأقل فرض الكفاية سد الثُّغُور بالمُؤمِنِين لإرهاب أعداء الله...الخ.) ثمّ قَالَ رَحِمَهُ الله وهو مكان الشاهد:

٢- جِهَاد الدَّفع (دفع الكفّار من بلادنا) وهذا يكون فرض عين، بل أهمّ فروض الأعيان، ويتعين في حالات:

أولاً: إذا دخل الكفّار بلدة من بلاد المُسلِمِين.

ثانياً: إذا التقى الصفان وتقابل الزّحفان.

ثالثاً: إذ استنفر الإِمَام أفرادا أو قوما وجب عليهم النَّفِير.

رابعاً: إذا أسر الكفّار مجموعة من المُسلِمِين).

ثمّ تحدث الشَّيْخ عبدالله رحمه الله عن الحالة الأولى وهي نزول الكفّار في أرض من أراضي المُسلِمِين فقال:

(ففي هذه الحالة اتفق السَّلَف والخلف وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثون والمفسرون في جميع العصور الإِسْلَاميّة إطلاقا، أن الجِهَاد في هذه الحالة يصبح فرض عين عَلى أهل هذه البلدة الّتي هاجمها الكفّار، وعلى من قرب منهم، بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه، فإن لم يكف أهل تلك البلدة أو قصروا، أو تكاسلوا، أو قعدوا، يتوسع فرض العين عَلى شكل دوائر، الأقرب فالأقرب، فإن لم يكفوا أو قصروا، فعلى من يليهم ثمّ من يليهم، حتَّى يعم فرض العين الأرض كلها).

ثمّ أوجز الشَّيْخ رحمه الله مختصر الأدِلَّة عَلى ذلك عند مذاهب أهل السّنّة وعلمائهم فقال:

أولاً: **فُقَهَاء الحنفية:**

قَالَ ابن عابدين في حاشيته: **[وَفَرْضُ عَيْنٍ إنْ هَجَم العدوُّ عَلَى ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ، فَيَصِيرُ فَرْضَ عَيْنٍ عَلَى مَنْ قَرُبَ مِنْهُمْ، فَأَمَّا مَنْ وَرَاءَهُمْ بِبُعْدٍ مِنْ الْعَدُوِّ فَهُوَ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَسَعُهُمْ تَرْكُهُ إذَا لَمْ يُحْتَجْ إلَيْهِمْ فَإِنْ احْتِيجَ إلَيْهِمْ بِأَنْ عَجَزَ مَنْ كَانَ يَقْرُبُ مِنْ الْعَدُوِّ عَنْ الْمُقَاوَمَةِ مَعَ الْعَدُوِّ أَوْ لَمْ يَعْجِزُوا عَنْهَا، لَكِنَّهُمْ تَكَاسَلُوا وَلَمْ يُجَاهِدُوا فَإِنَّهُ يُفْتَرَضُ عَلَى مَنْ يَلِيهِمْ فَرْضَ عَيْنٍ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، لَا يَسَعُهُمْ تَرْكُهُ ثُمَّ وَثُمَّ إلَى أَنْ يُفْتَرَضَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا عَلَى هَذَا التَّدْرِيجِ]**[1] إهـ.

وبمثل هذا أفتى الكاساني في بدائع الصنائع[2]، وكذلك ابن نجيم في البحر الرائق[3]، وكذلك ابن الهمام في فتح القدير[4] من أئمة الأحناف.

ثانياً: **عند المالكية:**

---

(١) حاشية بن عابدين (٤/ ١٢٤).

(٢) بدائع الصنائع (٧/ ٩٧).

(٣) البحر الرائق (٥/ ٧٨).

(٤) فتح القدير (٥/ ٤٤٢).

جاء في حاشية الدسوقي، الجزء الثّاني ص ١٧٤: [ويتعين الجِهَاد بِفَجْءِ الْعَدُوِّ: أي تَوَجَّهَ الدَّفْعُ بفجئ (أي مفاجأة) عَلى كلّ واحد وإن امرأة أو عبداً أو صبياً، وَيَخْرُجُونَ وَلَوْ مَنَعَهُمْ الْوَلِيُّ وَالزَّوْجُ وَالسَّيِّدُ وَرَبُّ الدَّيْنِ].

ثالثاً: عند الشّافعية:

جاء في نهاية المحتاج للرملي، في الجزء الثّامن الصفحة ٥٩: [فَإِنْ دَخَلُوا بَلْدَةً لَنَا أَوْ صَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَنَا دُونَ مَسَافَةِ الْقَصْرِ، فَيَلْزَمُ أَهْلَهَا الدَّفْعُ، حَتَّى عَلَى مَنْ لَا جِهَادَ عَلَيْهِ مِنْ فَقِيرٍ وَوَلَدٍ وَمَدِينٍ وَعَبْدٍ وَامْرَأَةٍ].

رابعاً: عند الحنابلة:

جاء في المغني لابن قدامة[1]: [وَيَتَعَيَّنُ الْجِهَادُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ:

١. إذَا الْتَقَى الزَّحْفَانِ، وَتَقَابَلَ الصَّفَّانِ.
٢. إذَا نَزَلَ الْكُفَّارُ بِبَلَدٍ، تَعَيَّنَ عَلَى أَهْلِهِ قِتَالُهُمْ وَدَفْعُهُمْ.
٣. إذَا اسْتَنْفَرَ الْإِمَامُ قَوْمًا لَزِمَهُمْ النَّفِيرُ مَعَهُ].

يقول شيخ الإسْلَام ابن تَيمِيّة: (وَأَمَّا قِتَالُ الدَّفْعِ فَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ دَفْعِ الصَّائِلِ عَنْ الْحُرْمَةِ وَالدِّينِ فَوَاجِبٌ إجْمَاعًا فَالْعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ أَوْجَبَ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ دَفْعِهِ فَلَا يُشْتَرَطُ لَهُ شَرْطٌ بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ)[2].

ويقول ابن تَيمِيّة : (وَإِذَا دَخَلَ الْعَدُوُّ بِلَادَ الْإِسْلَامِ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَجِبُ دَفْعُهُ عَلَى الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ إذْ بِلَادُ الْإِسْلَامِ كُلُّهَا بِمَنْزِلَةِ الْبَلْدَةِ الْوَاحِدَةِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ النَّفِيرُ إلَيْهِ بِلَا إذْنِ وَالِدٍ وَلَا غَرِيمٍ، وَنُصُوصُ أَحْمَدَ صَرِيحَةٌ بِهَذَا)[3].

ثمّ أضاف الشَّيْخ عبدالله عزام إثر هذه الأدِلّة قوله: [وهذا يعرف بالنَّفِير العام ثمّ قَالَ وأدلة النَّفِير العام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة].

(١) المغني لابن قدامة (٩/ ١٩٧).

(٢) الفتاوى الكبرى (٥/ ٥٣٨).

(٣) المرجع السابق.

وقد جاءت الآية قبلها ترتب العذاب والاستبدال جزاءً لترك النَّفِير، ولا عذاب إلا عَلَى ترك واجب أو فعل حرام، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة].

قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: [أمر الله تَعَالَى بالنَّفِير العام مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الرُّوم الكفرة من أهل الكتاب وقد بوَّب البُخارِيّ رَحِمَهُ اللهُ: "باب وجوب النَّفِير وما يجب من الجِهَاد والنِّيَّة" وأورد هذه الآية، وكان النَّفِير العام بسبب أنَّه ترامى إلى أسماع المُسلِمِين أنَّ الرُّوم يعدُون عَلَى تخوم الجَزِيرَة لغزوِ المدينة، فكيف إذا دخل الكفّار بلاد المُسلِمِين، أفلا يكون النَّفِير أولى؟ قَالَ أبو طلحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في معنى قوله تَعَالَى: ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، كهولاً وشبابًا ما سمع اللهُ عذر أحد][1] وقال الحسن البصريّ: "في العسر واليسر".

ويقول ابن تَيميّة في الجزء ٢٨ ص ٣٥٨: [فَأَمَّا إذَا أَرَادَ الْعَدُوُّ الْهُجُومَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ يَصِيرُ دَفْعُهُ وَاجِبًا عَلَى الْمَقْصُودِينَ كُلِّهِمْ وَعَلَى غَيْرِ الْمَقْصُودِينَ؛ لِإِعَانَتِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ﴾ [الأنفال: ٧٢] وَكَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِنَصْرِ الْمُسْلِمِ وَسَوَاءٌ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ الْمُرْتَزِقَةِ لِلْقِتَالِ أَوْ لَمْ يَكُنْ، وَهَذَا يَجِبُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ مَعَ الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ وَالْمَشْيِ وَالرُّكُوبِ كَمَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَمَّا قَصَدَهُمْ الْعَدُوُّ عَامَ الْخَنْدَقِ لَمْ يَأْذَنْ الله فِي تَرْكِهِ لِأَحَدٍ] وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: خَرَجَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ إِلَى الْغَزْوِ وَقَدْ ذَهَبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ عَلِيلٌ، فَقَالَ: (اسْتَنْفَرَ الله الْخَفِيفَ وَالثَّقِيلَ، فَإِنْ لَمْ يُمْكِنِّي الْحَرْبُ كَثَّرْتُ السَّوَادَ وَحَفِظْتُ الْمَتَاعَ)[2].

ثمّ يتابع الشَّيْخ عبدالله عزام رَحِمَهُ اللهُ أدِلّة النَّفِير العام فيقول:

١. **ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة]، قَالَ ابن العربيّ:" كافّة" يعنى محيطين بهم من كلّ جانب وحالة[3]

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني: (٢/ ١٤٤).

(٢) القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: (٨ / ١٥٠).

(٣) رواه القرطبي في الجامع: (٨ / ١٣٦).

٢. **ويقول عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] **الْفِتْنَةُ هي الشِّرْكُ**، كما قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالسُّدِّيُّ(١)، وعند هجوم الكفار، واستيلائهم عَلى الدِّيَار فالأُمّة مهدّدة في دينها، وعرضة للشكّ في عقيدتها، فيجب القِتَال لحماية الدّين والنّفس والعرض والمال.

قَالَ ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»(٢) فيجب النَّفِير إذا استنفرت الأُمّة، وفي حالة هجوم الكفّار فالأُمّة مستنفرة لحماية دينها، ومدار الواجب عَلى حاجة المُسلِمِين واستنفار الإِمَام، كما قَالَ ابن حجر في شرح هذا الحديث، جاء في فتح الباري (الجزء٦- ص٣٩)، قَالَ القرطبيّ: (**كلّ مَن عَلِمَ بضعف المُسلِمِينَ عن عدوّهم وعلمَ أنّه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضاً الخروج إليهم**)، قَالَ الإِمَام الجصاص في أحكام القرآن(٣): (**وَلَا نَعْلَمُ خِلَافًا أَنَّ رَجُلًا لَوْ شَهَرَ سَيْفَهُ عَلَى رَجُلٍ لِيَقْتُلَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ أَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَتْلَهُ**)، وفي هذه الحالة – الصِّيال – إذا قتل الصّائل فهو في النّار ولو كانَ مسلماً، وإذا قتل العادل فهو شهيدٌ، هذا حكم الصّائل، فكيف إذا صال الكفّار عَلى أرض المُسلِمِين، حيث يتعرَّض الدّين والعرض والنّفس والمال للذّهاب والزّوال؟! ألا يجب في هذه الحالة عَلى المُسلِمِين دفع الصّائل الكافر والدّولة الكافرة.

٣. **قتال الفئة الباغية: يقول الله عَزَّ وَجَلَّ** ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات]، فإذا فرض الله علينا قتال الفئة الباغية المسلمة حفاظاً عَلى وحدةِ كلمةِ المُسلِمِينَ وحمايةِ دينها وأعراضها وأموالها، فكيف يكونُ الحكمُ في قتالِ الدّول الكافرة الباغية؟ أليس هذا أولى وأجدر.

٤. **حدُّ الحرابة: قَالَ تَعَالَى:** ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ

---

(١) ذكره القرطبي في الجامع: (٢/ ٢٥٤).

(٢) رواه البُخَارِيّ (١٨٣٤) ومسلم (١٣٥٣) وأصحاب السنن.

(٣) أحكام القرآن للجصاص: (٤/ ٤٦).

﴿فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المائدة]، هذا حكم المحاربين من المُسلِمِين الّذين يخيفون عامَّة المُسلِمِينَ ويُفسدون في الأرضِ ويعبثون بأموالِ النّاس وأعراضهم، فكيف بالدّول الكافرة الّتي تُفسِدُ عَلى النّاسِ دينَهم ومالَهم وعرضَهم، أليسَ قتالها أوجب عَلى المُسلِمِين وأحرى؟!

هذه بعض الأدِلَّة والمبرِّرات للنَّفير العام، إذا دخل الكفّار أرض المُسلِمِين، أن دفع العدوّ الكافر هو أوجب الواجبات بعد الإيمان]، انتهى النقل عن كتاب الدّفاع عن أراضي المُسلِمِين، باختصارٍ طفيف.

وأقول: فإذا تأملنا أحوال المُسلِمِين اليَوْم، لوجدنا أن الجِهَاد قد تعين عليهم من الوجوه الأربعة، في كلّ الأرض، وأوضح وجوه فرضيته هو البَاب الأوّل (وهو نزول الأَعدَاء في أكثر بلاد المُسلِمِين).

فما من بلد من بلاد المُسلِمِين اليَوْم، إلا وهو محتل من قبل أنواع الكفّار، من اليَهُوْد كبلاد فِلَسطِين وأجزاء من بلاد الشّام، أو من قبل الصّليبيّن، كبلاد البوسنة والبلقان، والشِّيشَان والقفقاس، والجمهوريّات الإِسْلَاميّة في وسط آسيا والفلبين...وغيرها، أو من قبل الوثنيين مثل كشمير الّتي يحتلها الهندوس وتركستان الشرقية وأجزاء من جنوب شرق آسيا الّتي تحتلها الصين، وغير ذلك.

وكل هذه البلاد قد عجز أهلها ومن جاورهم، ثمّ من جاورهم، ثمّ جميع من تلاهم وجاورهم، عجزوا أو تكاسلوا أو فرطوا، فعمت الفريضة العينية بالجِهَاد كلّ أهل الإِسْلَام،

وأما باقي البلاد الإِسْلَاميّة والعربيَّة، بما فيها عقر دار الإِسْلَام وكعبتهم، ومسجد نبيهم ﷺ، فمحتلة بصورة غير مباشرة من قبل الصّليبيّن واليَهُوْد، بنيابة الحكَّام المرتدّين، وأعوانهم المُنَافِقِين الّذين وضعوا جُيُوشهم في خدمة الكفّار، بزعامة أمريكا وسيدتها إسرائيل وحلفائهم الصّليبيّن، الّذين ملؤوا البلاد بالقواعد العسكريّة البرية والبحرية والجوية، واحتلوا البلاد بهذه الطَّريقة الحديثة، بتجميع قوَّاتهم فيها في قواعد مركزة، بدل نشرها، واكتفوا بنشر المرتدّين لجُيُوشهم من المُنَافِقِين والجهال والمكرهين والضائعين، الّذين يقومون بدور المحتل بالنيابة، حيث يخرج الصّليبيّون قوّاتهم من مراكزها وقت الحاجة، ويكفى أن نعلم أن لأمريكا وحلفائهم الصّليبيّن فوق أرض جَزِيرَة العَرَب أكثر من مائتي ألف جندي، وسلاحا وعتادا مخزّنا يكفي لمليون جندي، يمكن نقلهم خلال أسابيع وقت الحاجة، وبهذه الطَّريقة الخبيثة، بتجميع القوَّات في قواعد مركزية، والاعتماد عَلى قوّات المرتدّين في الخدمات التفصيلية،

يتفادى المحتلون الجدد استفزاز المُسلِمِين للجِهَاد، ويسمحون للحكام المرتدّين بادعاء الإستقلال، ولعلماء السّلاطين بصرف النّاس عن الجِهَاد ودعوتهم لطاعة أولياء الأمور المرتدّين!

فالمآل واحد، فالبلاد محتلة، والثّروات منهوبة، والكافرون يسومون المُؤمِنِين ألوان الذّلّ والهوان عَلى أيدي أعوان المرتدّين، وشريعة الله معطلة، وكلمة الكفّار هيَ العليا، والصّالحون نزلاء السّجون وأقبية التعذيب، والناظر في أحوال بلاد الحرمين والشّام ومصر وشمال أفريقيا وتركيا والباكستان وأفريقيا وأسبابها يرى ذلك بأوضح صوره.

وأما إذا جئنا للبند الثّاني من فريضة الجِهَاد العيني، وهي (التقاء صف المُؤمِنِين بصف الكافرين)، لوجدناها متحققة في كلّ بلاد المُسلِمِين بأشرس صورها، ولكن بصورة خبيثة أيضا، فقد نشر الكافرون الصّليبيّون، والكفار المرتدّون، قوّاتهم ورصوا صفوفهم وأكدوا حضورهم في كلّ شبر من بلاد المُسلِمِين، عبر مئات الآلاف من الجيش والشّرطة والإستخبارات ورجال الأمن والجواسيس والمخبرين، ناهيك عمن ذكرنا من آلاف الجنود الصّليبيّيّن المجمعين في مراكزهم وقواعدهم العسكريّة في كلّ بلد، بحيث أنه ما من مسلم يقف موقف الدّفاع عن دينه والالتزام به والدّفاع عن قضايا أمته، إلا وتخطفته أيدي تلك العساكر وترصدته عيون أولئك الجواسيس!! فهل التقى صف الكافرين بصف المُؤمِنِين أم ليس بعد؟ أم يحتاج مَشَايخنا حتَّى يبصروا ذلك ويفتون به، أن يتجمع كلّ أولئك العساكر والمخابرات والجواسيس في صف واحد أمام المساجد وأمام أبوب بيوتهم؟!

وأما إذا جئنا إلى البند الثّالث وهو (استنفار الإِمَام) فلله المشتكى وله الحمد عَلى كلّ حال، فليس للمسلمين عَلى وجه الأرض اليَوْم إمام شَرعِيّ واحد، وما فيهم اليَوْم إلا محارب لله ورسوله ساع في الأرض الفساد، فكلهم معتمد عَلى ألوان الكفّار من اليَهُوْد الصّليبيّيّن والوثنيين، ومن اشترى ذمتهم من المُنَافِقِين، فليس هناك إمام شَرعِيّ يستنفر للجِهَاد، بل هناك أئمة الكفر والردة يستنفرون الأراذل عَلى المُؤمِنِين!! فهل سقط الجِهَاد لغياب الإِمَام الشَّرعيّ؟! فمن يدفع الصّائل اذن؟

والحقيقة أن حجة الله قد قامت عَلى عباده المُسلِمِين في أكثر بلاد الدُّنيَا، فما من بلد من بلاد المُسلِمِين إلا وقام فيه دعاة للهدى، من علماء عاملين، أو دعاة صادقين أو أمراء جِهَاد مخلصين، دعوا النّاس للجِهَاد والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، واستنفروهم، وحتى لو خلا بلد من البلاد عن مثل هَؤُلَاءِ

الأئمة، وأمراء الجِهَاد الصّالحين، عَلى فرض ذلك، فأمة الإِسْلَام واحدة، ولا إعتبار من وجهة نظر الإِسْلَام للحدود الّتي رسمها الصّليبيّون بين بلادنا، وما اخترعوه من جنسيات وتابعيات وأعلام وجوازات سفر، فأمة الإِسْلَام واحدة وتبقى واحدة، ولم تخل عن أمراء جِهَاد دعوا المُسلِمِين واستنفروهم، وعلى المُسلِمِين إجابتهم والنَّفِير معهم لدفع الصّائل، ومن أمثال هَؤُلَاءِ وقت غزو الرُّوس لأفغانستان الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله، ومن وقف معه في الدّعوة للنفير العام بالجِهَاد من علماء باكستان وأفغانستان وغيرهم، ومنهم كافّة شيوخ وأمراء الجماعات والدعوات الجهاديّة في مختلف البلاد الإِسْلَاميّة، ومن هَؤُلَاءِ اليَوْم الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن حفظه الله، الّذي يستنفر المُسلِمِين لجِهَاد الأمريكان واليَهُوْد اليَوْم، ومثله العديد من العُلَماء ودعاة الجِهَاد ضدهم من بلاد العَرَب والعجم في العراق والشِّيشَان وفلسطين والفلبين وإندونيسيا وغيرها، وعلى المُسلِمِين إجابتهم للنفير.

وأما إذا جئنا للوجه الرَّابع من فريضة الجِهَاد العينية وهو (إذا أسر العدوّ بعض المُسلِمِين)، فماذا نقول؟ وماذا نعيد؟ وأين نعد؟ وماذا نزيد؟

- فأسرى الشَّبَاب المسلم المخطوف من مختلف بلاد الدُّنيَا إلى سجن غوانتانامو الأمريكيّ المخزي قد جاوز اليَوْم ٧٠٠ أسير من مختلف الجنسيات بحسب المصادر الأمريكيّة ذاتها، ومثل هذا العدد في السّجون الأمريكيّة في أفغانستان وباكستان.
- وأكثر من هذا العدد مجموع أسرى الشَّبَاب المسلم في سجون أوروبّا الغربيّة(بَرِيطَانيَا- فرنسا- أسبانيا- ألمانيا- بلجيكا-إيطاليا-...).
- (وأما في روسيا فبالآلاف، وقل مثلها في كشمير والفلبين وإرتريا وبلاد إفريقيا، وبلاد وسط آسيا وبلاد التركستان..).
- وأما سجون طغاة بلاد العَرَب والمُسلِمِين من أمثال حُكَّام السّعُودِيّة ومصر وبلاد الشّام وشمال أفريقيا وتركيا والباكستان، فالأرقام المنشورة عبر منظمات حقوق الإنسان، وتقارير منظّمة العفو الدّولية تذهب إلى عشرات الآلاف في البلد الواحد أحيانا!! فلا شَّكَّ أن الأرقام عن أسرى الشَّبَاب المسلم في تلك البلاد يجاوز مئات الآلاف!! وهذه حقيقة موثقة وليست مبالغات موهومة.

- وأما عن فِلَسطِين فالأخبار العَالَمِيَّة تطالعنا في كلّ يوم عن قتل المئات وأسر الآلاف، فقد أسر اليَهُوْد في يوم واحد من أيّام الإنتفاضة أكثر من ألف أسير!

وقد طال الأسر في عموم تلك البلاد النِّسَاء والفتيات وحتى الأطفال.

وأما عن حوادث القتل والتعذيب والاغتصاب وهتك أعراض الرّجال والنِّسَاء، فلا تكاد تخلوا بلد منها!! فهل وجب الجِهَاد أم لم يجب بعد؟! وعلماء المُسلِمِين قد أفتوا بأنه إذا سبيت امرأة مسلمة في المشرق وجب عَلى أهل المغرب تخليصها، وأن عَلى المُسلِمِين إنقاذ أسراهم ولو استنفذوا في ذلك جميع أموالهم.

ولعلّ بعض المُنَافِقين أو بعض الجهال، ينفي حالة الإحتلال عن بعض بلاد المُسلِمِين، ويحرم مقاتلة الغُزَاة بدعوى أنهم قدموا بموجب اتفاقات مع حُكَّام بلاد المُسلِمِين. فينبغي أن نثبت لهَؤُلَاءِ أن هذا لا يجوز لحاكم مسلم لو كانَ مسلما، وأن نبين لهم أن هَؤُلَاءِ الحكَّام قد فقدوا شرعيتهم بكفرهم وردتهم وخروجهم من ملتنا.

وهو ما ستبينه الفقرة التَّالية:

ثانياً: حُكُومَات بلاد المُسلِمِين اليَوْم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله، وولائها للكفار وخيانتها لله ورسوله والمُؤْمِنِين:

- عندما يشهد كلّ مسلم بلسانه، معتقدا بقلبه قائلا «أشهد أن لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله وأن محمّدا رسول الله»، فهو يعترف باختصار: بأنه يعتقد أن لا إله يعبد بحق إلا الله، وأنه يعبد هذا الإله الأوحد بمقتضى ما أنزل الله عَلى نبيه محمّد رَسُولُ الله ﷺ.

ولهذه الشَّهَادة الخطيرة مقتضيات يعتبر جحودها قولا أو عملا من مقتضيات الكفر بالله، والخروج من ملة الإِسْلَام والعياذ بالله، وقد غُيبت كثير من هذه المقتضيات عن النّاس حتَّى جهلها الكثيرون، فالحقيقة أن كثيرا من النّاس يعلمون أن لهم رباً ويعتقدون به في قرارة قلوبهم، حتَّى ولو أنكروه أحيانا بلسانهم، ولكن الأقل منهم يعبد هذا الإله، وفي هذه الفقرة نتناول شيئا من محتوى هذه الشَّهَادة بإيجاز، ولمن شاء التفصيل أن يعود للكتب الّتي فصلت في عقائد التّوحيد:

لقد أخبرنا سبحانه أن أكثر المُؤْمِنِين به إلها مشركون به ربا، وأن أكثر الكافرين به إلها لا ينكرون ربوبيته، وقد دلنا سبحانه عَلى أن الإيمان به ربا، لا ينفع صاحبه إن لم يعبدوا إلها لا ينكرون ربوبيته، وقد دلنا

سبحانه عَلَى أن الإيمان به ربا، لا ينفع صاحبه إن لم يعبدوا إلها ولا يشرك به شيئا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف].

لقد آمن معظم البشر بأن لهم ولهذا الكون ربا قد خلق ورزق وهو يدبر وينعم، وباستثناء حفنة من الملحدين، الشاكّين بإلحادهم ولاسيما في وقت الضيق، فإن معظم بني آدم عَلَى مر العصور آمنوا بهذا الرب، ولكن اختلفت مذاهب شركهم وكفرهم به إلها يعبد، فالنّصَارى والمجوس والهندوس واليَهُوْد وسواهم آمنوا بالله ربا، ثمّ كفروا به عبادة، وأشركوا وعبدوا غيره من دونه أو معه، وقد أثبت القرآن للكفار هذا الإيمان به ربا والشرك به إلها فخاطبهم قائلًا: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ [يونس]، أي: أفلا تتقون ربكم سبحانه، فتعبدونه ولا تشركوا به كما تفعلون؟! وتكرر هذا السّؤال والإنكار في قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾ [المؤمنون]، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؟ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؟ ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾؟ أي كيف تؤمنون ثمّ تشركون؟!

لقد تسرب العديد من أنواع الشرك بالله إِلَى معتقدات الكثير من المُسلِمِين مع تتالي الأزمان حتَّى وصلنا إِلَى هذه الأزمنة التعيسة المتأخرة.

ومن ذلك ما حصل من الكثيرين من عبادة غيره من دونه، ومعصيته وإنكار أحكامه مع طاعة غيره وطاعة أحكامهم، وترك ولايته وولاية أوليائه، ثمّ ولاية أعدائه من دون أوليائه.

فكل مسلم يعتقد ويعترف ويدعى الإيمان بأن الله هو الخالق، وأنه هو الرزاق، وأنه هو المحيي، وأنه هو المميت، وأنه الضار النافع، وأنه الخافض الرافع، وأنه الحكم العدل، إِلَى آخر أسماء الله وصفاته، ولكن كثيرا من المُسلِمِين في واقعهم يتوجهون في جلب النفع ودفع الضر وطلب الرزق، والخوف والرجاء، والتحاكم والتَّشريع، والتحليل والتحريم، عَلَى غير ما أمر الله به، إِلَى البشر من أمثالهم، وخاصة من الحكَّام والكبراء، والأحبار والرهبان والعُلَماء والمَشَايخ، ومن يعتقدون فيهم من الرّجال!

وهذه هيَ حقيقة العِبَادة وحقيقة الطاعة، الّتي تنقض زعمهم الإيمان بالرب الخالق كما يدعون، الرب الّذي لا يتم الإيمان به إلا بملازمة عبادته إلها، وطاعته وحده لا شريك له في أحكامه، تماما كما يجب الإيمان به ربا خالقا رازقا.

إن من أعظم وجوه عبادة الله وطاعته، التزام أحكامه وأوامره ونواهيه وشرائعه وهذا بديهي، فهل ثمة تكذيب أكبر من أن يدعي رجل الإيمان بالله، ثمّ ينكر تشريعاته ويتنقصها ! ويدَّعي عدم صلاحيتها للعصر! وأنها سبب تخلف المُسلِمِين!! ويقدم غيرها من شرائع البشر عليها عمليا! ويحكم النّاس بها ويقهرهم عَلى قوانينها بالقوة!

إن هذه الطاعة لا يتقبلها أحدهم من زوجته، ولا ولده، ولا خادمه ـ ولله المثل الأعلى ـ فهل يقبل ربّ البيت من زوجته ادعاء حبه وهي تطيع غيره وتنفذ أوامر غيره في بيته؟! وهل يقبل من ولده ادعاء طاعته ثمّ يطيع جاره ويعصيه ؟ وهل يقبل من خادمه وعامله الّذي يأكل من رزقه، أن يدعي سيادته، ثمّ يتحرك وفق توجيهات غيره! فهم لا يقبلون ذلك عَلى أنفسهم ولله المثل الأعلى، ولهذا جاءهم الخطاب أفلا تتقون ؟! أفلا تذكرون ؟! فهذا ادعاء بَاطِل وعمل مُنكر.

إن كون الحاكِمِيَّة لله وحده، وأن التَّشريع منه وحده، وأن الطاعة له وحده، وأن الحلال ما أحله الله، وأن الحرام ما حرمه، وأن ما أمر به نافذ، وأن ما نهى عنه يُترك، هيَ أمور من صميم توحيد الألوهية وعبادة الله وحده، وقد أثبت القرآن هٰذا، وأثبت الكفر لُمنكره، كما أثبتته السنة واستقر عليه إجماع هذه الأُمّة، وسادة علمائها وفقهائها عبر الأزمان والعصور، ولا يكون الدّين كله لله في الحقيقة إلا هكذا، والآيات متواترة عَلى هذه المعاني متعاضدة، ومن ذلك قوله تَعَالَى:

- ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف]
- ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأنعام]
- ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[النساء]
- ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرعد]
- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الجاثية]
- ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١]

- ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: [﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ أَيْ: فَاحْكُمْ يَا مُحَمَّدُ بَيْنَ النَّاسِ: عَرَبِهِم وَعَجَمِهِمْ، أُميهم وَكِتَابِيِّهِمْ، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيم] ثمّ قَالَ: [﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾: أَيْ: آرَاءَهُمُ الَّتِي اصْطَلَحُوا عَلَيْهَا، وَتَرَكُوا بِسَبَبِهَا مَا أَنْزَلَ الله عَلَى رَسُولِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أَيْ: لَا تَنْصَرِفْ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي أَمَرَكَ الله بِهِ إِلَى أَهْوَاءِ هؤلاء من الجهلة الأشقياء]، ثمّ قَالَ: وانتبه إلى هذا الأثر العظيم الهام ـ

قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: [وقوله تَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ يُنْكِرُ تَعَالَى عَلَى مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ الله الْمُحْكَم الْمُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ، النَّاهِي عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَعَدَلٍ إِلَى مَا سِوَاهُ مِنَ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ وَالِاصْطِلَاحَاتِ، الَّتِي وَضَعَهَا الرِّجَالُ بِلَا مُسْتَنَدٍ مِنْ شَرِيعَةِ الله، كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْكُمُونَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالْجَهَالَاتِ، مِمَّا يَضَعُونَهَا بِآرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، وَكَمَا يَحْكُمُ بِهِ التَّتَارُ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْمَلَكِيَّةِ الْمَأْخُوذَةِ عَنْ مَلِكِهِمْ (جِنْكِزْخَانَ)، الَّذِي وَضَعَ لَهُمُ (الْيَسَاق) وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كِتَابٍ مَجْمُوعٍ مِنْ أَحْكَامٍ قَدِ اقْتَبَسَهَا عَنْ شَرَائِعَ شَتَّى، مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَفِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ أَخَذَهَا مِنْ مُجَرَّدِ نَظَرِهِ وَهَوَاهُ، فَصَارَتْ فِي بَنِيهِ شَرْعًا مُتَّبَعًا، يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِكِتَابِ الله وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ الله وَرَسُولِهِ ﷺ فَلَا يُحَكِّمُ سِوَاهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ﴾ أَيْ: يَبْتَغُونَ وَيُرِيدُونَ، وَعَنْ حُكْمِ الله يَعْدِلُونَ ؟ وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أَيْ: وَمَنْ أَعْدَلُ مِنَ الله فِي حُكْمِهِ لِمَنْ عَقل عَنِ الله شَرْعَهُ، وَآمَنَ بِهِ وَأَيْقَنَ وَعَلِمَ أَنَّهُ تَعَالَى أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَأَرْحَمُ بِخَلْقِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا، فَإِنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْعَادِلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ] اهـ.[1]

---

(١) تفسير ابن كثير(٣/ ١٢٨-١٣١).

ومما قاله ابن كثير عن (الياسق) في تاريخه (البداية والنهاية)، قَالَ: [**ثُمَّ ذَكَرَ الْجُوَيْنِيُّ نتفا من الياسا مِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ مَنْ زَنَا قُتِلَ، مُحْصَنًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُحْصَنٍ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَاطَ قُتِلَ، وَمَنْ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ قُتِلَ، وَمَنْ سَحَرَ قُتِلَ، وَمَنْ تَجَسَّسَ قُتِلَ، وَمَنْ دَخَلَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فَأَعَانَ أَحَدَهُمَا قُتِلَ، وَمَنْ بَالَ فِي الْمَاءِ الْوَاقِفِ قُتِلَ، وَمَنِ انْغَمَسَ فِيهِ قُتِلَ.... وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ مُخَالَفَةٌ لِشَرَائِعِ الله الْمُنَزَّلَةِ عَلَى عِبَادِهِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَمَنْ تَرَكَ الشَّرْعَ الْمُحْكَمَ الْمُنَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَتَحَاكَمَ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ الْمَنْسُوخَةِ كَفَرَ، فَكَيْفَ بِمَنْ تحاكم إلى الياسا وَقَدَّمَهَا عَلَيْهِ؟ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَفَرَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ**] اهـ(١).

قلت:

و(**الياسا**): هو دستور ومجموعة قوانين، وضعها جنكيز خان، (الملك التتري) لما اجتاح المشرق، ورأى تعدد الأديان والفلسفات، فوضع بمشاورة المشرعين عنده هذا الدستور، مما استحسنوه بعقولهم ومن وحي تجاربهم، وخلطوها بأحكام من الإِسْلَام والنّصرانية وأديانهم الوثنية.

وهو نفس الفعل الّذي يقوم به اليَوْم حُكَّام المُسلِمِين بمساعدة مشرعيهم وبرلماناتهم، حيث بنوها أساسا عَلى القوانين الفرنسية والإنجليزية، ذات الأصل الرُّوماني، وخلطوا فيها شيئا من الشّريعة الإِسْلَاميّة، وما أملته عليهم أهواؤهم ! ثمّ كتبوا في أعلاها كما في بعض البلاد الإِسْلَاميّة: (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ المصدر الأساسي للتشريع والتقنيين!!) وفي بعض البلاد بخلوا حتَّى بهذه العبارة الشركية الكاذبة.

فإذا كانَ ابن كثير قد نقل إجماع المُسلِمِين عَلى كفر من حكم بالياسا أو سواه من جهالات البشر، فكيف بمن حكم بهذه الشرائع الوضعِيَّة في المُسلِمِين وأجبرهم عليها بقوة وقهر السّلاح!!

ويكفي لكل من أراد أن يطلع عَلى حجم الكفر والفسق والظُّلم، وتبديل الشرائع، واتخاذ آيات الله هزوا، أن يطلع عَلى نسخة من دستور بلاده، والقوانين المعمول بها في المحاكم، والمراسيم التَّشريعية الّتي تصدر عن حكومة بلاده كلّ يوم، وهذه هيَ الحالة في باكستان وكافة بلاد المُسلِمِين، تماما كما أخبر ﷺ فيما روى عنه الإِمَام أحمد: «**لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ**

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ١١٨).

بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»[1]، فلا شَكَّ أن من حكّم هذه القوانين كافر يجب قتاله بإجماع المُسلِمين.

وفي قوله تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء]

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[هَذَا إِنْكَارٌ مِنَ الله، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى مَنْ يَدَّعِي الْإِيمَانَ بِمَا أَنْزَلَ الله عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ الْأَقْدَمِينَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُرِيدُ التَّحَاكُمَ فِي فَصْلِ الْخُصُومَاتِ إِلَى غَيْرِ كِتَابِ الله وَسُنَّةِ رَسُولِهِ] ثمّ قَالَ: [وَالْآيَةُ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّهَا ذَامَّةٌ لِمَنْ عَدَلَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَحَاكَمُوا إِلَى مَا سِوَاهُمَا مِنَ الْبَاطِلِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِالطَّاغُوتِ هَاهُنَا، وَلِهَذَا قَالَ :يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ إلى آخرها][2] أي كما قَالَ في نفس سورة النِّسَاء بعد بضع آيات في قوله تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء] أي: [إِذَا حَكَّمُوكَ يُطِيعُونَكَ فِي بَوَاطِنِهِمْ فَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا حَكَمْتَ بِهِ، وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فَيُسَلِّمُونَ لِذَلِكَ تَسْلِيمًا كُلِّيًّا مِنْ غَيْرِ مُمَانَعَةٍ وَلَا مُدَافِعَةٍ وَلَا مُنَازِعَةٍ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»[3]]اهـ[4].

وفي قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٠) عن أبي أمامة رضي الله عنه يرفعُه، وصححه الألباني في صَحِيح الجَامِع: (٥٠٧٥)، وقال الأرنؤوط : إسناده جيد.

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٤٦)

(٣) الحديث ضعّفَ إسنادَه الألبانيّ. وأورده النّوويّ في الأربعين النّوويّة وقال: حديث صحيح رويناه في كتاب الحجَّة بإسنادٍ صحيح.

(٤) تفسير ابن كثير : (٢/ ٣٤٩)

قَالَ ابن كثير رحمه الله: [فَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا حَكَمَ الله وَرَسُولُهُ بِشَيْءٍ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مُخَالَفَتُهُ، وَلَا اخْتِيَارَ لأحد هنا، ولا رأي ولا قول وَلِهَذَا شَدَّدَ فِي خِلَافِ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور]] اهـ(١).

قَالَ الإِمَام أبو بكر الجصاص رحمه الله في تفسير قوله تعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ...٦٥﴾ [النساء: ٦٥] **الآية السَّابقة: [وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مَنْ رَدَّ شَيْئًا مِنْ أَوَامِرِ الله تَعَالَى أَوْ أَوَامِرِ رَسُولِهِ ﷺ فَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْإِسْلَامِ سَوَاءٌ رَدَّهُ مِنْ جِهَةِ الشَّكِّ فِيهِ أَوْ مِنْ جِهَةِ تَرْكِ الْقَبُولِ وَالِامْتِنَاعِ مِنْ التَّسْلِيمِ وَذَلِكَ يُوجِبُ صِحَّةَ مَا ذَهَبَ إلَيْهِ الصَّحَابَةُ فِي حُكْمِهِمْ بِارْتِدَادِ مَنْ امْتَنَعَ مِنْ أَدَاءِ الزَّكَاةِ]**(٢).

وقال الإِمام ابن تَيميّة رحمه الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١﴾ [النور: ٥١] **قَالَ: [فبيَّنَ سبحانَهُ أنَّ منْ تَوَلَّى عن طاعةِ الرَّسُولِ وأعرضَ عن حكمِهِ فهوَ منَ المُنَافِقِينَ وليسَ بمؤمنٍ، وأنَّ المؤمنَ هوَ الّذي يقولُ سَمِعنَا وأَطَعنَا، فإذا كَانَ النِّفَاقُ يثبتُ ويزول الإيمانُ بمجرّدِ الإعراضِ عن حكمِ الرَّسُولِ وإرادَةِ التّحاكمِ إلى غيرِه مع أنَّ هَذا تركٌ محضٌ، وقد يكونُ سَبَبُهُ قوّة الشّهوةِ فكيفَ بالتنقُّصِ ونحوه]اهـ**(٣)

- كذلك نقل شيخُ الإِسْلَام اتفاقَ الفُقهاء فقال: **[وَالْإِنْسَانُ مَتَى حَلَّلَ الْحَرَامَ الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ، أَوْ حَرَّمَ الْحَلَالَ الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ، أَوْ بَدَّلَ الشَّرْعَ الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ، كَانَ كَافِرًا مُرْتَدًّا بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ]**(٤).
- وقال رحمه الله في الفتاوى: **[وَمَنْ حَكَمَ بِحُكْمٍ مِمَّا يُخَالِفُ شَرْعَ الله وَرَسُولِهِ وَحُكْمَ الله وَرَسُولِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ ذَلِكَ: فَهُوَ مِنْ جِنْسِ التَّتَارِ الَّذِينَ يُقَدِّمُونَ حُكْمَ "الياسق" عَلَى حُكْمِ الله وَرَسُولِهِ]**(٥).

---

(١) تفسير ابن كثير(٦/ ٤٢٣).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ١٨١).

(٣) الصارم المسلول: (ص ٣٨)

(٤) الفتاوى: (ج٣ / ٢٦٧).

(٥) الفتاوى: (٣٥/ ٤٠٨).

- ويقول أيضا في منهاج السنة: [فَمَنِ اسْتَحَلَّ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا يَرَاهُ هُوَ عَدْلًا مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعٍ لِمَا أَنْزَلَ الله فَهُوَ كَافِرٌ][1].

- وفي الفتاوى الكبرى: [وَمَعْلُومٌ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَبِاتِّفَاقِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ مَنْ سَوَّغَ اتِّبَاعَ غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ أَوْ اتِّبَاعَ شَرِيعَةٍ غَيْرِ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَهُوَ كَافِرٌ][2].

- ويقول الإِمَام ابن القيم رحمه الله: عند قوله تَعَالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء]. قَالَ: [وهذا دليلٌ قاطعٌ عَلى أنَّه يَجِبُ ردُّ مواردِ النِّزَاعِ في كلِّ ما تَنَازَع فيهِ النّاسُ، منَ الدّينِ كلِّه، إلى اللهِ ورسولِهِ ﷺ، لا إلى أحدٍ غيرَ اللهِ ورسُولِهِ ﷺ، فمَن أحَالَ الرَّدَّ إلى غيرِهمَا، فقد ضَادَّ أمرَ اللهِ، ومن دعَا عندَ النِّزَاع إلى حكمِ غيرِ اللهِ ورسُولِهِ، فقد دَعَا بدَعوَى الجَاهِليَّةِ، فلا يَدخل العبدُ في الإيمانِ حتَّى يَردّ كلَّ ما تنازعَ فيهِ المُتَنَازِعُونَ إلى اللهِ ورسُولِه، ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ وهذا ممَّا ذكر آنفاً، أنَّه شَرطٌ ينفي المَشرُوط بانتفائه، فدلَّ عَلى أنَّ من حكّم غيرَ اللهِ ورسولِهِ في مواردِ النِّزاعِ كانَ خارجَاً عن مُقتَضَى الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخِرِ، وحَسبُك بهذِهِ الآيةِ العاصِمَةِ القَاصِمَةِ بيانًا وشفاءً فإنَّها قاصمَةٌ لظُهورِ المُخَالفِينَ لَهَا، عاصمةٌ للمُستمسِكِينَ بِها، المُتَمَثِّلين ما أَمَرت بِهِ][3]

- وفي نفس هذه الآية قَالَ ابن كثير رحمه الله: [فَدَلَّ عَلَى أَنَّ منْ لَمْ يَتَحَاكَم فِي محلِّ النِّزَاعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا يَرْجِعْ إِلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ فَلَيْسَ مُؤْمِنًا بِالله وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ]اهـ[4].

- ويقول ابن القيم رحمه الله: [ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ مَنْ تَحَاكَمَ أَوْ حَاكَمَ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَقَدْ حَكَّمَ الطَّاغُوتَ وَتَحَاكَمَ إِلَيْهِ، وَالطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ؛

---

(١) منهاج السنة: (٥/ ١٣٠).

(٢) الفتاوى: (٢٨/ ٥٢٤).

(٣) الرّسالة التبوكية: (١/ ٤٢).

(٤) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٤٦).

فَطَاغُوتُ كُلِّ قَوْمٍ مِنْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ غَيْرَ اللهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ، أَوْ يَتْبَعُونَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنْ اللهِ](١).

- وقال رحمه الله في مدارج السالكين: [وَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَأَنَّهُ مُخَيَّرٌ فِيهِ، مَعَ تَيَقُّنِهِ أَنَّهُ حُكْمُ اللهِ، فَهَذَا كُفْرٌ أَكْبَرُ](٢).
- يقول القاضي أبو يعلي في أصول الدّين ص ٢٧١: [ومن اعتقدَ تحليلَ ما حرَّمَ اللهُ بالنصِّ الصَّريحِ، أو من رسُولِه أو أجمعَ المُسلِمُون عَلى تحريمِهِ، فهوَ كافرٌ، كمن أباحَ شُربَ الخَمرِ ومَنَعَ الصَّلاةَ والصِّيَامَ والزَّكَاةَ، وكذلكَ من اعتقدَ تحريمَ شيءٍ حلَّله اللهُ أباحَهُ بالنَّصِّ الصَّريحِ أو أَبَاحَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، والوجهُ فيهِ أنَّ في ذلكَ تكذيبٌ لله تَعَالَى ولرسولِهِ في خَبَرِهِ، وتكذيبٌ للمُسلمينَ في خَبَرِهم، ومن فعلَ ذلكَ كَفَرَ بإجماعِ المُسلِمِينَ](٣).
- قَالَ الإِمَام القرطبي رحمه الله في تفسيره عند قوله تعَالَى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [التوبة]، قَالَ: [اسْتَدَلَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى وُجُوبِ قَتْلِ كُلِّ مَنْ طَعَنَ فِي الدِّينِ، إِذْ هُوَ كَافِرٌ، وَالطَّعْنُ أَنْ يَنْسُبَ إِلَيْهِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، أَوْ يَعْتَرِضَ بِالِاسْتِخْفَافِ عَلَى مَا هُوَ مِنَ الدِّينِ، لِمَا ثَبَتَ مِنَ الدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ عَلَى صِحَّةِ أُصُولِهِ وَاسْتِقَامَةِ فُرُوعِهِ](٤).

فانظروا اليَوْم في خطابات وتصريحات هَؤُلَاءِ الرؤساء وأعوانهم، وما فيها من طعن بالدّين واستخفاف بشعائره.

- وقال رحمه الله: "إِنْ حَكَمَ بِمَا عِنْدَهُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَهُوَ تَبْدِيلٌ لَهُ يُوجِبُ الْكُفْرَ"(٥)

(١) إعلام الموقعين: (٢/ ٩٢).

(٢) مدارج السالكين: (١/ ٣٤٦).

(٣) أصول الدّين: (ص٢٧١).

(٤) تفسير القرطبي: (ج٨ / ٨٢).

(٥) تفسير القرطبي: (ج٦ / ١٩١).

- وقال: "**إِنَّ مَنْ طَلَبَ غَيْرَ حُكْمِ اللهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يرضى به فهو كافر**"(١).

ونكتفي بهذه الآثار، والشواهد كثيرة جدا، من أقوال الأئمة والعُلَماء ونصوص الكتاب والسنة، والشواهد كثيرة جدا، من أقوال الأئمة والعُلَماء ونصوص الكتاب والسنة.

فهذه الآيات البينات والآثار الواضحات، تدل بكل نصاعة عَلى أن القضية تَمُسُّ طبقتين من النّاس هما:

١ ـ الحاكم. ٢ ـ المحكوم.

فأما المحكوم:

فواجبه الانقياد لشرع الله، واختيار الحكم به، و الرضا بنتيجته سواء له أم عليه، وأن لا يجد في نفسه أي غضاضة، وأن يسلم تسليما مطلقا لحكم الله، وأن إيمان المسلم ينقص ويجرح (مع بقاء حكم الإِسْلَام في الظَّاهِرِ عليه) بقدر ما يجد في هذا الحكم من كراهة أو غضاضة، وأن هذا النّقص في الإيمان قد يكبر بقدر عدم تسليمه لشرع الله ونوع رفضه له، حتَّى إذا ما بلغ في المحكوم أن يرفض حكم الله لعدم الإيمان به، أو انتقاصا له، أو عدم قناعته بصلاحيته، وتقديم وتفضيل أحكام البشر عليه، فهذا ينقض الإيمان بالكلية، ويفضي إلى الكفر بصاحبه والعياذ بالله.

وأما الحاكم:

الّذي تولى رقاب النّاس، وأشركه الله في حكمه، فإنه شخص يفترض فيه العلم وعدم الجهل، إما بذاته وإما بوجود الأمر والنهي والإرشاد من أهل العلم والدّين. كما يفترض فيه القدرة لأنه صاحب السُّلطَان، فهو ليس مكرهاكما قد يكون حال آحاد الرعية، وهذا الحاكم للمسلمين يستمد مشروعيته أصلا من كونه الأمين عَلى تطبيق شرع الله في المُسلِمِين والآيات والسنة والآثار متواترة عَلى أن المستبدل لشرع الله بأحكام البشر والراغب عنها، مستعيضا بها غيرها، فإنه كافر يجب قتاله حتَّى يرجع إلى شرع الله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير، كما مر معنا في قول ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ، وقد جمع الله لفاعل ذلك في القران كلّ صفات الكفر به فقال تَعَالَى في سورة المائدة:

---

(١) تفسير القرطبي: (٦/ ١٨٨).

- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة].
- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة].
- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة].

وقد نالت هذه الحقيقة العقدية الهامة وهي (كفر الحاكم بغير ما أنزل الله المبدل لشرع الله)، من التلبيس والجحود والتلاعب بآيات الله، وإخراجها عن مضمونها، إرضاء لرغبات السّلاطين والملوك الناكبين عن شرع الله، ما لم تنله غيرها من الآيات والأحكام، وذلك منذُ بدأ يطرأ النقض والنقص عَلى شعيرة الحكم بما أنزل الله، تماما كما أخبر ﷺ، فبدأ الملوك والسلاطين الحاكمون بشرع الله يتهربون من تطبيق بعض الأحكام، عَلى أنفسهم وعلى المقربين منهم لأهواء نفسية، أو محاباة شخصية، وبدأ هذا النّقص يكبر ويكبر إلى أن وصل بسقوط الخِلافَة الإِسْلَاميّة إلى استبدال كلي لشرع الله، ووصل العدوان عَلى سلطان الله العظيم، إلى استلاب حق التَّشريع وإعطائه للبشر، فصار حُكَّام المُسلِمِين يشرعون من دون الله أصالة، ويبدلون الشَّرع ويحرفونه تقنينا وتشريعا، ويأخذون ما يشاؤون ويدعون ما يشاؤون،

وهذه قفزة جديدة إلى الكفر، من ذلك الجور والضلال الّذي ارتكبه الملوك الأوائل، مع حكمهم بالشّريعة عموما، وهذا الموضوع طويل، وقد تناوله العُلَماء المعاصرون والكتاب المُسلِمُون وفصلوا فيه وردوا عن الحقيقة الشَّرعيَّة مماحكات الجهال، وتلبيسات المبطلين من بعض علماء السّلاطين وأجهزة النِّفَاق والمؤسسات الدّينيّة الرَّسميَّة، الّذين أرادوا أن يرقعوا كفر حكامهم المعاصرين وأن يلبسوهم زورا وبهتانا سربال الإِسْلَام.

ولا يسمح الإيجاز الّذي يحكم هذا الكتاب، بمزيد من الشواهد والتفاصيل، إلا أَنّي ألفت نظر القارئ المسلم، إلى نقاط مهمة لفهم حقيقة كفر حُكَّام بلاد المُسلِمِين اليَوْم:

أولا: قد يسأل سائل، فيقول: إذا كانَ الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا، فلماذا أطلق القرآن الكريم لفظة ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ و﴿الظَّالِمُونَ﴾ عليه ولم يقتصر عَلى قوله ﴿الْكَافِرُونَ﴾ عند قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ....﴾؟ وجواب هذا من وجهين والله تبارك وتعالى أعلم:

١. أن الحكم بغير ما أنزل الله، قد يكون فسقا، وقد يكون ظلما، غير مخرجين من ملة الإِسْلَام إلى الكفر وقد قَالَ هذا بعض السَّلَف في حكامهم الأوائل من أمثال بعض خُلَفَاء بني أمية وبني العبّاس، وذلك

إذا كانت واقعة الحكم بغير ما أنزل الله، هيَ في حالات محدودة، أسبابها الهوى أو المحاباة مع التسليم بحكم الله ومعرفته، واعتقاد أفضليته ووجوبه، واعتقاد ذلك الفاعل بأنه مذنب مقصر، من دون أن يصرح أحد منهم بالحكم بغير ما أنزل الله، أو باستبداله عَلى سبيل التَّشريع، فهذا الّذي يحصل اليَوْم ليس له سابقة في تاريخ المُسلِمِين كله، إلا في هذه الأزمنة الّتي نصت فيها دساتير الحكّام وقوانينهم عَلى أن أحكام السرقة والزنا والقتل سواها من أحكام الدِّماء والأموال والأعراض، وقوانين الإدارة في السلم والحَرب والقضاء والسياسات... إلخ. ليست المنصوص عليه في الشّريعة الإِسْلَاميّة، وإنما أحكام وضعوها هم واقتبسوها من قوانين الكفّار، فهذا الحال هو تبديل لشرع الله، وتشريع من دون الله، وليس فقط حكم بغير ما أنزل الله في واقعة محدودة، فقد كانَ ذاك عند السَّلَف فسق وظلم وأما هذا التبديل والتَّشريع فهو عندهم كفر بالإجماع، كما نقل ابن كثير وغيره ممن ذكرنا، كفر ينقل صاحبه عن الملة ويوجب قتاله بلا خلاف، عند السَّلَف والخلف وأئمة الفقه والتفسير وأهل الحديث، وهو حالة حُكّام بلادنا اليَوْم، لأن دساتيرهم وقوانينهم مصرحة بلا مواربة بتبديل شرع الله واستبعاده، ومن المعلوم اليَوْم أن معظم الحدود الشَّرعيَّة قد استبدلت بأحكام من السّجن والغرامات المالية في القانون الوضعي في بلاد المُسلِمِين، هذا غير ما أحل من المحرمات، كالزنا والربا والخمر، بإجازات وتراخيص حكومية بالإضافة إلى بناء السّياسة الداخليَّة والخارجيّة عَلى أحكام تضاد ما أنزل الله، وبناء السّلطة القضائية عَلى دساتير مستمدة من فلسفات أوروبّا الرُّومانية، وبناء السّلطة التَّشريعية عَلى أساس حق التَّشريع من دون الله، وهذا هو حال دساتير الدّول الإِسْلَاميّة.

وهذا ليس له سابقة في التّاريخ القديم إلا ما فعله جنكيز خان وأحفاده المغول لما حكموا بلاد المُسلِمِين، وزعموا الإِسْلَام، وصلوا وأذنوا، ولكنهم حكموا بالياسا فكفرهم علماء المُسلِمِين وقاتلوهم.

*وقد تكلم في هذه المسألة جمع من علماء المُسلِمِين المعاصرين الّذين عاشوا واقع كفر حكامنا في هذا العصر، وبينوا أن ما يصدر عنهم من تشريع وتبديل لشرع الله وحكم بغير ما أنزل الله هو كفر أكبر. وننقل ههنا طائفة من أقوالهم:

*يقول الشَّيْخ محمّد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦١]، [وَالْآيَةُ نَاطِقَةٌ بِأَنَّ مَنْ صَدَّ وَأَعْرَضَ عَنْ حُكْمِ

اللهِ وَرَسُولِهِ عَمْدًا وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ دَعْوَتِهِ إِلَيْهِ وَتَذْكِيرِهِ بِهِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مُنَافِقًا لَا يُعْتَدُّ بِمَا يَزْعُمُهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَمَا يَدَّعِيهِ مِنَ الْإِسْلَامِ](١).

وقد تكلم في هذه المسألة جمع من علماء المُسلِمين المعاصرين الّذين عاشوا واقع كفر حكامنا في هذا العصر، وبينوا أن ما يصدر عنهم من تشريع وتبديل لشرع الله وحكم بغير ما أنزل الله هو كفر أكبر.

وننقل ههنا طائفة من أقوالهم:

* قَالَ الشَّيْخ محمود الآلُّوسي في تفسيره: [**لا شَّكَّ في كفرِ من يستحسن القانون ويفضله عَلى الشَّرع، ويقول هو أوفقُ بالحكمةِ، وأصلحُ للأمَّة، ويتميَّزُ غيظاً ويتعصَّب غَضباً إذا قيلَ لهُ في أمرِ الشَّرعِ فيه كذا، كما شهدنا ذلكَ في بعضِ من خذَلَهُم اللهُ فأصمَّهُم وأعمَى أبصَارَهُم.... فلا يَنبَغي التَّوقُّف في تكفيرِ من يستحسنُ ما هوَ بينَ المخالفةِ للشَّرعِ منها، ويقدِّمهُ عَلى الأحكامِ الشَّرعيَّةِ مُنتَقِصَا للحقِّ**](٢)

* وقال الشَّيْخ محمّد أمين الشنقيطي رحمه الله: [**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله، مُعَارَضَةً لِلرُّسُلِ وَإِبْطَالًا لِأَحْكَامِ الله، فَظُلْمُهُ وَفِسْقُهُ وَكُفْرُهُ كُلُّهَا كُفْرٌ مُخْرِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ**](٣).

* وقال في تعليقه عَلى حديث عدي بن حاتم وقول النبيّ ﷺ: «**أَلَمْ يُحِلُّوا لَكُمْ مَا حَرَّمَ الله، وَيُحَرِّمُوا عَلَيْكُمْ مَا أَحَلَّ الله فَتَتَّبِعُوهُمْ؟**» **قال: بَلَى، قال: «ذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ»**(٤)، قَالَ رحمه الله: [**وهذا التفسيرُ النبويُّ المقتضِي أن كُلَّ مَنْ يَتَّبِعُ مُشَرِّعًا فيما أَحَلَّ وَحَرَّمَ مُخَالِفًا لتشريعِ الله أنه عابدٌ له، متخذُه رَبًّا، مُشْرِكٌ به، كافرٌ بالله هو تفسيرٌ صحيحٌ لا شَكَّ في صحتِه، اعْلَمُوا أيها الإخوانُ أن الإشراكَ بالله في حُكْمِهِ والإشراكَ به في عبادتِه كلاهما بمعنًى واحدٍ، لا فَرْقَ بينهما ألبتةَ، فالذي يَتْبَعُ نظامًا غيرَ نظامِ الله، وتشريعًا غيرَ ما شَرَّعَهُ الله، وقانونًا مُخَالِفًا لشرعِ الله من وَضْعِ البشرِ، مُعْرِضًا عن نورِ السماءِ الذي أَنْزَلَهُ الله على لسانِ رسولِه، مَنْ**

---

(١) تفسير المنار: (٥/ ١٨٥).

(٢) روح المعاني: (١٤/ ٢١٥).

(٣) أضواء البيان: (١/ ٤٠٨) وتمام كلامه: (.. وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مُعْتَقِدًا أَنَّهُ مُرْتَكِبٌ حَرَامًا فَاعِلٌ قَبِيحًا فَكُفْرُهُ وَظُلْمُهُ وَفِسْقُهُ غَيْرُ مُخْرِجٍ عَنِ الْمِلَّةِ).

(٤) رواه التِّرمِذيّ (٣٠٩٥) والطبراني في المعجم الكبير (٢١٨)، والبيهقي في سننه. وحسنه الألباني في غاية المرام (٦).

كان يفعلُ هذا هو وَمَنْ يعبدُ الصنمَ ويسجدُ للوثنِ لاَ فرقَ بينَهما البتةَ بوجهٍ من الوجوهِ، فَهُمَا واحدٌ، فَكِلاَهُمَا مشركٌ بِالله، هذا أَشْرَكَ به في عبادتِه، وهذا أَشْرَكَ به في حُكْمِهِ](١).

* ويقول في نفس التَّفسير: [وَبِهَذِهِ النُّصُوصِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا يَظْهَرُ غَايَةَ الظُّهُورِ: أَنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْقَوَانِينَ الْوَضْعِيَّةَ الَّتِي شَرَعَهَا الشَّيْطَانُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَوْلِيَائِهِ مُخَالَفَةً لِمَا شَرَعَهُ الله جَلَّ وَعَلَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ ﷺ، أَنَّهُ لَا يَشُكُّ فِي كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ إِلَّا مَنْ طَمَسَ الله بَصِيرَتَهُ، وَأَعْمَاهُ عَنْ نُورِ الْوَحْيِ مِثْلَهُمْ](٢).

ويقول رحمه الله: [وَأَمَّا النِّظَامُ الوضْعِيُّ الْمُخَالِفُ لِتَشْرِيعِ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَتَحْكِيمُهُ كُفْرٌ بِخَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، كَدَعْوَى أَنَّ تَفْضِيلَ الذَّكَرِ عَلَى الْأُنْثَى فِي الْمِيرَاثِ لَيْسَ بِإِنْصَافٍ، وَأَنَّهُمَا يَلْزَمُ اسْتِوَاؤُهُمَا فِي الْمِيرَاثِ، وَكَدَعْوَى أَنَّ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ ظُلْمٌ، وَأَنَّ الطَّلَاقَ ظُلْمٌ لِلْمَرْأَةِ، وَأَنَّ الرَّجْمَ وَالْقَطْعَ وَنَحْوَهُمَا أَعْمَالٌ وَحْشِيَّةٌ لَا يَسُوغُ فِعْلُهَا بِالْإِنْسَانِ وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَتَحْكِيمُ هَذَا النَّوْعِ مِنَ النِّظَامِ فِي أَنْفُسِ الْمُجْتَمَعِ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَعُقُولِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ كُفْرٌ بِخَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ](٣).

* قَالَ الشَّيْخ أحمد شاكر رحمه الله؛ وهو إمامٌ محدِّثٌ مُعاصرٌ تُوفِّي سنة ١٩٥٨م، وكان قد عملَ في مجالِ القَضَاءِ الشَّرعيّ في مصرَ ثمّ اعتزَلَه، قَالَ في تَعليقِه وتحقيقه لمسند الإمَامِ أحمدَ عندَ الحَديث رقم(٧٧٤٧): [ومن حكمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ عامدًا عارِفًا بذلك فهو كافرٌ، ومن رضيَ عن ذلكَ وأقرَّهُ فهو كافرٌ، سواءٌ أحكمَ بما يُسمَّى "شريعةَ أهلِ الكِتَاب"، أم حكَمَ بما يُسَمَّى "تشريعًا وضعيًا"! فكلّه كفرٌ وخروجٌ](٤).

وممَّا جاءَ عنهُ رحمه الله: [أفيجوزُ معَ هذا في شرعِ الله أن يُحكَمَ المُسلِمُونَ في بلادهم بتشريعٍ مُقتبسٍ عن تشريعاتِ أوربّا الوَثنيّة المُلحدةِ، بل بتشريعٍ تدخُلُه الأراءُ والأهواءُ البَاطِلةُ، يغيِّرونَه ويبلونَه كما يَشاؤُون، ولا يُبالي واضعُهُ أَوَافَقَ شرعَ الإسْلَامِ أم خالفَهُ، إنّ المُسلِمِينَ لم يُبتَلَوا بهذا قطّ إلّا في عهدِ التّتَار -إلى أنْ قَالَ- ما أظنُّ رجلاً يعرفُ دينَه ويؤمنُ به جملةً وتفصيلاً، ما أظنُّه يستطيعُ إلّا أن يجزمَ غير متردِّدٍ ولا مُتأَوِّلٍ، بأنَّ ولايةَ القَضَاءِ في هذهِ الحالَةِ بَاطِلة بطلاناً أصليّاً لا يلحَقه التَّصحيح ولا الإجازة، إنَّ الأمر في

---

(١) العذب النمير في مجالس الشنقيطي في التفسير: (٥/ ٤٤١)، أضواء البيان (٣/ ٢٥٩).

(٢) المرجع السابق.

(٣) أضواء البيان : (٣/ ٢٦٠).

(٤) مسند أحمد، ت : أحمد شاكر: (٧/ ٤٦٤) شرح حديث رقم (٧٧٤٧).

هذه القَوانِين الوَضعِيَّة واضح وضوحَ الشّمسِ هيَ كفرٌ بواحٌ لا خَفَاءَ فيهِ ولا مُدَاراة ولا عُذر لأحدٍ ينتسب لأهلِ الإِسْلَامِ كائنًا من كانَ في العملِ بهَا أو إقرارها](١).

٢. إن لفظة (الفسق) و(الظُّلم) في لغة القرآن الكريم، يعبر بها في كثير من المواضع عن الكفر الصريح، المناقض للإيمان، وشواهد هذا في القرآن كثيرة، ومن ذلك:

* إطلاق لفظ الفسق عَلى صريح الكفر، مثل قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠] ومعلوم أن إبليس كفر بفسقه هذا واستحق اللعنة والطرد فسمى كفره (فسقاً)، ومثله قوله تعَالَى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام]، وواضح أن الّذي كذب بآيات الله قد كفر، فقال عنهم ﴿يَفْسُقُونَ﴾، وفي سورة البقرة ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [البقرة]، وهذا لا يحتاج الى شرح.

* إطلاق لفظ الظُّلم عَلى الشرك والكفر: قَالَ تَعَالَى في سورة لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان]، وهذا واضح، فسمى الشرك ظلما، وقوله تعَالَى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل]، والجحود كفر فسماه ظلما.

* كما جمع الله صفات الظُّلم والفسق مع الكفر والنِّفَاق في أكثر من موضع منها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾﴾ [النساء] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [البقرة]، ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة].

* وفي سورة التوبة بعد حكمه بالكفر عَلى المُنَافِقين المستهزئين بالدّين قَالَ ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة]، وشواهد القرآن كثيرة، وما زعموه من أن كفر الحكّام

(١) عمدة التفاسير: (ج٤ ص١٧١).

الحالين هو مجرد فسق أو ظلم مردود، والصواب أنهم: كافرون، ظالمون فاسقون في آن واحد. والله تَعَالَى أعلم.

ثانياً: ومن الأدِلَّة الناصعة في القرآن والسنة، عَلى كفر من أعطى نفسه حق التَّشريع من التحليل والتحريم، وتبديل الشرائع والعدوان عَلى حاكِمِيَّة الله، وجعل نفسه بذلك ربا يعبد، ما أخبر به سبحانه عن كفر اليَهُوْد والنَّصَارى، في قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. فقد روى الإِمَام أحمد والتِّرْمِذِيّ وابن جرير عن طريق عدي ابن حاتم رضي الله عنه، كما نقل ذلك ابن كثير في تفسيره، أن عديا لما جاء رسول الله ﷺ، ليسلم وكان نصرانيا، وجده يقرأ هذه الآية، فقال لرسول الله ﷺ: إنهم لم يعبدوهم، فقال ﷺ: «بَلَى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ»(١) ومعلوم أن تفسير القرآن بالسُّنَّة الثَّابتة هو من أصح التفاسير، ودلالة الآية والحديث واضحة تماما، تدل عَلى أن من شرع فحلل وحرم، فقد جعل نفسه ربا، وعلى أن من أطاعه فقد عبده، وهذه هيَ عبادة قوم فرعون لفرعون، فهو لما قَالَ لهم: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨] ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [النازعات]. لم يطلب منهم أن يعتقدوا أنَّه هوَ الّذي خلقهم ورزَقهم وخلق الكون ودبَّره، فقد كانَ للمصريّين في عهده آلهة يعبدونها بهذه الصّفة، وإنّما عبدوه إلهًا مشرّعًا بالطّاعة، وهو نفس الدَّور الّذي يقوم به حُكَّام المُسلِمين اليَوْم ومشرِّعُوهُم، وبرلماناتها الكافِرة الظَّالِمَة الفَاسِقَة، وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤﴾ [الزخرف].

---

(١) رواه التِّرمِذِيّ (٣٠٩٥) وقال: حديث غريب، وحسنه الألباني.

فكيف لا يحكم بكفرهم؟! وهم في مراسيمهم وبرلماناتهم يحلون الخمور، تصنيعا وبيعا وترخيصا، ويقبضون عليها الرسوم والمكوس، وكذلك دور الزنا وبنوك الربا، ويساوون في حق التصويت علىَ التَّشريع، بين المؤمن والكافر، وبين البر والفاجر، وبين الرجل والمرأة، وبين العالم والجاهل، ويعقدون الأحلاف المحرمة، ويبرمون المعاهدات البَاطِلة، ويمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ويسعون في خرابها، ويحرمون في مقابل ذلك مما أحلوا، الأمر بالمعروف، والنهي عن المُنكر، والجِهَاد، والاحتساب، وأنواعا من البيع الحلال، ناهيك عن القوانين الّتي تبيح المكوس الظَّالمة، وتقنن لقتل وسجن وتشريد النّاس ظلما وعدوانا، الى آخر ما شرعوا وقننوا وأحلوا وحرموا، قاتلهم الله أنا يؤفكون.

ثالثا: ويجدر بنا لفت النَّظر إلى أمرٍ هامٍّ، وهو أنَّ بقاءَ رسومٍ من آثارِ الشّريعةِ، ونتفًا من أحكامها طيَّ سجلَّاتِ القوانين الوضعيَّة، كبعض أحكام الأحوالِ الشَّخصيَّة، والزَّواج والطَّلاق والميراث، في بعض البلاد الإِسْلَاميّة، لا يجعل الحكم يوصف بأنَّه حكم الشّريعة، كما أن التَّزوير والضَّحك عَلى عقول البُسطاء بِعَنوَنَةِ الدّستُور بالكلمة الفارغة الخادعة، وهي قولهم (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ مَصدر التَّشريع والتَّقنين) أو (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ المصدر الأساسي للتَّشريع) كما في بعض البلاد، أو حتَّى بالمبالغة بالدَّجل بالقول (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ المصدر الوحيد للتَّشريع والتَّقنين)، ثمّ التَّشريع والتَّقنين من دون الله تحت هذا العنوان، كما في بعض البلاد كالسّعُودِيّة والسُّودَان واليمن، فهذا لا يجعل الحكم شرعيًا، ولله المُشتكى كم يستخفُّون بعقولِ شعوبهم، باستخدام بعض العُلَماء من عملاء السُّلطَان، فمن يقبل أن يشتري قارورة خمرٍ، كُتب عليها (حليب) عَلى أنَّها حليبٌ، أو زيتٌ!!! وهل يطهر الخمر بالكتابة علية؟! هذا من جهة، ومن جهة أُخرى، فإنَّ من المعلومِ في ديننا أنَّ النَّجاسة تلغى الطَّهارة، والله أغنى الأغنياء عن الشِّرك، كما أخبر عن نفسِهِ ﷻ، وقال في الحديث القُدسي: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» رواه مسلم(١)، والله لا يقبل إلَّا أن يكون الدّين كله لله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٢ – ٣]

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

والعبرة ليست في كبر وعظم هذا الشرك بالتَّشريع، أو بحجم ما خلط بالحكم بغير ما أنزل الله، وإنما باستحلال هذا الفعل والإقدام عليه، والعدوان عَلى حاكِمِيَّة الله الّذي قَالَ: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف: ٤٠]، والفتنة الّتي نحن فيها هيَ أنَّ الدّين في بلادنا لم يعد كلّه لله، قَالَ ابن كثير رحمه الله في قوله تعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال:٣٩]، [عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "يعني لَا يَكُونَ شِرْكٌ"، عَنْ عُرْوَة بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَائِنَا: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ حَتَّى لَا يُفْتَنَ مُسْلِمٌ عَنْ دِينِهِ، وعن مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَيَكُونَ التَّوْحِيدُ خَالِصًا لله، لَيْسَ فِيهِ شِرْكٌ، وَيَخْلَعَ مَا دُونَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ"][١].

قَالَ الإِمَام الشاطبي رحمه الله: [كُلَّ بِدْعَةٍ وإِن قَلَّت تشريعٌ زَائِدٌ أَو نَاقِصٌ، أَو تَغْيِيرٌ للأَصل الصَّحِيحِ، وكلُّ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ عَلَى الِانْفِرَادِ، وَقَدْ يَكُونُ مُلْحَقاً بِمَا هُوَ مَشْرُوعٌ، فَيَكُونُ قَادِحًا فِي الْمَشْرُوعِ، وَلَوْ فَعَلَ أَحد مِثْلَ هذا فِي نفس الشريعة عامداً لكفر، إِذِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ فِيهَا أَوِ التَّغْيِيرُ، قَلَّ أَوْ كَثُرَ كُفْرٌ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَا قَلَّ مِنْهُ وَمَا كَثُرَ][٢].

وقال الإِمَام ابن تيمِيّة رحمه الله: [فَإِذَا كَانَ بَعْضُ الدِّينِ لله وَبَعْضُهُ لِغَيْرِ الله وَجَبَ قِتَالُهُمْ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله، ولهذا قَالَ تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩] وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الطَّائِفِ لَمَّا دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَالْتَزَمُوا الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ؛ لَكِنْ امْتَنَعُوا مِنْ تَرْكِ الرِّبَا، فَبَيَّنَ الله أَنَّهُمْ مُحَارِبُونَ لَهُ وَلِرَسُولِهِ إذَا لَمْ يَنْتَهُوا عَنْ الرِّبَا، وَالرِّبَا هُوَ آخِرُ مَا حَرَّمَهُ الله وَهُوَ مَالٌ يُؤْخَذُ بِرِضَا صَاحِبِهِ، فَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ مُحَارِبِينَ لله وَرَسُولِهِ يَجِبُ جِهَادُهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَتْرُكُ كَثِيرًا مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ أَوْ أَكْثَرَهَا كَالتَّتَارِ؟! وَقَدْ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنْ الطَّائِفَةَ الْمُمْتَنِعَةَ إذَا امْتَنَعَتْ عَنْ بَعْضِ وَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ فَإِنَّهُ يَجِبُ قِتَالُهَا إذَا تَكَلَّمُوا بِالشَّهَادَتَيْنِ وَامْتَنَعُوا عَنْ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ أَوْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ أَوْ حَجِّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أَوْ عَنْ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ عَنْ تَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ أَوْ الْخَمْرِ أَوْ نِكَاحِ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ أَوْ عَنْ اسْتِحْلَالِ النُّفُوسِ

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٥٦).

(٢) الاعتصام: (٢/ ٣٩٦).

وَالْأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ الرِّبَا أَوْ الْمَيْسِرِ أَوْ عَنْ الْجِهَادِ لِلْكُفَّارِ أَوْ عَنْ ضَرْبِهِمْ الْجِزْيَةَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُمْ يُقَاتَلُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله](١).

فالخلاصة:

أنه اذا ما اختلط دين الله بدين غيره، وتشريعه بتشريع غيره، وحكمه بحكم غيره، كانت الفتنة عن دين الله، ووجب القِتَال حتَّى لا تكون فتنة، وهذا هو الحاصل اليَوْم وما جناه حكامنا علينا من فساد في الداخل، وعدوان من الخارج وضنك في الحياة العامّة، وذل عَلى يد الأَعدَاء.

ولقد سمى ربنا سُبحَانَهُ وتَعَالَى أمثال هَؤُلَاءِ الحكَّام (الكافرون، الفاسقون، الظَّالمون)، فجاء من علماء السّلاطين من يسمى هَؤُلَاءِ الحكَّام: مُسلِمِين صالحين، وأولياء أمور شرعيين، وكأن عندهم قرآنا خاصا بهم كتبوا فيه: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المُسلِمُون المُؤمِنُون الصّالحون !!!

فبصراحة ووضوح، وبحق الشَّهَادة لله الّذي أمرنا بقوله: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فإنه يجب علينا أن نقول:

إن من الخطأ، إنزال بعض العُلَماء مقولة بعض السَّلَف عن سلاطين المُسلِمِين الأوائل الّذين كانوا يحكمون بما أنزل الله، ويجاهدون في سبيل الله، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المُنكروكان فيهم جور وظلم، كبعض ملوك بني أمية وبني العبّاس، فقالوا عن بعض حالات حكمهم بغير ما أنزل الله، أنها (كفر دون كفر) أو (كفر أصغر)، إن من أعظم الغلط إنزال هذا القول عَلى حُكَّام المُسلِمِين اليَوْم، الّذين وصفنا فيما سبق حالهم وحال قوانينهم، وسلطاتهم التَّشريعية!!

سبحان الله!! كيف وقد أوجدوا مختصين بالقانون الوضعي، درسوا في بلاد الصليب الكافرة في الغرب، وأسموا واحدهم(مشرّع) هكذا باللفظ الصريح.

ناهيك عن ما يفعله هَؤُلَاءِ الملوك والرؤساء والأمراء من سن القوانين وتشريع المراسيم، بما في ذلك حلّ أجهزة التَّشريع ذاتها (البرلمان) اذا خطر لهم ذلك!

فالحاكم تارة يعبد المشرع ويطلب من النّاس عبادته، وتارة يسجنه، وإذا أراد أن يقتله قتله!!!

كما كانَ عباد الأصنام يصنع واحدهم إلها من تمرثمّ يأكله! أو إلها من خشب ثمّ يحرقه ليطبخ عليه!

ناهيك عن وجوه الكفر الأخرى الّتي تلبسوا بها من ولاء الكافرين، وقتل المُؤمِنِين، وأوجه نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال.

والآن تطرح علينا مسألة هامة اشتط فيها قوم وأفرطوا حتَّى كفروا المُسلِمِين، وفرَّط آخرون حتَّى أسلموا الكافرين وشهدوا عَلى المرتدّين بالإِسْلَام، هذه المسألة هيَ:

(١) الفتاوى: (٢٨/ ص ٥٤٥).

من هم المرتدّون الكفّار في حكومة الحاكم الكافر أو المرتدّ؟

يقول الله تعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، وكما هو معلوم من لغة العَرَب، فإن لفظة ﴿مَنْ﴾ اسمٌ موصولٌ، بمعنى (**الّذي**)، وهي من صيغ العموم والشمول، فقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم﴾ تعني الّذي لم يحكم، وتشمل كلّ من لم يحكم.

فإذا كانَ النّظام قائما عَلى حكم فرد مطلقا، بدون مؤسسات حاكمة معه، كما كانَ حكم الفرعون، وكما هو حكم الحكَّام المستبدين، فالكافر هو الحاكم وحده ولفظة (من) أي (الّذي) تخصه وحده، وأما أعوانه المنفذون فهم (**طائفة كفر أو ردة**) بشكل عام، يأثمون بقدر مشاركتهم الّتي قد تصل للكفر وقد تكون إثما.

وأما إذا كانَ الحكم عبر مؤسسات، تباشر الحكم بشكل جماعي، كما هو حال معظم حُكُومَات العالم اليَوْم، فالمؤسسات المباشرة للحكم وكبار القائمين عليها كفار.

وفي الحالة المعروفة اليَوْم، فالحُكُومَات الدستورية، تقوم عَلى سلطات ثلاثة:

١ .السّلطة التنفيذية: وهم الرَّئيس ونوابه، والوزراء ونوابهم.

٢ . السّلطة التَّشريعية: وهم نواب البرلمان، أو من يعادلهم من المختصين بتشريع المراسيم وسن القوانين.

٣. السّلطة القضائية: وهم الادعاء العام أو النيابة العامّة، وأنواع القضاة، والمحاكم المختلفة: العامّة، الاستئناف، التمييز المحكمة العليا...الخ.

وأما إذا كانت الحكومة، دكتاتورية(عسكريّة، أو أسرية، أو حزبية....) فالحكومة تقوم عَلى مؤسسة واحدة مؤلفة من الحاكم الديكتاتور وأعوانه المباشرين للحكم والسلطة والتَّشريع والقضاء.

وفي كلتا الحالتين، فالقَاعِدَة هيَ ذاتها: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]

وعليه:

ففي الحُكُومَات الدستورية، وبحكم عموم اللفظ (من)، فالكفار المرتدّون هم:

1- السّلطة التنفيذية: الرَّئيس(أو الملك) ونوابه، والوزراء ونوابهم.

2- السّلطة التَّشريعية: نواب البرلمان، وأعضاء مجلس الشورى، (من الّذين يشرعون مواد الدساتير، أو نصوص القوانين، علىَ غير ما أنزل الله، أو يقرونها، أو يصادقون عليها، أو يقبلونها.)

3- السّلطة القضائية: القضاة الّذين يحكمون بغير ما أنزل الله.

وفي الحالة الدكتاتورية، وبحسب نفس القَاعِدَة، فالكفار المرتدّون هم:

1- الحاكم الدكتاتور ونوابه.

2- كبار أعوانه المباشرين وأعضاء حكومته أو إدارته أو وزرائه المباشرين للسلطة، من حكم وتشريع وقضاء.

وقد نشأت بسبب الانقلابات العسكريّة عَلَى حُكُومَات دستورية، أنظمة حكم جديدة، يمكن تسميتها: (دكتاتوريات دستورية!!) (وهذا اسم نطلقه ليس عَلَى سبيل الفكاهة)، فهي دكتاتورية عَلَى وجه الحقيقة، ودستورية من حيث الادعاء والضحك عَلَى عقول الشّعوب (وهذه هيَ الحالة في بلدان العالم العربيّ والإِسْلَاميّ).

وفي هذه الحالة تبقى القَاعِدَة هيَ ذاتها:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]، **فالكفار المرتدّون هم: الحاكم الدكتاتور، وأعوانه المباشرون للسلطة والحكم بالكفر وللتشريع وللقضاء بغير ما أنزل الله.**

ومن الأدِلَّة النَّاصعَة في القرآن والسُّنَّة، عَلَى كفرِ من أَعطى نفسَه حقَّ التَّشريعِ من التَّحليل والتَّحريم، وتبديلِ الشَّرَائعِ والعدوانِ عَلَى حاكِمِيَّة الله، وجعلَ نفسَه بذلكَ ربّاً يعبد، ما أخبر به سبحانه عن كفر اليَهُوْدِ والنّصَارَى، في قولِه: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة]، فقد روى الإِمَام أحمد والتِّرْمِذِيّ وابن جرير عن طريق عدي ابن حاتمﷺ، كما نقل ذلك ابن كثير في تفسيره، أن عديّاً لما جاء رسول الله ﷺ، ليسلم وكان نصرانيّاً، وجده يقرأ هذه الآية، فقال لرسولِ الله

ﷺ: "إنَّهم لم يعبدوهم"، فقال ﷺ: «بَلَى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ»(١).

ومعلوم أن تفسير القرآن بالسُّنَّة الثَّابِتة هو من أصحّ التَّفاسير، ودلالة الآية والحديث واضحة تمامًا، تدلُّ عَلى أنَّ من شرَّع فحلَّلَ وحرَّم، فقد جعل نفسه ربًا، وعلى أنَّ من أطاعه فقد عبده، وهذه هيَ عبادة قوم فرعون لفرعون، فهو لما قَالَ لهم ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات] لم يطلب منهم أن يعتقدوا أنَّه هوَ الّذي خلقهم ورزَقهم وخلق الكون ودبَّره، فقد كانَ للمصريّين في عهده آلهة يعبدونها بهذه الصّفة، وإنّما عبدوه إلهًا مشرّعًا بالطّاعة، وهو نفس الدَّور الّذي يقوم به حُكَّام المُسلِمِين اليَوْم ومشرِّعُوهُم، وبرلماناتِها الكافِرة الظَّالِمَة الفَاسِقَة، وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف].

كيف لا وهم في مراسيمهم وبرلماناتهم يحلون الخمور، تصنيعا وبيعا وترخيصا، ويقبضون عليها الرسوم والمكوس، وكذلك دور الزنا وبنوك الربا، ويساوون في حق التصويت عَلى التَّشريع، بين المؤمن والكافر، وبين البر والفاجر، وبين الرجل والمرأة، وبين العالم والجاهل... ويعقدون الأحلاف المحرمة، ويبرمون المعاهدات البَاطِلة، ويمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ويسعون في خرابها، ويحرمون في مقابل ذلك مما أحلوا، الأمر بالمعروف، والنهي عن المُنكر، والجِهَاد، والجزية، والاحتساب، وأنواعا من البيع الحلال، ناهيك عن القوانين الّتي تبيح المكوس الظَّالمة، وتقنن لقتل وسجن وتشريد النّاس ظلما وعدوانا، إلى آخر ما شرعوا وقننوا وأحلوا وحرموا، قاتلهم الله أنا يؤفكون.

كيف لا وهم في مراسيمهم وبرلماناتهم يُحلُّون الخُمور، تصنيعاً وبيعاً وترخيصاً، ويقبضون عليها الرُّسوم والمكوس، وكذلك دور الزِّنا وبنوك الرِّبا، ويساوون في حقِّ التَّصويت عَلى التَّشريع، بينَ المؤمنِ والكافرِ، وبين البَرّ والفَاجِر، وبينَ الرَّجل والمرأة، وبين العالم والجاهل، ويعقدون الأحلاف المحرَّمة، ويُبرِمُون المُعاهدات البَاطِلة، ويمنعُون مساجد الله أن يُذكرَ فيها اسمُه، ويسعونَ في خرَابها، ويُحرّمُون في مقابل ذلكَ ممَّا أحلُّوا، الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المُنكر، والجِهَاد، والجِزية، والاحتساب، وأنواعًا من

(١) رواه التِّرمِذِيّ (٣٠٩٥) وقال: حديث غريب، وحسنه الألباني.

البيع الحَلال، ناهيك عن القوانين الّتي تُبيح المكوس الظّالمة، وتقنّن لقتلٍ وسجنٍ وتشريدِ النّاسِ ظلمًا وعدوانًا، إلى آخر ما شرَّعوا وقنّنوا وأحلُّوا وحرَّمُوا، قاتلهمُ اللهُ أنَّا يُؤفكُونَ.

ويجدر بنا لفت النَّظر إلى أمرٍ هامٍّ، وهو أنَّ بقاءَ رسومٍ من أثارِ الشّريعةِ، ونتفًا من أحكامها طيَّ سجلّاتِ القوانين الوضعيَّة، كبعض أحكام الأحوالِ الشَّخصيَّة، والزَّواج والطَّلاق والميراث، في بعض البلاد الإسْلَاميّة، لا يجعل الحكم يوصف بأنَّه حكم الشّريعة، كما أن التّزوير والضَّحك عَلى عقول البُسطاء بِعَنوَنَةِ الدّستُور بالكلمة الفارغة الخادعة، وهي قولهم (الشّريعة الإسْلَاميّة هيَ مَصدر التَّشريع والتَّقنين) أو (الشّريعة الإسْلَاميّة هيَ المصدر الأساسي للتَّشريع) كما في بعض البلاد، أو حتَّى بالمبالغة بالدَّجل بالقول (الشّريعة الإسْلَاميّة هيَ المصدر الوحيد للتَّشريع والتَّقنين)، ثمّ التَّشريع والتَّقنين من دون الله تحت هذا العنوان، كما في بعض البلاد كالسّعُودِيّة والسُّودَان واليمن، فهذا لا يجعل الحكم شرعيًا، ولله المُشتكى كم يستخفُّون بعقولِ شعوبهم، باستخدام بعض العُلَماء من عملاء السُّلطَان، فمن يقبل أن يشتري قارورة خمرٍ، كُتب عليها (حليب) عَلى أنّها حليبٌ، أو زيتٌ!!! وهل يطهر الخمر بالكتابة علية؟! هذا من جهة، ومن جهة أُخرى، فإنَّ من المعلومِ في ديننا أنَّ النَّجاسة تلغى الطَّهارة، والله أغنى الأغنياء عن الشِّرك، كما أخبر عن نفسِهِ ﷻ، وقال في الحديث القُدسي: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» رواه مسلم[1]، والله لا يقبل إلَّا أن يكون الدّين كله لله، قَالَ تَعَالَىَ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقال تَعَالَىَ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢ – ٣]

والعبرة ليست في كبر وعظم هذا الشرك بالتَّشريع، أو بحجم ما خلط بالحكم بغير ما أنزل الله، وإنما باستحلال هذا الفعل والإقدام عليه، والعدوان عَلى حاكِمِيَّة الله الّذي قَالَ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، والفتنة الّتي نحن فيها هيَ أنَّ الدّين في بلادنا لم يعد كلّه لله، قَالَ ابن كثير رحمه الله في قوله تَعَالَىَ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]، [عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "يعني لَا يَكُونَ شِرْكٌ"، عَنْ عُرْوَة بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَائِنَا: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ حتَّى لَا يُفْتَنَ

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

مُسْلِمٌ عَنْ دِينِهِ، وعن مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَيَكُونَ التَّوْحِيدُ خَالِصًا للهِ، لَيْسَ فِيهِ شِرْكٌ، وَيَخْلَعَ مَا دُونَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ"](١).

قَالَ الإِمَام الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ: [**كُلَّ بِدْعَةٍ وإِن قَلَّت تشريعٌ زَائِدٌ أَو نَاقِصٌ، أَو تَغْيِيرٌ للأَصل الصَّحِيح، وكلُّ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ عَلَى الِانْفِرَادِ، وَقَدْ يَكُونُ مُلْحقاً بِمَا هُوَ مَشْرُوعٌ، فَيَكُونُ قَادِحًا فِي الْمَشْرُوعِ، وَلَوْ فَعَلَ أَحد مِثْلَ هذا في نفس الشريعة عامداً لكفر، إِذِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ فِيهَا أَوِ التَّغْيِيرُ، قَلَّ أَوْ كَثُرَ كُفْرٌ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَا قَلَّ مِنْهُ وَمَا كَثُرَ**](٢).

وقال الإِمَام ابن تَيمِيّة رَحِمَهُ اللهُ: [فَإِذَا كَانَ بَعْضُ الدِّينِ للهِ وَبَعْضُهُ لِغَيْرِ الله وَجَبَ قِتَالُهُمْ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ، ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩] وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الطَّائِفِ لَمَّا دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَالْتَزَمُوا الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ؛ لَكِنْ امْتَنَعُوا مِنْ تَرْكِ الرِّبَا، فَبَيَّنَ الله أَنَّهُمْ مُحَارِبُونَ لَهُ وَلِرَسُولِهِ إذَا لَمْ يَنْتَهُوا عَنْ الرِّبَا، وَالرِّبَا هُوَ آخِرُ مَا حَرَّمَهُ الله وَهُوَ مَالٌ يُؤْخَذُ بِرِضَا صَاحِبِهِ، فَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ مُحَارِبِينَ للهِ وَرَسُولِهِ يَجِبُ جِهَادُهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَتْرُكُ كَثِيرًا مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ أَوْ أَكْثَرَهَا كَالتَّتَارِ؟! وَقَدْ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنْ الطَّائِفَةَ الْمُمْتَنِعَةَ إذَا امْتَنَعَتْ عَنْ بَعْضِ وَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ فَإِنَّهُ يَجِبُ قِتَالُهَا إذَا تَكَلَّمُوا بِالشَّهَادَتَيْنِ وَامْتَنَعُوا عَنْ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ أَوْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ أَوْ حَجِّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أَوْ عَنْ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ عَنْ تَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ أَوْ الْخَمْرِ أَوْ نِكَاحِ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ أَوْ عَنْ اسْتِحْلَالِ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ الرِّبَا أَوْ الْمَيْسِرِ أَوْ عَنْ الْجِهَادِ لِلْكُفَّارِ أَوْ عَنْ ضَرْبِهِمْ الْجِزْيَةَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُمْ يُقَاتَلُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ](٣).

فالخلاصة:

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٥٦).

(٢) الاعتصام: (٢/ ٣٩٦).

(٣) الفتاوى: (٢٨/ ص ٥٤٥).

أنه اذا ما اختلط دين الله بدين غيره، وتشريعه بتشريع غيره، وحكمه بحكم غيره، كانت الفتنة عن دين الله، ووجب القِتَال حتَّى لا تكون فتنة، وهذا هو الحاصل اليَوْم وما جناه حكامنا علينا من فساد في الداخل، وعدوان من الخارج وضنك في الحياة العامّة، وذل عَلى يد الأَعدَاء.

ولقد سمى ربنا سُبحَانَهُ وتَعَالَى أمثال هَؤُلَاءِ الحكَّام (الكافرون، الفاسقون، الظَّالمون)، فجاء من عملاء السّلاطين من يسمى هَؤُلَاءِ الحكَّام مسلمون صالحون، وأولياء أمور شرعيون، وكأن عندهم قرآنا خاصا بهم كتبوا فيه: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المُسلِمُون المُؤمِنُون الصّالحون!!!

سبحان الله!! كيف وقد أوجدوا مختصين بالقانون الوضعي، درسوا في بلاد الصليب الكافرة في الغرب، وأسموا واحدهم(مشرع) هكذا باللفظ الصريح، ناهيك عن ما يفعله هَؤُلَاءِ الملوك والرؤساء والأمراء من سن القوانين وتشريع المراسيم، بما في ذلك حلّ أجهزة التَّشريع ذاتها (البرلمان) اذا خطر لهم ذلك! فالحاكم تارة يعبد المشرع ويطلب من النّاس عبادته، وتارة يسجنه، وإذا أراد أن يقتله قتله!!! كما كانَ عباد الأصنام يصنع واحدهم إلها من تمر ثمّ يأكله! أو إلها من خشب ثمّ يحرقه ليطبخ عليه! ناهيك عن وجوه الكفر الأخرى الّتي تلبسوا بها من ولاء الكافرين، وقتل المُؤمِنِين، وأوجه نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال.

هذا عن كفر حُكَّام بلاد الإسْلَام في هذا الزّمان من باب التَّشريع من دون الله والحكم بغير ما أنزل الله.

ولكن هَؤُلَاءِ المحاربين لله ورسوله لم يكتفوا بكفرهم من هذا الوجه، فأضافوا إليه كفرا أشد وضوحا، وأسهل إثباتا، وهو ولاؤهم لأعداء المُسلِمِين ومعاونتهم للكفار ومظاهرتهم علىَ شعوبهم وأهل ملتهم، فلنتأمل في بعض التفصيل الموجز في الحكم الشَّرعيّ في جريمتهم الأخرى هذه.

عَقِيْدَة الوَلَاء والبَرَاء، وحكم مُوالاة الكافرين وأنواعها، وحكم قتال المُسلِمين إلى جانب الكفرة والمرتدّين:

بصرف النَّظر عن أجناس البشر وألوانهم، واختلاف لغاتهم وشعوبهم، وغناهم وفقرهم، أو أي اعتبار آخر، فقد اعتبرت الشّريعة لهم نسبتان فقط هما:

(مؤمن) و(كافر)، وقررت بالنصوص الواضحات من الكتاب والسنة، أن أهل الإيمان إخوة، ويشكلون أمة واحدة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

كما قررت أن الكفّار عَلى اختلاف مذاهب كفرهم، وأجناسهم، وشعوبهم، ولغاتهم (ملة واحدة)، وبهذا الوضوح تقرر أن أهل التكليف إنسهم وجنهم في هذه الأرض أمتان (أهل الإيمان) و(أهل الكفر).

وقد أمر الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى بكل وضوح المُؤمِنين بموالاة بعضهم بعضا، والبَرَاءة من الكافرين، وعلى هذا بنيت (عَقِيْدَة الوَلَاء والبَرَاء)، وليست هذه القضية، قضية فرعية من قضايا الإيمان، بل هيَ قضية أساسية، مرتبطة بأساس التّوحيد، إذ يبنى عليها الإيمان أو الكفر، ونسبة الإنسان لإحدى هاتين الأمتين.

وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

وأخبر بقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]، ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧].

وقال تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية]، فهما نسبتان وجنسيتان، وآصرتان ورابطتان فقط، (مسلم يُوالي مسلماً) و(كافر ومنافق يوالون بعضهم بعضاً).

وقد أمر الله باعتقاد هذه العَقِيْدَة، وأخبر أنّنا إن لم نفعلها ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال]، والناظر في آيات القرآن الكريم، يجد أنها غطت مسألة الأمر بولاية المُؤمِنين وما يترتب عليها،

والنهي عن ولاية الكافرين والأمر بالبَرَاءة منهم وما يترتب عليها، بكل التركيز والوضوح، ويمكن أن نورد طرفا من ذلك بالإيجاز من خلال استخلاص الأحكام والتقريرات القرآنية كما يلي:

١. المؤمن ولي المؤمن:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ [التوبة: ٧١]

٢. الكافر وليُّ الكافر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [الأنفال: ٧٣]، ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

٣. النَّهي عن ولاية الكافرين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ﴾ [النساء: ١٤٤]

٤. ولاية المؤمن للمؤمن هيَ ولاية لله ورسوله وهي نصر وغلبة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٥]، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

٥. ولاية المُسلِم للكافِرين هيَ ولاية للشَّيطان، ودُخول في حِزبه:

وهي خسارة وسخط من الله تَعالَى يوجب الخلود في النَّار، قَال تَعالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المجادلة]، إلى قوله تَعالَى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة].

كما قَالَ تَعَالَى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٨٠ – ٨١].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء: ١١٩].

٦. ولاية المسلم للكافرين واهية وسيتبرأ الشّيطان من ولايتهم بعد أن ورطهم في الكفر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر].

٧. ولاية المسلم للكافرين تجعله منهم وتحبط عمله وتُفضي بِهِ إلى الرِّدَّة:

قَالَ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة] ثمّ قَالَ بعدها: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة].

وبعد أن قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء]، قَالَ بعدها: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء].

٨. النَّهي عن اتّخاذِ الأقرباءِ والقومِ والعَشيرة أولياءَ إن كانوا كافرين:

وأن ودهم مع كفرهم بسبب القرابة مناقض للإيمان، قَالَ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة]

٩. النهي عن اتخاذ الكفرة بطانة وأعوانا وقد بدت البغضاء من أفواههم:

قَالَ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران].

١٠. النّهي عَن وِلايَة مَن قَاتَلَنَا وأخرجَنَا من دِيارِنَا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة].

١١. النَّهي عن ولاية من اتخذ ديننا هزوًا ولعباً:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [المائدة]

١٢. التَّشديد في النَّهي عن ولاية اليَهُوْد والنّصَارى خاصّة من بين الكافرين:

إن الناظر في أسباب نزول معظم آيات النهي عن ولاية الكافرين، يجد أنها نزلت في النهي عن ولاية اليَهُوْد والنّصَارى، ومع ذلك فقد سمتهم آيات القرآن صراحة من بين الكافرين المنهي عن ولايتهم جميعا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٥١].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٥٧].

١٣. الأمر بِالأخذ بِمِلَّةِ إبراهيم بِالبَرَاءة الكَامِلَةِ مِنْ الكَافِرين وبُغضِهم ومُعَادَاتِهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة]

١٤. حدَّدَت الآياتُ القُرآنيَّة أعذَارَ مَنْ يَتولَّى الكُفَّارَ مِنَ المُسلِمِينَ ويَقعُونَ فِي النِّفَاقِ أنَّـهَا إمَّا مِن أَجلِ طَلَبِ العِزَّةِ أو لِلخَوفِ مِنَ الأَذَى والدَّوَائِر:

وقد رد القرآن عَلى هذه الأعذار وأبطلها، وحكم عَلى أصحابها بالنِّفَاق والردة والانتساب للكفار، وذلك بسبب مرض قلوبهم وأن عاقبتهم الندم في الدُّنيَا والآخرة وأن مصيرهم إلى النار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء]، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة]

****

ومن أخطر مظاهر مُوالاة الكافرين:

١ - التشبه بهم في الملبس والسُّلُوك والعادات والأسماء عَلى سبيل الإعجاب والاستحسان والتبعية، وقد روي عنه ﷺ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١).

٢-السكن مع المشركين في ديارهم ومساكنهم من غير ضرورة، قَالَ ﷺ: «لَا تُسَاكِنُوا الْمُشْرِكِينَ، وَلَا تُجَامِعُوهُمْ، فَمَنْ سَاكَنَهُمْ أَوْ جَامَعَهُمْ فَهُوَ مِثْلُهُمْ»(٢).

٣- الاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم، وتهنئتهم بها، وتبادل الهدايا معهم: وقد شدد علماء الإِسْلَام في قضايا الوَلَاء والمحبة للكافرين.

وهذه الأمور السالفة الذكر من التشبة بالكافرين ومساكنتهم بغير ضرورة شرعيّة معتبرة، والإحتفال بأعياد المجوس واليَهُوْد، والنّصارى، قد أصبحت متفشية في المُسلِمِين حتَّى وكأنها من عاداتهم ودينهم، وكأنه لا يترتب عليها الإثم والغضب من الله تَعَالَى: فأكثر المُسلِمِين اليَوْم يظنها من مظاهر التمدن والحضارة، وأنها من مزايا علية القوم وأكابرهم، فاللباس الأجنبيّ والصرعات الغربيّة في الأزياء، وموديلات قص الشعر، وعادات الطعام والشراب، وهيآت الفرش، والقيام والقعود، والموسيقي والرقص، والسُّلُوك الأوروبي والأمريكيّ، قد صارت محل سباق وتنافس بين مختلف طبقات المُسلِمِين إلا من رحم الله.

وأما السكن والإقامة في بلاد الكافرين، فالناظر في أعداد المُهَاجِرين لبلاد الكفّار، والمقيمين معهم، والمتزوجين منهم، والقاضين حياتهم ومماتهم وحياة ذريتهم في بلاد الكافرين، يدهش من كثرتهم، بل لقد أصبح النّاس في بلادنا ينظرون اليهم عَلى أنهم من أصحاب الحظ والفوز اليَوْم، فالنّاس يتسابقون ولاسيما الشَّبَاب، ويصطفون عَلى أبواب سفارات الكفّار ولاسيما أوروبّا وأمريكا وأستراليا، ليحظى واحدهم بـ(فيزا) عمل أو هِجرَة، والناظر في حياة عشرات الملايين من المُسلِمِين في الغرب، يرى العجب

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر والألباني (صحيح الجامع-٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاري.

(٢) رواه الترمذي: (١٠٦٤) والحاكم (٦٩٠٥) وصححه الذهبي، وأورده الألباني في (الصحيحة-٦٣٦).

العجاب، ولاسيما في أولادهم وأحفادهم، مما يتفطر القلب له، فقد فشا فيهم الزواج بالكافرات بل لقد فشا زواج بناتهم برجال الكافرين، ووجدوا من علماء المُسلِمِين من يفتى لهم بهذا السفاح!

كما يربى الأولاد تربية الكافرين في مدارسهم، ولا يعرفون لغات آبائهم المُسلِمِين، بل صار بعضهم يدخل جُيُوش الكفّار وأحزابهم! والناظر في أحوال ٤٠ مليون مسلم في أوروبّا، ونحو نصفهم في أمريكا وأستراليا، يجد أن الغالبيّة منهم لم يذهبوا إلى هناك لضرورة سياسيّة أو أمنيّة أو إكراه، وإنما لكسب العيش وتحسين مستوى الحياة، فلما إنقضت حاجتهم، استطابوا العيش، ورضوا بالحياة الدُّنيَا، واطمأنوا بها، وما اهتموا لإنسلاخهم أو ذراريهم من دينهم، ولا لانخراط أكثرهم في عداد الكافرين وأما احتفال المُسلِمِين في بلادنا بأعياد الكفّار، ولاسيما النّصرانية والغربيّة، فقد صارت عادة رائجة عند أكثر المُسلِمِين في بلادنا، فالاحتفال بعيد الميلاد النّصراني، وعيد رأس السنة المسيحية، والأعياد الّتي اخترعوها، مثل عيد ميلاد الشخص، وعيد الأم، وعيد الأب، وعيد الشجرة، وعيد الزواج، وعيد العشاق، وعيد العمال، فقد أصبح الاحتفال بها من قبل المُسلِمِين وحُكُومَاتهم ووسائل إعلامهم أمرا عاديا، وبلغ ببعض المُسلِمِين أن ينصبوا في بيوتهم شجرة عيد الميلاد المزينة، ويقدموا لأولادهم الهدايا ليلتها، ويحتفلون بها مثل أعيادنا الفطر والأضحى وأكثر.

وكل ما سبق محرم في الشّريعة، يأثم فاعله وهو من مظاهر الفسوق والعصيان، وقد جاءنا نتيجة للهزيمة النّفسية الروحية والعقدية والسّياسيّة والعسكريّة والاقتصاديَّة أمام الغرب الكافر.

٤- الجلوس مع الكفرة والمرتدّين والمُنَافِقين وهم يستهزئون بآيات الله وشعائر دينيه وعباده المُؤمِنِين: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

طاعة الكفّار فيما نهى الله عنه ولو بشيء قليل: قَالَ تَعَالَى في سورة محمّد ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [محمد]، فطاعة الّذين كرهوا شريعة الله، في أمرهم ولو بشيء قليل طريق للردة.

٥-اتخاذ الكفرة بطانة ومستشارين، وناصحين ومعاونين، ووضع المُسلِمين تحت أمرهم ونهيهم، فهذا شكل من أشكال ولايتهم الّتي نهى الله عنها.

٦-النصيحة للكفار ودلالتهم عَلى ما يقويهم ونصرتهم بالرّاي عَلى المُسلِمين.

٧-التحاكم إلى قوانينهم وشرائعهم، هو من أكبر أشكال ولايتهم، قَالَ الإِمَام ابن تَيمِيّة رحمه الله في مجموع الفتاوى ج٢٨/ ١٩٩: [وَمِنْ جِنْسِ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ الَّتِي ذَمَّ الله بِهَا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقِينَ: الْإِيمَانُ بِبَعْضِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الْكُفْرِ أَوْ التَّحَاكُمُ إلَيْهِمْ دُونَ كِتَابِ الله، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء]].

إلا أن أخطر ذلك وأوضحه ردة هو:

٨- القِتَال معهم وتحت رايتهم وفي خدمة مصالحهم، وهذه أعظم أشكال الولاية، حيث يضحي المرء بروحه في سبيل الكفّار، وهو كفر مخرج من ملة الإِسْلَام، وانتماء إليهم بنص القرآن: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] وقد برئ الله منه: ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦] وقال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر].

ومن الآثار الّتي وردت في تفسير بعض النّصوص القرآنية السّابقة:

قَالَ ابن حزم رحمه الله ينقل الإجماع: [وَصَحَّ أَنَّ قَوْلَ الله ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ إنَّمَا هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ بِأَنَّهُ كَافِرٌ مِنْ جُمْلَةِ الْكُفَّارِ فَقَطْ، وَهَذَا حَقٌّ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ][1].

قَالَ الطبري رحمه الله في تفسيره: [وَمَنْ يَتَوَلَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى دُونَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ، يَقُولُ: فَإِنَّ مَنْ تَوَلَّاهُمْ وَنَصَرَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ دِينِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ، فَإِنَّهُ لَا يَتَوَلَّى مُتَوَلٍّ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ بِهِ وَبِدِينِهِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ رَاضٍ، وَإِذَا رَضِيَهُ وَرَضِيَ دِينَهُ فَقَدْ عَادَى مَا خَالَفَهُ وَسَخِطَهُ، وَصَارَ حُكْمُهُ حُكْمَهُ][2].

---

(١) المحلى لابن حزم: (١٢/ ٣٣)

(٢) تفسير الطبري: (١٠/ ٤٠٠).

وقال ابن جرير في تفسير[لَا تَتَّخِذُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكُفَّارَ ظَهْرًا وَأَنْصَارًا، تُوَالُونَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَتُظَاهِرُونَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَدُلُّونَهُمْ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ؛ يَعْنِي بِذَلِكَ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ، وَبَرِئَ اللهُ مِنْهُ بِارْتِدَادِهِ عَنْ دِينِهِ][(١)].

وقال ابن القيِّم في كتابه أحكام أهل الذِّمة: [أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ حَكَمَ، وَلَا أَحْسَنَ مِنْ حُكْمِهِ، أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّى الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَهُوَ مِنْهُمْ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ فَإِذَا كَانَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْهُمْ بِنَصِّ الْقُرْآنِ كَانَ لَهُمْ حُكْمُهُمْ][(٢)].

قَالَ ابن كثير في تفسير سورة المائدة الآية (٥٠-٥٣): [أي نَهَى تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَالَاةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، قَاتَلَهُمُ اللهُ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، ثُمَّ تَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ مَنْ يَتَعَاطَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: "... أَنَّ عُمَرَ أَمَرَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ مَا أَخَذَ وَمَا أَعْطَى فِي أَدِيمٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ لَهُ كَاتِبٌ نَصْرَانِيٌّ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ ذَلِكَ، فَعَجِبَ عُمَرُ وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَحَفِيظٌ، هَلْ أَنْتَ قَارِئٌ لَنَا كِتَابًا فِي الْمَسْجِدِ جَاءَ مِنَ الشَّامِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَجُنُبٌ هُوَ؟ قَالَ: لَا بَلْ نَصْرَانِيٌّ، قَالَ: فَانْتَهَرَنِي وَضَرَبَ فَخِذِي، ثُمَّ قَالَ: أَخْرِجُوهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١] حدثنا محمّد بن الحسن، ... قَالَ عبدالله بن عتبة: (لِيَتَّقِ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ)، قَالَ: فَظَنَنَّاهُ يُرِيدُ هَذِهِ الْآيَةَ][(٣)].

قَالَ ابن كثير: [وَقَوْلُهُ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أَيْ: شَكٌّ، وَرَيْبٌ، وَنِفَاقٌ ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ أَيْ: يُبَادِرُونَ إِلَى مُوَالَاتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ فِي الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أَيْ: يَتَأَوَّلُونَ فِي مَوَدَّتِهِمْ وَمُوَالَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ أَنْ يَقَعَ أَمْرٌ مِنْ ظَفَرِ الْكُفَّارِ بِالْمُسْلِمِينَ، فَتَكُونُ لَهُمْ أَيَادٍ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَيَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ، عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ قَالَ السُّدِّي: يَعْنِي فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَالَ غَيْرُهُ: يَعْنِي الْقَضَاءَ والفصلِ ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ قَالَ السُّدِّي: يعني ضرب الجزية على الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿فَيُصْبِحُواْ﴾ يَعْنِي: الَّذِينَ وَالَوُا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنَ الْمُنَافِقِينَ ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ مِنَ الْمُوَالَاةِ ﴿نَٰدِمِينَ ۝﴾ [المائدة] أَيْ: عَلَى مَا

---

(١) تفسير الطبري: (٣/ ٣١٣).

(٢) أحكام أهل الذمة : (١/ ١٩٥).

(٣) تفسير ابن كثير: (٣/ ١٣٢).

كَانَ مِنْهُمْ، مِمَّا لَمْ يُجْدِ عَنْهُمْ شَيْئًا، وَلَا دَفَعَ عَنْهُمْ مَحْذُورًا، بَلْ كَانَ عَيْنَ الْمَفْسَدَةِ، فَإِنَّهُمْ فُضِحُوا، وَأَظْهَرَ اللهُ أَمْرَهُمْ فِي الدُّنْيَا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَسْتُورِينَ لَا يُدْرَى كَيْفَ حَالُهُمْ، فَلَمَّا انْعَقَدَتِ الْأَسْبَابُ الْفَاضِحَةُ لَهُمْ، تَبَيَّنَ أَمْرُهُمْ لِعِبَادِ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ](١)

(سبحان الله كأنها تحكي هذه الآية وتفسيرها حالة حُكَّام بلاد الْمُسلِمِين الّذين يعاونونها كمشرف وحكومته الباكستانية في موالاتهم لأمريكا لأَنّهم يظنُّون أنها ستنتصر عَلى الْمُسلِمِين فيكون لهم عندهم مكانة، واعتذارهم عن ذلك بخوف الدّائرة والمصيبة منها، والرغبة في طلب العز منها، وما سيندمون عليه من افتضاح أمرهم وخسارتهم وعقوبتهم عَلى أيدي الْمُؤمِنِين لما يأتي نصر الله).

وفي قوله تَعالَى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨] قَالَ ابن كثيرﷺ تعالَى: [نَهَى اللهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُوَالُوا الْكَافِرِينَ، وَأَنْ يَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ يُسِرُّون إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ تَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ أَيْ: مَنْ يَرْتَكِبُ نَهْيَ اللهِ فِي هَذَا فَقَدْ بَرِئَ اللهُ مِنه، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أَيْ: يُحَذِّرُكُمْ نِقْمَتَهُ، أَيْ مُخَالَفَتَهُ وَسَطْوَتَهُ فِي عَذَابِهِ لِمَنْ وَالَى أَعْدَاءَهُ وَعَادَى أَوْلِيَاءَهُ.](٢).

وفي قوله تَعالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝١١٨﴾ [آل عمران] قَالَ ابن كثير: [يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَاهِيًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّخَاذِ الْمُنَافِقِينَ بِطَانَةً، أَيْ: يُطْلعونهم عَلَى سَرَائِرِهِمْ وَمَا يُضْمِرُونَهُ لِأَعْدَائِهِمْ، وَالْمُنَافِقُونَ بِجُهْدِهِمْ وَطَاقَتِهِمْ لَا يَأْلُونَ الْمُؤْمِنِينَ خَبَالا أَيْ: يَسْعَوْنَ فِي مُخَالَفَتِهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، وَبِمَا يَسْتَطِيعُونَهُ مِنَ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ، وَيَوَدُّونَ مَا يُعْنِتُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحرِجُهُمْ ويَشُقّ عَلَيْهِمْ](٣).

وكما ذكرنا فالآيات والأحاديث والآثار وأقوال العُلَماء متضافرة بهذه المعاني.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣١).

(٣) تفسير ابن كثير: (٢/ ١٠٦).

وهذه الحقائق هيَ من أولويات الإِسْلَام وأساسِيَّات العَقِيْدَة، الّتي يلخصها بكل إيجاز ووضوح، خطاب القرآن الصَّريح لكلِّ مسلم:

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ **وهذا واضح، فمن يتولَّى الكفّار فهو كافرٌ مرتدّ مثلهم قد برئ الله منه.**

وقد عد الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب مظاهرة الكفّار عَلَى المُسلِمِين في نواقض الإِسْلَام العشرة الّتي ذكرها وهي:

١- الشرك بالله، الذبح لغير الله وللقبر.

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم.

٣- من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم، كفر.

٤- من اعتقد أن غير هدي النبيّ ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت عَلى حكمه فهو كافر.

٥- من أبغض شيئا مما جاء به الرَّسُول ﷺ – ولو عمل به – فهو كافر.

٦- من استهزأ بشيء من دين الرَّسُول أو ثوابه أو عاقبه كفر، والدليل: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥﴾ [التوبة: ٦٥]

٧- السحر، فمن فعله أو رضي به كفر، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٨- مظاهرة المشركين ومعاونتهم عَلى المُسلِمِين: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، **وهي محل الشاهد.**

٩- من اعتقد أن بعض النّاس يسعه الخروج عن شريعة محمّد ﷺ، كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

١٠- من أعرض عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعمل به ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [الأحقاف:٣]

قَالَ سليمان بن عبدالله بن الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب: [اعلم رحمك الله: أنَّ الإنسان إِذا أَظهر للمشركين الموافقة على دينهم: خوفاً منهم ومداراةً لهم، ومداهنةً لدفع شرِّهم، فإنَّه كافرٌ مثلهم وإنْ كان يكره دينَهم ويبغضهم، ويحبُّ الإسلام والمسلمين، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كانَ في دار منعة واستدعى بهم، ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة عَلى دينهم البَاطِل، وأعانهم عليه بالنّصرة، ووالاهم، وقطع الموالاة بينه وبين المُسلِمِين، فإن هذا لا شَّكَّ مسلم أنه كافر من أشد النّاس عداوة لله ورسوله ﷺ ولا يستثنى من ذلك إلا المكره، وقد أجمع العُلَماء عَلى أن من تكلم بالكفر هازلاً فإنَّه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً]، وساق الشَّيْخ عشرين دليلاً عَلى قوله منها: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١٢٠] ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [آل عمران: ٢٨] ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ﴾ [النساء: ١٤٠] ﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ۝٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٨١﴾ [المائدة] الحديث «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»(١)، قَالَ الشَّيْخ سليمان بن عبدالله بن محمّد بن عبد الوهاب: [إن الّذي يدعي الإِسْلَام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنّصرة والمنزل معهم يعده المشركين منهم فهو كافر مثلهم، إن ادعى الإِسْلَام، كالنّاس الّذين أقاموا في مكّة وادعوا الإِسْلَام بعد الهِجرَة، وخرجوا في بدر فظن بعض الصّحابة إنهم مسلمون وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [النساء: ٩٧] من ظهرت منه علامات النِّفَاق الدالة عليه كارتداده عند التحزيب عَلى الْمُؤمِنِين وخذلانهم عند اجتماع العدوّ، يجوز إطلاق اسم منافق عليه](٢).

إذن، وللشهادة لله نقول:

---

(١) رواه أو داود (٢٧٨٧) وصححه الألباني، وقال الأرنؤوط :" إسناده مسلسل بالضعفاء، ويغني عنه ما صح عن جرير بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «أنا بريء من كل مسلم يُقيم بين أظهر المشركين» قالوا: يا رسول الله، لم؟ قال: «لا تراءى ناراهما»".

(٢) الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك : (٢٩).

إن من أعظم التلبيس والظُّلم والافتراء عَلَى الله الكذب، ومن أعظم تبديل آيات الله واتخاذها هزوا، ومن بيع الدّين بالدنيا والشراء بآيات الله ثمنا قليلا، أن يحاول المدلسون أن يصوروا هذا الوَلَاء الكامل الحاصل من حُكَّام المُسلِمِين، وهذا الحلف المتين القائم بينهم وبين اليَهُوْد والنّصَارى، من أمريكان وأوروبيين وسواهم من الكفّار عَلَى أنه قضية ضرورات ومصالح مشروعة، أو حالات إكراه، بعد أن تبدى النِّفَاق منهم، وتنوعت أشكال ولائهم للكفار، بل بلغت أعلاها، من القِتَال معهم والدّفاع عنهم، وبنصرتهم عَلَى المُسلِمِين مهما كلف ذلك من خراب ديار المُسلِمِين، وزهق أنفسهم وسفك دمائهم وبيع أراضيهم ونهب ثرواتهم، مما لا يمكن تسميته إلا أنه خيانة وعمالة لهم وولاء للكافرين وبراء من المُؤمِنِين.

والحقيقة الّتي لاغباش فيها، هيَ أن الرِّدَّة المتأتية عن هذا الوَلَاء للكفار، الّتي تلبس بها أكثر حُكَّام المُسلِمِين اليَوْم، وجروا إليها أنظمتهم وحُكُومَاتهم، وجروا إليها، جودهم ورجال أمنهم والعاملين في حُكُومَاتهم، هيَ من أوضح وجوه كفرهم ونفاقهم.

وهي بالإضافة لما تلبسوا به من الكفر الصريح لتبديلهم شرائع الإِسْلَام واستبدالها بشرائع الكفر والطَّاغوت، من فلسفات وشرائع أعداء هذا الدّين، الّذين والوهم، تكون شاهدين يدمغان هَؤُلَاءِ الحكَّام بالردة والكفر والخروج من ملة الإِسْلَام.

ولا يدفع هذا الحكم عنهم تدليس المدلسين الّذين نصبوا من أنفسهم خصماء عن هَؤُلَاءِ الخونة رغم قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾

فقد قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [النساء]

فسبحان الله! ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد]؟ وما أظنها إلا الاثنتين معاً.

قلوب مقفلة ولاتتدبر القرآن، بسبب ما ران عَلَى تلك القلوب من السحت وأكل أموال السّلاطين، مصداقاً لقوله ﷺ: «مَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا»[1] أبعدهم الله.

ثالثا: الخروج علىَ الحاكم إن ارتد عن الإسْلاَم أو كانَ كافرا واجب علىَ المُسلِمِين بالإجماع:

ماذا يترتب شَرعاً عَلَى كفر الحاكم للمسلمين أو ردته عن الإِسْلَام؟:

كما ذكرنا آنفا، فان كافّة مصائب المُسلِمِين وما نزل بهم من كوارث داخليَّة مردها في الحقيقة إلى غياب شرع الله عنهم، وحكمهم بغير ما أنزل الله، وكفر حكامهم، وولائهم للكفار، فالأصل في الشّريعة أن «الإِمَام جُنَّة»[2] يقاتل من ورائه ويدفع به العدوان، ويقوم به العدل والقسط، وتقضى به الحقوق، فتتوازن الأُمّة داخليا، وتدفع عدوها خارجيا، وبقدر فساد الحاكم تفسد أحوال الرعية، والعُلَماء هم ضابط الحكَّام، وبقدر فسادهم يفسد الحكَّام، فكما جاء في الأثر:«صِنفَانِ مِنَ النّاسِ إذا صَلحَا صَلَحَ النّاس وإذا فَسَدَا فَسَد النّاس، العُلَماءُ والأمراءُ»[3]، والحقيقة أن بحث مسألة إسلام حكامنا أو كفرهم وردتهم، بعدما آلت الأحوال إلى ما نراه اليَوْم، هيَ مسألة في غاية العظمة والخطورة، لأنها بوابة البحث عن مخرج لمشاكل المُسلِمِين اليَوْم، فهي مسألة ديننا ودنيانا، وبالاختصار، فإن الحكم الشَّرعيّ بإسلام الحاكم، أو كفر الحاكم، يترتب عليه من اللوازم والنتائج، أحد فقهين متناقضين تماماً.

وقبل الخوض في مترتبات إسلام الحاكم أو كفره، نذكر بأمر هام جدا، وهو مفصل الهدى والضلال في هذه المسألة، هذا الأمر هو: أن إسلام الحاكم أو كفره مرتبط تماما بقضية حكمه بالشّريعة الّتي يحكم بها، بمعنى:

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) وأحمد (٩٦٨٣، ٨٨٣٦) وضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني – الصحيحة (١٢٧٢).

(٢) طرفٌ من حديثٍ رواهُ البخاري (٢٩٥٧) ومسلم (١٨٤١) وغيرهما عن أبي هريرة يرفعه ومنه : «إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ».

(٣) أثرٌ مروي عن عبدالله بن المبارك وبعض السَّلف، ولم تصح نسبته لابن عباس فقد رواه أبو نعيم في الحلية عنه رضي الله عنه وقال الألباني: موضوع عن ابن عباس – ضعيف الجامع (٣٤٩٥).

- **إذا كانَ الحكم لله، والشّريعة قائمة، فالحاكم مسلم، ما لم ينقض إسلامه.**
- **وإذا كانَ الحاكم مسلما، فمن لوازم ذلك أن يحكم بما أنزل الله.**

فليس هناك حكم بما أنزل الله إن كانَ الحاكم كافراً، ولا يكون الحاكم مسلماً إذا حكم بغير ما أنزل الله، فهما مترادفتان: حاكم مسلم = حكم بما أنزل الله.

وعكسها بعكسها: حكم بغير ما أنزل الله = حاكم كافر.

وهذا أوضحناه في الفقرة السالفة، عندما تكلمنا عن الحاكِمِيَّة والوَلَاء.

من لوازم ونتائج كون الحاكم مسلما يحكم بشريعة الله ويوالي المُؤمِنين ويعادي الكافرين:

وجوب السّمع والطاعة له في كلّ ما يأمر به، ما لم يكن معصية، في المنشط والمكره، والصّبر عَلَى الأثرة، وأن لا ينازعه أمره قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

وجوب احترام المُسلِمِين لعهوده، وعقوده ومعاهداته واتفاقاته وأمانه وذمته، مادامت في حدود الشّريعة.

وجوب النَّفِير معه إن استنفر المُسلِمِين للجِهَاد في سبيل الله، ضدّ الكفّار او المرتدّين، أو البغاة أو المفسدين في الأرض.

وجوب نصيحته، والتّعاون معه عَلَى البر والتقوى والمعروف قدر الاستطاعة، وعدم الافتئات عليه ما لم يفرط بالأمر بالمعروف والنهى عن المُنكر.

وجوب الصّبر عليه، وطاعته، وإن أخذ مالك، وجلد ظهرك، وإن تلبس بالفسق في نفسه، والجور في حكمه، ما لم يتلبس بكفر فيه من الله برهان، والأحاديث الدالة عَلَى هذه الأمور كثيرة.

هذا كله مادام الحاكم مسلما لم يتلبس بناقض من نواقض الإيمان، أو كفر فيه من الله برهان كما في الحديث الصَّحِيح المتفق عليه، عن عبادة بن الصامت ﷺ قَالَ: دَعَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ». وهذه رواية مسلم[1].

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

وجوب جِهَاد الحاكم الكافر أو المرتدّ:

نقل الإِمَام النووي في شرحه لصحيح مسلم عند شرح هذا الحديث عن القاضي عياض الإجماع عَلى الخروج عَلى الحاكم إن كفر، فقال: [**قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَةَ لَا تَنْعَقِدُ لِكَافِرٍ وَعَلَى أَنَّهُ لَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ الْكُفْرُ انْعَزَلَ قَالَ وَكَذَا لَوْ تَرَكَ إِقَامَةَ الصَّلَوَاتِ وَالدُّعَاءَ إِلَيْهَا... قَالَ الْقَاضِي فَلَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ كُفْرٌ وَتَغْيِيرٌ لِلشَّرْعِ أَوْ بِدْعَةٌ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ الْوِلَايَةِ وَسَقَطَتْ طَاعَتُهُ وَوَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقِيَامُ عَلَيْهِ وَخَلْعُهُ وَنَصْبُ إِمَامٍ عَادِلٍ إِنْ أَمْكَنَهُمْ ذَلِكَ فَإِنْ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ إِلَّا لِطَائِفَةٍ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْقِيَامُ بِخَلْعِ الْكَافِرِ وَلَا يَجِبُ فِي الْمُبْتَدِعِ إِلَّا إِذَا ظَنُّوا الْقُدْرَةَ عَلَيْهِ فَإِنْ تَحَقَّقُوا الْعَجْزَ لَمْ يَجِبِ الْقِيَامُ وَلْيُهَاجِرِ الْمُسْلِمُ عَنْ أَرْضِهِ إِلَى غَيْرِهَا وَيَفِرَّ بِدِينِهِ**](١)

قَالَ الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البُخَارِيّ: [**أَنَّهُ- أي الإمام- يَنْعَزِلُ بِالْكُفْرِ إِجْمَاعًا فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ الْقِيَامُ فِي ذَلِكَ فَمَنْ قَوِيَ عَلَى ذَلِكَ فَلَهُ الثَّوَابُ وَمَنْ دَاهَنَ فَعَلَيْهِ الْإِثْمُ وَمَنْ عَجَزَ وَجَبَتْ عَلَيْهِ الْهِجْرَةُ من تِلْكَ الْأَرْضِ**](٢).

قَالَ أبو يعلى: [**إن حَدَثَ مِنهُ مَا يَقدَحُ في دِينِهِ نَظَرتَ فَإِن كَفَرَ بَعدَ إِيمَانِهِ فَقَد خَرَجَ عَنِ الإِمَامَة وَهَذَا لَا إِشكَالَ فِيهِ لِأَنَّه خَرَجَ عَنْ المِلَّةِ وَوَجَبَ قَتلُه**](٣).

قَالَ الأستاذ عبد القادر عودة رحمه الله في كتابه (الإِسْلَام بين جهل أبنائه وعجز علمائه): [**وأن إباحة المجمع عَلى تحريمه كالزنا والسكر واستباحة إبطال الحدود وتعطيل أحكام الشّريعة وشرع ما لم يأذن به الله إنما هو كفر وردة وأن الخروج عَلى الحاكم المسلم إذا ارتد واجب عَلى المُسلِمين وأقل درجات الخروج عَلى أولي الأمر هو عصيان أوامرهم ونواهيهم المخالفة للشريعة**].

وقد استنبط العُلَماء والمفسرون من قوله تَعَالَى لسيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [البقرة: ١٢٤] أن الإمامة لا تنعقد لكافر بل ولا لفاسق أو ظالم ابتداء، وكذلك استنبطوا من قوله تَعَالَى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: (ج١٢- ص٢٢٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر: (ج١٣ص١٢٣).

(٣) المعتمد في أصول الدين: (ص: ٢٤٣).

[النساء]، أي لا يجعل الله للكافرين عَلَى الْمُؤمِنِين سلطة وقهرا وتحكما، ومن أعظم السّلطة ولاية الحاكم، فهي الإمامة العظمى، وأعظم سبيل للطاعة والقهر بل لقد منع العُلَماء بيع الرقيق المسلم لكافر، وكذلك منعوا المناصب والولايات الّتي يكون فيها المسلم تحت الكافر، ومن هذا الوجه حرم زواج المسلمة بالكافر، لأن ولاية البيت للزوج، وستكون المسلمة في أمر كافر، في حين أباح العكس، فالخلاصة كما نقل النووي الإجماع عَلَى بطلان ولاية الحاكم الكافر أو من ارتد وطرأ عليه الكفر ووجوب الخروج عليه وخلعه.

جاء في كتاب الإمامة العظمى عند أهل السّنّة (تأليف عبدالله الدميجي) في الفَصل الثّالث تحت عنوان (عزل الإِمَام والخروج عَلَى الأئمة) ص ٤٦٥ ما ننقل منه باختصار مايلي:

[من المتفق عليه بين العُلَماء أن الإِمَام ما دام قائما بواجباته الملقاة عَلَى عاتقه في تدبير شؤون رعيته، عادلا بينهم فلا يجوز عزله ولا الخروج عليه، بل ذلك مما حذر منه الإِسْلَام وتوعد الغادر بعذاب أليم، لكن هناك أموراً عظيمة لها تأثير عَلَى حياة الْمُسلِمِين الدّينيّة والدنيوية منها ما يُؤَدِّي إلى ضرورة عزل الإِمَام المرتكب لها، وهذه الأمور منها ما هو متفق عليه بين العُلَماء ومنها ما هو مختلف فيه، والآن نستعرض هذه الأسباب لنرى آراء العُلَماء فيها:

الأوّل: الكفر والردة بعد الإِسْلَام:

أول الأمور وأعظم الأسباب الموجبة لعزل الوالي هو الرِّدَّة والكفر بعد الإيمان، فإذا ما ارتكب الإِمَام جرماً عظيماً يُؤَدِّي إلى الكفر والإرتداد عن الدّين فإنه ينعزل بذلك ولا يكون له ولاية عَلَى مسلم بحال.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء] وأي سبيل أعظم من سبيل الإمامة؟ وفي الحديث الّذي رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه قَالَ: بَايَعَنَا – أي رَسُولَ الله ﷺ– «عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ»(١)، قَالَ الخطابي: (معنى بواحاً: يريد ظاهراً بادياً) «عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ»

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

قَالَ الحافظ بن حجر في شرح البُخَارِيّ[١]: (أَيْ نَصُّ آيَةٍ أَوْ خَبَرٌ صَحِيحٌ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ)، وقال النووي في شرحه لمسلم: (وَالْمُرَادُ بِالْكُفْرِ هُنَا الْمَعَاصِي وَمَعْنَى عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ أَيْ تَعْلَمُونَهُ مِنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى وَمَعْنَى الْحَدِيثِ لَا تُنَازِعُوا وُلَاةَ الْأُمُورِ فِي وِلَايَتِهِمْ وَلَا تَعْتَرِضُوا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ تَرَوْا مِنْهُمْ مُنْكَرًا مُحَقَّقًا تَعْلَمُونَهُ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ)[٢]، ومن مفهوم هذا الحديث أنه لا يشترط أن يعلن هذا الحاكم الرِّدَّة عن الإِسْلَام أو الكفر، بل يكفى إظهاره لبعض المظاهر الموجبة للكفر، قَالَ الشَّيْخ أنور شاه كشميري في كتاب (إكفار الملحدين) ص٢٢ في نسخة (المجلس العلمي في كراتشي): "ودل – أي هذا الحديث- أيضاً عَلى أن أهل القبلة يجوز تكفيرهم وإن لم يخرجوا عن القبلة، وأنه قد يلزم الكفر بلا التزام وبدون أن يريد تبديل الملة، وإلا لم يحتج الرائي إلى برهان".

فظاهر الحديث أن من طرأ عليه الكفر فإنه يجب عزله وهذا أهون ما يجب عَلى الأُمّة نحوه، إذ الواجب أن يقاتل ويباح دمه بسبب ردته لقوله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[٣]، – ثمّ نقل الدّميجيّ كلام القاضي عياض وكلام ابن حجر والقاضي أبو يعلى الّذي أسلفناه– ثمّ قَالَ:[قَالَ السّفاقسي: "أجمَعُوا عَلى أنَ الخَليفَة إذا دَعَى إِلى كُفر أو بِدعة يُقَامُ عَلَيهِ"[٤].

الثّاني: ترك الصّلاة والدّعوة إليها....

الثّالث: ترك الحكم بما أنزل الله:

والّذي يدل عَلى أن هذا السبب موجب لعزل الإِمَام بجميع صوره المكفرة والمفسقة هو ورودها مطلقة في الأحاديث النّبويّة الصَّحِيحة الآتية:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»[٥].

---

(١) فتح الباري لابن حجر: (ج١٣/ ص٨).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي: (١٢/ ٢٢٩).

(٣) رواه البخاري: (٣٠١٧، ٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

(٤) إرشاد الساري بشرح صحيح البُخَارِيّ: (ج ١٠ ص ٢١٧).

(٥) رواه البُخَارِيّ (٦٩٣، ٦٩٦).

عن أم الحُصين الأحمسيَّة قالت: "حَجَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ "، إلى أَنْ قَالَت ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُم عَبْدٌ مُجَدَّعٌ - حَسِبْتُهَا قَالَتْ - أَسْوَدُ، يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ الله تَعَالَى، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»[1] وفى رواية التِّرْمِذِيّ والنسائي سمعته يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ مَا أَقَامَ فِيكُمْ كِتَابَ الله»[2].

فهذه الأحاديث واضحة الدلالة عَلى أنه يشترط للسمع والطاعة أن يقود الإِمَام رعيته بكتاب الله، أما إذا لم يحكم فيهم شرع الله فهذا لا سمع له ولا طاعة وهذا يقتضي عزله، وهذا في صور الحكم بغير ما أنزل الله المفسقة، أما المكفرة فهي توجب عزله ولو بالمقاتلة كما سبق بيانه في السبب الأوّل، والله أعلم].أهـ.

- وقد وقفت عَلى كلام في غاية الأهمّيّة كشاهد معاصر في موضوعنا هٰذا، فقد جاء في كتاب (تكملة فتح الملهِم – في شرح صحيح مسلم) لشيخ الإِسْلَام في باكستان (الشَّيْخ محمّد تقي العُثْمَانِيّ): عند شرح هذا الحديث الشريف:

عن جنادة بن أبي أمية، قَالَ: دخلنا عَلى عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا: حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به سمعته من رسول الله ﷺ، فقال:" دَعَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ»"[3].

---

(١) رواه مسلم (١٢٩٨، ١٨٣٨). ش: "عبد مجدّع" أي مقطع الأعضاء والتشديد للتكثير وإلا فالجدع قطع الأنف والأذن والشفة.

(٢) رواه الترمذي (١٧٠٦) والنسائي (٤١٩٢) وأحمد (١٦٦٤٦، ١٦٦٤٩) وصححه الألباني والأرنؤوط على شرط مسلم.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

قَالَ الشَّيْخ تقي عُثمَانِيّ: [قوله: « وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» أي لا ننازع الأمير في إمارته، وزَادَ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ عَنْ جُنَادَةَ: « وَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ لَكَ»[١] أي فِي الْأَمْرِ حَقًّا، فَلَا تَعْمَلْ بِذَلِكَ الظَّنّ، بَلْ اِسْمَعْ وَأَطِعْ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَيْك بِغَيْرِ خُرُوجٍ عَنْ الطَّاعَة وزَادَ فِي رِوَايَةِ حَيَّانَ أبي النَّضر عَن جُنَادَة عِنْد ابن حِبَّانَ وَأَحْمَدَ: « وَإِنْ أَكَلُوا مَالَكَ، وَضَرَبُوا ظَهْرَكَ»[٢] كما في فتح الباري (١٣/ ٨).

قوله: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا» بفتح الباء الواو، يُرِيدُ ظَاهِرًا بَادِيًا مِنْ قَوْلِهِمْ بَاحَ بِالشَّيْءِ يَبُوحُ بِهِ بَوْحًا وَبَوَاحًا: إِذَا أَذَاعَهُ وَأَظْهَرَهُ، ووقع في بعض الروايات: «براحا» بالراء بدل الواو، وهو قريب من هذا المعنى، وَأَصْلُ الْبَرَاحِ الْأَرْضُ الْقَفْرَاءُ الَّتِي لَا أَنِيسَ فِيهَا وَلَا بِنَاءَ وَقِيلَ الْبَرَاحُ الْبَيَانُ يُقَال بَرِحَ الْخَفَاءُ إِذَا ظَهَرَ، وَوَقَعَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ في الحديث: «كُفْرًا صُرَاحًا» بصادٍ مضمومة ثمّ راء، هذا ملخص ما في فتح الباري (١٣/ ٨).

مسألة الخروج عَلى أئمة الجور:

وبهذا الحديث استدل جمهور العُلَماء عَلى أنه لا يجوز الخروج عَلى السُّلطَان الجائر أو الفاسق إلا أن يظهر منه كفر صريح، قَالَ الحافظ في الفتح (١٣/ ٧): " **قَالَ ابن بَطَّالٍ: فِي الْحدِيثِ حُجَّةٌ فِي تَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَى السُّلْطَانِ وَلَوْ جَارَ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ عَلَى وُجُوبِ طَاعَةِ السُّلْطَانِ الْمُتَغَلِّبِ وَالْجِهَادِ مَعَهُ وَأَنَّ طَاعَتَهُ خَيْرٌ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ، وَتَسْكِينِ الدَّهْمَاءِ، وَحُجَّتُهُمْ هَذَا الْخَبَرُ وَغَيْرُهُ مِمَّا يُسَاعِدُهُ وَلَمْ يَسْتَثْنُوا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا وَقَعَ مِنَ السُّلْطَانِ الْكُفْرُ الصَّرِيحُ، فَلَا تَجُوزُ طَاعَتُهُ فِي ذَلِكَ بَلْ تَجِبُ مُجَاهَدَتُهُ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهَا**".

وربما يفهم منه بعض النّاس أن الإمَام الجائر لا يجوز الخروج عليه في حال من الأحوال مادام متسمِّيا باسم الإسْلَام، وليس الأمر عَلى هذا الإطلاق، ولاسيَّما عَلى مذهب الإمَام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ تعَالَى.

يقول الإمَام أبو بكر الجصاص رَحِمَهُ اللهُ في أحكام القرآن (١/ ٨٦) تحت قوله تَعَالَى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [البقرة] وَكَانَ مَذْهَبُهُ (**يعني أبا حنيفة**) مَشْهُورًا فِي قِتَالِ الظَّلَمَةِ وَأَئِمَّةِ الْجَوْرِ، ولذلك قَالَ

---

(١) رواه أحمد (٢٢٧٣٥) وقال الأرنؤوط: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٣٦) وابن حبان (٤٥٦٦، ٤٥٦٢) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني: الصحيحة (٣٤١٨).

الْأَوْزَاعِيُّ: احْتَمَلْنَا أَبَا حَنِيفَةَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى جَاءَنَا بِالسَّيْفِ يَعْنِي قِتَالَ الظَّلَمَةِ فَلَمْ نَحْتَمِلْهُ، وَقَضِيَّتُهُ فِي أَمْرِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ مَشْهُورَةٌ وَفِي حَمْلِهِ الْمَالِ إلَيْهِ وَفُتْيَاهُ النَّاسَ سِرًّا فِي وُجُوبِ نُصْرَتِهِ وَالْقِتَالِ مَعَهُ وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ مَعَ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ ابْنَيْ عَبْدِ الله بْنِ حَسَنٍ".

أما الّذي أشار إليه الجصاص من قضية زيد بن علي، فما ذكره أصحاب التواريخ أن زيد بن علي لما خرج عَلى بني أمية أيده الإِمَام أبو حنيفة بماله، وقد أخرج الموفق بسنده: (كانَ زيد بن علي أرسل إلى أبي حنيفة يدعوه إلى نفسه، فقال أبو حنيفة لرسوله: لو عرفت أن النّاس لا يخذلونه ويقومون معه قيام صدق، لكنت أتبعه وأجاهد معه من خالفه، لأنه إمام حق، ولكني أخاف أن يخذلوه كما خذلوا أباه، لكني أعينه بمالي فيتقوى به عَلى من خالفه، وقال لرسوله: (ابسط عذري عنده، وبعث إليه بعشرة آلاف درهم)، ثمّ قَالَ الموفق: (وفي غير هذه الرواية اعتذر بمرض يعتريه في الأيّام حتَّى تخلف عنه، وفي رواية أُخرى: **سئل عن الجِهَاد معه، فقال: خروجه يضاهي خروج رسول الله ﷺ يوم بدر**، فقيل له: فلم تخلفت عنه؟ قَالَ: لأجل ودائع كانت عندي للنَّاس عرضتها عَلى ابن أبي ليلى، فما قبلها، فخفت أن أقتل مجهلا للودائع، وكان يبكي كلما ذكر مقتله) راجع مناقب الإِمَام الأعظم للموفق المكي(١/ ٢٦٠ و٢٦١).

وأما قصته مع محمّد النّفس الزكية وأخيه إبراهيم بن عبدالله، فإنهما خرجا عَلى المنصور، وذكر المكي في المناقب (٢/ ٨٤) أن أبا حنيفة كانَ يحض النّاس عَلى إبراهيم ويأمرهم بإتباعه، **وذكر قبل ذلك أنه كانَ يفضل الغزوة معه عَلى خمسين حجّة**، وذكر الكردي في مناقبه (٢/ ٢٢) أن الإِمَام أبا حنيفة منع الحسن بن قحطبة أحد قواد المنصور من الخروج إلى إبراهيم بن عبدالله، **ويقال: إن المنصور سمَّ أبا حنيفة من أجل هٰذا، حتَّى توفى** رحمه الله.

وكذلك قصة سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه مع يزيد بن معاوية معروفة، وخرجت جماعة من المتقين عَلى الحجاج بن يوسف.

فالذي يظهر لهذا العبد الضعيف عفا الله عنه بعد مراجعة النّصوص الشَّرعيّة وكلام الفقهاء والمحدثين في هذا البَاب – والله أعلم – أن فسق الإِمَام عَلى قسمين:

الأوّل ما كانَ مقتصرا عَلى نفسه، فهذا لا يبيح الخروج عليه، وعليه يحمل قول من قَالَ: إن الإِمَام الفاسق أو الجائر لا يجوز الخروج عليه.

والثّاني: ما كانَ متعديا وذلك بترويج مظاهر الكفر، وإقامة شعائره، وتحكيم قوانينه، واستخفاف أحكام الدّين، والامتناع من تحكيم شرع الله مع القدرة عَلى ذلك لاستقباحه، وتفضيل شرع غيرالله عليه، فهذا ما يلحق بالكفر البواح، ويجوز حينئذ الخروج بشروطه.

وأحسن ما رأيت في هذا الموضوع كلام نفيس لشيخ مَشَايخنا حكيم الأُمّة **أشرف علي التهانوي** رَحِمَهُ اللهُ رسالته "جزل الكلام في عزل الإِمَام" وإنها مطبوعة في المجلد الخامس من إمداد الفتاوى (ص١١٩ إلى ١٣١).

وإن خُلاصة ما ذكره رَحِمَهُ اللهُ في تلك الرّسالة أن الأمور المخلة بالإمامة عَلى سبعة أقسام:

القسم الأوّل: أن يعزل الإِمَام نفسه بلا سبب، وهذا فيه خلاف، كما في شرح المقاصد (٢/ ٢٨٢).

والقسم الثّاني: أن يطرأ عليه ما يمنعه من أداء وظائف الإمامة، كالجنون، أو العمى، أو الصمم أو البكم، أي صيرورته أسيرا لا يرجى خلاصه، وهذا ما ينحل به عقد الإمامة، فينعزل الإِمَام في هذه الصُّور جميعا.

والقسم الثّالث: **أن يطرأ عليه الكفر، سواء كانَ كفر تكذيب وجحود، أو كفر عناد ومخالفة، أو كفر استخفاف أو استقباح لأمور الدّين، وفي هذه الصُّورة ينعزل الإِمَام، وينحل عقد الإمامة، فإن أصر عَلى بقائه إماما، وجب عَلى المُسلِمِين عزله بشرط القدرة ولكن يشترط في ذلك أن يكون الكفر متفقا عليه**، بدليل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (في حديث البَاب): «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[1] وكما يشترط قطعية الكفر، يشترط أيضا أن يكون صدوره منه قطعيًا كرؤية العين، ولا يكتفى في ذلك بالرِّوايات الظَّنِّيَّة، بدليل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا» المراد به رؤية العين بدليل تعديته إلى مفعول واحد، ثمّ قد تختلف الآراء في كون الصادر من السُّلطَان كفرا، أو في دلالته عَلى الكفر، أو في ثبوته بالقرائن الحالية والمقالية، أو في قطعية الكفر الصادر منه، فكل من عمل عند وقوع مثل هذا الخلاف برأيه الّذي يراه فيما بينه وبين الله يعتبر مجتهدا معذورا، فلا يجوز تفويق سهام الملامة إليه، عَلى أن وجوب الخروج في هذه الصُّورة مشروط بشرط القدرة، وبأن

(١) متفق عليه سبق تخريجه.

لاتحدث به مضرة أكبر من مضرة بقاء مثل هذا الإمَام، يقول الشريف الجرجاني في شرح المواقف (٨/ ٣٥٣): (**إِنَّ لِلْأُمَّةِ خَلْعَ الْإِمَامِ وَعَزْلَهُ بِسَبَبٍ يُوجِبُهُ، مِثْلُ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ مَا يُوجِبُ اخْتِلَالَ أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَانْتِكَاسَ أُمُورِ الدِّينِ كَمَا كَانَ لَهُمْ نَصْبُهُ وَإِقَامَتُهُ لِانْتِظَامِهَا وَإِعْلَائِهَا، وَإِنْ أَدَّى خَلْعُهُ إِلَى فِتْنَةٍ احْتُمِلَ أَدْنَى الْمَضَرَّتَيْنِ**)[1]، فيمكن أيضا أن يقع الخلاف في تعيين أدنى المضرَّتين، فكل يعمل بما يراه فيما بينه وبين الله، فلا يجوز لواحد أن يلوم الآخر، وعلى مثل هذه الأمور الاجتهاديَّة يحمل اختلاف الصّحابة والتَّابعين ومن بعدهم في الخروج عَلى بعض الأئمة في زمنهم.

القسم رابع: أن يرتكب السُّلطَان فسقا مقتصرا عَلى نفسه، كالزنا، وشرب الخمر وما إلى ذلك، وحكمه أنه لا ينعزل به بنفسه، ولكنه يستحق العزل، فعلى الأُمّة أن تعزله إلا أن تترتب عَلى العزل فتنة، قَالَ في الدرّ المختار، باب الإمامة (**يكره تقليد الفاسق ويعزل به إلا لفتنة**) وقال ابن عابدين تحته: **"قَوْلُهُ: وَيُعْزَلُ بِهِ، أَيْ بِالْفِسْقِ لَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ؛ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْعَزْلَ كَمَا عَمِلْت آنِفًا، وَلِذَا لَمْ يَقُلْ يَنْعَزِلُ... وَقَالَ ابن الهمام فِي الْمُسَايَرَةِ: وَإِذَا قُلِّدَ عَدْلًا ثُمَّ جَارَ وَفَسَقَ لَا يَنْعَزِلُ؛ وَلَكِنْ يُسْتَحَبُّ الْعَزْلُ إنْ لَمْ يَسْتَلْزِمْ فِتْنَةً"**[2] وحاصله أنه لا يجوز الخروج عليه في هذه الصُّورة بما فيه سفك الدِّماء وإثارة الفتنة...

والقسم الخامس: أن يرتكب فسقا يتعدى أثره إلى أموال غيره، بأن يظلم النّاس في أموالهم، **ولكن يتأول في ذلك بما فيه شبهة الجواز**، مثل أن يحمل النّاس الجبايات متأولاً فيها بمصالح العامّة، وحكمه أنه لا ينعزل به، وتجب إطاعته، ولا يجوز به الخروج عليه، كما سيأتي في عبارة ابن عابدين.

والقسم السَّادس: **أن يظلم النّاس أموالهم، وليس له في ذلك تأويل، ولا شبهة جواز، وحكمه أنه يجوز للمظلوم أن يدفع عنه الظُّلم، ولو بقتال ويجوز الصّبر أيضا بل يؤجر عليه، وأن هذا القِتَال ليس للخروج عليه، بل للدفاع عن المال، فلو أمسك الإمَام عن الظُّلم وجب الإمساك عن القِتَال،** قَالَ

---

(١) الدر المختار بحاشية ابن عابدين : (٤/ ٢٦٤)

(٢) الدر المختار بحاشية ابن عادين : (١/ ٥٤٩).

ابن عابدين ناقلا عن فتح القدير: (وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ أَطَاقَ الدَّفْعَ أَنْ يُقَاتِلَ مَعَ الْإِمَامِ إِلَّا إِنْ أَبْدَوْا مَا يُجَوِّزُ لَهُمْ الْقِتَالَ كَأَنْ ظَلَمَهُمْ أَوْ ظَلَمَ غَيْرَهُمْ ظُلْمًا لَا شُبْهَةَ فِيهِ بَلْ يَجِبُ أَنْ يُعِينُوهُمْ حَتَّى يُنْصِفَهُمْ وَيَرْجِعَ عَنْ جَوْرِهِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ الْحَالُ مُشْتَبَهًا أَنَّهُ ظُلْمٌ مِثْلُ تَحْمِيلِ بَعْضِ الْجِبَايَاتِ الَّتِي لِلْإِمَامِ أَخْذُهَا وَإِلْحَاقُ الضَّرَرِ بِهَا لِدَفْعِ ضَرَرٍ أَعَمَّ مِنْهُ)[1]، وهذا حكم المظلوم الّذي يقاتل دفعا للظلم عن نفسه، أما غيره فهل يجوز له أن ينصر هذا المظلوم ضدّ الإمَام ؟ اختلفت فيه عبارات القوم، فذكر في فتح القدير أنه يجب عَلى غير الظلوم أن يعين هذا المظلوم والمقاتل حتَّى ينصفه الإمَام ويرجع عن جوره، وذكر في جامع الفصولين والمبتغي والسراج أنه لا ينبغي للنَّاس معاونة السُّلطَان ولا معاونتهم، ووفق ابن عابدين بين القولين بأن وجوب إعانتهم إذا أمكن امتناعه عن بغيه، وإلا فلا، راجع رد المحتار، باب البغاة (٣/ ٣٤١)[2]، وأما كون الصّبر أولى في هذه الحالة، فما سيأتي عند المصنف من حديث حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنهما أخبر فيه عن أئمة الجور، وفيه:" قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ الله، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»"[3] فالمراد من قوله ﷺ: «فَاسْمَعْ وَأَطِعْ» نهيُهُ عن الخروج، وأما القِتَال لدفع الظُّلم فجوازه مبني عَلى الأحاديث الّتي تبيح عن القِتَال عن النّفس وعن المال، وبما أن هذا القِتَال يشابه الخروج صورة، فتركه أولى استبراءً للدِّين.

والقسم السَّابع: أن يرتكب فسقاً متعدِّياً إلى دين النّاس، فيكرههم عَلى المعاصي، وحكمه حكم الإكراه المبسوط في محله، ويدخل هذا الإكراه في بعض الأحوال في الكفر حقيقة أو حكما، وذلك بأن يصر عَلى تطبيق القوانين المصادمة للشريعة الإسْلَاميّة، إما تفضيلا لها عَلى شرع الله، وذلك كفر صريح، أو توانيا، وتكاسلا عن تطبيق شريعة الله ؛ بما يغلب منه الظن أن العمل المستمر عَلى خلاف الشّريعة يحدث استخفاف لها في القلوب، فإن مثل هذا التواني والتكاسل، وإن لم يكن كفرا صريحا يحيث يكفر به مرتكبه، ولكنه في حكم الكفر، بدليل ما ذكره الفقهاء من أنه لو ترك أهل بلدة

---

(١) الدر المختار بحاشية ابن عادين: (٤/ ٢٦٥) وفي فتح القدير لابن الهمام: (٦/ ١٠٢).

(٢) في طبعة التحقيق هو (٤/ ٢٦٠).

(٣) رواه مسلم (١٨٤٧).

الأذان حلّ قتالهم، لأنه من أعلام الدّين، وفي تركه استخفاف ظاهر به، راجع باب الأذان من الدر المختار ورد المحتار(١/ ٣٨٤)، وحينئذ يلحق هذا القسم السَّابع بالقسم الثّالث، وهو الكفر البواح، فيجوز الخروج عَلى التفصيل الّذي سبق في حكمه.

ثمّ إن وجوب الخروج في القسم الثّالث والسَّابع مشروط بالقدرة والمنعة، وجواز الخروج فيهما مشروط بأن يرجى عقد الإمامة لرجل صالح تواجد فيه شروط الإمامة، وأما إذا صار الأمر من جائر إلى جائر، أو استلزم، مثل استيلاء الكفّار عَلى المُسلِمِين، فلا يجوز الخروج في هاتين الصُّورتين أيضا.

وما روى من خروج سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما عَلى يزيد بن معاوية، وتأييد الإِمَام أبي حنيفة زيد بن علي، ومحمّد النّفس الزكية وإبراهيم بن عبدالله في خروجهم عَلى أئمة زمنهم محمول عَلى القسم الثّالث أو السَّادس أو السَّابع، وقد ذكرنا أن الآراء يمكن أن تختلف في تعيين ما يبيح الخروج، والله سُبحَانَهُ وتَعَالَى أعلم] أهـ.[١]

فكما أسلفنا فإننا أمام حالة كفر حكامنا بواحا من بابين عظيمين من أبواب الرِّدَّة وهما:

التَّشريع من دون الله واستبدال شرع الله بشرائع البشر والحكم بها بغير ما أنزل الله.

ولاية الكفّار من اليَهُوْد والنّصَارى وغيرهم وقتال المُسلِمِين معهم وفى سبيل مصالحهم.

هذا غير ما تلبسوا به من أشكال مكفرات الأقوال والأفعال وما أتوا به من أسباب الخروج من ملة المُسلِمِين، مما يوجب الخروج عليهم ومقاتلتهم وقتلهم إجماعا كما تقدم من الأدِلَّة.

****

من لوازم ومترتبات كفر الحاكم أصلاً أو ردّةً:

١- سقوط ولايته وبطلان إمامته.

٢- وجوب الخروج عليه بالسّلاح وخلعه.

٣- وجوب قتله لردته، قَالَ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِيْنَه فَاقْتُلُوهُ»، رواه أحمد[٢].

(١) تكملة فتح الملهم (ج٣/ ص ٣٢٦-٣٣١).

(٢) رواه البخاري (٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

٤- وجوب أو جواز مقاتلة طائفته إن منعوه بالسّلاح.

٥- وجوب عدم السّمع والطاعة وجباية الأموال له.

٦- وجوب عدم معاونته، ولا العمل لديه ولا مشاركته جريمة الحكم بغير ما أنزل الله

٧- بأى منصب أو أي شكل.

٨- بطلان جميع عهوده ومواثيقه، ومعاهداته وأمانه، لأنه لا يمثل المُسلِمين،

٩- وجوب العمل فوراً، عَلى نصب إمام مسلم بدلا عنه وطاعته بما تقدم من الحقوق والواجبات.

فمسألة ارتداد الحاكم وما يترتب عَلى ذلك من ضياع الحقوق وفساد أنظمة الحكم في الدِّماء والأموال والإعراض وما يترتب عَلى ذلك من طغيان الكافرين واستعلاء الظَّالمين وسيادة المفسدين والفاسقين، وتسلط الأَعدَاء الخارجين من الكفّار والملحدين وتعاون المُنَافِقين معهم، وما يترتب عَلى ذلك من ضياع البلاد والعِبَاد، ليست مسألة فرعية ثانوية ليس للشريعة فيها أحكام وواجبات وأوامر ونواهي؟ كيف والله تَعَالَى يقول: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل].

فهي مسألة رئيسيَّة وإن أهملها أكثر النّاس اليَوْم عامتهم وخاصتهم.

كما يجب لفت النَّظر إلى حالة خطيرة متفشية بين كثير من أهل العلم وأتباعهم، وهي أنهم لو اهتدوا وفق الأدِلَّة الشَّرعيَّة إلى كفر الحاكم اليَوْم، وهو حال أصبح العميان يبصرونه بحواسهم وجوعهم وأحوالهم، فإن هَؤُلَاءِ لا ينتقلون إلى الإقرار بالمترتبات السالفة عَلى كفر الحاكم، فتراهم يقرون بكفر الحاكم، ولكنهم يعملون عنده، ويتسلمون المناصب، ويدخلون مؤسساته الكافرة، التَّشريعية والقضائية والتنفيذية، بل قد يقاتلون في صفه وتحت رايته ولو ذبح المُسلِمين وقتل الّذين يأمرون بالقسط من النّاس!

وهذا من البلاء الّذي عم وطم في أكثر بلاد المُسلِمين، ولأسباب مردها في النهاية لدى عامة المُسلِمين وخاصتهم إلى الجهل أو العجز، فهم لا يخرجون عَلى هَؤُلَاءِ الحكَّام الكفرة المناصرين لأعداء الله ولا يقاتلونهم، فهم إما جهلة بوجوب هذا القِتَال، وإما أنهم يقرون بالوجوب ويدعون العجز.

وفى التحقيق في أسباب ذلك وما يدعونه من العجز تجد أن الحقيقة عكس ذلك، وأن السبب الّذي يظهر بكل جلاء هو ما أوجزه ﷺ في كلمتين، لقد أصاب الأمّة: (الوهن) الّذي أخبر عنه ﷺ ففي الحديث الّذي رواه أبو داوود في سننه: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ الله مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ الله فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١)، لقد أحب النّاس الدُّنيا عامتهم وخاصتهم إلا من رحم الله، وكرهوا الموت فتداعت عليهم الأمم، وأعقبهم ذلك عيشا ضنكا عَلى أيدي حكامهم، عيش الموت أرحم منه كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

مسألة أحكام الدِّيار: هل هيَ دار إسلام؟ أم أنها دار كفر؟

تجدر الإشارة إلى أمر خطير يترتب عَلى كفر الحاكم وغياب الحم بشريعة الله، وهو أمر أجمع عليه أهل الإِسْلَام واتفقت عليه المذاهب الأربعة لأهل السّنّة، وهو أن البلاد الّتي يحكمها كافر بغير شرع الله تزول عنها صفة دار الإِسْلَام، وإن كانَ عموم أهلها مُسلِمين، والناظر في تصنيف فُقَهَاء الإِسْلَام رحمهم الله يخرج بنتيجة واضحة موجزة، وهي أن حكم الدِّيار، هل هيَ ديار إسلام أم ديار كفر، هو تبع للأحكام الّتي تعلوها.

فإن علتها أحكام الإِسْلَام كانت ديار إسلام وإن علتها أحكام الكفر كانت ديار كفر.

بصرف النَّظر عن دين أهلها، ومما قاله فُقَهَاء الإِسْلَام في ذلك:

- قَالَ الكاساني الحنفي، في بدائع الصنائع ج ٩/ ص٤٣٧٥ قال:

(إنَّ كلَّ دَارٍ مُضَافة إمَّا إلى الإِسْلَامِ وإمَّا إلى الكُفرِ، وإنَّما تُضَافُ الدَّارُ إلَى الْإِسْلَامِ إذا طُبِّقَت فِيهَا أَحكَامُهُ، وتُضَافُ إلى الكُفرِ إذَا طُبِّقَتْ فِيهَا أَحكَامُهُ)(٢).

- وقال القاضي أبو يعلى الحنبلي:

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

(٢) في نسخة التحقيق: بدائع الصنائع (٧/ ١٣٠).

(كلّ دار كانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإِسْلَام فهي دار الكفرة)[١].

وقال الإِمَام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، في كتابه أحكام أهل الذمة [٢]:

(قَالَ الْجُمْهُورُ: دَارُ الْإِسْلَامِ هِيَ الَّتِي نَزَلَهَا الْمُسْلِمُونَ، وَجَرَتْ عَلَيْهَا أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ، وَمَا لَمْ تَجْرِ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ لَمْ يَكُنْ دَارَ إِسْلَامٍ).

فالدِّيار من وجهة نظر الإِسْلَام نوعان، وكل نوع قسمان.

١- ديار إسلام أكثر أهلها مسلمون تحكم بشرع الله.

٢- ديار إسلام أكثر أهلها كافرون تحكم بشرع الله.

٣- ديار كفر أكثر أهلها مسلمون لا تحكم بشرع الله.

٤- ديار كفر أكثر أهلها كافرون لا تحكم بشرع الله.

- فالنوع الأوّل: كبلاد الإِسْلَام أيّام كانت تحت الحكم الشَّرعيّ، ومثل ما حصل في أفغانستان تحت حكم الشّريعة أيّام حكومة طالبان.
- والنوع الثّاني: كالبلاد الّتي افتتحها المُسلِمُون، وحكموها بالإِسْلَام، وبقي أهلها عَلَى دينهم الكافر يدفعون الجزية، ويحكم بهم بشرع الله، وهذا ليس له مثال اليَوْم.
- النوع الثّالث: هو كسائر بلاد المُسلِمِين اليَوْم، أكثر أهلها مسلمون وحكامهم كفرة مرتدون يحكمون بشرع الطواغيت ويوالون أعداء الله.
- النوع الرَّابع: كعموم بلاد الكفّار الأصليين اليَوْم، بلاد أهلها كفار ويحكمون أنفسهم بشرائع الكفر المختلفة، مثل أوروبّا وأمريكا والهند والصين وغيرها.

فمسألة ارتداد الحاكم وما يترتب عَلَى ذلك من ضياع الحقوق وفساد أنظمة الحكم في الدِّماء والأموال والإعراض وما يترتب عَلَى ذلك من طغيان الكافرين واستعلاء الظَّالمين وسيادة المفسدين والفاسقين، وتسلط الأَعدَاء الخارجين من الكفّار والملحدين وتعاون المُنَافِقين معهم، وما يترتب عَلَى ذلك من ضياع

---

(١) المعتمد في أصول الدّين (ص٢٧٦).

(٢) أحكام أهل الذمة (٢/ ٧٢٨).

البلاد والعِبَاد، ليست مسألة فرعية ثانوية ليس للشريعة فيها أحكام وواجبات وأوامر ونواهي؟ كيف والله تَعَالَى يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل].

فهي مسألة رئيسيَّة وإن أهملها أكثر النّاس اليَوْم عامتهم وخاصتهم، كما يجب لفت النَّظر إلى حالة خطيرة متفشية بين كثير من أهل العلم وأتباعهم، وهي أنهم لو اهتدوا وفق الأدِلَّة الشَّرعيَّة إلى كفر الحاكم اليَوْم، وهو حال أصبح العميان يبصرونه بحواسهم وجوعهم وأحوالهم، فإن هَؤُلَاءِ لا ينتقلون إلى الإقرار بالمترتبات السالفة عَلَى كفر الحاكم، فتراهم يقرون بكفر الحاكم، ولكنهم يعملون عنده، ويتسلمون المناصب، ويدخلون مؤسساته الكافرة، التَّشريعية والقضائية والتنفيذية، بل قد يقاتلون في صفه وتحت رايته ولو ذبح المُسلِمِين وقتل الّذين يأمرون بالقسط من النّاس!

وهذا من البلاء الّذي عم وطم في أكثر بلاد المُسلِمِين، ولأسباب مردها في النهاية لدى عامة المُسلِمِين وخاصتهم إلى الجهل أو العجز، فهم لا يخرجون عَلَى هَؤُلَاءِ الحكَّام الكفرة المناصرين لأعداء الله ولا يقاتلونهم، فهم إما جهلة بوجوب هذا القِتَال، وإما أنهم يقرون بالوجوب ويدعون العجز.

وفى التحقيق في أسباب ذلك وما يدعونه من العجز تجد أن الحقيقة عكس ذلك، وأن السبب الّذي يظهر بكل جلاء هو ما أوجزه ﷺ في كلمتين، لقد أصاب الأُمّة: (الوهن) الّذي أخبر عنه ﷺ ففي الحديث الّذي رواه أبو داوود في سننه:

«يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ الله مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ الله فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[1].

لقد أحب النّاس الدُّنيَا عامتهم وخاصتهم إلا من رحم الله، وكرهوا الموت فتداعت عليهم الأمم، وأعقبهم ذلك عيشا ضنكا عَلَى أيدي حكامهم، عيش الموت أرحم منه كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني - السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

رابعا: أحكام الشّريعة تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون من المُسلِمِين مع الكفّار وأعانهم علىَ المُسلِمِين، وتوجب قتاله:

لكل جمع ورابطة تقوم بين فئة من النّاس مقوّمات تربط بينهم من أهمّها، فكرة يعتقدونها وصفة اجتمعوا عليها ومصلحة توحد بينهم، وقيادة أو رأس اجتمعوا عليه يأتمرون بأمره، ويصدرون عن مشورته، وراية يقاتلون تحتها، وهدف مشترك يسعون لتحقيقه، فإذا ما توفرت مثل هذه المواصفات لجمع من النّاس أطلق عليهم اسم جماعة، أو اصطلح عليهم شَرعاً باسم (طائفة)، فإن كانَ لهم منعة وشوكة وقوة يدافعون بها سموا (طائفة ممتنعة ذات شوكة)، فإن اجتمعت هذه الطَّائِفَة عَلَى الإِسْلَام والإيمان سميت (طائفة إيمان وإسلام)، وإن التقوا عَلَى ناقض من نواقض الإِسْلَام، سموا (طائفة ردة) كما كانَ حال المرتدّين أيّام أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإن كانوا كفاراً أصلا سموا (طائفة كفر)، وإن خرجوا عَلَى إمام شَرعِيّ مع تمسكهم بالإِسْلَام، وبغوا عليه سموا (طائفة باغية)، وإن خرجوا للسلب والنهب والقتل سموا (طائفة فساد) وهكذا.

ومن البديهي أن هذه الطَّائِفَة تسمَّى بصفة الغالب عليها، مع وجود من لا تنطبق عليه صفاتها معهم، كانَ يكون أحدهم جاهلا بهم، أو مكرها عَلَى الوجود معهم، أو جمعته إليهم مصلحة ذاتية أو عصبية قرابة أو غير ذلك، فلا شَّكَّ أنه يوجد منافقون في طائفة الإِسْلَام ليسوا منهم، وقد حصل هذا في غالب تاريخ المُسلِمِين ولم يسلم منه حتَّى جيش رسول الله ﷺ، وكذلك قد يوجد في صف المُسلِمِين، المنتفعون والمتسبون للإسلام لأجل الدُّنيَا، وكذلك قد يوجد في طائفة الكفر مسلم أكره عَلَى الوجود معهم، أو جاهل بحالهم تلبس أمره عليهم، وينطبق هذا الاستثناء في وجود من ليس من الطَّائِفَة فيها عَلَى طوائف البغاة والمفسدين والمرتدّين والكافرين، ووجود هَؤُلَاءِ الشواذ عن الطَّائِفَة لا يكون له حكم الغالب، أو حكم الرّاية أو الرابطة الّتي اجتمعت عليها، ولا يتغير اسمها ولا حكمها الشَّرعيّ بسبب هَؤُلَاءِ الشواذ، وفي حكم الشّريعة، فلكل طائفة من هذه الطوائف حكمها الشَّرعيّ، فالواجب تجاه طوائف أهل الإيمان الوَلَاء والنّصرة، وتجاه طوائف الرِّدَّة والكفر البَرَاءة والمعاداة، وتجاه أهل الشر والفساد الدَّفع والقتال ضدهم إن صالوا عَلَى دين أو عرض أو مال أو نفس لأهل الإِسْلَام، وهكذا.

فإذا ما اتضح لنا مفهوم الطَّائِفَة، وحكمها الغالب عَلى من فيها من الشواذ عنها، انتقلنا إلى الحديث عن مشكلة أعوان الكافرين والمرتدّين من المتسبين للإسلام، والّذين يقاتلون المُسلِمِين مع طوائف الكفر أو الرِّدَّة أو سوى ذلك، خاصّة أولئك العاملين في مجال السّلطة والدّفاع عنها، يقاتلون المُسلِمِين بأوامر الحكَّام المرتدّين، مثل العاملين في أجهزتهم العسكريّة والأمنيّة كالجيش والدرك والشّرطة وأجهزة الأمن وما يتبعها من القوّات المُسلّحة وشبه المُسلّحة وما يخدمها من أجهزة تابعة.

فما الحكم الشَّرعيّ الواجب اعتقاده في هَؤُلَاءِ المتسبين أصلا لملة الإِسْلَام؟ ويدينون بدينهم ويتسمون بأسمائهم وقد يُؤَدِّي بعضهم بعض شعائر الإِسْلَام، ثمّ يأتي المُسلِمِين فيقاتلهم ويطاردهم ويحاربهم، تنفيذا لأوامر أسياده من الحكَّام المرتدّين، ولا يمنعه إسلامه أن يقاتل حتَّى إلى جانب الكفّار الأصليين بأوامر أولئك الحكَّام الّذين أعلنوا موالاتهم ونصرتهم للكفار، والدّفاع عن مصالحهم وقبول أوامرهم؟

فنقول والله المُستَعان وهو يهدي السبيل:

إن هذا الجندي أو رجل الأمن أو الشّرطة، المدافع عن الطَّاغوت، العامل عنده، المحارب للمسلمين معه ومع أوليائه الكفّار، له إحدى حالات:

أولاً: أن يكون هذا التَّابع موافقا لسيده الحاكم الكافر، فيما ذهب إليه من عداء الإِسْلَام وموالاة الكافرين والعدوان عَلى شريعة الله، عارفا بأحوال رئيسه متفقا معه مقتنعا بما هو عليه من حرب الإِسْلَام والمُسلِمِين.

ثانياً: أن يكون هذا التَّابع يعمل ويقاتل مع سيده وهو غير موافق لسيده في محاربة الإِسْلَام والمُسلِمِين، وهذا له إحدى ثلاث حالات:

أن يكون جاهلا بالأمر كله لا يدرك ما يقوم به ولا يفهم أنه حرب للدين وللمسلمين، جاهلا بردة سيده وكفره ونفاقه للكافرين، فهو **(جاهل)**.

أن يكون مكرها عَلى تنفيذ أوامر سيده، بتهديده بالعقاب أو السّجن أو القتل، إن هو لم ينفذ الأوامر، تهديدا فعليا لا يستطيع الفكاك أو الهرب منه، فهو **(مكره)**.

أن يكون عارفا بأحوال سيده، وليس جاهلا ولا مجبرا مكرها، وإنما اتخذ موقعه معهم لمصلحة دنيوية من الكسب والوظيفة، أو لعصبية قرابة عائلية أو حزبية أو مذهبية، أو أي سبب دنيوي فهو (مرتزق أو متعصب).

أما من النَّاحية العمليّة: فإن هَؤُلَاءِ الأصناف الأربعة:

١- العارف القاصد.

٢- المكره.

٣- الجاهل.

٤- المرتزق بالبَاطِل.

لا يختلفون عمليا فيما يقومون به من محاربة الله ورسوله والمُؤمِنِين وقتل وسجن ومطاردة وأذى الّذين يأمرون بالقسط من النّاس، فهم يَقتُلُون ويقتَلون بأوامر أسيادهم وأمرائهم ورؤسائهم، ويحاربون شعوبهم أو غيرها.

وخلاصة الحكم الشَّرعيّ في هَؤُلَاءِ نوجزه في نقاط مختصرة لا تخرج عن إيجاز هذا الكتاب، وينقسم الحكم الشَّرعيّ إلى مسألتين وهما:

الأوّل: هل ما زال هَؤُلَاءِ عَلَى حكم الإِسْلَام؟ أم أنهم كفروا وخرجوا من ملة الإِسْلَام؟

والثّاني: هل يجوز قتالهم وقتلهم أم لا يجوز؟

فأما المسألة الأولى: وهو المقتنع بما عليه أسياده من محاربة الإِسْلَام والمُسلِمين وولائهم للكافرين، فهو مثلهم في الحكم الشَّرعيّ، منافق مرتد كافر، أصالة وقناعة بالكفر وليس تبعا لأسياده، ولنفس الأدِلَّة السالفة الذكر في حقهم، أما النوع الثّاني: وهم الّذين لا يوافقون أسيادهم، ولكن يقاتلون معهم، وهم الجاهل، والمكره والمقاتل للدنيا ومكاسبها وروابطها، فهَؤُلَاءِ يرتكبون بفعلهم هٰذا، عملا من أعمال الكفر، وهو قتال المُسلِمين مع الكافرين، فهم بهذا ينتمون إلى طائفة الرِّدَّة، إن قاتلوا بقيادة مرتد، وإلى طائفة الكفر، إن قاتلوا تحت راية كافر أصلي، وهذا ثابت لقوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء] وهذه الآيات تثبت أن

المؤمن يقاتل في سبيل الله، والقتال في سبيل الله علامة انتماء لطائفة الإيمان، وأن الكافر يقاتل في سبيل الطَّاغوت وأن القِتَال في سبيل الطَّاغوت علامة انتماء لطائفة الطَّاغوت، وأن فاعل هذا ولي للشيطان أمر الله بقتاله وبشر بالنّصر عليه، والآية صريحة واضحة.

وفي آية أُخرى أخبر سبحانه عن فرعون وطائفته، وما هم عليه من الكفر وحرب المُؤمِنِين، فقال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾﴾ [القصص] فجمع لفرعون ووزيره ومعاونه ونائبه هامان وجنوده نفس الصفة: ﴿خَاطِئِينَ﴾ ومعلوم أن خطيئة فرعون هيَ الكفر بالله وحرب المُؤمِنِين، فهو -أي فرعون- جعل نفسه ربا يشرع ويعبد واستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين، فشملتم الصفة:

وأما الحكم التفصيلي لهَؤُلَاءِ الجنود الّذين يقاتلون اليَوْم: (الجاهل، المكره، المقاتل للدنيا عن علم) فهو ما يلي والله تَعَالَى أعلم:

الجاهل جهلا حقيقيا يمنعه من إدراك ما هو عليه من الحال، وما عليه حال رؤسائه [هذا عَلى افتراض وجود مثل هذا الجهل]، وكذلك المكره إكراها حقيقيا فعليا، مهددا بالقتل والأذى، لا يستطيع فرارا من عمله، ولا هِجرَة من مكان إجباره، فهَؤُلَاءِ قد نص علماء أهل السّنّة والجماعة، عَلى أن جهلهم وإكراههم (إن كانَ حقيقيا) يعتبر لهم عذرا شرعيا وفيبقى لهم حكم الإِسْلَام عَلى ظاهره مع بقاء حكمهم العام، (أنهم من طائفة الكفر) لأَنّهم معهم، ولا يعنى هذا كفرا عينيا لكل واحد من طائفة الكفر.

وأما المقاتل للدنيا للكسب والوظيفة أو الارتزاق، أو لعصبية للقوم أو الوطن أو الحزب أو القبيلة أوأي رابطة عصبية، وهو يعرف أنه يقاتل المُسلِمِين، مع حاكم كافر ظالم يوالي الكفّار ويعاونهم، فهذا الجندي ليس جاهلا بالأمر ولا مكرها بالتهديد، بل هو مختار يستطيع ترك عمله، أو الفرار منه، أو عدم الدخول فيه أصلا لو أراد، وقد دخله للأسباب الدنيوية، فهذا منافق اشترى الدُّنيَا بالآخرة، وقاتل المُسلِمِين من أجل الدُّنيَا، فهو كافر يقاتل تحت راية الكافرين، لا عذر له من جهل أو إكراه، وأما قصد الدُّنيَا والمكاسب فليس من الأعذار الشَّرعيَّة في فعل الكفر، فهذه الأعذار معروفة عند أهل السّنّة والجماعة

وهي (الجهل، والإكراه، والتأويل، وعدم القصد للفعل)، وهذه سيأتي شرحها إن شاء الله، ففي أمثال هَؤُلَاءِ الّذين اشتروا الدُّنيَا بالآخرة يقول تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة]، وقد روى الإمَام مسلم رَحِمَهُ اللهُ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبيّ ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»(١).

هذا من حيث حكمهم الشَّرعيّ النَّظري، هل يحكم لهم بالكفر أم بالإِسْلَام.

وأما المسألة الثّانية: وهي حكم قتال هَؤُلَاءِ المتنسبين للإسلام المقاتلين للمسلمين مع الكافرين، فهو إيجازا كما يلي والله تَعَالَى أعلم:

كلّ من قاتل المُسلِمين مع الكافرين فقتاله واجب عَلَى المُسلِمين، ولا يجب عَلَى المسلم، ولم يكلفه الله ما لا يستطيع، من تمييز الجاهل من القاصد، ولا المكره من العامد.

بل قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقد استدل العُلَماء بحديث عائشة الّذي جاء فيه أن رسول الله ﷺ أخبر عن جيش يغزو الكعبة، حتَّى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم، فقالت عائشة: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم عبيدهم وأسواقهم ومن ليس منهم، فأخبرها رسول الله ﷺ بأنه يخسف بأولهم وآخرهم ويحشرون يوم القيامة عَلَى نياتهم(٢)، وفي رواية أم سلمة كما جاء في صحيح مسلم(٣) قَالَ رسول الله ﷺ: «يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ،

---

(١) رواه مسلم: (١٨٤٨).

(٢) رواه البخاري (٢١١٨) ومسلم (٢٨٨٤).

(٣) رواه مسلم : (٢٨٨٢).

فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ»، فاستدل العُلَماء بهذا الحديث عَلى قتل الجاهل والمكره وغير القاصد، ممن قصد المُسلِمين بالحَرب مع الكافرين، ويبعثه الله عَلى نيته معذورا إن كانَ له عذر.

فقال العُلَماء: إذا كانَ الله-وهو القادر لو شاء عَلى تمييز المكره والجاهل - لم يميزه من الخسف، فكيف لعبيد الله أن يميزوه من الكافرين وهو يقاتل معهم؟!

فهذا الخسف به أو قتله معهم، هو من العقوبة القدرية عَلى وجود المسلم في سواد الكافرين أو الظُّلمة، فيأخذه العقاب معهم، ولا يظلمه الله فيبعث عَلى نيته، إن كانت صالحة نفعته في الآخرة.

وعلى كلّ حال، فالهاجم عَلى المُسلِمين يريد بهم الأذى، هو في أحسن أحواله (مسلم صائل) وقد تكلم العُلَماء في حكمه الّذي سنشير إليه في آخر هذه الفقرة.

فالخلاصة:

نحن لنا الظَّاهِر والله يتولى السرائر، فظاهره مقاتل مع الكافرين، فيجب قتاله أو يجوز، وسريرته إلى الله، إن كانت صالحة نفعته يوم القيامة، فقد روى البُخَارِيّ رحمه الله في كتاب الشهادات من صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قَالَ: «**إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَّاهُ، وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ**»[1].

فالحكم العام له أنه من (طائفة الكفر) إن كانَ مع الكفّار، وأنه من (طائفة الرِّدَّة) إن كانَ مع المرتدّين، وأنه من (طائفة البغاة) إن كانَ معهم وهكذا، وسيأتي التفصيل عن أعذار المكرهين والجاهلين في الفقرة التّالية إن شاء الله.

ولمزيد من الوضوح نقول والله المُستَعان:

---

(١) رواه البخاري (٢٦٤١).

إن هَؤُلَاءِ الّذين يزعمون أنهم مُسلِمِين، ويتسمون بأسمائهم ويلبسون لباسهم، وربما صلوا أو صاموا، من الّذين يعملون في جُيُوش حُكَّام الْمُسلِمِين أو شرطتهم أو استخباراتهم، ثمّ ينفذون أي أمر صدر إليهم من رؤسائهم، حلالا كانَ أم حراما، ويطيعونهم عن قناعة أو جهل أو إكراه، وقد رباهم أسيادهم عَلى ذلك وأخذوا عليهم العهود والمواثيق، فإنهم كما هو معلوم، يدافعون عن حُكَّام كفرة ظلمة فسقة، ويقاتلون إلى جانب جُيُوش الكافرين، كما هو حاصل اليَوْم من جُيُوش تركيا وباكستان وبعض البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة، ويعملون إلى جانب أجهزة أمن واستخبارات اليَهُوْد والنّصَارى من الأمريكان والأوروبيين وغيرهم من الكفّار، ويحرسون قواعدهم العسكريّة، ومراكزهم الدبلوماسية، والتجاريَّة، بل ومراكز تنصير الْمُسلِمِين، ومراكز نشر الدعارة والفساد والمجون، ولا يبالون في سبيل تنفيذ أوامر أسيادهم، هل قتلوا مسلما، أو روعوا مؤمنا، أو شردوا امرأة مسلمة، أو يتموا طفلا، أو انتهكوا حرمات بيوت وأعراض المستضعفين.

بل تراهم مستعدين لأن يحارب بعضهم بعضا، وأن يضرب بعضهم رقاب بعض، في الانقلابات الداخليَّة، أو في الحُرُوب الأهلية الناشبة بين حكامهم الطواغيت في البلدان المتجاورة! حيث كثيرا ما تتحارب دول إسلاميّة أو عربيَّة مع بعضها، فترى هَؤُلَاءِ الجنود (الْمُسلِمِين!) يخلصون في سفك دماء بعضهم، وفى أسر وإفناء بعضهم! وهم يدّعون الإِسْلَام! وعموم قتالهم هو عَلى سلطان ملوكهم، أو عَلى الصِّرَاع عَلى الأراضي واختلاف السياسات، لتكون العزة لفلان أو فلان، وليس لاستعلاء حق، أو اندحار بَاطِل، لأَنّهم تربوا عَلى طاعة الملوك والرؤساء والوَلَاء للوطن أو القوم أو الحزب.

فالحقيقة الشَّرعيَّة الناصعة – والله تَعَالَى أعلم – أن هَؤُلَاءِ المقاتلين إجمالا لهم حكم راياتهم وطائفتهم، كما أسلفنا، فمن قاتلنا تحت راية حاكم مرتد، نقاتلهم بصفتهم طائفة ردة، ومن قاتلنا تحت راية الأمريكان والكفار نقاتلهم بصفتهم طائفة كفر.

وعلى هذا فلا يجوز أن يصلى عَلى قتلاهم، ولا يدفنون مع الْمُسلِمِين، مع التنبيه المهم جداً عَلى أنّنا لا نحكم بالكفر العيني عَلى كلّ فرد منهم، كما تقدم إلا إذا علمت منه بينة بأنه ليس جاهلا ولا مكرها وإنما عامد قاصد، ومن علم منه أنه موافق لأسياده المرتدّين، موال لأسيادهم الكفّار من أمريكان

وغيرهم فهذا نحكم بكفره وردته حيا وميتا، ويأخذ أحكام ذلك، فزواجه من مسلمة بَاطِل، ولا يرث مسلما ولا يورثه، إلى آخر أحكام المرتدّين.

يقول الشَّيْخ أحمد شاكر محدث الدِّيَار المصريَّة، المتوفى سنة ١٩٥٨م، في فتواه الشهيرة بقتال الإنجليز والفرنسيين ومن شابههم ممن اعتدى عَلى بلاد المُسلِمِين، وحكم من أعانهم من المُسلِمِين والَّتي نشرها في مجلة الهدي النبوي:

[أما التّعاون مع الإنجليز، بأي نوع من أنواع التّعاون، قل أو كثر، فهو الرِّدَّة الجامحة، والكفر الصراح، لا يقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأول، ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء، ولا سياسة خرقاء، ولا مجاملة هيَ النِّفَاق، سواء أكان ذلك من أفراد، أو حُكُومَات أو زعماء، كلهم في الكفر والردة سواء، إلا من جهل أو أخطأ ثمّ استدرك أمره وتاب، وأخذ سبيل المُؤمِنِين، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم، إن أخلصوا من قلوبهم لله لا للسياسة ولا للنَّاس... ألا فليعلم كلّ مسلم، في أي بقعة من بقاع الأرض إذا تعاون مع أعداء الإِسْلَام، مستعبدي المُسلِمِين، من الإنجليز والفرنسيين وأحلافهم وأشباههم، بأي نوع من أنواع التّعاون، أو سالمهم فلم يحاربهم بما استطاع، فضلا عن أن ينصرهم بالقول أو العمل عَلى إخوانهم في الدّين إن فعل شيئا من ذلك ثمّ صلى فصلاته بَاطِلة، أو تطهر بوضوء أو غسل أو تيمم فطهوره بَاطِل، أو صام فرضا أو نفلا فصومه بَاطِل، أو حج فحجه بَاطِل، أو أدى الزّكاة المفروضة، أو أخرج صدقة تطوعا، فزكاته بَاطِلة مردودة عليه، أو تعبد لربه بأي عبادة فعبادته بَاطِلة مردودة عليه، ليس له في شيء من ذلك أجر، بل عليه الإثم والوزر، ألا فليعلم كلّ مسلم أنه إذا ركب هذا المركب الدنيء فقد حبط عمله، من كلّ عبادة تعبد بها لربه قبل أن يرتكس، في حمأة هذه الرِّدَّة رضي لنفسه، ومعاذ الله أن يرضى بها مسلم حقيق بهذا الوصف العظيم، ذلك بأن الإيمان شرط في صحة كلّ عبادة، وفي قبولها كما هو بديهي، معلوم من الدّين بالضَّرورة، لا يخالف فيه أحد من المُسلِمِين، وذلك بأن الله سبحانه يقول: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝﴾ [المائدة]... ألا فليعلم كلّ مسلم وكلّ مسلمة، أن هَٰؤُلَاءِ الّذين يخرجون عَلى دينهم ويناصرون أعداءهم، من تزوج منهم فزواجه بَاطِل بطلانا أصليا، لا يلحقه تصحيح، ولا يترتب عليه أي أثر من آثار النكاح، من ثبوت نسب وميراث وغير ذلك، وأن من كانَ

منهم متزوجا بطل زواجه كذلك، وأن من تاب منهم ورجع إلى ربه وإلى دينه، وحارب عدوه ونصر أمته، لم تكن المرأة الّتي تزوج بها حال الرِّدَّة، ولم تكن المرأة الّتي ارتد وهي في عقد نكاحه زوجا له، ولا هيَ في عصمته، وأنه يجب عليه بعد التوبة أن يستأنف زواجه بها، فيعقد عليها عقدا صحيحا شرعيا كما هو بديهي واضح، ألا فليحتط النِّسَاء المسلمات اللاتي ابتلاهن الله بأزواج ارتكسوا في حمأة هذه الرِّدَّة أن قد بطل نكاحهن، وصرن محرمات عَلى هَؤُلَاءِ الرّجال، ليسوا لهن بأزواج حتَّى يتوبوا توبة صحيحة عمليَّة، ثمّ يتزوجوهن زواجا صحيحا، ألا فليعلم النِّسَاء المسلمات أن من رضيت منهن بالزواج من رجل هذا حاله وهي تعلم حاله، أو رضيت بالبقاء مع زوج تعرف فيه الرِّدَّة فإن حكمها وحكمه في الرِّدَّة سواء، ومعاذ الله أن ترضى النِّسَاء المسلمات لأنفسهن ولأعراضهن، ولأنساب أولادهن شيئا من هٰذا، ألا إن الأمر جد... فلينظر كلّ امرئ لنفسه، وليكن سياجا لدينه من عبث العابثين وخيانة الخَائِنين]

انتهى الشاهد من كلام الإمَام المحدث ﷺ، نقلاً عن كتابه (كلمة الحقّ – أحمد شاكر)[1].

فهذه الأحكام الشَّرعيَّة، ذات الصلة بالعَقِيْدَة وأصول الدّين، من قواعد الحاكِمِيَّة لله، والوَلَاء والبَرَاء في ذات الله، ليست مسائل فرعية، وإن الأمانة كما كررنا متعلقة في أعناق علماء كلّ بلد أن يبينوها للنَّاس ولا يكتمونها، رغبة في ما عند السّلاطين أو رهبة مما لديهم، ذلك أنها مسألة إيمان وكفر قد تطال مئات الآلاف من البشر الّذين يقاتلون في سبيل الطَّاغوت ويحسبون أنهم مُسلِمِين.

ويجب الإجابة عَلى أسئلة هامة وبصدق وصراحة ورجولة خاصّة من قبل كلّ عالم وقائد وداعية مسلم:

هل نريد أن ننهض بأمتنا؟ هل نريد أن نتحرر من مُستَعمرينا؟ هل نريد أن نرقى باقتصادنا ونستثمر ثرواتنا ونسترد حقوقنا؟ هل نريد أن ندافع عن أنفسنا ضدّ مختلف أنواع الكافرين؟

وقبل ذلك هل نريد أن نحكم بشريعة الله؟ ونتخلص من شرائع النّصَارى وقوانين الكفّار الّتي تحكمنا؟

(١) (كلمة حق: ص ٧٧ وما بعدها)

فإذا كانَ جواب أحدهم عَلى هذه الأسئلة بالنفي! فهو ليس معني بما يهم المُسلِمِين من مسائل هذا الكتاب، بل لا يكون مدرجا عَلى قائمة المُسلِمِين.

وأما إذا كانَ الجواب كما هو مفترض من كلّ مسلم بنعم، فإن المسائل السَّابقة وعلى رأسها مسألة كفر وردة الحكَّام الموالين للكفار، ومسألة قتالهم مع أوليائهم، وبالتالي قتال جنودهم تأتى عَلى رأس تلك المسائل وفى مقدمتها، ولا شَّكَّ شَرعاً وعقلا ومنطقا في ذلك.

وإن من نافلة القول، ومن المعلوم من العقل والبصر بالضَّرورة، أن نعلم أن الأمريكان اليَوْم لا يحاربوننا مباشرة، ولا يواجهوننا عَلى الأرض بجنودهم إلا قليلا! وهم يدفعون بالآلاف من المنتسبين للإسلام من هَؤُلَاءِ الضلال والجهال والمكرهين والمرتزقة والمُنَافِقِين، يقاتلون من بين أيديهم ومن خلفهم، عن أيمانهم وعن شمائلهم، بأمر من أسيادهم المرتدّين، كما حصل معنا في أفغانستان، ويحصل اليَوْم معنا أيضا في باكستان، وكما حصل في حرب الكويت، حيث دخلت الجُيُوش العربيَّة والإِسْلَاميّة تفتح الطّريق للأمريكان، وكما تفعل أمريكا اليَوْم في العراق بالجيش والعملاء العراقيين، وبخدمات جُيُوش دول الخليج العربيّ، والأردن وباكستان وسواها.

وأما عَلى صعيد مطاردة الأمريكان، للعلماء والشَّبَاب المسلم، فيعرف كلّ عالم، وداعية إلى الله، وكل شاب مُجَاهد، أن الّذي يضرب عليه البَاب ليلا ويجره بثياب النوم إلى السّجن، ويكشف سوأة بيته وأهله، ليس أمريكيا وإنما من بني جلدته! فهل الجلاد الّذي يستقبله بالضرب والركل والشتم في السّجن؟ وهل القاضي الّذي يحكم عليه بغير ما أنزل الله، بالإعدام أو السّجن؟ وهل الّذين ينفذون هذه الأحكام؟؟ هل كلّ من سبق من هَؤُلَاءِ هم من اليَهُوْد والأمريكان؟؟ أم من الّذين يزعمون أنهم مُسلِمِين؟! إنهم من المرتدّين والضلال من بني قومنا، فهل سنقاتلهم، أم سنسلم إليهم ديننا وأعراضنا، ونبيح لهم أموالنا ودمائنا؟ وبالتالي يضرب اليَهُوْد والأمريكان والصّليبيّون جُذُورهم في بلادنا ويفعلون بنا ما يشاؤون.

يجب أن نقاتلهم دفاعًا عن دين الله والمستضعفين، وأمر الله واضح:

﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة]

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۝٧٥ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾ [النساء]

ونلفت النَّظر إلى أنّنا هنا بصدد معرفة الحكم الشَّرعيّ لقتال هَؤُلَاءِ، ولسنا بصدد قضايا الرَّأي والحَرب والمكيدة، من قتالهم هجومًا أم دفاعًا، وتقديم ذلك أو تأخيره عن قتال الأمريكان والكفّار فذلك متروكٌ لقادة الجِهَادِ وأمراءِ الحَربِ من المُسلِمِين، بحسبِ مقتضياتِ الضَّرورة والمَصلحة.

أعذار الجهل والإكراه والتأويل وعدم قصد الفعل، للمسلم الواقع في عمل من أعمال الكفر، عند أهل السّنّة والجماعة، هل هيَ عذر لمن يعاون العدوّ من جنود المُسلِمِين ! وأعيانهم!؟

لقد فصل علماء أهل السّنّة والجماعة في مسألة غاية في الأهمّيّة، وهي أن المسلم قد يقع في عمل من أعمال الكفر الناقضة للإيمان، ويكون له عذر مقبول شرعا، يحفظه من الحكم عليه بالكفر والخروج من ملة المُسلِمِين، وكما قلت فلسنا في هذا الكتاب بصدد نقل المطولات الفقهيّة، ولكني أوجز إجمالا بأن العُلَماء قد جعلوا هذه الأعذار الشَّرعيّة أربعة أقسام، وهي:

١. **الجهل**: وهو جهل فاعل فعل الكفر بأن فعله كفر يخرجه من الملة الإِسْلَاميّة، وهو عذر شَرعاً ما لم يكن الجهل في أمر معلوم من الدّين بالضَّرورة.

٢. **الإكراه**: وهو أن يقدم المسلم عَلى فعل من أفعال الكفر، وهو يعلم بأنه كفر، ولكن يفعله مجبرا تحت قوة التهديد.

٣. **التَّأويل**: أن يقدم عَلى عمل كفري، متأولاً جواز ذلك شَرعاً لدليل شَرعِيّ عنده، يظن أن الشّريعة تحتمله، فالتأويل هو ظن غير الدليل دليلا.

٤. **عدم قصد الفعل المكفر**: وهو أن يقع منه العمل المكفر من دون قصد ولا معرفة، كمن يطأ المصحف الشريف وهو لا يعرفه ويظن أنه شيء آخر، فهو لم يقصد وطء المصحف.

وللعلماء تفصيلات مهمة، بإمكان المهتم بها العودة إليها في كتب الفقه والعقائد.

ولكن من المهم أن نذكر:

- أن عذر الجهل يزول بالعلم والبيان، فمن كانَ جاهلا فعلم وبين له فلم يقبل الحقّ، لم يعد جهله عذرا.
- أن عذر الإكراه (إن كانَ إكراهه حقيقيا)، يزول بزوال الإكراه، أو بقدرة المكره عَلى الفكاك أو الهروب من الإكراه.
- أن عذر التَّأويل يزول بقيام الحجة الشَّرعيَّة عَلى المتأول بفساد دليله، فإن قامت الحجة عليه لم يعد التَّأويل عذرا له.
- أن عذر عدم القصد يزول بالبيان، فإن عاد الفاعل لفعله المكفر، بعد البيان صار عامدا.

وبالخلاصة:

فإن من ارتكب فعل الكفر ولم يكن عنده عذر شَرعِيّ، أو زال عذره، حكم بكفره، ومن المهم جدا أن نعلم أن الحكم بالكفر عَلى معين يكون من قبل كفؤ لديه الأهلية الشَّرعيَّة عَلى القضاء وتبين الأحكام، وتفهم الأعذار وزوالها، وأن يكون له قدرة عَلى إقامة الحجة والبينة عَلى المعين المحكوم عليه.

وما يهمنا هنا تحت هذا العنوان هو بحث دعوى العذر بالجهل أو الإكراه من قبل هَؤُلَاءِ الجنود المنتسبين للإسلام وهم يقاتلون المُسلِمِين مع الكفّار والمرتدّين وتحت قيادتهم ورايتهم، ولا حاجة لبحث عذر التَّأويل ولا عدم القصد لأنه لا يخصهم في هذه الحالة.

وننبه عَلى أن بحث عذرهم هو من أجل معرفة الحكم بكفرهم أو عذرهم، وليس من أجل عدم قتالهم، فقتالهم واجب كما بينا الدليل الشَّرعيّ بمجرد قصدهم لقتال المُسلِمِين مع الكافرين حتَّى ولو كانوا مُسلِمِين.

١- <u>بحث عذر الجندي المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالجهل:</u>

أما العذر بالجهل، فهو كما قلنا أن يُقدِم المسلمُ عَلى فعلِ الكفر، جاهلًا بأنَّه فعل محرّمٌ يترتَّب عليه الكفر، أي في حالة مثالنا أن يقدم هذا الجندي المسلم عَلى قتال المُسلِمِين، معتقدا أن رئيسه ولي أمر مسلم، وأنه يقاتل ناسًا غير مُسلِمِين، أو مُسلِمِين مستحقين للقتال (بغاة، مفسدين)، بحيث يكون جهله هذا حقيقيًّا، وكأن يجهل أنه يقاتل مع الكفّار، أو يظن أنَّهم كفَّار جاؤوا لمساعدة رئيسه المسلم ضدّ من يجوز قتالهم شرعًا.

فإن توفَّر مثل هذا الجهل المفترض لهذا الجندي، فقاتل المُسلِمِين مع الكافرين وهو لا يدري حال رئيسه ومن معه ولا حال المُسلِمِين المظلومين الّذين يقاتلهم، فهذا قد يعذر بجهله عند الله، لا نحكم بكفره عينا، لو ثبت لدينا له مثل هذا الجهل.

فهل يتوفَّر مثل هذا الجهل اليَوْمَ، لهَؤُلَاءِ الجنود والضُّبَّاط والشّرطة والإستخبارات المقاتلين للمسلمين والمُجَاهدين، بأوامر هَؤُلَاءِ المرتدّين إلى جانب وبقيادة جُيُوش اليَهُوْد والنّصَارى؟! هل يعقل هذا مع انتشار وسائل الإعلام المختلفة، من الإذاعات والتلفزيونات والدُّشوش والصّحف والمجلات؟! بالإضافة إلى قيام المُسلِمِين بالمظاهرات في الشَّوارع، والخطباء في المساجد، وحديث النّاس في كلّ مكان عن هذه القضايا! حتَّى يمكن القول اليَوْم بأنَّ طبيعة المَعْرَكة بين المُسلِمِين والكافرين، وفساد الحكَّام وكفرهم وفجورهم، وسفور نسائِهم وفضائح أبنائهم وأقربائهم، وحكمهم بغير شريعة الإِسْلَام وولائهم للكفَّار، ومحاربتهم للمساجد والعُلَماء والشَّبَاب المُسلِمِين المُجَاهدين...الخ، قد صارت معلومةً لكلِّ أحد، في كلّ بلاد المُسلِمِين ومنها باكستان، فإن كانَ في هَؤُلَاءِ الجنود من بلغت بهِ البَلاهَةُ أن يجهل هذه الأمور!! فهو معذور بجهله والله تَعَالَى أعلم، نقاتله وجوبًا أو جوازًا، وقد ينفعه عذره عند الله، ويُبعثُ عَلى نيَّته.

هل يعذر الجنديّ المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالإكراه ؟:

سنتوقف مع هذا العذر، بشيءٍ من التَّفصيل- رغم رغبتنا بالإيجاز- لأنَّه الأهمُّ، ولأنَّه العذر الشائع، فمعظم هَؤُلَاءِ الجنود والضُّبَّاط العاملين في الجيش والشُّرطة وقوى الأمن، يعترفون بإدراكهم للواقع، ولكن يعتذرون أو يعتذر من يدفع عنهم صفة الرِّدَّة والكفر، بأنّهم مُكرَهُون ومُجبَرون عَلى قتال المُسلِمِين بأوامر أسيادهم المرتدّين أو الظَّالمين، إلى جانب وبقيادة الكافرين، كما حصل في بعض الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة، حيث ساقت أمريكا عبيدَها الحكَّام لقتال المُسلِمِين، فساقوا عبيدَهم الجنود لذلك.

فهل يمكن قبول عذر هَؤُلَاءِ بالإكراه ؟! فلنَرَ ذلك:

الإكراه شرعًا:

هو الإجبار، والمُكرَه هو المَجبُور عَلى فعل أو قول شيءٍ لايُريده، ولا يفعله في حال زوال الإكراه عنه، يقول الإمَام ابن حجر في كتابه الجليل، فتح الباري في شرح صحيح البُخَارِيّ، في باب الإكراه :

[الإكراه: **هُوَ إِلْزَامُ الْغَيْرِ بِمَا لَا يُرِيدُهُ وَشُرُوطُ الْإِكْرَاهِ أَرْبَعَةٌ:**

الأوّل: أَنْ يَكُونَ فَاعِلُهُ قَادِرًا عَلَى إِيقَاعِ مَا يُهَدِّدُ بِهِ وَالْمَأْمُورُ عَاجِزًا عَنِ الدَّفْعِ وَلَوْ بِالْفِرَارِ.

الثَّاني: أَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ إِذَا امْتَنَعَ أَوْقَعَ بِهِ ذَلِك.

الثَّالث: أَن يكون ماهدده بِهِ فَوْرِيًّا، فَلَوْ قَالَ: إِنْ لَمْ تَفْعَلْ كَذَا ضَرَبْتُكَ غَدًا لَا يُعَدُّ مُكْرَهًا وَيُسْتَثْنَى مَا إِذَا ذَكَرَ زَمَنًا قَرِيبًا جِدًّا أَوْ جرت الْعَادة بِأَنَّهُ لايخلف.

الرَّابع: أَنْ لَا يَظْهَرَ مِنَ الْمَأْمُورِ مَا يَدُلُّ عَلَى اخْتِيَارِهِ كَمَنْ أُكْرِهَ عَلَى الزِّنَا فَأَوْلَجَ وَأَمْكَنَهُ أَنْ يَنْزِعَ وَيَقُولُ أَنْزَلْتُ فَيَتَمَادَى حَتَّى يُنْزِلَ]أهـ[1].

فالمستخلص من كلامه رحمه الله، أن المُكرَه هو: من أُجبِرَ عَلى فعلٍ مالا يريد، بحيث:

أولاً: أنَّه لا يريد هذا الفعل باختياره وإنّما بالإجبار الحقيقيّ.

ثانياً: أنَّه لا يستطيع عدم الاستجابة، عاجزاً عن دفع الإكراه.

ثالثاً: أنَّه لا يستطيع التّخلّص ممَّن أكرهه بفرار أو بهجرَة أو نحوها.

رابعاً: أنَّه يتيقن وقوع التَّهديد قريباً وبالتَّأكيد.

خامساً: أن لا يتمادى بالفعلِ إن زالَ عنه الإكراهُ، لمصلحةٍ أو شهوةٍ.

فهل تنطبقُ هذه الشُّروط عَلى هذا الّذي يزعم أنَّه مسلمٌ، ثمّ يقصد قتال المُسلِمين، فيسفك دماءهم، ويهتك أعراضهم، وينهب أموالهم، بأوامر المرتدّين وصحبة الأمريكان والكافرين؟! يجب أن يُسأل هذا الجنديُّ أو الشّرطيُّ أو رجل الأمن، بضع أسئلة، ليعلم هل هو مُكره أم غير مُكرَه، أسئلة تحدّد إجاباتُها، تبرئتَه إن كانَ معذورًا في فعلته المكفِّرة هذه أو الحكم عليه بعدم العذر.

هل دخل هذا الجنديّ الجيش أو الشّرطة أو الاستخبارات، باختياره أم مجبرًا؟ وهذا يختلف من دولة إلى أُخرى فهناك دول تجنِّدُ الشَّبَاب إجبارياً في هذه القوَّات، وهناك دول يكون دخول هذه القوَّات

(١) فتح الباري لابن حجر: (١٢/ ٣١١).

اختياراً، بل يحتاج إلى الواسطة والرَّشوة! لما فيها من المكاسب وفرص الرَّشوة والنَّهب والغصب لأموال النّاس.

هل يستطيع هذا الجنديّ الاستقالة والانسحاب من عمله هٰذا، بعد أن رأى ما يُكرَه عليه، أم لا يستطيع؟

هل يستطيع الفرار من عمله إذا لم تمكّنه الاستقالة، بالاختفاء في بلده، أو الهِجرَة عنها إن لزم الأمر أم لا يستطيع ؟

هل هو مهدّد فعلاً، إن لم يُنفِّذ الأوامر، ومتيقِّن بوقوع العقاب به أم لا ؟

هل يتهادى بالقتل والنَّهب وهتك الأعراض! تحقيقاً لرغباته ومصالحه أم للإكراه.

أمور أُخرى يجب بيانها في قضية الإكراه:

أولاً: عندما قام مدعي الإكراه بهذا العمل مختارا متطوعا- أي دخل الجيش والشّرطة باختياره- وليس عبر التَّجنيد الإجباري-هل كانَ يعلم أن عمله يقتضي إكراهه عَلى فعل ما حرم الله أم لا؟ فإذا كانَ يعلم أنه سيكره عَلى تنفيذ الأوامر! حلالها وحرامها بحكم نظام الجيش والشّرطة والأمن، ثمّ أكره من بعد، لم يكن إكراهه عذرا له، لأنها قدم مختارا عَلى ما يعلم أنه سيكره فيه عَلى الكفر أو الظُّلم أو ما حرم الله، وذلك من اشتهار حال هذه المؤسسات وأعمالها! وقد ضرب العُلَماء مثلا لهذه الحالة، بمن دخل أرض قوم يكرهون من ساكنهم عَلى الكفر، وهو يعلم قبل أن يدخل بذلك، ثمّ دخل فأكرهوه، لم يكن الإكراه عذرا له، فهل يعلم من يتطوع في هذه القوَّات مختارا، أنه سيقدم عَلى هذه الأعمال أم لا يعلم؟ فإذا كانَ يعلم ما سيكلف به، قبل أن يكره، لم يكن عذره بالإكراه مقبولا، ولو أكره فعلا عَلى عمل يكرهه.

ثانياً: المكره نوعان:

١. **من يكره عَلى قول أو عمل كفري لا يؤذي به غيره من المُسلِمين:**

وإنما يقدم عَلى ما ينتقض الدّين بفعله أو قوله، وهو كاره كما أكره سيدنا عمار بن ياسر تحت التعذيب عَلى النيل من رسول الله ﷺ مجبراً، بعد أن قتلوا أباه وأمه وغطوه في البئر حتَّى كاد يهلك من التعذيب،

فقال كلمة الكفر، فعذره رسول الله ﷺ وأجازه، وجعلها رخصه للمسلمين، فقال: «**إِنْ عَادُوا فَعُدْ**»[1]، وبين أن العزيمة والصّبر أولى في حالة الإكراه وأكثر أجرا، وأن الإكراه عذر لمن فعله وقلبه مطمئن بالإيمان، في حين لم يقبل العُلَماء العذر ممن هدد بالعذاب، ولم يتيقن وقوعه، وهكذا لم يقبل الإِمَام أحمد بن حنبل عذر العُلَماء الّذين أجابوا الحاكم للقول بخلق القرآن لما هددهم واعتذروا بقول الله تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وبحديث عمّار ﵁، قَالَ الإِمَام أحمد: "إنَّ عَمَّاراً ضَرَبُوه وأنتم قِيلَ لكُم سَنضرِبُكُم" ولما احتجّ يحيى بن معين، وهو إمام جليل من المحدثين، كانَ قد ضعف للتهديد، واستجاب واعتذر بهذا العذر، رفض الإِمَام أحمد حجته وقال: "يقول لي أُكرِهَ ولم يضرب سوطاً واحداً"، ولم يكلمه بقية حياته، ولم يرد عَلَيْه السَّلام لَّمَّا سلَّم عليه ابن معين، والإمام أحمد عَلى فراش الموت!! ﵀ وأكثرَ في أمّتنا من أمثاله! وقد رُويَ: عنهُ قوله :"لا إِكرَاهَ إلّا بالسَّيفِ" وعن غيره من العُلَماء أن الإكراه هو بالتهديد بالقتل، أو ببتر عضو، وذهب بعضهم بأنه مطلق العذاب الّذي لا يطيقه، ولا يستطيع الفرار منه.

وقد يقول البعض ويعتذر عن فعل حكومة الباكستان أو الكويت والسّعُودِيّة والأردن، مثلا بمعاونة الأمريكان، بأن الله قد أباح التقية من الكافر، ويقولون: نحن نقاتل معهم اتقاء لشرهم علينا وعلى بلادنا، فهذا زعم مردود، فإن الله تَعَالَى قَالَ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران].

---

(١) رواه البيهقي في السنن الصغرى (٢٥٣١) و مستدرك الحاكم (٣٣٦٢) وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي. وقد ذكره الحافظ في «الفتح» وقال: هو مرسل ورجاله ثقات، وذكره من عدة طرق مرسلة، وقال: وهذه المراسيل يقوى بعضها ببعض. وقال الألباني : في إسناده نظر. ونستطيع القول أنه: حسن لغيره.

قَالَ ابن كثير في تفسيرها: [أي إلَّا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرِّهم فله أن يتَّقيهم بظاهره لا بباطنه ونيَّته، كما قَالَ البُخَارِيّ عن أبى الدَّرداء إنَّه قَالَ: «**إنَّا لنكشِّر في وجوهِ أقوامٍ وقُلوبُنَا تَلعَنُهُم**»[(١)]، وقالَ الثّوريُّ: " قَالَ ابن عبَّاس: ليس التَّقيَّة بالعمل، إنَّما التَّقيَّة باللِّسَان"[(٢)]] اهـ[(٣)].

٢. **هو المكره عَلى فعل يؤذي به غيره من المُسلِمِين:**

كمن يأمر بقتل مسلم أو هتك عرضه أو نهب ماله، أو أذيته، وقد نص العُلَماء عَلى أن المسلم لا يعذر أن يوقع بغيره الأذى إن هدد هو به، فلا يجوز له إن هدد بأخذ ماله إن لم ينهب غيره من المُسلِمِين، أن يدفع عن ماله بنهب مال مسلم آخر، ثمّ يقول أنا مكره.

وأخطر من ذلك، لا يجوز له أن يقتل مسلما، إن هدد بالقتل إذا لم يقتله، فقال العُلَماء: ليس حفظ نفسه مقدم عَلى إزهاق نفس مسلم، بل يجب عليه ألا يقتل مسلما ولو قتلوه، فيقتل صابرا محتسبا، وبهذه النِّيَّة يكون شهيداً إن شاء الله.

فهل يفعل هَؤُلَاءِ الجند (المكرهون بزعمهم) هٰذا؟! هل لو رفض هذا الجندي قتل المُسلِمِين، يقتل؟ أم يسجن؟ أم يقطع مرتبه ومعاشه؟ أم يطرد من وظيفته في الجيش أو الشّرطة فقط؟

فيقدم عَلى قتل المُسلِمِين، وقد جعل الله زوال الكعبة أهون عنده من قتل امرئ مسلم! كما أخبر ﷺ[(٤)] وقد قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [النساء] هذا إن قتله في شجار عَلى الدُّنيَا، أو نزغة شيطان، فكيف بمن قتله لأنه مؤمن مهاجر مُجَاهد في سبيل الله، إرضاء لأمريكا ؟!

---

(١) صحيح البخاري (كتاب الأدب : باب المداراة مع الناس) معلقاً (٨/ ٣١).

(٢) ورد في (تفسير ابن أبي حاتم: ٢/ ١٨٩) و (تفسير ابن جرير: ٦/ ٣١٥) بإسنادين منقطعين، ووصله الحاكم بلفظ آخر صححه ووافقه الذهبي، وعزاه السيوطي إلى: عبد بن حميد، وابن المنذر والبيهقي، انظر: (الدر المنثور: ٢/ ١٧٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠).

(٤) روى التِّرمِذِيّ (١٣٩٥) من حديث عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» وصححه الألباني.

فهَؤُلَاءِ الجنود الّذين يظنُّون أنفسهم مكرهين، يقتلون المُسلِمِين، حتَّى لا يطرد واحدهم من وظيفته، أويناله بعض العذاب، فهذا ليس حاله حال المكره، وإنما كمن قَالَ الله تَعَالَى عنهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧﴾ [النحل]، فهناك فرق بين من أكره فنطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، وبين من شرح بالكفر صدرا، فقال كلمة الكفر، وفعل فعل الكفر، حفاظا عَلَى حظه من الدُّنيَا، وقد بين القرآن الكريم هذا صراحة: إذ قَالَ الله تَعَالَى في سورة النحل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٠٥ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٠٩ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١٠﴾ [النحل]

فهل هَؤُلَاءِ الجنود في الجيش والشّرطة والأمن والإستخبارات، والسجانين والجلادين الّذين يعذبون النّاس حتَّى الموت، مكرهون؟! نعوذ بالله من قول الزور وشهادة الزور!! هل هَؤُلَاءِ المجرمون مكرهون؟! أنظر في حالهم وسلوكهم واحكم عليه بمقياس الإِسْلَام، أنظر في صلاتهم، وصيامهم، وأدائهم لشعائر الإِسْلَام؟ ثمّ أنظر في كسبهم السحت من الرشاوى وما يظلمون النّاس، ويقبضون المكوس عَلَى الطرقات، وفى الأسواق وعلى أبواب البيوت! ثمّ انظر في تسابقهم عَلَى الوظيفة في هذه المؤسسات الظَّالمة النجسة من الشّرطة والإستخبارات والقيام عَلَى السّجون والمعتقلات!!

نعم، قد يكون هناك من لا يتلبس بذلك ممن التحق بالجيش للدفاع عن البلاد وقتال أعداءها ولم يكن بعلمه ولم يدر بخلده أن يزجّ به أسياده في قتال المُسلِمِين إلى جانب الكافرين، ولكن هل يعذر هذا بالقتال تحت قيادة وراية الكافرين، والأمريكان والإنجليز، لسفك دم المُؤمِنِين، ثمّ يقول: أنا مجبورٌ مُكرهٌ!

فهل تطوع بالجيش وهو يعلم حال قيادته ورئاسته وما هم عليه من الرِّدَّة، بتبديل الشَّرَائع والعمالة للكفار والفساد والرشوة والبغي والظُّلم، أو لا؟

وهل دخل الجيش دفاعا عن الوطن والأرض والقوم؟ هذه كلها ليست من سبيل الله في شيء ما لم تكن لتكون كلمة الله هيَ العليا بل هيَ نوايا عصبية جاهلية!

فإن كانَ قد دخل بنية الجِهَاد في سبيل الله، لأنه قد دلس عليه بعض العُلَماء المدلسين، بأن هذه الحكومة ورؤساءها مسلمون وأولياء أمور شرعيون، وأن مفاسدهم لا تخرجهم عن الإِسْلَام! وانطلت عليه هذه الخديعة الضالة، ثمّ وجد نفسه أمام الحال الجَدِيد، فهذا قد يعذر بجهله لوجوده في مثل هذا الجيش، وقتاله تحت رايته بقصد الدّفاع عن المُسلِمِين، ولكن هل يعذر بجهله، وبالإكراه في قتل المُسلِمِين إرضاء للكافرين، وتحت رايتهم وقيادتهم؟! اللّهم لا.

هذا واجبه الاستقالة من هذا الجيش، أو عَلَى الأقل رفض الأوامر من هذا النوع، والفرار من القِتَال ولو سجن أو عذب أو طرد من وظيفة، وهذا العقاب في حقه نعمة من الله يخرجه من الضلالة ومن غضب الله عليه – فإن خُيِّر وأُجبر عَلَى قتل مسلم أو يقتل، فواجبه أن يختار القتل صابرا محتسبا عَلَى أن يقتل مسلما، وليس له أن يقتل مسلما ثمّ يقول أنا مكره، هذا ليس بعذر إكراه شَرعِيّ، فليس من الإكراه أن يقدم عَلَى قتل المُسلِمِين وهتك حرماتهم ثمّ يقول: إذا لم أفعل طردت من عملي، أو قطع راتبي أو وضعت عَلَى عقوبات مالية! إن واجب هذا الجندي إن وجد نفسه مكرها عَلَى قتال المُسلِمِين من قبل أسياده المرتدّين، أو أسيادهم الأمريكان والإنجليز والكافرين أن يستدير بسلاحه لقتال من يكرهه عَلَى فعل الكفر، ويجاهده بسلاحه ويقتل شهيداً صابراً مُجَاهداً وليس أن يتلطخ بدم المُسلِمِين وأعراضهم ويظن نفسه مكرها، فإن لم يمكنه الخلاص إلا بالفرار من الجيش وعجز عن قتالهم لضعفه أو لقلة من معه، وجب عليه الفرار والهِجرَة عن بلده، وأرض الله واسعة وعندها يكون مهاجراً في سبيل الله صابراً فاراً من الفتنة بدينه، والهِجرَة والفرار من حكومة كهذه القائمة في باكستان، فرض عَلَى من وجد نفسه أمام الفتنة في دينه والاضطرار لفعل الكفر بالقتال تحت قيادة وراية الأمريكان إن عجز عن قتال هذه الحكومة وقد أخبر القرآن الكريم، وبينت السيرة النّبويّة الشريفة، ونصوص السنة[1] عن قوم مُسلِمِين بقوا في مكّة

---

(١) منها حديث في سبب نزول الآية في صحيح البخاري (٤٥٩٦). «عن ابن عباس ﷺ، أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ – أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ» – فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية.

بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يهاجروا لأن لهم في مكّة مصالح، من أهل ومساكن وتجارة، فلما كانت غزوة بدر بين المُسلِمِين ومشركي مكّة، أكرهوا عَلى الخروج مع كفار مكّة إجبار أو حياء من قومهم، فقتل بعضهم في المَعْرَكة فتأسف المُسلِمُون عَلى قتلهم وقالوا قتلنا إخواننا! فأنزل الله تَعَالَى فيهم قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةًۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[النساء]

وقد بينت هذه الآيات بصراحة كما شرحها المفسرون أحكاماً هامة منها:

- وجوب الهِجرَة من ديار الكفر والفرار من فتنها، خاصّة لمن يتعرض للفتنة إلى حيث لا يفتن في دينه.
- أن من أكره وخرج للقتال مع الكافرين، لم يتقبل عذره لأنه كانَ عليه أن يهاجر بدل البقاء حتَّى يكره للخروج لقتال المُسلِمِين مع الكافرين، وأن من قتل منهم كانَ مصيره إلى جهنم ولم يقبل عذره.
- أن الله عذر المستضعفين الّذين لم يهاجروا لأنه لا حيلة لهم، ولا يهتدون إلى طريق للهجرَة، ولا سبيل لديهم إليها، فهَؤُلَاءِ معذورون بعدم الهِجرَة، (وليس العذر للقتال مع الكفّار) ووعدتهم الآية بالعفو والمغفرة عن تقصيرهم بعدم الهِجرَة.
- ثمّ بشر القرآن المهاجر في سبيل الله بكفالة الله له بسعة الرزق في الدُّنيَا، وأنه إن مان فإن الله ضامن لأجره في الآخرة.

فأين هذه الأحوال، من هَؤُلَاءِ المتنسبين لهذه الجُيُوش الظَّالمة.

هل هم مكرهون مهددون بالقتل إن لم يقتلوا المُسلِمِين؟ لا، وحتى لو كانَ ذلك، فليس هذا بعذر وعليهم حينها الهِجرَة والفرار ممن أكرههم.

ولكن الحقيقة المرة، هيَ أن أكثرهم يقدم عَلى فعل الكفر هذا بقتال المُسلِمِين مع الكافرين حرصا عَلى ما توفره له الوظيفة في الجيش أو الشّرطة أو الاستخبارات، من البيوت الفارهة، والسيَّارات

الفخمة، والمرتَّبات العالية المنهوبة من ثروات المُسلِمِين، والمكوس الموضوعة عَلى ضعفائهم، ثمّ يعتذرون بأنهم في الجيش والشّرطة للدّفاع عن الوطن، وأنّهم مُكرهون عَلى قتال المُسلِمِين بحكم الوظيفة.

فهذا ليس بإكراهٍ لا شَرعاً ولا عقلاً، أيقبلُ عذرُ واحدِهم بالإكراهِ عَلى قتل مسلمٍ؟ ولا يقبل عذر المسلم المهاجرُ المُجَاهدُ في سبيل الله بقتل هَؤُلَاءِ دفاعًا عن نفسه؟ وهم الّذين قصدوه بالعدوان وجاءوه بصحبة الجنود الأمريكان ودهموا بيته عليه وعلى زوجته وأولاده.

فكما أسلفنا هذا ليس بإكراه وإنّما هو حال وصفه سُبحَانَهُ وتَعَالَى بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧﴾ [النحل].

وأمّا حالُ المُكرَهِ المعذورِ شَرعاً من الّذين يُقاتلون المُسلِمِين فهو كما يلي:

- أنه أكره عَلى التَّجنيد إجباريّاً في جيشٍ يُقاتل المُسلِمِين وليس باختياره.
- أنَّه عَجَزَ فِعلاً عن الفرارِ أو الهِجرَةِ.
- يجب عليه أن يتورع في القِتَال ولا يمد سلاحَهُ لأذى المُسلِمِينَ بل يُعطِّلُ سلاحَهُ ولو قُتِل بيد الكفّار أو المُسلِمِينَ، وهو بهذه النِّيَّة شهيدٌ إن شاء الله، فإن كانَ في جُيُوش الطّواغيت وشرطتهم ممن قاتلوا المُسلِمِين، أو فيمن فعل فعلتهم، جنديٌّ تنطبقُ عليه مواصفات هذا المُكرَه فهو معذورٌ، وإلّا فلا عذرَ له.

خامسا: أحكام الشّريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصّائل علىَ دين المُسلِمِين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم ولو كانَ مسلما.

قد يصر مكابرٌ، رغم الأدِلَّة الواضحة، بأنَّ هَؤُلَاءِ الجنود المقاتلين للمسلمين مع الكافرين والمرتدّين، هم مسلمون، يصلُّون ويصومون، ويشهدون أن لا إِلَهَ إِلَّا الله، وأنَّ محمّداً رسول الله، ولا يَكفُرون بقتالهم للمسلمين، فلمثل هذا حتَّى نكون عمليين وحسمًا لجدلٍ فارغٍ لا يقوم بالأدِلَّة وإنَّما بالعَوَاطِف والأهواء نقول: هب ذلك، فإنَّ للمسلم الّذي يحمل السّلاح عَلى المُسلِمِين، بغيًا، أو فسادًا في الأرض، أحكامًا بيّنها العُلَماءُ تحت عنوان **(دفع الصّائل المسلم)**، فقد بيَّن العُلَماءُ أنَّ كلّ دين نزل من

عند الله، جاء للحفاظ عَلى الضَّرورات الخمسة (الدِّين – النّفس – العِرض– العَقل– المال) ولذا فيجب المحافظة عَلى هذه الضَّرورات بأيٍّ وسيلةٍ مشروعةٍ، ومن هنا شرع الإِسْلَام دفع الصّائل.

والصِّيال شرعاً: كما عرفه العُلَماء هو الوثوب عَلى الشَّيء المعصوم بغير حقٍّ، والمَعصُوم هو النّفس أو العرض أو المال.

والصّائل كما عرفه العُلَماء: هو كلّ معتدٍ عَلى ما كانَ معصوماً شَرعاً سواء كانَ مسلمًا عُصِم بحقِّ الإِسْلَام أو عصمته ذمَّة المُسلِمين، فالقتال لدفع هذا المُعتدي مشروعٌ شَرعاً بالدفع عن الحُرمات بل يصير واجبًا في كثيرٍ من الحالات، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩].

أما الصّائل عَلى الدّين:

فواجب بقوله ﷺ «مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» قَالَ ابن تَيمِيّة رَحِمَهُ اللهُ: [**وَأَمَّا قِتَالُ الدَّفْعِ فَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ دَفْعِ الصَّائِلِ عَنْ الْحُرْمَةِ وَالدِّينِ فَوَاجِبٌ إجْمَاعًا فَالْعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ أَوْجَبَ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ دَفْعِهِ فَلَا يُشْتَرَطُ لَهُ شَرْطٌ بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ**].[1]

وأما الصّائل عَلى العرض:

فيجب دفعه باتفاق الفقهاء ولو أدى إلى قتله وإن كانَ مسلما، قَالَ النووي: "وأما المدافعة عن الحريم فواجبة بلا خلاف"، وقال الشَّيْخ عبدالله عزام رَحِمَهُ اللهُ: [قد يسأل سائل: أو يجوز لنا أن نقتل شرطياً يصلي ويصوم، من أجل أنه يريد أن يأخذني إلى قسم البوليس؟ فقال: (وأما رأي الفقهاء بالإجماع أنه لا يجوز لأحد أن يستسلم لإنسان يريد أن ينتهك عرضه... إتفق الفقهاء جميعاً عَلى أن دفع الصّائل عن العرض واجب بالإجماع، فإذا أنت تركت الشّرطة يقتحمون بيتك في وهن من الليل، وزوجتك عارية في ثياب النوم يكشفون عنها غطائها ليبحثوا أنك نائم عندها فعرضك منتهك وأنت آثم عند ربّ العَالَمِيّن فهنا الظُّلم، والصّلاة والصّيام من مثل هذا الشّرطي لا تمنع عنه قضية القتل][2].

وأما الصّائل عَلى النّفس:

(١) الفتاوى الكبرى: (ج٥/ ص٥٣٨).

(٢) الجِهَاد فقه وإجتهاد: شريط الشهداء ودفع الصائل/ قاعدة دفع الصائل، (ج٣ / ص١٣٩).

فيجب دفعه عند جمهور العُلَماء، وقد ذهب البعض للجواز دون الوجوب، ولو كانَ مسلما وفي الحديث الصَّحِيح: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(١)، وروي عنه ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(٢).

قَالَ الإِمَام الجصاص بعد هذا الحديث في أحكام القرآن: [لَا نَعْلَمُ خِلَافًا أَنَّ رَجُلًا لَوْ شَهَرَ سَيْفَهُ عَلَى رَجُلٍ لِيَقْتُلَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ أَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَتْلَهُ](٣).

قَالَ الشَّيْخ الشّهِيد عبدالله عزام رحمه الله: [وفي هذه الحالة- الصيال - إذا قتل الصّائل فهو في النار ولو كانَ مسلما وإذا قتل العادل فهو شهيد].

وأما الصّائل عَلى المال:

فقد ذهب جمهور علماء المُسلِمين إلى جوازه واعتبره البعض واجبًا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ»(٤).

ويقول الإِمَام ابن تيميه رحمه الله في مجموع الفتاوى(٥): [السُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مُتَّفِقَيْنِ عَلَى أَنَّ الصَّائِلَ الْمُسْلِمَ إذَا لَمْ يَنْدَفِعْ صَوْلُهُ إلَّا بِالْقَتْلِ قُتِلَ وَإِنْ كَانَ الْمَالُ الَّذِي يَأْخُذُهُ قِيرَاطًا مِنْ دِينَارٍ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(٦)].

---

(١) رواه أحمد (١٦٥٢) وصححه الأرنؤوط، ورواه أبو داود (٤٧٧٢) وصحَّحه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه النسائي (٤٠٩٣، ٤٠٩٦) وقال الألباني: صحيح- صحيح الجامع الصغير (٦٤٤٧).

(٣) أحكام القرآن للجصاص: (٤/ ٤٦).

(٤) رواه مسلم (١٤٠).

(٥) مجموع الفتاوى: (ج٢٨ ص٥٤٠).

(٦) متفق عليه، البخاري (٢٤٨٠) ومسلم (١٤١).

قال الشّافعي رحمه الله: [**وَإِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ مَنْزِلَ الرَّجُلِ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا بِسِلَاحٍ فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ فَلَمْ يَخْرُجْ فَلَهُ أَنْ يَضْرِبَهُ وَإِنْ أَتَى الضَّرْبُ عَلَى نَفْسِهِ**](١)، أي: إذا قَتَلَ المَدفوع.

هذا مختصر أحكام دفع الصّائل المسلم عَلى أحاد المُسلِمين، فكيف به لو جاء يريد الدّين أو النّفس أو العرض أو المال أو كلّ ذلك، تحت راية وقيادة الأمريكان والمرتدّين؟!

(١) الأم للشافعي: كتاب جراح العمد، فصل التعدي ودخول المنزل (ج٦ ص٣٥).

سادسا: أحكام الشّريعة تقرر حرمة دماء وأموال وأعراض المُسلِمين، وتقرر أن جميع أشكال تواجد المعتدين الكفّار (دماءهم وأموالهم) في كلّ مكان حلال هدر للمسلمين.

خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فكان مما قاله: « أَيُّ شَهْرٍ هَذَا »، قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذُو الحِجَّةِ»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا»، قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ البَلْدَةَ». قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا». قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ». قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: « فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ - وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلاَ فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ » ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ» مَرَّتَيْنِ. (١) متفق عليه.

وقد لخص هذا الحديث الشريف المتفق عَلى صحته لدى عموم المُسلِمين قاعدة حرمة المسلم، دمه، وماله، وعرضه، حرمة كلية لا يحلها إلا ما جاء في الحديث الصَّحيح، المجمع عَلى صحته لدى عموم المُسلِمين أيضا، وهو قوله ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»(٢) متفق عليه.

وقد عظم الإِسْلَام حرمات المُسلِمين، ونهى عن العدوان عليهم، ونهى عن ظلمهم وأنه سيقتص من الظَّالم في كلّ كبيرة وصغيرة.

- وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ الله بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٦٧، ١٠٥، ١٧٤١..) ومسلم (١٦٧٩).

(٢) رواه البخاري (٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦).

(٣) رواه البخاري (٣١١٨) [ش (يتخوضون) من الخوض وهو المشي في الماء وتحريكه والمراد هنا التخليط في المال وتحصيله من غير وجهه كيفما أمكن].

- وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ»[١] متفق عليه.
- وقال ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ»[٢].
- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٣] رواه مسلم.
- وقال ﷺ: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»[٤]متفق عليه.
- وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ» رواه مسلم[٥]. والأراك هو: السواك.

وقد شدد الإِسْلَام في حرمة الْمُسلِمين ودمائهم وأموالهم وأعراضهم، الّتي لا تحل إلا بالردة الّتي تزيل عن صاحبها الإيمان وعند ذلك فلا حرمة له، وهو مهدور الدَّم مباح المال، وهذا هو الحكم الأصلي لدم الكافر وماله، فقد نص العُلَماء عَلى أن الأصل في دم الكافر وماله الحل، كما أن الأصل في دم المسلم وماله الحرمة... وكما أن هذه الحرمة تزول عن دم المؤمن وماله بالكفر فإن العُلَماء نصوا عَلى أن دم الكافر وعرضه حلال، لا يحرم إلا بإحدى حالتين يصبح فيهما معصوم الدَّم والمال، وهما:

١. **إما الدخول في الإِسْلَام**، وعند ذلك يكون له ما للمسلمين وعليه ما عليهم. إذ أنه صار منهم فيحرم ماله ودمه وعرضه، كما نصت عَلى ذلك آيات القرآن وسنة النبيّ ﷺ،
٢. **وإما بالأمان الّذي يعطى له من قبل الحاكم الشَّرعيّ**، حيث يكون (من أهل الذمة) وتوضع عليه الجزية المنصوص عليها شرعا، إذا كانَ من المقيمين بين أظهر الْمُسلِمين، كأهل الكتاب ومن في حكمهم

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٢، ٦٩٥١) ومسلم (٢٥٨٠).

(٢) رواه الترمذي (١٩٢٧) وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٢٥٧٨).

(٤) رواه البخاري (٢٤٤٨) ومسلم (١٩).

(٥) رواه مسلم (١٣٧).

ممن يعيشون في ديار الإِسْلَام، وإما بالأمان المؤقت الّذي يعطى للكفار الّذين يعبرون أراضي المُسلِمِين دون أن يقيموا بها، بقصد التجارة أو الإقامة المؤقتة، وعند ذلك يؤدون ضريبة عَلى ما يحملون من تجارة، ويكون لهم أمان مؤقت تعصم فيه دماءهم وأموالهم.

وما عدا حالتي الذمة والأمان فإن الكافر يكون دمه وماله حلال للمسلمين، ومن البديهي القول بأن حق إعطاء الذمة والأمان، لا يكون للحاكم الكافر المبدل للشريعة، الحاكم بغير ما أنزل الله، الموالي لأعداء الله، بل هيَ من حقوق الحاكم الشَّرعيّ إمام المُسلِمِين، إذ أن الحاكم الكافر لا أمان له بنفسه، فهو مهدور الدَّم والمال، يجب قتاله وقتله، والخروج عليه، ومحاربة طائفته في حال القدرة، أو الهِجرَة عن دياره في حال العجز عن ذلك، أو التربص به والإعداد لخلعه وقتاله، فكيف يؤمن غيره، وهو غير مؤمن في دين الإِسْلَام والمُسلِمين، وهذه هيَ حالة حُكَّام بلاد المُسلِمِين اليَوْم، فقد فقدوا حقوق الحاكم المسلم لردتهم، ومنها حق إعطاء الذمة والأمان فلا أمان بذلك للكفار الّذين يدخلون بلادنا اليَوْم بأي شكل من الأشكال.

فهم محاربون ينتمون لأمم محاربة تتراوح أهداف وجودهم في بلادنا بين الحَرب ومقاصد الحَرب، والإفساد والضلال ونشر الرذائل، وأما الادعاء بأمانهم من قبل حُكُومَاتنا فدعوة ساقطة، لسقوط شرعيّة حُكُومَاتنا، الغير شرعيّة أصلا، وخصوصا من كانَ تواجدهم لأهداف عسكريّة أو أمنيّة أو سياسيّة أو تنصيرية، أو أي وجه من وجوه الإفساد في بلاد المُسلِمِين.

فالخلاصة باختصار في أحكام دماء وأموال المُسلِمِين والكافرين في بلادنا اليَوْم:

١ . أن جميع من في بلادنا الإِسْلَاميّة اليَوْم من المُسلِمِين ممن شهدوا أن لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله وأن محمّدا رسول الله ﷺ، ولم ينقضوها بمحاربة الإِسْلَام والمُسلِمين، والمظاهرة عليهم ولم ينقضوه صراحة بناقض معتبر للإسلام، هم معصوموا الدَّم والمال والعرض، بقولهم لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله وحسابهم عَلى الله تَعَالَى، وإن تلبسوا بها تلبسوا به من المعاصي فحسابهم عَلى الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ،

قَالَ رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله»(١).

٢- أن جميع أشكال تواجد الكفّار في بلادنا، حلال الدَّم والمال، لا تعصمهم الأمانات المزورة، والذمة البَاطِلة الّتي أعطاهم إياها أولياؤهم من حكامنا المرتدّين الّذين هم حلال الدَّم والمال أصلا، كما بينا آنفا.

٣- أن الكفّار في بلادهم (ديار الحَرب)، حلال المال والدم كما هو معروف، وليس هناك أي إعتبار لما يسمى بالاتفاقات الدّولية، لأنها لم تبرم أصلا مع أولياء أمور شرعيين للمسلمين، فضلا عما فيها من البنود البَاطِلة، الّتي تعطل الجِهَاد في سبيل الله، وتعطي الحقوق للكفار المعتدين، بدعوى مكافحة الإرهَاب، بل وتجعل دفاع المسلم عن دينه ونفسه وعرضه وماله، جريمة وإرهابا، وتجعل عدوان الكفّار علينا عدلا ونظاما دوليا.

عصمة دم المسلم، وحرمته عند الله:

شدد الإِسْلَام في عصمة دم المسلم، وهدد وتوعد قاتله عمدا باللعنة، وهي الطرد من رحمة الله، وبالخلود في النار والعذاب الأليم، فقد روى البُخَارِيّ رَحِمَهُ الله من حديث ابن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»(٢)، أي ما يزال لديه الأمل بالمغفرة ما لم يقتل مسلما عامدا متعمدا، وروى البُخَارِيُّ أيضاً عنه أنّ النّبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا»(٣). ويكفي في حرمة دم المسلم وسوء مصير قاتله عمداً ما قاله الله تَعَالَى مما يهزّ القلوب، ويردع كلّ من كانَ في قلبه لدين الله حرمة، عن الإقدام عَلى هذا الجرم الشّنيع، وهو قوله تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء]، ومما قاله

(١) رواه البخاري (١٣٩٩، ٢٩٤٦، ٦٩٢٤) ومسلم (٢٠).

(٢) رواه البخاري: (٦٨٦٢).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٦٨٧٤، ٧٠٧٠) ومسلم (٩٨).

الإمَام ابن كثير رحمه الله تَعَالَى في تفسيرها: [وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الّذي هو مقرون بالشرك بالله تَعَالَى، في غير ما آية في كتاب الله حيث يقول تَعَالَى في سورة الفرقان: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾ [الفرقان: ٦٨]، والآيات والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جدا، فمن ذلك ما ثبت في الصَّحِيحين عن ابن مسعود، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»(١) وفي الحديث الآخر الّذي رواه أبو داود عن عبادة بن الصامت قَالَ، قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا صَالِحًا مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ»(٢)، وفي حديث آخر: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»(٣) وفي الحديث الآخر «لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ»(٤) وفي الحديث الآخر «مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ، لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ»(٥)، وقد كانَ ابن عبّاس رضي الله عنه يَرى أن لا توبَة لِقَاتِلِ المؤمن عمداً، قَالَ البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا آدَمُ...قَالَ (ابن عبَّاس): نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] «هِيَ آخِرُ مَا نَزَلَ، وَمَا نَسَخَهَا شَيْءٌ»(٦)، وعن سعيد بن جبير قَالَ: سألت ابن عباس عن قوله ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ قَالَ: «الرَّجُلُ إِذَا عَرَفَ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ، ثُمَّ قَتَلَ مؤمناً متعمِّداً فَجزاؤُهُ جَهَنَّمُ وَلَا تَوْبَةَ لَهُ» فَذَكَرْتُهُ لِمُجَاهِدٍ فَقَالَ: «إِلَّا مَنْ نَدِمَ»(٧)، كُنَّا عِنْد ابْن عَبَّاس بَعْدَمَا كفَّ بَصَره، فَأَتَاهُ رجل فناداه: يَا

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٦٥٣٣) ومسلم (١٦٧٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٧٠) وقال الألباني: صحيح – الصحيحة (٥١١). (الْمُعْنِق): خَفِيف الظَّهْر، سَرِيع السَّيْر، يَسِير سَيْر الْعَنَق، وَالْعَنَق: ضَرْبٌ مِنْ السَّيْر وَسِيع. (بَلَّح) قَالَ فِي النِّهَايَة: يُقَال: بَلَّحَ الرَّجُل، إِذَا اِنْقَطَعَ مِنْ الْإِعْيَاء، فَلَمْ يَقْدِر أَنْ يَتَحَرَّك، وَقَدْ أَبْلَحَهُ السَّيْر فَانْقَطَعَ بِهِ، يُرِيد وُقُوعه فِي الْهَلَاكِ بِإِصَابَةِ الدَّم الْحَرَام.

(٣) رواه النسائي (٣٩٨٧) والترمذي (١٣٩٥) وصححه الألباني.

(٤) رواه الترمذي (١٣٩٨) وقال: حسن غريب، وصححه الألباني في الروض النضير (٩٢٥).

(٥) رواه ابن ماجة (٢٦٢٠) وقال الألباني والأرنؤوط: ضعيف جدا.

(٦) رواه البخاري (٤٥٩٠) ومسلم (٣٠٢٣).

(٧) رواه أبو داود (٤٢٧٣) وصححه الألباني، ورواه البخاري دون «وَلَا تَوْبَةَ لَهُ» برقم(٣٨٥٥).

عبد الله بن عَبَّاس، مَا ترى فِي رجل قتل مُؤمنا مُتَعَمدا؟ فَقَالَ: جَزَاؤُهُ جَهَنَّم خَالِدا فِيهَا، وَغَضب الله عَلَيْهِ، ولعنه وأعدَّ لَهُ عذَابا عَظِيما. قَالَ: أَفَرَأَيْت إِن تَابَ وَعمل صَالحا ثمَّ اهْتَدَى؟ قَالَ ابْن عَبَّاس: ثكلته أمه وأَنَّى لَهُ التَّوْبَة وَالْهدى؟ وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لقد سَمِعت نَبِيكُم ﷺ، يَقُول: «ثكلته أمه قَاتل مُؤمن مُتَعَمدا جَاءَ يَوْم الْقِيَامَة أَخذه بِيَمِينِهِ، أَو بِشِمَالِهِ تشخب أوداجه دَمًا قبل عرش الرَّحْمَن يلْزمه قَاتله بِيَدِهِ الْأُخْرَى، يَقُول: سل هَذَا فيمَ قتلني؟»"وأيم الَّذِي نفس عبد الله بِيَدِهِ لقد أنزلت هَذِه الْآيَة فَمَا نسختها من آيَة حَتَّى قبض نَبِيكُم"[1]، وعن عبدِالله بن مسعود عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا بِقَاتِلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذًا رَأْسَهُ بِيَدِهِ الْأُخْرَى فَيَقُولُ يَا رَبُّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ قَالَ، فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ، فَيَقُولُ: فَإِنَّهَا لِي، قَالَ وَيَجِيءُ آخَرُ مُتَعَلِّقًا بِقَاتِلِهِ فَيَقُولُ: رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي، قَالَ فَيَقُولُ: قَتَلَتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ، قَالَ: فَإِنَّهَا لَيْسَتْ لَهُ بُؤْ بِإِثْمِهِ، قَالَ: فَيَهْوِي فِي النار سبعين خريفا»[2].... حديث آخر قَالَ الإِمَام أحمد: حدثنا.... سمعت معاوية ؓ يقول: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «كُلُّ ذَنْبٍ عسى الله أن يَغفِرَهُ إِلّا الرّجلُ يَمُوت كَافِرًا، أَوِ الرَّجُلُ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا»[3]][4]اهـ.

هذا كله في المسلم يقتل مسلما متعمدا في شجار أو نزاع عَلى شيء من الدُّنيَا أو في غضبة ونزغة شيطان وجاهلية، وأما ذلك الّذي يقتل المسلم لأنه يقول ربي الله، ويقتل المُجَاهدين في سبيل الله بأمر رؤسائه المرتدّين، أو يقتلهم تحت قيادة الأمريكان أو الكافرين، فذلك شأنه شأن آخر، لأنه تولى الكافرين وقاتل في سبيلهم، فماذا يقول جنود جُيُوش البلاد الإِسْلَاميّة وشرطتها ورجال أمنها، من هَؤُلَاءِ القتلة، الّذين يقتلون المُؤمِنِين، إذا تعلق المقتولون ظلما من المُؤمِنِين بهم يوم القيامة، وأوداجهم تشخب دما، وجأروا إلى الله قائلين لهم: «ربّي سَلْ هَذَا فِيمَا قَتَلَنِي؟» هل سيقولون: قتلناهم لتكون العزة لجورج بوش؟! أم يقولون قتلناهم لتكون العزة لأمريكا، أم لأي طاغوت من طواغيت المُسلِمِين؟

---

(١) بهذه السياقة ورد في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري (١٨/ ١٨٣) وأطراف الحديث في الصحيحين.

(٢) أصله في سنن النسائي (٣٩٩٧) بلفظ قريب وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد (١٦٩٠٧) والنسائي (٣٩٨٤) وصححه الألباني.

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٩).

ألا ثكلتهم أمهم، وقبحهم الله، لو كانوا يدركون، أو يعقلون، في أي واد من وديان الكفر والردة يهيمون، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ ﴾ [آل عمران]

قَالَ ابن كثير في تفسيرها: [قَالَ ابن أبى حاتم:...عن أبي عبيدة بن الجرّاح ﷺ قَالَ: قلت: يا رسول الله، أي النّاس أشدّ عذابا يوم القيامة؟ قَالَ: «رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ» ثمّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٢١].][(١)]

وكما بينا بأن الأصل في المسلم عصمة الدَّم والمال لا يحل منه ذلك إلا بخروجه من الملة، وأن الكافر حلال الدَّم والمال لا يعصم ذلك منه إلا الدخول في ملة الإِسْلَام أو الأمان الّذي يعطى إليه من قبل حاكم شَرعِيّ مسلم، هذا من دون أن يكون الكافر محاربا للمسلمين، فكيف به وهو محارب لهم معتد عليهم؟!

وكما هو معروف اليَوْم، فإن الأمريكان والإنجليز وحلفائهم الأوروبيين، من دول النّاتو، ومن معهم مثل روسيا، فرنسا، أسبانيا، البرتغال، بلجيكا، ألمانيا، إيطاليا، كندا، أستراليا، هم في حالة حرب معلنة من قبل أمريكا وأسيادها اليَهُوْد، عَلى المُسلِمِين، وهم يقتلون شباب الإِسْلَام، ويطاردونهم في كلّ مكان ويرتكبون المجازر في حقهم، دون تفريق بين مدني ولا عسكريّ ولا شيخ ولا طفل ولا امرأة، كما يحصل اليَوْم في فِلَسطِين والعراق وأفغانستان، وحيثما شاءت أمريكا، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى فإن أشكال عدوانهم قد تعددت أساليبها وأدواتها، فجُيُوشهم تأتي بشكل سافر برّاً وبحراً وجوّاً، ومخابراتهم مثل(CIA)(FBI) الأمريكيّة، وما يعادلها من مخابرات الدّول الغربيّة، تأتي علنا تارة، وتارة تأتي تحت غطاء المؤسسات التجاريَّة، وتارة تحت غطاء المشاريع السياحية أو الثَّقافيَّة، أما مؤسساتهم التنصيرية فمستعلنة حينا، ومتسترة أحيانا، وأما مؤسساتهم المالية الاقتصاديَّة فهي مؤسسات نهب لاقتصاد المُسلِمِين، وأما من جاء منهم للسياحة والنزهة، فهم أقل أشكال العدوان، نماذج للسفور

---

(١) الحديث أخرجه البزار (١٢٨٥) وقال بعده: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنْ رَسُولِ الله ﷺ بِهَذَا اللَّفْظِ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَلَا نَعْلَمُ لَهُ طَرِيقًا، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ غَيْرَ هَذَا الطَّرِيقِ، وَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا سَمَّى أَبَا الْحَسَنِ الَّذِي رَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ حِمْيَرٍ.

والرَّذِيلة، لا يحترمون أعراف المُسلِمِين ولا دينهم ولا تقاليدهم ويسعون للفساد ودمار الأخلاق حيثما حلوا، فكل أشكال التواجد الغربيّ هو وجود محارب للإسلام والمُسلِمين، ولذلك فكافة أشكال وجودهم نساء ورجال في بلادنا حلال الدَّم والمال للمسلمين وهو هدر، وقد أفتى علماء المُسلِمِين بمثل هذا في حق المُستَعمرين الإنجليز والفرنسيين أيّام الإستعمار القديم لبلادنا، كذلك أيّام الإحتلال الرُّوسي لأفغانستان ومن ذلك ما قاله الإِمَام المحدث الشَّيْخ أحمد شاكر أيّام احتلال الإنجليز لمصر والسُّودَان وباكستان والهند، قَالَ:

[فإن الواجب أن يعرف المُسلِمُون القواعد الصَّحِيحة في شريعة الله في أحكام القِتَال وما يتعلق به معرفة واضحة، إن الإنجليز أعلنوها عَلَى المُسلِمِين في مصر حربا سافرة غادرة حرب عدوان واستعلاء، وأعلنوها عَلَى المُسلِمِين في السُّودَان حرب مقنعة مغلفة بغلاف المصلحة للسودان وأهله، مزوقة بحلية الحكم الذاتي، وقد رأينا ما يصنع الإنجليز في منطقة قناة السويس وما يقاربها من البلاد، من قتل المدنيين الآمنين والغدر بالنِّسَاء والأطفال...فأعلنوا بذلك عداءهم صريحا واضِحاً، لا لبس فيه ولا مجاملة ولا مداورة.

فصارت بذلك دماؤهم وأموالهم حلالا للمسلمين، يجب عَلَى كلّ مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يحاربهم وأن يقتلهم حيثما وجدوا – مدنيين كانوا أو عسكريّين – فكلهم عدو، وكلهم محارب ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩١] **وقد نَهَانَا رسول الله ﷺ عن قتل النِّسَاء في الحَرب وهو نهي معلل بعلة واضحة: أنهن غير مقاتلات، أما الآن ونسائهم مجندات يحاربن مع الرّجال جنبا إلى جنب، وغير المجندات منهن مسترجلات، يطلقن النار عَلَى المُسلِمِين دون زاجر أو رادع فإن قتلهن حلال للدفاع عن النّفس والدّين والبلد إلا أن تكون امرأة ضعيفة لا تستطيع شيئا، وقد قلنا: (يجب عَلَى كلّ مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يحاربهم وأن يقتلهم حيثما وجدا مدنيين أو عسكريّين) ونحن نقصد إلى كلّ حرف من معنى هذه الجملة فأينما كانَ المسلم ومن أي جنس كانَ من الأجناس والأمم، وجب عليه ما يجب علينا في مصر والسُّودَان، حتَّى المُسلِمِين من الإنجليز في بلادهم إن كانوا مُسلِمِين حقا يجب عليهم ما يجب عَلَى المُسلِمِين من غيرهم ما استطاعوا فإن لم يستطيعوا، وجبت عليهم الهِجرَة من بلاد الأَعدَاء أو من البلاد الّتي لا يستطيعون فيها حرب العدوّ بما أمرهم الله، فإن الإِسْلَام جنسية واحدة، وهو يلغى**

الفوارق الجنسية والقومية بين متبعين، فليسمع هذا وليضعه نصب عينيه كلّ مسلم في مصر والسُّودَان والهند والباكستان، وكل بلد يحكمه الإنجليز الأَعدَاء أو يدخل في نطاق نفوذهم من سائر أقطار الأرض، وأما التّعاون مع الإنجليز في أي نوع من أنواع التّعاون قل أو كثر، فهو الرِّدَّة الجامعة والكفر الصراح لا يقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأول، سواءا أكان ذلك من أفراد أو حُكُومَات أو زعماء كلهم في الكفر والردة سواء.

وأظن كلّ قارئ لا يشكّ الآن، أنّه من البديهيّ أنّ شأن الفرنسيين في هذا المعنى شأن الإنجليز، بالنّسبة لكلّ مسلمٍ عَلى وَجهِ الأرضِ، فإنّ عداء الفرنسيين للمسلمين وعصبيتهم الجامحة في العمل عَلى محو الإِسْلَام أضعاف الإنجليز فهم والإنجليز في الحكم سواء: دمائهم وأموالهم حلال في كلّ مكان، وإن التّعاون معهم حكمه حكم التّعاون مع الإنجليز...] -انتهى نقل كلام العلامة أحمد شاكر باختصار طفيف-.

ولا شَّكَّ أن علة الحكم ومناط القياس بين الأمريكان والرُّوس واليَهُوْد وكل أعداء المُسلِمِين اليَوْم مع ما كانَ عليه عداء الفرنسيين والإنجليز هو واحد، بل إن هَؤُلَاءِ بالإضافة للإنجليز والفرنسيين صاروا حلفاء علينا فلا شَّكَّ أن دمائهم وأموالهم نساء ورجالا، حلال هدر في كلّ مكان وخاصة في بلادنا.

سابعا: وجوب نصرة المُسلِمِين في الدّين إن اعتدى الكفّار عليهم بصرف النَّظر عما تلبسوا به من المعاصي والنقائص، والجِهَاد المشروع قائم مع كلّ بر وفاجر من أئمة المُسلِمِين وعامتهم:

- **ففي القرآن الكريم:**

شواهد عديدة عَلى وجوب نصرة المسلم نذكر منها قوله تَعَالَى في سورة الأنفال الآية الثّانية والسبعين والثّالثة والسبعين بعد أعوذ بالله من الشّيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٧٢﴾ [الأنفال]

قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في معرض تفسيرها[1]: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ الآية، [يقول تعالى وإن استنصركم هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ، الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا فِي قِتَالٍ دِينِيٍّ عَلَى عَدُوٍّ لَهُمْ فَانْصُرُوهُمْ، فَإِنَّهُ وَاجِبٌ عليكم نَصْرُهُمْ، لِأَنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ، وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -إلى أن قَالَ في آخر نفس الآية- ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾ [الأنفال] إِنْ لَمْ تُجَانِبُوا الْمُشْرِكِينَ وَتُوَالُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَإِلَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ فِي النَّاسِ، وَهُوَ الْتِبَاسُ الْأَمْرِ، وَاخْتِلَاطُ الْمُؤْمِنِ بِالْكَافِرِ، فَيَقَعُ بَيْنَ النَّاسِ فَسَادٌ مُنْتَشِرٌ طَوِيلٌ عَرِيضٌ]-انتهى كلام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ-.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، الجزء الثَّامن ص ٥٧ قوله تَعَالَى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ [يُرِيدُ إِنْ دَعَوْا هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا مِنْ أَرْضِ الْحَرْبِ عَوْنَكُمْ بِنَفِيرٍ أَوْ مَالٍ لِاسْتِنْقَاذِهِمْ فَأَعِينُوهُمْ، فَذَلِكَ فَرْضٌ عَلَيْكُمْ فَلَا تخذلوهم، إلا أن يستنصروكم عَلَى قَوْمٍ كُفَّارٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَلَا تنصروهم عَلَيْهِمْ، وَلَا تَنْقُضُوا الْعَهْدَ حَتَّى تَتِمَّ مُدَّتُهُ، قال ابْنُ الْعَرَبِيِّ: إِلَّا أَنْ يَكُونُوا (أُسَرَاءَ) مُسْتَضْعَفِينَ فَإِنَّ الْوَلَايَةَ مَعَهُمْ قَائِمَةٌ وَالنُّصْرَةَ لَهُمْ وَاجِبَةٌ، حَتَّى لَا تَبْقَى مِنَّا عَيْنٌ تَطْرِفُ حَتَّى تخرج إلى استنقاذهم إِنْ كَانَ عَدَدُنَا يَحْتَمِلُ ذَلِكَ، أَوْ نَبْذُلُ جَمِيعَ أَمْوَالِنَا فِي اسْتِخْرَاجِهِمْ حَتَّى لَا يَبْقَى لِأَحَدٍ دِرْهَمٌ، كَذَلِكَ قَالَ مَالِكٌ وَجَمِيعُ الْعُلَمَاءِ، فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، عَلَى مَا حَلَّ بِالْخَلْقِ فِي تَرْكِهِمْ إِخْوَانَهُمْ فِي أَسْرِ الْعَدُوِّ وَبِأَيْدِيهِمْ خَزَائِنُ الْأَمْوَالِ، وَفُضُولُ الْأَحْوَالِ وَالْقُدْرَةُ وَالْعَدَدُ وَالْقُوَّةُ وَالْجَلَدُ].

وقال الشَّيْخ سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ في الظلال الجزء الثّالث ص ١٥٥٨: [فهَؤُلَاءِ الأفراد (يقصد المُسلِمين الّذين لم يهاجروا معكم إلى دار الإِسْلَام) ليسوا أعضاء في المجتمع المسلم ومن ثمّ لا تكون بينهم وبينه ولاية ولكن هناك رابطة العَقِيْدَة، وهذه لا ترتب وحدها عَلى المجتمع المسلم تبعات تجاه هَؤُلَاءِ الأفراد اللّهم إلا أن يعتدي عَلى دينهم فيفتتنوا مثلاً عن عقيدتهم فإذا استنصروا المُسلِمين - في دار الإِسْلَام - في مثل هذا كانَ عَلى المُسلِمين أن ينصروهم في هذه وحدها.] أ.هـ.

فأقول والله الموفق: جاء الأمر في نصرة هَؤُلَاءِ المُسلِمين في الدّين وهم لم يهاجروا ويلتحقوا بالمُسلِمين مع قيام دولتهم وربما في بعضهم ضعف وعذر وربما فيهم من نزل فيه وعيد شديد بأن مأواهم النار لعدم

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٩٨).

هجرتهم مع قدرتهم عليها في قوله تعَالَى في سورة النِّسَاء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧﴾ [النساء]

فهَؤُلَاءِ رغم معصيتهم الّتي تدخل من لا عذر له في النار لم يسقط حقهم كونهم من أهل لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله، وإن استنصروكم في الدّين فيجب أن ينصرهم المُسلِمُون، فهم لهم هذا الحقّ كونهم من أهل لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله، بل إن الله جعل عدم نصرة المسلم تؤدي إلى فتنة في الأرض وفساد كبير، وهذا ما نشهده في أيّامنا هذا لقعود المُسلِمِين عن نصرة دينهم ونصرة بعضهم بعضاً وعن نصرة المستضعفين فيهم بدعاوى شتّى منها أن دينهم فيه خلل، علماً أن كلّ آيات وأحاديث حقوق المسلم لم تخصص مسلماً كما الإيمان، ولم تفرق بينه وبين أي مسلم كما أنه لم يخرج من ملة الإِسْلَام هذا في القرآن.

- وفي السنة:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ.[1] رواه البُخَارِيّ في كتاب الأدب فصل تعاون المُؤمِنِين ورواه مسلم في كتاب البر باب تراحم المُؤمِنِين وتعاطفهم.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى»[2]. وهو حديث متفق عليه جاء في أبواب الحديث السابق، ذكر الإمَام النووي رحمه الله معلقاً عَلى هذا الحديث في كتاب نزهة المتقين شرح رياض الصّالحين: المراد بالتَّراحم: أن يرحم المُؤمِنُون بعضهم بعضاً وأن يمدّوا يدَ العَونِ والمسَاعدَة لبعضِهم عندَ الشَّدَائِدِ والنَّوَازِلِ "ج(١) ص(٢٤٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قَالَ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ الله فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ»[3] متفق عليه.

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦) ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦).

(٣) رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).

وقد ذكر القسطلاني في إرشاد السّاري شرح صحيح البُخَارِيّ في الجزء الرَّابع الصفحة ٢٥٥ معلقاً عَلى هذا الحديث فقَالَ: " (لا يَظلمُهُ) خبرٌ بِمَعنَى النَّهي لأنَّ ظُلمَ المسلِم للمسلِم حَرَام ولا يُسلِمه أي لا يتركه معَ مَن يؤذيه بل يحميه وزاد الطبراني ولا يسلمه في مصيبة نَزَلت به".

وقد شرحَ هذا الحديث الإِمَام النَّووي في شرحه لصحيح مسلم فقال " وأما (لا يخذله) فقال العُلَماءُ: الخذلُ ترك الإعانة والنّصر، ومعناهُ إذا استعان به في دفع ظالمٍ ونحوه لزمه إعانته إن أمكنه ولم يكن له عذر شَرعِيٌّ [1].

نقول وهذا في دفع المظلمة عن المسلم ولو جاءت من مسلم صال عليه ظلماً فكيف إذا جاءت من كافر صائل أو من مرتد أو مسلم ضال استنصر الكفّار عَلى أخيه المسلم.

وغني عن القول أن أحاديث الرَّسُول عليه الصّلاة والسَّلام في وجوب نصرة المسلم وعدم خذلانه والدّفاع عنه لم تخصص مسلمي خير القرون فقط، أو خيار المُسلِمِين من كلّ زمان بل جاء الأمر في الكتاب والسنة بنصرة المسلم مع علم الله وإخبار رسوله ﷺ بأن الدّين يرق في آخر الزّمان وقال عليه الصّلاة والسَّلام: «لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»[2]، بل مازال دأب الصّحابة والتَّابعين والسلف من بعدهم يشتكون من قلة الدّين في النّاس وتغير الأحوال إلى الأسوأ، ومع ذلك كانَ دأبهم النصح للمسلمين، ودفع الأذى عنهم ولاسيما دفع غائلة الصّائل عَلى الدّين والأرض والعرض والحرمات ولو كانت قضية النّصرة لا تكون إلا لمن هم عَلى دين وحال خير القرون وهي مائة سنة عَلى الأكثر، لما قام جِهَاد ونصرة ودفع عن المُسلِمِين عَلى مر التّاريخ الإِسْلَاميّ، وهو أكثر من ثلاثة عشر قرناً تلت ذلك، فها هيَ كتب التّاريخ ما زالت تروي فساد حال المُسلِمِين، من انتشار البِدَع، والبعد عن السنة وفشو المعاصي والخمور والقيان والمظالم إلى غير ذلك ومع ذلك وجدنا كما سنبين كبار السَّلَف والعُلَماء يدعون وينهضون للغزو مع كلّ بر وفاجر ويدفعون الصّائل عن الإِسْلَام والمُسلِمين ويفرحون لفرحهم، ويغتمون لكرباتهم، وهي عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة خلافاً لمنهج الخوارج وغيرهم في أهل البِدَع المارقين.

---

(١) إرشاد السّاري شرح مسلم عَلى حاشية شرح البُخَارِيّ (جزء ٩ ص ٤٥٧).

(٢) رواه البخاري (٧٠٦٨).

وإذا كانت كلمة لَا إِلَٰهَ إِلَّا الله تنجي أقواماً عند الله يأتون في آخر الزّمان وهم لا يدركون من معناها شيئاً كما في صحيح التِّرْمِذِيّ فيما رُوى عن رسول الله ﷺ فكيف لا تكون لهم علينا حقوق ونحن إخوانهم بسبب هذه الكلمة بصرف النَّظر عما تلبسوا به من النّقص الّذي لا يخرجهم من ملة أهل لَا إِلَٰهَ إِلَّا الله، ولك أن تتصوُّر حال من لا يدرك من معنى لَا إِلَٰهَ إِلَّا الله شيئاً وقد رأينا أمثال هَؤُلَاءِ في أطراف العالم الإِسْلَامِيّ من بعض سكان بلاد التركستان ووسط آسيا والقفقاس والبوسنة وغيرها، فإذا كانَ هذا حق المسلم العادي، فكيف يكون حق من يجاهد ويدفع العدوّ من أهل الإِسْلَام من بقايا الظَّاهِرين عَلى الحقّ في هذا الزّمان، والله سُبحَانَهُ وتَعَالَى يقول: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾[النساء] ورسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» وكلنا سمع بكلام ابن تَيمِيّة رَحِمَهُ اللهُ وفتواه الشهيرة في دفع الصّائل وهي قوله: [**وَأَمَّا قِتَالُ الدَّفْعِ فَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ دَفْعِ الصَّائِلِ عَنْ الْحُرْمَةِ وَالدِّينِ فَوَاجِبٌ إجْمَاعًا فَالْعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ أَوْجَبَ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ دَفْعِهِ فَلَا يُشْتَرَطُ لَهُ شَرْطٌ بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ** وقد نصَّ عَلى ذلكَ العُلَمَاءُ أصحابنا وغيرُهم][1].

وهذا الصّائل الّذي قصد بلاد المُسلِمِين اليَوْم كما حصل في العراق مؤخرا وقبلها وكثيرا من بقاع بلاد المُسلِمِين قد قصد الدّين والأنفس والأموال والأعراض ورسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[2]، وقد روى عنه عليه الصّلاة والسّلام قوله: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[3].

وقد صنف علماء المذاهب الأربعة وأئمة التفسير وشراح السنة أبواباً في دفع الصّائل حتّى لو كانَ مسلماً واستشهدوا بهذه النّصوص ولهم كلام نفيس لا ننقله هنا بغية الاختصار وكله في الصّائل ولو كانَ

---

(١) الفتاوى الكبرى: (ج٥/ ص٥٣٨).

(٢) رواه أحمد (١٦٥٢) وصححه الأرنؤوط، وروى أبو داود نحوه (٤٧٧٢) وصحَّحه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه النسائي (٤٠٩٣، ٤٠٩٦) وصححه الألباني: صحيح الجامع الصغير (٦٤٤٧).

مسلماً فما بالك بهذا المزيج النجس من الصّائل اليَوْم من يهود وروس وأمريكان وروافض وأحلافهم المرتدّين والفسقة.

وربما هناك من يقول نعم هذا في الدّفاع عن المُسلِمِين الصّالحين ولكن هَؤُلَاءِ اليَوْم فيهم وفيهم مما ذكرنا من السلبيات، نعود للقول لهذا الأخ سبق البرهان والإتفاق عَلى أنهم مازالوا عندي وعندك مُسلِمِين، من أهل لَاإِلٰهَ إِلَّا الله في كثير منهم بدع وغير ذلك وما ينقص من عدالتهم، وكثير منهم صالح فانظر معي إذن إلى مذهب أهل السّنّة في القِتَال مع المُسلِمِين ولو تلبسوا في هذه الأحوال في جِهَاد الطلب فضلاً عن جِهَاد الدَّفع ودفع الصّائل الّذي لا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان كما قَالَ ابن تَيمِيّة ملخصاً إجماع العُلَماء.

وعند عودتنا للمراجع من كتب التفسير وشروح الحديث والمجموعات الفقهيّة للمذاهب الأربعة أو للمراجع المعتمدة كفتاوى ابن تَيمِيّة والإمام ابن حزم الأندلسي وغيرها، نجد في مختلف أبواب الجِهَاد أو الجِهَاد والسير كما ترد أحياناً بل وفي متون العَقِيْدَة عند أهل السّنّة، فصولاً تدور حول الجِهَاد مع كلّ بر وفاجر وأحياناً بعنوان الجِهَاد مع كلّ أمير، وأحياناً الجِهَاد مع الأمراء، كلام يدور حول إجماع أهل السّنّة خلافاً للخوارج والرَّافِضَة وغيرهم من فرق الضلال وقد جمعت مما تيسر لي من المراجع هذه نصوصاً وشواهد عديدة، ثمّ يسر الله أَنّي نظرت في الكتاب النفيس " كتاب العمدة في إعداد العدة " لشيخنا الدكتور عبد القادر بن عبد العزيز، ذكره الله بخير ونفع به وفك أسره، فوجدته قد لخص ما ورد في معظم هذه المراجع بطريقة موجزة جميلة فاستغنيت بهذا الإيجاز النافع عن إطالة نقل الشواهد، لأن فيها الزبدة وكفاية فسأورد ما جاء فيها ثمّ أذكر بعدها بعض ما عثرت عليه مما لم يرد بها في الموضوع، وإليك أخي الحبيب ما جاء في العمدة جزى الله صاحبه خير الجزاء عن الإِسْلَام والمُسلِمِين وأهل الإِعداد والهِجرَة والجِهَاد جاء في الصفحة (٩-١٠):

(ونأخذ من هذا كثيراً من العبر منها أن ساحة الجِهَاد قد تجمع المنافق والفاجر وفاسد النِّيَّة وأقواماً لا خلاق لهم، وكل هَؤُلَاءِ كانوا عَلى عهد النبيّ ﷺ، ومن العبر أيضاً أن وجود هَؤُلَاءِ بساحة الجِهَاد ليس بمبرر للقعود عن الجِهَاد بحجة أن بالصف مجروحين، فقد قام الجِهَاد عَلى عهد النبيّ ﷺ مع وجود هَؤُلَاءِ،

وسيأتي مزيد بيان لهذا وفتوى ابن تَيمِيّة فيه)، ثمّ قَالَ: (وإذا كانَ هذا قد حدث في حياة النبيّ ﷺ ومن معه، فما بالك بالحال الآن ؟ وقد قَالَ ﷺ: «لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»(١).

ثمّ فصّل تفصيلاً نفيساً في الصّفحات (٥٨-٦٣) والَّتي عقد فيها فصلاً بعنوان " مسألة الغزو مع الأمير الفاجر وأنصح الإخوان أن يراجعوها كاملة ويراجعوا إن أمكن لهم الشواهد الّتي أتى بها جزاه الله خيراً في مصادرها فبعضها فيه تفصيل وسأنقل موجزاً ما يلزم هنا لإثبات موضوع الجِهَاد مع المُسلِمِين وأمراءهم، ولو كانوا غير عدول متلبسين بالبِدَع والفجور والفسوق والغلول وغير ذلك من نواقض العدالة طالما أنها لم تخرجهم من ملة الإِسْلَام، كما كانَ حال معظم المُسلِمِين وأمرائهم في أكثر من ٩٠٪ من تاريخنا الإِسْلَاميّ عَلى مر أربعة عشر قرناً.

جاء في هذا الفَصل من العمدة: (الفاجر: هو غير العدل، والعدالة هيَ: استواء أحواله في دينه وقيل من لم يظهر منه ريبة، ويعتبر لها شيئان:

الصلاح في الدّين وهو أداء الفرائض برواتبها واجتناب المحرم لا يأتي كبيرة ولا يدمن عَلى صغيرة.

استعمال المروءة: بفعل ما يجمله ويزينه، وترك ما يدنسه ويشينه) [منار السبيل صفحة ٤٨٧-٤٨٨].

ثمّ قَالَ أسفل صفحة ٥٨: ثالثاً: فإن كانَ الأمير فاجراً، ولم يوجد غيره، أو لم يتيسر العمل مع غيره إما بسبب عدم العلم بوجود الأصلح أو المشقة الشديدة في الالتحاق بالأصلح وبالتالي فإن ترك العمل مع الفاجر يفوت المصلحة الشَّرعيَّة في التّدريب أو الجِهَاد فالكلام هنا من وجهين: وينبني عَلى سؤال وهو هل فجوره في نفسه أو فيما يتعلق بمصالح الإِسْلَام والمُسلِمين ؟

الوجه الأوّل: وهو إذا كانَ فجوره في نفسه، كمن يشر الخمر أو المخدرات أو يغل من الغنيمة أو به فسق أو بدعة (لاحظ جيداً - به فسق أو بدعة -) فهذا يغزى معه، طالما كانَ فجوره هذا لا يخل بقتاله للعدو ولا يضيع قضية الجِهَاد، مع الاستمرار في نصحه ووعظه وتعليمه بما يناسب حال مثله (لاحظ: بما يناسب حال مثله) لعلّ الله يصلح حاله وهذا الّذي ذكرته أصل مقرر في اعتقاد أهل السّنّة والجماعة

(١) رواه البخاري (٧٠٦٨).

ومذكور في فقه الجِهَاد وهذا الوجه الأوّل هو المقصود بالغزو مع البر والفاجر، ودليل ما ذكرنا من الغزو مع الفاجر في نفسه ما يلي:

ما ذكره ابن قدامة الحنبلي قَالَ (مسألة: قَالَ ويغزى مع كلّ بر وفاجر، يعني مع كلّ إمام قَالَ أبو عبدالله (يعني الإِمَام أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ اللهُ) وسئل عن الرجل يقول: أنا لا أغزو ويأخذه ولد العبّاس، إنما يوفر الفيء عليهم؟ فقال سبحان الله هَؤُلَاءِ قوم سوء، هَؤُلَاءِ القعدة مثبطون جهال، فيقال أرأيتم لو أن النّاس كلهم قعدوا كما قعدتم من كانَ يغزو؟ أليس كانَ قد ذهب الإِسْلَام؟ ماذا كانت تصنع الرُّوم، وقد روى أبو داود بإسناده عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا»[1] وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ؛ الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، لَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي الله إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ»[2] ولأن ترك الجِهَاد مع الفاجر يفضي إلى قطع الجِهَاد وظهور الكفّار عَلَى المُسلِمِين، واستئصالهم وظهور كلمة الكفر وفيه فساد عظيم، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، هذا عن المغني والشرح الكبير [الجزء ١٠ ص ٣٧١] انتهى. وقد وجدته عندي في [صفحة ٣٦٥].

ثمّ **أضاف صاحب العمدة** (فك الله أسره، ولعن الخونة المجرمين): قلت: بل قد ذكر ابن تَيمِيّة عن أحمد كلاماً أشد من هذا في المفاضلة بين الأمير الفاجر القوي والصّالح الضعيف، فقال ابن تَيمِيّة: (اجتماع القوّة والأمانة في النّاس قليل، ولهذا كانَ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: **"اللّهم أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة"**، فالواجب في كلّ ولاية الأصلح بحسبها، فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة، قدم أنفعهما لتلك كانَ فيه فجور عَلَى الرجل الضعيف العاجز وإن كانَ أميناً، كما سئل الإِمَام أحمد عن الرجلين يكونا أميرين في الغزو وأحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف مع أيهما يُغزى؟ فقال الفاجر القوي، فقوته للمسلمين وفجوره عَلَى نفسه وأما الصّالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه عَلَى

(١) رواه أبو داود (٢٥٣٣) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٣٢) وضعفه الألباني وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

المُسلِمِين يغزى مع القوي الفاجر، وقد قَالَ النبيّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»(١) وروي بأقوام لا خلاق لهم وإن لم يكن فاجراً كانَ أولى بإمارة الحَرب ممن هو أصلح منه في الدّين إذا لم يسد مسده) هذا في [مجموع الفتاوى الجزء ٢٨ ص ٢٥٤]، ثمّ أضاف صاحب العمدة:

وابن تَيمِيّة في فتواه بقتال التّتار. ذكر الغزو مع الأمير الفاجر فقال: [فَإِنْ اتَّفَقَ مَنْ يُقَاتِلُهُمْ عَلَى الْوَجْهِ الْكَامِلِ فَهُوَ الْغَايَةُ فِي رِضْوَانِ الله وَإِعْزَازِ كَلِمَتِهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ فِيهِ فُجُورٌ وَفَسَادُ نِيَّةٍ بِأَنْ يَكُونَ يُقَاتِلُ عَلَى الرِّيَاسَةِ أَوْ يَتَعَدَّى عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ وَكَانَتْ مَفْسَدَةُ تَرْكِ قِتَالِهِمْ أَعْظَمُ عَلَى الدِّينِ مِنْ مَفْسَدَةِ قِتَالِهِمْ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ: كَانَ الْوَاجِبُ أَيْضًا قِتَالُهُمْ دَفْعًا لِأَعْظَمِ الْمُفْسِدَتَيْنِ بِالْتِزَامِ أَدْنَاهُمَا؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ الَّتِي يَنْبَغِي مُرَاعَاتُهَا، وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْغَزْوُ مَعَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ «فَإِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ وَبِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ»(٢)، كما أخبر بذلك النبيّ ﷺ لِأَنَّهُ إذَا لَمْ يَتَّفِقْ الْغَزْوُ إلَّا مَعَ الْأُمَرَاءِ الْفُجَّارِ أَوْ مَعَ عَسْكَرٍ كَثِيرِ الْفُجُورِ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَحَدِ أمرين:

- إِمَّا تَرْكُ الْغَزْوِ مَعَهُمْ فَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ اسْتِيلَاءُ الْآخَرِينَ الَّذِينَ هُمْ أَعْظَمُ ضَرَرًا فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا.
- وَإِمَّا الْغَزْوُ مَعَ الْأَمِيرِ الْفَاجِرِ فَيَحْصُلُ بِذَلِكَ دَفْعُ الْأَفْجَرِينَ وَإِقَامَةُ أَكْثَرِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ؛ وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ إقَامَةُ جَمِيعِهَا، فَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ وَكُلِّ مَا أَشْبَهَهَا؛ بَلْ كَثِيرٌ مِنْ الْغَزْوِ الْحَاصِلِ بَعْدَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ لَمْ يَقَعْ إلَّا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، وَثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ»(٣)، فَهَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد فِي سُنَنِهِ(٤) من قوله ﷺ: «الغزو مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي الله إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ» وما استفاض عنه ﷺ أنه قَالَ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمّتِي ظَاهِرِينَ عَلى الحقّ لَا يَضُرّهُم مَن خَالَفَهُم إِلى يَومِ القِيامَةِ»(٥) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ النُّصُوصِ الَّتِي اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ عَلَى الْعَمَلِ

---

(١) رواه البخاري (٣٠٦٢) ومسلم (١١١).

(٢) رواه البخاري (٣٠٦٢) ومسلم (١١١).

(٣) رواه البخاري (٢٨٥٢، ٣١١٩) ومسلم (١٨٧٣).

(٤) رواه أبو داود (٢٥٣٢)، بلفظ «الجهاد ماض..» ضعفه الألباني وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٥) رواه البخاري (٧٣١١...) ومسلم (١٩٢٠) وأصحاب السنن بألفاظ متعددة ومعنى واحد.

بِهَا فِي جِهَادِ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْجِهَادَ مَعَ الْأُمَرَاءِ أَبْرَارِهِمْ وَفُجَّارِهِمْ؛ بِخِلَافِ الرَّافِضَةِ وَالْخَوَارِجِ الْخَارِجِينَ عَنْ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

هَذَا مَعَ إخْبَارِهِ ﷺ بِأَنَّهُ: «سَيَلِي أُمَرَاءُ ظَلَمَةٌ خَوَنَةٌ فَجَرَةٌ، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْت مِنْهُ وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ»[1].

فَإِذَا أَحَاطَ الْمَرْءُ عِلْمًا بِمَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ الْجِهَادِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الْأُمَرَاءُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَبِمَا نَهَى عَنْهُ مِنْ إعَانَةِ الظَّلَمَةِ عَلَى ظُلْمِهِمْ: عَلِمَ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الْوُسْطَى الَّتِي هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ الْمَحْضِ جِهَادُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْجِهَادَ كَهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمَسْئُولِ عَنْهُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ وَطَائِفَةٍ هِيَ أَوْلَى بِالْإِسْلَامِ مِنْهُمْ إذَا لَمْ يُمْكِنْ جِهَادُهُمْ إلَّا كَذَلِكَ وَاجْتِنَابُ إعَانَةِ الطَّائِفَةِ الَّتِي يَغْزُو مَعَهَا عَلَى شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِي اللهِ؛ بَلْ يُطِيعُهُمْ فِي طَاعَةِ اللهِ وَلَا يُطِيعُهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ إذْ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ

وَهَذِهِ طَرِيقَةُ خِيَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ، وَهِيَ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ طَرِيقِ الحرورية وَأَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ يسلك مَسْلَكَ الْوَرَعِ الْفَاسِدِ النَّاشِئِ عَنْ قِلَّةِ الْعِلْمِ وَبَيْنَ طَرِيقَةِ الْمُرْجِئَةِ وَأَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ يَسْلُكُ مَسْلَكَ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ مُطْلَقًا وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَبْرَارًا، وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مِنْ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَاَللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ][2].

وراجع كلام ابن تيميّة رحمه الله في آخر صفحة ٢١٢ من الجزء ٢٨ في مجموع الفتاوى.

ثمّ قَالَ صاحب العمدة: وقال شارح العَقِيْدَة الطحاوية قوله: (والحج والجِهَاد ماضيان مع أولي الأمر من المُسلِمِين برهم وفاجرهم إلى قيام السَّاعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما)، الشرح: يشير الشَّيْخ رحمه الله إلى الردّ عَلى الروافض حيث قالوا: لا جِهَاد في سبيل الله حتَّى يخرج الرضى من آل محمّد ﷺ، وينادي منادٍ من السّماء: اتبعوه ! وبطلان هذا القول أظهر من أن يستدل عليه، ثمّ يتابع صاحب العمدة فيقول:

---

(١) أصل الحديث عند أحمد (١٨١٢٦) والترمذي (٢٢٥٩) بإسناد صحيح، صححه الأرنؤوط والألباني.

(٢) مجموع الفتاوى ج ٢٨ ص ٥٠٦.

وقد أفرد الإِمَام البُخَارِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المسألة باباً مستقلاً، ولما كانت الأحاديث الّتي نصت عَلى الغزو مع البر والفاجر لا تخلو من مقال فضلاً عن أن تكون عَلى شروط في الصحة، فقد استنبط رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحكم جرياً عَلى عادته في دقة الاستنباط – من حديث الخيل معقود في نواصيها الخير، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ في [كتاب الجِهَاد من صحيحه/ باب الجِهَاد ماض حتَّى مع البر والفاجر].

ثمّ نقل صاحب العمدة شرح ابن حجر في الشرح إلى أن قَالَ: (لقول النبيّ ﷺ الخيل معقود.. إلخ) (سَبَقَهُ إِلَى الِاسْتِدْلَالِ بِهَذَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ لِأَنَّهُ ﷺ ذَكَرَ بَقَاءَ الْخَيْرِ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَفَسَّرَهُ بِالْأَجْرِ وَالْمَغْنَمِ الْمُغْنَمُ الْمُقْتَرِنُ بِالْأَجْرِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الْخَيْلِ بِالْجِهَادِ وَلَمْ يُقَيِّدْ ذَلِكَ بِمَا إِذَا كَانَ الْإِمَامُ عَادِلًا فَدَلَّ عَلَى أَنْ لَا فَرْقَ فِي حُصُولِ هَذَا الْفَضْلِ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْغَزْوُ مَعَ الْإِمَامِ الْعَادِلِ أَوِ الْجَائِرِ وَفِي الْحَدِيثِ التَّرْغِيبُ فِي الْغَزْوِ عَلَى الْخَيْلِ وَفِيهِ أَيْضًا بُشْرَى بِبَقَاءِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ مِنْ لَازِمِ بَقَاءِ الْجِهَادِ بَقَاءَ الْمُجَاهِدِينَ وَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَهُوَ مِثْلُ الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ...الْحَدِيثَ»)[١].

ثمّ قَالَ صاحب العمدة: [قلت: والأمير الفاجر كما يجب الجِهَاد معه تجب كذلك الصّلاة خلفه وفي هذا قَالَ شارح العَقِيْدَة الطحاوية: "اعلم رحمك الله وإيانا، أنه يجوز للرجل أن يصلى خلف من لم يعلم منه بدعة ولا فسقاً، ولا أن يمتحنه فيقول: ماذا تعتقد؟ بل يصلي خلف المستور الحال، ولو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته أو فاسق ظاهر الفسق وهو الإِمَام الراتب الّذي لا يمكنه الصّلاة إلا خلفه كإمام الجمعة والعيدين، والإمام في صلاة الحجّ بعرفة ونحو ذلك، فإن المأموم يصلي خلفه عند عامة السَّلَف والخلف، ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإِمَام الفاجر فهو مبتدع عند أكثر العُلَماء، والصَّحِيح أنه يصليها ولا يعيدها، فإن الصّحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون (...) إلى أن قَالَ: وفي الصَّحِيح أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما حصر صلى بالنّاس شخص فسأل سائل عثمان، إنك إمام عامة وهذا الّذي صلى بالنّاس إمام فتنة؟ فقال يا بن أخي إن الصّلاة من أحسن ما يعمل النّاس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم إلى قوله:

---

(١) [فتح الباري: ج٦ص٥٦].

"وأما إذا كانَ ترك الصّلاة خلفه يفوت المأموم الجمعة والجماعة فهذا لا يترك الصّلاة خلفه إلا مبتدع مخالف للصحابة ﷺ (...) إلى أن قَالَ فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظمها، فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، فتفويت الجمع والجماعات أعظم فسادا من الإقتداء فيها بالإمام الفاجر، لاسيّما إذا كانَ التخلف عنها لا يدفع فجوراً، **فلا ينبغي تعطيل المصلحة الشَّرعيَّة بدون دفع لتلك المفسدة.**][١]

ثمّ ختم صاحب العمدة جزاه الله خيراً ملخصا فقال: (قلت: مما سبق تدرك أن هذه المسألة مبنية عَلى عدد من النّصوص والقواعد الشَّرعيَّة منها:

١. **قاعدة (الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف) ومعلوم بداهة أنه إذا لم يتيسر إلا هكذا فالعدو الكافر وهو الضرر الأشد يدفع بالأمير المسلم الفاجر وهو الضرر الأخف، وتصاغ هذه القَاعِدَة أحيانا بلفظ (يختار أهون الشرين)**[٢].

٢. **حديث:** «إِنَّما الأعمَالُ بِالنِّيَّاتِ وإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» **متفق عليه**[٣]**، فإذا كانت نيتك صالحة وهي أنك تجاهد لتكون كلمة الله هيَ العليا، فلا يضرك أن تكون نية الأمير فاسدة، فلكل نيته وأجره بحسبها، كانَ يكون الأمير يقاتل لنصرة عصبة أو من أجل الرياسة، أو من أجل المال ونحو ذلك.**

٣. **وقوله تَعَالَى:** ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

فتعاون الأمير الفاجر في الطاعة، ولا تطيعه ولا تعاونه في المعصية وفعله المعاصي، كما سبق ليس بمبرر لتركك معاونته عَلى الطاعة بالجِهَاد معه، { قلت: وهذا كله في الوجه الأوّل وهو إذا لم يكن الجِهَاد مع الأمير الفاجر أما إن كانَ فجوره يتعدى إلى الأضرار بالإِسْلَام والمُسلِمين فهو الوجه الثّاني}، ثمّ تابع صاحب العمدة جزاه الله خيراً مبينا بأنه لا يجوز الجِهَاد مع من كانَ فجوره بسبب ضرراً للمسلمين أو خيانة للإسلام، انتهى.

---

(١) شرح الطحاوية طبعة المكتب الإِسْلَاميّ صفحة ٤٢٢-٤٢٣.

(٢) انظر [مجموع الفتاوى ج ٢٨ ص ٢١٢].

(٣) رواه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

أقول وقد وجدت مثل ذلك في كتاب السّير الكبير للإمام محمّد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة رحمهما الله تَعَالَى، وكتابه هذا من أوسع المجموعات الفقهيّة في أحكام الجِهَاد جاء في الجزء الأوّل في باب الجِهَاد مع الأمراء، ما يؤيد ما سبق ذكره من الأدِلَّة وقد خلص إلى إثبات نفس مسألة القِتَال مع الأمراء بررة أو فجرة والجِهَاد مع كلّ بر وفاجر ولاسيما في جِهَاد أهل الضلالة وأهل الشرك وقد جاء هذا في الفقرات (١٥٩-١٦٠-١٦١) في الصفحة (١٥٦-١٦٠) من الجزء الأوّل، ولا أنقلها هنا لأن البحث استطال بنا خشية ملل البعض، ونذكر في ختام أدِلّة هذه المسألة أن مسألة الجِهَاد مع كلّ أمير وجماعة من المُسلِمِين برا كانَ أو فاجر هيَ في جِهَاد الطلب، وجِهَاد الدَّفع سواء كانَ الجِهَاد في ذلك فرض كفاية أو فرض عين ولكن نذكر أنه في جِهَاد دفع الصّائل أخص وآكد، فقد أجمع فُقَهَاء الأُمّة والمذاهب الأربعة وعموم أئمة الإِسْلَام وأهل التفسير والحديث عَلى أن الجِهَاد يتعين ويصير فرض عين عَلى كلّ مسلم في مواضع أهمّها وآكدها إذا نزل العدوّ بلداً من بلدان المُسلِمِين فقد توجب دفعه وفرض الجِهَاد عينا عَلى الحر والعبد والرجل والمرأة بلا إذن سيد ولا والد ولا صاحب دين ولا زوج وإذا عجز أهل ذلك البلد أو كسلوا أو تهاونوا وجبت الفريضة عَلى من جاورهم ثمّ من جاورهم حتَّى تعم إن لم تحصل كفاية عموم أهل الإِسْلَام الأقرب فالأقرب، فالجِهَاد عند ذلك مع المُسلِمِين وأمرائهم عدول وغير عدول، لدفع ذلك الصّائل آكد من جِهَاد الطلب الّذي جاءت فيه أقوال العُلَماء السَّابقة، والله اعلم.

ونذكر ختاما بعد أدِلّة هذه المسألة الأولى من النّصوص الشَّرعيَّة للعلماء دليلا تاريخيا يعتبر بها تواتر من مواقف علماء المُسلِمِين ومُجَاهديهم عَلى مر العصور دليلا شرعيا هو الأخر بل دليلا واقعيا وشرعيا من انصع الأدِلَّة لمن كانَ له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد، فكما قَالَ الإِمَام ابن تَيمِيّة رحمه الله فعلا وقد عاش في القرن السَّابع فإن كثيرا من الغزو بعد الخُلَفَاء الرّاشدين لم يقع إلا عَلى هذا الوجه ولو شئنا استخراج القصص والشواهد من كتب التّاريخ كالبداية والنهاية وابن الأثير وتاريخ الطبري وتاريخ ابن خلدون، سواء من كتب التّاريخ أو ما تناثر من قصص مواقف العُلَماء في مغازي المُسلِمِين ونوازلهم في كتب التراجم والسّير، لوجدنا مئات الأدِلَّة الناصعة، وسأذكر بعضها عَلى سبيل الذكر وأنصح الإخوة أن يعودوا لتلك الكتب لمطالعتها فالتّاريخ هو حياة هذه الأُمّة وكتاب سيرة سلفها.

فمنذ ذهبت الخِلافَة الرّاشدة وجاء ملك بني أمية بدأت البِدَع ومظاهر الفساد ودخول الدُّنيَا وما تدخله معها من الفساد والمعاصي والفجور والتنافس والأثرة كما بشر رسول الله ﷺ حتَّى وجدت بعض التَّابعين يقول للنَّاس وهم في القرن الأوّل، لو قام فيكم أصحاب محمّد ﷺ لأنكروا منكم كلّ شيء إلا القبلة، وكانوا يقولون لهم إنكم لتاتون أشياء تعدونها من الصغائر كنا نعدها في زمن النبيّ عليه الصّلاة والسَّلام من النِّفَاق، وكثيرا ما تجد عَلى السنة السَّلَف وفي كتبهم مع تتالي القرون الثّاني والثّالث إلى ما بعده حتَّى قرأت الشاطبي كلاما يذكر تعريض أحد التَّابعين بذهاب الدّين وفشو البِدَع فقال قَالَ الإِمَام أحمد، فكيف لو كانَ في زماننا ؟! قَالَ الشاطبي فكيف لو كانَ أحمد في زماننا؟! رحمهم الله، وانظر في كتاب الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الاعتصام يتحدث عن البِدَع وفشوها، وشكوى السَّلَف منها وظهور الفسوق والعصيان والانحرافات لاسيما في الأمراء والأسر الحاكمة ومع ذلك انظر في سيرتهم رحمهم الله في الغزو والجِهَاد، وسأذكر اختصارا بعضاً مما يحضرني من الذاكرة.

فهاهم السَّلَف غزوا مع الحجاج وما أدراك ما لحجاج وأمثاله من أمراء الجند والحَرب في بني أمية. وفي القرن الأوّل ارتد بربر شمال إفريقيا مرات ولم يجد أهل السّنّة أحدا يدفعون إليه رايتهم ذات مرّة إلا قائداً معروفاً من الخوارج وتساءل بعض النّاس فكان شعار علماء شمال أفريقيا من أهل السّنّة إذ ذاك (نقاتل مع أهل القبلة من ليس من أهل القبلة)، وما ذلك إلا لدفع تلك الضَّرورة ثمّ جاء بنو العبّاس وقامت فتنة خلق القرآن، فلم يكن المأمون ومن تلاه المعتصم ثمّ الواثق فالمتوكل حتَّى انتهت الفتنة ومن معهم من الحكومة والحاشية من بني العبّاس آنذاك مجرد مبتدعة ! لقد كانت بدعتهم هيَ قضية خلق القرآن ولم يكونوا يدعون إليها فحسب بل كانوا يمتحنون العُلَماء عليها ويعذبونهم ويقتلونهم، فهل ترك السَّلَف وعلى رأسهم إمام أهل السّنّة الصّلاة وراءهم والقتال معهم ؟! كلا! بل ورد نصه يقول: أن من يقول بذلك قعدة مثبطون جهلة لو فعل كلّ واحد هذا ماذا يفعل الرُّوم؟! ولأوشك أن يذهب أهل الإِسْلَام.

بل العجب إن أشد مراحل محنة ابن حنبل كانت في عهد المعتصم، فقد ضُرب أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين يديه وعذبه بنفسه، ولفوه بالحصير وداسوه حتَّى لما رأى الإِمَام السياف قَالَ قلت جاء الفرج !

فلما خرج المعتصم لفتح عمورية في القصة المشهورة لاستغاثة المرأة بقولها وامعتصماه ووقف تلك الوقفة الظافرة الّتي أرخها الشاعر أبو تمام في القصيدة المشهورة الّتي مطلعها:

السّيفُ أصدقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِ ❁ في حَدّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدّ وَاللَّعِبِ.

نقل عن الإِمَام أحمد التّحريض عَلى القِتَال معهم في جِهَاد الطلب (انظروا ليس جِهَاد دفع) فهم الّذين قصدوا الرُّوم في عمورية من بلاد الأناضول، نقل عن الإِمَام أحمد أنه قَالَ: اللّهم أحللته من إثم ضربي لما فتح الله عليه وعلى من معه من المُسلِمِين فتأمل.

ثمّ قفزة أُخرى بعد العبّاسيين إلى السلاجقة وماذا كانَ السلاجقة هم من الترك ومن أجداد هَؤُلَاءِ الأفغان والأوزبك وأهل آسيا الوسطى، جهال بدين الله انتشر فيهم بعض آثار الأديان القديمة والتصوف وكان طابعهم الجهل، ففتح لهم العُلَمَاء المدارس مثل ما كانَ زمان الإِمَام أبي حامد الغزالي والإمام الجويني رحمهما الله تَعَالَى، فعلموهم ونصحوهم واحتسبوا عليهم بشدة، وصلّوا خلفهم وغزوا معهم، وانظر في غزوات السلاجقة وملوكهم الصّالحين مثل ألب أرسلان وموقعته الشهيرة الّتي تُبكي من قراءة تاريخها (موقعة ملاذ كرد)، وكان السلاجقة من أجهل الأسر الّتي حكمت بلاد الإِسْلَام وأكثرهم بدعا وتصوفا وجهلا، ومع ذلك حفظ الله بهم حوزة أهل الإِسْلَام.

ثمّ قفزة أُخرى إلى أيّام التّتار وقد وقف فيمن وقف في مرحلتها إمامين جليلين من أعظم أئمة الإِسْلَام أولهما ابن تَيمِيّة، حرض النّاس عَلى قتالهم وقاتل بنفسه، ومع من؟ مع المماليك وأمراء المماليك من جيش مصر والشّام، وما المماليك؟ انظر تاريخهم وانظر انتشار الجهل، والبِدَع والتصوف وحجهم للقبور وتعظيمهم لقبر البدوي في مصر، وسوى ذلك من انتشار القتل والظُّلم وسفك الدِّماء وظلم أموال النّاس والفسوق والقيان والطنابير والخمور في زمانهم، حتَّى لقد أنكر بعض النّاس حالهم وسألوا الإِمَام ابن تَيمِيّة عن حكم القِتَال مع أمراء مصر والشّام وفيهم ما فيهم، فقال لا ينكر القِتَال مع هَؤُلَاءِ إلا جاهل، فكيف يصنع أهل الإِسْلَام إذا ترك الجِهَاد معهم؟ بل ذهب في فتاويه إلى اعتبار جند الشّام وجند مصر هم الطَّائِفَة المَنصُورَة ! الّتي يحفظ بها الله دينه في ذلك الزّمان، ومع ذلك كانَ كثير الاحتساب عَلى أمراء المماليك وعلمائهم، وقصص أمره بالمعروف ونهيه عن المُنكر وسجنه في ذلك مشهورة، بل هو مات في سجونهم رَحِمَهُ اللهُ.

وفي دول الطوائف لما قامت دولة الأتابكة في الشّام وجنوب تركيا ومن ملوكهم وأمراءهم المُجَاهدين عماد الدّين زنكي وابنه نور الدّين الشهير بالملك الصّالح فماذا كانَ حالهم من التصوف وانتشار البِدَع في ذلك الزّمان ؟ والمفاسد مذكورة موجود في كتب التّاريخ، وقد أثنى العُلَماء كلهم عليهم ثناءً عطراً، وجاهدوا معهم، ثمّ جاء من بعدهم الأيوبيون، وقام الملك الصّالح صلاح الدّين رَحِمَهُ اللهُ بجِهَاد الصّليبيّين وكان كما معظم ملوك عهده شافعياً أشعرياً، ولم ينكر سلفيوا ذلك الزّمان الجِهَاد معه ولم ينالوا منه كما ينال منه اليَوْم ويتنقصه المتسبون زوراً لمذهب السَّلَف الصّالح، ولما مات رَحِمَهُ اللهُ اقتسم أبناؤه الملك وقاتلوا بعضهم واستنصر بعضهم بالنّصَارى حتَّى جاء أخوه الملك العادل وعزلهم وأخذ الملك، ثمّ جاء بعده ابنه الصّالح اسماعيل فملك الشّام، وعمه نجم الدّين أيوب فملك مصر، وتصارعا عَلى الملك وحالف ملك الشّام إسماعيل النّصَارى وأعطاهم حصون المُسلِمِين وقصته مع سلطان العُلَماء العز بن عبد السَّلام مشهورة وليس هنا مكان ذكرها خشية الإطالة، وخرج من عنده بعد أن أفتى بما يفيد خلعه وعدم شرعيته لذلك السبب، ونزل الشَّيْخ العز بن عبد السَّلام عَلى نجم الدّين في مصر، فهل كانَ نجم الدّين عَلى حال خير القرون ؟ كلا، كانَ له فضيلة قتال الصّليبيّين عَلى ابن أخيه الخَائِن ملك الشّام، فوقف العز بن عبد السَّلام معه وعظمت منزلة الشَّيْخ عنده ولكن نجم الدّين كانَ جباراً طاغوتاً انتشرت في عهده المظالم والخمور والفسوق، وكان للشيخ معه مواقف عظيمة من الاحتساب، أما جِهَاد العدوّ معهم فكان كما كانَ حال علماء أهل السّنّة دائماً، ثمّ ذهب الأيوبيون وقامت دولة المماليك، فاحتسب عليهم العز بن عبد السَّلام حتَّى بلغ به أن يبيعهم في القصة المشهورة من أجل تحريرهم من الرق، ولكن لما حضر قتال التّتار ماذا كانَ منه رَحِمَهُ اللهُ ؟ لقد حرض الجيش وندب النّاس للقتال معهم وكانت موقعة عين جالوت، وقصته في تحريض جيش مصر عَلى مُوَاجَهة التّتار الّتي آلت إلى موقعة عين جالوت الظافرة مشهورة تحت راية قطز وبيبرس من المماليك، وحال المماليك معروف، حتَّى يكفينا أنه لم تكد عين جالوت تنجلي عن نصر المُسلِمِين حتَّى قَتَلَ بيبرس أميرَه قطز ليظفر بملك المماليك ويأخذ اسم نصر المَعْرَكة، ثمّ غزا بيبرس هذا - قاتِلَ أميره - غزا التّتار والصّليبيّين، وقصص العُلَماء في الاحتساب عليه كما قصة الإِمَام النووي مع بيبرس مشهورة ليس محل ذكرها الآن.

وذهب المماليك وجاء العُثمَانِيّون، وما العُثمَانِيّون ؟ لقد طبعهم الجهل والظُّلم والبطش، ولقد حفظ الله بهم الإِسْلَام، وفتح عَلى أيديهم عاصمة الرُّوم قُسطَنْطينيَّة كما بشر رسول الله ﷺ فرفعوا فيها الأذان فصارت عقر دار الإِسْلَام وعاصمة الخِلافَة إلى أيّام آبائنا إلى أن زالت خلافتنا منذُ سبعين سنة فقط! فهل ترك أئمة الإِسْلَام الجِهَاد معهم لأَنّهم أحناف صوفية؟! هل تركوا جِهَاد الأَعدَاء معهم طلباً ودفعاً؟!

يكفي العُثمَانِيّين أن من أحد مفاخرهم أنهم كانوا لا يسمحون لسفن النّصَارى أن تعبر مضيق باب المندب من اليمن إلى خليج السويس لأَنّهم سيمرون قرب بحر جدة وهو من الحرم، فكان البحر الأحمر كله عندهم حرم لا يدخله النّصَارى! وكانت سفن العُثمَانِيّين تتسلم بضائع التجار النّصَارى عند اليمن وتنقلها لهم إلى خليج السويس وتسلمهم إياها في المتوسط، ومن آخر ملوكهم السُّلطَان عبد المجيد في القرن السَّابع عشر، كانَ يسمي البحر المتوسط البحيرة العُثمَانِيّة، فسأله صحافي إنجليزي إذا كانَ المتوسط وشاطئه الشمالي كله لأهل الصليب بحيرة عُثمَانِيّة؟ فما البحر الأسود الّذي يحيط به ملك الإِسْلَام وجُيُوش الخِلافَة العُثمَانِيّة فعلاً ؟ فقال السُّلطَان العُثمَانِيّ: البحر الأسود هو مسبح قصري! هكذا كانَ عَلى أيديهم مجد الإِسْلَام، وقد جاهد المُسلِمُون معهم وقصصهم مشهورة.

وبقي الأمر كله كذلك حتَّى زالت دولة الخِلافَة، وجاءت جُيُوش الرُّوم في الموجة الصّليبيّة الثّانية في القرن التّاسع عشر والعشرين، وعلى رأسهم إنكلترا وفرنسا ودول أوربّا وروسيا في وسط آسيا، فمن جاهدهم عَلى مر نصف قرن ومن أخرجهم من مشرق العالم الإِسْلَاميّ؟ لقد جاهد علماء الهند والباكستان من الديوبندية والصوفية والأحناف، جاهدوا الإنجليز ١٣٠ سنة وأخرجوهم، وكذلك فعل الأحناف الصوفية في أفغانستان، وأوقعوا في الحشد الإنجليزي مذبحة ذات مرّة أتت عَلى حملة من عشرة آلاف رجل وقيل ثلاثين ألف رجل، لم ينجو منهم إلا رجل واحداً ! تركوه حتَّى يقص القصة لملكة بَريطَانيَا، أما الأحناف الصوفية في وادي فرغانة (في وسط آسيا من بلاد أوزبكستان) فقد أذاقوا الرُّوس الويل، فقد جاهد كذلك الإِمَام شامل الشّافعي الأشعري الصوفي الرُّوس ستين سنة في القفقاس، وقصته شهيرة تروى رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأما في بلاد الشّام فقد قام المَشَايخ الصوفية الأشاعرة وعلماء المذهب الحنفي والشّافعي فجاهدوا الفرنسيين ثمّ الإنجليز، وأما في ليبيا فقد قامت ثورات عَلى يد المَشَايخ المالكية الصوفية الأشعَريّة ومن أشهرهم عمر المختار رحمه الله، وكذلك شيوخ الطَّريقة السنوسية قبله وبعده، وفي السُّودَان قامت الصوفية بالثَّورة المهدية الّتي أخرجت الإنجليز، وفي الجَزَائِر قامت ثورات كثيرة عَلى يد الصوفية المالكية الأشعَريّة أشهرها، ثورة أبو عمامة وثورة عبد القادر الجَزَائِري، وفي تونس مثل ذلك، فقد قام علماء الزَّيتونة وهم مالكية أشعرية قاموا عَلى الفرنسيين، وفي المغرب قام عبد الكريم الخطابي وهو مالكي صوفي أشعري بثورة انتهت بإقامة جمهوريّة إسلاميّة استمرت حتَّى عام ١٩٦٣م وللأسف فربما لا يعرفون الأكثرون هذا ؟! وقد انتصر في معاركه الشهيرة عَلى جُيُوش خمس دول أوربية مجتمعة، وأسر في واحدة منها وتسمى معركة أنوال الشهيرة أكثر من عشرة آلاف أسير فيهم مائة جنرال ومارشال من جُيُوش الأوربيين حتَّى تدخلت أمريكا وقالوا عاد الإِسْلَام ليفتح أوربّا، وهذا الرجل قد ظلم تاريخه وقد قرأت من العجائب مرّة قولاً لماوتسي تونغ (الّذي يعتبر من أشهر منظري حرب العِصَابات) يقول في كتابه (ستة مقالات عسكريّة) عن الخطابي: أنه من أعظم أساتذته العسكريّين في حرب العِصَابات !! وهو لم يره ولكنه درس تجاربه، في حين لا يسمع بالخطابي معظم أبنائنا اليَوْم، ولكنهم يعرفون غوار الطوشة ونجوم أكاديمي ستار، وقصة حياة مارادونا، ومغامرات مادونا وفكاهات فيفي عبده !

وفي إفريقيا السوداء قصص عظيمة لم تصلنا لجهلنا بتاريخنا، وقد دخل الإِسْلَام أفريقيا من ليبيا والجَزَائِر والمغرب والسُّودَان عن طريق الصوفية الّذين قارعوا الاستعمار زماناً، وهذا هو الحال في دول شرق آسيا وماليزيا، ومن الفلبين حتَّى إندونيسيا، ثمّ كانَ من آخر جِهَاد المُسلِمين ما كانَ في أفغانستان عَلى أيدي الأحناف الصوفية الّذين لم يعجبوا كثيرا من إخواننا وعلماء العَقِيْدَة السمحاء ! في الجَزِيرَة وغيرها؛ حيث أعجبهم التطبيع مع اليَهُوْد واحتلال الأمريكان للحرم وحكم المرتدّين!

حتَّى قَالَ لهم الشاعر يصف المأساة:

وفِينَا مَنْ يَقُولُ لَهم ... عَقِيدَتُكُم بِهَا خَلَلُ
مَعَاذَ الله هَذَا الإفكُ ... مِمَّا لَيسَ يُحتَمَلُ
فَيَا أَحبَابَنَا الأَفغَان ... مَن ضَحّوا وَمَنْ بَذَلُوا

لأَنتُم في الحَيَاةِ شَذَا وَنَحنُ الثُّومُ والبَصَلُ
وَنَحنُ عَنِ الجِهَاد الحقّ ذَاكَ العَاذِلُ النَّكِلُ

وفي النصف الثّاني من القرن العِشرين رأى الاستعمار أنه لا جدوى من محاربة أهل هذه الملة، فجلا عن بلادنا، وخلف وراءه طوائف المرتدّين من الملوك والأمراء والرؤساء والأحزاب العلمانيّة، فسيطر علينا منذُ الستينات إلى التسعينات، حتَّى جاءتنا في سنة ١٩٩٠م الحملة الصّليبيّة الثّالثة بزعامة أمريكا، حيث قَالَ أحد كبارهم: (جئنا لنصلح خطأ الرب أن جعل النّفط في بلاد لا تحتاجه ولا تقدره وكان عليه- أي الرب سبحانه- أن يجعله في البلدان الصناعية) تَعَالَى الله عما قَالَ هذا الخنزير علواً كبيراً.

فانصرف علماؤنا ليملأوا الفضائيَّات عن حقوق النّصَارى وغير المُسلِمين في بلاد الإِسْلَام وقوانين السماحة مع أمثال هذا الخنزير! وهاهم شباب الإِسْلَام يحملون السّلاح وهاهم مقدمتهم المُجَاهدون الأفغان العَرَب ومن بقى منهم ممن ينتظر وما بدلوا تبديلاً، وها هيَ الجماعات المُجَاهدة العربيَّة وغير العربيَّة تقوم بحمل العبء في أكثر من مكان، ولعلّ من أخطرها بعض المفاهيم العوجاء الّتي تسللت إلينا، ومن أهمّها هذه المصيبة الّتي نحن بصددها، استنكار البعض كيف نجاهد مع أصحاب بدع ومذاهب وعقائد مجروحة، وأصحاب تصوف وما أدري ماذا ؟!

فهل يكفي إخواننا الصّالحين هَؤُلَاءِ غفر الله لنا ولهم ما أوردنا من أدِلّة عَقِيْدَة أهل السّنّة ؟ وهل يكفيهم ما أوجزنا من تاريخ الإِسْلَام والمُسلِمين مع كلّ بر وفاجر من أمراء المُسلِمين وعامتهم طلباً ودفعاً ؟ وقواعد دفع الصّائل بالممكن لا يشترط له شرط إجماعاً وهو أوجب الواجبات بعد الإيمان بالله، أرجو أن يكون فيما سردت كفاية ونفعاً لطالب حق، وأرجو أن يكون لنا فيه الأجر يوم لا ينفع مال ولا بنون.

ولو راجع إخواننا هَؤُلَاءِ ما كتب الشَّيْخ الشّهِيد إمام المُجَاهدين الأفغان العَرَب عبدالله عزام رحمه الله في هذه الأمور من التراث النفيس الّذي لم يقدر حق قدره إلى اليَوْم، لما احتاجوا لهذا التكرار مني، ولكنها الذكرى الّتي تنفع إن شاء الله إخواننا المُؤمِنين وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

ثامنا: مسألة الدِّيمقراطيَّة وتجارب حركات الصّحوة الإسْلَاميّة فيها:

كما قلت فيما سبق فإن الصّحوة قد آلت منذُ العقد الأخير في القرن العِشرين لأن تكون في معظمها من حيث العاملين بها وجمهور مؤيديها سياسيّة، فكما قلت فقد أدى الفتح المدروس لممارسة الإِسْلَاميّين للديمقراطية من قبل الحُكُومَات وأسيادها في الغرب إلى تسييس القطاع الأكبر من مدارس الصّحوة الغير سياسيّة، ومع الوقت اندثرت المدرسة الشاذة لظاهرة التَّكفِير أو كادت ولم تجد لها جُذُورا في الأُمّة ولا في الصّحوة، كما حوصرت ظاهرة الجِهَاد المُسلّح وتشرذم التّيار الجهاديّ وأدخلت جماعاته وأفراده في أخدود معاصر، ولم يعد من مجال للتنفيس عن مظاهر الصّحوة الجامحة كرد فعل من قبل الشّعوب المسلمة عَلى ما يجري من وقائع إلا في مجال الصّحوة السّلميّة عبر ما يتاح من بوابات الدِّيمقراطيَّة رغم أن الحُكُومَات والغرب قد رسموا لها شكلا خاصا عندما رفعوا شعار (ديمقراطية بلا إسلاميين في بلاد العَرَب والمُسلِمين).

ونظرا لاتساع ظاهرة الممارسات (الدِّيمقراطيَّة) للإسلاميين يجب أن نلفت النَّظر هنا في هذا الفَصل التقيمي الموجز للصحوة إلى هذه المسألة، أولاً من منظور حكمها الشَّرعيّ بالشكل الّذي مورست به وآلت إليه، وثانياً من منظور ما حققته من نتائج وما دفعت فيه من ثمن وما آلت إليه من موقع حدده لها النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد بكل دقة وسيطرة.

والحقيقة أن هذا موضوع من الأهمّيّة والعظمة بمكان بحيث يجب أن تكتب فيه الكتب الكثيرة وتخصص له الأبحاث المستفيضة، بل وأن تعقد له المنتديات الواسعة عَلى أعلى المستويات ليدعى إليها كبار الثقاة من العُلَماء والمفكرين الإِسْلَاميّين وقيادات الصّحوة وأصحاب التَّجربة والسَّابقة في هذا الميدان، ليعاد تقييم تجارب عبر نحو ثمانية عقود من المحاولات الدِّيمقراطيَّة للإسلاميين، لتقييم في ضوء أحكام الشّريعة وفق نصوص الكتاب والسنة والإجتهادات النزيهة بعيدا عن التعصب للأحزاب والنَّظر للمصالح الشَّخصيَّة أو الفئوية وبعيدا عن تأثيرات الحُكُومَات وقوى الإستعمار، ولا شَّكَّ أن موضوعا بهذه الضخامة ليس محل التفاصيل به هنا وليس لي أن أخراج عن سياق الكتاب والغرض منه، ناهيك عن الحاجة من أجل ذلك إلى كمٍ ضخم من الوثائق والإحصائيات والمعلومات الدقيقة عن تلك التَّجَارب ولا يتيسر لي هذا الآن.

وفي حدود ما تسمح به هذه اللفتة أوجز في نقاط رئيسيَّة مستعينا بالله:

إبتداءا عندما نقول (ديمقراطية)، فإننا نستخدم مصطلحا أجنبيا يدل عَلى مفهوم محدد عند أصحابه ومن وصفوه، ونحن ملزمون بهذا المفهوم، ولا يحق لنا من حيث المنطق والأمانة أن نزعم – كما يفعل بعض الإِسْلَاميّين– أن نزعم معنى آخر كقولهم نحن نقصد الشورى، أو نوعا من الدِّيمقراطيَّة وفق الضوابط الشَّرعيَّة الإِسْلَاميّة ! لأنَّنا لو نظرنا لحقيقة (الشورى) وفق مفاهيم السّياسيّة الشَّرعيَّة وحدودها وأهلها وطريقة ممارساتها لوجدناها نظاما آخر لا علاقة له بالدِّيمقراطيَّة بل يتناقض معه في كلّ المجالات وأما تخصيص معنى إسلامي لها فيخرج عن حدود المنطق لأنه يخرج المصطلح عن مدلوله المعروف علميا كمصطلح قانُونيّ دستوري سياسي له فحواه.

فمن البديهي أن المصطلحات لها مداليل محددة ولا يجوز أن تضاف إلى معنى لا يتحمله المصطلح الأصلي، فعندما نقول (حليب) يفهم السامع الدلالة عَلى مادة معينة ويحتمل أن نخصص منه مالا يخرج عن جنسه كقولنا (حليب دسم) أو (حليب خالص) أو (حليب ممزوج بالماء)، ولكن لا نستطيع أن نقول (حليب أحمر) أو(حليب غازي) أو(حليب مسكر) ويزيد هذا الضبط عندما يكون للمعنى بعد شَرعِيّ محدد.

فعندما نقول (خمر) نستطيع أن نقول (خمر مركز) أو (خفيف) ولكن لا نستطيع أن نقول (خمر طاهر) أو (خمر إسلامي)! لأن الله تَعَالَى قَالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠] وكذلك ربا فلا يوجد (ربا إسلامي) و(لا ربا مشروع) و(لا ربا حلال)، ويمكن أن يوجد (ربا مركب) أو (ربا بسيط) أو(ربا نسيئة)، لأن الله تَعَالَى يقول: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

فهل يسع شَرعاً ومنطقا القبول بما يشاع من مصطلح (الدِّيمقراطيَّة الإِسْلَاميّة!) أو (إسلاميون ديمقراطيون.)؟! لعلّ النقاط القادمة تساعدنا عَلى فهم الجواب من خلال البحث في مجالات محددة.

ما هيَ الدِّيمقراطيَّة عند من اخترعها؟ وكيف تمارسها الحضارة الغربيّة المعاصرة؟ ما هيَ الدِّيمقراطيَّة عندنا؟ وكيف تمارسها الحُكُومَات في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ؟ ما هيَ أشكال ممارسة الإِسْلَاميّين من مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة ومفاهيمهم الدِّيمقراطيَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ؟ وما وقائع هذه الممارسات وشروطها ونتائجها؟

ما هيَ وجوه التوافق والتناقض بين الدِّيمقراطيَّة وبين النّظام الإِسْلَاميّ القائم عَلى مبدأ الحاكِمِيَّة لله والشورى بين الحاكم والمحكوم؟

ما هو الحكم الشَّرعيّ لممارسة الإِسْلَاميّين للديمقراطية بشكلها المطروح وما مدى جواز ذلك؟ هذا ما سنحاول أن نعرض له بإيجاز في النقاط التّالية إن شاء الله.

أولا: نشأة الدِّيمقراطيَّة المعاصرة ومفهومها وكيف تمارسها الحضارة الغربيّة:

كما هو معروف فإن الجُذُور القديمة للنظام الديمقراطي تعود إلى مئات السنين قبل الميلاد عندما نشأت في حضارة اليونان ثمّ ورثها الرُّومان عنهم، أما الدِّيمقراطيَّة الغربيّة في العصور الحديثة فتعود إلى تجاربها الّتي امتزجت بالطبقية إلى بَرِيطَانيَا حيث طبق نموذج فيها يقوم عَلى سيادة النبلاء منذُ القرن الخامس عشر، أما مبادئ الدِّيمقراطيَّة المعاصرة المعمول بها الآن في الغرب فتعود بلورة أفكارها عمليا إلى الثَّورة الفرنسية وما تلاها من تحولات سياسيّة واجتماعيَّة أي منذُ مطلع القرن الثَّامن عشر، حيث بدأ فُقَهَاء التَّشريع والقانون في الغرب يطرحون مبادئ ومفاهيم مثل (سيادة الأُمّة) و(سيادة الشعب) و(الشعب مصدر السُّلطات) و(الاقتراع الشعبي العام) و(النّظام النيابي) و(الحريات العامّة) و(المساواة) و(حقوق الإنسان)، و (الشَّرعيَّة الدستورية)، وكانت بداية المسألة منذُ أواخر القرون الوسطى حيث استعر الصِّرَاع بين البابا (السّلطة الدِّينيّة) والملك (السّلطة الزّمنية) أي بين البابا في الفاتيكان ومختلف ملوك أوربّا الّذين ضاقوا ذرعا بعدوان الكنيسة عَلى سلطاتهم المطلقه ليس من أجل تخفيف ذلك لصالح العدل بالرعية وإنما من أجل استلاب حق الطّغيان ليقوم به رجال الدّين الّذين امتلكوا الإقطاعيات الهائلة وحازوا الكنوز العظيمة ووضعوا ضرائب مكوس وقرابين عَلى الأحياء والأموات وامتلكوا نواحي البلاد والعِبَاد وباعوهم حتَّى صكوك الغفران وأقطعوهم أراضي جنّات الآخرة بأثمان باهظة! وقد أدى هذا الصِّرَاع إلى طرح مفهوم السيادة ولمن تكون أواخر العصور الوسطى، وكتب فُقَهَاء القانون الموالون للملوك النّصوص الدستورية الأولى لمفهوم (السيادة) الّتي جعلوها للذات الملكية وأضفوا عليها من الصفات والحقوق ما عرف بالحق الإلهي المقدّس للملوك حيث واجهوا بهذه المفاهيم الّتي ظهرت أول ما ظهرت في فرنسا للدفاع عن سيادة الملك ضدّ المنازعات الخارجيّة والداخليَّة الّتي تعرض لها الملوك من البابوية في الخارج ومن نبلاء الإقطاع في الداخل.

فعرف فُقَهَاء القانون الفرنسيون والأوربيون السيادة بأنها:

(الحقّ في إصدار الأوامر إلى كلّ الأفراد المقيمين عَلى أراضي الدّولة) وقد عرفها (بودان) بأنها: (سلطة عليا عَلى المواطنين والرعايا لا يحدها القانون) وقالوا: (السيادة إِرادَة عليا تتميز بخصائص لا توجد في غيرها من الإرادات)، و(وجماع هذه الخصائص هيَ أنها الإِرادَة الّتي تحدد نفسها بنفسها، فصاحب السيادة لا يمكن أ ن تلزمه أي إِرادَة أجنبية عنه للتصرف عَلى نحو معين، فهي سلطة مطلقة).

وقد أجمل فُقَهَاء التَّشريع والقانون خصائص هذه السيادة في ستة خصائص:

[١. الإطلاق ٢. السمو ٣. الوحدانية والتفرد ٤. الأصالة ٥. عدم القابلية للتملك ٦. العصمة من الخطأ].

وخلاصة هذه المفاهيم كما يلي:

١. **الإطلاق**: فصاحب السيادة سيادته مطلقة، لا يفرض عليه قانون بل القانون هو التعبير عن إرادته وليس لأي إِرادَة خارجية عنه أن تلزمه بالتصرف عَلى نحو معين لأنه لا توجد إِرادَة تساويه أو تساميه، إرادته آمرة دائما وليس لأحد قبله حقوق وعلاقته بغيره علاقة السيد بالرعية أو المتبوع بالتَّابع، وعلى الرعية أو التَّابع تنفيذ ما يصدر عنه من أوامر ليس بسبب مضمونها أو فحواها ولكن لأنها صادرة عن إِرادَة هيَ بطبيعتها أعلى من إرادتهم!

٢. **السمو**: فهي مجالها إِرادَة تعلو جميع الإرادات وسلطة تعلو كافّة السُّلطات لا توجد فيما تنظمه من علاقات سلطة أعلى منها ولا سلطة مساوية لها.

٣. **الوحدانية والتفرد**: فلا يوجد في الإقليم الواحد إلا سيادة واحدة إذ لو وجدت في إقليم واحد سيادتان لفسدت أحوالهما وهذا بدهي، (ومن هنا ترسخ مفهوم الدّولة القوميّة في أوربّا).

٤. **الأصالة**: أي أنها قائمة بذاتها لم تتلق هذا العلو من إِرادَة سابقة عليها أو إِرادَة أعلى منها ولكنها نابعة منها أصالة.

٥. **عدم القابلية للتملك**: فإذا اغتصبها من ليس أهلا لها وفرض عَلى النّاس سلطانه مدّة من الزَّمن طالت أو قصرت فإنه لا يستطيع أن يدعي شرعيّة سلطته أو سيادته مهما طال الأمر، فغصب السيادة لا يثبت بالحيازة ولا يبرره التقادم.

٦. **العصمة من الخطأ**: تعتبر هذه النَّظريَّة إِرادَة صاحب السيادة معادلة للقانون ومطابقة لقواعد الحقّ والعدل، فينسبون إلى القانون المنبثق عن السيادة العصمة من الخطأ والفوقية حتَّى عَلى المنطق والضمير كما قَالَ (باذلي): **(حينما يتكلم القانون يجب أن يصمت الضمير).**

على هذا استقر مفهوم السيادة لدى فُقَهَاء القانون الغربيّون الّذين اعتمدوا أساسا الفلسفة الفرنسية ومشرعيها.

فكما قامت الثَّورة الفرنسية وانتشرت مبادئها وكتابات فلاسفتها الأوائل تحولت هذه السيادة بكامل مواصفاتها من الملك إلى الأُمّة، فصارت السيادة للأمة وصارت الأُمّة مصدر السُّلطات، وصارت هيَ السّلطة العليا الّتي تفردت وحدها بالحق في إنشاء الخطاب الملزم المتعلق بالحكم عَلى الأشياء أو الأفعال، أو هيَ السّلطة العليا المطلقة الّتي تملك وحدها الحقّ في إنشاء الخطاب المتعلق بأفعال المواطنين عَلى سبيل التكليف أو الوضع، التكليف بالفعل أو الترك أو التخيير بينهما، فهي الّتي تملك جعل الفعل واجبا أو محرما أو مباحا وتملك جعل الشيء سببا أو شرطا أو مانعا، ثمّ انبعثت كلمة ديمقراطية وتعني (حكم الشعب) عن مفهوم سيادة الأُمّة لتعبر عن فحواها، فالسيادة هيَ التعبير القانُونيّ والدِّيمقراطيَّة هيَ التعبير السّياسيّ: وعلى هذا فسيادة الأُمّة هيَ التعبير القانُونيّ عن الدِّيمقراطيَّة، وزال المفهوم الّذي كانَ سائدا قبل الثَّورة الفرنسية بأن ذات الملك تعبر عن الأُمّة والدّولة حتَّى عبر عن ذلك لويس الرَّابع عشر عندما قَالَ (أنا الدّولة) أو (أنا فرنسا) فصارت السيادة ملكا للأمة وأخذت فكرة سيادة الأُمّة طريقها للقانون العام الفرنسي ومنه تفرعت لتدخل معظم دساتير العالم.

فجاء في المادّة الثّالثة من إعلان حقوق الإنسان الصادرة في ٢٦/ أغسطس/ ١٨٧٩م النّص عَلى أن السيادة للأمة وأن القانون هو تعبير عن إِرادَة الأُمّة.

وبعد الثَّورة الفرنسية صار لهذه النَّظريَّة جانبان، سلبي وإيجابي.

أما السلبي: فهو أن الملك لم يعد صاحب الحقّ بالسيادة، فصارت إِرادَة الأُمّة مطلقة ولا تعتمد عَلى إرادات أُخرى، وأما الإيجابي: فهو ممارسة الأُمّة هذه السيادة من خلال ثلاث سلطات هيَ: الإنتخابات – التَّشريع – التنفيذ.

١. **الانتخاب**: وهو أولى السُّلطات، لأن إِرادَة الأُمّة وسيادتها تستقر كما تقرر لغة الأدب السّياسيّة بطريقة الاقتراع العام لاختيار السّلطة التَّشريعية.

٢. **التَّشريع**: وهو آكد مظاهر السيادة وأبرز علاماتها، فسلطة التَّشريع هيَ مطلقة لا تحدها حدود ولا تقيدها قيود ولا تلتزم بالتصرف عَلى نحو معين إلا إذا أرادت الجهة صاحبة الحقّ بالتَّشريع باسم الأُمّة ذلك أصالة عن نفسها.

٣. **التنفيذ**: وهذه سلطة تتعلق بالحكم والإِرادَة.

ولما استقرت النَّظريَّة عَلى هذا الشّكل وجد لها انتقادات عديد من فُقَهَاء القانون والمدافعون عن الحقوق المدنيّة وأهم ذلك بأنها:

١. تضيق دائرة الحريَّة. ٢. تضيق دائرة الاقتراع العام.

فطورت نظريَّة سيادة (الأُمّة) ليعبر عنها (سيادة الشعب) من علاج تلك الانتقادات، فأدى ذلك إلى الأخذ بمبدأ (الاقتراع العام) وهنا حول فُقَهَاء القانون الغربيّ (الانتخاب) من وظيفة للمواطن إلى (حق له) وثم توسيع قاعدة المشاركة الشعبيَّة، وأتاحت الفرصة للمشاركة المباشرة للحرية السّياسيّة عن طريق الاستفتاء.

فخلاصة تلك المراحل إذن هيَ عَلى الشّكل التّالي:

الصِّرَاع بين الملوك والكنيسة علىَ السّلطة ← ولد نظريَّة السيادة للملوك والحق الإلهي المقدّس لهم بها ← أدى الصِّرَاع بين الملوك والشّعوب الأوربية نتيجة الاضطهاد إلى رفض السلطتين معا الإلهية (البابا) والزَّمنية (الملك) ← وأدى هذا إلى إعطاء السيادة للأمة.

ثمّ تبلور ذلك بفكرة سيادة الشعب الّذي صار مصدر السُّلطات من تشريع وتنفيذ وتحاكم، وهنا ولد الفعل الشنيع للملوك والباباوات فعل أشنع منه وهو ولادة العلمانيّة الّتي قامت عَلى رفض الدّين والاعتقاد وجحود الإيمان بالله وبناء الحياة وقوانينها بعيدا عن كلّ ذلك، وهو جوهر العلمانيّة بالمفهوم الغربيّ الّتي نقلت كما نقلت كلّ المتاهات السَّابقة إلى المُسلِمِين فيما بعد.

وهكذا إذن ولد **النّظام السّياسيّ الديمقراطي الّذي قام عَلى أركان أساسية هيَ**:

١. المساواة بين أفراد المجتمع من حيث الحقوق السّياسيّة كالترشيح والانتخاب بصرف النَّظر عن الدّين والمعتقد أو العرق واللون أو اللغة أو العلم أو الجهل أو الجنس من ذكر أو أنثى أو أي فارق.
٢. الحريَّة الشَّخصيَّة المطلقة من حيث الاعتقاد والتعبير والنَّشاط في حدود الدستور والقانون الّذي كفل هذه الحريات.
٣. ممارسة الأُمّة لسيادة الشعب من خلال الانتخاب والاحتكام للأغلبية في إقرار التَّشريعات والقوانين وتشكيل السُّلطات الثّلاثة.
٤. مبدأ تداول السّلطة بين الكتل السّياسيّة والأحزاب من خلال الاقتراع وسيادة الأغلبية أيضا.

وصارت الصُّورة السّياسيّة لسيادة الشعب هيَ ممارسة الدّولة للحكم من خلال السُّلطات الثّلاثة وهي:

- **السّلطة التَّشريعية**: وهي الجهة المنتخبة من قبل الأُمّة والمخولة بوضع الدستور وإصدار التَّشريعات وسن القوانين في ضوئها، ويمارسها نواب منتخبون من قبل الشعب يمثلون البرلمان أو ما يعادله من الأسماء المصطلح عليها (كمجلس النواب) أو (مجلس الأُمّة) أو (مجلس الشعب)، وهذه السّلطة هيَ الّتي تملك تعديل الدستور أو إضافات تشريعات إليه، وسن القوانين أو المصادقة عَلى ما يرفع منها من قبل الحكومة لتكون نافذة.
- **السّلطة التنفيذية**: وهي الحكومة الّتي يرأسها رئيس الدّولة أو رئيس الوزراء المكلف وتشرف وزاراتها عَلى تسيير شؤون الدّولة الإدارية والتنفيذية.
- **السّلطة القضائية**: وهي الجهة المخولة بمهمة فض الخصومات والمنازعات القائمة بين مختلف طبقات الشعب أو بين جهات السُّلطات ذاتها بموجب القوانين والتَّشريعات الّتي صدرت باسم الشعب وباسم سيادة الأُمّة من خلال نواب الأُمّة أو غالبية نواب الأُمّة أو عن طريق الاستفتاء العام.

وهكذا تعارف الغرب عَلى هذه الأنظمة الّتي تعود جميع نظمها لهذه الأصول مع خلافات في تطبيق الدِّيمقراطيَّة من مدرسة لأخرى بحسب البلاد وتوجهاتها وهكذا ارتضى أولئك القوم لأنفسهم هذه المبادئ.

فما ارتأته الأُمّة من خلال نوابها ومشرعيها حلالًا وسويًا صار كذلك بعد التصويت عليه من خلال الأغلبية، ولو صعدت أغلبية أُخرى مع الوقت فرأت ما كانَ حلالًا سويًا لا يصح وأنه عوج وخطأ، صار بموجب الأغلبية ضلالاً وعوجًا يعاقب عليه القانون، وتتولى السّلطة القضائية ومن بعدها التنفيذية إنفاذ هذه الإرادات.

كيف يمارس الغرب فعليًا عمليَّة سيادة الأُمّة وحكم الشعب أو ما يسمونه (الدِّيمقراطيَّة)، من النَّاحية العمليّة:

كانَ ما سبق هو خُلاصة نظريَّة سيادة الأُمّة وفحوى الدِّيمقراطيَّة من ناحية أصولها النَّظريَّة، ولكن التطبيق العملي في الواقع للديمقراطية يختلف عن هذه الصُّورة، في كلّ مكان طبقت فيه كما يتفاوت من بلد لآخر في الغرب ذاته، أما ديمقراطيات العالم الثّالث فمهازل من نوع آخر.

يقوم النّظام الديمقراطي في العالم الغربيّ اليَوْم عمومًا عَلى نظام الأحزاب السّياسيّة، حيث توجد في كلّ بلد تيارات سياسيّة تنتمي في مجموعها إلى الفلسفات الّتي سادت أوروبّا خلال القرن الماضي من الليبرالية والاشتراكية والرأسمالية والشُّيُوعِيّة وغير ذلك، ومع أن الدستور يسمح بتشكيل الأحزاب ويجعل من حق الترشيح حقا شخصيا لكل أحد إلا أن الواقع جعل في كلّ دولة من تلك الدّول عددا محدودا من الأحزاب لا يتجاوز عددها أصابع الكف تتولى عمليَّة المنافسة عَلى السّلطة وتتداولها فيما بينها، وغالبا ما يؤول الصِّرَاع إلى الحزبين الرَّئيسيين بحيث لو حاز أحدهما الأغلبية المطلقة بحسب ما حدده (مثلا ثلثي الأعضاء) أو(النصف + ١) تمكن نوابه في البرلمان من تشكيل الحكومة (السّلطة التنفيذية) منفردين وتحول الحزب الّذي خسر السباق الانتخابي إلى المعارضة الّتي تتشكل منه أو من باقي الأحزاب الصغيرة أو الأعضاء المستقلين في البرلمان معه، وفي أغالب الأحيان ونتيجة تقارب البَرَامج والأطروحات البرلمانية وحب النّاس للتنوع، غالبا ما يحظى أحد الحزبين بأغلبية بسيطة تظطره للتحالف مع أحزاب صغيرة لتوفير الأغلبية البرلمانية مما يضطره لإعطائها بعض المكاسب في السّلطة التنفيذية أو الإدارات المحليَّة، وهكذا تعاد هذه اللعبة الّتي تقوم بها النخب السّياسيّة في المجتمعات الغربيّة بصورة دورية كلّ أربعة أو خمس سَنَوات، وتتكرر بصورة متشابهة من دولة لأخرى ففي بَرِيطَانيَا يتسابق (المحافظون والعمال) وفي فرنسا (الديغوليون الّذين يمثلون يمين الوسط) و(الاشتراكيون)

و(أحزاب اليسار الشُّيُوعِيّ)، و(الجبهة الوطنيّة الّذين يمثلون اليمين المتطرف) وفي أمريكا (الجمهوريّون والديمقراطيون) وفي أسبانيا (الاشتراكيون) و(الرأسماليون- حزب الشعب اليميني) وهكذا في باقي الدّول كألمانيا وكندا واستراليا، فتبدأ الإنتخابات الأولية عَلى مستوى البلديات لانتخاب مرشحي الأحزاب، ثمّ تبدأ الإنتخابات البرلمانية، ثمّ يشكل الحزب الفائز لوحده أو عن طريق الائتلاف السّلطة التنفيذية، في حين تتكون السّلطة القضائية من مؤسسة مستقلة يعين كبارها من قبل البرلمان أو رئيس السّلطة التنفيذية، وفي بعض البلدان كأمريكا يقترع النّاس لاختيار الرَّئيس في معزل عن البرلمان (الكونغرس)، ولهم نظام آخر لا يهم بسطه هنا، ولا يؤثر عَلى هذا السياق سواء كانَ النّظام جمهوريّا دستوريا رأسيا كما في فرنسا أو ألمانيا أو كانَ ملكيا دستوريا كما في أسبانيا وبريطانيا وبلجيكا وغيرها، لأن الملك يملك ولا يحكم وهو رمز أمة أكثر منه رجل سلطة حيث يتولى رئيس الوزراء رئاسة السّلطة التنفيذية، ولكن المهم الّذي نلفت النَّظر إليه:

- أن عمليَّة الدِّيمقراطيَّة في الغرب عمليَّة نسبية أيضا ومسرحيَّة إلى حد كبير، فالسياسات الحقيقيَّة ترسمها اللوبيات الضاغطة في البرلمان والأحزاب وغالبا ما يسيطر اليَهُوْد أو أعضاء المنظمات اليَهُوْدية مثل (الماسون) أو أعضاء المنظمات المسيحية المتطرفة كمنظّمة (ثلاثي الأضلاع) وغيرها من أجهزة الضغط من كبار رجال السّياسة والإعلام ورجال المال وكبار الرأسماليين ومافيات الجريمة في بعض الأحيان الّذين يحولون الحملات الانتخابية عَلى السياسات العامّة في حين تبقى عمليَّة الإنتخابات عمليَّة ضرورية إلى حد كبير، وتلعب الرشاوى والأموال الّتي تمول الحملات الانتخابية دورا عظيما في شراء الذمم والضمائر والتحكم في سير الانتخابات وإبراز المرشحين فالنّظام في عمومه رأسمالي يعتمد اقتصاد السوق أو الاقتصاد الحر والمجتمع في عمومه يتبنى الهويّة النّصرانية عَلى قاعدة شعبيَّة عريضة من الإلحاد، ولم يبق لهم من النّصرانية إلا التعصب الدّيني والخمر والخنزير وشيء من الطقوس والعادات وقد تهمش دور الكنيسة حتَّى صارت أشبه بمؤسسة اجتماعيَّة أو نادي ثقافي لا أكثر خاصّة بالنسبة للشباب، ومن فترة لأخرى تكشف الصحافة عن فضائح الابتزاز والرشاوى لتكشف مدى زيف هذا النّظام الّذي وصفه أحد كبار ساسته رئيس وزراء

بَرِيطَانيَا المشهور (ونستون تشرشل) عندما قَالَ: (الدِّيمقراطيَّة أفضل الطرق السيئة للحكم)! ولا شَّكَّ أنه بالمقارنة مع الأنظمة الديكتاتورية والفاشية فإنه يحق له أن يقول ما قَالَ، ولكن فكرة (سيادة الشعب) وسيادة الأُمّة فكرة نظريَّة لأبعد الحدود، والحقيقة هيَ سيادة النخب السّياسيّة الرأسمالية المتحكمة بمصائر شعوب حازت قدرا عظيما من حرية العبث والإباحية وتمتعت بحياة استهلاكية مرفهة قياسا بغيرها، وتركت خطامها لأولئك اللاعبين بمصيرها يضحكون عليها باسم الدِّيمقراطيَّة.

- أمر هام أيضا طغى في الفترة الأخيرة عَلى السطح وهو تحكم الدّول الأكبر بسياسات الدّول الأصغر ودعمها للوبيات الداخليَّة والأحزاب المؤيدة لسياساتها لتنجح في الإنتخابات والإمساك بزمام السّلطة فأمريكا، زعيمة (النّاتو) تتحكم إلى حد كبير في سياسات الدّول الغربيّة وأوربّا واستراليا وكندا وقد ازداد هذا الضغط والتّأثير جدا في عالم ما بعد سِبتَمبر واحتلال العراق، وتلعب بَرِيطَانيَا قدرا كبيرا من التّأثير داخل العائلة الأوربية لصالح السّياسة الأمريكيّة، كما تمارس الدّول الأوربية الكبرى وعلى رأسها فرنسا وألمانيا ضغوطا وتأثيرا عَلى سياسات دول الاتحاد الأوربي وعلى تلك الراغبة باللحاق به، وتتقاطع سياسات دول أوربّا الغربيّة من أعضاء النّاتو مع أمريكا في مجالات وتختلف في أُخرى لتلقي بظلالها عَلى الدّول الأوربية الصغيرة وشعوبها لتترك بصماتها الواضحة في تشويه واقع الديمقراطيات، والأمثلة عَلى ذلك كثيرة يخرج بنا إيرادها عن الإيجاز المفترض للفترة فعندما تود تلك اللوبيات الداخليَّة أو الخارجيّة خلق مناخ معين للإنتخابات تنفق الأموال وتركز أجهزة الإعلام حملاتها في الأيّام والساعات الأخيرة عَلى قطاع الجمهور الانتخابي الأكبر في المجتمعات الغربيّة وهم (اللامنتمون) ذلك القطاع الّذي تظهر أكثر عيناته الحيرة أين تضع أصواتها حتَّى الدقائق الأخيرة، وتكشف وسائل الإعلام والمقابلات التلفزيونية في الشَّوارع مع النّاس في كثير من الأحيان عن الأمية السّياسيّة العظيمة في تلك المجتمعات الّتي تخدع الجاهل بها، ولقد اطلعت خلال هجرتي وإقامتي في أوربّا الغربيّة لأكثر من أربعة عشر سنة عشت فيها ثلاث سَنَوات في فرنسا وثلاث في بَرِيطَانيَا والباقي أكثره في أسبانيا عَلى نماذج كثيرة وأمثلة حية تبت زيف الدعاوى الدِّيمقراطيَّة في عقر دارها، وكما أسلفت يضيق المجال عَلى إيراد الأمثلة والشواهد هنا.

أما ما يجري في ديمقراطيات العالم الثّالث في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية حديثة العهد بالاستقلال وبالدكتاتوريات فمهازل شبيهة إلى حد كبير بالنماذج الدِّيمقراطيَّة الحاصل بعضها في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، مع فارق يجعلها تأتي قبلها في سلم المهزلة حيث لم يشترط الغرب عَلى بعض الشرائح السّياسيّة عدم الوصول إلى السّلطة كما في حالة (الإِسْلَاميّين) في بلادنا، وإنما ينحصر تأثيره الّذي يصل لحد التدخل السافر وممارسة الابتزاز والرشاوى في إيصال صنائع استعماريّة له تكفل استمرار نزيف ما يمكن استنزافه من خيرات العالم الثّالث لصالح الدّول الاستعماريّة تحت مسمّى الاستقلال والحريَّة والدِّيمقراطيَّة والاقتصاد الحر.

أما أسفل نماذج الدِّيمقراطيَّة في تلك الّتي تمَّ استنساخ أجنة مشوهة منها في مراكز دراسات الإستخبارات الغربيّة وصنائعها الاستعماريّة في بلادنا لتطبق عَلى شعوبنا المغلوبة عَلى أمرها كخيار يضحك عَلى عقولها المرهقة بقمع الأنظمة الديكتاتورية والملكيات المستبدة والجمهوريّات الوراثية آخر ابتكارات الأنظمة العربيَّة المهترئة.

وقبل أن نعرج عَلى استعراض سريع في التَّجَارب الدِّيمقراطيَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ يجدر بنا أن نتوقف مع فقرة مهمة حول مفهوم السيادة والحاكِمِيَّة في الشّريعة الإِسْلَاميّة وتناقضها التام مع مفهوم الدِّيمقراطيَّة والعلمانيّة كي يظهر لنا البون الشاسع بين ديننا الحنيف وبين الفكر الديمقراطي بجملته. بالإضافة لظهور مناقضة النموذج العربيّ والإِسْلَاميّ للديمقراطية لأصول الدِّيمقراطيَّة ذاتها.

مبدأ السيادة والحاكِمِيَّة في الدّين الإِسْلَاميّ:

في الحقيقة لا عجب من أن تكافح الشّعوب الأوربية وأن يعمل فلاسفتها وفقهاء القانون فيها عقولهم يمينا وشمالا كي يستنبطوا تشريعات تقربهم من الحقّ والعدل بعد طول معاناتهم من الملكية والبابوية والكنيسة ومن طغاة السياسات المعاصرين... إلى أن توصلوا إلى ما يعتقدون أنه أفضل الطرق السيئة للحكم كما قَالَ (تشرشل)، ولكن العجب في أن يقوم في الأُمّة المحمّدية الّتي أنعم الله عليها بخاتم الأنبياء عليه الصّلاة والسَّلام وبآخر الشرائع وأرقاها ووصفها بالكمال والتمام بقوله تَعَالَى:

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة: ٣] أن يقوم من أبنائها من يبدل نعمة الله كفرا ويحل قومه دار البوار ويذهب لينكش في زبالات ما تفتقت عنه أذهان البشر ليبحث عن

دساتير وقوانين ليحكم بها المُسلِمِين الّذين جعلهم الله ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ وحدد لهم السيادة ولمن تكون والحاكِمِيَّة ولمن تكون والربوبية والألوهية ولمن تكون وحق التَّشريع ولمن يكون، بل وتفاصيل كلّ شيء.

أما السيادة المطلقة في دين الإِسْلَام فباختصار وبكل بساطة لله سُبحَانَهُ وتَعَالَى: روى البُخَارِيّ في الأدب المفرد وكذلك أحمد وأبو داوود وغيرهم وصححه غير واحد عن مطرف بن عبدالله بن الشخير قَالَ: **انطلقت في وفد بني عامر إلى النبيّ ﷺ فقالوا: أَنْتَ سَيِّدنَا، قَالَ:** «السَّيِّدُ الله»، **قَالُوا: وَأَفضَلُنا فَضلاً وَأعظَمنا قَولاً، قَالَ:** «فَقُولُوا بِقَولِكُم وَلا يَستَجِرنكم الشّيطَان»[(١)].

قَالَ الحليمي في تفسير (السيد) من أسماء الله الحسنى قَالَ[السيد: هو المحتاج اليه بالإطلاق، فإن سيد النّاس إنما هو رأسهم الّذي يرجعون إليه وبأمره يعملون وعن رأيه يصدرون، ومن قوله يستهدون، فإذا كانت الملائكة والأنس والجن خلقا للباري جل ثناؤه، لم يكن بهم غنية عنه في بدء أمرهم إذ لو لم يوجدهم لم يوجدوا، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد ولا في العوارض المعارضة أثناء البقاء، كانَ حقا له ثناؤه أن يكون سيدا وكان حقا عليهم أن يدعوه بهذا الاسم].

والمفسرون عندما يصلون إلى تفسير اسمه تبارك وتعالى، يفسرون (السيد) ويقولون: (هو السيد الّذي يصمد إليه بالنّوازل والحوائج، وهذا ما رجحه القرطبي اعتمادا عَلَى اللغويين، وقد ورد في معاني السيد : (هو الّذي انتهى سؤدده في أنواع الشرف والسؤدد) وقيل: (هو المستغني عن كلّ أحد والمحتاج إليه كلّ أحد)، وقيل: (هو الّذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد) وقيل: (هو الكامل الّذي لاعيب فيه).

قَالَ القاري في شرح هذا الحديث في عون المعبود: «السَّيد الله» أي: (الّذي يملك نواصي الخلق، أي الّذي يتولاهم سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وهذا لا يتنافى مع سيادتهم المجازية) فهو لا ينافي سيادة رسول الله ﷺ سيد ولد آدم، ولكن مع معرفته بذلك ﷺ حدد من هو السيد بَاطِلَاق فقال: « إِنَّما السَّيّد الله»، وهذا موضوع من أخص مواضيع العَقِيْدَة عند المُسلِمِين، [انتهى بتصرف. عن محاضرة: إنما السيد الله. من المنشورات الصوتية لجماعة الجِهَاد في مصر ١٩٨٩م].

(١) رواه أحمد (١٦٣١٦) وأبو داود (٤٨٠٦) وصححه الأرنؤوط والألباني.

فإذا عدنا لصفات السيادة الّتي وضعها فُقَهَاء القانون الغربيّ كما نجدها في حقيقتها لا تنصرف إلا لله الواحد الأحد السيد الفرد الصمد وفق موازين العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة، وصرفها لغيره هو الشرك المحض بالله لا أكثر ولا أقل سواء صرفت للشعب أو للأمة أو لأكثرية البرلمان أو للملوك أو لأي مخلوق من البشر أو سواه من المخلوقين.

ولذلك أقول: هل يحق لمسلم أن يعتقد ما دوّن في صدور دساتير معظم البلاد العربيّة والإِسْلَاميّة من قولهم (الشعب مصدر السيادة) و(الأُمّة مصدر السُّلطات التَّشريعية والتنفيذية والقضائية).؟

إن مقتضى دين الله أن من اعتقد أن للشعب أو للأمة أو لنوابهم في برلماناتهم أو لملوكهم ورؤسائهم شيء من السيادة، بحيث يشرعون عَلَى خلاف ما جاء به هدي محمّد ﷺ مما شرعه الله تَعَالَى في كتابه وسنة نبيه، فهو كافر مشرك بالله قد خلع ربقة الإِسْلَام من عنقه ولحق بعبدة الأوثان وعبد الطَّاغوت.

سواء كانَ ذلك باسم الدستور أو باسم الدِّيمقراطيَّة أو بأي دعوى من الدعوات، هذا هو خُلاصة مفهوم السيادة في الإِسْلَام.

فهي لله، ومن جعلها بمفهومها المطلق لغيره فهو كافر، هكذا بكل صراحة وحسم فالموضوع يمس صلب العَقِيْدَة والتّوحيد، ولا يسع الإبهام والتمتمة فيه.

وأضيف: وأما الحاكِمِيَّة في شريعة الله فهي لله وحده، وقد أوردنا في الفَصل ما يغني عن الإعادة هنا وخلاصة ذلك ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠]، ومن اعتقد أن للشعب أو للأمة أو نوابهم أو برلماناتهم أو لملوكهم أو رؤسائهم أو قضاتهم أن يحكم في الدِّماء والأموال والأعراض والمنازعات وفق ما شرع شياطين البشر وأهواء العقول عَلَى غير ما أنزل الله تفضيلا لهذا الحكم عما شرع الله أو زهادة بشرع الله أو اعتقادا بعدم صلاحيته للعصر أو منافاته لحقوق الإنسان والحضارة أو اعتقد أنه مخير بالحكم بشرع الله أو بغيره من تشريعات البشر، فهو كافر فاسق ظالم، وقد سبقت الأدِلَّة عَلَى ذلك حيث اشرنا، فإذا ما وضح هذا نعود لموضوعنا.

الدِّيمقراطيَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ:

وصلت طلائع الغزو الفكريّ الغربيّ للعالم الإِسْلَاميّ مع طلائع الحملة الفرنسية بقيادة نابليون إلى مصر مطلع القرن التّاسع عشر وانتشرت المطابع وبدأت بذور التأثر بالمذاهب الفكريّة الغربيّة تنتشر

في أوساط بعض المثقفين في العالم العربيّ، كما ساهمت دول الاستعمار الاخرى ولاسيما بَرِيطَانيَا في نشر تلك الأفكار حيث ذهبت لاستعمار المُسلِمِين ووسط صدمة الانبهار بالحضارة الغربيّة في أوساط العَرَب والمُسلِمين حتَّى لدى بعض المنتسبين لرجال الدّين في ذلك العصر، لاقت هذه الأفكار شيئا من الرواج، كما تصدى لها بعض علماء الدّين والمصلحين في ذلك الوقت، ولكن مع انهيار الخِلافَة العُثْمَانِيّة وتقاسم الدّول الأوربية ولاسيما بَرِيطَانيَا وفرنسا لإرثها المكون من بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ كما مر معنا حكمت الدّول الاستعماريّة بلاد المُسلِمِين بدساتيرها وتشريعاتها، ومع انصرام فترة الاحتلال، كانَ الغرب قد ربى أجيالا من المُستَعمرين فكرياً ونفسيا ممن درسوا في بلاده أو فيما أقام من الجامعات وما زرعه من الأفكار في بلادنا، فتولت حُكُومَات الاستقلال من بعده استبعاد الحكم بالشّريعة الإِسْلَاميّة لتبني دساتيرها عَلى أسس التَّشريعات الأوربية والقانون الفرنسي أو البريطاني، ووجدت مفاهيم السيادة والدِّيمقراطيَّة وما انبثق عنها من مفاهيم سيادة الأُمّة وسلطة الشعب والسُّلطات الثّلاثة.. الخ طريقها إلى دساتير بلاد المُسلِمِين وقوانينهم، وأقصيت الشّريعة الإِسْلَاميّة ليحل محلها شرائع الرُّومان المعاصرين وما زال الحال عَلى ذلك كما مر في الفَصل الأوّل بشيء من التفصيل حيث لم يبق في بلاد المُسلِمِين من آثار الشّريعة إلا نتفا من بعض قوانين الأحوال الشَّخصيَّة كالزواج والطلاق والمواريث مع تشويه وإلغاء ما زال يعتريها مع الزَّمن إلى يومنا هٰذا، وقد أخذت دول قليلة أُخرى كالسّعُودِيّة والسُّودَان واليمن مثلا بنصيب أكبر من الشّريعة الإِسْلَاميّة إلا أن كثيرا من التَّشريع الوضعي وجد طريقها لكثير من القوانين واللوائح والتَّنظِيمات بحيث يمكن القول بكل بساطة ووضوح أنه لم يعد اليَوْم عَلى وجه هذه البسيطة دولة واحدة تحكم بشرع الله كما أمر الله عَلى الإطلاق،

وهذه هيَ الحقيقة مهما بدت قاسية لبعض من يجهلها أو يريد للنَّاس أن يجهلوها وهذا ثابت يسهل إقامة الدليل عليه من خلال مراجعة بسيطة للموسوعة الدستورية العربيَّة مثلا الّتي تضم نسخة عدد دساتير البلاد العربيَّة أو مراجعة أي من دساتير الدّول الإِسْلَاميّة الاخرى، هذا من حيث التَّشريع والتقنين وقواعد الحكم نظريا.

أما من حيث التطبيق فكما في الغرب يخالف واقع الحال ما دونه في الدساتير والقوانين ولكن بما يتناسب مع حجم التخلف وسيطرة الدكتاتوريات البشرية، ففي سائر البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة نصت

الدساتير عَلى خلاف الأصل من فصل السُّلطات التَّشريعية والتنفيذية والقضائية، حيث أعطت تلك التَّشريعات الملوك والرؤساء والأمراء الحاكمين وهم رأس السّلطة التنفيذية نصيبا من السّلطة التَّشريعية إن بشكل صريح كما في الأنظمة الملكية والأميرية من مثل ما جاء في دستور المغرب (للملك حق إصدار القوانين) أو الأردن (تناط السّلطة التَّشريعية بمجلس الأُمّة والملك)، أو البحرين: (لا يصدر قانون إلا إذا أقره المجلس الوطني ووافق عليه الأمير)، أو بشكل مبطن كما في الجمهوريّات الديكتاتورية كمصر وسوريا وتونس والجَزَائِر وليبيا وما شابه حيث نصت الدساتير عَلى أن الرَّئيس هو رأس السّلطة التنفيذية ويشارك أو يشرف عَلى السّلطة التَّشريعية كما جاء في المادّة ٧٤ من الدستور المصري عَلى سبيل المثال (لرئيس الجمهوريّة اذا قام خطر يهدد الوحدة الوطنيّة أو سلامة الوطن أو يعوق مؤسسات الدّولة عن أداء دورها الدستوري أن يتخذ الاجراآت السريعة لمُوَاجَهة هذا الخطر ويوجه بيانا للشعب ويجري استفتاء عَلى ما اتخذه من إجراآت خلال٦٠ يوما من اتخاذه.)

كما أن الدساتير نصت في معظم البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة عَلى حق الرَّئيس أو الملك في حلّ البرلمان وتعليق الحياة الدستورية والنيابية، وإعادة فتحها بالشكل والوقت الّذي يحلو له، هذا ناهيك عن الانقلابات العسكريّة الّتي تعلق الدساتير وتخضع كثيرا من بلاد العَرَب والمُسلِمين لقوانين الطوارئ والأحكام العرفية كما في سوريا حيث لا زال يعمل بقانون الطوارئ والأحكام العرفية منذُ أكثر من أربعين عاماً وكذلك في مصر ما زال إلى الآن ومنذ ٢٥ سنة !!

أما حق الرؤساء والملوك في التَّشريع فيما بين دورات البرلمان أو حق الاقتراح أو التعديل أو رد التَّشريعات الّتي شرعتها السّلطة التَّشريعية وإحالتها إلى البرلمان ليصوت عليها من جديد.

ومهازل حُكَّام العَرَب والمُسلِمين أكثر من أن يأتي عليها حصر ولو أفردت لها المجلدات فمما يحضرني من الأمثلة السريعة، تعديل الدستور السّوري لتخفيض العمر الأدنى للرئيس من (٤٠) سنة كما هو في الدستور – منذُ أنشأوه – إلى عمر بشار الأسد عندما أراد أبوه أن يستخلفه وهو (٣٦) سنة حيث استغرق تصويت البرلمان السّوري عَلى هذا التعديل نصف ساعة حيث أقروه بالإجماع وكانت (أولبرايت) في دمشق تنتظر النَّتِيجَة وترتب الأمور حيث صرحت بعد هلاك حافظ الأسد وتثبيت السّلطة لبشار وقمع معارضيه حتَّى من الطامعين بالعرش من النصيرية فقالت للصحفيين وهي تغادر:

(إن أمريكا راضية عن انتقال السّلطة في سوريا)، وكذلك تعديل الدستور الأردني حول مواصفات ولي العهد لتناسب الملك عبدالله الحالي عندما استخلفه أبوه وهو عَلى فراش الموت وأقصى أخاه الأمير الحسن ولي العهد التّاريخي للأردن بأمر من أمريكا أيضا.

أما إذا جئنا لنستقصي المؤسسات الأمنيّة وهي الحاكم الفعلي في البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة وهياكلها وسلطاتها الثّلاثة:

(السّلطة التعذيبية، والسلطة الإعدامية، وسلطة المقابر الجماعية) والمؤسسات التَّابعة لها كأجهزة مكافحة الشعب وقمع المظاهرات، ومؤسسات الاعتقال، ناهيك عن سيطرتها عَلى الوزارات المستقلة عنها كوزارة تحريف شرع الله والشؤون الدّينيّة ووزارة الإعلام والطبل والزمر للرؤساء والملوك، فلذلك قصص مشوقة أُخرى في التطبيق العملي للتصوُّر الدستوري والعلماني لمفهوم سيادة الشعب المقهور وسيادة الأُمّة المقموعة وديمقراطية (الكرباج)! وأظن أن أخبار الأحوال انتشارها، حتَّى عبر وسائل الإعلام اليَوْم يغني عن الأمثلة المضحكة المبكية الّتي تفطر الأكباد في تلك البلاد.

بقي أن نشير إلى أن أغلب المعارضات السّياسيّة في الأنظمة الحاكمة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ هيَ ديمقراطية في منهجها وعلمانية في معتقداتها ونزيهة في تصوُّراتها وفق مفاهيم الغرب، ولكن إلى أن يحصل لها استلام السّلطة لتعود إلى الأصل وهو تكرار النموذج لتتولى السُّلطات البائدة أو المعارضات الجَدِيدة دور المطالبة بالنزاهة المقبلة، وأما التطبيق العملي للديمقراطية ونظام الانتخابات في البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة أصحاب ٩٩,٩٩٪ في كافّة الاستفتاءات عَلى الدساتير والتَّشريعات ومشاريع الوحدة ومشاريع الولاية الثّانية والثّالثة ومشاريع استخلاف الأبناء وولايات العهد في الجمهوريّات الملكية كما في سوريا وبوادر ذلك في مصر واليمن وليبيا، فمظاهر لا تحتاج لنقاش، وقد شهدت بنفسي بعض الانتخابات البلدية والبرلمانية في سوريا والأردن وباكستان ورأيت بعيني كيف يشحن الرّجال في السيارات من القرى والأحياء الفقيرة في المدن يحمل كلّ واحد منهم بطاقته الشَّخصيَّة وبطاقة بعض نسائه اللواتي يحق لهن الانتخاب، ويشحنون إلى المراكز الانتخابية عبر وسطاء وسماسرة يدفعون نيابة عن المرشحين والأحزاب الّتي نظمت هذه المظاهر الدِّيمقراطيَّة! ثمن الصوت ما يعادل (١٠ سنت) أي (١,٠) دولار أمريكي، وكأسا من الشاي! وقد يتكرم بعض المراكز فينحر الخراف وتقدم مناسف

الرز واللحم في مواسم انتخابية لو رآها فُقَهَاء القانون في الثَّورة الفرنسية لطالبوا بعودة الحقّ الإلهي المقدّس للملوك، ولعاودوا البحث عن شراء صكوك الغفران الكنسية لتكفير خطاياهم في التنظير للديمقراطية.

هذا ناهيك عن الإشتباكات المُسلّحة والاغتيالات وحوادث العنف الّتي ترافق الرّوح الدِّيمقراطيَّة في عالمنا العربيّ والإِسْلَاميّ فضلا عن الطعونات وفضائح التزوير والغش، لأمة حصل لها ما حصل للغراب الّذي أراد أن يقلد مشية البلبل فلم ينجح فلما أراد أن يعود لمشيته نسيها، فصار يعرج وينط لا هو غراب ولا يشبه البلابل فصار مضحكة للطيور، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾.

وبعد هذه النبذة عن الدِّيمقراطيَّة عند أهلها وعندنا ولسنا من أهلها – والحق يقال – نأتي إلى موضوعنا وهو:

مفهوم الدِّيمقراطيَّة عند (الإِسْلَاميّين الديمقراطيين) وتجارب الصّحوة في ممارسة الدِّيمقراطيَّة ومسارها خلال الربع قرن الأخير:

من المفيد بحث هذه الظَّاهِرة من زاويتين:

1. **من حيث الفكر والمنهج والمعتقد في الدِّيمقراطيَّة.**
2. **من حيث التطبيق والتَّجارب.**

أولاً: الفكر والمنهج والمعتقد الديمقراطي عند الإِسْلَاميّين الديمقراطيين:

من خلال اهتمامي بهذه الظَّاهِرة ودخولي معترك التّصَدّي لها عبر الكتابة والمحاضرة منذُ مطلع التِّسعينيَّات وإلى اليَوْم، حيث الزَّمني ذلك بمتابعة تجاربها وكتابات أصحابها من الإِسْلَاميّين أستطيع التمييز بين عدّة أنواع من الديمقراطيين الإِسْلَاميّين وبصرف النَّظر عن أسماء الجماعات والأشخاص وهو أسلوب اعتمدته ما أمكن في هذا الكتاب عَلى غير عادتي من أجل الغاية الأساسيّة لهذا البحث وهي حشد الصفوف من أجل مشروع المُقاوَمة وجدت أن أنواع الديمقراطيين الإِسْلَاميّين عَلى الشّكل التّالي:

إسلاميون ديمقراطيون يعتقدون – بحسب تصريحاتهم وكتاباتهم – أن الدِّيمقراطيَّة لا تناقض الإِسْلَام، وذهب أحد أقطاب هذه المدرسة للقول (الدِّيمقراطيَّة بضاعتنا ردت إلينا)، وذهب آخر للقول

(الدِّيمقراطيَّة هيَ الشورى الملزمة)، واقترح ثالث (النحناح - الجَزَائِري) الّذي أفضى إلى ما قدم من قريب أن يدعو الإِسْلَاميّون منهجهم بـ (الشورقراطية) ! وقد عبر (الغنوشي)أحد منظري هذه المدرسة في كلمة له أثناء جلسة عشاء جمعتني به شخصيا في (مدريد) بقوله (نحن ارتضينا بالدِّيمقراطيَّة والصناديق حكما بيننا كإسلاميين وبين خصومنا من الأحزاب العلمانيّة في تونس، فإذا الشعب اختارنا حكمنا بالإِسْلَام، وسمحنا للكفر بأن تكون له أحزابه وصحفه لأن الإِسْلَام لا يخشى عليه من الحريَّة، وإذا الشعب اختار الأحزاب العلمانيّة، رضينا بحكم الكفر لأن الله تَعَالَى قَالَ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[البقرة: ٢٥٦] وسهرتنا تلك مسجلة عَلَى كاسيت! وكتابه (الحريات السّياسيّة في الإِسْلَام) أشد صراحة من هٰذا، وله مقالات كثيرة في هذا المضمار.

وقد انتشر هذا المذهب في أكثر بلدان العالم الإِسْلَاميّ ولاسيما في السُّودَان وشمال أفريقيا وفي أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة في المهجر في أوربّا وأمريكا والعالم الغربيّ عبر المراكز الإِسْلَاميّة والصحافة الإِسْلَاميّة المهاجرة.

١. إسلاميون ديمقراطيون يطرحون تصوُّرا إسلاميا للديمقراطية ويقولون نأخذ منها ونمارس ما لا يتعارض مع أصول السّياسة الشَّرعيَّة وينهجون منهجا توفيقيا ترقيعيا لإنتاج نظَريَّات (ديمقراطية - إسلاميّة) في آن واحد، وأنه يمكن الخروج بما أسموه (فقه برلماني) يشكل نظريَّة لديمقراطية إسلاميّة بضوابط معينة، تجعلهم بحسب تصوُّرهم في حلّ مما تحمله النَّظريَّة السّياسيّة والدستورية للديمقراطية الغربيّة من إلحاد وشرك وكفر أكبر، ولا يرون بأسا من الانتماء للسلطة التَّشريعية عبر الدِّيمقراطيَّة كمعارضة بحيث لا يوافقون إلا عَلَى ما تجيزه الشّريعة (كما هو رأي بعض البرلمانيين الإِسْلَاميّين في الأردن)، وهناك ن هَؤُلَاءِ من لا يرى بأسا من تسلم الوزارات في السّلطة التنفيذية عَلَى ما يزعمون من دليل في مذهب يوسف ﷺ ووزارته لدى الفرعون!! (كما في الأردن والكويت والباكستان وتركيا وكثير من البلاد غيرها)!

٢. النوع الثّالث يصرحون بأن الدِّيمقراطيَّة بمفهومها الأساسي تناقض الإِسْلَام وأنه ليس هناك إشكالية شرعيّة في ممارسة المعارضة في (البرلمان)، ولا يجيزون لأنفسهم أن ينتقلوا بالشوط لآخره بدخول السّلطة التنفيذية، لأن ذلك سيدخلهم في دائرة الحكم بغير ما انزل الله بحسب

القوانين المعول بها في عموم بلاد المُسلِمِين ! ويعتقدون أن الشّريعة الإِسْلَاميّة تسمح بمزاولة الدِّيمقراطيَّة في حدود المعارضة ونيابة البرلمان ! بحيث يوافقون عَلى ما وافق الشّريعة ولا يجيزون ما لا يوافقها وأنهم لا ينتقلون إلى ممارسة السّلطة إلا إذا كانوا أغلبية وتمكنوا من الحكم بالشّريعة، وأنهم في البرلمان لإقامة الحجة وإيصال صوت الحقّ، وتحقيق بعض المصالح الشَّرعيَّة للمسلمين، وهذا النوع قلة اليَوْم في الصّحوة.

٣. الفريق الرَّابع يصرح صراحة بأن الدِّيمقراطيَّة كفر بالله وأن مبادئها تقوم عَلى الشرك به والإلحاد في ألوهيته سبحانه، وأنهم يمارسونها في حدود حالات الاستضعاف الّتي تمر بها الصّحوة، وأنهم لا يدخلون البرلمان إلا كأكثرية حيث سيتولون أول أعمالهم تشكيل حكومة تحكم بالشّريعة، وإلغاء العمل بالدِّيمقراطيَّة بمفهومها الغربيّ، ولعلّ أوضح وأصرح هذا النموذج جبهة الإنقاذ في الجَزَائِر لاسيما من خلال تصريحات شيخها علي بلحاج فرج الله عنه وأحسن خُلاصة، وهذا النوع من الدِّيمقراطيَّة أقل الأنواع انحرافا وأندرها وجودا.

٤. هناك نوع أخير لا يطمح بالوصول للسلطة ولا أمل له فيها بحكم ظروف بلاده ويعتبر المشاركة النيابية نوع من إيصال صوت الحقّ للنَّاس عبر هذا المنبر، ويعتبر السُّلطات خارجة عن الشّريعة وأن الدِّيمقراطيَّة مفهوم غير إسلامي، وأنه معهم في البرلمان هناك لتحقيق ما يمكن من المصالح للمسلمين وأن ليس بالإمكان أكثر مما كانَ في مثل حالة الاستضعاف هذه.

والجدير بالذكر أن مواقف (الإِسْلَاميّين الديمقراطيين) تتنوع تجاه مفهوم السيادة والحاكِمِيَّة والمبادئ والمصطلحات الدستورية والمواقف من كفر الحاكم وإسلامه وكذلك الحكم عَلى النّظام ومؤسساته وهناك الكثير من الضبابية والتلون والباطنية والمواقف الإعلاميَّة والكلام في الجلسات الخاصّة، والتذبذب في المواقف من المسألة بين حوار وآخر وتصريح وآخر بحسب الأجواء والظروف أو الشجاعة الشَّخصيَّة.. الخ ولكن هناك واقعا يجدر ذكره وهو أن جميع الإِسْلَاميّين الديمقراطيين بلا استثناء وهم يدخلون في هذا المجال يقرون إما اعتقادا أو موافقة للحال بجملة من الأشياء ويلزمهم بذلك النّظام الدستوري النيابي وقوانين الانتخابات ومن ذلك:

١. **الاعتراف بشرعيّة النّظام وشرعيّة الحاكم سواء كانَ رئيسا أو ملكا أو أميرا.**

٢. الاعتراف بالدستور المعمول به في البلاد والقسم بالشرف والمعتقد عَلى صيانته واحترامه والعمل به.

٣. الاعتراف بالمبادئ الأساسيّة للدولة والنّظام القائم وأسس تكوينه بحسب حالته.

٤. الاعتراف بمبدأ المساواة في الحقوق السّياسيّة من حيث حق الترشيح والانتخاب والتصويت داخل المجلس بصرف النَّظر عن الدّين أو الجنس أو المعتقد أو أي اعتبار آخر.

٥. الاعتراف بمبدأ تداول السّلطة وحق الجميع في المنافسة والتمثيل النيابي.

٦. الاعتراف بمبدأ الالتزام بقرارات الأغلبية ونفاذها دستوريا وقانُونيّا بصرف النَّظر عن الموقف الخاص أثناء التصويت منها واعتبارها نافذة في الأُمّة بمجرد صدورها بالأغلبية.

٧. الاعتراف والتوقيع عَلى قانون الإنتخابات المعمول به بحسب كلّ حالة والَّتي تفصل فيها السُّلطات دائما القوانين بحيث تكون النتائج كما تشتهي.

٨. الاحتكام للدستور والمحاكم الرَّسميَّة والقوانين المعمول بها حال المنازعات في أي إشكال بين السُّلطات التَّشريعية والتنفيذية والقضائية أو داخل مكوّنات أي من تلك السُّلطات، مع العلم المسبق بحق الرَّئيس أو الملك بحل البرلمان وتعليق الحياة الدستورية من اجلها كما في معظم الحالات، وهناك شروط أُخرى يلزم بها المشاركون في العمليّة الانتخابية في بعض الحالات الخاصّة ببعض البلدان كمنع تشكيل الأحزاب عَلى أساس ديني مثلا كما في معظم البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة كالحالة في مصر، وكالاعتراف بعلمانية الدّولة أساسا وبنية كما في تركيا مثلا وكالاعتراف بواقع الاحتلال المباشر كما في حالات مثل فِلَسطِين والعراق اليَوْم.

ثانيا: الحصاد العملي لتجارب الإِسْلَاميّين الديمقراطيين عبر مسار الصّحوة:

ليس للتجارب البرلمانية الدِّيمقراطيَّة للإسلاميين ما قبل الربع قرن الأخير أهمية كبيرة، فهي محدودة في بعض البلدان فقط حيث مارس الإِسْلَاميّون بعيد الإستقلال نشاطا ديمقراطيا في حُكُومَات الإستقلال الوليدة ولمدة وجيزة ولم تكن الأمور قد تبلورت بعد، ولم تكن الدساتير قد وضعت

بتفصيلاتها، ولم تكن تجارب الحُكُومَات الوليدة قد نضجت بعد لحصار الإِسْلَاميّين وتكبيلهم بقوانين انتخابات معقدة لشل حركتهم.

ولعلّ أهمّ ما في هذا الملف هو مشاركة الإخوان المُسلِمِين وبعض العُلَماء والإِسْلَاميّين في الإنتخابات والمجالس النيابية في كلّ من مصر وسوريا والباكستان أو آخر الأربعينيات، وخلال الخمسينيات من القرن الماضي، إذ ما لبثت الانقلابات العسكريّة في هذه البلاد أن عصفت بالتجربة وطوت صفحة الدِّيمقراطيَّة الّتي لم تعد إلا عندما قرر الغرب حصار المد الجهاديّ أو ما سماه (الإِسْلَام المتطرف) بالمد الإِسْلَاميّ الديمقراطي أو ما سماه (بالإِسْلَام المعتدل) منذُ أواسط الثَّمانينيَّات وخلال التِّسعينيَّات.

حيث قامت تجارب تستأهل العبرة منها ومن دراستها للحكم عَلى العمليّة واقعيا بعد معرفة حكمها الشَّرعيّ، لنخرج بعبرة مفادها بأن الحكم من منظوره الشَّرعيّ ومنظور الواقع التجريبي لممارسة الإِسْلَاميّين للديمقراطية يفيدان نفس النَّتِيجَة، وهي تأكيد لقاعدة أن مقتضى صريح العقل لا يتعارض مع مقتضى صريح النقل، وسبحان العليم القدير الّذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

ولعلّ من التَّجَارب المهمة خلال هذه الفترة في العالم العربيّ تجربة الإخوان المُسلِمِين في مصر، والَّتي افتتحت المسار تقريبا منذُ أواخر عهد السادات أواخر السَّبعينيَّات ومطلع الثَّمانينيَّات، ثمّ تجربة الحركة الإِسْلَاميّة القوميّة في السُّودَان بالتَّحالف مع نميري أواسط الثَّمانينيَّات، ثمّ تجربة الإخوان المُسلِمِين في الأردن أواخر الثَّمانينيَّات، وكذلك تجربة الإتجاه الإِسْلَاميّ في تونس الّذي تحول إلى حزب النهضة في نفس الفترة، ثمّ تجربة الجبهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ أواخر الثَّمانينيَّات ومطلع التِّسعينيَّات، وتجربة بعض الدّول الخليجية ولاسيما الكويت مطلع التِّسعينيَّات، وتجربة الإخوان المُسلِمِين في اليمن مطلع التِّسعينيَّات، بالإضافة للتجارب الهامة للجماعة الإِسْلَاميّة والإِسْلَاميّين وجماعات العُلَماء في باكستان منذُ الاستقلال (١٩٤٧) وإلى اليَوْم، وكذلك التَّجربة الهامة لحزب السَّلامة بزعامة أربكان في تركيا منذُ مطلع الستينات وإلى اليَوْم، ولا أملك في ظروفي الحالية الوثائق والأرقام والتواريخ والوقائع الخاصّة بكل تجربة من تلك التَّجَارب وقد كنت قد جمعت منها شيئا كثيرا، ولا مجال للتفصيل في هذا البحث بطبيعة الحال، واكتفي بذكر عموميات ما عرفته عن تلك التَّجَارب الّتي تفيد جميعها مؤدى واحد من

النتائج كما سنذكره إن شاء الله، ونبتدأ بالتَّجَارب الأقل أهمية لنختم بأهمها وأوضحها دلالة وهيا، التجربتان الجَزَائِرية والتركية، كأفضل نموذجين عَلى الدِّيمقراطيَّة وتطبيق الإِسْلَاميّين لها في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ فهما تمثلان سقف ما وصل إليه وحلم به الإِسْلَاميّون عبر هذا المسار.

- **من تجربة الإخوان المُسلِمِين في مصر منذُ عهد السادات:**

دخل الإخوان المُسلِمُون البرلمان عَلى عهد السادات، وكان أقصى ما حصلوا عليه ٨ مقاعد ضمن ٥٢ مقعد للمعارضة فيما كانت بقية مقاعد البرلمان البالغة أكثر من ٤٦٠ مقعدا الحزب السادات الحاكم، ولم يتجاوزا حجم الأقلية المسحوقة ضمن أقلية معارضه غير فاعلة، وفي عهد مبارك حظر دخولهم بصفة مستقلة عَلى أنهم حزب ديني فدخلوا من خلال التَّحالف مع الأحزاب العلمانيّة وحمل هويتها مرّة مع حزب الوفد ومرة مع حزب العمل، وخرج فريق من شباب الإخوان فشكل حزب (الوسط) عَلى أنه حزب غير ديني وأدخل فيه بعض النّصَارى والنِّسَاء !! وتابعت الدّولة العنت ووضع الخطوط الحمراء وتنقل الإخوان بين البرلمان والمعتقلات وما زالوا كذلك إلى يومنا هٰذا، وتابعوا التنازلات والرُّضُوخ حتَّى رشحوا امرأة من الإخوان عَلى قوائم تحالفاتهم في الإسكندرية مؤخرا، وزداوا في تصريحاتهم انحرافا ولم يفد ذلك شيئا، ورغم أن الإخوان التزموا بكل الاعترافات المطلوبة من النّظام إلى الدستور إلى قوانين الانتخابات الّتي فرضتها الحكومة، ولكن دون أي فائدة أو جدوى، وما يزال مسلك الإخوان كما عبر عنه أحد قياداتهم رحمه الله في كتابه الّذي جعل عنوانه (من السّجن إلى الدّعوة) ولو عاش لأضافا إليه ومن الدّعوة للسجن، وطبعه في مؤسسة (وهكذا دواليك) لتكتمل الحلقة المفرغة.

- **من تجربة الإخوان المُسلِمِين في الأردن:**

الإخوان المُسلِمُون حزب رسمي مرخص له مكاتبه المعلنة في عمان وكافة المدن الأردنية ويعمل بصورة مشروعة رسمية، وقد قرر الإخوان دخول الإنتخابات وخوض التَّجربة منذُ أواخر الثَّمانينيَّات، وكانت سياسة الملك حسين هيَ إفساح المجال لهم كلما أحاطت به الملمات إلى أن مات ! فكان عام ١٩٩٠ ذروة أزمة بالنسبة له بسبب حرب عاصفة الصَّحرَاء وموقفه المؤيد للعراق فافسح لهم المجال، وأعلن الملك عن أنه شكل لجنة من ٦٥ (مشرع وقانُونيّ !) هكذا باللفظ! لكتابة (الميثاق الوطني الأردني) وأن الأردن تجاوز مرحلة الضغوط الّتي حال بها العدوّ الصّهيونيّ بين الأردن وبين مزاولة الدِّيمقراطيَّة ! !

وخاض الإخوان الإنتخابات البرلمانية وحازوا كتلة برلمانية كبيرة وأصبح رئيس البرلمان عضو الإخوان المُسلِمِين (عبد اللطيف عربيات) وافتتح أولى جلساته بقوله (مولاي الملك حسين المعظم، لقد أثبت أنك هاشميا أصيلا كما كنت دائما يعربيا أصيلا)، وشكل الملك حكومة من الإخوان المُسلِمِين فيها خمس وزراء، أذكر أنه كانَ من بينهم الأستاذ شاعر الدّعوة الكبير يوسف العظم وزيرا للشؤون الاجتماعيَّة، وتسلم الدكتور ماجد نجل الأستاذ عبد الرَّحْمٰن خليفة المراقب العام للإخوان المُسلِمِين وزارة العدل ! (أي وزارة الحكم بالقانون الفرنسي والإنجليزي بغير ما أنزل الله!)، وانجلت أزمة الملك فأغلق المجال وعاد الإخوان لحجمهم المعهود، ودخلوا في تحالفات إسلاميّة عريضة وشكلوا مع إسلاميين آخرين(جبهة العمل الإِسْلَاميّ) ومنذ ذلك الحين مازالت الجبهة تدخل المحاولات البرلمانية وكان آخرها الإنتخابات الّتي حصلت أواسط ٢٠٠٣ حيث شرعت الدّولة للإنتخابات طريقة الصوت الواحد للدائرة الإنتخابية فخرجت الأغلبية من المؤيدين للملك ولم تحصل الجبهة إلا عَلى ١٥ مقعد، وطعنت في مشروعية الإنتخابات ولكن بقيت في المجلس المطعون بهِ !

وخلال هذه التَّجَارب كتب عدد من دكاترة الشّريعة وعلماء الأردن عددا من الكتب والبحوث الّتي تؤطر وتنظر للفقه البرلماني المعاصر ! فذهب البعض لجواز دخول البرلمان (الهيئة التَّشريعية) وحرمة دخول التنفيذية لأنها حكم بغير ما أنزل الله، وذهب البعض لحل دخول الوزارة لأنها وظيفة وحرمة البرلمان لأنه تشريع من دون الله ! وذهب فريق ثالث لحل الوجهين، وأفتى فريق رابع بحرمة الأمرين، ولكنه عَلى رأي الجماعة ! وعلى شباب الصّحوة أن يصبروا فمن يتصبر يصبره الله! والدّين يسر !

- **تجربة الإخوان المُسلِمِين وحزب التجمع اليمني للإصلاح:**

ما أذكره أنهم خاضوا أول انتخابات قامت بعد الوحدة سنة ١٩٩٣م بعد مصادمات كبيرة ومظاهرات من أجل وضع كلمة (**الشّريعة هيَ المصدر الأساسي للتشريع**) في مقدمة الدستور العلماني والقانون الوضعي ! وبعد أن خرج أكثر من مليون مسلح في تظاهرات تحتج عَلى الدستور وساروا إلى القصر الرئاسي، خرج لفيف من قيادات الإخوان والعُلَماء وعلى رأسهم الشَّيْخ الزنداني وأعادوا النّاس إلى بيوتهم درءا (**للفتنة**)! وكانت سياسة علي عبدالله صالح تقريب الإِسْلَاميّين من أجل كسر شوكة الاشتراكيين الشُّيُوعِيّين القادمين من الجنوب مع الوحدة، ففتح البَاب للإسلاميين وصار التجمع

اليمني للإصلاح ثاني حزب في البلاد من حيث القوّة، وكان قد وضع نظام! لحكم اليمن الموحد عبر مجلس رئاسي من ٥ أعضاء، يرأسهم علي عبدالله صالح وبعضوية رئيس اليمن الجنوبي (علي سالم البيض) وعضوية (الشَّيْخ عبد المجيد الزنداني) !

وأدت سيطرة الإصلاح لحصار الجنوبيين في البرلمان، فبدؤوا يعدون للانفصال بدعم من دول مجلس التّعاون الخليجي والسّعُودِيّة مما أدى للحرب الّتي أدت إلى خروج الاشتراكيين وسيطرة اليمن الشمالي عَلى الجنوبي حيث قام الإخوان والإِسْلَاميّون عموما بالدَّور الأساسي للمجهود الحَربي، فلما تمكن الرَّئيس صالح بعد الحَرب عادت وقضى الرَّئيس منهم وطرا، عادت السّياسة إلى تقليص دور الإِسْلَاميّين فعادوا كتلة برلمانية محدودة، وفي دورة ١٩٩٦م: فاز حزب المؤتمر الّذي يرأسه علي عبدالله صالح بأغلبية ساحقة أكثر من ٧٠٪ وتقلص حجم الإصلاح كثيرا، وفي الدَّورة الأخيرة ٢٠٠٣ تكرر السيناريو.

- **<u>أما في تونس:</u>**

فقد أدى نجاح حزب النهضة بأكثر من ٨٦٪ من مقاعد الانتخابات التمهيدية أواخر الثَّمانينيَّات، إلى حلّ الحزب ومطاردة شيخه الغنوشي وعودة علي زين العابدين للنظام الديكتاتوري بدعم أمريكي وتحول الإِسْلَاميّون إلى مجموعة مطاردين في المهجر، وها هو زين العابدين قوم في إجراء انتخابات رئاسية خلال شهر أوكتوبر ٢٠٠٤، فاز فيها بطريقة ديمقراطية خالصة بنسبة ٩٥، ٩٦ ٪، فقد غرم به الشعب إثر ولايتين مضتا وها هو يعشقه حتَّى الموت !

- **<u>وفي الكويت:</u>**

دخل الإخوان والسلفيون وبعض المستقلين من الإِسْلَاميّين انتخابات مجلس الأُمّة ودخلوا في صراعات مسائل الفساد وبعض الأمور الداخليَّة، حيث لا يصل نفوذ المجلس إلى الأمور السيادية من السياسات الداخليَّة والخارجيّة الّتي تنحصر بالإِرادَة الأميرية التَّابعة للأمريكان و، وأذكر أن الحياة البرلمانية علِّقت في الكويت أكثر من مرّة وحل البرلمان، وفي آخر دورة انتخابية في أغسطس ٢٠٠٣ حصل الإِسْلَاميّون من مختلف الفصائل كالإخوان والسّلفيّة عَلى أكثريه في البرلمان، والتجربة قيد الامتحان في عالم ما بعد سِبتَمبر واحتلال العراق، لتثبت ما أثبتته دائما.

- **أما في باكستان:**

فقد دأبت الجماعة الإِسْلَاميّة عَلى لعب دور إكمالي في الصِّرَاع بين الحزبين العلمانيين الكبيرين في باكستان، حزب الشعب الّذي كانت ترأسه العلمانيّة الشُّيُوعِيّة الفاجرة (بنزير بوتو)، وحزب الرابطة الإِسْلَاميّة الّذي أسسه (نواز شريف) بعد مقتل ضياء الحقّ الّذي كانَ قد عطل الحياة الدستورية، وقد تبادل الحزبان السّلطة عدّة مرات كانَ آخرها حكم نواز شريف للباكستان حيث برمجت أمريكا انقلاب (برويز مشرف) عام ٢٠٠٠ لتعطيل الحياة البرلمانية ثانية ثمّ أعاد مشرف شكلا من أشكال الحياة البرلمانية وتجمع الإِسْلَاميّون من الصوفية والجماعة الإِسْلَاميّة وبعض علماء الديوبند وبعض الشّيعة وغيرهم في (مجلس العمل المتحدMMA)، وحازوا المراكز الثّالث في الحجم حيث فاز أحد أجنة حزب الرابطة بالأغلبية وفاز بعده حزب بوتو وجاء مجلس العمل في المرتبة الثّالثة إلا أنه حاز المركز الأوّل في ولاية سرحد حيث تتكون باكستان من أربع ولايات ترتبط فدراليا بإسلام أباد وتتمتع حُكُومَات الولايات باستقلالية داخليَّة، وما يزال المد والجزر بين مجلس العمل من جهة ومشرف من جهة أُخرى وحيث خصفت له الحكومة السّياسيّة، وسرعان ما دخلت في فلك مشرف والسّياسة الأمريكيّة واقتصر دور الإِسْلَاميّين عَلى الإصلاح الجزئي في بعض القوانين الإِسْلَاميّة البسيطة في دائرة سرحد، وعلى الاحتجاج والتظاهر والصياح في المسيرات الغاضبة عَلى سياسات مشرف الّتي جعلت من باكستان مُستَعمرة أمريكية بالكامل، (راجع كتاب باكستان مشرف - المشكلة والحلّ والفريضة المتعينة - للمؤلف).

إلا أن أبلغ العبر كانت في المثال التركي والجَزَائِري الّذي كانَ يجب أن يشكل نهاية للآمال الدِّيمقراطيَّة لدى الإِسْلَاميّين ونقطة لإعادة تفكير قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة في جدوى الطّريق البرلماني كسبيل لإعادة حكم الشَّرعيَّة بما أنزل الله ولوضع حلول لمشاركة الأُمّة وقد عايشت هاتين التجربتين عن قرب وعن كثب ولاسيما في الجَزَائِرية، وإليك الخلاصة:

- **التَّجربة الدِّيمقراطيَّة للإسلاميين في تركيا:**

تمكن حزب السَّلامة الإِسْلَاميّ التركي بزعامة البرفسور نجم الدّين أربكان من الفوز عبر الانتخابات والوصول إلى منصب نائب رئيس حكومة سنة ١٩٦٩ فيما اذكر، وقد أدى تمدد الإِسْلَاميّين

إلى انقلاب عسكريّ أطاح بالتجربة الدِّيمقراطيَّة في تركيا وعاد بالبلاد إلى حكم العسكر، وبعد مد وجزر عاد السّياسيّون لتسلم زمام الأمور في السّلطة مع الاعتراف بهيمنة العسكر عَلى السياسات العامّة، ولكن حظر حزب السَّلامة الّذي غير اسمه وعاد إلى معاودة المحاولة تحت اسم (حزب الرفاه)، وعلى مدى عقد من الجهود تمكن (حزب الرفاه) من إحراز الأكثرية النسبية في انتخابات ١٩٩٦ البرلمانية حيث حاز لوحده عَلى نسبة ٢١٪ من مجموع الأصوات حيث لم يحرز اكبر الأحزاب العلمانيّة بعده أكثر من ١٨٪، وقامت الدُّنيَا وما قعدت واعتبرت هذه النَّتِيجَة في الغرب ناقوس خطر، وشكل أربكان وزارة ائتلافية برآسة لم تعمر إلا سنة واحدة، ورغم أنه استجاب لكل الضغوط وحصلت في عهده تنازلات رهيبة مثل التوقيع عَلى التّعاون العسكريّ مع إسرائيل وسوى ذلك، إلا أن ذلك لم يغير من النَّتِيجَة فقد تمكن العلمانيون من عمل انقلاب سياسي دبر لأربكان والرفاه خلالها تهما ملفقة حكم بموجبها عليه بإبعاده عن السّلطة وحل (حزب الرفاه) ومنع أكبر قياداته من بينهم أربكان من مزاولة العمل السّياسيّ، وعاود الإِسْلَاميّون الكرة وشكل فلول (حزب الرفاه) حزبا جديدا باسم (حزب الفضيلة) الّذي خاض الإنتخابات مرّة ثالثة وتحول إلى أقلية ثمّ تعرض للحظر والمضايقات للمرة الثّالثة، ليشكل (رجب طيب أردوغان) أحد أعوان أربكان (حزب العدالة للتنمية) عَلى أسس (علمانية إسلاميّة) وليخوض الإنتخابات مرّة ثالثة ويفوز عام ٢٠٠٢ بأغلبية كبرى ٣٦٪ من مقاعد البرلمان حيث تمكن من تشكيل حكومة ما تزال تعلن صباح مساء عن علمانيتها وتدخل في مد وجزر مع السياسات الأمريكيّة الّتي رسخت أقدامها في المنطقة حيث تحاول الحكومة التركية **(العلمانسلامية)** التوفيق بين جُذُور هويتها ومطالب الشارع الإِسْلَاميّ وبين الضغوط الأمريكيّة من الخارج وتهديدات العسكر وضغوط العلمانيين من الداخل

- **التَّجربة الدِّيمقراطيَّة للإسلاميين في الجَزَائِر:**

في سنة ١٩٨٩ أعلن الرَّئِيس الجَزَائِري الشاذلي ين جديد بعد (مظاهرات الخبز) الشهيرة سياسة للإصلاح جعل من أولياتها إطلاق حرية الأحزاب وإلغاء سياسة الحزب الواحد، وسارع الإِسْلَاميّون من مختلف التّيارات إلى تشكيل ما عرف باسم (الجبهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ) الّتي ضمت كامل الطيف الإِسْلَاميّ تقريبا في حين بقي تجمعان من الإخوان المُسلِمِين يعملان بصفة مستقلة هما (جماعة الإخوان)

وجماعة (النهضة الإِسْلَاميّة) المحليَّة في حين كانَ الحزب الحاكم (جبهة التحرير الوطنيّة) هو القوّة الرَّئيسيَّة في البلاد إلى ذلك الوقت منذُ الإستقلال، وخلال الإنتخابات البلدية اكتسحت جبهة الإنقاذ المجالس البلدية بنسبة أكثر من ٨٥٪ واستطاعت عبر تماسها بالجماهير وقاعدتها الشعبيَّة الّتي تجاوزت ٣,٥ مليون ناخب أن تدخل الإنتخابات البرلمانية بقوة أواخر سنة ١٩٩٠ وتكتسح الأغلبية السَّاحقَة في الدَّور الأوّل، مما أكد فوزها الساحق بالدَّور الثّاني الّذي سيتم مطلع ١٩٩١ وبالتالي تأهلها لأن تشكل الحكومة بشكل مستقل وأعلن زعيما الجبهة (عباسي مدني وعلي بلحاج) عزمها عَلى إقامة حكومة إسلاميّة تحكم الشّريعة، استنفر الغرب عموما وفرنسا خُصُوصَاً وهدد الرَّئيس الفرنسي ميتران بالتدخل العسكريّ إن لزم الأمر للحيلولة دون وصول الإِسْلَاميّين للسلطة، وعلى عجل رتب الغرب انقلابا عسكريّاً مطلع ١٩٩١ قضى عَلى الجبهة الإِسْلَاميّة وسجن زعماءها واقتاد عشرات الآلاف من أنصارها للمعتقلات الصحراوية، مما فجر حركة جِهَاد واسعة الانتشار ودخول أطراف كثيرة عَلى خط الصِّرَاع وتحول المواجهات إلى أعمال عنف وحرب أهلية دامية راح ضحيتها إلى اليَوْم أكثر من ١٥٠ ألف إنسان.

واليوم يعلن زعماء الغرب في تصريحات مختلفة مبدأ واحدا، (نريد تطبيق الدِّيمقراطيَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ ولكن بلا إسلاميين ولا أصوليين) وتحول هذا الطرح بعد سِبتَمبر إلى قولهم: (كلّ إسلامي هو أصولي متطرف وليس هناك معتدلون) وازدادت شروط العنت حتَّى أخرجت ما يسمى بديمقراطية وحياة دستورية نيابية عن فحواها من حيث الواقع وما زال بعض الإِسْلَاميّين يراها المجال الوحيد لتقديم ما يمكن تقديمه.

(راجع كتاب: ندوة روما في ظلال صليب الفاتيكان – وكتاب: شهادتي عَلى الجِهَاد في الجَزَائِر ١٩٨٩- ١٩٩٦ – للمؤلف).

<u>خُلاصة ما يستفاد من التَّجَارب العمليّة للإسلاميين في الدِّيمقراطيَّة:</u>

١. أن الشّعوب الإِسْلَاميّة تعيش صَحوَة إسلاميّة حقيقية رغم مظاهر الفساد والإنحلال وألوان الفسوق الّتي تفرضها أو تسهلها السُّلطات لمحو معالم الدّين من حياة المُسلِمِين، وقد أثبتت التَّجَارب أن أي بلد عربي أو إسلامي يخوض فيه الإِسْلَاميّون انتخابات ديمقراطية حقيقية فإنهم سيفوزون بالأغلبية.

٢. أثبت الغرب ونوابه من الحكّام في بلاد العَرَب والمُسلِمين أنهم مصممون عَلى وضع العراقيل والخطوط الحمراء عَلى طريق مشاركة الإِسْلَاميّين ومنع وصولهم لتحقيق كتل فاعلة في السُّلطات الثّلاثة، كما ثبت أنهم مستعدون فيما لو لم تؤد هذه الموانع إلى تحجم دور الإِسْلَاميّين وتهميش وجودهم إلى اللجوء إلى الانقلابات السّياسيّة أو العسكريّة أو المؤامرات للحيلولة دون ذلك، وهكذا حالوا بين الإِسْلَاميّين والسّلطة في الجَزَائِر قبيل وصولهم بقليل وأطاحوا بهم بعد وصولهم بقليل في تركيا ونجحوا في تضييع جهودهم في باقي التَّجَارب.

٣. أثبت معظم (الإِسْلَاميّون الديمقراطيون) أنهم مستعدون لتقديم التنازلات تلو الأخرى بلا حدود ولا ضوابط، لا من الشّرع ولا من المنطق، ولا من الكرامة السّياسيّة المعقولة، إزاء عنت السّلطة وتلاعباتها، مقابل ممارسة ما يمكن ممارسته من هذا (العبث الديمقراطي المهين).

٤. أثبت كثير من الديمقراطيين الإِسْلَاميّين استعدادهم لأن يكونوا جزءا من السّلطة عبر انتمائهم لأجهزتها التّشريعية وجزءا من جهاز الحكم عبر تسلمهم الوزارات بصرف النَّظر عن مناقضته ذلك لصريح الدّين ولوازم ذلك مما لا يسوغه دليل ولا يقوم عليه برهان.

٥. أثبت كثير من (الإِسْلَاميّين الديمقراطيين) اشتراكهم إلى جانب حُكُومَاتهم الّتي صاروا جزءا منها ومن سلطاتها الثّلاثة أو بعضها أنهم مستعدون تحت شعار (مصلحة الدّعوة) إلى محاربة التّيار المُجَاهد والنُّخبَة المُقاوَمة للحكام وأعوانهم المُستَعمرين في الأُمّة، وذهب بعضهم إلى أمثلة مخزية نعرض عن ذكرها هنا للحفاظ عَلى المنهج الّذي اخترناه للكتاب.

٦. حقيقة الأمر أنه وكما كنت قد تَوَصَّلت إلى ذلك وأعلنته في محاضرة لي بعنوان (المعادلة السّياسيّة للنظام العَالَمِيّ الجَدِيد) ألقيتها في بيشاور في مركز النور في جمع من المُجَاهدين العَرَب صيف ١٩٩٠، فقد أثبت الإِسْلَاميّون الديمقراطيون أنهم مستعدون لأن يكونوا جزءا من قوى النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد وأن يسيروا في ركاب مخططاته من حيث شعروا وأرادوا أو جهلوا ولم يدركوا ما يفعلون بسبب انخراطهم في هذا الفخ الديمقراطي الخطير.

وفي الختام هنا يجدر بنا أن نعرض لبعض اللفتات السّياسيّة الشَّرعيّة في موضوع ممارسة الدِّيمقراطيَّة من قبل الإِسْلَاميّين والَّتي تشكل خُلاصة وجهة نظرنا في هذا الموضوع:

ممارسة الإِسْلَاميّين للديمقراطية في ميزان السّياسة الشَّرعيَّة الإِسْلَاميّة.

باختصار ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن (الدِّيمقراطيَّة) بصفتها فلسفة ومعتقدات فكريّة وبصفها نظام حكم له تفاصيله وقوانينه، تتناقض تناقضا كاملا مع عَقِيْدَة الإِسْلَام، وتصادم بشكل واضح جوهر عَقِيْدَة توحيد الألوهية كما سبق بيانه، حيث أن عَقِيْدَة الإِسْلَام تجعل حق التَّشريع والتحليل والتحريم والإباحة والمنع لله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وتجعل له وحده حق الحكم النافذ الملزم الّذي تستوجب طاعته الثواب ومخالفته العقاب في الدُّنيَا والآخرة، في حين أن الدِّيمقراطيَّة تنص صراحة عَلى جعل هذا الحقّ للبشر، وتجعل أحكامهم نافذة واجبة التطبيق بمقتضى إرادَة الأغلبية الّتي تعبر عن إرادَة الشعب وممارسة الأُمّة لحق السيادة المطلقة كما بينا آنفا، سواء وافق هذا شرع الله أم خالفه، فمبادئ الدِّيمقراطيَّة من هذه الوجهة هيَ إما كفر بالله أو شرك به، وهذه النقطة هيَ أساس حرمتها ومصادمتها لدين الإِسْلَام وهي الّتي تفرعت عنها من بعد كلّ مناحي تناقضاتها مع عَقِيْدَة التّوحيد،

وأما عن وجوه تناقض الدِّيمقراطيَّة مع دين الإِسْلَام، فمن ذلك:

أولا: تعطي الدِّيمقراطيَّة لكل مواطن حرية الاعتقاد والتَّفكير، فله أن يعتقد بما شاء ويكفر بما شاء، وأن يبدل معتقده وقناعاته بحسب هواه وآرائه الشَّخصيَّة.

وهذا مناقض تماما لمفهوم الحريَّة في شريعة الله، فالإنسان في دين الإِسْلَام، ليس حرا في أن يكفر بالله ويشرك به، فالمسلم حكمه إن ارتد عن الإِسْلَام في شريعة الله القتل كما روي عنه ﷺ في الحديث الصَّحِيح «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(١)، ولم يقبل رسول الله ﷺ وخلفاؤه الرّاشدون من بعده من العَرَب إلا الإِسْلَام أو السّيف، وأمر الله تَعَالَى رسوله والمُؤمِنُون أن يقاتلوا الّذين أوتوا الكتاب حتَّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وأن يخيروهم بين ثلاث (الإِسْلَام أو الجزية أو الحَرب)، فقال تَعَالَى:

---

(١) البخاري: (٣٠١٧، ٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة]

وقال: ﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦﴾ [الفتح].

وليس هنا محل الاستطراد والشواهد كثيرة في نصوص القران والسنة والسيرة وتاريخ صدر الإِسْلَام.

ثانيا: تعطي الدِّيمقراطيَّة للإنسان حق التعبير عما شاء بما شاء كيفما شاء ومتى شاء! عبر كافّة وسائل التعبير من كتابة وخطابة وإشارة وصحافة وغير ذلك،

في حين تقنن الشّريعة الإِسْلَاميّة وبدقة وتفصيل كبير حق التعبير، هذا فليس للإنسان أن يستعلن بالكفر وليس له مسلما أو ذميا أن يستعلن بالاعتداء عَلى الدّين وشعائره ومقدّساته، والتفاصيل كثيرة جدا جدا، ففي دولة الإِسْلَام؛ من استهزأ بشعائر الإِسْلَام من الْمُسلِمِين ارتد فيستتاب أو يقتل، ومن شتم رسول الله ﷺ قتل بلا استتابة ومن فعل ذلك وكان ذميا نقضت ذمته وقتل، ولا يبيح الإِسْلَام كما يزعم بعض زنادقة الدعاة من (الإِسْلَاميّين) كما يسمونهم! تحت دعاوى الحريات السّياسيّة في الإِسْلَام أن تكون للكفر صحفه ودعاته في دولة الإِسْلَام

وليس للإباحيين أن يكون لهم صحف عري ودعارة، وليس لمحطات التلفاز والصّحف أن تستعلين بالغناء والطرب والمجون والاختلاط وعروض الأزياء و..و..و...

فحرية التعبير مصانة في حدود الشّريعة وما أحل الله وما حرم، كما كلّ صغيرة وكبيرة في دولة الإِسْلَام، ووجه التناقض بين ما تتيحه الدِّيمقراطيَّة وما يسمح به الإِسْلَام لا يمكن استقصاؤه في هذه اللمحات الموجزة ولكنه أوضح من بيانه هنا.

ثالثا: تستند الدِّيمقراطيَّة في أساس مبادئها إلى مبدأ (المساواة المطلقة) بين البشر بصرف النَّظر عن العرق أو الجنس أو اللون أو الدّين أو العلم أو غيرها من الفوارق.

ولكن المساواة في مفهوم الإِسْلَام هيَ عَلى أساس التفاضل في الدّين، ثمّ في التقوى والعلم وما خص الله به الرّجال عَلى النِّسَاء من حقوق وواجبات، وغير ذلك.

فالدِّيمقراطيَّة تسوي في حقوق الترشيح للمناصب أو التصويت عليها أو عَلى أي تشريع بين النّاس، بين الكافر والمسلم، والمؤمن والملحد والبر والفاجر والخلوق والفاسق والعالم والجاهل والرجل والمرأة والعدل وساقط العدالة... إلخ ولكن للإسلام منظورا آخر، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القلم] وقال تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر] وقال تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] وقال عزَّ من قائل:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، وروي عنه ﷺ قوله: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(١)، «مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ وَلَّوا أَمْرَهُم امْرَأَةً»(٢).

ونصوص الشّريعة لا تبيح الإمامة – أي شكل من الإمامة عَلى المُسلِمِين – لكافر أو مرتد، بل ولا لظالم مبتدع من المُسلِمِين إبتداءا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤﴾ [البقرة]، كما تنقض إمامته لو طرأ عليه الكفر والردة إجماعا، وبالفسق والظُّلم بحسبه عَلى خلاف بين العُلَماء.

كما تكفل الشّريعة للذمي الكافر حقوقه الدّينيّة والشخصية، وألا يُعتدى عَلى دمه وماله وعرضه وذمته، ما لم ينقضها بعدوان.

ولكن الشّريعة لا تجيز استعمال الكافر في أي من أمور الدّولة، ولا تبيح أن يكون في مكان يكون له فيه يد عَلى مسلم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝١٤١﴾ [النساء]. بل إن الشّريعة تجرد المسلم الفاسق المجاهر بالمعصية من عدالته، وتنزع منه حتَّى حق الشَّهَادة.

وإدارة الدّولة في الإِسْلَام لأهل الحلّ والعقد من أولي الأمر من العُلَماء والأمراء المُسلِمِين المُؤمِنِين ولا حق فيها لكافر ولا مجاهر بفجور من المُسلِمِين، وقد روي عنه ﷺ قوله: «لِيَلِنِي مِنْكُمْ، أُولُو الْأَحْلَامِ

(١) رواه البخاري: (٣٠١٧، ٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

(٢) رواه البخاري: (٤٤٢٥، ٧٠٩٩).

وَالنُّهَى»(١)، فالمسؤوليات ليست حتَّى لعوام المُسلِمِين فضلا عن الفاسقين غير العدول منهم بله الكافرين.

ولما رأى عمر ﵁ اجتماع النّاس من القبائل والأعراب عَلى باب سقيفة بني ساعدة، فيما كانَ سادات المُهَاجِرين والأنصار من الصّحابة مجتمعين لبحث خلافته ﷺ، خرج إليهم ﵁ وسألهم فيم اجتماعهم وعما جاء بهم، فأجابوه بأنهم جاؤوا ليشاركوا في الأمر، أمر الولاية بعده ﷺ، فقال لهم: (**ليعد صاحب المصنع إلى صناعته وصاحب العمل إلى عمله، إنما الأمر للمهاجرين والأنصار من أهل المدينة والنّاس بعد ذلك لهم تبع**).

هذا بعض وجوه تناقض الإِسْلَام والدِّيمقراطيَّة في المساواة.

رابعا: **تعطي الدِّيمقراطيَّة لنواب الأُمّة في البرلمان حقا زائدا من الحصانة في التعبير والإدلاء بآرائهم وتعفيهم من المتابعة والمقاضاة تبعا لما يصرحون به من آراء.**

وعلى هذا نصت معظم دساتير الدّول الدِّيمقراطيَّة، وحتى الهمجية الديكتاتورية الّتي تزعم الدِّيمقراطيَّة في بلاد المُسلِمِين.

ومن هنا يحق لكل ملحد وعلماني وصليبي ومارق، ما دام عضوا في البرلمان أن يتفوه بما يريد، ويدعوا للتشريع لما يريد، ويجحد ما يريد، ويدعو لقداسة ما يريد، وللتحليل والتحريم برأيه، وفي هذا ما لا يخفى من جحود الشّريعة والاستهزاء بها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، والدّعوة لتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، فضلا عن الهزء بشعائر الدّين ومقدّساته وما إلى ذلك.

فكيف بالمسلم عضو البرلمان أن يجلس في هذه المجالس والله تَعَالَى يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء]، لَا إِلَٰهَ إِلَّا الله، وسبحان من أحاط علما بالأولين والآخرين وما كانَ وما سيكون.

---

(١) رواه مسلم (٤٣٢).

خامسا: تنص مبادئ الدِّيمقراطيّة والفقه الدستوري المنبثق منها عَلى أن التَّشريع يأخذ مشروعيته من وجود أغلبية مؤيدة وأقلية معارضة، وينصون عَلى أن لا دستورية لقانون بغير حق معارضة.

ومن هنا يأخذ التَّشريع قيمته الدِّيمقراطيَّة، إذ لو امتنع حق المعارضة لصار تشريعا ديكتاتوريا ومفروضا لا يستحق أن يأخذ صفته الدستورية لأن الأُمّة (صاحبة السيادة والجلالة) وفق هذه الفلسفة لم يستوف أفرادها حقهم في المعارضة، وعلى هذا فالتَّشريع انبثق عن تأييد ومعارضة، أي بمعنى أنه قد شارك في التَّشريع من أيد بتأييده، وشارك فيه من عارض بمعارضته، فلما غلبت أكثرية المؤيدين أقلية المعارضين أخذ التَّشريع طريقه للإقرار ومشروعيته من خلال وجود أقلية معارضة.

فالمعارض شريك المؤيد في صناعة التَّشريع، وهذا ما قاله رئيس البرلمان المصري الهالك (رفعت المحجوب) لمندوب عن الاخوان المُسلِمِين في البرلمان المصري عندما صاح الأخير معارضا أحد التَّشريعات بأنه وحزبه لا علاقة لهم بذاك التَّشريع المخالف لشريعة الله، فصفعه رئيس المجلس بهذه القَاعِدَة، وأفهمه أنه شريك بمعارضته في التَّشريع - ورحم الله من عرف اللغة الّتي يجب محاورة المحجوب بها فأطاح برأسه وحجب عنه الحياة، إذ تجرأ أن يحجب حكم الله تَعَالَى، فقتله المُجَاهدون في مصر- فلينظر الإِسْلَاميّون إلى دورهم في إقرار ما خالف شرع الله رغم معارضتهم له.

سادسا: وهذه النقطة من أعظم مظاهر حرمة المشاركة في المؤسسات الدِّيمقراطيَّة وعلى رأسها البرلمان، إذ تنص الدِّيمقراطيَّة عَلى التزام جميع الأعضاء في المؤسسات الدِّيمقراطيَّة وعلى رأسها البرلمان عَلى مبدأ حرية تأييد أو معارضة أي تشريع أو قانون أو قرار مطروح للتصويت، ولكن ! وضع ما شئت من الخطوط الحمراء تحت هذه الـ (لكن):

يقر الجميع سلفا بمبدأ دستورية أو مشروعية أي قرار وأخذه قداسة التَّشريع حال التصويت عليه بالأغلبية. وإلزام الأُمّة به بصفته حلالا صوابا واجب الإنقاذ عَلى جميع أفراد الأُمّة.. بدءا من رأس الدّولة (نظريا). وانتهاء بأصغر فرد في الأُمّة (فعليا) مرورا بأعضاء البرلمان أنفسهم بمن فيهم من أيده أوعارضه.

فلو طرح مشروع لتقنين الربا أو أي محرم من المحرمات الصريحة.. أو السياسات المحرمة أو الخيانية مثلا. وهذا مثال قد تكرر كثيرا في جميع برلمانات البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة.. فقد وقف

(الإِسْلَاميّون الديمقراطيون) بالطبع موقف المعارضة.. وفازت كلّ تلك التَّشريعات المحرمة شَرعاً بالأغلبية نظرا بسبب لأغلبية العلمانيّة كما هو واقع الحال دائما حتَّى الآن. وهنا يأخذ التَّشريع صفته الدستورية من الأغلبية المؤيدة والأقلية المعارضة كما أسلفنا. وقد سلم (الإِسْلَاميّون)! كما كانوا قد أقروا سلفا بحكم قوانين اللعبة الدِّيمقراطيَّة، بإلزام الأُمّة بهذا التَّشريع. وبالرضا به وبالالتزام به والعمل عَلى إنفاذ في الأُمّة والحكم به بغير ما أنزل الله..

فمن أين استباح من يسمون أنفسهم (إسلاميون) هٰذا! ولكي يزداد الأمر وضوحا نأتي بمثال (شنيع) حتَّى يحصل الفهم بالصدمة!

فلو اجتمع نفر من الرّجال. ليصوتوا - ديمقراطيا - عَلى أن يزني كلّ واحد بزوجة الآخر وأن يجعلوا ذلك تشريعا يبيح أو يلزم الأُمّة بذلك!! وكان فيهم (أخيار) و(فجار). واتفقوا عَلى حرية التصويت والاختيار والتعبير. ولكن عَلى أن يلتزم الجميع بفعل ذلك إن خرجت نتيجة التصويت بالأكثرية وبمنعه إن غلب المعارضون..

فما حكم أن ينتسب شريف لمثل هذه الجلسة. مع علمه المسبق بأن أكثرية الحاضرين من (الدواويث)؟! وهل يكفيه أن يقول: أنا أرى أن مصلحة الدّعوة والمساهمة في إخراج تشريعات لعمارة المساجد والأمر بالمعروف من هذا المجلس، تقتضي أن أشهد التصويت عَلى هذا القرار !

فهل يمكن أن يسمى من يقبل مثل هذا ويلتزم بإعارة (زوجته) وتقنين هذه الموبقة وإلزام المُسلِمِين بها كي تشيع الفاحشة في الّذين آمنوا وفقا لرأي الأغلبية، مع الاحتفاظ (بشرف) حق الرفض أثناء التصويت، فهل يسمى من يقبل هٰذا، إلا ديوثا.. بل شيخ الدواويث المعمم !

وأرجو من القارئ ألا يستغرب المثال ! فهل فظاعة واقعة اغتصاب حق التَّشريع من الله سبحانه، أو عشرات وقل مئات التَّشريعات وآلاف القوانين والقرارات الّتي تصدر عبر البرلمان من تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله وإقرار السياسات الخبيثة والقرارات الخيانية الداخليَّة والخارجيّة؟! أقل فظاعة عند واحدهم من فظاعة تقديم عرضه! عَلى مائدة التصويت لأغلبية الدواويث ؟! أما لدين الله وعرض الأُمّة حرمة تستأهل الغيرة.

فقد أقسم الجميع بشرفهم ومعتقداتهم، وربما عَلَى القرآن عندما ترشحوا وعندما فازوا بعضوية الإنتماء إلى البرلمان أو الحكومة عَلَى احترام الدستور. وقوانين الأغلبية هذه وإنفاذها.

وأظن أن الأمر واضح. بل بالغ الوضوح. ولكنها كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

وبالله أقسم غير حانث - إن شاء الله - أن الغالبيّة العظمى من علماء وفقهاء الديمقراطيين الإِسْلَاميّين هَؤُلَاءِ.. يعلمون هذا الحقّ الّذي أسلفت. وهم الّذين علمونا إياه لما التحقنا بصحوتهم الإِسْلَاميّة قبل عقدين ونصف من الزَّمن، ولكنهم يخالفونه اليَوْم للهوى. كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل]

سابعا: وهذه خاتمتها.. وختامها (زفت) !

تنص الدِّيمقراطيَّة البرلمانية. ومبادئ سيادة الأُمّة وحكم الشعب والمؤسسة الدستورية ذات (السُّلطات) الثلاث. التَّشريعية والتنفيذية والقضائية.

تنص عَلَى الاحتكام للدستور. وللسلطة القضائية ومؤسساتها، من المحاكم المتنوعة وعلى رأسها المحكمة الدستورية العليا. حال الاختلاف بين أعضاء السّلطة الواحدة أو السُّلطات المتعددة.

من أجل فض المنازعات والخصومات والطعون المقدِّمة من النواب بين بعضهم أو بين البرلمان والوزارات أو بين أي مستوى وآخر عَلَى مستوى المواطنين والمؤسسات..

ومن الواضح والمعروف أن الدساتير كلها وضعِيَّة والقوانين علمانية لا دينية. وسيكون التحاكم بين الإِسْلَاميّين والسُّلطات حال الإختلاف إلى الدستور إلى تلك القوانين الّتي فصلت عَلَى أيدي الأَعدَاء والخصوم عبر محاكم السُّلطات ذاتها ووفق قوانينها!! ولا أصلح لو صف هذا الحال من قول المتنبي المشهور جدا..

يا أعدل النّاس إلا في معاملتي فيـــــــــــك الخصام وأنت الخصم والحكمُ

فلا يكفي أنهم قد تحاكموا إلى الطَّاغوت ! وبغير ما أنزل الله ! ليكتمل البلاء بأنها محاكمة للخصم وإليه ! وإلى قضائه ودستوره ومحاكمه.. ثمّ انتظار إحقاق العدالة والوصول كما يحلمون إلى تحكيم الشّريعة. من خلال هذه النجاسات المتراكمة ! الّتي تزكم أنف من كانَ له أدنى فطرة سليمة.

ومن هنا يتبدى للباحث المنصف عدم مشروعية ولا منطقية مصطلح: (ديمقراطية إسلاميّة) أو (إسلاميين ديمقراطيين).

فالدِّيمقراطيَّة عَقِيْدَة متكاملة مستقلة. قد صار لها عبر العصور القديمة والحديثة تفاصيلها الدستورية والقانُونيّة في كلّ مناحي الحياة السّياسيّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والدّينيّة وغير ذلك وهي بلا شَّكَّ (دين معاصر ونظام حياة) يتضمن تفاصيلا وأركانا أوضح بكثير وأشمل من (دين النّصرانية) فضلا عن سائر الأديان الوثنية وغيرها..

ويعد معتقدوها في العالم اليَوْم أكثر من تعداد أي دين آخر.. فقولهم:

(ديمقراطية إسلاميّة) هو من حيث المنطق كالقول (نصرانية إسلاميّة) أو (يهودية إسلاميّة) أو (بوذية إسلاميّة) كمصطلح.

وأما إطلاق مصطلح (إسلاميين ديمقراطيين) فكلام لا معنى له، يناقض أوله آخره وآخره أوله. وهو لا يختلف من حيث منطق الدلالة والتناقض عَلى قولنا (إسلاميين مسيحيين) أو سوى ذلك من الخلط غير الممكن لا منطقا ولا شرعا..

بل إن كلمة (إسلاميين ديمقراطيين) تعني إذا فهمنا المدلول بحسب دلالة ومحتوى كلّ كلمة تعني (مُسلِمِين مشركين) لأن مدعي هذه الصفة ينتمي إلى الإِسْلَام بشهادة لَاإِلَهَ إِلَّا الله محمّد رَسُولُ الله... ثمّ يشرك وينتمي من حيث دلالة الشطر الثّاني من المصطلح إلى من يشرك البشر مع الله في حق التَّشريع والتحليل والتحريم بحسب ما مر معنا من تفاصيل.

لأن مقتضى الدِّيمقراطيَّة بحسب فحواها هو انتزاع حق السيادة والتَّشريع من الله - سُبحَانَهُ وتَعَالَى عن جحود الجاحدين - وإعطائه للبشر أو إشراكهم معه في هذا الحقّ الإلهي..

فإن معتقدي هذه العَقِيْدَة (الدِّيمقراطيَّة) صاروا عبدة لطواغيت البشر وعبدوا النّاس لهم طوعا أو كرها.

وهناك ملاحظة هامة جدا وهي:

إن بعض أقوال الإسْلَاميّين الديمقراطيين وأعمالهم هيَ من أقوال الكفر وأعمال الكفر يقينا. وأما إسقاط حكم الكفر العيني عَلى آحاد مرتكبي ذلك، فله ضوابط معتبرة لدى أهل السّنّة والجماعة. من قبيل إقامة الحجة وانتفاء الجهل، وتحقق الشُّرُوط وانتفاء الموانع...

وهذا يكون من قبل من له أهلية القضاء. وليس من قبل عوام النّاس ولو كانوا من المُجَاهدين أو الدعاة الإسْلَاميّين، فضلا عن الجاهلين والمتخوضين بغير علم.

وهذا الحكم الشَّرعيّ العام لا يعني كفر كلّ ديمقراطي إسلامي كفرا عينيا.

هذه هيَ الحقيقة شَرعاً ومنطقا بحكم مدلول دين الإِسْلَام ومعتقد الدِّيمقراطيَّة عَلى حقيقتها. مهما تبدوا هذه الحقيقة والصراحة مفجعة. ومهما تصادمت مع أهواء البشر والنّاس وما تعود تقديسه اليَوْم.

فلعل كلمة (ديمقراطية) من أكثر الكلمات تدأولاًاليَوْم في وسائل الإعلام من بين مصطلحات السّياسة وعلى كافّة موائد الحوارات ومن أكثر الكلمات والمبادئ قداسة واحتراما..

وهناك تمحكات كثيرة. وشبه متعددة وردود يثيرها هَؤُلَاءِ الّذين يسمون أنفسهم (إسلاميون معتدلون) أو(ديمقراطيون).. ولا أريد الاستفاضة باستقصائها والرد عليها هنا..

ولكن أهمّها اثنتان واحدة يتخذون منها حجة للإنتماء للبرلمان أي (السّلطة التَّشريعية) الّتي تنازع ربّ العزة جَلَّاللهُ في حق التَّشريع. والأخرى يجعلون فيها دليلا للإنتماء إلى (السّلطة التنفيذية) وتسلم الوزارات والمناصب الرَّسميَّة. فينتمون بها إلى الكيان الحاكم بغير ما أنزل الله.

أما الأولى:

فهي أنهم يجعلون من قوله تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقوله تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] وسنة رسول الله ﷺ بفعل **الشورى**. دليلًا عَلى جواز أن يضم البرلمان من هبَّ ودبَّ من المُسلِمِين والعلمانيين والملحدين والمُؤمِنِين والرّجال والنِّسَاء والجهَّال والعُلَمَاء والعدول والسَّاقطين.. ليكونوا محل شورى لوليّ الأمر..بل محل تشريع بالأغلبيَّة!! ورد هذه الشّبهة السّخيفة أوضح من أن يتجشّم بيانه.

ولله درّ العلّامة المحدّث أحمد شاكر عندما شرح في كتابه عمدة التفاسير بعض ما يتعلق بقوله تَعَالَى:﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾، وقوله تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

قَالَ ما أستفيد منه كشاهد هنا وأشرحه موضحا بما يلي:

قَالَ بأن: [الضالين والجهال، في هذا الزّمان قد اتخذوا من هاتين الآيتين هزوا ليثبتوا ما يذهبون إليه من ضلالهم، فاعتبروها دليلا عَلى مشاركة كلّ برّ وفاجر. وكافر وزنديق في عمليَّة الشّورى وحقّ السّلطة بدعوى الدِّيمقراطيَّة]. وأوضح ﷺ بأن الآيتين صريحتين بقوله تَعَالَى: (وأمرهم)، (بينهم)، والضمير: (هم) عائد عَلى المُسلِمِين المُؤمِنِين، الآمرين بالمعروف الناهين عن المُنكر، وهي مبينة بقوله ﷺ: «لِيَلِنِي مِنْكُمْ، أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى»[1] أي أصحاب الدّين والخلق والعقل والرّأي السّديد الرّاجح من وجوه القوم. وهي لا تشمل بحال ؛ العصاة والفساق من المُسلِمِين ناهيك عن الكفّار والملحدين والزنادقة من علمانيين وشيوعيين، (ولا حتَّى النِّسَاء حتَّى المؤمنات المأمورات بما خصّهنّ الله به من القدر والرّفعة والعفاف واعتزال مجامع الرّجال). ناهيك عن ملحدات النِّسَاء من المسترجلات المتزندقات.

فأما الذّمّيون من الكفّار فهم رعيّة منصرفون إلى شؤونهم تحت رقابة الدّولة محل العدل معهم لذمتهم، ومحل الذّلة والصّغار لكفرهم.

وأما ملاحدة المُسلِمِين فمكانهم – كما قَالَ الشَّيْخ ﷺ – محلهم تحت السّوط أو السّيف. أي لتأديبهم بالسوط كي تشفى أدمغتهم من نزغات شياطين الإنس والجن. أو لقتلهم وإراحة البشرية من شرورهم ودنسهم. وليس محلهم المشاورة في مصالح المُسلِمِين..

فهذا الّذي بينه الشَّيْخ وشرحته بالمزيد ليفهم من عضل فهمه..هو من بديهيات دين الإِسْلَام وشريعة الرَّحمٰن..وقد صار في هذا الزّمان (البوشي الرامسفيلدي الكونديليسي – العبيكاني السديسي..) التعيس، صار من غرائب القول..

هذا ناهيك عن أن المشورة هيَ في مواضع الفكر والاجتهاد وليس فيها أثبتته نصوص الشّريعة والأحكام. فهذه محلها الانقياد لها والقول ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ وأما هذا الإلحاد الّذي يدور في ردهات البرلمانات في بلاد المُسلِمِين. فليس من الشّورى وإنما هو من الكفر بالله والإشراك به، وهي جلسات أقل مما يتوجب عَلى المسلم أن يبتعد عنها ويكفر أهلها ويعاديهم.. ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

(١) رواه مسلم (٤٣٢).

وأما الثّانية:

فهو زعمهم حلّ تسلم الوزارات والمناصب في حُكُومَات الفراعنة والطواغيت بدليل أن سيدنا ونبينا (يوسف) عليه السلام طلب هذه الوزارة وتسلمها من الفرعون عندما قَالَ له: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف]. وللأسف فقد كانَ شيخنا سعيد حوى – غفر الله له – من أوائل من أطلق هذه الفرية في كتابه (دُروس في العمل الإِسْلَامِيّ)، مطلع الثمانينات. ثمّ تتابع خرز المسبحة لما انفرطت!

وهذا زعم بَاطِل من وجوه كثيرة. وأوضح أدِلّة البطلان لو سلمت النفوس من الأهواء. ومن احتراف استغلال نصوص القران في غير مواضعها.. يتبين من وجوه عديدة ومن ذلك:

أولا: نسأل هَؤُلَاءِ (الإِسْلَاميّين الوزراء) في حُكُومَات البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة اليَوْم. **هل تسلمون بأن حكامكم هَؤُلَاءِ فراعنة. كفّار؟ مرتدون؟** لأنّ دليلكم وزعمكم هو (على جواز استلام الوزارة في حكومة الحاكم الكافر الفرعون ؟)... فإن قالوا لا. وحكامنا مسلمون فلا داعي للاستشهاد بهذه الحجة. لأن تسلم الوزارة عند ولي الأمر المسلم جائز من حيث المبدأ. وإن كانَ البعد عن الفجار والظُّلمة منهم هو المأمور به شرعا.

وإن قالوا نعم: فنطالبهم بإعلان ذلك. وإعلان وجوه كفر حكامهم وردتهم ثمّ براءتهم منها. ثمّ بيان وجهة نظرهم في المصلحة في عملهم عندهم وأدلة جواز ذلك بعد ذلك.

وليعلنوا كما أعلن نبينا يوسف عليه السلام أن حكامنا فراعنة كفار.. فقد قَالَ يوسف: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف].

فأين قول يوسف عليه السلام وإعلانه أس التّوحيد وأساسه، من نعيق الديمقراطيين الإِسْلَاميّين بمديح الفراعنة والطبطبة عليهم، ووصفهم بالملك صاحب الجلالة والعظمة !وأمير البلاد المعظم، وسيادة الرَّئيس..والسادة الوزراء أصحاب المعالي! وتدليس أحوالهم وأحوال دساتيرهم الكافرة والاحتكام إليها. !

ثانيًا: فإن قالوا: نعم، وأقروا بكفر حكامهم وأنهم فراعنة مرتدّون، ننتقل لإسقاط حجّتهم هذه من وجوه عديدة..

١- إنه لو جاز لسيّدنا يوسف أن يفعل هذا فهو من أحكام شريعة من قبلنا. الّتي لا تعتبر شريعة لنا إذا نسختها شريعتنا.. وشريعتنا ناسخة لهذا.. فالله تَعالَى يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]، بصفة العموم (من) أي كلّ من.. ولقوله تَعالَى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة]، وقد بيّن علماؤنا المفسرون أنّ فاعل ذلك كافر مشرك من جملة الكفّار بصريح اللفظ الّذي حكم بأنّه منهم.

٢- عَلَى فرض جواز ذلك بشروطه ووجوه قياسه الصَّحِيحة. فليُنظر إلى تفاصيل استلام سيدنا يوسف عليه السلام لتلك الوزارة المزعومة عند الفرعون في كتب الآثار وأقوال السَّلَف من المفسّرين في ذلك:

** نقل بعض السَّلَف أن فرعون مصر الّذي كانَ في زمن يوسف عليه السلام قد آمن بدعوة نبي الله يوسف للتوحيد لما كلمه. نقل ذلك عن مُجَاهد في تفسير الطبري ج٨/ ١١ (**قَالَ مُجَاهد: أسلم الملك الّذي كانَ معه يوسف**). كما نقله ابن كثير عن مُجَاهد أيضا (انظر ابن كثير تفسير الآية ٥٦ من سورة يوسف)

** أن الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى ذكر صراحة أن الملك قَالَ ليوسف: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [يوسف].

ووصف الله حاله بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف] وأشار القرآن إلى أن يوسف استطاع تطبيق شرع الله في مصر عندما حكم بأخذ أخيه، فقال تَعالَى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]

أي بحسب شريعة الملك ونظامه. ولكن يوسف طبق شريعة دينه ودين آبائه يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السَّلام وهي دين التّوحيد.

فأين إذا وجه القياس بين فراعنة حُكّام بلاد المُسلِمِين الّذين يستوزر عندهم هَؤُلَاءِ الدعاة الأدعياء وعلماء السّلاطين، وبين ملك مصر الّذي:

- إما أنه أسلم كما دلالة ظاهر النّصوص وروايات بعض السَّلَف.
- وإما أنّه مكّن ليوسف وأسلمه مقاليد الحكم. حتَّى صار مكينًا أمينًا يتبوَّأ من الأرض حيث يشاء..

فهل هذا حال الدعاة الّذين يتنقلون بين البرلمان والسّجون! فيتركهم الطَّاغوت تارة، وينزعهم أُخرى! ويسجنهم تارة ويتيح لهم الترشيح أُخرى! يتبوؤون من السّجون حيث يشاء الطَّاغوت وقت ما شاء. وليس كحال يوسف عليه السلام يتبوأ من الأرض حيث يشاء..

فهل تولى أحد من الدعاة وزارة أو حكمًا ممكنًا تمكين يوسف في الأرض حتَّى يجعل فعله عليه السلام شاهدا لهم ؟!

هذه أهمّ استدلالات هَؤُلَاءِ الزّائغين من دعاتنا وعلمائنا وللأسف وقد بان سقوطها.

وأما غير ذلك من الاحتجاجات والمزاعم فمن ذلك: احتجاجهم بولاية النّجاشي للحبشة من غير قدرة عَلى أن يحكم بشرع الله.

ومنها ادعائهم أنّهم عندما يقسمون بالله عَلى احترام الدّساتير والقوانين الكفريّة إنّما يبيتون (سرّاً)! نية استثناء البَاطِل والقسم عَلى الحقّ فقط!

ومنها أنهم لم يدخلوا بنية التَّشريع وإنما بنيّة الإصلاح!

وغير ذلك فكلها متكآت متهافتة لا تثبت أمام دليل شَرعِيّ ولا تفسير منطقي ولا تحتملها مداليل اللغة العربيَّة ولا لغة الهنولولو !

ويضيق المجال عن سرد الردود عَلى تلك الخزعبلات، وليس محله هنا. وأعتقد أن مما أوردنا في هذا البحث الموجز من بيان حقيقة الدِّيمقراطيَّة وجوهر مبادئها. وعن حقيقة تطبيقها لدى أهلها وتناقضهم مع مبادئها ذاتها ثمّ حقيقة وصور تطبيقاتها المضحكة في العالم الثّالث ومنه الإِسْلَاميّ والعربي في بلادنا.. وفي بيان حقيقة مفهوم السيادة في الدِّيمقراطيَّة والعلمانيّة وتناقضه مع مبادئ الحاكِمِيَّة في الشّريعة الإِسْلَاميّة.. وفي نقلنا لبعض صور نتائج تجارب الإِسْلَاميّين مع الدِّيمقراطيَّة. وفيما ختمنا به من بيان تصادم حقيقة الدِّيمقراطيَّة مع جوهر دين الإِسْلَام. ووجوه حرمة ممارستها.. في هذا كفاية لإيضاح الأمر. وألفت النَّظر إلى نقطتين هامتين وأكرر:

أولاً: لا يعني اعتقادي وقولي بأن مدلول مصطلح (إسلاميين ديمقراطيين) يعني قولنا (مُسلِمِين مشركين) من حيث دلالة كلّ كلمة في المصطلح علىَ فحواها. لا يعني ذلك أنّي أعتقد بكفر كلّ من يدعون لأنفسهم هذا المسلك والمنهج من الإِسْلَاميّين الّذين يمارسون الدِّيمقراطيَّة.. فأما المصطلح فهذه دلالته بحسب فحواه وليس لرأينا أن يزيد أو

ينقص بدلالات المعاني.. وأما (اعتقاد الدِّيمقراطيَّة) فأمر آخر. وأما (ممارستها) فأمر ثالث. وأما الحكم العيني علىَ أصحابها فأمر رابع. وأنا علىَ اعتقاد من أدركت من سلفنا ومَشَايخنا وقادتنا في الصّحوة الإِسْلَاميّة الأصوليَّة. وفي التّيار الجهاديّ المبارك. بأن الاعتقاد بفحوى مبادئ الدِّيمقراطيَّة وتتقبله وتقديمه علىَ النّظام الإِسْلَاميّ، أو اعتقاد عدم مصادمته له، وأن الدِّيمقراطيَّة هيَ الشورى، ولا تناقض معها والاعتقاد. والتصريح بإعطاء حق السيادة للأمة والتَّشريع للشعب والحكم للأغلبية مهما ارتأت... إلى آخر ما مر معنا تفاصيله. فهو كافر مشرك مرتد. وإن زعم أنه مسلم وأدى بعض الشعائر. فقد نقض اعتقادهُ وإيمانهُ بالدِّيمقراطيَّة أبسطَ حقائق ومقتضيات شهادته ألاَإِلَهَ إِلّاَ الله محمّد رَسُولُ اللهِ ﷺ..ثمّ ينظر بعد ذلك بانتفاء الموانع للأعيان.

وأما من يمارس الدِّيمقراطيَّة فهم أشكال وأنواع. وبالتالي تختلف أحكامهم..

ولكن بالعموم أنا علىَ مذهب من يعتقد بأن من يعتقد كفر الدِّيمقراطيَّة، ومناقضة فحوى فلسفتها وتشريعاتها لمعتقد الإِسْلَام ودين التّوحيد. ولكن من يمارسها من باب تأول حال الاستضعاف، وأنها السبيل الوحيد المتاح لتحقيق مصالح يرجوها للدعوة والإِسْلَام والمُسلِمين. وأنها السبيل الممكن للوصول إلى تحكيم الشّريعة في مثل هذه الظّروف، ثمّ إبطال ما يتناقض معها. أو أنها السبيل الممكن للجهر بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر وإيصال صوت الحقّ للأمة.. إلى آخر ذلك فالمخلصون من هَؤُلَاءِ معذورون بالتأويل في ممارسة الدِّيمقراطيَّة ودخول مؤسساتها. وإن كنت أعتقد أنهم مخطئون وآثمون. والله تَعَالَى أعلم.

ولو ذهبت لأسرد أسماء من هم عَلى هذا الرَّأي من العُلَماء لطال بنا المقام.. وهم أعيان ومَشَايخ وقادة الصّحوة الإِسْلَاميّة وعلمائها في هذا العصر.. ومنهم ذكرا لا حصرا: (جمهور المفسّرين المعاصرين من أمثال الشَّيْخ أمين الشنقيطي والشَّيْخ أحمد شاكر والقاسمي والآلوسي...

ومن العُلَماء: كافّة علماء الدّعوة في بلاد نجد والحجاز بدءا من الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب، وانتهاء بالمتأخرين – حتَّى علماء السُّلطَان منهم – فهم في هذه المسألة سواء.

وكذلك علماء ودعاة الصّحوة المعاصرون في بلاد الحرمين من أمثال الشَّيْخ الطريري والشَّيْخ سفر الحوالي الّذي بين ذلك في كتابه الشهير – العلمانيّة – وكذلك الشَّيْخ سلمان – رزقه الله – العودة. في كتبه وأشرطته. والشَّيْخ محمّد سعيد القحطاني. وأقرانهم مثل ناصر العمر والدويش والتويجري.... وغيرهم.

كذلك كافّة علماء الإخوان المُسلِمين قبل مرحلة الانحراف: مثل الشّهيد عبد القادر عودة من مصر، والشَّيْخ سعيد حوى والشَّيْخ عبد الفتاح أبو غدة والشَّيْخ عبدالله علوان رحمه الله. من سوريا،

والدكتور محمّد عادل أبو فارس والدكتور أحمد نوفل والشَّيْخ محمّد نعيم ياسين من الأردن، والأستاذ محمّد أحمد الرّاشد وغيره من العراق، والأستاذ فتحي يكن من لبنان.. والشَّيْخ الزنداني وعلماء الإخوان في اليمن. والشَّيْخ علي بالحاج من الجَزَائِر..وكافة علماء ودعاة السّلفيّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ..

ومن علماء ودعاة التّيار الجهاديّ الشّهيد سيد قطب. والشّهيد عبدالله عزام. وكذلك علماء ودعاة الجماعة الإِسْلَاميّة في مصر- قبل نقض الغزل أنكاثا - وعلى رأسهم الدكتور عمر عبد الرَّحْمن والشَّيْخ رفاعي طه، وكذلك جماعة الجِهَاد في مصر وشيخهم الجليل عبد القادر بن عبد العزيز. [الّذي أسرته اليمن وغدرت به وسلمته إلى مصر في مارس(٢٠٠٤)]. والدكتور الشَّيْخ المُجَاهد أيمن الظواهري. ومن سوريا الشّهِيد مروان حديد وتلامذته وغيرهم من العُلَماء والدعاة. ومن الأردن الشَّيْخ أبو محمّد المقدّسي..

وكتب ومنشورات التّيار الجهاديّ بكافة تنظيماته وجماعاته طافحة بهذا المعتقد...).

هذا ما حضرني من الذاكرة والقائمة تطول. فيمن يعتقد كفر الدِّيمقراطيَّة وكفر معتقديها اعتقادا.

فإن التلبس بذلك فعل من أفعال الكفر ينظر في حال فاعله وحظه من أحد الأعذار الأربعة المعتبرة شَرعاً عند أهل السّنّة والجماعة وهي: **الجهل، والإكراه، والتأويل، وانتفاء القصد.**

ولعلّ لهَؤُلَاءِ حظ بأن يكون لهم بـ (التَّأويل) أو بـ (الجهل) عذر فيما تلبسوا به يخرجهم من مغبة الوقوع بالكفر.

وأعتقد أنهم بهذا المسلك ليسوا في موقع المجتهد المأجور بأجرين إن أصاب وأجر إن أخطأ.. وإنما هم عصاة آثمون لإتباعهم سبيل البَاطِل من أجل إحقاق الحقّ - إن صلحت نيتهم- وابتغاء نصرة دين الله بما حرم الله. فقد تعبدنا الله بالوسائل المشروعة كما تعبدنا بالأهداف الشَّرعيَّة. هذا بالعموم.. ولهذا تفاصيل كثيرة ليس محلها هنا.

فإن صحت نية من يدعي خدمة دين الله بطريقة الدِّيمقراطيَّة. وسلم من الأهواء والمصالح الشَّخصيَّة في أن تكون سببا لدخوله هذا المنزلق. ولم يقع في مزالق نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال. ولم يتحول إلى أن يكون ضمن دائرة السّلطة الحاكمة بغير ماأنزل الله باستلامه وزارة أو منصبا يكون فيها جزءا من الجهاز الحاكم بغير ما أنزل الله.. هذا إن سعى إلى أن يعارض كلّ تقنين أو تشريع يخالف شرع

الله صراحة. فعند ذلك يكون له والله أعلم عذر بالتأويل يدفع عنه حكم الكفر. ولكنه ولا شَّكَّ عندي أنه ضمن دائرة الإثم والمعصية لمخالفته ما شرعه الله من سبيل الهدى ودين الحقّ.والله تَعَالَى أعلم.

فباختصار ذلك بكلمات قليلة أقول:

بأن من يمارس الدِّيمقراطيَّة من الإِسْلَاميّين ليس مجتهدا مأجورا، وإنما هو مخطئ بين الكفر والوزر أو العذر. والله أعلم.

ويؤكد ذلك ما ترتب عبر تجاربهم خلال أكثر من نصف قرن من الفشل والتقهقر وترسيخ أقدام حكم الكفر والكافرين والمرتدّين والظَّالمين وتمرير سياسات الطغاة وأسيادهم المُستَعمرين. دون تحقيق أي فائدة أو نتيجة معتبرة بل عَلى العكس كانَ وجودهم ضمن دائرة (الملأ) في مؤسسات الفرعون شهادة زور حية متحركة عَلى صلاح الفرعون وملئه بالشَّرعيّة أمام العامّة. عامة المُسلِمِين الّذين يكنون للإسلام والمُسلِمين والعُلَماء والدعاة ورجال الصّحوة التقدير ويعتقدون فيهم القدوة والصلاح.

[وألفت النَّظر أنّي في كلّ ما أسلفت متبع لمذهب من يرى ذلك من العُلَماء والدعاة ولست صاحب الفتوى في ذلك وقد فصلته ونقلته وحسب]..

أما غير الإِسْلَاميّين، من الديمقراطيين العلمانيين، فما علمناه ممن أدركناهم من جميع مَشَايخنا وأساتذتنا في الصّحوة الإِسْلَاميّة ثمّ الجهاديّة، الإخوانية ثمّ السّلفيّة.. أنهم كفار ملاحدة مرتدون. وليتأكد العلمانيون المذكورون هَؤُلَاءِ - إن لا يصدقوني - من أساتذتنا الّذين يجامعونهم [١] تحت قبة البرلمان، ليسألوهم عن رأيهم فيهم خلال جلسات الاستراحة، عَلى هامش اجتماعات التَّشريع من دون الله. فربما يصدقونهم، وربما يُغَنُّوهم (موَّالْ): (لِسَّهْ فاكرْ ؟ كانَ زمان !)..

فلأساتذتنا هَؤُلَاءِ فقه جديد يصلح له هذا الشاهد الطريف.

الأمر الثّاني: أن هذا الكلام الصريح المباشر يأتي ممن يقوله كأمثالي اليَوْم مستغربا ومُنكرا من قبل عموم النّاس، بل حتَّى في أوساط ما يسمى صَحوَة إسلاميّة معتدلة اليَوْم. نظرا للمكانة الّتي حققتها

---

(١) جامع بمعنىٰ اجتمع وجالس أو ساكن أو لزم وصاحب، جاء في الحديث «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ» رواه أبو داوود.انظر شرح الحديث في عون المعبود. ففيه العبرة لهَؤُلَاءِ.

الدِّيمقراطيَّة عند جماهير المُسلِمِين نتيجة جهود وسائل الإعلام والساسة من أعدائنا الخارجيين وأعوانهم المُنَافِقين فينا. ولاسيما بعد ما صار زعم الاعتدال في أوساط الصّحوة أسهل السّبل للفرار من تهمة الأصوليَّة والتشدد وبالتالي الإِرهَاب أو ربما حمل وشم الانتماء للقاعدة أو غيرها من الجهاديّين (الإِرهَابيين) بحسب وصفهم وبحسب التصنيف الأمريكيّ..

ولكنني أريد أن أذكر بأني أدركت عموم علماء الصّحوة وقادتها وزعماءها وعموم دعاة الإِسْلَام يوم انتسبت وأقراني من جيل الشَّبَاب لهذه الصّحوة الإِسْلَاميّة عامة والجهاديّة خاصّة أواخر السَّبعينيَّات ومطلع الثَّمانينيَّات من القرن الماضي وإلى نهايات التِّسعينيَّات الماضية.. وهم عَلى هذا المعتقد... وقرأنا ودرسنا عليهم ذلك في كلّ أدبيات الصّحوة الإِسْلَاميّة الّتي خطها أسلافنا رحمهم الله منذُ الثلاثينيات وإلى سَنَوات قريبة جدا إلى نهاية القرن العِشرين. وما تزال تملأ المكتبات ! وكان مقتضى كلّ ذلك ومعتقد الجميع في الصّحوة الإِسْلَاميّة والجهاديّة في الدِّيمقراطيَّة هو ما ذكرت. ولمن شاء أن يراجع كتابات وأدبيات إعلام دعوة الإخوان المُسلِمِين وفروعها، والحركات المنبثقة عنها. وكذلك كافّة علماء ودعاة الدّعوة السّلفيّة وأهل الحديث والسّروريّة وحزب والتحرير.. وسواهم من مدارس الصّحوة. وكذلك فتاوى المعتبرين من أعلام علماء الإِسْلَام وخاصة في عقر دار الإِسْلَام بلاد (الحرمين) نجد وبلاد الحجاز وبلاد الشّام ومصر والعراق بل وعموم بلاد العَرَب والمُسلِمين.. فستجدها جميعا مطبقة عَلى هذا المعتقد.. بل أذكر تماما بأن عَقِيْدَة الحاكِمِيَّة لله وأصولها الّتي درَسْناها شبابا، ودرَّسْناها كهولا في الصّحوة الإِسْلَاميّة وفي التّيار الجهاديّ عَلى حد سواء.. كانت طافحة بهذه المعاني.. بل أَنّي أذكر أن كلمة **(الدِّيمقراطيَّة)** كانت لا ترد في أدبيات الصّحوة الإِسْلَاميّة وكتب أهل العلم ودعاة الإِسْلَام إلا دالة عَلى الكفر بالله والشرك به، والإلحاد بربوبيته. بدرجة لا تقل بشاعة عن كلمة (شيوعية) أو(إلحاد) أو(وجودية) أو(علمانية) أو (زندقة)..

كما أذكر أنه لما أقدمت قيادة الإخوان المُسلِمِين في سوريا (أيّام إدارتها للمُوَاجَهة مع النّظام النصيري في سوريا) عَلى خطوتها التعيسة في إعلان التَّحالف الوطني مع الأحزاب العلمانيّة وكتبت ميثاقا وطنيا بذلك.. تحاشى الجميع إيراد كلمة (ديمقراطية) من أجل دفع الحرج عن الإخوان المُسلِمِين

أمام قواعدهم وأمام المُسلِمِين رغم الإتفاق والنص عَلى فحواها فرارا من تحمل تبعات الوصمة بكفر مدلولها..

وشيئا فشيئا ومنذ أواسط الثَّمانينيَّات... بدأت هذه المصطلحات الدِّيمقراطيَّة ومفاهيمها تتسلل عَلى استحياء. لتبرر بعض ممارسات الإِسْلَاميّين الّذين خطوا خطواتهم الأولى في هذا السبيل الضال، كحل إجباري فرضته حالة الاستضعاف والقمع من قبل السُّلطات. ولم ينصرم القرن العشرون سنة ٢٠٠٠ إلا وقد كسر القوم حاجز الاستحياء. وبدؤوا يروجون (لديمقراطية إسلاميّة). ووجد مصطلح (ديمقراطيين إسلاميين) طريقه للعلن.. وكان السلفيون وأصحاب مدرسة أهل الحديث قد أنكروا هذا الإنحراف عَلى الإخوان المُسلِمِين وفروعهم في حينها. ثمّ ما لبثوا أن حسدوهم عَلى ما نالوا من مجالات الممارسات السّياسيّة والدعوية فلحقوا بهم وأسلموا طريقتهم.. ثمّ ما لبث الإِسْلَاميّون الغير سياسيين من الصوفية والتبليغ وسواهم أن دخلوا هذا (المولد) لتتسيس الصّحوة الإِسْلَاميّة بكاملها تقريبا. وليرقص أكثر علمائنا ودعاتنا ومَشَايخنا رغم اختلافاتهم الّتي أنهكت الأُمّة.. ليرقصوا معا في (حفلة زار) جماعية..فسبحان من ألف القلوب عَلى البرلمان حيث لم تكد تتآلف عَلى شيء !!

ولم يبق خارج هذا المهرجان الديمقراطي إلا (الجهاديّون) وبعض المستقلين من العُلَماء الّذين وقاهم الله ذلك الشر..

ثمّ جاءت أحداث سِبتَمبر.. وسقطت إمارة الإِسْلَام في أفغانستان وابتدأت المَعْرَكة العَالَمِيّة عَلى الإِرهَاب كما أسموها بقيادة أمريكا وإسرائيل وأوربّا النّاتو وحلفاءهم المرتدّين كما مر معنا.. لتشتعل معارك الإعلام عبر الفضائِيَّات ووسائل الاتّصال والإنترنت والصّحف والكتب وسواها.. مع الإِسْلَام والمُسلِمين ليطال الهجوم اليَوْم جُذُور المعتقد.. وجُذُور دعوة الإِسْلَام. وسقط الدعاة والإِسْلَاميّون في فخ الإِرهَاب الفكريّ المعادي يصيح بهم (أنتم إرهابيون).. فكان رد الفعل المعاكس تحت طائلة القهر والتصفية، قوله: لا، (نحن معتدلون)!! ثمّ لم يجدوا ستارا للحركة والغطاء ودعوى الاعتدال، إلا زعم الدِّيمقراطيَّة.. راغبين ساعين أو كارهين مرغمين..

ولكن ما كانَ لكل هذا أن يغير من حقيقة الأمر شيئا.

فباختصار وصراحة..

إن عَلى علماء الإِسْلَام ودعاة الصّحوة أن يجددوا لنا..

هل كنا عَلى ضلالة في معتقدنا بالحاكِمِيَّة طيلة سبعين عاماً ؟! والّذي أقتضى اعتقاد كفر الدِّيمقراطيَّة وحرمة الانتماء لمؤسساتها.. وهل قضى من مات من سلفنا أو استشهد من أبطالنا جِهَادا وكانوا عَلى ذلك عَلى ضلالة وانحراف؟!

أم أن من انبت عن أصوليته وانسلخ عن جُذُوره وانقلب عَلى مبادئه كي يرضي اليَهُوْد والنّصَارى ومن والاهم، هو عَلى ضلالة اليَوْم؟

فإذا كانت الأولى فليبرروا لنا لم ضللونا ؟! لم كذبوا علينا أربعين سنة أو أكثر ؟! وإذا كانت الثّانية، فليقولوا لنا، لماذا يضللون النّاس اليَوْم ؟ وليجيبونا..

ما الّذي حصل حتَّى نرتد عَلى أعقابنا ؟ ما هيَ الأدِلَّة الشَّرعيَّة عَلى ضلال ما اعتقدناه بأدلته الشَّرعيَّة آنذاك، ودرسناه ودرَّسناه؟!

إن هناك كلاما خطيرا يدور اليَوْم عبر شاشات الفضائِيَّات وشبكات الاتّصال الدّولية وكافة وسائل الإعلام.. علماء كبار.. دعاة إسلام..قادة صَحوَة.. بل قيادات جهاديّة منكفئة مستسلمة..تدعوا لمراجعة المناهج والمعتقد..

هناك اليَوْم حرب عَلى مناهجنا ومعتقداتنا لا تقل ضرواة عن الحَرب الأمنيّة العسكريّة عَلى الإِسْلَام والمُسلِمين تحت دعوى مكافحة الإرهَاب. وحرب الأفكار. ومراجعة المناهج وأدوات التّربية..

فإذا كانَ من انكفأ وانقلب عَلى عقبه يجد لموقفه مبررا ويفلسف للهزيمة والردة عَلى المبادئ، ويجد له موقعا في قافلة المصفقين للإسلام الأمريكيّ الّذي جاءنا بتصحيح المناهج ! وبدورات تأهيل الأئمة والخطباء في مساجدنا ! وبحملات المراجعات الفكريّة الّتي تطال كلّ رموزنا وثوابتنا ! فلا بُدَّ أن يكون هناك مواقع للمُوَاجَهة تُثَبت الثّوَابِت، وتحمل راية المعتقد.

وبقوة الله وفضله سيجدوننا هناك. عَلى هذه القمة السامقة الراسخة بإذن الله..

ومن هناك من أعالي قمم الثّبات، حيث اجتمع برد اليقين بحرارة الإيمان، واتكأ المُجَاهدون عَلى سيوفهم المشرعة.. نؤكد عَلى ما أسلفت.

أنّنا ثابتون عَلى ما اعتقدناه من ديننا. وعلى ما وعينا عَلى الدُّنيَا وأدركنا عليه سلفنا الصّالح من العُلَماء والدعاة. وإننا عَلى ما غادَرَنا عليه شهداؤنا الأبرار إلى ربّهم فرحين بما آتاهم الله إن شاء الله. وعلى ما كانَ عليه الصّالحون من علمائنا وقادتنا في الرازحون اليَوْم في السّجون والمعتقلات..

أنّنا ثابتون عَلى ما تنطوي عليه اليَوْم صدور المُؤمِنِين المستضعفين من أهل الحقّ.. أنّنا عَلى مقتضى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وما يقتضيان من توحيد الحاكِمِيَّة..

وبناء عَلى ذلك نجهر بالقول:

- الدِّيمقراطيَّة كفر وشرك بالله.. ومعتقدوها كفرة ملحدون أو مرتدون زنادقة.. كيف لا يكفرون وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، فكيف بمن يقولون أنه – سبحانه – عاشر عشرة.. أو شريك مئات البرلمانيين !!
- وأما المتأولون من الوالغين فيها من الإِسْلَاميّين فهم أنواع وأشكال.. وحكم كلّ صنف منهم بحسب مستوى قناعته وطبيعة نيته، وممارساته قولا وعملا، وظروفه المحليَّة.

وهذا ما بلغنا عمن بلغونا الأمانة.. وهذا ما نبلغه لمن حولنا ولمن يصلهم هذا البلاغ.

اللّهم فاشهد. اللّهم فاشهد. اللّهم فاشهد.

وأظن أن الأمر واضح وضوح الشّمس. ولا أجمل في وصف حال الديمقراطيين من الإِسْلَاميّين ووعظهم، من آيات في غاية الرونق والروعة. تشمل إشارات غاية في الدلالة لمثل هذا الأمر الّذي نحن بصدده. وهي الآيات التّالية من سورة النِّسَاء. ومن سورة محمّد عليه أزكى الصّلاة وأتم التسليم.. وبها نختم هذه النبذة إن شاء الله وهي قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا
لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ
بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾
الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ
ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن

دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ [النساء]

وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾
وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ
إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ
﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ
﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ
سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾
فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟
رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ
فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟
أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ
أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾
[محمد]

فهل قعد الإِسْلَاميّون الديمقراطيون في مجالس يسمعون فيها آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ؟

اللّهم نشهد بقولنا: نعم !

وهل يقتضي التحاكم لرأي الأكثرية في البرلمان، طاعة الّذين كرهوا ما نزل الله في بعض الأمر ؟

اللّهم نشهد: نعم ! بل في كلّ الأمر، أو أكثر الأمر !

والآيات تحكي كلّ حِكَمِ المسألة، ولا يتسع المقام للاستطراد، رغم أن روعتها تغري بذلك.

ولعلي أعود إليها في بحث مفرد لهذا الموضوع إن يسر الله وأعان.

تاسعا: مسألة الخلاف العقدي والمذهبي ضمن أهل السنّة

- **مسألة عَقِيْدَة السَّلَف وعَقِيْدَة الخلف:**

عندما انتشر الإِسْلَام وانساحت جُيُوش المُسلِمِين في الأرض وفتحت بلاد الحضارات السَّابقة مثل بلاد اليونان والرُّومان والفرس والترك والصين والهند والسند.. احتك المُسلِمُون بحضارات وديانات وفلسفات أولئك الأقوام وقد كانَ أكثر ذلك في العصر الأموي وصدر العصر العبّاسي.. وأدى ذلك إلى نشاط حركة ترجمة تراث تلك الحضارات والإطلاع عليها. وبقدر ما كانَ هضم فنون تلك الأمم وعلومها الطبيعيّة والعلمية مفيداً. حيث مزجت أمة الإِسْلَام تلك العلوم والآداب، وحفظت إنتاج تلك الحضارات، وصاغته بأسلوب إسلامي، ونقلته للبشرية حضارة وعلوماً بعد أن طورته وأضافت عليه. فبقدر ما كانَ ذلك حضارة فذة ومجداً زاخراً، كانَ لجانب آخر من التعامل مع تلك الفلسفات والمعتقدات، أثر سلبي بالغ الخطورة عَلى الحضارة الإِسْلَاميّة ودين المُسلِمِين ومعتقداتهم. فقد أدى الاختلاط بتلك الفلسفات والمعتقدات لدى بعض العُلَماء، ولاسيما ممن كانَ من أصول تلك الحضارات البائدة، إلى حصول شيء من الخلط والمزج بين العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة الصافية، وبين فلسفات العقول وترهات الأفهام، الّتي خاضت بوسيلة العقل القاصرة المحدودة، في عالم الغيب الفسيح اللامحدود. فنشأ عن ذلك عند المُسلِمِين، مذاهب عقدية امتزج فيها الدّين بالفلسفة، والحق بالبَاطِل، ونشأ عن ذلك عقائد منحرفة مزقت الأُمّة، وكدرت صفاء عقيدتها، وشوشت عَلى أجيالها اللاحقة معتقداتهم الصافية، إلا عند من رحم الله وحفظ.

وكان أشد ذلك في القرن الثّالث الهجريّ. عندما شغف الخَلِيفَة العبّاسي المأمون بالعلوم والحضارة والكتب والترجمة وأنشأ (بيت الحكمة) ومكتبتها الضخمة. وأرسل يجمع كتب اليونان وفلسفاتهم. وحضارة الرُّومان وآدابهم. ونشط بعض العُلَماء في ترجمتها والإطلاع عليها. وولع قسم من النّاس بالفلسفة، ولاسيما فلسفات اليونان وتفسيراتهم الدّينيّة وضلالاتهم الوثنية العقدية. وأقبلوا عليها. ونشأ من ذلك علم سمي بـ (علم الكلام)، وهو علم ولد نتيجة إعادة كتابة وصياغة علوم المنطق والفلسفة اليونانية من قبل بعض علماء المُسلِمِين. وخاض النّاس في أصوليات العَقِيْدَة وجوهر التّوحيد بأسلوب الفلاسفة وأساليب العقول القاصرة. فنشأت بسبب ذلك مسائل عقدية كلامية عويصة، لا كانت من

منهج السَّلَف ولا الصّحابة، ولا من طريقة رسول الله ﷺ. فضلّ بذلك أقوام. ونشأت فرق عقدية زادت الشرذمة الّتي كانت قد حصلت لأسباب سياسيّة لدى المُسلِمِين، والَّتي كانت قد سببت ميلاد فرق الخوارج وفرق الشّيعة قبل ذلك.

فنشأت مذاهب جديدة اعتمدت الفلسفة وعلم الكلام كالقدرية الّذين نفوا القدر. والجبرية الّذين نفوا الاختيار عن البشر. والمعتزلة الّذين ألّهوا العقل وجعلوه حجة عَلى صحيح النقل ونصوص الشَّرع... إلى آخر ذلك مما زخرت به الحياة العلمية والدّينيّة والأدبية خلال القرون الثّالث والرَّابع والخامس الهجريّ. وما تلا ذلك بعدها من عصور الانحطاط وتمزق الكيان السّياسيّ للأمة. وكرد فعل عَلى تلك الفلسفات، عمد بعض علماء المُسلِمِين المخلصين من أجل الردّ عَلى الفرق والمذاهب الضالة ومن سموا (علماء الكلام)، إلى اقتحام ميدان الفلسفة للرد عَلى شبهات أولئك بأسلوبهم. فدخل علم الفلسفة والمنطق ضمن العلوم الإِسْلَاميّة منذُ ذلك الوقت.. وتناول أولئك العُلَماء الأفذاذ المخلصون الردّ عَلى الشُّبُهات في تلك المواضيع الحساسة الّتي أثارها المنحرفون، بأساليب الفلاسفة. وتناول ذلك أخص خصوصيات العَقِيْدَة والتّوحيد في دين الإِسْلَام، وهو توحيد الله بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. فأخطأوا من حيث أرادوا الصواب. وأساؤوا من حيث أرادوا الإحسان. غفر الله لهم وتقبل سوي سعيهم وتجاوز عن زلاتهم. فقد أدى ذلك إلى أن فقدت كثير كتب العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة الصافية الربانية، المنبثقة عن الوحي الخالص الّذي لم تمزجه فلسفات العقول وضعف الأفهام. فقدت ذلك الصفاء ونشأت مدارس عقدية في أوساط أهل السّنّة والجماعة اعتمدت التَّأويل والفلسفة في تناول التّوحيد وخصائص الربوبية، وكما لا بُدَّ لكل انحراف أن يسير بانفراج واتساع مع الوقت. تطورت تلك المذاهب العقدية الغريبة الدخيلة الوليدة. لتسيطر في معظم مراحل التّاريخ الإِسْلَاميّ، على كثير من أساليب العُلَماء في مجالات التّوحيد والعَقِيْدَة.

وفي الوقت الّذي أفادت فيه علوم المنطق والمحاكمات العقليَّة في تطوير أبواب الفقه وتراث الاستنباط الفُقْهيّ لدي مذاهب أهل السّنّة، كانَ ضررها في علوم التّوحيد كبيرا. وكان أوضح ذلك وأهمه في مجال ما عرف بالتأويل – تأويل أسماء الله وصفاته – وتفسيرها والتعبير عنها بالمعاني والكنايات.إما لتبسيط فهمها للعامة وإما بنية دفع شبه الفلاسفة عن أسماء الله وصفاته من التجسيم

والتكييف والتشبيه والتحريف. ورغم النِّيَّة السَّليمة لدي أولئك العُلَماء، إلا أنه ما من شك من أن ضرر ذلك كانَ أكثر من نفعه. وكان خطؤه وخطره أكثر من صوابه.

وقد سمي هذا المذاهب العقدي وتلك الطَّريقة الفلسفية في التّوحيد بمذهب (الأشاعرة) نسبة إلى أحد أعلام ذلك المذهب (الإِمَام أبي الحسن الأشعري) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الّذي أوغل في المذهب ثمّ تراجع عنه وتاب منه كما ثبت عنه ي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. كما كانَ دأب أكثر أعلام ذلك المذهب من أمثال الأئمة: الجويني والرازي والشهرستاني وأبو حامد الغزالي رحمهم الله تَعَالَى وغيرهم. ولكن أعمالهم وكتاباتهم بقيت نسأل الله أن يتقبل عدولهم عن خطئها ويغفر لهم ما زلوا فيه.

ومنذ القرن الثّالث والرَّابع الهجريّ صار مذهب (الأشاعرة) هو مذهب علماء أهل السّنّة الأفذاذ ومذهب ملوك المُسلِمِين الصّالحين. وكان ضده يعني فرق الخوارج والشّيعة. وقد أرسى هذا المذهب أكثر حُكَّام وملوك المُسلِمِين منذُ أيّام الدّولة العبّاسيّة ثمّ ما تلاها من دول الطوائف وإلى قيام الدّولة العُثْمَانِيّة. ثمّ تابع عَلَى ذلك المنهج ملوك وسلاطين الدّولة العُثْمَانِيّة، وبقي هذا المنهج هو السائد في بلاد المُسلِمِين عَلَى اختلاف مذاهبهم الفقهيّة الّتي سادتها المذاهب الأربعة. مع بقاء قلة من علماء الإِسْلَام الّذين حفظوا نقاء مذهب أهل السّنّة والجماعة، فحفظت العَقِيْدَة بذلك بصفائها ورونقها بلا خلط ولا مزج. وعرف مذهبهم عَلَى مر التّاريخ بمذهب (السَّلَف). وأحيانا بمذهب (أهل الحديث). فيما عرف مذهب الفريق الآخر من أهل السّنّة والجماعة بمذهب (الأشاعرة)، الّذي أخذ ببعض أصوله وطريقته، علماء كبار من الفقهاء والمفسّرين وأساطين علوم الدّين لدى أهل السّنّة. كما عرف في مذهب السَّلَف أيضا أعلام كبار عَلَى مر التّاريخ كابن تيميه والشاطبي وابن القيم وابن بطة وأحمد وسفيان وغيرهم رحمهم الله تَعَالَى. ولكنهم كانوا أقلية في جمهور علماء أهل السّنّة عَلَى مر التّاريخ.

وقد حفل التّاريخ الإِسْلَاميّ بمعارك عقدية طاحنة، ومناظرات كثيرة ساخنة. وأخذ ورد بين هذين الفريقين ضمن أهل السّنّة والجماعة. فكتبت الردود والردود عليها، وكثر القيل والقال وكثرة السّؤال.

ودخلت الأوساط السّياسيّة وأروقة الحكَّام إلى المساجلات، فمنتصر لهٰذا، ومستقوٍ بذاك. وكانت باب فتن وإحن في تاريخ المُسلِمِين يطول ذكرها.

ومثل كلّ أجواء الفتن الّتي تولد التعصب والتحزب. جرّت هذه المشاكل أحياناً بالإضافة إلى مشاكل التعصب المذهبي، إلى الشرور والقتال والفتن، الّتي كثيراً ما تدخل الملوك لوقفها بمنع الحديث بتلك الأمور ليزيدوا الطين بلة.

وقد أورث هذا الإشكال هاتين المدرستين (الأشعَريّة) وما تفرع عنها. و(السّلفيّة) أو (أهل الحديث) وما تفرع عنها. إلى أن شطبت كلّ منهما الأخرى من طائفة (أهل السّنّة والجماعة). واعتبر كلّ فريق نفسه (أهل السّنّة والجماعة) وأن عقيدته هيَ عَقِيْدَة (الفرقة النَّاجِيَة). وأن الفئة الأخرى هيَ من (الفرق الاثنين وسبعين) الّتي في النار. للحديث الصَّحِيح الّذي يخبر به رسول الله ﷺ بأن الأُمّة تفترق عَلى (٧٣ فرقة واحدة ناجية والباقي في النار)[١].

ورغم اتفاق أهل الحديث وشراحه عَلى أن هذا لا يعني الخلود في النار لكل هذه الفرق وكل المتسبين إليها من أهل القبلة وأمة الإِسْلَام. إلا أن هذين الفريقين حصر كلّ منهما الانتماء إلى (أهل السّنّة والجماعة)، وملكية هذا اللقب بهم وشطبه عن الفريق الآخر.

. وقد هدأت هذه الإشكالات كغيرها في العصور المتأخرة لانشغال الأُمّة بالاستعمار وبلائه، ثمّ بحُكُومَات (الاستقلال الاستعماريّ)، وما سببته من هجمة المذاهب العلمانيّة الفكريّة والسّياسيّة المعاصرة، من ضعف التدين في الأُمّة بشكل عام خلال عقود أواسط القرن العِشرين. وهكذا نامت هذه المشكلة فترة وجيزة، لتستيقظ مرّة أُخرى مع نشوء مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة. وعادت مع نشوء مدارس (التّيار السلفي) المعاصر وحملته عَلى المذهبية والأشعَريّة. وبقاء معظم أوساط مدارس الصّحوة الأخرى بعقائد الأشعَريّة، ولاسيما المدارس الإصلاحية، وجماعات التبليغ والدّعوة، والمتصوفة وسواهم، وكذلك أكثر العُلَماء الرسميين وأئمة المساجد وكذلك أكثر علماء المذاهب الأربعة.

ومع اختيار معظم الجهاديّين للعَقِيْدَة السّلفيّة وفقه الدليل واختيارات المنهج السلفي، وصلت المشكلة إلينا أخيراً. مما جعلها أحد الفقرات الهامة الّتي اهتممت بالكتابة فيها وأنا أعرض لملامح عقيدتنا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجة (٣٩٩١)، وابن حبان (٦٢٤٧)، وأحمد (٨٣٩٦)، والحاكم وصححه، وقال الترمذي: حسن صحيح، وبه قال الألباني.

في دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة. لكونها إحدى الإشكالات العويصة عَلى طريق الجِهَاد والمُقاوَمة ودفع الصّائل. لأنها بصورتها النّهائيّة تشكل باب فرقة وتحزب وتعصب فقهي ثمّ فكري ثمّ حركي، وأسباب احتراب داخلي، داخل صفوف المُسلِمِين وأوساط المُقاوَمة في وقت تجتاحنا فيه خيول مغول العصر الأمريكان والصهاينة بسلاسل دباباتهم وهدير طائراتهم. وترصد أقمارهم الصناعية همساتنا العقدية وحركاتنا اليومية. وتنصب قذائفهم وحممهم عَلى رؤوسنا من السّماء والأرض والبحر. ولولا ذلك لما تعرضت لهذه القصة.

وقد كانَ أول اهتمامي بهذه المشكلة، أيّام الجِهَاد العربيّ في أفغانستان. حيث حضر في السَّاحَة العديد من العُلَماء الجهاديّين السلفيين. ومن أندادهم من المدرسة الأخرى (الأشعَريّة). وكان علماء الأفغان والباكستان وشبه القارة الهندية ووسط آسيا وعموم المُسلِمِين المقلدين لهم في هذه المنطقة من الأشاعرة أيضا.وقد كانَ هذا سبب هوة كبيرة بين المُجَاهدين العَرَب وكل هَؤُلَاءِ. هوة سببت مشكلة حقيقية في تلك السَّاحَة. وقد التقطت الإستخبارات تلك الفرصة وصارت الـ(بي بي سي) تروج لمشكلة الوهابية في أفغانستان، وعبثا حاول الشَّيْخ عبدالله وأمثاله إقناع الإخوة بتأجيل مثل هذا الأمر... وليس هنا محل تفصيل ذلك.

ثمّ بعد ذلك، وعند انخراطي في تأييد الجِهَاد في الجَزَائِر (١٩٩٤-١٩٩٧) الّذي قادته الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة قبل انحراف قيادتها كما بينت في الجزء الأوّل. انهمك بعض طلاب العلم السلفيين في تأييد الجماعة المُسلّحة (السّلفيّة المنهج)، واتخذوا من منابر إعلامنا المؤيد لقضية الجِهَاد في الجَزَائِر خطوط حرب ومعارك للسلفيين مع الأشاعرة والمذهبيين! وكان ذلك مأساة أُخرى رأيت آثارها بنفسي.

ثمّ تكررت المشكلة خلال الشوط الثّاني للأفغان العَرَب أيّام طالبان، وشكلت حجرة عثرة كبرى بين الجهاديّين السلفيين من العَرَب والإمارة الشّرعيَّة في أفغانستان وأميرها وقيادتها من الطّالِبَان وعلمائهم وكلهم أشاعرة أحناف مذهبيون، لا يقلون تعصبا لما ذهبوا إليه من كثير من إخواننا المتعصبين بدورهم لمذهب السّلفيّة. وكانت تجربة ثالثة عشتها بنفسي لأرى أهمية هذه المعضلة الّتي تأتي في غير وقتها، لشدة ما نعيشه من هجمة الأَعدَاء.

وقد أردت دراسة هذه المشكلة هنا في هذا البَاب الخاص بمسألة العَقِيْدَة عامة، والعَقِيْدَة الجهاديّة للمقاومة خاصّة. من أجل المساهمة في محاولة وقف ضررها عَلى صفنا الجهاديّ. ولأنها مشكلة عَقِيْدَة ودين، فدرستها بإنصاف وحياد لأبحث لنفسي عن الاعتقاد الصَّحِيح الّذي أبتغي به معتقدا يرضي ربي أولاً، ثمّ لأقدم ما أخلص إليه نصيحة إلى إخواني المُجَاهدين ومن بلغ من المُسلِمِين.

وقد خلصت إلى رأيي سأختصره هنا في بضع نقاط بعد أن استخرت الله عليه سائلاً إياه الهداية.

ولكني أعترف بأني تخوفت كثيراً من إعلان رأيي هذا السببين:

أولهما: أن الأمر حساس ويمس أخص خصوصيات الدّين، وكان تاريخيا ميدان صدامات وإشكالات.

والثّاني: أن الوسط الجهاديّ الّذي أنتمي إليه سلفي المذهب في معظمه، وفيه من هو شرس متعصب في تناوله لكل من يخالف رأيه في هذه المسألة كما في معظم ما سواها..

ولكن شجعني عَلى ذلك أمران أيضاً:

أولهما: ضرورة توحيد صف أهل السّنّة والجماعة في الجِهَاد والمُقاوَمة. وضرورة أن تضع هذه المشكلة أوزارها بين المُجَاهدين والمقاومين عَلى الأقل.

و ثانيهما: أنّي وجدت وتعجبت من أن أحد أكابر العُلَماء المُجَاهدين قد توصل من قبل إلى ما تَوَصَّلت إليه بجهدي الضعيف منفردا، وكتب ذلك بصراحة ووضوح. ولا شَّكَّ أن له أقراناً من علماء هذا الزّمان ممن لم أطلع عَلى آرائهم، ذلك الرجل هو الشَّيْخ عبدالله عزام ﵀ وتقبله في الشّهداء.

وقبل أن أخلص إلى ذكر خُلاصة رأيي في نقاط موجزة، أنقل ما كتبه ﵀ اعترافاً بفضله وسبقه. وأسال الله أنه يلهمني الصواب ويتقبل مني حسن قصدي، بالرحمة والمغفرة، إنه سميع قريب كريم مجيب.

و خُلاصة رأي الشَّيْخ عبدالله عزام ﵀ في هذه المسألة يمكن إيجازه في نقطتين:

(١) - **أن الحقّ والصواب هو مذهب السَّلَف**. في إجراء آيات الآيات والصفات وأحاديثها عَلى ظاهرها مع نفي الكيفِيَّة والتشبيه والتفويض. ووصف الرب تبارك وتعالى بما وصف به نفسه دون تأويل أو

وصف أو تفسير. بل الفتوى بما في الكتاب والسنة والسكوت عما وراء ذلك. وهذا هو مذهب الصّحابة والسلف وقد أوضح الشَّيْخ عبدالله أنه عقيدته.

(٢) - أن أصحاب المذهب الثّاني الّذي دعي مذهب (الخلف)، أو (الأشعَريّة)، والّذي ذهب إلى تأويل الأسماء والصفات. هم من أهل السّنّة، ولا يُنفوا عن الانتماء لأهل السّنّة، **وأن مذهبهم فيما ذهبوا إليه من التَّأويل خطأ**. وقد خالفوا فيه (منهج أهل السّنّة) في هذه الأمور المحددة.

فهم من أهل السّنّة. ويُخطّؤون في هذه النقاط المحددة.

وقد فصل ذلك وعددا من المسائل العقدية الأخرى، في كتابه القيم (العَقِيْدَة وأثرها في بناء الجيل) في عدّة أمكنة. وخلاصة ذلك كما جاء في المجلد الأوّل الموسوعة الجامعة لتراثه والمسماة (موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن الشَّيْخ عبدالله عزام) كما يلي:

- في الصفحات (١١-١٢-١٣). أوضح تحت عنوان (شقاء البشرية اليَوْم بسبب تحريف العَقِيْدَة) الفارق بين التصوُّر العقدي والفلسفة وبين أثر تخوض العُلَماء في هذا الأمر وعودة أكابرهم عنه.

- في الصفحتين (٢١-٢٢) وتحت عنوان صفات الله عَزَّ وَجَلَّ. أوضح أقسام المذاهب العقدية. وبيّن رأي المشبهة والمجسمة ورفضه. كما بين رأي المعطلة والجهمية ورفضه ونقده. ثمّ بين مذهب السَّلَف واختار صوابه وصحته. ثمّ بين مذهب الخلف والأشاعرة. وبين خطأهم في التَّأويل والتفسير للأسماء والصفات، وبين أنه خطاء.

- وقرر في ص(٢٣) أنه الأشاعرة وأصحاب مذهب الخلف هم من أهل السّنّة (إلا في هذه الأمور). ولم يخرجهم بذلك عن أهل السّنّة. واعتذر لهم. وبين أسباب خطئهم، ثمّ استغفر لهم وترحم عليهم وبين تراجع كثير أكابرهم عنه رحمهم الله.

(وبحث الشَّيْخ موجز قيم أنصح بالإطلاع عليه)..

وهذا باختصار خُلاصة ما خرجت به من خلال دراستي لعدد من كتب العقائد، والإطلاع عَلَى بعض حجج هذين الفريقين.

وأختصر خُلاصة ما اهتديت إليه في مسألة العَقِيْدَة ومسألة المذهبية في النقاط التّالية:

ففي موضوع العَقِيْدَة:

(١) - أن مذهب السَّلَف في الاعتقاد الّذي أوضحناه آنفاً هو المذهب الصَّحِيح وبه أدين لله سُبحَانَهُ وتَعَالَى. وهم أهل السّنّة والجماعة والفرقة النَّاجِيَة إن شاء الله.

(٢) - أن مذهب (الأشاعرة) أو (مذهب الخلف)، قد جانب الصواب باتخاذه من التَّأويل والتفسير منهجا للأسماء والصفات. وبعدم إمرارها كما أمرها سلف الأُمّة.

ولكنهم لا يخرجون بذلك عن كونهم من أهل السّنّة والجماعة. وإنما يخطؤون فيما أخطؤوا به وحسب. تماما كما أخطأ كثير من علماء من ينتسبون إلى (مذهب السَّلَف) من علماء اليَوْم، ومالوا إلى مذهب المرجئة، ولاسيما في مسائل الحاكِمِيَّة. ولم يدّع أحد خروجهم من أهل السّنّة، كما يفعل بعضهم اليَوْم، ويدخلون النّاس ويخرجونهم من أهل السّنّة.

(٣) - أن من خرج عن معتقدات (أهل السّنّة والجماعة) من الفرق الكثيرة..كفرق الشّيعة والمرجئة والخوارج... وغيرهم من أهل لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله. هم (أمة الإِسْلَام)، و(أهل القبلة)، لا يكفرون بالعموم. ولا تُنفي عنهم صفة الإِسْلَام، ولا صفة أهل القبلة إلا وفق موازين وضوابط محددة عند أهل السّنّة الّتي بينها علماؤهم من تحقق شروط الكفر وانتفاء موانعه. وهو عمل جهابذة العُلَمَاء الّذين بلغوا مرتبة القضاء في العقائد والأديان. وليس عمل آحاد المُسلِمِين بله جهالهم وعوامهم. كما أنه ليس عمل من تفرغ للجِهَاد ودفع الصّائل، اللّهم إلا أن يكون من أهل العلم الّذين توفرت فيهم شروط الفتوى والقضاء.

(٤) - أن الطَّائِفَة المَنصُورَة هم أهل الاعتقاد والصَّحِيح، والعلم المنضبط، والجِهَاد والقتال لأعداء الإِسْلَام والمُسلِمِين. وهم صفوة الفرقة النَّاجِيَة أهل الاعتقاد الصَّحِيح، الّتي هيَ صفوة أهل السّنّة والجماعة، الّتي هيَ صفوة أهل الإِسْلَام الّذين هم عامة أهل القبلة.

وعلى هذا فهي الدّائرة المركزية الخاصّة. من تلك الدوائر المتسعة الشّاملة، وصولاً لجمع أهل القبلة. وهم كلّ من أعتقد أن لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله محمّداً رسول الله واستقبل قبلتنا.

هذا في مسألة العقائد..

أما في مسألة المذهبية ضمن أهل السّنّة والجماعة:

فخلاصة ما خلصت إليه كما يلي:

انقسم معظم النّاس اليَوْم حتَّى في أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة إلى ثلاثة فرقاء:

الفريق الأوّل:

وهم المتعصبون لفكرة المذهبية: ويرى هَؤُلَاءِ، أن عدم التزام المذهب مثلبة في الدّين ! ويتدرج التعصب لدى بعض هَؤُلَاءِ إلى حدود الغلو. حيث لا يحلون لرجل أن يعدل عن رأي من فروع آراء مذهبه إلى رأي آخر في أي مسألة من المسائل! بل وصل الغلو حدوداً عجيبة أحياناً، تظن معها أن القوم يتعاملون كما لو كانت المذاهب الأربعة (ضمن أهل السّنّة والجماعة) أدياناً أربعة بحد ذاتها. فوصل الحد لعدم الصّلاة في جماعة واحدة، ومنع التزاوج بين رجل وامرأة من مذهبين، ناهيك عن حالات الخصومة والشجار والتقاتل! وقد سجلت كتب التّاريخ أن هذا البلاء ما زال منذُ قديم الزّمان. وقد بدأت حدة هذا التعصب تخف، مع بقاءها في بعض بقاع بلاد المُسلِمِين. نسأل الله العافية وقد سمعت عن شيء من هذا في بلادنا. ولكني رأيت من ذلك في أفغانستان وباكستان عجباً عجابا..

الفريق الثّاني:

وهم المتعصبون ضدّ المذهبية: من بعض الّذين ينتسبون للتيار السلفي المعاصر، أو من يسمون أنفسهم أحياناً (أهل الحديث). وهَؤُلَاءِ يرون عدم المذهبية مطلقاً ويتدرج عندهم التعصب أيضاً ليصل إلى حدود عجيبة من نقد المذاهب. بل وحتى كبار أئمة المذاهب ونكران فضلهم. والتعدي عَلى حرمات بعضهم، وغيبتهم وانتقاصهم. في حين ينظرون إلى مَشَايخهم المعاصرين بعين التعظيم، ويرون فضل بعض المتأخرين من أئمتهم من بعض علماء (السّلفيّة) المعاصرين. أو أهل الحديث، أعظم من فضل أئمة المذاهب والعُلَماء عبر تاريخ الإِسْلَام ! في حين قد لا يصل في حقيقة الأمر علم أفضل هَؤُلَاءِ وتقواهم وسلوكهم، إلى عشر معشار فضل أقل أولئك الأئمة الأعلام من الأقدمين رحمهم الله تَعَالَى.

وعلى سبيل المثال فقد سمعت عن أحدهم يقول: (إن الإِمَام الشّافعي ليبكي في قبره عَلى ما فاته من دُروس ابن باز وابن عثيمين) !! فلك أن تتأمل !!

وقد وصلت العلة في هذه المدرسة أن اتخذوا من بعض الشعارات، مثل قولهم بـ (فقه الدليل) و(العودة للكتاب والسنة) و(هم رجال ونحن رجال).. إلى حد من الغلو والعوج أصبح يشكل خطراً

عَلى الدّين ذاته. ويجعل المرء يتحير ويترحم عَلى المتعصبين للمذاهب، الّذين غالوا في عصبيتهم ولكن كانَ لهم سلف وإمام يعتد به عَلى الأقل، وبالتالي ميزان يلزمه الحجة. رغم عدم إقرارنا لغلوهم أيضا.

الفريق الثّالث:

وهم المعتدلون من الفريقين الأولين. أعني المعتدلين من المذهبيين والسلفيين. وهم يكنون الاحترام لأئمة المذاهب الأربعة وأقرانهم من الأئمة المجتهدين. وأكثر هَؤُلَاءِ من العُلَماء وطلاب العلم وغالبتهم يأخذون بمذهب من المذاهب، مع أخذهم برأي مذهب آخر إن تبين لهم فيه رجحان الدليل. فهم لا يتعصبون لمذهب من جهة. ولا يفتحون البَاب لكل من هب ودب ليعتدي عَلى الشّريعة بدعوى العمل بدليل الكتاب والسنة. ويعتقدون أن الأصل في العوام التقليد، وفي طلاب العلم الإتباع، وفي الراسخين في العلم الاجتهاد والترجيح.

وأعتقد أن هذا هو المنهج الوسط. وأضيف إلى ذلك عدداً من النقاط للإيضاح، ولبيان وجهة نظري في المسألة والله المُستَعان وهو يهدى السبيل:

أولا: إن تراث المذاهب الأربعة الّتي تلقتها الأُمّة القرون تلو القرون بالرضا والقبول، تراث هائل وإرث حضاري علمي شَرعِيّ متكامل يحق لأمة الإِسْلَام أن تتيه به عَلى غيرها من الأمم فخراً وعزاً. وهذا لا ينكره وينكر فضل الأئمة الأربعة وكبار تلاميذهم وأئمة مذاهبهم ومقامهم وسعة علومهم، إلا مغرض يريد قطع الأُمّة عن جُذُورها. أو جاهل يهرف بما لا يعرف يردد أقاويل المغرضين.

ومجرد بعض الإطلاع عَلى مستوى تحصيل أولئك الأئمة من علوم الشّريعة الأساسيّة، وفقههم وثاقب نظرهم، وتقواهم في تحري الفتوى. والاجتهاد في تحصيل الحقّ وما كانوا عليه من الخُلق والديانة والصيانة. والبعد عن الدُّنيَا، وعن أبواب الحكّام. يعرف شيئاً من فضل الله عليهم وامتنانه عَلى الأُمّة بهم. ومن يطلع عَلى الشُّرُوط الصارمة الّتي كانت موضوعة للفتوى في ذلك الزّمان، مثل بعض ما ورد في كتاب (إعلام الموقعين عن ربّ العَالَمِيّن) لابن القيم. الّذي أورد فيه شروط كبار أئمة المذاهب للفتوى، من حفظ كتاب الله برواياته وإتقان علومه من التفسير، وأسباب النزول، والعلم بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وغير ذلك من علوم. وكذلك أن يعلم من علوم الحديث مثل ذلك، فيحفظ مئات آلاف الأحاديث بأسانيدها. ويعلم رواياتها وعللها وفقهها وشروحها ورواتها.. وكذلك

أن يلم بالسيرة والمغازي وبتاريخ الأئمة والخُلَفَاء والعُلَماء. وأن يحيط بآراء الفقهاء ومواطن الخلاف بين المذاهب دراسة ومقارنة، وأن يعلم لغة العَرَب ويحفظ من تراثها شعراً ونثراً.. وأن يكون مطلعا ومدركا لعلوم عصره، وإشكاليات أهل زمانه ومن سبقهم. ثمّ أن يكون مشهودا بالورع والتقوى، والحلم والعلم، والخلق والمروءة، والريادة والسيادة، والزهد في الدُّنيَا وطلب الآخرة بعلمه وعمله..

وأن لا يكون من المتهمين بالتردد عَلى أبواب السّلاطين ومحاباتهم، إلى آخر تلك الصفات. فمن يطلع عَلى مثل ذلك يعلم أن الأُمّة لم تقدم أولئك الأئمة لمنزلة الإتباع، ولم توقر تلامذتهم وحملة مذهبهم من بعدهم من فراغ وعن عبث.. ويدرك إن أي محاولة للمقارنة بين منزلة أولئك وبعض الأئمة من المتأخرين، مجرد مقارنة سخيفة لا تستند لعلمية ولا واقعية، مع الاحتفاظ بالاحترام والتقدير لعلم كلّ صاحب علم، وجهد كلّ صاحب جهد.

ثانيا: هناك من الأئمة الكبار المجتهدين الأعلام، مثل سفيان الثّوريّ، والأوزاعي، وابن مبارك، والشعبي، وسعيد بن جبير، وسواهم رحمهم الله. ممن عاشوا في ذلك الزّمان خلال القرن الثّاني والثّالث. من كانَ لهم تلك المنزلة كمجتهدين أصحاب مذاهب فقهيّة ومدارس في الاجتهاد. ولكن مذاهبهم لم تحفظ كتابة، ولم تتطور لمرحلة المدرسة، كما حصل للمذاهب الأربعة. فما وصل إلينا من أقوالهم واجتهاداتهم وأدلتهم عَلى ما ذهبوا إليه، فإن له نفس المنزلة العلمية لدى من لديه الأهلية من أهل العلم للبحث والاستنباط.

ثالثا: جاء من بعد أولئك الأئمة الأعلام خلال العصور العلمية الذهبية، وإلى القرن الثَّامن الهجريّ، جاء علماء أفذاذ بلغوا مراتب الاجتهاد. ولكن غالبيتهم السَّاحقَة اجتهدت عَلى أصول مذهب (من المذاهب الأربعة)، رغم أنه كانَ لهم بعض اختياراتهم الفقهيّة الّتي خالفوا بها المذاهب الأخرى أو حتَّى مذهبهم الخاص. وكل تلك الآراء والفتاوى أيضا تراث علمي، لا يقل منزلة عن غيره. ويعلم أهل العلم في كلّ زمان ومكان مكانة هذا التراث. وهم أدرى بالإفادة منه والرجوع إليه والصدور عنه.

رابعا: إن التزام عامة المُسلِمِين بالمذاهب الأربعة عبر العصور، كانَ له – إلى جانب ما يسوق البعض من سلبيات حصر الاجتهاد وإغلاق بابه – كانَ له إيجابية عظيمة يعرف قيمتها من يطلع عَلى حالة (الفلتان الفُقْهيّ)، الّتي حصلت خلال القرن الأخير نتيجة المطالبة غير المنضبطة، (يفتح باب

الاجتهاد) و(نبذ الالتزام بالمذاهب الأربعة) والعودة بالفقه والفتوى (بزعم مدرسة الدليل) إلى (اعتماد الكتاب والسنة مباشرة) والتشدق بشعار (هم رجال ونحن رجال) والقول بأن (المستجدات تقتضي فتح باب الاجتهاد عَلى مصراعيه).

فقد مثل التزام الأُمّة بالمذاهب الأربعة عموماً. وبسيادة أحد هذه المذاهب في كلّ مملكة من الممالك، أو بقعه من البقاع عَلى مستوى الأقاليم، أحد عوامل تماسك الأُمّة وتوحدها في آرائها الدّينيّة. وانعكاس ذلك عَلى التجانس والوحدة في باقي أمورها، عَلى صعيد الحكم والقضاء وفتاوى الدّين والدُّنيَا. حيث تقاسمت المذاهب الأربعة السّيطرة عَلى رقعة العالم الإِسْلَاميّ.

فمشرق المُسلِمِين من وسط الصين إلى تركستان ووسط آسيا إلى شبه القارة الهندية وباكستان وأفغانستان. بالإضافة إلى أكثرية المُسلِمِين في الإتحاد السُّوفيتيّ. وكذلك تركيا والعراق والشّام وأغلبية أهل السّنّة في إيران يسودهم مذهب الإِمَام أبي حنيفة النعمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وفي القفقاس غرب البحر الأسود وفي جنوب الشّام والأردن وفلسطين ولبنان وإلى مصر وأطراف اليمن وجَزِيرَة العَرَب، يسود مذهب الإِمَام الجليل محمّد بن إدريس الشّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى. كما ينتشر المذهب الشّافعي في جنوب وشرق آسيا وجزر إندونيسيا.

ويسود مذهب الإِمَام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى، والّذي عرف بمذهب (أهل المدينة)، وينتشر في شمال أفريقيا من ليبيا إلى تونس والجَزَائِر فالمغرب فموريتانيا. ومنها نزل إلى أواسط أفريقيا وكذلك ينتشر في عموم بلاد السُّودَان.

في حين انتشر مذهب الإِمَام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى في بلاد نجد والحجاز وعموم بلاد الحرمين. وتبعه أكثر أصحاب مذهب أهل الحديث حيث وجدوا.

وقد عاش أتباع المذاهب الثّلاثة مع المذهب السائد في كلّ منطقة بكل يسر وانسجام إجمالا. وكان لهم أئمتهم وعلماؤهم ومساجدهم ومراجعهم. وقد دُرِّست المذاهب الأربعة في مختلف المدارس الكبرى والحواضر العلمية عبر التّاريخ في مختلف عواصم الإِسْلَام. وسارت الأمور بطبيعيّة وإيجابية، رغم ما تخلل من إشكالات التعصب، ونزغات الشّيطان بالبشر بين حين وآخر، ودخول السّياسة عَلى دنيا العلم

والعُلَماء. ونزوع بعض العُلَماء إلى أبواب السّلاطين ليستقوا بهم عَلى التعصب للمذاهب والأشخاص والآراء. ولكن الأمور بقيت منضبطة وانعكست خيراً عَلى دين المُسلِمين ودنياهم..

خامسا: إن الدعاوى المعاصرة (لنبذ المذهبية) ولاسيما في القرن الأخير. بعد سقوط الخِلافَة وزوال مرجعية الأُمّة السّياسيّة بهذه الطَّريقة الّتي تبناها كثير من أوساط أهل الحديث وما يسمي بـ (التّيار السلفي) بهذه الطَّريقة الّتي حصلت وتحصل اليَوْم، قد جلب من الأضرار أضعاف ما جلب من المنافع. ومن ذلك:

- إن فرار هَؤُلَاءِ المزعوم من تفريق الأُمّة عَلى مذاهب أربعة، والسعي إلى توحيدها عَلى مذهب (الحقّ والدليل)، ومصدرين هما (الكتاب والسنة). جاء رغم الحقّ النَّظري الّذي يستند إليه، بنتيجة عكسية مرعبة، والواقع أكبر شاهد...
- فقد تصدر للفتوى بحسب هذه المدرسة علماء كثيرون. وحتى لو تجاوزنا عن المقارنة غير الممكنة بين مستواهم العلمي ومستوى الأئمة الأوائل. بل حتَّى مع المتأخرين من فطاحل أئمة المذاهب، وقبلنا أهلية هَؤُلَاءِ. لوجدنا أن الخرق قد أتسع عَلى الراقع. فهم اقتحموا مجال الاستنباط والاجتهاد من نفس الأدِلَّة الّتي عالجها أئمة المذاهب. وخرجوا إما بترجيحات بين تلك الآراء أو بآراء جديدة وفتاوى مختلفة. ولأن تعدد الفتاوى ناتج عن تعدد الأفهام والعقول واختلافها.. برز اليَوْم كثيرون هنا وهناك، كأئمة لمدرسة فقه الدليل، فلان أوعلان، وابن فلان، وأبو علان.. من هَؤُلَاءِ المشاهير اليَوْم في كلّ قطر ومملكة.. وهكذا تعدد الأئمة أكثر. وصار لكل إمام جديد تلاميذ وأتباع ومتعصبون. ووجدنا أنفسنا أمام متعصبين جدد لعشرات الأئمة، بدل أن كنا أمام الانقسام عَلى مذاهب أربعة.
- هذا ناهيك عن أن عمليَّة الترجيح بين المذاهب ذاتها افتقرت إلى العلمية. فمن المعلوم أن الحكم يجب أن يكون بمستوى من يحكم بينهم علمياً، أو أن يرجح عليهم علماً وفهماً حتَّى يحكم بالعلم والحق لرجحان هذا أو ذاك. ولكن الجميع مسلم بأن هذا غير متوفر للغالبية السَّاحقَة لعلماء هذا الزّمان. الّذي يقلون عن أولئك علماً وتقيً وفهماً وديناً. فأين الفوائد الّتي ارتجيت من حلّ إشكال التمذهب عَلى أربعة بالتمذهب عَلى العشرات والمئات.

- إن فتح باب العودة لدليل الكتاب والسنة لم تقف مصيبته عند ولادة عشرات الأئمة المعاصرين ومدارسهم وأتباعهم المتعصبين لهم فالمصيبة هنا هينة. إذ أنهم في الغالب علماء أو عَلى قدر كبير من العلم والمعرفة وضوابط الفتوى. ولكن منهج التّيار السلفي المعاصر فتح للجميع أن يمارس هذه المهمة. والمعروف السائد في معظم أوساط التّيار السلفي. أقول (معظم) وليس (كلّ)، هو تجرأ الكبير والصغير من طلاب العلم عَلى ذلك وعلى التصحيح والتضعيف والجرح والتعديل، مما ولد ظاهرة (الجرءاء عَلى النار)، وعلى الفتوى بلا عقل ولا دين..ولا خلق أحياناً. أنّنا بهذا إمام حالة (فلتان فقهي) كما سميتها وتشرذم علمي واجتماعي وديني. ولا أظن أن صاحب دين أو عقل يقر هذا المآل. أنّنا اليَوْم أمام مئات وقل آلاف وقل عشرات آلاف طلاب العلم المزعومين. ولاسيما في مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة وخاصة العربيَّة (حيث ما زال غلب الأعاجم يقرون بالاحترام لعلمائهم ومذاهبهم إلا في أوساط ظاهرة -أهل الحديث- وما أسمي بالسّلفيّة المعاصرة عندهم. فقد نقل العَرَب إليهم داءهم هذا باجتراء الكبير والصغير عَلى الفتوى. والعجيب أنّنا في القرن العِشرين والحادي والعشرين نقول أننا في زمان العلمية والواقعية واحترام الاختصاص. وإرجاع المسائل لأصحابها والعلوم لأربابها. ولكن هذا المذهب الجَدِيد متعدد المدارس والمراجع بشكل غير منضبط والّذي سمى أصحابه أنفسهم في كثير من الحالات (سلفية). ومعاذ الله أن تصح نسبته لسلف هذه الأُمّة وعلومهم وأخلاقهم وتدينهم وتقواهم وورعهم . إن هذا المذهب الفُقْهيّ المعاصر أقر وتعارف رواده من طلاب علم وجهلاء عَلى أن يتجرأ كائناً من كانَ عَلى فتح بطون كتب الشّريعة ليستخرج الأحكام. ووالله لدي قصص وشواهد تصل لحد الكارثة من خلال مواكبتي لهذه الصّحوة الإِسْلَاميّة عَلى مر ربع قرن ولاسيما بعض أتباعنا الأحداث من أتباع السّلفيّة الجهاديّة. الّذين آذوا مدرستنا ونفعوا العدوّ بجهلهم، ولكني أعرض عن ذكرها لتفاهة قصصها وخشية الإطالة. وإن الجاهل ليصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر.

ولكني أؤكد عَلى نقطة بالغة الخطورة والأهمّيّة وهي أن هذا البلاء المبين بَاطِلاق يد الحابل والنابل في دنيا الدّين والفتوى بزعم عدم التمذهب وفقه الدليل، والعودة للكتاب والسنة، وشعار (هم رجال ونحن رجال)، وغير ذلك مما يردده أغرار هذا التّيار ومن غرر بهم، قد كانَ له أثراً سيئاً عَلى مختلف وجوه

التدين ومرافق حياة الأُمّة، ولكنه لما وصل إلى أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة، والتّيار الجهاديّ الّذي أخذ (بالسّلفيّة الجهاديّة). وأكمل مناهجه عَلى يد قادة أفذاذ وعلماء مرموقين فيها في البداية. وصل اليَوْم بالظَّاهِرة لدى بعضهم إلى حد ينذر بالكارثة.

فلئن اجترأ المفتون الأغرار من الصغار هَؤُلَاءِ عَلى أمور الدّين العادية من عبادات ومعاملات ومواريث وسواها، فقصارى الضرر العائد عَلى النّاس هو بعض الأخطاء في العِبَادة أو ضياع لبعض الحقوق في المعاملات. ولكن ميدان الفتوى في الجِهَاد هو أخطر الأمور الخطيرة. إنه الحكم في خمسة أمور:

(١) - أديان النّاس وعقائدهم، وانتماءهم للإسلام أو الكفر، أو الرِّدَّة أو النِّفَاق، أو البِدَعة والفسوق..الخ

(٢) - الحكم في الدِّماء، واستباحة قتل من تجوز أو توجب الشّريعة قتله.

(٣) - الحكم في الأموال، وما يحل أخذه وما لا يحل.

(٤) - الحكم في الأعراض، وما يحل منها وما يحرم.

(٥) -الحكم في قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر وطرق إزالته، قولا وفعلا.

ولك أن تتخيل الكارثة إذن. لما وسد الأمر لغير أهله. وتنتظر السَّاعة الّتي ظهرت معظم أشرا طها الصغرى والوسطى. ومنها ما نحن بصدده، وما نشهده ونعانيه.

ولا أشك قيد أنملة في أن الجرم الأكبر في هٰذا، هو بسبب إعراض العُلَماء عن الجِهَاد. وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر. وترك ساحته للمخلصين من الشَّبَاب، الّذين يبرز فيهم من هو أهل ومن ليس أهلاً، للخوض فيما كانَ يجب أن يكون عمل ومسؤولية عقلاء الأُمّة وعلمائها وقادة صحوتها..

هذا ناهيك عن الدَّور القبيح الّذي يقوم به علماء السُّلطَان والفاسدون من قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة الّذين احترفوا الإرتزاق نفاقا للحكام، بل وللاستعمار الأمريكيّ الجَدِيد اليَوْم، مما له أكبر الأثر في الصد عن سبيل الله، وتجرئة الأحداث عَلى سد ثغرة عمل العُلَماء بلا أهلية، والله المُستَعان عَلى هذه النّوازل.

فبماذا تجيب شاباً تمنعه من الفتوى والجهد في طلب العلم والدليل لأنه غير أهل، إذا قَالَ لك من يفتيني إذاً ؟! سؤال صحيح مخز لأولئك ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ فالصّالحون من العُلَماء اليَوْم هم الساكتون المعتزلون. وأما شرارهم فابحث عنهم في أبواب السّلاطين. وموائد حوارات مكافحة الإِرهَاب والجِهَاد عَلى فضائِيَّات ومقاهي ندوات الإنترنيت ! وإلى الله المشتكى..

أنّنا نسير إلى عالم الهرج والفتن الّتي تضاهي بسوادها، سواد الليل ظلمة. ويتبع بعضها بعضاً كقطع الليل المظلم.. وهذه إحدى مظاهرها.

والشَّهَادة لله، فلقد شهدت بصحبة للتيار الجهاديّ في هذا المجال أعاجيب، بلغت في بعض التَّجَارب كتجربة الجِهَاد في الجَزَائِر أن تكون أهوالاً. مما شهدت بعضه بنفسي في لندن، أو سمعت به ممن شهده مما حصل في الجَزَائِر.فإلى الله المشتكى.

وها هو عالم ما بعد سِبتَمبر واحتلال العراق يفتتح بها يشيب له الولدان ويحتار معه الحكيم العاقل.

سادسا: نعم لقد استجدت آلاف المسائل المعاصرة في هذه العصور، مما لم يكن في زمان من قبلنا. وهي تحتاج إلى اجتهاد المجتهدين. ولكن من قَالَ أنه يلزم من ذلك نسف تراث المذاهب. وكيف سيجتهدون إذا لم يبنوا عَلى أصول مدارسها الشّامخة. ثمّ العجب العجاب من هذا التّيار السلفي المعاصر المزعوم، أنه لم يتصد لهذه الثغرة الشاغرة من الاجتهاد في فقه المستجدات والنّوازل. وإنها يعود للاجتهاد في مسائل العِبَادات وبعض المعاملات الّتي رصفت فيها رفوف المكتبة الإِسْلَاميّة بآلاف المجلدات والبحوث. وانظر في تراث وفتاوى أئمة السّلفيّة المعاصرين، وأين هيَ من أهمّ النّوازل مسائل السّياسة والحكم والأنظمة القائمة، وفتاوى دفع الصّائل. ومسائل الإقتصاد السّياسيّ المعاصر، والمسائل العلمية الجَدِيدة...الخ. هنالك لا تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا.

وأذكر ذات مرّة أن أحد طلاب العلم المُجَاهدين رحمه الله وهو من بلاد الحرمين وأظنه استشهد في (مذبحة قلعة جانغي) في مزار شريف في معارك سقوط إمارة أفغانستان، انفجر مرّة أمامي. وقال لي: لقد جربت طلب العلم في المدينة وسواها مرات، وحصلت في ذلك علماً. ولكني رأيت أن أكثر علمائنا قد دخل في دروسه الحمّام وما خرج منها..)، يقصد الإعادة والتكرار في فقه الطهارة وأحكامها والإعادة والزيادة فيها وحولها). ولِمن يستنكر، أن يحصي الدُّروس العلمية هناك، ويتابع بَرَامج الفتاوى والدُّروس

الشَّرعيَّة عَلى الفضائِيَّات، في بلاد الحرمين، وفي سواها من البلدان وينظر فيها كتباً وأشرطة وفي مواضيعها..

نعم أنّنا بحاجة للاجتهاد المعاصر، وبحاجة لفتح باب الاجتهاد. ولكن ممن قِبل منْ ؟ وفي ماذا ؟ وكيف؟ فليجيبنا أرباب العلم والسماحة والشعائر الدّينيّة في هذا الزّمان عن ذلك !

والخلاصة الّتي خرجت فيها من هذه المسألة ألخصها في نقاط صغيرة موجزة.

فالنّاس كما ذكر ذلك أهل العلم، في مسألة اتباع المذاهب أو الاجتهاد ثلاثة أصناف:

مجتهد: استكمل شروط الاجتهاد وأهلية العلم والفهم. فلهذا إنه يجتهد ويستنبط ويفتي بالدليل.. وما أراهم في زماننا هذا رغم من يزعم غير ذلك إلا أندر من النادر.

متبع: لمجتهد قادر عَلى تميز الأدِلَّة. ولهذا أن يسعى بفهمه أنه يتبع ما تبين له فيه دليل منسوب لإمام ذي قدر معروف.

عامي جاهل بقواعد الدّين: هو عَلى رأي مفتية مجتهداً إن كانَ مجتهداً أو متبعاً ينقل له فتوى واجتهاد مجتهد.

فالخير للأمة - بحسب ما أعتقد - في أن تعود لمنهج السَّلَف في المعتقد. وأن تلتزم فقه المذاهب الأربعة، وفقه علماء هذه الأُمّة السابقين الّذين شهدت لهم الأُمّة بالرسوخ في العلم والتقى والصلاح. وعملياً.. أنصح الشَّبَاب وطلاب العلم بعد نصيحتهم باعتقاد مذهب أهل السّنّة والجماعة في الاعتقاد. وهو اعتقاد الفرق النَّاجِيَة ومذهب الصّحابة والتَّابعين والأئمة الأربعة وسواهم من أعلام هذه الأُمّة.

كما أنصحهم بأن يتفقهوا عَلى مذهب من المذاهب يختارونه. وأنصحهم ولا سيما شباب الصّحوة والجِهَاد بأن يتفقهوا عَلى أحد المذاهب السائدة في مكان إقامتهم ودعوتهم وعملهم وجِهَادهم. حتَّى لا يحول شذوذهم عما ألف النّاس من الفقه والأحكام بينهم وبين النّاس. فإن اختاروا مذهباً غير المذهب السائد في مكان عيشهم. فلا أقل من الدّراسة والتفقه للمذهب السائد أيضاً ليعاملوا النّاس بما ألفوه. ويأخذوا بأيديهم بالحسنى والرحمة والموعظة الحسنة.

فإذا ما قيض التوفيق والنجاح لبعضهم وفتح عليه بالعلم. فليبدأ بالتخصص كطالب علم. فيترقى في دراسة المذاهب الأربعة. ثمّ يسير صعداً لعلّ الله ينعم عَلى هذه الأُمّة بالمجتهدين الأثبات في زمان الفتن هٰذا. وهذا القصد ؛ طلب العلم. يحتاج السنين الطوال والدأب والظروف المناسبة.

وأعيد اختصار خُلاصة رأيي كنصيحة لمن أخذ بها في كلمتين:

أنا مع دعوة الأُمّة لعَقِيْدَة السَّلَف، وإعذارواحترام من أخذ بمنهج الخلف، والتأدب بأدب الخلاف معهم واعتبارهم من أهل السّنّة. وأن أخطاءهم مردودة ولا تخرجهم من أهل السّنّة.

وانا مع أتباع أحد المذاهب الأربعة. فأنا مع المذهبية المعتدلة الّتي لا تتعصب للمذهب. وتتبع ما تبين لأهل العلم فيه الدليل الثَّابِت ولو من مذهب آخر من مذاهب أئمة أهل السّنّة بغية الحقّ، ولاسيما للضرورة والمصلحة الظَّاهِرة. لا بغية الترخص والتساهل. والله الموفق.

عاشرا: مسالة (التَّكفِير)، أحكام التَّكفِير العامّة، وقضية تكفير المعين:

الحقيقة أَنّي تفكرت مليا قبل أن أضمن هذه المسألة ضمن مسائل المنهج، وذلك لأنها مسألة شائكة ولا يمكن تغطيتها بإحكام إلا بالتفصيل والإفاضة، وهو مالا يحتمله الكتاب. ولكن لخطورة ما تفشى في أوساط بعض الجهاديّين من إشكالات وشطط في بعض الأحيان في هذه المسألة، حيث توسع البعض في التَّكفِير. ولخطورة الظَّاهِرة المعاكسة الّتي تفشت في أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة وأوساط علماء المُسلِمِين وهو الإرجاء المفرط ولاسيما الإرجاء السّياسيّ، فرارا من التَّكفِير، لهاتين المصيبتين رأيت أن أعرض للمسألة. لأنها مسألة من صميم مسائل العَقِيْدَة القتالية، ومن مسائل دائرة الصِّرَاع عندما يتعلق الأمر بقطعان كبيرة من البشر تدعي الإِسْلَام ثمّ تحمل علينا السّلاح وتقاتلنا مع الجُيُوش الكافرة، وتدعي الإِسْلَام ثمّ تحارب بكل وسيلة من يريد أن تحيا الأُمّة وفق مقتضاه..

ولقد وجدت فيما فصله شارح العَقِيْدَة الطحاوية – رَحِمَهُ اللهُ – إيجازا كافيا واضِحاً يشتمل عَلى القواعد الأساسيّة في هذه المسألة الخطيرة. وكتابه رَحِمَهُ اللهُ منتشر مشهور وهو من الكتب الّتي كتب الله لها القبول في جمهور الأُمّة عبر القرون ولاسيما في أيّامنا هذه وفي مختلف أوساط الصّحوة.

قَالَ الإِمَام ابن أبي العز الحنفي في شرح العَقِيْدَة الطحاوية: [**قوله ونسمى أهل قبلتنا مُسلِمِين مؤمنين ماداموا بما جاء به النبيّ ﷺ معترفين وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين**].

(شرح) قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ المُسْلِمُ له ما لنا وعليه ما علينا**»(١) ويشير الشَّيْخ رحمه الله بهذا الكلام الى أن الإِسْلَام والإيمان واحد. وأن المسلم لا يخرج من الإِسْلَام بارتكاب الذنب ما لم يستحله. والمراد بقوله أهل قبلتنا من يدعي الإِسْلَام ويستقبل الكعبة، **وإن كانَ من أهل الأهواء أو من أهل المعاصي ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرَّسُول ﷺ**.

وسيأتي الكلام عَلى هذين المعنيين عند قول الشَّيْخ ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله. وعند قوله والإِسْلَام والإيمان واحد وأهله في أصله سواء.

قوله: [ولا نخوض في الله ولا نماري في دين الله].

(ش) يشير الشَّيْخ رحمه الله الى الكف عن كلام المتكلمين البَاطِل وذم علمهم فإنهم يتكلمون في الإله بغير علم وغير سلطان أتاهم. إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربّهم الهدى. وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه قَالَ: (لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه).

قوله: [ولا نجادل في القرآن ونشهد أنه كلام ربّ العَالَمِيّن نزل به الرّوح الأمين عَلى سيد المرسلين محمّد وهو كلام الله تَعَالَى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المُسلِمِين].

(ش) فقوله ولا نجادل في القرآن: يحتمل أنه أراد أنا لا نقول فيه كما قَالَ أهل الزيع واختلفوا وجادلوا بالبَاطِل ليدحضوا به الحقّ بل نقول إنه كلام ربّ العَالَمِيّن نزل به الرّوح الأمين...إلى آخر كلامه.

والله تَعَالَى قد أمرنا أن لا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هيَ أحسن إلا الّذين ظلموا منهم فكيف بمناظرة أهل القبلة فإن أهل القبلة من حيث الجملة خير من أهل الكتاب فلا يجوز أن يناظر من لم يظلم منهم إلا بالتي هيَ أحسن وليس إذا أخطأ يقال إنه كافر بل أن تقام عليه الحجة الّتي حكم الرَّسُول بكفر من تركها والله تَعَالَى قد عفا لهذه الأُمّة عن الخطأ والنسيان ولهذا ذم السَّلَف أهل الأهواء وذكروا أن آخر أمرهم السّيف.

---

(١) أصله عند البخاري (٣٩١) بلفظ: «.. فَذَلِكَ المُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ الله وَذِمَّةُ رَسُولِهِ»

وسيأتي لهذا المعنى زيادة بيان إن شاء الله تَعَالَى عند قول الشَّيْخ ونرى الجماعة حقا وصوابا والفرقة زيغا وعذابا..

قوله: [ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله]

(شرح:) أراد بأهل القبلة الّذين تقدم ذكرهم في قوله ونسمي أهل قبلتنا مُسلِمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبيّ معترفين وله بكل ما قَالَ وأخبر مصدقين. يشير الشَّيْخ رحمه الله بهذا الكلام الى الردّ عَلى الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب.

واعلم رحمك الله وإيانا أن باب التَّكفِير وعدم التَّكفِير باب عظمت الفتنة والمحنة فيه وكثر فيه الافتراق وتشتتت فيه الأهواء والآراء وتعارضت فيه دلائلهم. فالنّاس فيه في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة المخالفة للحق الّذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر أو المخالفة لذلك في اعتقادهم عَلى طرفين ووسط من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العمليّة. فطائفة تقول لا نكفر من أهل القبلة أحدا فتنفي التَّكفِير نفيا عاماً. مع العلم بأن في أهل القبلة المُنَافِقين الّذين فيهم من هو أكفر من اليَهُوْد والنّصَارى بالكتاب والسنة والإجماع. وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم وهم يتظاهرون بالشهادتين. وأيضا فلا خلاف بين المُسلِمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظَّاهِرة المتواترة والمحرمات الظَّاهِرة المتواترة ونحو ذلك فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا. والنِّفَاق والردة مظنتها البِدَع والفجور كما ذكره الخلاّل في كتاب السنة بسنده إلى محمّد بن سيرين أنه قَالَ: (إن أسرع النّاس ردة أهل الأهواء) وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]. ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر أحدا بذنب بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب، كما تفعله الخوارج. وفرق بين النفي العام ونفي العموم. والواجب إنما هو نفي العموم. مناقضة لقول الخوارج الّذين يكفرون بكل ذنب. ولهذا والله أعلم قيده الشَّيْخ رحمه الله بقوله: (ما لم يستحله) وفي قوله ما لم يستحله إشارةإلى أن مراده من هذا النفي العام لكل ذنب من الذّنوب العمليّة لا العلمية، وفيه إشكال فإن الشارع لم يكتف من المكلف في العمليَّات بمجرد العمل دون العلم

ولا في العلميات بمجرد العلم دون العمل. وليس العمل مقصورا عَلى عمل الجوارح بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح وأعمال الجوارح تبع إلا أن يضمن قوله يستحله بمعنى يعتقده أو نحو ذلك.

وقوله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله إلى آخر كلامه... رد عَلى المرجئة ؛ فإنهم يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة. فهَؤُلَاءِ في طرف والخوارج في طرف. فإنهم يقولون نكفر المسلم بكل ذنب أو بكل ذنب كبير. وكذلك المعتزلة الّذين يقولون يحبط إيمانه كله بالكبيرة فلا يبقى معه شيء من الإيمان. لكن الخوارج يقولون يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر. والمعتزلة يقولون يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين. وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار. وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال لكن في الاعتقادات البِدَعية وإن كانَ صاحبها متأولا. فيقولون يكفر كلّ من قَالَ هذا القول لا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره، أو يقولون يكفر كلّ مبتدع وهَؤُلَاءِ يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمور عظيمة. فإن النّصوص المتواترة قد دلت عَلى أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان. ونصوص الوعد الّتي يحتج بها هَؤُلَاءِ تعارض نصوص الوعيد الّتي يحتج بها أولئك.

والكلام في الوعيد مبسوط في موضعه وسيأتي بعضه عند الكلام عَلى قول الشَّيْخ وأهل الكبائر في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون. والمقصود هنا أن البِدَع هيَ من هذا الجنس فإن الرجل يكون مؤمنا باطنا وظاهرا لكن تأول تأويلا أخطأ فيه، إما مجتهدا وإما مفرطا مذنبا. فلا يقال إن إيمانه حبط لمجرد ذلك، إلا أن يدل عَلى ذلك دليل شَرعِيّ. بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة.

ولا نقول لا يكفر، بل العدل هو الوسط وهو أن الأقوال البَاطِلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرَّسُول أو إثبات ما نفاه أو الأمر بما نهى عنه أو النهي عما أمر به يقال فيها الحقّ ويثبت لها الوعيد الّذي دلت عليه النّصوص ويبين أنها كفر. ويقال من قالها فهو كافر. ونحو ذلك كما يذكر من الوعيد في الظُّلم في النّفس والأموال. وكما قد قَالَ كثير من أهل السّنّة المشاهير بتكفير من قَالَ بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى في الآخرة، ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها... وعن أبي يوسف رحمه الله أنه قَالَ ناظرت أبا حنيفة رحمه الله مدّة حتَّى اتفق رأيي ورأيه أن من قَالَ بخلق القرآن فهو كافر.

وأما الشخص المعين إذا قيل هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشَّهَادة. فإنه من أعظم البغي أن يشهد عَلى معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار فإن هذا حكم الكافر بعد الموت.

ولهذا ذكر أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب النهي عن البغي وذكر فيه عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كانَ رَجُلان في بني إسرائيلَ مُتواخيَين، فكان أحدُهما يُذنبُ والآخرُ مجتهدٌ في العبادة، فكان لا يزالُ المجتهدُ يرى الأخرَ على الذنب، فيقول: أَقصِرْ، فوَجَدَه يوماً على ذنبٍ، فقال له: أَقصِرْ، فقال: خلِّني وربِّي، أَبُعِثتَ عليَّ رقيباً؟ فقال: واللهِ لا يَغفِرُ اللهُ لكَ -أو لا يُدْخِلُكَ اللهُ الجنةَ- فقَبَضَ أرواحَهُما، فاجتمعَا عند ربِّ العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكُنتَ بي عالماً؟ أو كنتَ على ما في يدي قادِراً؟ وقال للمُذنِب: اذهَبْ فادخُلِ الجنةَ برحمتي، وقال للآخر: اذهبُوا به إلى النار" قال أبو هريرة: والذي نفسِي بيدِه لتكلَّمَ بكلمةٍ أوبَقَت دُنياه وآخِرَتَه»[1] وهو حديث حسن.

ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدا مخطئا مغفورا له. ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النّصوص. ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر للذي قَالَ إذا مت فاسحقوني ثمّ اذروني ثمّ غفر الله له لخشيته وكان يظن أن الله لا يقدر عَلى جمعه وإعادته أو شك في ذلك. لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدُّنيَا لمنع بدعته وأن نستتيبه فإن تاب وإلا قتلناه.

ثمّ إذا كانَ القول في نفسه كفرا قيل إنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقا زنديقا.

فلا يتصوُّر أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإِسْلَام إلا من يكون منافقا زنديقا. وكتاب الله يبين ذلك فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف صنف كفار من المشركين ومن أهل الكتاب، وهم الّذين لا يقرون بالشهادتين. وصنف المُؤمِنُون باطنا وظاهرا. وصنف أقروا به ظاهرا لا باطنا. وهذه الأقسام

(١) رواه أبو داود (٤٩٠١) وأحمد (٨٢٩٢، ٨٧٤٩) وصححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

الثّلاثة مذكورة في أول سورة البقرة وكل من ثبت أنه كافر في نفس الأمر وكان مقرا بالشهادتين فإنه لا يكون إلا زنديقا والزنديق هو المنافق.

وهنا يظهر غلط الطّرفين. فإنه من كفر كلّ من قَالَ القول المبتدع في الباطن، يلزمه أن يكفر أقواما ليسوا في الباطن منافقين، بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله. وإن كانوا مذنبين كما ثبت في صحيح البُخَارِيّ عن أسلم مولى عمر ﷺ عن عمر: **أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الله، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ الله ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللهمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَالله مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»**(١).

وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدّين وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشّيعة أو الخوارج ولكن الأئمة في العلم والدّين لا يكونون قائمين بجملة تلك البِدَعة بل بفرع منها. ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السَّلَف المشاهير. **فمن عيوب أهل البِدَع تكفير بعضهم بعضا ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون.**

ولكن بقي هنا إشكال يرد عَلى كلام الشَّيْخ ﷺ وهو أن الشارع قد سمى بعض الذّنوب كفرا. قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٤٤﴾ [المائدة]. وقال رسول الله ﷺ: «سبَابُ المسْلم فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»(٢) متفقٌ عليه. من حديث ابن مسعود ﷺ. وقال: «لا ترجِعُوا بَعدِي كُفارًا يَضرِبُ بَعضُكُم رِقَابَ بَعْضٍ»(٣). و«إذا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِر فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُما»(٤) متفق عليهما من حديث ابن عمرو ﷺ. وقال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا

---

(١) رواه البخاري (٦٧٨٠).

(٢) رواه البخاري (٦٠٤٤، ٧٠٧٦) ومسلم (٦٤).

(٣) رواه البخاري (٤٤٠٥، ٦٨٦٩، ٧٠٨٠) ومسلم (٦٥).

(٤) رواه البخاري (٦١٠٣) ومسلم (٦٠).

خَاصَمَ فَجَرَ»[١] متفق عليه من حديث عبدالله بن عمر ﵄. وقال: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ»[٢]. وقال: «بينَ المسْلِمِ وَبَيْنَ الكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ»[٣] رواه مسلم عن جابر ﵁. وقال: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ.... أَوْ أَتَى امْرَأَته من دُبُرِهَا فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»[٤]. وقال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَد كَفَرَ»[٥] رواه الحاكم بهذا اللفظ. وقال: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ»[٦]. ونظائر ذلك كثيرة.

والجواب أن أهل السّنّة متفقون كلهم عَلى أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج إذ لو كفر كفرا ينقل عن الملة لكان مرتدا يقتل عَلى كلّ حال ولا يقبل عفو ولي القصاص ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضَّرورة من دين الإِسْلَام.

ومتفقون عَلى أنه لا يخرج من الإيمان والإِسْلَام ولا يدخل في الكفر ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة، فإن قولهم بَاطِل أيضا. إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من الْمُؤمِنِين قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] فلم يخرج القاتل من الّذين آمنوا وجعله أخا لولي القصاص. والمراد أخوة الدّين بلا ريب. وقال تعَالَى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ

---

(١) رواه البخاري (٣٤، ٢٤٥٩، ٣١٧٨) ومسلم (٥٨).

(٢) رواه البخاري (٦٨١٠) و مسلم (٥٧).

(٣) رواه مسلم (٨٢) وأصحاب السنن.

(٤) رواه مجتمعا أو طرفا منه : أبوداود (٢١٦٢، ٣٩٠٤) وابن ماجه (٦٣٩، ١٩٢٣) وأحمد (٧٦٨٤، ٨٥٣٢، ٩٢٩٠، ٩٧٣٣ ....) وصححه الألباني : (مشكاة المصابيح ٤٥٩٩)

(٥) رواه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) وأحمد (٤٩٠٤، ٥٣٤٦ ....) وصححه الألباني.

(٦) رواه مسلم (٦٧).

﴿أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات]. ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل عَلى أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل بل يقام عليه الحد فدل عَلى أنه ليس بمرتد، وقد ثبت في الصَّحِيح عن النبيّ أنه قَالَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ» (١) فثبت أن الظَّالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه. وكذلك ثبت في الصَّحِيح عن النبيّ أنه قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» (٢) رواه مسلم. وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] فدل ذلك عَلى أنه في حال الإساءة يعمل حسنات تمحو سيئاته وهذا مبسوط في موضعه. والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة فإنهم وافقوهم عَلى أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لكن قالت الخوارج نسميه كافرا وقالت المعتزلة نسميه فاسقا فالخلاف بينهم لفظي فقط. وأهل السّنّة أيضا متفقون عَلى أنه يستحق الوعيد المرتب عَلى ذلك الذنب كما وردت به النّصوص، لا كما يقوله المرجئة من انه لا يضر مع الإيمان ذنب ولا ينفع مع الكفر طاعة. وإذا اجتمعت نصوص الوعد الّتي استدلت بها المرجئة ونصوص الوعيد الّتي استدلت بها الخوارج والمعتزلة تبين لك فساد القولين. ولا فائدة في كلام هَؤُلَاءِ سوى أنك تستفيد من كلام كلّ طائفة فساد مذهب الطَّائِفَة الأخرى.

ثمّ بعد هذا الاتفاق تبين أن أهل السّنّة اختلفوا خلافا لفظيا لا يترتب عليه فساد، وهو أنه هل يكون الكفر عَلى مراتب كفرا دون كفر كما اختلفوا هل يكون الإيمان عَلى مراتب إيمانا دون إيمان، وهذا الاختلاف نشا من اختلافهم في مسمّى الإيمان هل هو قول وعمل يزيد وينقص أم لا بعد اتفاقهم عَلى أن من سماه الله تَعَالَى ورسوله كافرا نسميه كافرا إذ من الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل

(١) رواه البخاري (٢٤٤٩).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨١).

الله كافرا، ويسمي رسوله من تقدم ذكره كافرا ولا نطلق عليهما اسم الكفر، ولكن من قَالَ إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص قَالَ: هو كفر عملي لا اعتقادي. والكفر عنده عَلى مراتب كفر دون كفر، كالإيمان عنده. ومن قَالَ إن الإيمان هو التّصَدّيق ولا يدخل العمل في مسمّى الإيمان، والكفر هو الجحود ولا يزيدان ولا ينقصان. قَالَ هو كفر مجازي غير حقيقي. إذ الكفر الحقيقي هو الّذي ينقل عن الملة وكذلك يقول في تسمية بعض الأعمال بالإيمان كقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي صلاتكم الى بيت المَقْدِس أنها سميت إيمانا مجازا لتوقف صحتها عن الإيمان أو لدلالتها عَلى الإيمان إذ هيَ دالة عَلى كون مؤديها مؤمنا. ولهذا يحكم بإسلام الكافر إذا صلى صلاتنا. فليس بين فُقَهَاء الأُمّة نزاع في أصحاب الذّنوب إذا كانوا مقرين باطنا وظاهرا بما جاء به الرَّسُول وما تواتر عنهم أنهم من أهل الوعيد. ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار كالخوارج والمعتزلة. ولكن أردأ ما في ذلك التعصب عَلى من يضادهم وإلزامه لمن يخالف قوله بما لا يلزمه والتشنيع عليه.

وإذا كنا مأمورين بالعدل في مجادلة الكافرين وأن يجادلوا بالتي هيَ أحسن فكيف لا يعدل بعضنا عَلى بعض في مثل هذا الخلاف. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨]

وهنا أمر يجب أن يتفطن له وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة ويكون كفرا إما مجازيا وإما كفرا أصغر عَلى القولين المذكورين وذلك بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر. وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة. فهذا عاص ويسمى كافرا كفرا مجازيا او كفرا أصغر وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطىء له أجر عَلى اجتهاده وخطؤه مغفور.

وأراد الشَّيْخ رَحِمَهُ اللهُ بقوله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله مخالفة المرجئة وشبهتهم كانت قد وقعت لبعض الأولين فاتفق الصّحابة عَلى قتلهم إن لم يتوبوا من ذلك فإن قدامة بن عبدالله شرب الخمر بعد تحريمها هو وطائفة وتأولوا قوله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [المائدة: ٩٣] فلما ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، اتفق هو وعلي بن أبي طالب

وسائر الصّحابة عَلى أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا، وإن أصروا عَلى استحلالها قتلوا. وقال عمر لقدامة أخطأت إستك الحفرة أما إنك لو اتقيت وآمنت وعملت الصّالحات لم تشرب الخمر وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرم الخمر وكان تحريمها بعد وقعة أحد قَالَ بعض الصّحابة فكيف بأصحابنا الّذين ماتوا وهم يشربون الخمر، فأنزل الله هذه الآية يبين فيها أن من طعم الشيء في الحال الّتي لم يحرم فيها فلا جناح عليه إذا كانَ من المُؤمِنِين المتقين المصلحين كما كانَ من أمر استقبال بيت المَقْدِس ثمّ إن أولئك الّذين فعلوا ذلك يذمون عَلى أنهم أخطوا وآيسوا من التوبة فكتب عمر الى قدامة يقول له:[﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾[غافر] ما أدري أي ذنبيك أعظم استحلالك المحرم أولاً أم يأسك من رحمة الله ثانيا. وهذا الّذي اتفق عليه الصّحابة هو متفق عليه بين أئمة الإِسْلَام] أهـ.

انتهى كلامه رحمه الله. وفيه من البيان ما يغني عن الشرح والتوضيح.

وأختم الفقرة بما قاله حجة الإِسْلَام الإِمَام أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتابه (التفرقة بين الإيمان والزندقة) قَالَ: (**الّذي ينبغي ؛ الاحتراز عن التّكفير ما وجد إلى ذلك سبيلاً، فإن استباحة دماء المصلين المقرين بالتّوحيد خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم لمسلم واحد**). والله تَعَالَى أعلم.

أنقل هذا ليستزيد المُجَاهدون وطلاب العلم منهم في هذا الأمر حيطة لدينهم وألسنتهم، في الحكم عَلى أديان النّاس ولاسيما عوام المُسلِمِين. لا لتكون حجة للمرجئة وغلاة أذنابهم في زماننا، قاتلهم الله. ففي رسائل كتابي هذا ما يكفي للدلالة عَلى حضي عَلى جِهَاد الكفّار الغُزَاة وأذنابهم من المرتدّين وجنودهم وأعوانهم بالسيف والسنان وعلى تكفير من شرع وحكم بغير ما أنزل الله، وكذلك تكفير من أعان الكافرين وظاهرهم عَلى المُسلِمِين من الحكّام المرتدّين أو من فعل ذلك من جنودهم وعساكرهم. ومثلهم أيضا أئمة الكفر من العلمانيين الطاعنين في دين الله. وكذلك حضي عَلى عدم الغفلة عن جِهَاد علمائهم ووسائل إعلامهم وبَرَامج حرب الأفكار الّتي اخترعوها بالحجة والبيان.

وأنصح المُجَاهدين ختاما بأن يتركوا الخوض في هذه المسائل للعلماء وطلاب العلم القادرين عَلى الخوض في خضمها الصعب، وينصرفوا إلى قتال أعداء الله تطبيقا لما استيقنوه من هذه الفريضة المتعينة عَلى كلّ مسلم اليَوْم.

وفي ختام هذا البَاب أؤكد عَلى أن العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة، وما يتفرع عنها من العَقِيْدَة الجهاديّة.. أساس كلّ حركة وسلوك لدى المؤمن المُجَاهد. وبقدروضوحها في قلب المؤمن وعقله يكون مستوى سلوكه في هذه الحياة ومواقفه مما يعترضه فيها.

إن آثاروضوح هذه العَقِيْدَة ووجودها ورسوخها لا تخفى. ولها بالغ الأثرفي إيجاد المؤمن الصّالح الخلوق. والمُجَاهد العقائدي الثَّابِت بفضل الله. كما أن آثارزوالها وتشوهها لا تخفى. ولها بالغ الأثرفي تدرج النّاس في دركات الفسوق والضلال والضّعف والهوان كما نعيشه ونلمسه اليَوْم بكل وضوح. ومن هنا البداية. ورحم الله من قَالَ: لن يصلح آخر الأُمّة إلا بما صلح به أولها.

الفصل الثامن

الباب الثاني

(أسس النَّظريَّة السّياسيّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلاميّة العَالَمِيّة)

إذا أردنا أن نقيم نظريتنا السّياسيّة بناءا عَلى دراسة أوجه القصور أو الفشل، في الطروحات السّياسيّة للتجارب الجهاديّة السَّابقة، سنجد للأسف أن معظم التَّجَارب الجهاديّة لم يكن لديها نظَريَّات سياسيّة مفصلة، ولا موجزة في بعض التَّجَارب وللأسف، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الفارق بين الهدف السّياسيّ الرَّئيسي للتنظيمات الجهاديّة (وهو إسقاط الأنظمة القائمة وإقامة نظام إسلامي) وبين الهدف من دعوة المُقاوَمة وهو (دفع صائل المحتل الغازي ومن يعاونه)، ولذلك ندخل في تحديد معالم نظريتنا السّياسيّة مباشرة، دون التعرض لأوجه قصور التَّجَارب السَّابقة، والله الموفق.

أولاً: مدخل ومبادئ عامة

قبل الدخول في الحديث عن النَّظريَّة السّياسيّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، من المفيد أن نعرض لجملة من التعريفات والمفاهيم السّياسيّة، مما يساعد عَلى فهم نظريتنا والأسس الّتي بنيت عليها.

(١) - مكانة السّياسيّة الشَّرعيَّة:

السّياسة علم وفن وجد منذُ وجد البشر، وقد تطورت منذُ قديم الزّمان، إلى أن وصلنا إلى هذه العصور الحديثة الّتي أصبح مدار حركة البشر ومصالحهم عليها وعلى تعلقاتها، والسّياسة لدي غير المُسلِمين تختلف عنها كما هيَ عندنا، ومن أوجز التعبير الّتي وجدتها تعلق عَلى حقيقتها عندهم، ما قاله (مونتغمري) القائد العسكريّ الإنكليزي الشهير في الحَرب العَالَمِيّة الثّانية، عندما قَالَ:

(**الحَرب عمل قذر.. وأما السّياسة فيا الله !**).. ويكفي أنهم أقاموها عَلى قولهم..

(**ليس في السّياسة علاقات دائمة.. ليس في السّياسة مبادئ دائمة.. في السّياسة مصالح دائمة..**).

وقد أصبح مدار السّياسة اليَوْم، مع سيطرة قوى الكفر والظُّلم والطّغيان في العالم الكافر، وكذلك في عالمنا المسمى مجازاً (إسلامي) عَلى حد سواء، عَلى الأسس (**الميكافيلية**)، الّتي تهدم أمام المصالح والأغراض والأهواء كلّ دين وخلق ومبدأ، حيث لا يعتبر نكث العهود، وتغير المواقف ونقض المبادئ، وهتك أساسِيَّات الأخلاق عيباً، لأنه صار عرفاً متعارفاً عليه.

ولكن السّياسة لدينا نحن المُسلِمِين شيء آخر، مثلها مثل كافّة أوجه نشاط الإنسان عَلى هذه البسيطة، فهي محكومة بأحكام شرعيّة، وداخلة في قوله تَعَالَى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] ومن هنا اصطلح عَلى أصولها وعلومها وما يتعلق بها عند المُسلِمِين ؛ مصطلح (**السّياسة الشَّرعيَّة**).

وقد احتل هذا العلم بين علوم الشّريعة مكانة مرموقة، وألفت فيه الكتب منذُ صدر الإِسْلَام، وقد تناول قواعده العُلَماء بأقوال تجدها مبثوثةً في مختلف كتبهم مفرقةً بين علوم أُخرى كما هو دأب الأقدمين، ثمّ بدأ يتناول منفصلا مع استقرار الخِلافَة الإِسْلَاميّة وتطورها، وتحولها إلى الحجم الإمبراطوري في العصر الأموي ثمّ العبّاسي وما بعده، وتعامل السّلاطين والعُلَماء مع مختلف المسائل، الّتي طرأت بتعدد الشّعوب الإِسْلَاميّة، وحدوث المسائل والحاجة للتقنين، وسياسة (الدّين والدُّنيَا) كما أسموها لدي المُسلِمِين، وكذلك الحاجة للتعامل مع الخلافات والإشكالات السّياسيّة.. الخ، ذلك، بدأت علوم السّياسة الشَّرعيَّة تتطور، فبدأ العُلَماء يصنفون في علم السّياسة الشَّرعيَّة كتبا مستقلة ومبوبه، بحيث غطت كافّة مجالات علاقات الحاكم بالمحكوم، وما ينجم عن ذلك من أوجه اتفاق وخلاف، وكذلك علاقات المُسلِمِين بغير المُسلِمِين، من المقيمين بينهم، وعلاقاتهم مع الكفّار في حالات الحَرب والسلم، والعهد والأمان وسوى ذلك.

فتركوا لنا تراثاً هائلاً ومراجع في غاية الروعة والموسوعية تشكل مرجعاً في غاية الاتساع، ومنطلقاً يتكئ عليه المجتهدون اليَوْم لأخذ الأحكام الّتي تتكرر معطياتها وأسبابها، وللإتكاء عليها في الاجتهاد والاستنباط والقياس فيما جدت فيه أوجه المسائل.

أحكام السّياسة الشَّرعيَّة هي: أحكام شريعة + فقه واقع ومعطيات سياسة

(٢) - العلاقة بين الشّريعة والسّياسة هيَ علاقة الثَّابِت بالمتحول:

والفتوى والحكم في مسائل السّياسة الشَّرعيَّة، مثلها مثل كلّ منطلقات كلّ فتوى، مركبة من معرفة أحكام الشّريعة الثَّابِتة وأصولها وقواعدها، ثمّ معرفة تفاصيل الواقعة المطلوب الحكم فيها، ثمّ تطبيق تلك الأحكام بعد العلم عَلى تلك الواقعة بعد الفهم، فيصل المفتي إلى الاجتهاد الصَّحِيح أو الّذي يكون عَلى الأقل فيه بين أجر المخطئ وأجري المصيب.

و الأحكام الشَّرعيَّة نوعان ؛ نوع ثابت لا تبديل فيه لثبات الأسباب ومناطات الأحكام، مثل مسائل أحكام العِبَادات والمواريث، وكثير من أحكام المعاملات والبيوع... إلخ، فلا تتبدل فيها الأحكام قديماً ولا حديثاً، ونوع يتعلق بتطور أوجه نشاط البشر وحدوث المسائل، مثل كثير من أحكام المعاملات والتجارات والمسائل المالية المستحدثة عَلى سبيل المثال.

وتأتي السّياسة في طليعة الأمور الّتي ضبطت فيها الشّريعة الأحكام، ضمن خطوط عريضة، وعلقت فيها كثير من الأمور عَلى مترتبات نتائج المصالح والمفاسد، وتقديرات أهل الرَّأي والتجربة والخبرة، بحيث يكون العمل حلالاً مشروعاً بشروط أسباب معينة يقدرها أهل المعرفة فيها، وقد يكون حراماً إذا أنتفت تلك الشُّرُوط، بناءً عَلى نفس القواعد الشَّرعيَّة، وكذلك فهي من الأبواب الّتي يتسع فيها القياس، واستصحاب الظّروف والأحوال، والاستحسان والعرف، كما يتسع فيها باب المصالح المرسلة، وأحكام الضَّرورات... ولذلك فإنها تحتاج من المتصدرين لها إلى أن يجمعوا ثلاثة أمور مجتمعة:

أولها علم بالشّريعة، وثانيها فقه في الواقع، وثالثها تقوى عالية تنزههم عن الهوى، ولنضرب أمثلة مما يألف النّاس أحدهما من الأحكام الثَّابِتة وثانيهما من المتحولة..

فأحكام الطهارة والعِبَادات كلها ثابتة فكل حدث ينقض الطهارة يحصل مع الإنسان اليَوْم كما يحصل مع كلّ إنسان منذُ خلق الله، فثبتت الأحكام، وأحكام العِبَادات كلها توقيفية وتفصيلية.

ولنضرب مثلاً عن المتحول، بقاعدة الخروج عَلى الحاكم الكافر الّذي بدا منه الكفر البواح والنص صريح صحيح في الكتاب والسنة، ولكن الفقهاء قالوا في الفتوى الشهرة المنقولة عن القاضي عياض، إذا كفر الحاكم وارتد بخروج المُسلِمِين عليه وخلعه إن ظنوا القدرة عَلى ذلك!

فمن الّذي يقدر ظن القدرة ! وهل تستوي فيها أفهام النّاس ؟ وكم من العوامل تتشابك في ذلك وتبدل تقديراتهم ؟ وكم يحتاج هذا للفهم والضبط والتقوى والسَّلامة من الهوى، وقل مثل ذلك عن مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، الّذي هو فريضة، وقد شرطها العُلَماء لذلك بأن ينتج عنها معروف ولا ينتج عن الأمر مُنكر أكبر، فتصير حراماً.. فمن الّذي يقدر النتائج حتَّى يحل شكلا من أشكال الأمر والنهي أو يحرمه ؟! وهكذا الاستعانة بغير المسلم في دفع الصّائل عَلى المُسلِمِين، حيث اتفق العُلَماء كلهم حتَّى من حرم الإستعانة بغير المسلم في الجِهَاد مثل الظَّاهِرية وغيرهم، اتفقوا عَلى أنه إذا أشف أهل الإِسْلَام عَلى الهلكة ؛ جاز بالاتفاق، وفي غير هذه الحالة، جاز عند البعض واختلف آخرون، فما مناطات الحكم في تلك الأحكام ؟ إنها تقديرات العدول الأتقياء، أصحاب الخبرة والتجربة من أولي الأحلام والنهى ورؤوس النّاس وعلماؤهم الأتقياء!

فالشّريعة وأحكامها ثابتة، تطبق عَلى واقع حركة البشر ونواياهم وقلوبهم وسلوكهم، وكلها متحولة، فتكون النَّتِيجَة أن أحكام السّياسة الشَّرعيَّة مرنة متحولة، ضمن إطار ثبات عموم أساسِيَّات أصول الشّريعة، ولذلك كانَ القول فيها من أدق وأصعب الأمور، وربما كانَ هذا أصعب أبواب الفقه والفتوى وأخطرها عَلى الإطلاق.

(٣) - أعمال المُقاوَمة ومجالاتها: فريضة شرعيّة وأحكام شرعيّة وحقيقة سياسيّة:

عرف المعاصرون من علماء الاجتماع والسّياسة (الحَرب) ؛ بأنها: هيَ السّياسة بأساليب عنيفة، وهذا صحيح، فكل الحُرُوب والصِّرَاعات، هيَ الوجه العنيف للعلاقات السّياسيّة، عندما تنقطع سبل التفاهم بالوسائل الدبلوماسية والسّياسيّة.

وقالوا بأن الحُرُوب هيَ وسائل السّياسة، وهذا صحيح أيضاً، وإذا نظرنا إلى نظير ذلك لدينا معشر المُسلِمِين ومن منظور أحكام شريعتنا لوجدنا ذلك صحيحاً، فالجِهَاد فريضة شرعيّة، وأحكام دينية ولكن قواعده وأصوله وما ينجم عنه، سواءً كانَ جِهَاد طلب أم جِهَاد دفع، هو مجال للعلاقات السّياسيّة بالعدو والصديق، وتنجم عنه أوجه نشاط وعلاقات كلها ذات طبيعة سياسيّة.

فإذا ما جئنا لموضوعنا، وهو **المُقاوَمة.. مقاومة قوى الإستعمار** الصّائل علينا، الهاجم علينا بمخططات شاملة لكل أوجه النَّشَاط البشري والمكوّنات الحَضَاريَّة، لوجدنا أن المُقاوَمة (عمل سياسي)، بكل ما لهذا التعريف الموجز جداً من معني وأبعاد، ولا يمكن لأعمال المُقاوَمة بمفهومها الشّامل أن تحقق هدفاً، وأن يكون لها نتيجة بدون برنامج استثمار سياسي، للتضحيات الجهاديّة والأعمال العسكريّة، الّتي يجب أن تبرمج كلها بحيث تكون وسيلة لهدف.

فالوسيلة العسكريّة هيَ من أجل دحر الغُزَاة، وإخراجهم من بلادنا، وصرف كيدهم عنا، وإسقاط أنظمة حلفائهم، وإقامة أنظمتنا الشَّرعيَّة المستقلة.. فهي وسيلة لأهداف كلها سياسيّة!

ولأنها محكومة بثوابت شريعتنا، فإنا نعرف المُقاوَمة بأنها:

(أعمال الجِهَاد المُسلّح لتحقق أهداف سياسيّة شرعيّة، لدفع صائل العدوّ ولإعلاء كلمة الله ورفع رايته وتحكيم شرعه)، وبذلك تكون المُقاوَمة جِهَاداً في سبيل الله، والقتل تحت رايتها شهادة في سبيل الله، مقبولة لدي الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى برحمته وفضله.

(٤)- أعمال المُقاوَمة نوع من حُرُوب العِصَابات، وهي عمل سياسي:

أسلوب حُرُوب العِصَابات، فن استراتيجي مكون من تكتيكات عسكريّة أصبحت معروفة ومدروسة، وصارت علماً له أصوله، حيث يوظف الضعيف أعماله ضمن إمكانيَّاته القليلة، من أجل إجِهَاد الخصم عبر الحَرب الطويلة المدى لإدخال في أوضاع سياسيّة تضعه أمام خيار الانسحاب أو الانهيار من داخله.

ولم تكن حُرُوب العِصَابات أبداً في تاريخها كله، حُرُوب تدمير شامل لقوى الخصم وجُيُوشه من أجل كسب الحَرب، بل لم تعد معظم الحُرُوب في العصور الحديثة، تنهي الصِّرَاع بالدمار المادي للخصم إلا في حالات نادرة جداً، وإنما صارت الحُرُوب وسيلة لإدخال العدوّ في أوضاع سياسيّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة تضعه في حال الهزيمة والاندحار.

ولست هنا في مجال الاستطراد في شرح هذا الفن، وأحيل القارئ إلى عدد من المحاضرات الّتي سجلتها في هذا البَاب، وهي منشورة، وأوسعها مجموعة محاضرات بعنوان **(شرح كتاب حرب**

المستضعفين) وهي مسجلة في / ٣١ / شريطاً، والخلاصة محل الشاهد من هذا هنا ؛ هيَ أن حرب العِصَابات تقوم عَلى الإستثمار المتقن بوسائل السّياسة والإعلام، للجهود العسكريّة الّتي تقوم بها العِصَابات أو المقاومون الضّعفاء، تجاه قوَّات ضخمة تفوقهم عددا وقدرة وإمكانيَّات، بحيث يُؤَدِّي التنسيق في أعمال المُقاوَمة، بين المجهود العسكريّ، والإعلاميّ، والتكتيكات السّياسيّة، عبر حرب إنهاك طويلة المدى، تؤدي إلى إدخال العدوّ في حال الانهيار نتيجة الضغوط عليه من الرَّأي العام الداخلي أو الرَّأي العام الخارجي، بحيث يستحيل معه استمراره في المُوَاجَهة والحفاظ عَلى مقوّمات وجوده وعلاقاته الداخليَّة والخارجيّة.

والخلاصة أن النّصر العسكريّ في أعمال المُقاوَمة ذو طابع سياسي، ولا يمكن أن يحقق بدون وسيلة عسكريّة فاعلة، ومقاومة تحقق ضربات وخسائر حقيقية عَلى الأرض، وبحث هذا يطول وتكفي هذه الإشارة هنا كفقرة في مقدمة.

(٥)- المُقاوَمة ونظريَّة التَّجنيد، والتحييد ووالتفكيك:

تتكون ساحة الصِّرَاع بين كلّ طرفين متخاصمين وكذلك بين المُقاوَمة وأعدائها من الطيف المتدرج التّالي:

١- أعضاء المُقاوَمة.

٢- أنصار المُقاوَمة ومؤيديها.

٣- الحياديون بين المُقاوَمة ومُعَسْكَر الخصم.

٤- أنصار أعداء المُقاوَمة ومؤيديهم.

٥- الأَعدَاء المحاربون للمقاومة.

وتنصب جهود الدّعوة والعمل السّياسيّ لكل مقاومة، ولكل طرف في أي صِرَاع كانَ، عبر الوسائل الإعلاميَّة والسّياسيّة، وحتى العسكريّة أحياناً عَلى جعل مسار التّحول يكون عَلى شكل سهم تتنقل فيه هذه المكوّنات من النهاية نحو البداية..

أي تحويل ما أمكن من المكوّنات والعناصر والكتل من الصف الخامس وهو مُعَسْكَر العدوّ المباشِر للمُوَاجَهة، إلى الصف الرَّابع ليكون مناصراً للعدو فقط، دون مباشرة القِتَال والعون، وتحويل هذه الطّبقة من الصف الرَّابع إلى الثّالث ليكون محايداً في هذا الصِّرَاع الدّائر، وتحويل هذا إلى الصف الثّاني في ليكون مناصراً للمقاومة، دون مشاركة لها في الدَّفع والعمل، وتحويل هَؤُلَاءِ ما أمكن ليكونوا أعضاءً في المُقاوَمة.. بهذه الآلية:

٥- مُعَسْكَر العدوّ ← ٤ - مناصر للعدو ← ٣ - محايد في الصِّرَاع ← ٢- مناصر للمقاومة ← ١ - مشارك في مقاومة.

وعندما تؤدي مجموعة الأعمال العسكريّة أو السّياسيّة أو الإعلاميَّة أو سوى ذلك من الممارسات، إلى عكس هذا المسار، ويلاحظ قادة المُقاوَمة، أو أي فريق يخوض صراعاً من أي شكل، حتَّى ولو كانَ شركة تجاريَّة تخوض منافسة في السوق، إذا لاحظ أن المعادلة تسير بشكل معكوس بحيث.. يتخلى الأعضاء، ويقل المناصرون ويصبحوا محايدين، وينتقل المحايدون إلى نصرة العدوّ وتأييده، وينضم بعض المناصرين للعدو عن بعد إلى مُعَسْكَر العدوّ!!

فليعلم هذا الفريق أن الله قد ابتلاهم بقيادة تسوقهم إلى قدر الفشل والهزيمة، وأن برنامج عملهم وأسلوب حركتهم مبني عَلَى أسس خاطئة.

هذه هيَ القَاعِدَة العامّة الّتي قل لها شذوذاً في مسائل الحشد في عالم السّياسة والصِّرَاعات، فيجب أن تيسير العمليّة السّياسيّة بحيث توفر التَّجنيد من صفوف الأنصار، والتحييد في صفوف أنصاره، والتفكيك بين صفوف العدوّ، وهكذا تتسع دائرة المُقاوَمة وأعضاؤها ودائرة أنصارها، وتتقلص دائرة الحياد القريب من العدوّ، وتنقل ما أمكن إلى دائرة الحياد الإيجابي لصالح المُقاوَمة، وتتفكك دائرة أنصار العدوّ وتسير للحياد وينسحب من صفوف العدوّ أكبر قدر من الكتل والأفراد.

(٦) - نظريَّة الحشد، ومفتاح الصِّرَاع، والمناخ الجهاديّ:

في الكتب الّتي عنت بالحديث عن مقوّمات الثورات وأصول المُقاوَمة وحُرُوب العِصَابات تجد هذه المصطلحات..

- نظريَّة الحشد:

ويقصدون بها مجموعة الأعمال السّياسيّة والدعائية الّتي توفر للمقاومين اتساع دائرة الأنصار والمؤيدين الّتي توفر لهم تجنيد العناصر الجدد، كما توفر لهم الخدمات اللوجيستية، وإمكانية الاختفاء والتزود باللوازم المادية والمعلومات...

- **مفتاح الصِّرَاع:**

وهو مجموعة الشعارات والأهداف والقضايا الّتي تطرحها المُقاوَمة لإقناع النّاس بقضيتها وعدالتها وتأهلهم ليكونوا ضمن حشد الأنصار أو الأعضاء، ونحن نطلق عليه مصطلح:

(**مفتاح الجِهَاد والمُقاوَمة**) ليتناسب مع منهجنا وطرحنا الشَّرعيّ الإِسْلَاميّ.

- **المناخ الثّوريّ:**

ويقصدون به الجو العام ووصول الرَّأي العام إلى القناعة، بأن الإشكال مع العدوّ سواء كانَ مُستَعمراً، أو حكومة طاغوتية ظالمة، قد وصل لحد الإنسداد، بحيث لم يعد من حلّ ممكن للإشكال إلا العمل المُسلّح، حيث تهون عَلى النّاس عند ذلك التضحيات، نظراً لما هم فيه من سوء الحال وما يعانونه عملياً، سواءً كانَ ذلك بسبب انتهاك المقدّسات الدّينيّة، أو الأعراف والتقاليد الاجتماعيَّة، أو قتل الأنفس، أو تهديد الأعراض، أو نهب الأموال، أو هدر الكرامة الوطنيّة، أو الاحتلال الأجنبيّ، أو الظُّلم أو الفقر والفاقة إلى آخر ذلك..

ونحن نسمي هذا (**المناخ الجهاديّ**) ليناسب فكرنا وطرحنا.

وهو الجو العام الّذي يصل فيه المُسلِمُون إلى القناعة بالتَّضحِيَة والسير في طريق الجِهَاد المُسلّح في سبيل الله.

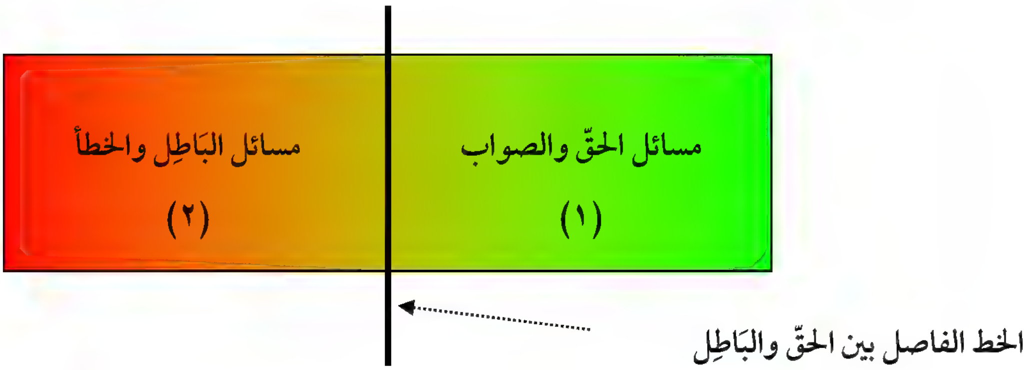
(٧) – حدود دائرة الصِّرَاع ونظريَّة الخط الفاصل بين مسائل الحقّ والبَاطِل:

المُسلِمُون أصحاب ديانة ربانية، وحضارة شاملة، ونظام حياة متكامل، وهذا معروف، وبسبب أنهم حملة الحقّ ودعاته وممثلوه، فإن قوى البَاطِل والضلال، وأصحاب الهوى وأهل الفساد كانوا عَلى طول الأزمان أعداءً لهذا الدّين وأهله، أو مخالفون لهم في النهج والمبادئ، عَلى مراتب من الخلاف متدرجة، وهذا من طبائع الأشياء، ومن سنن الخليقة ؛ فما مادام أن هناك حق، فهناك بَاطِل، وهناك

صِرَاع بين حملة هذا وذاك، وما دام أن هناك صوابٌ فهناك خطأ، وهناك تناقض بينهما وتباين بين أصحابهما.

ولو ذهبنا نعدد مبادئ الإِسْلَام الحقّ، وما يتفرع عنها من قواعد الهدى ووجوه الصواب وسواء الصراط لعجزنا عن الحصر، فهو معتقد متكامل وشريعة مفصلة، فليس من أمر من أمور العيش عَلَى هذه البسيطة، ووجه من وجوه نشاط الإنسان، إلا وللشريعة فيها حكم، من مأمورٍ أو محظور أو مباح، وللدين فيها رأي بأنها حق أم بَاطِل، أو خطأ أو صواب.

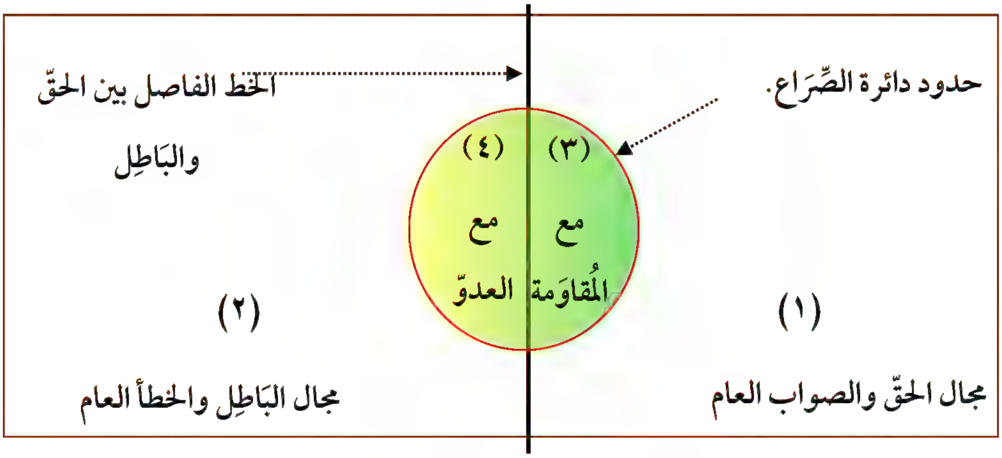
وفي مقابل كلّ حق وصواب تشتمل عليه أصول هذا الدّين، هناك بَاطِل أو خطأ مناقض مضاد له، ولو جئنا نمثل هذا برسم هندسي يوضع المقصود، ومثلنا مجالات الحقّ والصواب، والبَاطِل والخطأ، والفاصل بينهما، لوجدناه مجالين يفصل بينهما خط فاصل عَلَى الشّكل التّالي:



وهذا ينطبق عَلَى كلّ مسألة من مجالات اختلاف المُسلِمِين وأهل الحقّ، مع خصومهم وأهل البَاطِل، وهكذا لو ذهبت تضرب الأمثلة ومثلت لكل قضية نقطة في الشّكل لوجدت مسائل الاعتقاد لأهل السّنّة والجماعة، وكذلك كلّ تصرفاتهم وسلوكياتهم تمثلها نقاط في المجال (١)، ولوجدت عقائد أهل الكفر، وكذلك أهل الهوى والضلال من المُسلِمِين، وكل سلوكياتهم تمثلها نقاط في المجال (٢)، حيث يجب أن نفترض أن الخط الفاصل بين الحقّ والبَاطِل، لا يسمح بوجود مسألة فوقه، لأنه يمكن لأي مسألة أو رأي أو قول أن يكون حقاً وبَاطِلاً في آن واحد، ولا أن يكون خطأ وصواباً في نفس الوقت، فهذا لا يحتمله العقل ولا المنطق وهذا بدهي.

فإذا جئنا لصراعنا اليَوْم، بين الغُزَاة الكفّار ومن والاهم، وبين المُجَاهدين المقاومين ومن والاهم، بأي فعل أو قول أو موقف اليَوْم، لوجدنا أن لمسائل الصِّرَاع بيننا وبين أعدائنا دائرة محددة ضمن المجال المطلق المفتوح لمسائل الحقّ والبَاطِل، فحدود دائرة صراعنا كدعوة مقاومة إسلاميّة عالميّة ومن أعاننا، ضدّ الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الّتي تقودها أمريكا وحلفاؤها ومن وقف معها، هيَ أنهم صائل علينا يريدون تدمير حضارتنا وإزالة كياننا ووجودنا ويمثلون طرفاً متكاملاً.. ونحن نريد أن ندفع هذا الصّائل ونحفظ ديننا وأنفسنا وأعراضنا ومقدراتنا.

ولكي لا تتشعب بنا مسائل الصِّرَاع والخلاف في كلّ مسائل الحقّ والبَاطِل والخطأ والصواب، نمثل لحدود مسائل صراعنا كمقاومة، ضدّ أعدائنا، نمثلها بدائرة محدودة ضمن مجال الحقّ والبَاطِل، دائرة لها حدود تحد مسائلها كلها العقدية والفكريّة والسّياسيّة والإعلاميَّة... الخ، ونسميها حدود دائرة الصِّرَاع، فيصبح الشّكل المثل لعموم مسائل الحقّ والبَاطِل، ولمسائل مسألة الصِّرَاع عَلى الشّكل التّالي:



المجال المطلق الحقّ والبَاطِل والخطأ والصواب.

ولجدنا أن الخط الفاصل بين الحقّ والبَاطِل يقسم مسائل دائرة الصِّرَاع إلى، نصطلح عليهما: (٣) و(٤).. ومن هنا نستطيع أن نصنف كلّ فكرة أو معتقد، أو قول أو رأي أو فعل أو أدب أو قصيدة أو فتوى أو سلوك... الخ، لتجد لها موقعاً في هذا الشّكل ومجالاته الأربعة وستكون عَلى أحد أربعة تصانيف:

- مسائل الحقّ والصواب فيما لا يدخل ضمن دائرة الصِّرَاع وحدودها ومجالها: (١)

- مسائل البَاطِل والخطأ فيما لا يدخل ضمن دائرة الصِّرَاع وحدودها ومجالها : (٢)

- مسائل الحقّ والصواب فيما يتعلق بقضايا صِرَاع المُقاوَمة مع أعدائها ومجالها: (٣)

- مسائل الحقّ والصواب فيما يتعلق بقضايا صِرَاع المُقاوَمة مع أعدائها ومجالها: (٤)

ونحن نوضح هذا الشّكل لنقول:

أنه ولكي تحقق المُقاوَمة أهدافها ومن باب ترتيب الأولويات وتقديم المهم عَلى الأهم، واستجلاب المصالح ودفع المفاسد، واختيار أعظم المصلحتين بأدناهما، ودفع أعظم المفسدتين بأدناهما إن كانَ الخيار اضطرارياً.

فعلينا ومن باب الاختصاص التفرغ اليَوْم للانشغال في مواجهاتنا، بما يتعلق بقضايا (دعوة المُقاوَمة)، سواءً كانت مواجهات عسكريّة جهاديّة أو سياسيّة أو إعلاميَّة أو فكريّة أو أدبية أو كلّ ما يشغلنا ويأخذ منا أي شكل من أشكال الجهد، أو يعرضنا لأي شكل من أشكال التكاليف، علينا أن ننشغل بالمسائل المحدودة ضمن إطار حدود دائرة الصِّرَاع، وكل ميسر لما خلق له.

ولباقي أبواب الخير والحق والسعي فيه أهلها، ومن أهتم بها وانصرف إليها من المُسلِمِين، أعانهم الله عَلى ما صرفوا أنفسهم إليه وتقبل منهم.

فكل فكرة أو رأي أو سلوك أو قول أو فعل يساعد عَلى إطلاق المُقاوَمة، أو تنميه جُذُورها بشكل مباشر فهو مقصد من مقاصد المُقاوَمة لها في رأي وقول وعون، وكل نقيض لذلك مما يعطل المُقاوَمة ويجفف جُذُورها ويعين أعداءها، فلدعوة المُقاوَمة فيه موقف تتصدى له بما يناسبه بالأسلوب العسكريّ أو السّياسيّ أو الإعلاميّ أو أي وسيلة مشروعة، وكما يجب أن لا نتشعب ونضيع جهودنا فيما لا طائل من ورائه من الأقوال والأعمال، والدخول في صراعات الحقّ والبَاطِل والخطأ والصواب الّتي لا تنهي، يجب أن نهتم بكل مسألة داخلة ضمن حدود دائرة الصِّرَاع.

فأشكال البِدَع الكثيرة المتفشية اليَوْم في المُسلِمِين، والانحرافات، والقبوريات، والضلالات، ومظاهر الفسوق، والمعاصي...إلخ، لا تنهي وكلها من مظاهر غياب الإِمَام الشَّرعيّ، وعدم الحكم بالشّريعة، ظهرت بزوالها، وتزول بظهورها.

فهذه المسائل تقع في المجال (٢).. ولها من يتصدى لها من الدعاة والعُلَماء في المجال (١) وكل أشكال والانحراف السُّلُوكي والخلقي والرشاوى والفساد...الخ، هيَ كذلك مظاهر من ضنك العيش لإعراض أكثر النّاس حاكمهم ومحكومهم عن ذكر الله، وهي مظاهر لغياب شرع الله، وتزول بتحقيقه.. وهي مسائل من المجال (٢)، أيضا، ولها من تصدى لها من المجال (١).

وأما لو قام مفتي يفتي بأن جُيُوش الأمريكان ومؤسساتهم هم مستأمنون معاهدون، لا يجوز العدوان عليهم!! فهي مسألة لها موقع في المجال (٤)، ويجب أن نتصدى لها بما يناسبها من جِهَاد الحجة والبيان بجهد من المجال (٣)، ولو قامت مؤسسته للتطبيع مع الحملات الفكريّة الأمريكيّة تضل النّاس وتنسف أصول دينهم، كهذه الّتي أقاموها في وادي عربة، عَلى الحدود الأردنية الإسرائيلية، وغيرها كثير.. فهو فعل واقع ضمن دائرة الصِّرَاع في المجال (٤)، ويجب أن نتعامل معه بجِهَاده ونسفه وإزالته، واغتيال القائمين عليه من الكفّار أو من المُنَافِقين من مواطنينا، وذلك بفعل من أفعال القِتَال والمُقاوَمة من مجالنا (٣).. وهكذا..

وبذلك نلخص هذا الشرح الّذي أوضحنا بالشكل ليسهل فهمه:

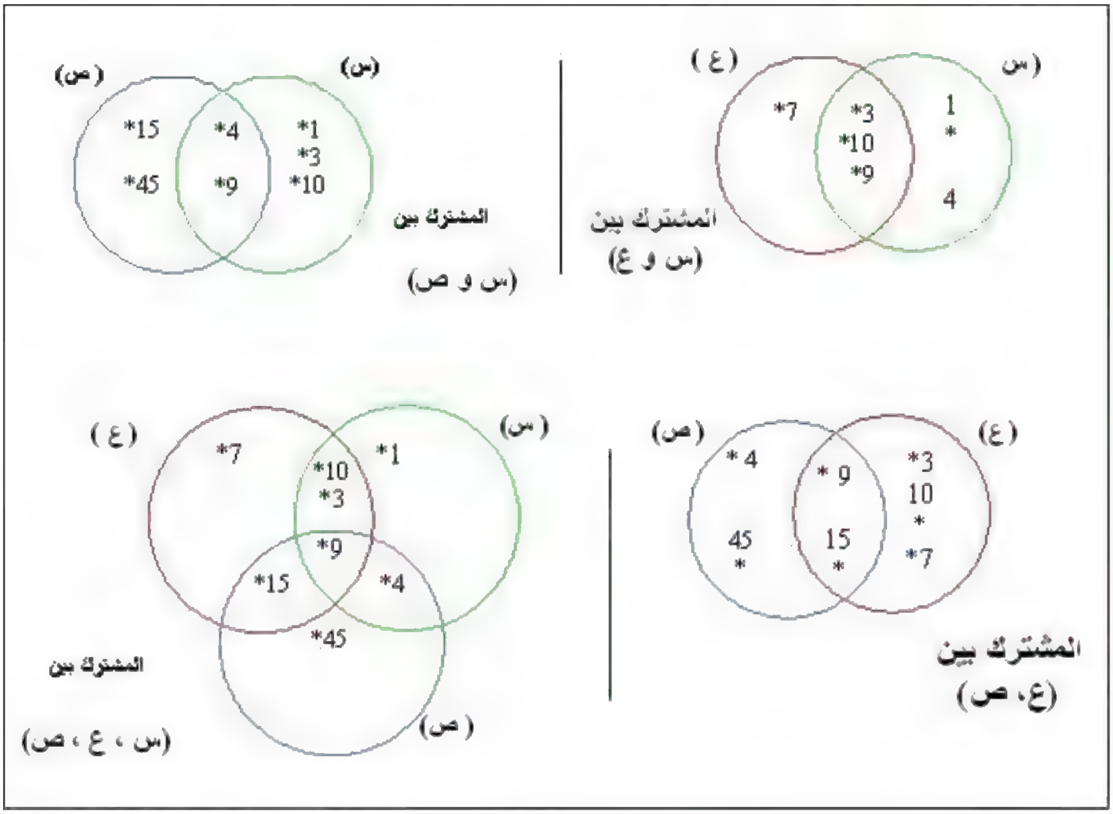
بأن دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة تتصدى للمسائل المتعلقة بحدود دائرة الصِّرَاع مع العدوّ الصّائل وحلفائه سواءً كانت من مسائل جِهَاد البيان أو جِهَاد السنان، وتعرض عن الانشغال بما وراء ذلك، لا زهداً في الحقّ والصواب، فكل حق مقدّس بذاته، وإنما من باب الاختصاص وتقديم الأولويات وجمع جهود الأُمّة الّتي لا تكاد تكفي مجمعته عَلى دفع هذا البلاء العظيم النازل بنا عقاباً من الله لأقوام، وامتحاناً لآخرين، ونسأل الله الفوز والسَّلامة.

(٨) – مفهوم القواسم المشتركة في مسائل الصِّرَاعات السّياسيّة بين الأطراف المختلفة:

من مبادئ الرِّيَاضيات الحديثة البسيطة الّتي تدرس اليَوْم لطلاب المَرحَلَة الابتدائية ما يصطلحون عليه باسم (أشكال ven)، نسبة للعالم الرِّيَاضي الّذي ابتكر التعبير عن المجموعات وعناصرها، والمعادلات الرِّيَاضية والقواسم المشتركة بين مختلف المجموعات بالرسوم، وهي فكرة بسيطة تساعد

جداً في فهم مسألة القواسم المشتركة في عالم السّياسة بين المجموعة المنفصلة، والمختلفة والمتناقضة وحتى المتخاصمة، والمثال البسيط التّالي يوضح مبدأ ذلك:

لو كانَ لدينا مجموعة أعداد: {س = (١٠، ٩، ٤، ٣، ١) }، ومجموعة أُخرى: {ع = (١٠، ٩، ١٥، ٧، ٣) }، وثالثة: { ص = (٤٥، ١٥، ٩، ٤) }، سنجد بالملاحظة أن الأرقام المشتركة بين (س) و(ع)، هيَ (١٠، ٩، ٣). والمشتركة بين (س) و(ص) هيَ (٩، ٤)، والمشتركة بين (ع) و(ص) هيَ (١٥، ٩) والمشتركة بين الثّلاثة (س) و(ع) و(ص) هيَ: (٩) فقط، وهذا يعبر عنه بالرسم المبسط:



وهذا التصوير الرّياضي البسيط يعطي فكرة عن مفهوم القواسم المشتركة بين المجموعات المستقلة في عالم السّياسة أيضا..

حيث نطلق عَلى القسم الحاوي للعناصر المشتركة بين مجموعتين أو أكثر مصطلح: **(القاسم المشترك)**، فإذا انتقلنا إلى عالم المجموعات في مفهوم السّياسة والأفكار والمبادئ والمصالح والمعتقدات...

الخ نجد أن مفهوم (القاسم المشترك) هو ذاته، فمثلاً.. (القاسم المشترك) بين كلّ مسلم من أهل القبلة هو مبادئ الإِسْلَام العامّة ومعتقداته الأساسيّة المتفق عليه مثل (الإيمان بالله رباً الإيمان بمحمّد نبياً، وبالقرآن كتاباً، الصّلاة للقبلة...) وتوابع ذلك من المتفق عليه لدى ما يسمى (أهل القبلة).. وهي مجال كبير من المعتقدات والمبادئ..

وكذلك قضايا الإِسْلَام ومقدّساته وتاريخه وما إلى ذلك.. وكلها قواسم مشتركة بين المُسلِمين وهو مجال متسع رحب لا يحصر..

ومُوَاجَهة أمريكا ودفع صائلها عَلى المُسلِمين هو (قاسم مشترك)، بين كلّ أهل القبلة..

وخسارة أمريكا وهزيمتها، والعمل عَلى ذلك، هو (قاسم مشترك) بينهم وبين كلّ أعداء أمريكا ومن يهمهم هزيمتها حتَّى من الكافرين..

وهكذا وبشيء من الفهم وسعة الأفق والتصوُّر نجد أن (القواسم المشتركة) بين المجموعات المستقلة المختلفة هيَ في مصطلح السّياسة، مجموعة الخصائص أو المكوّنات أو الأهداف أو المصالح المشتركة.. أو أي عامل أو مكون يثبت المنطق أنه (مشترك)..

حيث تقوم كلّ الصِّرَاعات في عالم السّياسة عَلى نظام التَّحالفات، والمصالح المشتركة بين أصحاب (القواسم المشتركة)، ضدّ الخصم المشترك.

ويؤدي حسن فهم مصطلح (القواسم المشتركة)، إلى تفهم القواعد المُجَاهدة وأنصار المُقاوَمة للقرارات السّياسيّة الّتي تتخذها قيادات الجِهَاد بالدخول في تحالفات مباشرة أو غير مباشرة، مع قوى أُخرى قد تكون مباينة في المنهج أو المعتقد لجماعات المُقاوَمة، تلك القوى الّتي جمعها مع المُقاوَمة قاسم مشترك في عداء ومُوَاجَهة أعداء المُقاوَمة المشروعة، حيث تتحرك تلك القيادات للتعاون مع أصحاب تلك القواسم المشتركة في ضوء ضوابط قواعد السّياسة الشَّرعيَّة، وما تتيحه أحكام الضَّرورة عَلى بصيرة من الحسابات الأمنيّة والسّياسيّة والعسكريّة.

(٩)- مفهوم العلاقة، ومفهوم التأثر والتّأثير في العلاقات، وشبكة العلاقات السّياسيّة:

- **مفهوم العلاقة:**

نطلق كلمة (علاقة) عَلى كلّ طريقة ارتباط بين عنصرين أو مجموعتين أو كيانين..

الرابطة بين الأخوة تسمي:	(علاقة أخوة)
و الرابطة بين الأب وأبنائه:	(أبوة وبنوة)
و الرابطة بين الزوج وزوجته:	(علاقة زوجية)
وبين المتخاصمين:	(علاقة خصومة)
وبين المتحابين:	(علاقة حب)
وبين وبين المتحاربين:	(علاقة حرب)
وبين أصحاب المصالح:	(علاقة مصالح مشتركة)
وبين من لا علاقة بينهم البتة:	(علاقة معدومة.. أو علاقة " عدم علاقة ")

وهكذا.. (علاقة جوار).. (علاقة عدم اعتداء).. (علاقة دبلوماسية) (علاقة تحالف) (علاقة تعاون).. إلى آخر المصطلحات الكثيرة الّتي تتداول اليَوْم خاصّة مما يهمنا في موضوع العلاقات السّياسيّة.

- **مفهوم التّأثير والتأثر المباشر وغير المباشر بين العناصر والجماعات:**

- كلّ علاقة تقوم بين طرفين، ينتج عنها تأثر وتأثير مباشر من كلّ واحد منهما بالآخر بنسبة تزيد أوتنقص بحسب مقوّمات وخصائص كلّ منهما.

- وكل علاقة تقوم بين طرفين، تأثر بشكل غير مباشر بين هذين العنصرين وكل عناصر أُخرى جانبية تربطها بهذين العنصرين علاقات مباشرة، وهذا يتضح بالمثال..

في عالم التجارة مثلاً، إذا كانَ في السوق أربع شركات.. (١)، (٢)، (٣)، (٤).. وكانت هناك علاقة مباشرة بين الشركتين (١) و(٢)، وبين الشركتين (٣) و(٤)..

فبطبيعة الحال هناك علاقة غير مباشرة بين الجميع وهي علاقة الوجود في السوق.. فلو قامت علاقة مباشرة بين الشركة (٢) والشركة (٤).. ستأثر الشركتان عَلى بعضهما بعلاقة تأثير وتأثر مباشر بحكم هذه العلاقة، ولكن هذا سيؤدي إلى نشوء علاقة تأثر وتأثير غير مباشر بين (١) و(٤) من الدرجة الأولى وعلاقة بين (١) و(٣) كذلك بسبب علاقة (٣) و(٤).. وسيكون بينهما علاقة تأثر من الدرجة الثّانية.

ومن هنا نستطيع القول أن جميع العناصر المشتركة بالتواجد في مجال واحد تقوم فيما بينها علاقات تأثير وتأثر من مراتب متدرجة.. وفق شبكة علاقات متشابكة..

فإذا ما دخلنا في عالم العلاقات السّياسيّة فإننا سنجد هذا أمراً بالغ الوضوح وبالغ التعقيد.. **ولا بُدَّ أن يفهم المنخرط في معركة العمل السّياسيّ، وخاصة المعارك السّياسيّة ذات الطابع العنيف، من قبيل ما نحن بصدده (مقاومة × محتلين وحلفائهم)، أن يفهم طبيعة شبكة العلاقات المحليَّة، والإقليمية، والدّولية، وطبيعة علاقات التأثر والتّأثير المباشر وغير المباشر، من كلّ المراتب بين كلّ تلك العناصر..**

فينشأ عندنا ما يسمى شبكة علاقات..فإذا ضربنا مثالا من صميم مسألة صِرَاع المُقاوَمة اليَوْم في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ ضدّ أمريكا وحلفائها، فإننا نجد المعطيات لو بسطناها إلى حد كبير عَلى الشّكل التّالي..

١- محور أمريكا:

- أمريكا: تربطها علاقة عضوية ومصيرية بإسرائيل.

- أمريكا: تربطها علاقة قوية جداً ببريطانيا..

- أمريكا: تربطها علاقة أقل درجة ببعض الدّول الغربيّة يأتي في طليعتها أستراليا، وإيطاليا، كندا، اليابان

- كما تربطها علاقة حلف (تابع ومتبوع) بمكوّنات أُخرى من دول أوروبّا الشرقية وبعض دول آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية..

-وتربطها علاقة حلف صليبي بروسيا.. وبكافة مكوّنات دول العالم الصّليبيّ.

وهذه العلاقات ليست عشوائية فهي قائمة عَلى معتقدات وأفكار، وعلى معاهدات واتفاقيات، وعلى أحلاف ومصالح، وعلى ضغوطات...

في المقابل: نجد أن هناك كتلة أُخرى في الجانب المحارب لنا أيضاً ولكن ذو طبيعة مختلفة وهو المحور الأوروبي المستقل.

٢- محور أوربّا:

فرنسا، ألمانيا، روسيا، أسبانيا، بلجيكا... ومعها مجموعة من الدّول الأوروبية ومن يدور في فلكها، من بعض ما تبقى لها في مجالات التّأثير في بعض دول أفريقيا وآسيا..

٣- علاقات ضمن المحورين:

ترتبط كافّة مكوّنات هذين المحورين بأحلاف من المهم معرفتها وأهمّها:

١- حلف النّاتو.. الّذي يربط معظم المكوّنات الرَّئيسيَّة لهذين المحورين، وينكون من (٢٦) دولة.

٢-الاتحاد الأوروبي: ويربط أهمّ مكوّنات المحور الثّاني.. ويتكون من (٢٥) دولة حتَّى الآن يزيد مجموع سكانها عَلى ٤٥٠ مليون نسمة، حيث تنتظر دول أُخرى الدخول فيه، ويتوقع أن يصل إلى نحو ٤٠ دولة.

ومما يزيد الأمر تعقيداً..

أن في عالم السّياسة غالباً ما ترتبط العناصر بعلاقات متناقضة متشابكة بالغة التعقيد فمثلا ؛ اليابان وأمريكا وأوروبّا يبدون حلفاء عَلى ما أشد ما يكون الحلف قوةً في المجالات الدّولية، والعسكريّة ولاسيما إذا ما تعلق الأمر بالصِّرَاع مع المُسلِمِين.. ولكنها في مجالات كثيرة ولاسيما في السباق عَلى المصالح الاقتصاديَّة تمثل ثلاث محاور شبه متحاربة اقتصادياً هيَ محور أمريكا، ومحور أوروبّا، ومحور اليابان ودول شرق آسيا..ولو تخيلنا شبكة تصوُّر تلك العلاقات المباشر وغير المباشرة من كلّ الدرجات..فإن من البديهي أن نتخيل، وكما في كلّ الشبكات أن اهتزاز الوضع في أي عقدة من عقد الشبكة (دولة ما) لأسباب داخليَّة أو خارجية، وكذلك أي اهتزاز أو تصدع لرباط علاقة بين عقدتين (دولتين)، سيؤدى إلى اهتزاز العناصر جميعها بحسب قربها وبعدها عن موقع الاهتزاز، وأحياناً يُؤَدِّي الاهتزاز إلى تغير مكوّنات بعض العقد، أو تقطع أواصر بعض العلاقات والروابط، وإذا ما كانَ الإهتزاز

شديداً أو انفجارياً فإنه قد يُؤَدِّي إلى خرق الشبكة في بعض أجزائها أو تقطع أوصالها ليعاد نسجها ورسمها من جديد..

وهذا ما يحصل إبَّان الأحداث الكبرى من قبيل ما حصل بانهيار الإتحاد السُّوفيتيّ، الّذي تبعه انهيار جدار برلين وإعادة رسم خريطة أوروبّا وقيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد..

ومثل ما يحصل اليَوْم بانطلاق أمريكا نحو الحلم الإمبراطوري، وتوجهها للحملات الصّليبيّة، وما يُؤَدِّي إليه هذا من الانقلابات في العلاقات بين الشّرق والغرب، وبين مكوّنات الشّرق فيما بينها، وكذلك بين مكوّنات الغرب وبين الجميع، وهكذا....

وإذا ما أردنا التّأثير عَلى توازنات مثل هذه الشبكات أو إعادة ترتيبها لصالحنا، أو الخروج من اهتزازاتها بأقل الخسائر، فإن هذا يتوقف عَلى عاملين اثنين هامين ومتلازمين:

- **أولاً:** فهمنا الدقيق التفصيلي لطبيعة اللعبة وأطرافها وروابطها وعلاقاتها وجميع مكوّناتها، بمعنى فهم تركيبة الطّرفين المتصارعين، طرفنا وطرف العدوّ وما بينهما من أطراف الحياد.. والقدرة عَلى توظيف تلك المعرفة لصالحنا..

- **ثانياً:** القدرة الذاتية مادياً ومعنويا عَلى إحداث التّأثير.. وهذا بحسب المعطيات والإمكانيَّات في عالم الأسباب، وسبحان مسبب الأسباب ومالك الملك، فكثيرا ما يتوفر الفهم ولكن لا تتوفر الأسباب المادية لتحويله إلى حركة وعمل مؤثر.. وهذا من القهر تحت حكم الظرف.

(١٠) - الاستراتيجيّة والتكتيك وهوامش المناورة السّياسيّة:

هذه المصطلحات الثّلاثة من المصطلحات كثيرة التردد في مجالات العمل السّياسيّ والعسكريّ وحتى في مجالات النَّشَاط الأخرى، وما يعنينا منها هنا البعد السّياسيّ للمقاومة، وقد عرفت هذه المصطلحات تعريفات كثيرة، ولكني أبين ما يهمنا من فحواها باختصار:

- **فالاستراتيجيّة:**

هيَ الخطوط الرَّئيسيَّة لبرنامج مخطط ما، والَّتي توضع لتحقيق الأهداف من ذلك البرنامج، أو ما يدعى (**الأهداف الاستراتيجيّة**) وتتميز الاستراتيجيّة بأنها تقوم عَلى جملة من المعطيات والقدرات الحقيقيَّة عَلى تنفيذه.

ومن صفاتها الأساسيّة الثّبات النسبي، فهي عَلى عكس التكتيكات، ولكونها كما هو مفروض قامت عَلى ثبات المعطيات العامّة، يجب أن تتميز بالثّبات، إلا إذا عصفت مفاجآت ما بظروفها المحيطة ومعطياتها، وعند ذلك يجب تغير الاستراتيجيّة كلياً وغالباً ما يكون ثمن هذا التَّغيير فادحاً، مادياً ومعنوياً وحركياً وعلى كلّ صعيد، ويحتاج إلى قيادات أزمة تسيطر عَلى تحديد تبعات انهيار الاستراتيجيّة ووضع بديل لها، ومن البديهي أن نعرف أن من أبسط أثمان تغير الاستراتيجيّة، أن كلّ الجهود والنفقات والإستعدادات والأدوات الّتي رصدت لها، وحتى الأشخاص أحياناً غالباً ما لا يصلح لتنفيذ الاستراتيجيّة التّالية اللّهم إلا بقدر ما يستفاد من حطام بناء تهدم في إعادة بناء جديد.. وبحسب طبيعة التهدم تصلح الأجزاء واللبنات ثانية لاستخدامها أو لا تصلح..

- الهدف الاستراتيجي:

هو الهدف الرَّئيسي الأساسي الّذي وضعت الاستراتيجيّة وما اقتضته من تكتيكات من أجل تحقيقه، وفي حالتنا فإن:

هدفنا الاستراتيجي هو:

إجبار القوَّات الغازية لبلادنا بقيادة أمريكا وحلفائها علىَ الانسحاب من بلادنا، وإنهاء قدرتها علىَ التّأثير فيها، كي تتهيأ الأسباب للإطاحة بالأنظمة العميلة القائمة في بلادنا، من أجل إقامة النّظام الإسْلاَميّ الشَّرعيّ الّذي يحكم بما أنزل الله في بلادنا العربيَّة والإسْلاَميّة علىَ أنقاض تلك الأنظمة المرتدّة.

- التكتيكات:

هيَ مجموعة البَرَامج والخطط المرحلية والعمليَّات والمناورات والمهارسات الجزئية.. الّتي تهدف إلى تنفيذ المخطط العام (الاستراتيجيّة) وصولا لتحقيق الهدف الإستراتيجي، وعادة ما تضع الإدارة العليا

الّتي وضعت الاستراتيجيّة المخططات العامّة لمجموعة التكتيكات الّتي من المفترض أن تؤدي إلى تحقيقها.

وغالباً ما تترك المخططات الجزئية لتلك التكتيكات للقيادات الفرعية، إلا في حالات القيادات المركزية الّتي تميل إلى التدخل في الجزئيات وغالباً ما يكون لهذا نتائج سيئة.

ومن الطبيعي أن تلغى بَرَامج التكتيكات أو تعدل أو تبدل من قبل القائمين عليها وذلك بحسب نغير الظّروف المحيط بتنفيذها وهذا ليس له تأثير إن كانَ عرضياً عَلى تنفيذ المخطط العام (الاستراتيجيّة)، أما إذا كانت السمة العامّة هيَ تغير التكتيكات فهذا يدل عَلى قصور في موضوعية واضعيها وعدم إحاطتهم بإمكاناتهم أو بالظروف المحيطة بتنفيذ المخطط.

- **المناورات:**

هيَ مجموعة التكتيكات المرنة الّتي تعتمد المراوغة وخداع العدوّ، من أجل كسب الوقت أو المواقع أو المواقف، وتعتمد هذه المناورات عَلى ذكاء القيادات والعناصر الّتي تقوم بها، كما تعتمد إلى حد كبير عَلى الظّروف العامّة المحيطة.

- **هوامش المناورة:**

هيَ الظّروف المحيطة الّتي تمكن من تكتيكات المناورة والمراوغة وكسب المواقع والمواقف والوقت آنفة الذكر، وغالباً ما تولد بشكل مفاجئ، ولفترات محدودة، ولذلك فإنه يجب اقتناصها وإعطاء دفعة للمخطط الإستراتيجي من خلال ذكاء تكتيكات المناورة وسرعة المبادرة إليها.

- **المبادرة:**

المبادرة هيَ القدرة عَلى إحداث الفعل تجاه المحيط العام أو تجاه العدوّ، سواء كانت المبادرة فكريّة أو سياسيّة أو عسكريّة أو إعلاميَّة.... وبقدر ما تتميز المبادرة بخصائص الواقعية والحيوية والتجديد والشمول، بقدر ما تكون ذات أثر في تغير الأوضاع من حولها وإعطاء دفعة قوية للبرنامج.

- **أما امتلاك زمام المبادرة:**

فهو القدرة عَلى امتلاك إطلاق الأفعال وإدارة الاستراتيجيّة، وإرباك استراتيجية العدوّ وإجباره عَلى الدخول في ردود الأفعال، تبعاً لأفعال الّذي امتلك زمام المبادرة سواءً كانت سياسيّة أو عسكريّة أو سوى ذلك.

(١١)- نظريَّة البناء والهدم في التّحرّك الاستراتيجي:

هذا المبدأ هو أساس في كلّ صِرَاع، وعلى كلّ صعيد يحتدم فيه خصمان، فبدأً من العَقِيْدَة، لا يمكن الإيمان بالله مع الاعتراف بالطَّاغوت، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

وعلى صعيد البناء الفكريّ لا يمكن الدّعوة لإثبات فكرة ما، إلا بإثبات بطلان نقيضها، وعلى الصعيد العسكريّ، فإن خير وسائل الدّفاع الهجوم، وهكذا عَلى صعيد كلّ تنافس وصدامي.

وإذا ماجئنا للمقاومة وخصومها، وجدنا أن هناك صداما حضاريا عَلى كافّة الأصعدة، وفي كلّ المجالات ؛ العقدية والسّياسيّة والفكريّة والثّقافيَّة والاقتصاديَّة.

وفي الشّكل العنيف للصدام، (المجال العسكريّ)، نجد أن مبدأ هدم قوى ومرتكزات ودعاوى عملاء الخصوم هو أولوية في استراتيجية هجوم المُقاوَمة، وعملية يجب أن تجري سواءً بسواء ومنذ البداية مع انطلاق المُقاوَمة، إلى جانب عمليَّة بناء المكوّنات الذاتية للمقاومة، عَلى كلّ تلك الصعد.

إن الميزان الإستراتيجي بيننا وبين الخصوم غير متوازن نهَائِيّاً من النَّاحية المادية، وهو وراجح لصالحهم، في حين أنه راجح من النَّاحية المعنوية لصالحنا، سواءً علىَ صعيد جماهير العرَب والمُسلِمين أو الرَّأي العام العَالمِيّ كله.

فيجب أن تعتمد النَّظريَّة العقدية المُقاوَمة عَلى البناء والهدم، بناء القناعة بمعتقداتنا العامّة وعقيدتنا الجهاديّة لدى أنصارنا، وإثبات بطلان ما يناقضها لدى الخصوم، وذلك بالحوار والحجة والبينة، فإسقاط حجج ودعاوى فُقَهَاء السُّلطَان، وعلماء الإستعمار هو محور استراتيجي.

وعلى الصعيد الفكريّ والثقافي والاجتماعي.. يجب أيضاً بث فكر المُقاوَمة وثقافة المُقاوَمة.. ومحاربة فكر القعود والرُّضُوخ والاستسلام بالحوار والحجة والبينة أيضاً..

وعلى الصعيد السّياسيّ والإعلاميّ.. يجب أن نعتمد إثبات نظَريَّات المُقاوَمة والدّعوة لها ولرموزها بالحجة والبينة.. ودحض دعاوى ركائز الاستعمار وعملائه وهدم صورتهم، وسمعة رموزهم المتعاونين معه، وإبطال دعاويهم السّياسيّة وبراهينهم بالحجة والبينة أيضاً.

وفي المجال العسكريّ، يجب أن تسير عمليَّات التَّجنيد والإِعداد والتَّنظِيم والتّمويل والمؤسسات الأهلية والمدنيّة الداعمة لجُذُور المُقاوَمة، وفي نفس الوقت يجب أن تقوم الأذرع العسكريّة ومُجَاهدو المُقاوَمة بتدمير كلّ مرتكزات العدوّ في أرضنا بالتصفية الجسدية لعناصر هو، وبالتدمير الكامل لمؤسساتهم بالوسائل العسكريّة كما تحتفظ لنفسها بحق الردع وضرب العدوّ في عقر داره كفرع لأعمال المُقاوَمة وذراع تثبت القدرة عَلى المعاملة بالمثل، كما سيأتي.

(١٢) - المحاكمات الثّلاثة للقرار السّياسيّ الشّرعيّ الحَركيّ:

هناك ثلاث محاكمات أساسية يجب عَلى المسلم أن يخضع لها كلّ قراراته وحركاته وأوجه نشاط حياته وما يعزم عليه من أفعال، وهي:

أ- المحاكمة الشَّرعيَّة (حرام أم حلال).

ب- المحاكمة السّياسيّة للمصلحة والمفسدة (مفيد أم مضر).

ج - المحاكمة الواقعية والإمكانية (ممكن أم غير ممكن).

فمثلا لو أراد تاجر مسلم الإقدام عَلى صفقة، فإنه يجب أن يدرس الصفقة من ثلاث أوجه ويخضعها لثلاث محاكمات ودراسات:

- هل هذه الصفقة من المباح الحلال أم من البيوع والصفقات المحرمة كالربا وبيع العينة وبيوع الغرر والغش وسواها من المحرم.
- هل هذه الصفقة.. مفيدة له تجارياً ومادياً أم أنها مضرة..
- هل هذه الصفقة ممكنة أم لا من النَّاحية المادية والواقعية.

وينسحب هذا المثال حتَّى لو أراد مسلم أن يتزوج فإنه سينظر في اختيار زواجه ؛ أولاًهل زواجه هذا حلال، من مسلمة أو كتابية ممن أباح الله الزواج بهن، أم حرام ممن حرم الله زواجهن، وثانيا، هل

هو مفيد أو مضر في أبعاده ومترتباته كلها، وأخيراً هل هو زواج ممكن التنفيذ، أم أن عقبات من جهته أو جهة اختياره تجعله غير ممكن.

وهذه المحاكمات تأخذ أهميتها القصوى في عالم السّياسة، وخاصة عندما يتعلق القرار بأمور مصيرية كقرارات المُقاوَمة وما يتفرع عنها من قرارات سياسيّة شرعيّة أو عسكريّة أو إعلاميَّة..الخ..

وهذا المجال هو من أدق المجالات الّتي يجب أن تدركها القيادات المُجَاهدة المحركة لموضوع المُقاوَمة، فإن القرارات الخاطئة ولاسيما في المجال العسكريّ، مثل سوء اختيار الأهداف وإدخال المُقاوَمة في معارك فرعية، أو مواجهات تفقدها هوية خطها، أو تجعلها تخسر جماهيرها، وقل مثل ذلك في القرارات السّياسيّة، أو النَّشَاطات الإعلاميَّة.. فيجب أن يخضع كلّ قرار من هذا القبيل، لكل من ينشط في مجال المُقاوَمة إلى هذه المحاكمات..

ويجب أن يسأل نفسه:

أولاً: هل ما يريد فعله حرام أم حلال، فإن جهل ذلك فعليه بقوله تَعَالَى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء] فيرجع إلى ثقة في علمه بالشَّرع وبالواقع ممن هو ثقة في دينه فيسأله، فالمسألة مسؤولية دماء وأعراض وأموال...

ثانياً: عليه أن ينظر ويتفكر في أبعاد عمله وما سيترتب عليه، هل هو مفيد لقضية المُقاوَمة أم مضر لها، وهذا الأمر أصعب من سابقة لتعلقه بتشابكات المصالح والمفاسد، إذا لا يكفي أن يكون ظاهر الحكم حلالاً مباحاً حتَّى يكون بالفعل كذلك، لأنه لو ثبت عن طريق الحسابات السّياسيّة والواقعية وآراء أهل التَّجربة وأهل الرَّأي والحَرب والمكيدة، بأن مآل هذا العمل ومترتباته ينتج عنه مفسدة وضرر، فسيصبح الإقدام حراماً تبعاً للقاعدة العامّة (**لا ضرر ولا ضرار، كلّ مضر حرام**)، فإن علم ذلك وإلا عاد إلى من يثق به من أهل الذكر في مسائل السّياسة والواقع من الموثوقين في دينهم، من أهل الرَّأي والحَرب والمكيدة، فإن ثبت له حله ونفعه، نظر في الثّالثة.

ثالثا: ينظر في إمكانيَّاته في تنفيذ هذا العمل.. وهذا أمر أفضل من يُقدره هم العازمون عَلى القيام به. ولاسيما إن استشاروا أهل الخبرة في ذلك، ضمن شروط المستشار ؛ ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ

ﭐلۡأَمِينُ ٢٦﴾ وكما هو واضح شَرعاً وعقلاً بأنه لا يمكن الإقدام إلا عمل وقرار يأخذ ثلاث إجازات من المحاكمات الثّلاثة، الشّرعيّة والسّياسيّة المصلحية والواقعية الحَركيّة، فيكون: **حلالا – مفيدا – ممكنا**.

(١٣) – أحكام الجِهَاد والسّياسة الشّرعيَّة واستنادها للواقع، ومرحلية التكتيكات وصولاً للهدف الاستراتيجي:

قَالَ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه زاد المعاد(١): (فَصْلٌ فِي تَرْتِيبِ سِيَاقِ هَدْيِهِ مَعَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ مِنْ حِينِ بُعِثَ إِلَى حِينِ لَقِيَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ):

[أَوَّلُ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنْ يَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّهِ الَّذِي خَلَقَ، وَذَلِكَ أَوَّلَ نُبُوَّتِهِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يَأْمُرْهُ إِذْ ذَاكَ بِتَبْلِيغٍ، ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢﴾ [المدثر] فَنَبَّأَهُ بِقَوْلِهِ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ وَأَرْسَلَهُ بِـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُنْذِرَ عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ، ثُمَّ أَنْذَرَ قَوْمَهُ، ثُمَّ أَنْذَرَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ، ثُمَّ أَنْذَرَ الْعَرَبَ قَاطِبَةً، ثُمَّ أَنْذَرَ الْعَالَمِينَ فَأَقَامَ بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً بَعْدَ نُبُوَّتِهِ يُنْذِرُ بِالدَّعْوَةِ بِغَيْرِ قِتَالٍ وَلَا جِزْيَةٍ، وَيُؤْمَرُ بِالْكَفِّ وَالصَّبْرِ وَالصَّفْحِ.

ثُمَّ أُذِنَ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ، وَأُذِنَ لَهُ فِي الْقِتَالِ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَ مَنْ قَاتَلَهُ، وَيَكُفَّ عَمَّنِ اعْتَزَلَهُ وَلَمْ يُقَاتِلْهُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله، ثُمَّ كَانَ الْكُفَّارُ مَعَهُ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: أَهْلَ صُلْحٍ وَهُدْنَةٍ، وَأَهْلَ حَرْبٍ، وَأَهْلَ ذِمَّةٍ، فَأُمِرَ بِأَنْ يُتِمَّ لِأَهْلِ الْعَهْدِ وَالصُّلْحِ عَهْدَهُمْ وَأَنْ يُوَفِّيَ لَهُمْ بِهِ مَا اسْتَقَامُوا عَلَى الْعَهْدِ، فَإِنْ خَافَ مِنْهُمْ خِيَانَةً نَبَذَ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ بِنَقْضِ الْعَهْدِ، وَأُمِرَ أَنْ يُقَاتِلَ مَنْ نَقَضَ عَهْدَهُ، وَلَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ (بَرَاءَةٌ) نَزَلَتْ بِبَيَانِ حُكْمِ هَذِهِ الْأَقْسَامِ كُلِّهَا، فَأَمَرَهُ فِيهَا أَنْ يُقَاتِلَ عَدُوَّهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ أَوْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَأَمَرَهُ فِيهَا بِجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ.

فَجَاهَدَ الْكُفَّارَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، وَالْمُنَافِقِينَ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ.

وَأَمَرَهُ فِيهَا بِالْبَرَاءَةِ مِنْ عُهُودِ الْكُفَّارِ، وَنَبْذِ عُهُودِهِمْ إِلَيْهِمْ، وَجَعَلَ أَهْلَ الْعَهْدِ فِي ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: قِسْمًا أَمَرَهُ بِقِتَالِهِمْ، وَهُمُ الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَهُ وَلَمْ يَسْتَقِيمُوا لَهُ، فَحَارَبَهُمْ وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ، وَقِسْمًا لَهُمْ عَهْدٌ مُؤَقَّتٌ لَمْ

(١) زاد المعاد لابن القيم: (٣/ ١٤٤).

يَنْقُضُوهُ وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْهِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُتِمَّ لَهُمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ، وَقِسْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَهْدٌ وَلَمْ يُحَارِبُوهُ، أَوْ كَانَ لَهُمْ عَهْدٌ مُطْلَقٌ، فَأُمِرَ أَنْ يُؤَجِّلَهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، فَإِذَا انْسَلَخَتْ قَاتَلَهُمْ وَهِيَ الْأَشْهُرُ الْأَرْبَعَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ﴾ [التوبة: ٢] وَهِيَ الْحُرُمُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، فَالْحُرُمُ هَاهُنَا: هِيَ أَشْهُرُ التَّسْيِيرِ، أَوَّلُهَا يَوْمُ الْأَذَانِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَهُوَ يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ التَّأْذِينُ بِذَلِكَ، وَآخِرُهَا الْعَاشِرُ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ، وَلَيْسَتْ هِيَ الْأَرْبَعَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞ﴾ [التوبة: ٣٦] فَإِنَّ تِلْكَ وَاحِدٌ فَرْدٌ، وَثَلَاثَةٌ سَرْدٌ: رَجَبٌ، وَذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَلَمْ يُسَيِّرِ الْمُشْرِكِينَ فِي هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ، فَإِنَّ هَذَا لَا يُمْكِنُ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُتَوَالِيَةٍ، وَهُوَ إِنَّمَا أَجَّلَهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ أَمَرَهُ بَعْدَ انْسِلَاخِهَا أَنْ يُقَاتِلَهُمْ فَقَتَلَ النَّاقِضَ لِعَهْدِهِ، وَأَجَّلَ مَنْ لَا عَهْدَ لَهُ، أَوْ لَهُ عَهْدٌ مُطْلَقٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُتِمَّ لِلْمُوفِي بِعَهْدِهِ عَهْدَهُ إِلَى مُدَّتِهِ، فَأَسْلَمَ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ، وَلَمْ يُقِيمُوا عَلَى كُفْرِهِمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ، وَضَرَبَ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ الْجِزْيَةَ.

فَاسْتَقَرَّ أَمْرُ الْكُفَّارِ مَعَهُ بَعْدَ نُزُولِ (بَرَاءَةٌ) عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: مُحَارِبِينَ لَهُ، وَأَهْلِ عَهْدٍ، وَأَهْلِ ذِمَّةٍ، ثُمَّ آلَتْ حَالُ أَهْلِ الْعَهْدِ وَالصُّلْحِ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَصَارُوا مَعَهُ قِسْمَيْنِ: مُحَارِبِينَ، وَأَهْلَ ذِمَّةٍ، وَالْمُحَارِبُونَ لَهُ خَائِفُونَ مِنْهُ، فَصَارَ أَهْلُ الْأَرْضِ مَعَهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: مُسْلِمٌ مُؤْمِنٌ بِهِ، وَمُسَالِمٌ لَهُ آمِنٌ، وَخَائِفٌ مُحَارِبٌ.

وَأَمَّا سِيرَتُهُ فِي الْمُنَافِقِينَ، فَإِنَّهُ أُمِرَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ وَيَكِلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ، وَأَنْ يُجَاهِدَهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْحُجَّةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُعْرِضَ عَنْهُمْ، وَيُغْلِظَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَبْلُغَ بِالْقَوْلِ الْبَلِيغِ إِلَى نُفُوسِهِمْ، وَنَهَاهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَقُومَ عَلَى قُبُورِهِمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ إِنِ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ، فَهَذِهِ سِيرَتُهُ فِي أَعْدَائِهِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ.]. أهـ.

وجمهور العُلَماء أن هذه الأحكام كلها ليست منسوخة بآخر ما وصلت إليه، وهو الحال الّذي يجب عَلَى المُسلِمِين السعي إليه، فأما إذا اعترضهم في ظرف من الظّروف حال من تلك الأحوال الّتي مر بها ﷺ في سيرته، فلهم أن يقيسوا عليها ويهتدوا بهديه ﷺ، فكما أسلفنا فإن مدار أحكام السّياسة الشَّرعيَّة هو عَلَى معرفة الحكم الشَّرعيّ وفهم الواقع وتطبيق هذا عَلَى هذا من قبل أهل العلم والإختصاص الموثوقين في دينهم وسلوكهم.

والآن بعد هذه المقدمات والتعاريف والمفاهيم السّياسيّة الأساسيّة اللازمة، ندخل إلى صلب الموضوع، لبحث واقع الحملات الأمريكيّة والواقع العربيّ والإِسْلَاميّ والدّولي إزاءها، لننتقل بعد بيان ذلك إلي وضع الملامح العامّة للنظريَّة السّياسيّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيَّة المنشودة.

ثانياً: خُلاصة واقع الحملات الأمريكيّة والواقع العربيّ والإِسْلَاميّ والدّولي إزاءها:

إن الأساس في وضع أركان الاستراتيجيّة العامّة للمقاومة ونظريتها السّياسيّة، هو معرفة ملامح الاستراتيجيّة المعادية، وتركيبة أطرافها ومعرفة معطياتها، ثمّ معرفة تركيبة أنصارنا ومن معنا في الصف المقاوم، ولقد تعرضنا من خلال الفصول السَّابقة (في الجزء الأوّل) لكثير من جزئيات واقع الأُمّة الإِسْلَاميّة، وفي هذه الفقرة نعرض لثلاث نقاط مهمة يشكل فهمها أساس منطلقات وضع أركان النَّظريَّة السّياسيّة لدعوة المُقاوَمة.

(١) - طبيعة الحملات الأمريكيّة ومحاورها وأهدافها ووسائلها:

المستخلص من سيل الكتب والدراسات والتصريحات والوثائق الّتي تملأ وسائل الإعلام المختلفة اليَوْم ؛ أن الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الجَدِيدة تأخذ بعداً حضارياً متكاملاً يهدف إلى إزالة مكوّنات الأُمّة الحَضَاريَّة الإِسْلَاميّة عَلى كافّة الأصعدة.

- **ففي الجانب العقدي:**

تهدف (**الحملات الصّهيونيّة- الأمريكيّة**)، إلى تبديل ملامح الدّين الإِسْلَاميّ ومعتقداته الأساسيّة، وتحريفها وإبعاد المُسلِمِين عنها، بحيث تقدم لهم نموذجاً عن إسلام أمريكي عصري علماني، لا يعدو كونه أقرب إلى الشكليات والعادات وبعض الشعائر، مع تبديل المعتقدات الأساسيّة، وإلغاء القضايا الرَّئيسيَّة المتعلق بالهويّة الدّينيّة، والوَلَاء والبَرَاء، والكيان السّياسيّ، والشّخصية المسلمة، والحياة الإِسْلَاميّة عَلى كلّ صعيد...الخ.

وأهم وسائلها في ذلك الإعتماد علي طليعة من علماء السُّلطَان، وبعض الفاسدين من رموز الصّحوة الإِسْلَاميّة، لتجنيد فصائل من (علماء الإستعمار) و(دعاة البنتاغون)، ووضع برنامج طموح بالتّعاون مع الحُكُومَات في العالم الإِسْلَاميّ لتخريج دفعات من العُلَماء والدعاة (المهجنين فكرياً)

و(المستنسخين أمريكيا)، عن طريق ما يسمي دورات إعادة التأهيل الشَّرعيّ لخطباء المساجد والأئمة والوعاظ والمَشَايخ.

وكذلك عن طريق إنشاء مؤسسات إسلاميّة تحت مسميات شتّى تدعو لذوبان الشَّخصيَّة الإِسْلَاميّة وتحريف الدّين تحت شعارات (الحوار) و(الوسطيّة) و(خطاب الآخر) و(إعادة صياغة الخطاب الدّيني)... عَلى أساس أنها من مؤسسات المجتمع المدني غير الحُكُوميّة، وقد بلغت الوقاحة والسفه بالأمريكيّين أواسط سنة (٢٠٠٤) أن يصلوا في طموحاتهم المريضة في تغيير الدّين الإِسْلَاميّ، إلى جمع عدد من العُلَماء والمختصين من أو بعض المرتدّين من أجل اختصار القرآن !! فأخرجوا قرآنا جديدا مختصرا بعد أن حذفوا من القرآن كلّ آيات الجِهَاد والوَلَاء والبَرَاء، وما يدعو إلى كراهية الكفّار ومفارقتهم وجِهَادهم !! بدعوى أن ذلك أساس الإرهَاب في الدّين الإِسْلَاميّ، وأسموا القرآن الجَدِيد المختصر (فرقان الحقّ)!!!! وكأنما قرآننا الكامل المحفوظ بحفظ الله رغم أنوفهم هو فرقان بَاطِل ! حاشاه، وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا، ولك أن تتصوُّر إذن إلى أي مدى يذهب البعد العقائدي لهذه المَعْرَكة.

- **وفي الجانب الفكريّ والثقافي:**

تهدف الحملات إلى علمنة العقل العربيّ والإِسْلَاميّ وتفكيكه، وإعادة صياغته عَلى الطَّريقة الأمريكيّة، بحيث يخلق أجيالاً من الممسوخين الّذين لا هوية دينة ولا فكريّة لهم، ولا يربطهم بجُذُورهم التارِيخِيَّة والثَّقافيَّة أي رابط، ويقودهم مجموعة من العملاء، الّذين لا ينتمون إلى أمة الإِسْلَام إلا بالأسماء والأشكال، ولكنهم صهاينة متأمركون في الفكر والثّقافة والمعتقدات، ولهذا الهدف والبرنامج تفاصيل كثيرة وبَرَامج أصبحت مشهورة، تحت شعار حرب الأفكار والمناهج الّتي تشنها أمريكا عَلى المُسلِمِين وحضاراتهم وشعوبهم لفصلهم عن تلك المكوّنات الحَضَاريَّة.

- **وفي البعد السّياسيّ:**

تهدف الحملات إلى تفكيك الكيانات السّياسيّة القائمة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وإعادة صياغاتها عن طريق اللعب بالخرائط السّياسيّة، والنظم الحاكمة القائمة، والتركيبة السّكّانية طائفياً وعرقياً، كما تهدف إلى فرض نموج من (الدِّيمقراطيَّة الاستعماريّة) المبتكرة، الّتي تمزج بين مبادئ ذات

(أصول ديمقراطية) و(أوضاع استعماريّة) (وأساليب قمعية تعسفية لحُكُومَات ديكتاتورية) !! وذلك بفرض جملة من السياسات، لإبعاد كلّ أشكال المعارضات الدّينيّة والقومية والوطنيّة والسّياسيّة من طريقها، وجعلها غير فاعلة، بحيث تزيل أمريكا بعض الأنظمة الّتي أقامتها أو دعمت وجودها سابقا.. وتطيح ببعضها وتبقى بعضها، وتعيد تشكيل وإنشاء أنظمة أُخرى مكانها، بما يمكنها من تنفيذ برنامجها في منطقتنا عبر مشروعها الّذي أسمته:

(الشّرق الأوسط الكبير) الممتد من تخوم الصين إلى سواحل الأطلسي، ومن ضفاف البحر الأسود وقزوين وإلى بحر العَرَب وصحراء أفريقيا الكبرى.. أي بالمختصر.. العالم العربيّ ومعظم الإِسْلَاميّ.

- **<u>وفي البعد الاقتصاديّ:</u>**

تهدف أمريكا إلى السّيطرة التّامّة عَلى اقتصاديات وموارد تلك المنطقة ولاسيما الطاقة، وخاصة البترول والغاز، مما يسمح لها بالتحكم باقتصاديات حلفائها وإجبارهم عَلى العمل ضمن برنامجها، كما تهدف إلى ربط اقتصاد المنطقة بعجلة اقتصادها واقتصاد إسرائيل، من خلال ما تسميه اتفاقيات الشراكة، وإقامة المناطق الحرة، والمشاريع الاقتصاديَّة المشتركة... والحيل الاقتصاديَّة الاستعماريّة الاحتكارية الأخرى.

- **<u>وفي البعد الاجتماعي:</u>**

تهدف الحملات إلى تفكيك المكوّنات الاجتماعيَّة للعرب والمُسلِمين، وإعادة صياغتها عَلى صعيد الأعراف والتقاليد والسُّلُوكيات... من خلال بَرَامج الإعلام، وهجوم الفضائِيَّات وشبكات الانترنيت، وما تبثه من خلالها وتلعب بفعله بعقول النّاس لتمسخهم وتعيد استنساخهم بحسب النموذج الغربيّ الأمريكيّ، عبر نشر ثقافة الدعارة والسفور والاختلاط والغناء وفنون الرَّذِيلة.. تحت مسميات الحريَّة والترفيه ومساواة الجنسين وتحرير المرأة...إلخ، وقد أطلق الأمريكيّون عَلى مخططهم هذا اسم بَرَامج **إعادة صياغة المجتمعات !!**

- **<u>وفي البعد التربوي والتّعليمي:</u>**

تشن أمريكا عَلى العالم العربيّ والإِسْلَاميّ اليَوْم، حملة ضارية في المجال التربوي والتّعليمي والفكريّ والثقافي، حملة أشد شراسة من حملتها العسكريّة وأكبر ميزانية وأعقد في مخططاتها وشبكاتها وخفاء أساليبها.

فقد أدرك الصّليبيّون واليَهُوْد كما قدمت في مقدمة الكتاب تحت عنوان – محاور المُقاوَمة – أدركوا أن جُذُور المُقاوَمة تأتي من دين الأُمّة وموروثها العقدي والفكريّ والثقافي والأخلاقي، وأن وسيلة تغذية هذا الموروث والحفاظ عليه تأتي من خلال مادة التّربية والتّعليم وأساليبها.. فركزت أمريكا وحلفاؤها الهجوم في هذا المنحى، مستخدمة نفس استراتيجية (البناء والهدم) الّتي أسلفنا ذكرها، فهي تعمل عَلى هدم موروثنا الفكريّ التربوي، معلى ببناء فكرها ونظرياتها وأساليب حضارتها وحياتها في أمّتنا.

أو هكذا تحاول أن تعمل، وقد عملت لهذا عن طريق فرض مشاريع تغير مناهج التّعليم عَلى وزارات التّربية والتّعليم في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، بكافة مراحلها من الابتدائية إلى العليا وركزت خاصّة عَلى تخريب مناهج في مواد التّاريخ، والتّربية الوطنيّة، والتّربية الإِسْلَاميّة، واللغة العربيَّة، والعلوم السّياسيّة والاجتماعيَّة، ومواد الأخلاق...إلخ، كما سعت إلى منع التّعليم الدّيني المتخصص والتضييق عليه، وفرض سيطرة الحُكُومَات عَلى المساجد والدُّروس والخطب.. الخ.

- **وفي البعد العسكريّ للحملات:**

تعمل الحملات الأمريكيّة عَلى فرض سيطرتها العسكريّة عَلى المنطقة الّتي أسمتها الشّرق الأوسط الكبير عبر الاستراتيجيّة التّالي:

١- حضورها العسكريّ المباشر عن طريق الاحتلال لبعض المناطق كما أفغانستان والعراق، ومناطق أُخرى تخطط لغزوها مثل سوريا وإيران والسُّودَان ومصر وأجزاء من جَزِيرَة العَرَب...

٢- التّعاون في جَزِيرَة العَرَب حاليا، وكذلك في تركيا ومصر وشمال أفريقيا ودول وسط آسيا..حيث يوجد في ما تسميه منطقة العمليَّات الوسطى، والَّتي تضم العالم العربيّ ومعظم الإِسْلَاميّ، أكثر من مليون وتضف المليون جندي أمريكي عدا قوَّات الحلفاء من النّاتو وغيره.

٣ - حضورها العسكريّ المباشر عن طريق القواعد البرية والبحرية والأساطيل الّتي تحيط بمجموعها بكافة هذه المنطقة وتشكل مع قواعدها الثَّابِتة في قلب العالم العربيّ والإِسْلَاميّ احتلالها وسيطرتها في المنطقة.

٤- رفع إمكانيَّات الجيش الإسرائيلي ليكون قوة استراتيجية ضاربة متفوقة شبه وحيدة في المنطقة.

٥- تفكيك الجُيُوش العربيَّة والإِسْلَاميّة المحيطة بإسرائيل، عن طريق تدميرها كما في العراق أو تفكيكها كما جري لجُيُوش مصر والأردن وسوريا وغيرها الّتي تحولت لمهام الأمن لقمع شعوبها.

٦- إدخال الجُيُوش القائمة القوية المتبقية في المنطقة في خدماتها اللوجستية كما يفعل الجيش الباكستاني في ساعة كتابة هذه السُّطُور ليلة ٢١-٣- ٢٠٠٤ في مجازره الّتي يضرب بها المُجَاهدين العَرَب والأوزبك والتركستان والشِّيشَان ومن آواهم في منطلق قبائل وزيرستان.. وكما تقدم باقي الجُيُوش التركية وغيرها في المنطقة خدماتها طوعاً أو كرهاً.

- **وفي البعد الأمني:**

يمكن تلخيص الاستراتيجيّة الأمنيّة لأمريكا في آخر ما وصلت إليه بالنقاط التّالية:

١ - نشر الوحدات الأمنيّة من مختلف أجهزة الإستخبارات والأمن الأمريكيّة مثل (CIA) و(FBI) وغيرها مما أستحدثته اليَوْم، بشكل مباشر عبر المكاتب المعلنة الرَّسميَّة في العواصم العربيَّة والإِسْلَاميّة، وعن طريق المكاتب السرية، تحت أغطية مختلفة، وعن طريق الأقسام الأمنيّة في سفاراتها في المنطقة.

٢ - وضع كامل أجهزة استخبارات الأنظمة العربيَّة والإِسْلَاميّة في المنطقة في خدمتها المباشرة. وتوكيلها بالأعمال القذرة من الاعتقال والتعذيب والقمع والتصفية.

٣ - وضع القوَّات الأمنيّة لعشرات الدّول الحليفة المباشرة وغير المباشرة في العالم بأسره في خدمة برنامجها الأمني، وإجبار تلك الدّول عَلى تنفيذ برنامجها ولوائحها الأمنيّة، واعتقال من تشاء وتسليم من تشاء، حتَّى رغم أنف الحُكُومَات وأجهزتها القضائية حتَّى بعد تبرئة ساحتهم، كما حصل في اعتقال الجَزَائِريين الستة من المُجَاهدين العَرَب في البوسنة بعد تبرئة المحكمة البوسنية

لهم! وخطفهم وأخذهم إلى غوانتانامو رغم أنف حكومة البوسنة، ورغم الرَّأي العام العَالَمِيّ الأبله المأسور لوسائل الإعلام الصّهيونيّة الدّولية !

٤ - عقد الاتفاقيات والأحلاف والمؤتمرات الأمنيّة الدَّورية والطارئة في كلّ أنحاء الأرض.

٥ - إلغاء الملاذات الآمنة للإسلاميين المطاردين من فبل بلادهم أو من قبلها، وإجبار الدّول عَلى تسليمهم، أو طردهم لتطاردهم بدورها وتختطفهم.

٦ - تجفيف المنابع المالية للجماعات الجهاديّة وكل مؤسسة إسلاميّة تعتبرها إرهابية أو داعمة للإرهاب. وذلك في محاولة لإدخال المُجَاهدين وأسرهم في حلة الجوع والخوف والفاقة، وشل قدرتهم عَلى العمل والحركة.

٧ - تدمير القواعد العسكريّة المتمركزة، والخطوط الظَّاهِرة لبؤر المُقاوَمة، عن طريق القصف الجوي والصاروخي، أو تكليف قوَّات عميلة للجُيُوش أو الميليشيات المحليَّة بالزَّحف عليها وتصفيتها.

٨ - تصفية رؤوس المُقاوَمة ورموز الجهاديّين اغتيالاً وخطفاً.

٩ - اعتقال العناصر الجهاديّة من كلّ مكان، وتسليمها لأمريكا أو لبلادها أو سجنها محلياً.

١٠ - ممارسة سياسة(الضربات الاستباقية) وإجهاض الخلايا المفترضة للإرهاب كما يدعون، بحيث تدمر أمريكا وتصفي أي مؤسسة أو شخصية تظنها أو تتهمها بأنها معادية.

١١ - إعتماد الردع والإِرهَاب المعاكس.. باستخدام التكنولوجيا المهيمنة وإمكانيَّات الدّولة العظمى.

١٢ - تجنيد العملاء في أوساط الإِسْلَاميّين وزرعهم في ساحات المُقاوَمة المفترضة.

١٣ - إطلاق (حرب الأفكار) كما أسماها رامسفيلد، والهدف منها تدمير الخلفيات الفكريّة والدّينيّة والثَّقافيَّة الّتي تغذي الاستعداد للمقاومة، وزرع مفاهيم الاستسلام للعدو في الأُمّة بدلا عنها، (هذا في الإتجاه الهجومي وأما في الاتجاه الدّفاعي فيمكن إضافة البنود التّالية:)

١٤ - التوسع في إصدار التَّشريعات القانُونيّة لمكافحة الإِرهَاب داخل أمريكا وفي بلاد الحلفاء، بصرف النَّظر عن الحقوق المدنيّة وحقوق الإنسان.

١٥ - استحداث أجهزة أمنيّة داخليَّة جديدة وإعطائها وزارة جديدة في أمريكا.

١٦ - الإحتياطات الدّفاعية الداخليَّة، والإجراآت الأمنيّة الّتي تبلغ حد الهوس عندهم. وإجراء المناورات الأمنيّة عَلى هجومات مفترضة، حتَّى بأَسْلِحة الدمار الشّامل.

١٧ - الضغط عَلى الجاليات العربيَّة والإِسْلَاميّة، وحصارها أمنياً واختراقها وتوظيفها.

١٨ - توظيف المنظمات الدّولية والمتفرعة عن الأمم المتحدة في برنامجها لمكافحة الإِرهَاب، مثل إلزام الدّول الأعضاء كافّة برفع التقارير عن إنجازاتها في مكافحة الإِرهَاب، وتقديم كشوف عن مجريات النّظام البنكي وحوالات الأمول في بلادها، مع التهديد بالعقوبات للدول المتهاونة.

١٩ - وأخيرا ما اقترحته الزنجية الشمطاء والحية الرقطاء (كونديليسا رايس) من فكرة تشكيل ميليشيات محليَّة من القوى الصديقة في كلّ مناطق العالم لتكون ذراع أمريكا المحليَّة في مكافحة الإِرهَاب، وذلك لسد العجز الظَّاهِر في القوّة البشرية الأمريكيّة وعجزها عن سد احتياجات الحلم الإمبراطوري.

هذه باختصار ما يمكن تسميته: [**استراتيجية إرهاب الدّولة العظمى، القطب العَالَمِيّ الأوحد: أمريكا**] حتَّى الآن، أخزاهم الجبار المنتقم.

وبها نختم المحاور العامّة لهذه الحملات الّتي تتحرك بنظريَّة صِرَاع الحضارات، حيث أعلنوا أنهم وضعوا هدف إزالة الحضارة الإِسْلَاميّة طريقا للبقاء وتوحيد الصفوف.

(٢) - واقع الأُمّة العربيَّة والإِسْلَاميّة في مُوَاجَهة الحملات:

و سنتناول ذلك من خلال تناول واقع الشرائح المختلفة:

أ - واقع الأنظمة الحاكمة في بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ إبَّان هذه الحملات:

١ - تحس هذه الأنظمة ولاسيما في منطقة الشّرق الأوسط وما حولها أنها مهددة بالإزالة من قبل أمريكا، إن هيَ لم تستجب للمطالب الأمريكيّة بمزيد من العمالة والانبطاح، ولاسيما في مجال مكافحة الحركات الإِسْلَاميّة وجُذُور المُقاوَمة، وفق المطالب الأمريكيّة، الّتي تريد من الجميع أن يتصرف عَلى طريقة النموذج الليبي الّذي قدمه القذافي: (**تسليم كلّ شيء وفتح الأبواب لكل المطالب والتنازلات**).

٢- تحس هذه الأنظمة أنها مهددة بالإزالة والثَّورة عليها من قبل شعوبها إن هيَ استمرت في مزيد من العمالة والانبطاح والتجاوب مع المطالب الأمريكيّة اللامتناهية.

٣- تقف الأنظمة مذعورة أمام هذين الخيارين بالإزالة من الخارج أو من الداخل، وتقف عاجزة عن ممارسة الانفتاح عَلى شعوبها والتّعاون معها، نتيجة إرث هائل من القمع والفساد والنهب والجرائم تعودت عليه وعلى ما اعتادته من السطوة والمنافع.

٤- يبدو حتَّى الآن أن خيار الأنظمة هو الاستجابة للضغوط الأمريكيّة، ومُوَاجَهة شعوبها لتسير إلى مصير المُوَاجَهة المحتومة معها، من أجل إرضاء أمريكا حتَّى لا تستبدلها.

ب - واقع علماء المُسلِمِين وقيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة:

ينقسم علماء المُسلِمِين اليَوْم إلى فريقين:

فريق علماء السُّلطَان المُنَافِقين.

فريق الصّالحين العاجزين.

وينقسم كلّ فريق إلى قسمين:

فأما علماء السُّلطَان المُنَافِقين فهم:

١ - فريق مع الاستعمار ومع حكامهم في ولائهم للاستعمار.

٢ - وفريق منافق لحكامهم مناهض للاستعمار.

وأما الصّالحون العاجزون ففريقان أيضا:

٣ - فريق يحاول مسك العصا من وسطها بين الحكَّام وبين بذور النهضة الجهاديّة وملامح المُقاوَمة القادمة، ولكنهم كلما مارسوا شيئاً من الحيادية وطالبوا بشيء من الإصلاح لاحت لهم عصا السُّلطَان، وتكاليف الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر وغضب السُّلطَان.. فانقمعوا، ومالوا للمجاملة والمداهنة والتمتمة والإعجام.. فخسروا ما كسبوه من ود الشارع المسلم ومحبته وثقته، **وهكذا ما زالوا يراوحون مذبذبين بين ذلك لا إلى هَؤُلَاءِ ولا إلى هَؤُلَاءِ.. كالشاة العائرة بين الغنمين.**

٤ - والقسم الثّاني من الصّالحين معتزل خائف.. لا تطاوعه نفسه وتقواه عَلى مجاراة السُّلطَان، ولا يسعفه إيمانه وثباته وشجاعته في قول الحقّ ونصرة أهل الحقّ.

وهذا الفريق من (الساكتين عَلى الحقّ) هم خيرة علماء الإِسْلَام اليَوْم! ! عجزة.. مترحضون حيث تاه النّاس وهاجوا وماجوا في الحيرة والتيه وسط في هذه المتلاطمات الّتي تجعل الحليم حيراناً، فكيف بعوام المُسلِمِين. ؟!

ولا يبدو في الأفق وإلى الآن ملامح وجود أحد من مدرسة ابن تيميه وأحمد بن حنبل ومالك والشّافعي وأبو حنيفة وسفيان والأوزاعي.. الّذين طالما أطرب هَؤُلَاءِ العُلَماء الحضور من عوام المُسلِمِين بعطر قصصهم وثباتهم.. وإلى الله المشتكى..

ج- واقع قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة:

يخيم العجز والخنوع عَلى أوساط معظم قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة، ولا يجدون متنفساً إلا في صب جام غضبهم وانتقاداتهم عَلى أمريكا وممارساتها، خاصّة أن سخط الأنظمة من ضغوط أمريكا فتح لبعض هَؤُلَاءِ النافذة ليسبوا الاستعمار، متجاوزين من يمثله ويقوم بمهامه في بلادنا من الحكّام، أما عَلى صعيد البرنامج، فكلهم يدعون اليَوْم للديمقراطية، والإصلاحات السّياسيّة، وخيار الشعب! لعلهم يجدون في ذلك مجالاً ومتنفساً، ولا يبدو في كبار قيادات الصّحوة ورجال الصف الأوّل فيها اليَوْم بوادر من يترشح لقيادة المُقاوَمة والدّعوة إليها.

ولكن كثيراً منهم يلعب دوراً مهماً بالإضافة لبعض الصّالحين من المسترين من علماء المُسلِمِين، في دعوة الأُمّة إلى التمسك بثوابتها، ومواجهات حملات التغريب والاستعمار الفكريّ والحضاري، وهو جهد مهم جداً في توليد أرضية المُقاوَمة.

د- واقع الأحزاب والمعارضات السّياسيّة والقومية والوطنيّة والعلمانيّة:

نتيجة أن الهجمة العَالَمِيّة عَلى الإِسْلَام اليَوْم، وتهمة العاملين تحت شعاره بالإِرهَاب، وجدت الأحزاب والشخصيات السّياسيّة والفكريّة من التّيار العلماني في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، هامش حرية بعيداً عن إمكانية وضعها تحت طائلة (تهمة الإِرهَاب)، وبالتالي الدخول في دائرة التصفية قتلاً وخطفاً وسجناً، وساعد هذا التّيار عَلى الإنطلاق بحرية للدعاية لأفكارهم عوامل أُخرى. من أهمّها أن دعوتهم للديمقراطية، والتداول عَلى السّلطة وحقوق المعارضة، تجد تأييداً من أمريكا وتواؤماً مع مشاريع هما

للإصلاح السّياسيّ، فصاروا يجاهرون بذلك ولا يخافون، ويأخذون راحتهم بالتنديد بالفساد المستشري في الأنظمة وممارساتها وهنا انقسموا إلى قسمين:

١- قسم يمثل المعارضة الشريفة: وهَؤُلَاءِ ينددون بفساد الأنظمة، وأهداف الحملة الأمريكيّة، ويقفون في صف الأُمّة، ويدعون للمقاومة بأسلوب قوي متماسك، من خلال طرح وطني وقومي يلتقي في طروحاته مع أهداف المُقاوَمة والجِهَاد وإن اختلف المنطلق العقائدي.

٢- وقسم يمثل المعارضة العميلة الخَائِنة: وقد جد هَؤُلَاءِ في الهجمة عَلى الإِسْلَام ودعوة أمريكا للإصلاح السّياسيّ، وفرضه عَلى الأنظمة طوعاً أو كرهاً، فرصة كي ينقضّوا عَلى تلك الأنظمة ويشبعوها فضحةً وكشفاً لبوارها، ويطرحون أنفسهم كخيار ثالث، إلى جانب الأنظمة، والقوى المتحاربة معها من الأصوليَّة الإِسْلَاميّة بكل أطرافها.

وهذا الخيار الخبيث هو المرشح للتحرك عَلى الأرض اليَوْم، أمام جحافل الغُزَاة الأمريكان، ليسقطوا تلك الأنظمة، ويحلوا محلها كخيار أشد كفراً وضلالاً وتبعية وخيانة، ومحاربة للإسلام والمُسلِمين.

وتعج وسائل الإعلام والفضائِيَّات ومنتديات الانترنيت اليَوْم بهَؤُلَاءِ الّذين يتخذون من نموذج (كرازي) و(المعارضة العِرَاقيَّة)، الّذين وصلوا مع الدبابات الأمريكيّة لسدة الحكم، نموذج الأمل بالوصول لأحلامهم البغيضة.

<u>هـ - واقع رجل الشارع من عوام المُسلِمين:</u>

يمكن تلخيص حالة رجل الشارع العربيّ تحت عناوين الإحباط والغضب والقهر والرفض للأنظمة، والرفض لما تفرضه بَرَامج الحملات الغازية.

وينقسم عوام الشّعوب العربيَّة والإِسْلَاميّة إلى معسكريّن..

١- أقلية ترحب بالتغير القادم ولو عَلى الدبابات الأمريكيّة، فقد ملوا القهر والفقر والظُّلم والتهميش وضنك العيش..

٢- وأكثرية رافضة للأنظمة، رافضة لبرنامج الحملات الأمريكيّة.. تنادي بالمُقاوَمة وتستعد لها.

والمطلع عَلى حالة الغليان في الشارع العربيّ والإِسْلَاميّ، يستبشر بالخير كلّ الخير، بميلاد حركات مقاومة تمتد من تخوم الصين شرقاً، إلى ضفاف الأطلسي غرباً، ويصل أوارها إلى كلّ أقطار المعمورة..

و- واقع التّيار الجهاديّ وبذور قوى المُقاوَمة:

كما ذكرنا آنفاً فقد تعرض التّيار الجهاديّ بكامل أطيافه ورجاله وتنظيماته، بل وكثير من أنصاره إلى الدخول في أخدود عالم ما بعد سِبتَمبر كما أسلفنا بالتفصيل، ولذلك لم ينج من رجاله وكوادره من القتل والخطف والسّجن إلا من سلم الله، وقد اقتنع معظم من بقي من هذا القليل، بوضع كلّ الأهداف والخيارات السَّابقة جانباً، والأخذ بخيار المُقاوَمة والمُوَاجَهة مع أمريكا وحلفائها.

ولعلّ الله يأخذ بأيدينا وأيدي من بقي لإرساء قواعد مقاومة عالميّة، تكون القَاعِدَة الصلبة الّتي تنشأ عليها قوى المُقاوَمة وفصائلها وسَراياها وخلاياها في الأُمّة.

وأما بذور المُقاوَمة الفطرية في الشارع العربيّ والإِسْلَاميّ، فتشير الدلائل إلى أنها قيد التشكيل، فالمناخ الثّوريّ الجهاديّ ترتفع حرارته بوتيرة متسارعة، وتصنيف الأحداث اليومية إليه وقود من أسباب الغضب والحقد المقدّس، وتلعب وسائل الإعلام وثورة الفضائِيَّات، وشبكات المعلومات، دوراً هاماً ورائعاً في التّواصل بالمعلومات والأخبار وتبادل الأفكار، والسَّاحَة مبشرة بكل ماتعنيه كلمة (مبشرة) من معاني..

ولكن الخوف من انفجار الأمور بلا تحكم، مع كلّ تلك المتناقضات آنفة الذكر حقيقي، ونسأل الله أن لا يدخل النّاس في حال من الهرج والفتن والملاحم والفوضى الشّاملة.

ومن هنا تأتي أهمية أن تتصدى الصّحوة الإِسْلَاميّة والجهاديّة، لترشيد المُقاوَمة ودفعها بالاتجاه الصَّحِيح.

وأخيراً في وصف واقع المُسلِمين لابد من الإشارة إلى ظاهرة هامة وخطيرة جداً وتحتاج علاجاً سريعاً من العقول القادرة عَلى توجيه المُقاوَمة وترشيدها، من العُلَماء والمفكرين والكتاب ورجال الدّعوة الإعلام..

هذه الظَّاهِرة هيَ: (مقاومة نخبة الأُمّة لطلائع المُقاوَمة فيها !!!)

فإنه عَلى العكس من منطق ظروف حالات الإستعمار وقوى المُقاوَمة، في كلّ الأمم كافرها ومؤمنها عبر التّاريخ.

وعلى العكس مما جرى في كلّ تاريخنا العربيّ والإِسْلَاميّ، خلال الحملات الصّليبيّة الاستعماريّة الأولى والثّانية من وقوف الأُمّة ونخبتها ضدّ الأَعدَاء الغُزَاة وحلفائهم، تشير الأحوال إلى ظاهرة غريبة تحف المُقاوَمة والمقاومين بالخطر.

ففي أسوأ الحالات في تلك الظّروف السَّابقة ؛ أفرزت المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة قوى للمقاومة، وانقسمت الأُمّة بين أقلية مُجاهدة مقاومة عاملة، وأكثرية قاعدة عن الجِهَاد والمُقاوَمة، ولكنها كانت مؤيدة لها، داعمة لها بما استطاعت من خدمات مادية أو معنوية، أو حتَّى عاطفية، ولم يشذ من شرائح الأُمّة إلا النادر ممن ضمّ صوته لمساعدة قوى الإستعمار، وكان في طليعة القوى الداعمة للمقاومة في تلك الأزمان علماؤها ومفكروها ورجال الرَّأي والأدب والقلم فيها.

لقد حصل هذا في تاريخ المُسلِمِين، وفي تاريخ كلّ الشّعوب الّتي احتُلت وقاومت..

ولكن الّذي يجري الآن.. أن كثيرا من الشرائح النخبوية المنظّمة في المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة.. طبقة الحكَّام، طبقة العُلَماء، طبقة الصّحوة، طبقة المعارضات السّياسيّة، طبقة المثقفين والمفكرين.. يبدون وكأنهم:

(مضادات حيوية معاكسة للمقاومة، مؤيدة لجرثومة الإستعمار الجَدِيد) !!

ففوق أنها شرائح غير مقاومة للاستعمار، الّذي يقصد كلّ هذه الطبقات من أفسد الحكَّام إلى أتعس المحكومين بالقهر والسلب والدمار.. وإنما مضادات حيوية ضدّ خلايا المُقاوَمة الحية المُجَاهدة لأمريكا وعملائها في المنطقة.

والحَمْدُ لله أن الغالبيّة السَّاحقَة لرجل الشارع العادي من عوام المُسلِمِين نتيجة البوصلة الفطرية السَّليمة عندهم تذهب إلى تأييد الجِهَاد والمُجَاهدين وقوى المُقاوَمة، وكذلك بعض الأقليات من تلك النخب.

وفي رأيي تعود هذه الظَّاهِرة الشاذة الّتي يجب علاجها إلى ثلاثة أسباب..

(١) - نجاح الاستعمار في حملته الإعلاميَّة الفكريّة في مكافحة (الإِرهَاب الإِسْلَاميّ) كما أسماه، وهو اللقب الّذي نجحوا بأن يلصقوه بالجهاديّين، ما خلا حالات خاصّة من المُقاوَمة كما في حالة فِلَسطِين، والعراق جزئياً.

(٢) - ارتباط مصالح الشرائح آنفة الذكر في التّصَدّي للمقاومة الجهاديّة، لأغراض سياسيّة أو شخصية أو فكريّة أو مادية..

(٣) - وهو الأهم في رأيي: فشل الجهاديّين منذُ سِبتَمبر، لأسباب يطول شرحها، في إنجاح حملة إعلاميَّة وفكريّة تستطيع إثبات ذاتها كمقاومة مشروعة وفق معايير تلك الأوساط.

ففي الوقت الّذي ينظر فيه اليَوْم في عموم مكوّنات الشّعوب العربيَّة والإِسْلَاميّة حكاماً، محكومين عَلى اختلاف أجناسهم إلى الجِهَاد في فِلَسطِين عَلى أنه مقاومة مشروعة، وكذلك جزئياً إلى بعض شرائح المُقاوَمة في العراق، تسود الصفة السلبية كلّ أعمال الجهاديّين الّتي تتصدى للأمريكان وحلفائهم في أفغانستان وفي مختلف دول العالم، كالعمليّات الّتي تحصل في السّعُودِيّة والأردن وأوربّا.... حيث طُبع الجهاديّون بكل الصفات السلبية، من الجهل والدموية والإِرهَاب وغير ذلك.. وحشروا في زاوية ضيقة سيئة، تحتاج حلاً سريعاً يعيد وضع الحقّ في نصابه.

وهذه من أهمّ تحديات المُقاوَمة الجهاديّة للحملات الصّليبيّة الصّهيونيّة بقيادة أمريكا وحلفائها وعملائها.

(٣)- خُلاصة تركيبة القوى في مُعَسْكَر المُقاوَمة ومُعَسْكَر الاحتلال ومُعَسْكَر الحياد بينهما:

بعد أن عرفنا برنامج العدوّ وأهدافه واستراتيجيته في تحقيق تلك الأهداف، وهو أمر أساسي في وضع برنامج المُقاوَمة واستراتيجيتها، بقي أن نعرف حتَّى نستكمل معطيات وضع استراتيجيتنا، تركيبة القوى لكل من مُعَسْكَر المُقاوَمة وقواها الذاتية كي نوسعها، وكذلك معرفة ذلك عن العدوّ وحلفائه كي نعمل عَلى تفكيكهم، ثمّ معرفة تركيبة القوى المحايدة بيننا وبينهم للعمل عَلى كسبها أو إبقائها عَلى الأقل في دائرة الحياد.

- **خارطة تركيبة الحملات المعادية لأمريكا وحلفائها وعملائها:**

تتكون الحملات من قوَّات طاغية، تعمل متعاونة في كافّة المجالات العسكريّة والأمنيّة والسّياسيّة والاقتصاديَّة والإعلاميَّة... الخ.. وتتكون هذه الحملات بقيادة أمريكا من القوَّات التّالية بحسب أهميتها:

١ - الولايات المتحدة الأمريكيّة:

الّتي تقودها قوى سياسيّة ولوبيات إعلاميَّة ومالية استطاع اليَهُوْد عبر قرنين من الزَّمن من غزوها والسّيطرة عَلى توجهيها، وتستحوذ الولايات المتحدة عَلى جملة من المعطيات ومظاهر القوّة العسكريّة والاقتصاديَّة والتكنولوجية ليس هنا مكان استقصائها وأصبحت أشهر من أن يشار عليها ويكفي أن نعلم أن مراكز الدراسات الاستراتيجيّة اليَوْم تصنف القوّة العسكريّة لأمريكا بأنها أكبر من القوّة العسكريّة لأكبر تسع قوى عسكريّة تليها في التصنيف مجتمعة !

٢ - إسرائيل:

وتأتي في الدرجة الثّانية في الأهمّيّة في هذه الحملات ليس فقط لأهمية قدراتها العسكريّة، الّتي رعت أمريكا وأوربّا تطورها إلى مستويات عالية، وإنما لأن حاخاماتها من حكماء صهيون هم الّذين يوجهون تفكير هَؤُلَاءِ الحلفاء جميعا، ولأن كبار رجال المال الّذين يملكون كبريات مؤسسات المال والبنوك العَالَمِيّة هم من اليَهُوْد الصهاينة، الّذين يتحكمون في مؤسسات الإعلام العَالَمِيّة من صحافة وسينما وفضائِيَّات ودور نشر... ويديرون بذلك ألاعيب السّياسة في الدّول الكبرى فضلا عن غيرها، ولأن إسرائيل تنزرع في قلب عالمنا العربيّ والإِسْلَاميّ.

٣ - بَرِيطَانيَا:

وهي الحليف الطبيعي لأمريكا دينياً (لأن غالبتهم مثلهم عَلى المذهب البروتستانتي ذي التّأثيرات الصّهيونيّة)، وكذلك تربطهم مع أمريكا روابط أُخرى مثل اللغة والتّاريخ، كما يستحوذ عَلى إدارة كلا الحزبين اللذين يتبادلان الحكم في بَرِيطَانيَا (المحافظون والعمال) لوبيات سياسيّة وإعلاميَّة واقتصاديَّة غالبها يهودي أو تابع للنفوذ اليَهُوْدي، شأنهم شان الحزبين (الجمهوريّ والديمقراطي) في أمريكا، وتأتي أهمية هذا الحليف من خلال الخبرة التارِيخِيَّة الاستعماريّة الهائلة، ولاسيما في بلادنا العربيَّة والإِسْلَاميّة.

٤ - دول حلف شمال الأطلسي (NATO):

وهو الحلف العسكريّ الّذي يربط أمريكا ودول أوروبّا الغربيّة منذُ انتصارها في الحَرب العَالَمِيّة الثّانية، وقد جرى توسيعه عَلى مراحل أهمّها مرحلة ما بعد انهيار الاتحاد السُّوفيتيّ حيث دخلت معظم دول أوروبّا الشرقية الّتي كانت تكون حلف (وارسو) المنحل في (حلف النّاتو) ليصل عدد هذه الدّول اليَوْم إلى نحو ٢٦ دولة، ولكن أبرز تلك الدّول الحليفة وأهمّها من النَّاحية العسكريّة والاستراتيجيّة عامة.. دول أوروبّا الغربيّة مثل: فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، أسبانيا، بلجيكا، البرتغال..بالإضافة إلى استراليا وكندا.

٥ - حلفاء أمريكا من الدّول خارج حلف النّاتو:

بسبب أن أمريكا قد أصبحت القطب الأوحد في العالم عبر طفرة شاذة لا سابق لها في التّاريخ، وبسبب أنها أصبحت تمسك بمفاتيح القوّة العسكريّة والسّياسيّة للتأثير عَلى الأنظمة الحاكمة والدّول، كما تمسك بمفاتيح الإقتصاد العَالَمِيّ ومنابع الطاقة في العالم، كما تمسك بوسائل الإعلام والتوجيه الرَّئيسيَّة في العالم عن طريق سيطرة اللوبيات الصّهيونيّة اليَهُوْدية العَالَمِيّة.

فإن أكثر دول العالم أصبحت داخلة في قائمة حلفاء أمريكا الدائمين أو المرحليين، طوعا أو كرها.

ومن أهمّ الدّول الداخلين في هذه القائمة من حلفاء أمريكا من خارج النّاتو:

أ - اليابان:

ورغم أنها حليف منافس في مجال الإقتصاد، حيث تدور بينهما حرب اقتصاديَّة طاحنة وإن كانت باردة، إلا أن أمريكا بعد هزيمة اليابان في الحَرب العَالَمِيّة الثّانية ١٩٤٥، استطاعت تفكيك الأرضية الدّينيّة والثّقافيَّة لليابان وتبديل هويتها الحَضَاريَّة وإلحاقها بالعالم الغربيّ.

ومنذ حرب الخليج الأولى (عاصفة الصَّحرَاء) ١٩٩٩، وانطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، استطاعت أمريكا جرَّ اليابان لتكون حليفاً عسكريّاً يتورط شيئاً فشيئاً في ميادين الصِّرَاع الأمريكيّة، وبعد سِبتَمبر وغزوا العراق جرت أمريكا اليابان لتكون شريكاً عسكريّاً ميدانيّاً حقيقياً لها في غزواتها وحملات الصّليبيّة، حيث تستدرجها هذه الأيّام إلى أفغانستان.

ب - روسيا:

ما تزال روسيا منافساً تاريخياً لأمريكا ولكن أحوالها الاقتصاديَّة والسّياسيّة جعلتها ألعوبة بيد حلف النّاتو وزعيمته أمريكا، ورغم محاولتها إثبات وجودها ولاسيما في إطارها المحيط في وسط آسيا، ودول البلطيق وشرق أوربّا، إلا أن أمريكا استطاعت جر معظم تلك الدّول أيضاً لحلفها.

فلم يبق لروسيا إلا اللعب عَلى هامش التنافس بين محور الدّول الأوروبية الرَّئيسيَّة (ألمانيا، فرنسا، وأسبانيا مؤخراً)، ومحور (أمريكا وبريطانيا وإيطاليا) وأذيالها من دول أوروبّا الضعيفة، بالإضافة لليابان، ولكن ولأن جميع هذه الدّول بما فيها روسيا، تقف في مُوَاجَهة الإِسْلَام وحضارته، فقد جمعها حلف صليبي يغلب عليه التماسك في محاربتنا رغم تناقضاته وصراعاته الداخليَّة ز ومن هنا تقف روسيا في حلف أمريكا رغم تلك التناقضات والصِّرَاعات الداخليَّة داخل حلفهم كغيرها.

ج - الهند:

تسير الهند لتكون دولة عظمى، فطاقتها البشرية تبلغ المليار نسمة ! وهم يكونون نحو ١/ ٦ سكان الأرض ! واقتصادها ينمو بشكل منافس، وأسواقها الهائلة تشكل ميداناً مهماً جداً للاقتصاد الرأسمالي العَالَمِيّ، وتطورها العسكريّ ؛ التكنولوجي التقليدي والنووي صار في مصاف القوى الاستراتيجيّة، وصراعها التّاريخي بهويتها الهندوسية المتعصبة مع المُسلِمِين يرشحها لتكون ركناً أساسياً في محور الشر (الصّليبيّ - اليَهُوْدي) الغازي للمسلمين، وتشير الدراسات الاستراتيجيّة إلى أن الهند ستبلغ أن تكون في حلول عام (٢٠٥٠ ميلادية)، لتكون الدّولة الثالثة في القوّة عسكريّاً واقتصادياً بعد الصين الّتي ستحتل المركز الأوّل، حيث ستتحرك الولايات المتحدة إلى لمركز الثّاني!!!

وقد أصبح الحديث عن دخولها عضواً دائماً يمتلك حق الفيتو في مجلس الأمن الدّولي يقترب من الوضوح والصراحة، وقد طالبت به دول أوربية منها فرنسا !

ولذلك لم تهمل أمريكا وإسرائيل محاولات جر هذا الحليف الجبار النائم إلى معسكرها، وقد كشفت مسارات الصِّرَاع (الهندي - الباكستاني) عن انحياز أمريكي علني في صِرَاع الهند ضدّ باكستان، وعن الحلف السّياسيّ العسكريّ الّذي يتقدم باضطراد بينهما وأصبحت أخبار المناورات العسكريّة المشتركة بين أمريكا والهند متكررة ومتواترة، كما صرح المسؤولون الأمريكان باعتبار الهند سندهم الأساسي في استقرار جنوب وشرق آسيا في مكافحة الإِرهَاب..

د - حلفاء أمريكا في دول العالم الثّالث:

تعتمد أمريكا عَلى حلفاء هامين في العالم الثّالث، كبعض دول آسيا مثل كوريا الجنوبية وتايوان. ومعظم دول جنوب شرق آسيا، وأكثر دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية.. ودول شرق أوروبّا الّتي لم تلتحق بعد بالناتو.. وقد جرت أمريكا أكثر هَؤُلَاءِ الحلفاء إلى المُعَسْكَر الأمريكيّ بسبب أنظمتهم الفاسدة الّتي لاتختلف أحوالها عن حال الأنظمة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، ولبعض هَؤُلَاءِ الحلفاء أهميته إستراتيجية لأمريكا بدأت تتشكل بدخولهم ميدانياً في صف الحملة العَالَمِيّة لمكافحة الإِرهَاب كما أسموها، بالإضافة إلى أهمية سياسيّة كبيرة لإضفاء شكل الحلف الدّولي عَلى مغامرات أمريكا العسكريّة كما تشارك كوريا وبولندا وبعض دول أمريكا اللاتينية اليَوْم في العراق..

هـ - حلفاء أمريكا وعملائها داخل الصف العربيّ والإِسْلَاميّ:

وهَؤُلَاءِ أخطر الحلفاء لأَنّهم في صفنا الداخلي، ويتكون هذا المُعَسْكَر من المرتدّين والمُنَافِقِين، ويحتوي عَلى الطيف الخبيث التّالي ؛ نذكرهم بحسب تدرج أهمية دورهم لصالح العدوّ:

١ - الأنظمة المرتدّة الحاكمة في الدّول العربيّة والإِسْلَاميّة:

فنتيجة للفساد التّاريخي لهذه الأنظمة، وواقعها المرير، وكونها حصرت همها في البقاء في السّلطة بأي ثمن، فقد أصبحت ألعوبة بأيدي الإدارة الأمريكيّة، وليس هنا مجال الاستفاضة في شرح مناحي فساد هذه الأنظمة وعمالتها للأعداء، فذلك يطول وهو مشتهر عَلى كلّ حال، وباختصار نقول لقد رهنت هذه الأنظمة إرادتها وتصرفاتها بِإرادَة أعداء الإِسْلَام، ولاسيما أمريكا، ففتحت لهم أراضيها برّاً وبحراً وجوّاً، يقيمون فيها القواعد، وينطلقون منها لحرب المُسلِمِين وإبادتهم، وأمدتهم بالنفط والطاقة لإدارة آلتهم الحَربية، وضخت ثروات المُسلِمِين في خزائنهم وبنوكهم، وجعلت أجهزتها الأمنيّة واستخباراتها وسجونها روعا قذرة لخدمة مخططات أمريكا في حرب الإِسْلَام والمُسلِمين وطليعتهم المُجَاهدة المُقاوَمة، ووقفت معها باختصار بكل أجهزتها السّياسيّة والعسكريّة وسواها، ضدّ شعوبها ورغما عنهم، ولم تسمح لتلك الشّعوب، بممارسة أي نصرة لقضاياهم، ولإخوانهم المُسلِمِين، وحرمتهم حتي من أبسط أشكال الاعتراض والتعبير عن رأيهم في كلّ هذا الظُّلم والظُّلمات.

٢ - المنافقون من علماء السُّلطَان وفقهاء الاستعمار والفاسدون من قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة:

يمثل هذا الفريق باختصار السياج الشَّرعيّ الّذي يسبغ الشَّرعيَّة عَلى كلّ ما يلاقيه المُسلِمُون من ظلم وعنت، بدءا من أم البلايا، وهي حكمهم بشرائع أعدائهم بغير ما أنزل الله، وانتهاء بإسباغ الشَّرعيَّة عَلى احتلال بلاد المُسلِمِين واعتبار عساكر الأَعدَاء مأمنين لا يجوز شَرعاً الاعتداء عليهم، ومرورا بدعم مشاريع التطبيع مع اليَهُوْد، وأخيرا وليس آخرا التّحرّك بكل جد وحماس في بَرَامج أمريكا لحرب الأفكار، لمكافحة المُسلِمِين والمُجَاهدين والمقاومين شرعيا باسم الدّين، وفكريا باسم الإِسْلَام، لسحب الشَّرعيَّة عن الجِهَاد والمُقَاوَمة، بعد أن أسبغوها عَلى الإحتلال وأحلافه من الحكَّام المرتدّين، وقد سبق في فصول الكتاب عن هذا ما يغني عن التكرار هنا، وأخطر ذلك وأشده إجراما بَرَامجهم البعيدة المدى للتأصيل لتحريف الدّين، وإعادة تقديمه وفق المواصفات الأمريكيّة لمكافحة الإِرهَاب، الّتي تعتبر أصل ذلك يبدأ من نصوص القرآن والسنة وتراث الأُمّة الّتي أجمعت عليه عبر القرون من الحاكِمِيَّة والوَلَاء والبَرَاء وأسس التّوحيد.

٣- الأقليات العرقية والدّينيّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ:

استطاعت أمريكا، مستفيدة من تراكمات المشاكل والظُّلم الّذي وقع عَلى كثير من الأقليات، مثلها مثل باقي شرائح الأُمّة من جهة، ومن تراكمات الأحقاد التارِيخِيَّة بغير حق لدى بعض الأقليات في الكثير من الحالات الأخرى، استطاعت أن تشكل رأس الحَربة العسكريّة والسّياسيّة الّتي تتحرك عَلى الأرض بشكل متناسق مع قوَّات أمريكا وحلفائها، كما حصل من الأقليات الفرسوانية والتركستانية والشّيعة الهزارة أثناء غزوها لأفغانستان، وكما حصل باستخدامها الأكراد وسواهم من الأقليات أثناء غزوها للعراق.. وكما تجهزهم ليتحركوا اليَوْم في سوريا وتركيا وإيران، وكما يحصل من القوى المسيحية الصّليبيّة السّياسيّة والعسكريّة في لبنان.. وكما تحاول فرنسا وأمريكا تحريك النعرات القوميّة البربرية في شمال أفريقيا... وهكذا دواليك، كما تحاول أن تلعب عَلى وتر القنبلة الموقوتة بين السنة والشّيعة في منطقة الشّرق الأوسط ولاسيما في الخليج والشّام، حيث وفر الجهل حينا والأحقاد التارِيخِيَّة حينا آخر فرصة لها لتدمير وحدة الأُمّة من داخلها وهو أهمّ عوامل نصرها في هذه المُوَاجَهة، بعد أن وفر القوميون العَرَب، والشّعوبيون المتعصبون من الأقليات من العلمانيين مادة هذا السم القاتل لتمزيق شمل الأُمّة عبر عقود متعاقبة.

٤ - المُهَاجِرون المستغربون من أصحاب الجنسيات المزدوجة والوَلَاء الأمريكيّ:

وهذه الشريحة من التكنوقراط وحملة الشهادات العلمية والدراسات العالية.. من أهمّ وأخطر الشرائح، فقد نشأت هذه الطّبقة من المُهَاجِرين وأبناء المُهَاجِرين من الجاليات الإِسْلَاميّة في أوروبّا وأمريكا بسبب الظّروف السّياسيّة والاقتصاديَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.. وقد تلقفت أجهزة الاستخبارات الغربيّة عشرات الآلاف من هَؤُلَاءِ وأبنائهم واختارت فهم من سيكونون رجال السّياسة والقيادة في شتّى المناحي في بلادهم.. ومن أوضح النماذج عَلَى هَؤُلَاءِ أمثال رجل الأعمال والنفط الأفغاني البشتوني الأمريكيّ الجنسية (حامد كرزاي) رئيس أفغانستان المهاجر إلى أمريكا و(... وزاده) سفير أمريكا الأفغاني - الفرسواني الأصل، الأمريكيّ الجنسية أيضا، وهو مهندس (مؤتمر بون) الّذي رسم مخطط احتلال أفغانستان سياسيّاً، ومثل كبار المعارضين العراقيين من أمثال اللص الدّولي المحترف (أحمد الجلبي)، ورفاقه الآخرين مثل (العلاوي) و(بحر العلوم) وغيرهم من الّذين قضوا شطر عمرهم في أمريكا والغرب، ومنهم اليَوْم المعارضين الليبيين وكبار رموزهم في أمريكا، وكذلك المعارضة السوريّة والإيرانية.. الّتي تصنع عَلَى عجل اليَوْم في أمريكا..والنماذج كثيرة بعد أن وفرت أنظمة الظُّلم والإستبداد جاليات من المُسلِمين بعشرات الملايين في بلاد الغرب منذُ قامت هذه الأنظمة، والبرنامج أصبح واضِحاً مكروراً معروفاً ورجاله وأدواته كذلك.

٥- العملاء المتأمركون من التّيار العلماني داخل العالم العربيّ والإِسْلَاميّ:

أفرز الهجوم السّياسيّ الأمريكيّ عَلَى العالم العربيّ والإِسْلَاميّ تحت زعم الإصلاح والدِّيمقراطيَّة نوعا من المعارضات السّياسيّة الّتي تبنت مشاريع الدِّيمقراطيَّة والإصلاح السّياسيّ الأمريكيّ، من العلمانيين المستغربين، أو المتأمركين بالأحرى الّذين يرحبون صراحة ودون أي مواربة باستنساخ النموذج الأمريكيّ لنظم الحياة بأي طريقة ولو كانت عَلَى الدبابة الأمريكيّة بحسب النموذج العراقي، وقد استأسد هَؤُلَاءِ المعارضون حتَّى عَلَى الأنظمة السّياسيّة المنغلقة كما في مصر ودول الخليج وغيرها بعد أن لمسوا الحماية الأمريكيّة وخور الأنظمة الّتي تعد أيّامها المتبقية ! وهذا الصنف مع سابقه هم الّذين تعدهم أمريكا لحكمنا في مرحلة ما بعد زوال الأنظمة الحالية.

٦ - طبقة المنتفعين من الإستعمار ماديا من كبار رجال المال والأعمال في بلادنا:

تنشأ مع هذا الهجوم الأمريكيّ الشّامل اليَوْم، والّذي يتضمن مشاريع مؤامرة اقتصاديَّة كبرى، طبقة من التجار وأصحاب رؤوس الأموال في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، من الّذين يدخلون شركاء في المشروع الاستعماريّ الأمريكيّ عبر مخططات الشراكة.. والمناطق الحرة.. والمشاريع الاقتصاديَّة الأمريكيّة والغربيّة الكبرى، وغالب هَؤُلَاءِ من رجال السّلطة والسّياسة، ورؤساء المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة، من رؤساء القبائل أو الإقطاعيين، أو الرأسماليين الّذين تتناسب وتتداخل مصالحهم مع أهداف ومصالح المشروع الأمريكيّ في أسموه الشّرق الأوسط الكبير.

٧ - الطّبقة المنحلة الفاسدة من فساق عوام المُسلِمِين:

وأكثر هَؤُلَاءِ من الشرائح الشعبيَّة في عامة الأُمّة العربيَّة والإِسْلَاميّة، من الممسوخين فكرياً والمهزومين حضارياً، الّذين ربطوا عقولهم بمنابع البث الفكريّ والثقافي لأجهزة الإعلام الأمريكيّة والغربيّة، وتربوا عَلَى بَرَامج (الفيديو كليب) و(ستار أكادمي) وفضائية (روتانا) وأمثالها... حيث تهتم القوى الاستعماريّة برسم مخططات تغريب كبرى لتوسيع هذه الشريحة عن طريق افتتاح الجامعات والمراكز العلمية والثَّقافيَّة والبعثات إلى أمريكا لمدد طويلة لتأهيل كادر عميل كاهل علمياً وفكرياً وثقافيّاً، ليكون منهم جمهور المصفقين في حفلة الزار الأمريكيّة الّتي تدق طبولها في طول بلادنا وعرضها اليَوْم.

يركيبة قوى المقاومة وأنصارها وحلفاؤها في المجال العربي والإسلامي والدولي:

تتكون طلائع المُقاوَمة الناشئة والمُوَاجَهة لهذه الحملاَت الصّليبيّة من القوى والشرائح التّالية الّتي أرتبها بحسب أهميتها كما يلي:

(١)- بقايا تنظيمات التّيار الجهاديّ من الأفغان العَرَب، والقَاعِدَة، والجهاديّين عموماً من بقايا الجماعات والأفراد المنتشرين المشردين اليم في مختلف أنحاء العالم.

(٢) - التَّنظِيمات المُجَاهدة (من غير التّيار الجهاديّ) في مختلف أنحاء العالم الإِسْلَاميّ كالمُجَاهدين في فِلَسطِين وكشمير والفليبين وبورما وجنوب شرق آسيا ووالقرن الأفريقي والشِّيشَان والبوسنة والبلقان ووسط آسيا... وغيرها.

(٣)- أنصار الظَّاهِرة الجهاديّة من الشَّبَاب المتحمس، الحامل للفكر الجهاديّ في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

(٤) - قواعد جماعات الصّحوة الإِسْلَاميّة عامةً من مختلف الشرائح حيث تتصاعد عندها مشاعر الغيرة والحماس والثّوريّة والتوجه الجهاديّ والعاطفة، رغم توجه أكثر قياداتها نحو العمل السّياسيّ والدعوي والقعود عن الجِهَاد والمُقاوَمة، وهذه شريحة تعد بالملايين ولله الحمد.

(٥) - العُلَماء المستقلون الصّالحون وهم كثر ولكنهم ما زالوا في دائرة العجز والترخص والعقود، ولكنهم متعاطفون مع المُقاوَمة، وأعتقد أنهم سيبرزون عندما تقوى شوكتها.

(٦) - القيادات الصّالحة الشريفة في الصّحوة الإِسْلَاميّة، ولاسيما في قيادات الصف الثّاني وقيادات الوسط فيها، فأكثرهم بدأ يدرك أن الجِهَاد هو الحلّ بعد عقم المسارات السّياسيّة وازدياد وقاحة الهجمة الاستعماريّة، وخاصة في التّيار السلفي والجماعات الحاملة لفكر الإخوان المُسلِمين.

(٧) - رجل الشارع المسلم العادي في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.. وهذه شريحة ضخمة، فالمتحمسون للجِهَاد والمُقاوَمة، والمستعدون لتقدم شيء من المجهود المقاوم في المجال المباشر (العسكريّ) أو (المُقاوَمة المدنيّة) أو الدّعم بالمال أو بالكلمة أو أي مساهمة، ولو حتَّى بالدّعاء في ظهر الغيب وهو **من أمضى السّلاح في هذه المَعْرَكة**.. هم شريحة بمئات الملايين في أمة مقهورة يناهز تعدادها اليَوْم المليار ونصف المليار من المُسلِمِين.

(٨) - الشرفاء وأصحاب الضمائر من التّيار القومي والوطني واليساري وبعض المعارضات العلمانيّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

أما عن الانصار والحلفاء المفترض للمقاومة الإسلامية العالمية في المجال الخارجي فهم كافة أعداء المشروع الإمبريالي الامريكي وبرامجها الإمبراطوري التوسعي وحملاتها الصليبية الإمبريالية.

وأعداء الإمبريالية الأمريكيّة اليَوْم في العالم كثر، حتَّى في العالم الغربيّ، بل وحتى داخل الشعب الأمريكيّ، وهم في العالم شريحة واسعة جداً، وقد استعلن بعضهم بموقفة واستخفى آخرون نتيجة الخوف والضغوط، ولكن اشتداد ساعد المُقاوَمة الإِسْلَاميّة وإثخانها في قوّات أمريكا، وإزالة شيء من

هيبتها سيجعل هذه الشريحة الخائفة من قمع أمريكا تعلن موقفها، وسيجعل الحلف الأمريكيّ عرضة للتحلل والتفكك.

وأما أنصار المُقاوَمة وحلفاءها المفترضين في الخارج في هذه الأوساط فهم بحسب أهميتهم:

أ – الأحزاب اليسارية في الدّول الغربيّة والَّتي عرفت بتاريخها في مناوئة السياسات الأمريكيّة.

ب – الأحزاب الوطنيّة وقوى التحرر العَالَمِيّة في العالم الثّالث والَّتي عرفت بتاريخها في مناهضة الإستعمار وخاصة التسلط والإمبريالية الأمريكيّة.

ج – أحزاب الخضر والأحزاب السّياسيّة القوميّة والوطنيّة المناوئة للسياسة الأمريكيّة في الغرب.

د – منظمات حقوق الإنسان والمؤسسات غير الحُكُوميّة المناهضة للسياسات الأمريكيّة في العالم الغربيّ.

هـ – التَّنظِيمات العسكريّة السرية اليسارية وغيرها، المعروفة بمعاداتها لأمريكا أو لحلفائها، مثل الألوية الحمراء والجيش الأحمر الياباني ومنظّمة ايتا في باسك أسبانيا والمنظمات الرَّافِضَة لإلقاء السّلاح من الجيش الجمهوريّ الإرلندي...و أشباه ذلك.

و – المؤسسات والمنظمات الأهلية داخل الولايات المتحدة الأمريكيّة ذاتها من الكتل والهيئات والشخصيات المعارضين للسياسة التوسعية الأمريكيّة.

وهذه أوساط يجب التّحرّك نحوها سياسيّاً وإعلاميا وغير ذلك.. للاستفادة من القاسم المشترك بيننا وبينها ضدّ السياسات الإمبريالية الأمريكيّة كلا بحسبها.

وأعتقد أن مثل هذه النقلة ممن تتوفر لهم إمكانيَّات ذلك يمكن أن تفتح أمامنا مجالات تربك العدوّ وتقلب حساباته الأمنيّة والاستراتيجيّة رأسا عَلى عقب.

واقع مِعسكر الحياد في الصِراع بين الحملات الامريكية وقوى المقاومة الإسلامية العالمية:

حتَّى الآن ما يزال مُعَسْكَر الحياد في الصِّرَاع بين أمريكا وحلفَائها من جهة وبين قوى المُقاوَمة الإسْلَاميّة لها من جهة أُخرى، ما يزال محدوداً وصغيرا وذلك لثلاثة أسباب:

أولها: الإرهَاب الأمريكيّ السّياسيّ والإعلاميّ والاقتصادي والعسكريّ والأمني.. لكافة الأطراف الّتي تعلن مناوأتها للمشروع الأمريكيّ تحت طائلة وصمهم يدعم الإرهَاب.

ثانيهما: حشر المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة بكافة أطيافها وألوانها في دائرة السمة (بالإِرهَاب) بل وبوضعهم تحت مصطلح (القَاعِدَة) وأنصار القَاعِدَة. وبالتالي إحراج من سيؤيدها وإشعاره بأنه يسير إلى حتفه.

ثالثاً: فشل أطياف المُقاوَمة المختلفة حتَّى الآن في برنامجها الإعلاميّ والسّياسيّ، وفشلها في إبراز نفسها أمام الرَّأي العام المحلي والعَالَمِيّ كقوى مقاومة مشروعة، وتركيزها عَلى البعد التّحريضي عَلى العمل، دون أبعاد سياسيّة إعلاميَّة تراعي مسارات تشكل الرَّأي العام.

ولكن مع ذلك فهناك طيف من الدّول والقوى الإقليمية والعَالَمِيّة ما تزال في دائرة الحياد، يجب أن تكون محل جهد من قوى المُقاوَمة وكوادرها ولاسيما في المجال السّياسيّ والإعلاميّ لتحويلها ما أمكن إلى المُعَسْكَر المناصر لقوى المُقاوَمة.. ومن هذه القوى..

١- في المجال الخارجي..

هناك الصين الّتي تسعى أمريكا لتفتيتها، وقد وضع الكونغرس برنامجا علنيا لذلك منذُ ١٩٩٥، وهي مرشحة للتحول إلى المُعَسْكَر المعاون للمقاومة للأمريكان، في حال أثبتت قوى المُقاوَمة نفسها وقدمت أنفسها كمقاومة (مشروعة) في المفهوم الدّولي ونجحت في الخروج من تهمة (الإِرهَاب)، وهناك العديد من الدّول الآسيوية والأفريقية كذلك.. وهناك شرائح هامة جداً من شعوب الدّول الغربيّة الّتي تكره أمريكا وبَرَامجها، ولم تتفهم بَرَامج المُقاوَمة في بلادنا وأهدافها، وقد ثبت ضخامة هذا المُعَسْكَر من خلال المسيرات الضخمة الّتي جالت شوارع البلدان والعواصم الغربيّة، وهذه شرائح ليست مؤيدة بطبيعة الحال للمقاومة.

٢- وأما داخل المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة ذاتها:

فما تزال **شرائح القوى المحايدة كبيرة فهي تبغض الأمريكان ولا تؤيد المُقاوَمة**، ولا تفهم رسالتها ولديها عنها تصوُّرات مشوهة.. كالأقليات الدّينيّة والعرقية، وكثير من عوام النّاس.

وبعد هذا الشرح الموجز لخارطة القوى والحلفاء لكل من المعسكريّن المتصارعين ؛ مُعَسْكَر الأَعدَاء الغُزَاة ومُعَسْكَر قوى المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة لهم، يمكن أن ننتقل للفقرة التّالية الهامة وهي:

ثالثاً: أركان الاستراتيجيّة السّياسيّة العامّة لدعوة المُقاومة الإسْلاميّة العَالَميّة:

في بداية الحديث عن الخطوط العريضة لاستراتيجية المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة في مُوَاجَهة أمريكا وحلفائها يجدر بنا لفت النَّظر إلى نقاط هامة جداً:

- أن الاستراتيجيّة كما أسلفنا من صفاتها اللازمة الثّبات النسبي، وثباتها متعلق بالثّبات العام للمعطيات المحيطة والظروف العامّة، ولكن نظراً للاختلال الصارخ في موازين القوى المادية بين قوى المُقاوَمة وقوى الحملات الأمريكيّة وحلفائها، فإن استراتيجية المُقاوَمة لا يمكن أن تكون تفصيلية، **لأن الضّعفاء لا يستطيعون وضع الإستراتيجيات**، وذلك لعدم إمكانيتهم في فرض الظّروف، أو عَلى الأقل المحافظة عَلى ثباتها، ولذلك قد تتغير الإستراتيجيات نتيجة الانقلاب في الظّروف العامّة، **ومن الأجدى أن تكون استراتيجية المُقاوَمة مجموعة خطوط استراتيجية عريضة تعطيها مرونة الحركة وتبديل التكتيكات بحسب الوقائع الناشئة.**
- **إن المُقاوَمة عمل صدامي، ومشروع مُوَاجَهة، ويجب القول بوضوح وفهم حقيقة هامة جداً.. بأنه بغير مُوَاجَهة مسلحة قوية وحاضرة عَلى الأرض، وبغير مقاومة تأخذ صفة الظَّاهِرة العامّة، وليس مجموعة من أعمال الإنتفاضات، فلن تكون هناك قيمة لأي نظريَّة سياسيّة وإعلاميَّة للمقاومة، فإن المُقاوَمة تستمد وجودها وحياتها من قوتها لمسلحة الفاعلة عَلى الأرض، وتستمد مشاريعها السّياسيّة والإعلاميَّة قيمتها وحضورها، من طلقات بنادق المُجَاهدين، ودوي انفجارات عمليَّاتهم.**

كما أنه بغير عمل سياسي وإعلامي، فإن كلّ الجهود العسكريّة تذهب هدراً، ولا يمكن توظيفها لتحقيق الهدف، لأنه كما أسلفنا فإن الانتصار في المُقاوَمة هو عمليَّة إنهاك سياسي وليس تحطيم للخصم في ظل مثل هذه المعطيات، اللّهم إلا إذا وفقنا الله أو وفق غيرنا بضرب أمريكا في عقر دارها بأَسْلِحة الدمار الشّامل، أو دمرتها النيازك والزلازل والأعاصير الربانية وارتاحت البشرية من شرورها.

- الاستراتيجيّة السّياسيّة هيَ جزء من الاستراتيجيّة العامّة، ويجب أن تكون متناغمة مع الاستراتيجيّة العسكريّة والإعلاميَّة والأبعاد الأخرى للاستراتيجية العامّة، وتوضع كلها في خدمة الأهداف الاستراتيجيّة العامّة.

الأهداف الاستراتيجيّة الأربعة لدعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالمِيّة وهي:

(1) – دحر الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية بقيادة أمريكا وحلفائها من اليَهُوْد والصّليبيّين ومطاردة فلو لها في العالم الإسْلَامي.

(2) – تصفية قوى العمالة والنِّفَاق الّتي تعمل علىَ تحقيق أهداف الحملات الغازية.

(3) – إسقاط أنظمة الرِّدَّة والخيانة القائمة في بلادنا بسبب دعم تلك الحملات الغازية.

(4)– إقامة حكم الشّريعة علىَ أنقاض تلك القوى المرتدّة.

المحاور العامّة للإستراتيجية السّياسيّة لدعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة:

أولاً: توسيع مفهوم المُقاوَمة ومحاورها لتشتمل المُوَاجَهة مع كافّة مناحي ومحاور هجمة الحملات الأمريكيّة الصّهيونيّة، وهي محاور شاملة كما بينا، وعدم قصرها عَلى مجال المُقاوَمة العسكريّة رغم أنها جوهر دعوة المُقاوَمة وأساسها، وهذه المحاور هيَ:

١ – المُقاوَمة العسكريّة:

باستهداف كافّة أشكال تواجد الأَعدَاء ومن يظاهرهم، ومشاريعهم ومؤسساتهم العسكريّة والأمنيّة والسّياسيّة والاقتصاديَّة والثَّقافيَّة وغير ذلك بحسب ما بيناه من الضوابط المنهجيّة الشَّرعيَّة، وكما سنفصله في شرح النَّظريَّة العسكريّة، إن شاء الله.

٢– المُقاوَمة السّياسيّة:

وذلك بمقاومة المشاريع والأهداف السّياسيّة للعدو، ومرتكزاته في بلادنا، بالوسائل السّياسيّة السّلميّة، حيث يمكن أن يستفاد من هوامش ما تعتبره القوانين المحليَّة والعَالَمِيّة مشروعا، ولاسيما في مجالات المؤسسات الأهلية، ومنظمات المجتمع المدني، والإنتباه إلى عدم الإنتماء والعضوية لمؤسسات للمؤسسات الحاكمة الّتي يقيمها الأَعدَاء، أو المؤسسات الحاكمة بغير ما أنزل الله الموالية للأعداء.

٣– المُقاوَمة الإعلاميَّة:

وهي فرع من المُقاوَمة السّياسيّة. وذلك باستخدام الوسائل العصرية بكافة أشكالها ولاسيما الفضائِيَّات وشبكات الإنترنيت، للتحريض عَلى المُقاوَمة بأشكالها، ولمكاتبة المؤسسات والمنظمات والشخصيات، في بلادنا، وفي كلّ مكان، حتَّى بلاد العدوّ ذاتها، خاصّة الأوساط المتوقع تأثيرها بأي شكل لصالح قضيتنا تسعيرا للمقاومة وتوحيدا لصفوفها، ومن أجل تفتيت صف العدوّ وإضعافه ودحض حججه ومسوغاته.

٤- المُقاوَمة المدنيّة:

وذلك بمُوَاجَهة الأَعدَاء ومن يظاهرهم من قبيل التظاهرات والاعتصام والإضرابات، ومختلف أشكال الإحتجاج الشعبي، كإطلاق الشعارات والكتابة عَلى الجدران، ونشر المواد المحرضة عَلى الثَّورة عَلى المحتلين وأعوانهم، عبر المنشورات والبيانات الصوتية والمصورة وبكل وسيلة.. وما يمكن للنَّاس أن يفعلوه، وهذه مسؤولية المنظمات الشعبيَّة كالنقابات واتحادات العمال والطلاب، ورؤوس النّاس وفي مقدمتهم العُلَماء وزعماء النّاس ورموزهم في كلّ مجال.

٥- المُقاوَمة السلبية:

وهذه وما يليها أضعف الإيمان في جِهَاد هَؤُلَاءِ الأَعدَاء والمُنَافِقين لهم في بلادنا، ومن ذلك المقاطعة في كافّة المعاملات، فلا يبيعهم ولا يشتري بضائعهم ولا يستقبلهم، ولا يبدي لهم الحفاوة، ولا ينتمي إلى مؤسساتهم، ولا يدفع لهم المكوس والضرائب إلا مكرها، وأن يظهر لهم كلّ أشكال البَرَاء بحسب استطاعته، أن يقاطع وسائل إعلامهم ولا يستمع إليهم، وأن يدعو الله عليهم ويلعنهم بقلبه، وبلسانه إن استطاع لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

٦- المُقاوَمة بتعميق جُذُور المُقاوَمة:

وذلك بالحفاظ عَلى الهويّة الدّينيّة والقومية والفكريّة والحَضَاريَّة للعرب والمُسلِمين، ومُوَاجَهة الحملات في مناحيها العامّة كافّة الثَّقافيَّة والتربَويّة، وهذا النوع من المُقاوَمة عَلى سهولته، وعدم تجشم صاحبه أي تكليف عملي، مهم جدا لاستمرار جذوة الحياة في الأُمّة، فقد لا يكون هذا الجيل قادرا عَلى الدَّفع كما ينبغي لضعفه وظروفه، ولكن الحفاظ عَلى هوية الأُمّة الدّينيّة والثَّقافيَّة والاجتماعيَّة والأخلاقية، وكافة المواصفات الحَضَاريَّة، كفيل بحفظ روح المُقاوَمة وجُذُورها إلى أجيال تكون أقدر

عَلى العطاء، ويكون هذا بالحفاظ عَلى روح التدين، ونشر علوم الإِسْلَام بصفائها بعيدا عن التزوير الّذي تقوم به وسائل أمريكا في بلادنا، وهنا يبرز دور المساجد، وحلق التدريس العلنية والسرية إن اضطر الحال، وبنشر الكتب والمنشورات التربَويّة سرا وعلنا أيضا، وللتربية المنزلية وما تقوم به الأمهات وربات البيوت من تنشئة الصغار عَلى الدّين وغرس الهويّة الإِسْلَاميّة في عقولهم منذُ الصغر أكبر الفائدة والأثر.

ثانياً: الضبط العقدي والمنهجي والفكريّ لمنطلقات المُقاوَمة ومستنداتها الشَّرعيَّة بحيث تنسجم وأساسِيَّات الدّين الإِسْلَاميّ، ومفاهيم الجِهَاد السامية وقواعده وأحكامه السّياسيّة الشَّرعيَّة الراسخةً، وآدابه الشَّرعيَّة المعروفة.

وحفظها من أن تتحول إلى الفوضى والهرج وأجواء الفتن، والتركيز عَلى حفظ دماء وأموال المُسلِمِين برهم وفاجرهم والسعي في إصلاحهم، والتركيز عَلى ضرب العدوّ وأنصاره المظاهرين له.

ثالثاً: إخراج المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة من دائرة تهمة (الإِرهَاب الأعمى) غير الهادف الّتي رسمتها أجهزة الإعلام، وإبراز هوية المُقاوَمة الحقة كحركة جهاديّة تمارس حق الدّفاع عن النّفس وحق تكفله الأديان والشرائع السماوية كما تكفله الأعراف والقوانين الإنسانية.

ومحاولة كسب الرَّأي العام في مختلف شرائح المجتمعات والشّعوب عَلى الصعيد العربيّ والإِسْلَاميّ والعَالَمِيّ.

رابعاً: تطوير أساليب المُوَاجَهة العسكريّة والأمنيّة بحيث تتلائم مع حالة اختلال التوازن الصارخ مع الهجمة الأمريكيّة الطَّاغية وحلفائها، وعدم إدخال قوى المُقاوَمة في مواجهات مكشوفة غير متكافئة.

خامساً: مد الجسور مع مختلف شرائح ومكوّنات المجتمعات العربيّة والإِسْلَاميّة الرَّافِضَة للطغيان، وإزالة حالة العزلة الاجتماعيَّة والسّياسيّة والفكريّة بين المقاومين والجهاديّين وبين تلك الشرائح ماأمكن، وعلى رأسها مكوّنات الصّحوة الإِسْلَاميّة وقياداتها وعلمائها وقواعدها، ثمّ كافّة التَّجمُّعات والأحزاب والشخصيات والقوى الشريفة المعبرة عن ضمير الأُمّة الحي في مُوَاجَهة الغزو والعدوان من كلّ الأطياف.

سادساً: اعتماد سياسة تفكيك الحلف الأمريكيّ الصّليبيّ اليَهُوْدي المعادي ليقتصر عَلى أقل ما يمكن من الحلفاء مع أمريكا وإسرائيل وقوى الصّهيونيّة اليَهُوْدية والصّليبيّة المتصهينين.

سابعاً: إبراز البعد الحضاري لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة كحركة حَضَاريَّة متكاملة تهدف لإقامة الدّولة الإِسْلَاميّة وحمل مشعل الحضارة والخلاص لبني البشر، وإقامة العلاقات مع الشّعوب الأخرى عَلى أساس العدل والإحسان.

ثامناً: اعتماد استراتيجية حصر الصِّرَاع في دائرة القوى المعادية وحلفائها، واعتماد مبدأ التحييد الممكن للقوى المختلفة والتجنيد الممكن من القوى المناصرة لوضعها في دائرة الأداء والعمل المقاوم.

تاسعاً: تكوين حلف للمقاومة يعتمد ثلاثة دوائر، عَلى مبادئ أساسية وهي:

(١)- الجِهَاد مع أهل السّنّة والجماعة.

(٢)- التّعاون مع أهل القبلة من المُسلِمِين.

(٣)- الاستعانة بكافة القوى المخلصة في نصرتنا من أعداء أمريكا وحلفائها من غير المُسلِمِين.

ضمن ضوابط قواعد السّياسة الشَّرعيَّة ومعطيات المصلحة والحركة في ضوء الواقع السّياسيّ.

عاشراً: اعتماد سياسة حرب الإنهاك الطويلة المدى في المُوَاجَهة الشّاملة مع أمريكا حلفائها، باستخدام أسلوب حُرُوب العِصَابات السرية، ولاسيما أسلوب الإِرهَاب والردع بحُرُوب عِصَابات المدن، واستهداف التواجد الإستراتيجي للعدو في بلادنا.

أحد عشر: اعتماد استراتيجية البناء والهدم في المُوَاجَهة مع الحملات، البناء لقوى المُقاوَمة وكافة مرتكزاتها وجُذُورها وكوادرها وأحلافها، والهدم في المقابل لقوى الحملات الأمريكيّة وحلفائها والإهتمام بتصفية وإجهاض مرتكزات هذه الحملات وخياراتها في كافّة المناحي السّياسيّة والاقتصاديَّة والثَّقافيَّة وسوى ذلك في بلاد المُسلِمِين.

اثنا عشر: الاستفادة من مُعَسْكَر المناصرين لقضيتنا داخل المجتمعات الغربيّة وغيرها من الدّول المكونة للحلف الصّليبيّ الصّهيونيّ بقيادة أمريكا.

ثلاثة عشر: العمل عَلى تناسق التكتيكات بين الأعمال الجهاديّة العسكريّة والسّياسيّة والإعلاميَّة والدعوية التربَويّة في الأُمّة لتحقيق استراتيجية المُقاوَمة العامّة.

وإجبار العدوّ عَلى القناعة بأن ما يجنيه من الحملات والاحتلال والعدوان أقل بكثير من تكاليف حملاته عَلى الصعيد البشري والاقتصادي.

أربعة عشر: إعتماد استراتيجية السعي والعمل وترك متاهات الجمود والجدل فقد أوضحت الأحداث كلّ شيء، وتبين صف العدوّ وأهدافه، وصف المُقاوَمة ومشروعيتها. ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾

وقد يطرح تساؤل هام حول استراتيجية المُقاوَمة لمرحلة ما بعد هزيمة الحملات، وإسقاط حلفائها، وما هو برنامجها السّياسيّ والاقتصادي والثقافي والاجتماعي... إلى آخره.

وهنا نوجز الإيضاح بما يلي:

(١)- أن مرحلة المُقاوَمة طويلة المدى ستفرز رجالها وكوادرها وعلماءها ودعاتها ورموزها.. وعليهم ستقع مهمة الإجابة عَلى هذا السّؤال من خلال إرث المسار وثوابته..

(٢)- أن الواقع الجَدِيد إذّاك - بعد هزيمة العدوّ - سيفرز بالإضافة لرجاله الجدد، ظروفه الجَدِيدة، الّتي سيعرف أولئك العاملون التّعاون معها، من خلال ثوابتنا وتجاربهم، ومن السابق لأوانه أن نتعرض لتلك المراحل وظروف الانتصار القادمة إن شاء الله، بمعطيات حالة الاندحار والهزيمة الحالية.

(٣)- تبقى الأهداف الاستراتيجيّة آنفة الذكر بتسلسلها وهي هزيمة العدوّ ثمّ تصفية عملاؤه وإسقاط الأنظمة الّتي مكنت لحملاته وتعاملت ثمّ إقامة أحام الشّريعة الإِسْلَاميّة في بلاد المُسلِمِين بحسب تلك الظّروف، هيَ البرنامج العام.

(٤)- أن في كليات الشّريعة وتفاصيلها الإجابات الشافية عَلى كافّة مسائل التَّشريع والتقنين والحكم والإدارة بما يشفي ويكفي ويغني عن تفصيله هنا، ولكل حادث حديث، وعندما سيرفع عنت الطواغيت عن علماء الأُمّة ورجال الفكر وأولي الأحلام والنهى فيها، سيعرف أولئك الرّجال كيف يديرون أمورهم بمقتضى شرع الله وما يوافق ظروفهم.

والمهم الآن هو وضع الاستراتيجيّة للمرحلة المتدة من بدء الحملة وإلى هزيمتها موضع التنفيذ، وهذه مهمتنا الآن، والله المُستَعان.

رابعا: مواقف سياسيّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة من قضايا رئيسيَّة:

إن من تمام بيان المعالم الأساسيّة للإستراتيجية السّياسيّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، أن نبين بالإيجاز الكافي موقفنا هنا من وجهة النَّظر السّياسيّة، من قضايا رئيسيَّة هامة سواء لأتباع الدّعوة أو لكل لمن يهمه الأمر:

(١)- قضية الصِّرَاع مع الأنظمة القائمة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ:

إن سياسة دعوة المُقاوَمة هيَ الانصراف لمُوَاجَهة العدوّ الغازي المتمثل في أمريكا ومن أعانها وحالفها من القوى الداخليَّة والخارجيّة، وعليه:

فليس من أهداف المُقاوَمة مُوَاجَهة الأنظمة القائمة – رغم استحقاقها لذلك – وذلك جمعا لجهود الأُمّة عَلى الهدف الإستراتيجي للمقاومة، وهو إسقاط المشروع الأمريكيّ الصّهيونيّ، ويبقى استهداف بعض قطاعات تلك الأنظمة بقدر دخولها في الحلف الأمريكيّ دون تحويل ذلك لثورات محليَّة وفق الشّكل الّذي كانَ الجهاديّون يعملون به.

وأما المُوَاجَهة الدّفاعية مع أجهزة تلك الأنظمة فهو حق مشروع وعمل واجب وبقدر الضَّرورة.

(٢)- الموقف من علماء المُسلِمِين من قيادات وحركات الصّحوة الإِسْلَاميّة:

ونختصر ذلك في:

أ – دعم العُلَماء والقادة المُجَاهدين الصادعين بالحق المدافعين عن قضايا الأُمّة.

ب- تالف المترددين والخائفين وشد أزرهم بالحكمة والموعظة الحسنة والتجاوز عن زلاتهم ما لم تصبح نهجا لمهالأة عدوان الحكَّام والمحتلين.

ج- مجابهة علماء السُّلطَان المُنَافِقين، وفقهاء الإستعمار الخَائِنين، بشدة ولكن بالحجة والبينة، **وعدم نقل ذلك للمُوَاجَهة بالقوة والسّلاح تحت أي ظرف وأي استفزاز.**

(٣)- الشرفاء في التّيار العلماني من المقاومين للحملات الأمريكيّة:

وخلاصة الموقف في ظل أحوال دفع الصّائل، هيَ البحث عن نقاط اللقاء معهم عَلى مُوَاجَهة العدوّ. وإعادة تعريف تلك الأوساط عبر الحوار والمكاتبات واللِّقَاءَات بالإِسْلَام ومعطياته وآفاقه كخيار سياسي وحضاري لمستقبل هذه الأُمّة، مع الانتباه للثوابت العقدية والهوامش السّياسيّة.

(٤)- الجنود وعناصر الأمن في حُكُومَات العالم العربيّ والإسْلَاميّ:

سبق الإشارة لذلك في أساسِيَّات المنهج، فالمُوَاجَهة معهم دفاعية فقط، وفي حدود الضَّرورة، وعدم الإنجرار للاستفزاز، وسياسة كسبهم لصف أمتهم في معركة المصير القائمة.

(٥)- الموقف من المسألة الفلسطينية:

وقد سبقت الإشارة لذلك في المنهج العام، وخلاصة ذلك:

١- فِلَسطِين قضية المُسلِمِين، وليست قضية العَرَب ولا قضية الفلسطينيين وحدهم، ولا يملك أحد رخصة التصرف بها عَلى موائد النخاسة الدّولية.

٢- فِلَسطِين أرض عربيَّة إسلاميّة من النهر إلى البحر، لا نعترف فيها لليهود باي سلطة ولا شرعيّة ولا حق في السكن إلا لليهود الأصليين منها الّذين لم يكن عددهم إبَّان الإحتلال والغزو الصّهيونيّ إلا زهاء ١٥٠٠٠ نسمة وما خلفوا من ذريتهم من القردة والخنازير، فهَؤُلَاءِ الملعونين مواطنون أصليون فيها، كفل الإِسْلَام ما شرع من حقوقهم، وعلى المحتلين المُهَاجِرين أن يعودوا من حيث أتوا عَلى البواخر والطائرات الّتي قدمت بهم من وراء البحار، أو ينتظروا مذبحة الشجر والحجر القريبة القادمة إن شاء الله.

٣- نحن لا نعترف بالسلطة الفلسطينية إلا كواحدة من كيانات الرِّدَّة العربيَّة الجاثمة عَلى صدور المُسلِمِين، ولا نعترف بكل اتفاقياتهم ومهازل سلامهم الزائف من أوسلو إلى خارطة الطّريق بالخزي والعار بأصحابها وصولا إلى جهنم إن شاء الله.

٤- نشد عَلى أيدي المُجَاهدين المخلصين في فِلَسطِين ونعاهدهم عَلى النّصرة ووحدة المَعْرَكة والمصير.

(٦)- مسألة استهداف المدنيين في بلاد الدّول المشاركة في العدوان عَلى المُسلِمِين:

كما أسلفنا فهذا ليس إلا مجالا للمعاملة بالمثل، ولردع العدوان، وفي أضيق المجالات الاضطرارية، مع مراعاة المصالح السّياسيّة واختلاف مواقف الدّول، فالأصل في الجِهَاد هو قوله تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة]، وقوله تَعَالَى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤].

(٧)- الحُكُومَات والشّعوب الأوربية:

كما أوضحنا، فإننا نعتقد أن معركة أمريكا مع المُسلِمِين هيَ في نتائجها ومترتباتها ضدّ المصالح الاستراتيجيّة الأوربية جملة وتفصيلا.

وقد بدأت كثير من الأوساط في أوربّا تتململ من المَعْرَكة الّتي تزج بها أمريكا فيها، ونعتقد أن الوقت الّذي تبقى حتَّى تنفصل أوربّا عن أمريكا وتتحلل من تبعات حلف النّاتو وغيره من الاتفاقيات الّتي تربطها بأوربّا لم يعد طويلا.

وأن من مصلحة قوى المُقاوَمة إعطاء فرصة للدول الرّئيسيَّة في أوربّا كي تنسحب من حلف أمريكا بصورة دبلوماسية.

مع عدم إهمال الحسابات الدقيقة بين المجهود السّياسيّ والإعلاميّ الّذي يمكن أن تبذله قوى المُقاوَمة الإِسْلَاميّة، وبين حزم سياسة الردع العسكريّ الّذي يجب أن تمارسه لحمل الأوربيين - ولاسيما المصرين منهم عَلى العدوان- عَلى سياسة تبعدهم عن المحور الأمريكيّ، وتكون في صالحهم وصالحنا، وهذه تحتاج أن يكون القرار فيها لقيادات المُقاوَمة الواعية.

وبصورة عامة نحن مع العمل عَلى توحيد اتجاه الجهد ضدّ المحور الأمريكيّ - الصّهيونيّ ومن أصر عَلى ركوبه معهم، وكانت مشاركته فاعلة.

مع التنبيه عَلى توضيح أن المَعْرَكة مع الحُكُومَات المعتدية وليس مع الشّعوب الأوربية الّتي وقف كثير منها مواقف مبدئية جيدة من رفض العدوان.

(٨)- الإدارة الأمريكيّة والشعب الأمريكيّ:

للأسف فإن الإحصائيات الرَّسميَّة، واستطلاعات الرَّأي مازالت تثبت، أن العلاقة في استراتيجية العدوان ونزعة التسلط والسّيطرة عَلى مقدرات الشّعوب الضعيفة، بين الشعب الأمريكيّ، والحكومة الأمريكيّة، هيَ عَلى عكس الحالة القائمة بين الشّعوب الأوربية وموقفها من التوجّهات العدوانية لبعض حُكُومَاتها، وهذا حتَّى في بَرِيطَانيَا حيث لا يمالئ أكثر الشعب فيها حكومته عَلى العدوان.

فرغم تكشف زيف دواعي غزو العراق وافتضاح كذبات أَسْلِحة الدمار الشّامل وغيرها من المسوغات، ورغم فضائح أبي غريب، ورغم جرائم إسرائيل الّتي تقزز منها الشارع الشعبي في أوربّا والعالم، ورغم أخبار جرائم الجيش الأمريكيّ في أفغانستان.. ما زال الشعب الأمريكيّ بغالبيته، أسير أجهزة الإعلام اليَهُوْدية المسيطرة عليه، وما زال يقف بأكثريته مع إسرائيل ومع عدوان إدارات أمريكا المتعاقبة عَلى المُسلِمِين وعلى المستضعفين في العالم، بل وعلى كلّ البشرية،

وأكبر دليل عَلى ذلك هو إعادة الشعب الأمريكيّ اختيارهم للخنزير جورج بوش، وبنسبة كبيرة، وقبول المعارضين لذلك بكل بلادة، وتداعي الجميع للوقوف صفا واحدا لأَنّهم في حالة حرب مع المُسلِمِين.

ولذلك فإننا نعتقد أن الحَرب مع الإدارة الأمريكيّة، هيَ وبكل المبررات الشَّرعيَّة والسّياسيّة، وحتى وفق المنطق الغربيّ والأمريكيّ ذاته، هيَ:

حرب ومُوَاجَهة مع أمريكا حكومة وشعبا.

ويبدو أنه يجب أن يذوق هذا الشعب الشرذمة المجرم بأكثريته السَّاحقَة كما أثبت في تاريخه كثير الجرائم رغم قصره، يجب أن يذوق وبال ما تذيقه حُكُومَاتهم الصّهيونيّة المتتابعة للنَّاس والبشرية في كلّ مكان، بدءا من إباداتهم الجماعية لسكان أمريكا الأصليين، ومرورا بمجازرهم النووية في الحَرب العَالَمِيّة الثّانية، وتعريجا عَلى جرائمهم المخزية في كلّ حُرُوبهم في فيتنام وكوريا والعراق والصّومال وأفغانستان.. وسواها.

ويوم يقتنع الشعب الأمريكيّ - وما أظنه مقتنعا إلا عنوة - بفداحة خسائره البشرية والاقتصاديَّة من جراء عدوان حُكُومَاته المتتابعة عَلى اختلافها عَلى المُسلِمِين وعلى البشرية كلها... عند ذلك سيكفون شرهم، وبالتالي لا يدفعون ضريبة ممالأة حكامهم عَلى قتل النّاس ونهب الشّعوب.

وعلى القوى المحبة للسلام في الشعب الأمريكيّ - كما تدعي - أن تتولى ولو بوسائل المُوَاجَهة المُسلّحة، مسؤولية ردع حُكُومَاتهم الصّهيونيّة عن العدوان عَلى البشرية جمعاء، وإلا فإن من حق الشّعوب المعتدى عليها من قبل أمريكا، أن ترد العدوان الأمريكيّ عليها بمثله وبكل الوسائل بما في ذلك أَسْلِحة الدمار الشّامل، وسياسة كسر ظهر العدوّ بالإبادة الجماعية وقتل المدنيين، وهو أسلوبهم المتكرر وعين العدل أن يعاملوا به، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

(٩)- الموقف من الأقليات الدّينيّة في بلاد المُسلِمِين:

أشرنا لهذه المسألة سابقا، ولاسيما بخصوص النّصَارى، فإن حقوقهم الشَّرعيَّة معروفة في إطار الإِسْلَام، لما يكون أمر الحكم للمسلمين بحسب ما أنزل الله، وأما الآن حيث مازلنا في مرحلة دفع العدوان، فموقفنا منهم عدم التعرض لهم، إلا لمن وقف في صف العدوان والاحتلال فيواجه لهذا السبب مثله مثل غيره حتَّى من المُسلِمِين، ومن مصلحة المُقاوَمة وأهدافها كسب تلك الأقليات أو تحييدها عَلى الأقل.

(١٠)- الموقف من منظمات حقوق الإنسان:

في مثل المَعْرَكة الشرسة الدّائرة الآن لا يبدو أن ثمة كبير أهمية لمواقف تلك المنظمات في رد حق أو ردع عدوان، ولكن الأحداث أثبتت أثر تلك المؤسسات ومواقفها الإعلاميَّة غالبا في تشكيل الرَّأي العام العَالَمِيّ، وأثر ذلك الرَّأي العام في دعم قضايا الحقّ والعدل وإن كانَ عَلى المدى الطويل، ولذلك ننصح العاملين في مجال المُقاوَمة السّياسيّة والإعلاميَّة بعدم إغفال أثر الجهود مع تلك المنظمات، في الضغط عَلى قوَّات الإحتلال وتشكيل الرَّأي العام لصالح قضايانا.

(١١) - الأمم المتحدة والقوانين الدّولية والمنظمات الدّولية:

الأمم المتحدة باختصار منظّمة شكلها حلفاء منتصرون في الحَرب العَالَمِيّة الثّانية، لضمان تقاسم السّيطرة عَلى العالم، وتقنين توزيع تلك السّيطرة فيما بينهم بحسب قوتهم وأوزانهم العسكريّة والسّياسيّة.

وقد تركت بعض الهوامش الدعائية لبعض مؤسسات تلك المنظّمة، لتتحرك فيها الشّعوب الضعيفة والحُكُومَات التَّابعة بما تتوهم أنه هامش من التّأثير السّياسيّ، وقد تفرع عن الأمم المتحدة منظمات دولية كثيرة تقاسمت مهمة إخضاع الشّعوب الضعيفة والسّيطرة عليها، في مجالات التّعليم والصحة والزراعة والتنمية البشرية والاقتصاديَّة..لتتركها عالة تدور في فلك الدّول الاستعماريّة، ولما اختل ميزان القوى الدّولي بانهيار الإتحاد السُّوفيتيّ، وانفردت أمريكا بإدارة العالم ورثت أمريكا السّيطرة شبه الكاملة عَلى هذه المنظّمة الّتي ستنهار قريباً وتذهب كمؤسسة من مخلفات النّظام العَالَمِيّ القديم.

وقد شهدت هذه المنظّمة عَلى نفسها بأنها كانت وراء تقنين ضياع حقوق العَرَب والمُسلِمين في كلّ مسائلهم الّتي عرضت عليها وهذا يحتاج لمجلد كامل لسرد تفاصيله، فقد اعترفت المنظّمة بإسرائيل، وبكل مؤامراتها بعد قيامها، ولم تفلح قراراتها لصالح العَرَب والمُسلِمين إلا لذر رماد قرارات الشجب في العيون، وأما وقد ورثت أمريكا المنظّمة.

فقد تحول هٰذا (الكوفي العنان) لموظف حقير تابع للبيت الأبيض، حيث شرَّع مجلس الأمن غزو العراق وقنن احتلاله، ومهد لتدويل ذلك الإحتلال..كما فعل في أفغانستان والبوسنة سابقا...

والخلاصة فإن عَلى قوى المُقاوَمة أن تتعامل مع هذه المؤسسات الدّولية، وكلا بحسب ضررها وعدوانها عَلى أساس أنها الستار المزيف للعدوان الصّهيونيّ الأمريكيّ وسيطرة حكومته الخفية عَلى العالم، وعدم الانخداع بمهزلة مُوَاجَهة الأمم المتحدة للمطامع الأمريكيّة، فقصارى دور الدّول المناوئة لأمريكا فيها هو حرصهم عَلى زيادة حصة الذئاب والضباع والجرذان، مما يتركه الأسد الأمريكيّ مما افترس من قصعتنا ونهب من ثرواتنا.

هذا ناهيك عن الدَّور ألتجسسي والإستخباراتي الّذي لعبه موظفو تلك المؤسسات في كلّ مكان حلوا فيه في بلادنا، وعلينا أن نتعامل معها كإحدى مؤسسات العدوان والاحتلال الصهيو- أمريكي، فننسف كلّ وجودهم في بلادنا بلا هوادة، والله المُستَعان عليهم جميعا.

الفصل الثامن

الباب الثالث

﴿نظريَّة التّربية المُتكامِلة في دعوة المُقاوَمة الإِسْلاميّة العَالَمِيّة﴾

مدارس الصّحوة ومناحي التّربية:

كما ذكرت آنفاً عن منهجنا في توليد نظَريَّات العمل من خلال استعراض تجاربنا وتجارب غيرنا في مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة والجهادية، وتوليد تصوُّرات الصواب أو ما نفترضه صواباً ونسعى إليه من خلال تقييم دُروس الخطأ والقصور..

و باستعراض مناحي التّربية المُتكامِلة للمسلم المُجَاهد، نجد أنها نشتمل عَلى خمسة مناحي وهي:

(١)- التّربية السُّلُوكية والخُلقية والعِبَادات والرّقائق.

(٢)- العلم الشَّرعيّ في مجالات العقائد ومختلف علوم الدّين وخاصة فقه الجِهَاد.

(٣)- الفهم السّياسيّ أو فقه الواقع وما يدور من أحداث.

(٤)- الإِعداد العسكريّ الجهاديّ لتجهيز المُجَاهد بما يلزمه من علوم القِتَال.

(٥)- وأخيراً التطبيق العملي لممارسة الجِهَاد في دفع صائل الإِعداد عن المُسلِمِين.

فلو جئنا لنستعرض حظ مختلف مدارس العمل الإِسْلَاميّ في الصّحوة، ومنها المدرسة الجهاديّة، فماذا نجد من أحوالها في مجال التّربية؟

ونشير بأننا نحكم هنا عَلى حالة العموم، ولا حكم للشواذ، إذ قد تجد أحد أفراد مدرسة ما من مدارس الصّحوة قد تحلي بصفات إيجابية موجودة في مدرسة أُخرى.

أولاً: المدارس الإصلاحية والسُّلُوكية التربَويّة:

من قبيل جماعات التبليغ والدّعوة والجماعات الصوفية وما شابهها، سنجد أنها في قد أخذت في الميدان الأوّل بحظ وفير في مجال العِبَادات والأخلاق والسُّلُوك والرّقائق ومختلف وجوه الآداب.. ونجد أن حظهم (في الغالب طبعاً) من العلم الشَّرعيّ في أبواب العقائد والفقه ومختلف علوم الدّين محدوداً في

كبارهم، وشبه معدوم في قواعدهم، وسنجد أنه حظهم من الفهم السّياسيّ، وفقه الواقع كذلك شبه معدوم، إلا في الحالات النادرة، أما في مجال الإِعداد للجِهَاد وفي ممارسته، سنجد أنهم لا حظ لهم في الغالب من ذلك.

ثانياً: المدارس السّلفيّة والتربَويّة العلمية الشَّرعيَّة:

من قبيل مختلف المدارس المكونة للتيار السلفي وطلاب العلم الشَّرعيّ، ونجد أنه حظهم في الميدان الأوّل وهو ميدان (الأخلاق والعِبَادات والرّقائق) قليل، وكثيراً ما تغلب عَلى أوساطهم الجفوة والقسوة وآثار ندرة التّربية الروحية، وأما في المجال الثّاني فقد أخذوا بحظ وافر من علوم العَقِيْدَة وتنقيح الآثار ودراسة السنن ومختلف علوم الدّين والفقه، فتجد كبارهم عَلى قدر كبير، وكذلك تتوفر قواعدهم عَلى حظ لا بأس به إجمالاً، وكسابقيهم نجد أن حظهم في مجالات الفهم السّياسيّ وفقه الواقع قليل، وأما في مجال الإِعداد والجِهَاد، فما هم في العير ولا في النَّفِير كمن سبقت الإشارة إليهم.. وليس لهم في الغالب من ذلك حظ إلا في الحالات الفرديَّة.

ثالثاً: مدارس العمل السّياسيّ والتَّنظِيمات الدعوية والسّياسيّة والحزبية:

مثل جماعات الإخوان وحزب التحرير وما شابههم من الجماعات السّياسيّة، وسنجد أن حظهم في مجال العِبَادات والرّقائق والتّربية الروحية والأخلاقية، قليل في العموم، وهو كذلك في مجال العلم الشَّرعيّ، وأما في مجالات فقه الواقع وعلوم السّياسة والإدارة والثّقافة العامّة، نجد أن حظهم وفير، فكبارهم عَلى مستوى رفيع في ذلك، وقواعدهم عَلى مستوى مقبول وجيد، وأما في مجالات الإِعداد وممارسة الجِهَاد، فكذلك لا حظ لهم في ذلك كحالة عامة، اللّهم إلا في حالات خاصّة فرديَّة.

رابعاً: مدارس تيار الجِهَاد والجهاديّين:

نجد أنهم كسابقيهم، فقد ركزوا عَلى منحى وأهملوا باقي المناحي، فقد شغلوا أنفسهم وجل وقتهم في الإِعداد العسكريّ والتّدريب، ومارس كثير منهم الجِهَاد والقتال عملياً..

أما في مجالات الإِعداد والتّربية السُّلُوكية والعِبَادية ومجالات الأخلاق والرّقائق، ستجد أن حظ غالبهم من ذلك متوسط أو قليل، ولاسيما المتأخرون منهم، وإذا ما جئت إلى مجالات العلم الشَّرعيّ وطلبه ستجد أنه متوسط، وأما إذا جئت إلى مجالات فهم الواقع والسّياسة، ستجد أن حظ الغالبيّة

العظمى من ذلك ضحل قليل، اللّهم إلا الجيل الأوّل من الجهاديّين الّذين تربوا في جماعات إسلاميّة وفي حلق العلم بشكل جيدا.

وهكذا نلاحظ، أن كافّة مدارس الصّحوة والعمل الإِسْلَاميّ، قد مارست في مناهجها حالة من الإِعداد والتّربية المجتزأة بالتركيز عَلى بعدٍ واحد أو بعدين وإهمال باقي المناحي، وإذا أردنا أن بنين هذه الأحوال في جدول بياني نجده عَلى الشّكل التّالي:

مدارس الصّحوة مجالات التّربية	المدارس السُّلُوكية التربَويّة، صوفية، تبليغ	السّلفيّة وطلاب العلم الشَّرعيّ	المدارس السّياسيّة والحزبية	المدارس الجهاديّة
الأخلاق والآداب والعِبَادات	جيد	متوسط أو ضعيف	متوسط أو ضعيف	ضعيف أو متوسط
العلوم الشّرعيّة	ضعيف	جيد	ضعيف أو متوسط	ضعيف أو متوسط
الفهم السّياسيّ وفقه الواقع	ضعيف جداً	متوسط أو ضعيف	جيد	ضعيف أو متوسط
الإِعداد لعسكريّ	معدوم	معدوم	معدوم	جيد
ممارسة الجِهَاد	معدوم	معدوم	معدوم	متوسط

وهكذا نلاحظ أنّنا في المدرسة الجهاديّة وإن كنا أحسن حالاً في الإجمال، ولكن مدرستنا تميزت بالعموم بنفس صفة التجزئة والشطب في التّربية والإِعداد، وذلك بالتركيز عَلى ربع المناحي وإهمال ثلاثة أرباعها التربَويّة.

ومن خلال انغماسي في التّيار الجهاديّ، ومعايشتي له ميدانيّاً عبر زمن طويل، لاحظت أن المتأخرين من الجهاديّين، وعلى عكس الرعيل الأوّل الّذين أخذوا بخط متميز من التربَويّة، ولاسيما الّذين انحدروا من جماعات ومدارس الصّحوة الأخرى، وأخذوا بخط من طريقتها التربَويّة، وجدت المتأخرين قد رضوا بحظهم من الإِعداد العسكريّ وممارسة الجِهَاد، معتبرين ذلك يجعلهم في ذروة سنام

الإِسْلَام، اعتماداً عَلى الفهم المجتزأ والخاطئ للحديث المروي عنه ﷺ بأن «ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَادُ»(١)، مجتزئين ذلك من الحديث العام الشّامل لكافة أساسِيَّات الإِسْلَام وجماع مناحي الخير، والحديث بتمامه هو:

[عن معاذ ﷺ قَالَ: فقلت يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَّ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تَلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] حَتَّى بَلَغَ ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة] ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ » قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»](٢).

وإذا ما عدنا إلى طريقته ﷺ في تربية الرعيل الأوّل من الصّحابة رضوان الله عليهم، ثمّ طريقتهم في تربية التَّابعين، ثمّ تربية هَؤُلَاءِ لمن تبعهم بإحسان... وهكذا إلى ما كانَ من أمر السَّلَف والعُلَماء والصّالحين، نجد أنها كلها قامت عَلى الطَّريقة الّتي أسَّسَها رسول الله ﷺ بشموليتها لذلك كله.. فهو ﷺ كانَ بذاته مثالا.. فكان خلقه القرآن كما روت عائشة، ومن كانَ خلفه القرآن، جمع وجوه الفضائل والعلوم والأدب ومكارم الأخلاق.. وأما سيرته ﷺ، فمسار من العَقِيْدَة الراسخة الموصولة بالله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وهو منبع علوم الشّريعة وبحرها الزاخر، وأما عن أخلاقه ﷺ، فيكفي بها وصف الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى له بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم] وأما إعداده وجِهَاده، فأشهر من أن يشار إليه.

وأما طريقته ﷺ في الإِعداد والتّربية فقد كانت مدرسة متكاملة يومية يعيش معها الصّحابة ذلك التكامل..أخلاق وعبادة، علم وعمل، فهم وإعداد، جِهَاد وسبيل شهادة.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٠٥١) وصححه الأرنؤوط، وهو طرفٌ من لاحقه أيضاً.

(٢) رواه الترمذي (٢٦١٦) وقال حديث حسن صحيح، ورواه النسائي (٢٢٢٤، ٢٢٢٥) وابن ماجة (٣٩٧٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

فقد كانَ رسول الله ﷺ برسوخ عقيدته وفقهه وخلقه وجِهَاده هو الأسوة الحسنة الماثلة أمامهم.

وكانت طريقته المُتكامِلة تعتمد ترسيخ العقائد الّتي أخذ الرعيل الأوّل في مكّة حظهم الأوفر منها، فزرع العَقِيْدَة ورعى شجرتها حتَّى رسخت جُذُورها في نفوسهم، ثمّ نمت في أرواحهم، وأينعت في سلوكهم.

وأما تعاهده لهم ﷺ في حضهم عَلى العِبَادة والنسك والتبتل وضرب المثل الأعلى لهم في ذلك فقد طفحت به نصوص السنة وأخبار السيرة.

وكذلك كانَ الأمر في رعايتهم وتربيتهم عَلى مكارم الأخلاق، من الصِّدق والأمانة، والكرم والشجاعة، وإكرام الضيف والتحابب، والرحمة والذلة عَلى المُؤمِنِين، والتعاضد والإيثار إلى منتهى قمة الأخلاق الحميدة.

وأما عيشهم لواقعهم وفهمهم له، والتعامل معه، فشواهده كثيرة في سيرتهم سواء في داخل مجتمعهم، ومع محيط القوى المحليَّة والمحيطة بهم.

وأما عن إعدادهم العسكريّ.. فقد حضهم ﷺ عَلى التّدريب والرماية وإعداد القوّة، وركوب الخيل، وشهد ميادينهم وسباقهم وتنافسهم في ذلك.

وأما ممارسة الجِهَاد فكان نهجه ﷺ القدوة الحسنة، فقد خرج بنفسه ﷺ في غزوات كثيرة، وبعث السَرايا والجُيُوش بقيادة أحبهم إليه ليكونوا في مواطن القدوة والخطر، وكان بذاته الشريفة ﷺ قدوة حتَّى قَالَ علي رضي الله عنه، بأن أشجعهم كانَ أقربهم إلى العدوّ، ولم يكن يؤجل الرجل إذا أسلم، ويؤخره عن الجِهَاد حتَّى يعد ويتربى عَلى الإِسْلَام، كما يزعم القعدة من الدعاة اليَوْم ! بل كانَ شعاره عليه الصّلاة والسَّلام: كما قَالَ لمن أراد اللحاق به في القِتَال ولم يكن مسلما: «أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ»[١].

فكان خُلاصة طريقته ﷺ في التّربية أنها متكاملة المناحي قامت على:

(١) العَقِيْدَة والعلم. **(٢) الخلق والنسك.** **(٣) فهم الواقع وعيشه.**

(٤) الإِعداد والقوة. **(٥) ممارسة الجِهَاد كفريضة حال وقوعها.**

---

(١) رواه البخاري: (٢٨٠٨) من حديث البراء رضي الله عنه.

ومن هنا نجد أن السَّلَف ﷺ ركزوا عَلى هذه المناحي المُتكامِلة في سلوكهم وإعداد تلاميذهم وإرشادهم للأمة وما قدموه من قدوة حسنة..

ولا أريد أن أطيل في النقول والشواهد عَلى ما أسلفت من كتب السيرة النّبويّة عَلى صاحبها أزكى الصّلاة والسَّلام، وسير الصّحابة ﷺ، والقصص الرائعة لهم ولمن تبعهم بإحسان، وقد ألفت فيها روائع الكتب.

ومن خلال ما تقدم نستكشف المناحي الأساسيّة لنظريّتنا الّتي يجب أن تقوم عليها؛

أصول التّربية في دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، وهي:

١ - العَقِيْدَة والعلم الشَّرعيّ.

٢ - الأدب والعِبَادة والأخلاق والرّقائق.

٣ - الفهم السّياسيّ وفقه الواقع.

٤ - الإِعداد العسكريّ.

٥ - مباشرة الجِهَاد والمُقاوَمة دفع الصّائل.

وهي الأركان الخمسة الّتي تقوم عليها طريقتنا التربَويّة. وعليه، فيجب عَلى العُلَماء والدّعاء وحملة الأقلام في هذه الفنون ومجالاتها في هذه الأُمّة، أن يجهدوا في إثراء المكتبة الإِسْلَاميّة المعاصرة بمنهج ومختصرات عمليَّة تساعد عَلى تربية الجيل القادم من المقاومين والمُجَاهدين عَلى هذه الأسس.

وعلى قيادات المُقاوَمة وكوادرها البناءة أن تعتمد مثل هذه المناهج، في إعداد نفسها ومن معها. وسنبين فيما يلي مختصرات وبَرَامج عامة مما يساعد المُجَاهدين والمقاومين وخاصة المنتسبين إلى دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة عَلى إعداد أنفسهم وكوادرهم، وإعداد الأُمّة وفق هذه الآفاق المُتكامِلة الّتي يجب أن تسير متوازنة وفي آن واحد.

(١) المجال الأوّل في التّربية:

العَقِيْدَة والعلم الشَّرعيّ

منزلة العلم وفضله:

جاء في رياض الصّالحين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

* وعن معاوية ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه[١].

*وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ الله مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الله حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا، وَيُعَلِّمُهَا» متفق عليه[٢].

*وعن أبي موسى ﷺ قَالَ قَالَ النبيّ ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى، وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» متفق عليه[٣].

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٣١١٦، ٧١، ٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٩، ٧١٤١، ٧٣١٦) ومسلم (٨١٦).

(٣) رواه البخاري (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢).

(٤) رواه مسلم (٢٧٠٠).

* وعنه أيضا ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»(١).

*وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(٢).

* عن أبي الدرداء ﷺ قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ الله بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(٣).

* وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»(٤).

* وعنه قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الله، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يَعْنِي رِيحَهَا (٥).

* وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﷺ قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» متفق عليه(٦).

---

(١) رواه مسلم (٢٦٤٧).

(٢) رواه مسلم (١٦٣١).

(٣) رواه الترمذي (٢٦٨٢) وأبو داود (٣٦٤١) وغيرهم، وحسنه الأرنؤوط وصححه الألباني.

(٤) رواه أبو داود (٣٦٥٨) والترمذي (٢٦٤٩) وقال: حديث حسن، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٥) رواه أبو داود (٣٦٦٤) وابن ماجة (٢٥٢) وأحمد (٨٤٥٧)، وحسنه الأرنؤوط وصححه الألباني.

(٦) رواه البخاري (٧٣٠٧) ومسلم (٢٦٧٣).

أولا: العَقِيْدَة:

سبق في البَاب الأوّل من هذا الجزء الثّاني عند الحديث عن العَقِيْدَة والمنهج، بيان الأركان الأساسيّة لمعتقد أهل السّنّة والجماعة، وقد أوردناه بإيجاز في خطوط عريضة، ومن الواجب عَلى خلايا المُقاوَمة وسَراياها أن يكون لقياداتها برنامج إعداد تربوي يشتمل في أول ما يشتمل عَلى تدريس كتاب مختصر فيه تفاصيل الأدِلَّة عَلى أسس المعتقد عند أهل السّنّة والجماعة، وأنصح بأحد كتابين لاقيا القبول والانتشار في كثير من حركات الصّحوة وهما كتاب: (شرح العَقِيْدَة الطحاوية) (لأبي العز الحنفي)، أو أحد شروح: كتاب (العَقِيْدَة الواسطية) (لابن تَيمِيّة)، رحمهما الله تَعَالَى، هذا كمستوى أولي لأنها كتب جامعة وجيزة وسهلة وميسرة.

أما في مجال العَقِيْدَة الجهاديّة والفكر الجهاديّ فقد ضمنت البَاب الأوّل آنف الذكر موجزاً لأساسِيَّات العَقِيْدَة الجهاديّة، وفيه فقرة بأدلة أركانها الأساسيّة كمادة مفيدة في التكوين والتّربية لخلايا المُقاوَمة، وأنصح عموماً لترسيخ العَقِيْدَة الجهاديّة، بمؤلفات الشّهِيد سيد قطب رحمه الله، ومؤلفات الشَّيْخ عبد القادر بن عبد العزيز، كما أنصح جدا بمؤلفات الشَّيْخ عبدالله عزام وهو مدرسة كاملة في الفكر والتّربية، كما أنصح بمكتبة الجماعات والتَّنظِيمات الجهاديّة، ومن ذلك مؤلفات الشَّيْخ عمر عبد الرَّحمٰن، والشَّيْخ أيمن الظواهري، ومؤلفات الشَّيْخ أبو المنذر الساعدي الليبي، وإنتاج جماعاتهم الجهاديّة في مصر وليبيا، ومن المكتبات الفكريّة الجهاديّة النافعة مؤلفات الشَّيْخ أبو محمّد المقدّسي، والشَّيْخ محمّد الفزازي المغربي، ومكتبة الأستاذ محمّد قطب رحمه الله، ومؤلفات الأستاذ أبو الأعلى المودودي رحمه الله وبعض المختارات من مؤلفات الشَّيْخ سعيد حوى رحمه الله وغفر له، ولاسيما كتابه (جند الله ثقافة وأخلاقاً)، وكتابه (خطوات للإمام عَلى طريق الجِهَاد المبارك)، مع الانتباه من زلاته في آخر مؤلفاته رحمه الله وغفر له، هذا ما يحضرني الآن من الذاكرة، وكان من المفترض أن أشير إلى بعض الملاحظات حول بعض ما ورد في بعض كتب هَؤُلَاءِ الأكارم مما أعتقد وجوب لفت النَّظر إليه ولكن لا أجد الآن الوقت لذلك ولعلي أستدرك ذلك لاحقا.

كما أنصح بسماع المحاضرات والتسجيلات لرموز الصّحوة في بلاد الحرمين والَّتي أنتجت ما بين عام (١٤٠٠- ١٩٨٠) وعام (١٤١٥-١٩٩٥)م، ففيها مادة عقدية وعلمية شرعيّة وفكريّة حركيَّة جهاديّة ممتازة، ولاسيما أشرطة الشَّيْخ عبد الرّحيم الطحان، والشَّيْخ مختار الشنقيطي، والشَّيْخ سفر الحوالي (رزقه الله حسن توبة مما هو فيه ونفع به)، والشَّيْخ سلمان العودة رزقه الله حسن عودة إلى ما عهدناه من الجد، والشَّيْخ ناصر العمر، والشَّيْخ عبد الوهاب الطريري قوى الله عزائمهم، وغيرهم من معاصرهم في تلك الفترة، مع الانتباه من إنتاج وفتاوى بعض هَؤُلَاءِ في مرحلة القمع بعد السّجن، واشتعال حملات مكافحة الإِرهَاب، حيث سجلت عَلى بعضهم انتكاسات منهجيّة ومواقف خطيرة غفر الله لنا ولهم، ولكن هذا لا يقلل من قيمة هذه المادّة المنهجيّة في إنتاجهم ذاك، وتبقى مهمة الانتقاء واختيار المادّة المناسبة لشباب وخلايا المُقاوَمة، مهمة الموجهين القادرين عَلى انتفاء المواد المفيدة، كما ألفت النَّظر إلى أن في إنتاج بعض العُلَماء الرسميين، في مجال العقائد والعلوم الشَّرعيَّة إنتاج مفيد في غاية الجودة، إذا استثنينا منه بعض الآراء الشاذة المعروفة عنهم في ممالأة سلاطينهم، ولكن منهجي في التعامل مع علماء السُّلطَان ومنافقهم من أمثال هَؤُلَاءِ، الإعراض عن إنتاجهم، إن وجد ما يعوض عنه لدى غيرهم ممن سلمهم الله من ذلك النِّفَاق، وإلا فيستفاد من علومهم المجردة، ولا بأس مع التنبيه عَلى مواقع الزلل، والغرض من البعد عنهم هو تحذير الأُمّة منهم حتَّى لا يكون لهم مكانة تفضي بالعامة إلى الأخذ بزلاتهم العظمى في فتاوى أيدت ضلال السّلاطين، وسوغت احتلال المُستَعمرين وهي أمور عظام اشتهرت.

وكما أسلفت فقد ضمنت في هذا الكتاب (العَقِيْدَة الجهاديّة) أفكاراً مركزة مهمة في ترسيخ أساسِيَّات العَقِيْدَة اللازمة لُمجَاهد المُقاوَمة لمن يألف البحث والقراءة.

ثانياً: العلم الشَّرعيّ:

أما في باب العلم الشَّرعيّ اللازم لُمجَاهد المُقاوَمة، فاللازم للمسلم المُجَاهد معرفته من أبواب العلم الشَّرعيّ ثلاثة أمور يتعين عليه معرفتها:

١- الأحكام الشَّرعيَّة للعبادات:

مثل فقه الطهارة وفقه الصّلاة والصّوم، والزّكاة إن كانَ لديه مال، والحج إن قدر عليه، فيجب أن تعد كلّ خلية مقاومة لأفرادها موجزاً ميسراً في فقه العِبَادات عَلى المذهب السائد في منطقتهم أو عَلى الاختيارات الّتي يختارونها لأنفسهم، وهذه أمور ميسرة لا داعي لإيرادها هنا.

٢- الفقه المختص بنشاطات حياته:

إذا أنه يجب أن يعرف الأحكام الشَّرعيَّة في أفعاله، فإن كانَ متزوجاً عَلى سبيل المثال، فعليه معرفة فقه أحكام النِّسَاء وتعليمها أهله، وإن كانَ تاجراً فعليه معرفة فقه البيوع وأحكام التجارة والبيع والشراء وحركة المال في نوع تجارته، وزكاة ماله، وهكذا، وهذا أمر يجب أن يبحث المسلم أن يتعلمه ليحيى عَلى بينة من دين ربه، ولا حاجة لإيراد شيء عن هذا هنا أيضاً.

وأنصح في البابين السابقتين (فقه العِبَادات) و(الفقه العام) مما يلزم المرء أن يأخذ فيه المسلم كما أسلفت، بأحكام المذهب السائد المألوف في بلدته إن كانَ من عوام المُسلِمِين وغير يكن قادرٍ عَلى البحث والإستزادة.

وهذه نصيحة، وإلا فليتزم مذهباً أو موجزات تعتمد فقه الدليل وترجيحاته بحسب من اقتنع باتباعهم.

٣- فقه الجِهَاد وأحكامه:

يقول الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤]، فيجب عَلى مُجَاهد المُقاوَمة والعازم عَلى السّير في هذا الدّرب في سبيل الله، أن يعرف فرض الجِهَاد وحكمه المتعين عَلى كلّ مسلم في هذا الزّمان حتَّى يستمر فيه عن قناعة وعَقِيْدَة، وأن يعرف مكانة هذه الفريضة في دين الله، وما ذا يترتب عَلى العمل بها من الأجر عند الله، وما أعده سبحانه في منازل الشّهداء بفضله وكرمه، وعليه أن يعرف ماذا يترتب عَلى ذنب تركه لهذه الفريضة من الإثم والعقاب عند الله تَعَالَى، وما يترتب عليه من العذاب في الحياة الدُّنيَا عَلى أمري الأعدَاء، عليه وعلى أمته، من الذّلّ والهوان واستباحة البلاد والأعراض والأموال والكرامة وإزهاق الأرواح.

ثمّ إذا عزم عَلى الجِهَاد، توجب عليه أن يعرف أحكامه، فالأمر متعلق بالدِّماء والأموال والحقوق... ما يحل وما يحرم، ولا يجوز له أن يخبط فيه خبط عشواء، من غير معرفة أحكامه وحله وحرامه.

ومن باب الأولى يجب عليه أن يعرف مقاصده وأهدافه وآدابه.

وهذه مباحث يطول أمرها، ويتوجب عَلى المُجَاهد أن يعرف منها بقدر مسؤوليته وقدرته، وعلى كلّ تنظيم أو مجموعة أو سرية جهاديّة أن يكون لهم مرجعهم الموثوق به فيما أشكل عليهم من مسائل.

وقد نقلت في البَاب الأوّل الّذي احتوى أساسِيَّات الفكر والمنهج لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، مسائل شرعيّة تشكل مادة أساسية في منهاج التّربية الشَّرعيَّة وفقه الجِهَاد والحركة، وقد احتوت عَلى المواضيع التّالية:

- **أولاً**: حُكُومَات بلاد المُسلِمِين اليَوْم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله. وولائها للكفار وخيانتها لله ورسوله والمُؤمِنِين.
- **ثانياً**: الخروج عَلى الحاكم إن ارتد عن الإِسْلَام أو كانَ كافرا فرض عَلى المُسلِمِين بالإجماع.
- **ثالثاً**: بلاد الإِسْلَام في حالة احتلال من قبل الأَعدَاء وجِهَادهم فرض عين عَلى المُسلِمِين بالإجماع.
- **رابعاً**: أحكام الشّريعة تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون مع الكفّار وأعانهم عَلى المُسلِمِين وتوجب قتاله.
- **خامساً**: أحكام الشّريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصّائل عَلى دين المُسلِمِين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم، حتَّى لو كانَ مسلما.
- **سادساً**: أحكام الشّريعة تقرر حرمة دماء وأموال وأعراض المُسلِمِين، كما تقرر أن جميع أشكال تواجد الكافرين الغُزَاة في بلادنا خاصّة وكل مكان حلال الدَّم والمال هدر.
- **سابعاً**: وجوب نصرة المُسلِمِين في الدّين إن اعتدى الكفّار عليهم بصرف النَّظر عما تلبسوا به من المعاصي والنقائص، والجِهَاد المشروع قائم مع كلّ بر وفاجر من أئمة المُسلِمِين وعامتهم.
- **ثامناً**: مسالة الدِّيمقراطيَّة وممارسة الإِسْلَاميّين لها في ميزان الشّريعة والواقع.

- **تاسعاً**: مسألة الخلاف العقدي والمذهبي ضمن أهل السّنّة.
- **عاشراً**: مسالة (التّكفير)، أحكام التّكفِير العامّة، وقضية تكفير المعين.

وهي أهمّ المبادئ الأساسيّة الّتي يبنى عليها فكر الجِهَاد والمُقاوَمة برمته.

وأنقل هنا باختصار، بعض أهمّ الأحكام الشَّرعيَّة عن بعض المسائل الهامة الّتي تعترض سبيل المُجَاهد في مثل ظروفنا هذه الأيّام:

وقد نقلت معظمه عن كتاب: (موسوعة الذخائر العظام من مؤلفات **الشَّيْخ عبدالله عزام**) رحمه الله ووضعته بين قوسين [ ] وعلقت عليه واستشهدت لفقراته بحسب ما تيسر بإيجاز، وجعلت ذلك بين قوسين { }.

أحكام شرعيّة ومسائل هامة لمُجَاهد المُقاوَمة:

- **جِهَاد العدوّ الأبعد:**

[قَالَ الشّافعي في الأم (٤/ ١٧٧): فَإِنْ اخْتَلَفَ حَالُ الْعَدُوِّ فَكَانَ بَعْضُهُمْ أَنْكَى مِنْ بَعْضٍ، أَوْ أَخْوَفَ مِنْ بَعْضٍ فَلْيَبْدَأْ الإِمَامُ بِالْعَدُوِّ الْأَخْوَفِ، أَوْ الأنكى وَلَا بَأْسَ أَنْ يَفْعَلَ، وَإِنْ كَانَتْ دَارُهُ أَبْعَدَ إنْ شَاءَ الله تَعَالَى حَتَّى مَا يَخَافُ مِمَّنْ بَدَأَ بِهِ مِمَّا لَا يَخَافُ مِنْ غَيْرِهِ مِثْلَهُ وَتَكُونُ هَذِهِ بِمَنْزِلَةِ ضَرُورَةٍ؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ فِي الضَّرُورَةِ مَا لَا يَجُوزُ فِي غَيْرِهَا، وَقَدْ «بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ أَنَّهُ يَجْمَعُ لَهُ فَأَغَارَ النَّبِيُّ ﷺ وَقُرْبُهُ عَدُوٌّ أَقْرَبُ مِنْهُ وَبَلَغَهُ أَنَّ خَالِدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ شُحٍّ يَجْمَعُ لَهُ فَأَرْسَلَ ابْنَ أُنَيْسٍ فَقَتَلَهُ وَقُرْبُهُ عَدُوٌّ أَقْرَبُ»]. أهـ.[1]

- **استئذان الوالدّين والزوج والدائن:**

[يتوقف حكم الاستئذان عَلى حالة العدوّ:

١- فإن كانَ في بلاده ولا يحشد عَلى الثُّغُور وليس هنالك أثر عَلى بلاد المُسلِمِين، فالثغور مشحونة بالجند ففي هذه الحالة الجِهَاد فرض كفاية ولا بُدَّ من الإذن لأن طاعة الوالدّين والزوج فرض عين، والجِهَاد فرض كفاية، وفرض العين مقدم عَلى فرض كفاية

٢- وإن هجم العدوّ عَلى ثغر من ثغور المُسلِمِين، أو دخلوا بلدة إسلاميّة، فهنا كما ذكرنا يصبح الجِهَاد فرض عين عَلى أهل تلك البلدة وعلى من حولها وفي هذه الحالة يسقط الإذن، فلا إذن لأحد عَلى أحد، حتَّى يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها والمدين دون إذن دائنه.

وتبقى حالة سقوط استئذان الوالدّين والزوج مستمرة حتَّى إخراج العدوّ من أرض المُسلِمِين، أو يجتمع عدد فيهم الكفاية لإخراج العدوّ ولو أجتمع كلّ المُسلِمِين في الأرض.

ويقدم الجِهَاد وهو فرض عين عَلى طاعة الوالد وهي فرض عين لأن الجِهَاد حماية للدين وطاعة الوالدّين حماية النّفس، إذ أن الجِهَاد (مظنة حزنهما وتعبهما) والحفاظ عَلى الدّين مقدم عَلى الحفاظ عَلى النّفس، إذ

---

(١) (الذخائر – ج١/ ١٢٨).

الجِهَاد نفسه إتلاف لنفس المُجَاهد إذ استشهد من أجل حفظ الدّين وحماية الدّين يقين، وتلف نفس الوالدّين ظن، واليقين مقدم عَلى الظن.

مثال فرض العين والكفاية:

مثل قوم عَلى شاطئ البحر يتنزهون، وفيهم مجموعة تتقن السباحة ورأوا طفلا يكاد يغرق وهو يصيح أنقذوني، فلم يتحرك إليه أحد من السباحين، وأراد سباح أن يتحرك لإنقاذه فنهاه أبوه عن إنقاذه، فهل يقول فقيه من فُقَهَاء العصور كلها أنه يجب عليه طاعة والده وترك الطفل يغرق؟

وهذا مثال أفغانستان { ومن في مثل حالها من البلد المحتلة كالعراق وفلسطين وكشمير و..و.. اليَوْم} إنها تستغيث، فأطفالها يذبحون، وتنتهك الأعراض فيها، ويقتل الأبرياء، وتتناثر الأشلاء، ويريد بعض الشَّبَاب الصادق أن يتحرك لإنقاذهم ولمساعدتهم فيتعالى عليهم النكير تذهب دون إذن والديك؟

فإنقاذ الطفل الغريق فرض عَلى كلّ السباحين الّذين يرونه، فقبل أن يتحرك أحد يتوجه خطاب وجوب الإنقاذ إلى الجميع، فإن تحرك واحد للإنقاذ سقط الإثم عن الآخرين، وإن لم يتحرك أحد فالإثم يلزم جميع السباحين، وقبل أن يتحرك أحد لا إذن للوالدّين، ولو نهى ولده عن إنقاذ الغريق فلا طاعة له، لأن فرض الكفاية خطابه إبتداءا كفرض العين، وإنما يختلفان في النهاية، فإن قام به البعض سقط الإثم عن الآخرين، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع.

يقول ابن تَيمِيّة: (**فَأَمَّا إِذَا هَجَمَ الْعَدُوُّ فَلَا يَبْقَى لِلْخِلَافِ وَجْهٌ فَإِنَّ دَفْعَ ضَرَرِهِمْ عَنْ الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالْحُرْمَةِ وَاجِبٌ إجْمَاعًا**)[١]. ودليل استئذان الوالدّين في فرض الكفاية وعدم استئذانها في فرض العين والجمع بين الحديثين التاليين:

أولاً: حديث البُخَارِيّ عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ**: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**»، **قَالَ: نَعَمْ، قَالَ**: «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**»[٢].

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية: (٥/ ٥٣٧)

(٢) رواه البخاري: (٣٠٠٤) ومسلم (٢٥٤٩) وأصحاب السنن.

ثانياً: روى أبن حبان عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ فَسَأَلَهُ عَنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الصَّلَاةُ»، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الصَّلَاةُ»، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الصَّلَاةُ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»، قَالَ: فَإِنَّ لِي وَالِدَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آمُرُكَ بِوَالِدَيْكَ خَيْرًا»، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ نَبِيًّا، لَأُجَاهِدَنَّ وَلَأَتْرُكَنَّهُمَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَأَنْتَ أَعْلَمُ»[1]. قَالَ الحافظ: وهو محمولٌ عَلى جِهَادِ فرضِ العَينِ توفيقاً بينَ الحديثينِ.

- **استئذان الشَّيْخ والمربي:**

لم ينص أحد من الفقهاء سلفا وخلفا أن للشيخ أو المربي حق الإذن عَلى تلميذه في العِبَادات، سواء كانت فروض كفاية أم فروض عينية، ومن قَالَ بغير هذا فليأتنا بنص شَرعِيّ أو بسلطان مبين، فلكل إنسان مسلم أن يذهب إلى الجِهَاد دون استئذان شيخه أو معلمه، لأن إذن ربّ العَالمِيّن هو المقدم، وقد أذن بل فرض الجِهَاد.

قَالَ ابن هبيرة[2]: (إِنَّهُ مِنْ مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ أَنْ يُقِيمَ أَوْثَانًا فِي الْمَعْنَى تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ مِثْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَيْسَ بِمَذْهَبِنَا تَقْلِيدًا لِمُعَظَّمٍ عِنْدَهُ قَدْ قَدَّمَهُ عَلَى الْحَقِّ).

ولو كانَ هذا التلميذ يريد دراسة الهندسة أو الطب أو التّاريخ في الدّول الغربيّة أو أمريكا حيث الفتن كقطع الليل المظلم، وحيث الخضم المتلاطم من المغريات وبحور تسعير الشَّهَوَات وتأجج النزوات، أقول: لو ذهب هذا التلميذ لما أنكر عليه الشَّيْخ ولا غيره، ولكن إذ نفر للرباط أو خرج للجِهَاد تجد الألسنة عليه من كلّ جانب، حيث يقال كيف يخرج دون استئذان؟ وقد فات شيخه أن يسمع لكلام النبوة الشريف: «حَرَسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلُهَا وَيُصَامُ نَهَارُهَا»[3] وفي صحيح مسلم: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ،

(١) رواه ابن حبان (١٧٢٢)، وضعفه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

(٢) هو صَدْرُ الْوُزَرَاءِ عَوْنُ الدِّينِ أَبُو الْمُظَفَّرِ بْنُ هُبَيْرَةَ، انظر (أصول الفقه لابن مفلح ٤/ ١٥٦٣).

(٣) رواه أحمد (٤٦٣، ٤٣٣) وضعفه الألباني والأرنؤوط وشاكر.

وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ»(١)، «لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(٢)، فعلى الشَّيْخ وتلاميذه أن يبادروا بالأعمال ويستبقوا الخيرات، ولا تفوتنهم نصيحة رسول الله ﷺ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ »(٣)، وعليهم أن يسمعوا الحديث الصَّحِيح: «قِيَامُ سَاعةٍ فِي صَفٍّ لِلقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيرٌ مِنْ قِيَامِ سِتِّينَ سَنَةٍ»(٤).

قَالَ الشَّافعي: (أجمع المُسلِمُون عَلَى أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد)(٥).

- **الاستئذان في جِهَاد العين:**

وتبين لنا أنه لا يستأذن أحد في أداء فريضة الجِهَاد إذا تعينت (أصبحت فرض عين) كما أنه لا يستأذن الوالد أو السيد في أداء فريضة الصبح قبل طلوع الشّمس، كذلك لا يستأذن أحد في أداء فريضة الجِهَاد، فإذا نام الأب وابنه في مكان واحد، وأراد الابن أن يصلي الفجر وأبوه نائم ! فهل يقول أحد بوجوب استئذان الابن لأبيه في صلاة الفرض؟ ولنفرض الأب قد نهى ابنه عن القيام للصلاة لأي سبب في نفس الأب ؛ لئلا يزعج النائمين – الّذين لا يصلون الفجر – أو لأن أباه لا يريد الصّلاة، فهل يطيع الابن أباه؟ الجواب واضح: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»(٦)متفق عليه، «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ

---

(١) رواه مسلم (١٩١٣).

(٢) رواه البخاري (٢٧٩٢) ومسلم (١٨٨٠).

(٣) رواه الحاكم (٧٨٤٦) وصححه الذهبي، وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٠٧٧).

(٤) أصله عند أحمد (٩٧٦٢) وحسنه الأرنؤوط، ورواه الحاكم (٢٣٨٣) وصححه الذهبي، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٤٤٢٩).

(٥) انظر مقدمة صفة صلاة النبي ﷺ للألباني: ص٣٠.

(٦) رواه البخاري (٤٣٤٠، ٧٢٥٧) ومسلم (١٨٤٠).

الخَالِقِ»(١) رواه أحمد، «لَا طَاعَةَ لِمَنْ لَمْ يُطِعِ اللهَ»(٢)رواه أحمد، وترك الجِهَاد معصية، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فأما إذا أصبح الجِهَاد فرض عين بعد الإستنفار، فإن استئذان النبيّ ﷺ يصبح علامة نفاق، فقد جاء في محكم التنزيل: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة].

وأما الخُلَفَاء الرّاشدون – أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ – فلا نعلم أن الصّحابة والتّابعين كانوا يستأذنونهم، وما كانَ كلّ واحد يريد الغزو أو الجِهَاد يأتي إلى أبي بكر ليستأذنه، فالمهم أن تعقد الرّاية وتخرج السرية، وأمراء المُؤمِنِين من بعد الخُلَفَاء لا نعلم أن الّذي كانَ ينوي الرِّبَاط أو الجِهَاد يرسل إليهم يستأذنهم، ولا نعلم أن واحد من المُسلِمِين في التّاريخ الإِسْلَاميّ كله قد عوقب من قبل أمير المُؤمِنِين بسبب الجِهَاد والغزو بدون إذنه، إنما يستأذن أمير الحَرب وقائد المَعْرَكة في الغزو والهجوم من أجل التَّنظِيم والتنسيق وحتى لا يفسد المرء الّذي يهجم عَلى العدوّ خُطّة المُسلِمِين، وخصص بعض الفقهاء الأوزاعي الاستئذان من الإِمَام في حالة الجنود الّذين يأخذون رواتبهم من ديون الجند، قَالَ الرملي في نهاية المحتاج (٨/ ٦٠): (يكره الغزو بِغَيْرِ إذْنِ الْإِمَامِ أَوْ نَائِبِهِ ولا كراهة في حالات:

١- إذا فَوَّتَ الِاسْتِئْذَانَ الْمَقْصُودَ.

٢- أو عَطَّلَ الْإِمَامُ الْغَزْوَ.

٣- أَوْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ عَدَمُ الْإِذْنِ لَهُ كَمَا بَحَثَ ذَلِكَ الْبُلْقِينِيُّ).

نعود فنقول: هذا كله إذا كانَ الجِهَاد فرض كفاية، أما إذا أصبح الجِهَاد متعيّناً (فرض عين) فلا إذن ولا استئذان، قَالَ ابن رشد: " **طَاعَةُ الْإِمَامِ لَازِمَةٌ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ عَدْلٍ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِمَعْصِيَةٍ وَمِنْ الْمَعْصِيَةِ النَّهْيُ عَنْ الْجِهَادِ الْمُتَعَيِّنِ**".

---

(١) رواه أحمد (١٠٩٥) بلفظ :«...في معصية الله عز وجل» وقال الأرنؤوط : صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه أحمد (١٣٢٢٥) وقال الأرنؤوط : يحتمل التحسين، وصححه الألباني : صحيح الجامع (٧٥٢١).

ونزيد المسألة وضوحا فنقول: إن الإذن والاستئذان في فرض الكفاية، أي بعد أن يكون عدد المُجَاهدين كافيا للقيام بالفرض، أما قبل أن تحصل الكفاية فالخطاب موجه إلى الجميع، ويجب عَلى الكل، ويسقط بفعل البعض ولا فرق بين فرض كفاية والعين قبل أن تتم الكفاية. وقبل الكفاية: لا إذن ولا استئذان إنما يكون بعد العلم بكفاية المُسلِمين في أرض المَعْرَكة للقيام بالفرض].أهـ.(١)

- **الجِهَاد في غياب الأمير الواحد:**

[هل نجاهد وليس لنا أمير واحد؟

نعم نجاهد وليس لنا أمير، ولم يقل أحد أن عدم إتحاد المُسلِمين عَلى أمير يسقط فرضية الجِهَاد، بل لقد رأينا المُسلِمين أيّام الحُرُوب الصّليبيّة والتّتار يقاتلون مع أن أمراءهم مختلفون، وفي كلّ بلد أميرا أو عدّة أمراء، ففي حلب أمير، وفي دمشق أمير، وفي مصر أكثر من أمير، وبعضهم يستنجد بالصّليبيّن عَلى إخوانهم الأمراء كما حصل من الأمير شاور الّذي استعان بالصّليبيّن عَلى أمير آخر في مصر (ضرغام).

ولم بقل أحد من العُلَماء أن هذا الحال وهذا الغثاء يسقط فرضيّة الجِهَاد للدّفاع عن أرض المُسلِمين، بل يضاعف واجبهم، وكذلك الحال في الأندلس الّتي كما يقول الشّاعرُ:

وتفرَّقُوا شِيَعَاً فكلُّ مَحِلَّةٍ ۞ فِيها أَميرُ المُؤمِنِينَ ومِنبَرُ

ولم يقل أحدٌ من العُلَماء أنَّه لا جِهَاد في هذا الحال بل كانَ أعيانُ العُلَماء في مقدَّمة الصُّفُوف في الأندلس.

وقد تخلو المَعْرَكةُ من قائدٍ شَرعِيٍّ معه الولاية من الأمير العام كما حدث يوم مؤتة، فقام خالد بن الوليد واستلم الرّايةَ وأنقذَ اللهُ بِهِ الجيشَ المسلمَ وأقرَّه ﷺ وأثنَى عليهِ.

وقد يكون الإِمَام أو أمير المُؤمِنِين غير موجود، وهذا لا يسقط فرضية القِتَال والدّفاع عن أرض المُسلِمِين، ولا ننتظر حتَّى تقوم الولاية الكبرى وتستأنف الخِلافَة، لأن الولاية العامّة والخِلافَة لا تأتي نظرياً بالثّقافة والدّراسة، بل الجِهَاد أسلم طريقة لكي تصبح الولاية الخاصّة – أي إمارة القِتَال – ولاية عامة وخلافة، والمُجَاهدون يختارون أميراً للجِهَاد من بينهم يصلح أمرهم، ويلمّ شعثهم ويرد قويهم عن

(١) (الذخائر – ج١ / ص١٢٩).

ضعيفهم ففي الحديث الصَّحِيح عن عقبة بن عامر وكان من رهطه قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ سَرِيَّةً، فَسَلَّحْتُ رَجُلًا سَيْفًا. قَالَ: فَلَمَّا رَجَعَ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا لَامَنَا رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: « أَعَجَزْتُمْ إِذْ بَعَثْتُ رَجُلًا، فَلَمْ يَمْضِ لِأَمْرِي أَنْ تَجْعَلُوا مَكَانَهُ مَنْ يَمْضِي لِأَمْرِي؟ »(١)، فالرَّسُول ﷺ حرضهم عَلى تغيير أمير السرية الّذي عقد له الرّاية بيده الشريفة، فكيف إذا لم يكن أميراً أصلاً؟ إن الحاجة أشد إلى تأمير للحرب].أهـ(٢)

- قتال الواحد إذا قعد النّاس:

[هل يقاتلُ الإنسانُ وحده إذا قعدَ النّاس؟ نعم يُقاتل لأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يخاطب نبيّه ﷺ قائلاً: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ۝٨٤﴾ [النساء] فالآية تأمر الرَّسُول ﷺ، بأمرين واجبين – لأنَّ الأمرَ للوجوبِ –:

١- القِتَال ولو وحده.

٢- تحريض المُؤمِنِين.

ويذكر ربّ العزة الحكمة من القِتَال وهو كف بأس الكفّار، لأن الكفّار لا يخشون وجودنا إلا بالقتال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وبترك القِتَال يسود الشّرك وهو الفتنة وينتصر الكفر، وقد فهم الصّحابة ﷺ الآية عَلى ظاهرها، فعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: «قُلْتُ لِلْبَرَاءِ: الرَّجُلُ يَحْمِلُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، أَهُوَ مِمَّنْ أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ؟ قَالَ: لَا، لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ رَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النساء: ٨٤]، إِنَّمَا ذَاكَ فِي النَّفَقَةِ»(٣).

(١) رواه أحمد (١٧٠٠٧) وأبو داود (٢٦٢٧) والحاكم (٢٥٣٩) وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي والأرنؤوط وحسنه الألباني.

(٢) (الذخائر – ج١ / ص١٣٣).

(٣) رواه أحمد (١٨٤٧٧) وصحح الأرنؤوط إسناده مع اختلاف في متنه.

قَالَ ابن العربيّ في أحكام القرآن [١]: (**وَقَدْ تَكُونُ حَالَةٌ يَجِبُ فِيهَا نَفِيرُ الْكُلِّ إذَا تَعَيَّنَ الْجِهَادُ عَلَى الْأَعْيَانِ بِغَلَبَةِ الْعَدُوِّ عَلَى قُطْرٍ مِنْ الْأَقْطَارِ، أَوْ بِحُلُولِهِ بِالْعُقْرِ؛ فَيَجِبُ عَلَى كَافَّةِ الْخَلْقِ الْجِهَادُ وَالْخُرُوجُ إلَيْهِ؛ فَإِنْ قَصَّرُوا عَصَوْا**) فإذا كانَ النَّفِير عاماً لغلبة العدوّ أو استيلائه عَلى الأسارى كانَ النَّفِير عاماً، ووجب خفافاً وثقالاً وركباناً ورجالاً عبيداً وأحراراً. من كانَ له أب من غير إذنه ومن لا أب له، حتَّى يظهر دين الله ووتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزي العدوّ ويستنقد الأسرى ولا خلاف في هٰذا.

فكيف يصنع الواحد إذا قعد الجميع؟ يعمد إلى أسير واحد فيفديه ويغزو بنفسه إن قدر وإلا جهز غازيا.

بل إن قتال المرء وحده يُرضي الله ويُعجبه، ففي الحديث الحسن الّذي رَوَاه أحمد وأبو داوود قَالَ ﷺ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ الله فانهَزَمَ أَصحَابُهُ فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فَرَجَعَ حَتَّى أُهرِقَ دَمُهُ، فَيَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَرَهْبَةً مِمَّا عِنْدِي، حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ»[٢]]. أهـ.[٣]

- **الجِهَاد والقتال مع الفساق والفجار:**

[هل نقاتل مع مُسلِمِين ليسوا عَلى مستوى مقبول من التَّربية الإِسْلَاميّة ؟

هذا السّؤال يثور من قبل بعض النّاس وقسم منهم مخلصون، ويتساءلون: كيف نقاتل مع قوم (كالأفغان) فيهم الصادق وفيهم الكاذب، وينتشر بينهم شرب الدخان والنسوار (كالدخان)، وقد يبيع بعضهم سلاحه؟ وهم أناس متعصبون لمذهبهم الحنفي، وبعضهم يعلق الرقى (التمائم)، وقبل أن أبين الحكم الشَّرعيّ أقول: أروني شعبا في الأرض يخلو من هذه الأمور؟ فهل نترك الكفّار في كلّ الأراضي المُسلِمِين لأن هذه الأمور موجودة؟

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٥١٧).

(٢) رواه أحمد (٣٩٤٩) وأبو داود (٢٥٣٦) وحسنه الألباني وصححه الأرنؤوط.

(٣) (الذخائر – ج١ / ص١٣٤)

الجواب يجب القِتَال، لأن القتال مبني عَلى دفع أعظم الضررين، فهنالك القواعد الفقهيّة: في مجلة الأحكام العدلية المادّة رقم (٢٦): (يُتحَمَّلُ الضَّرَرُ الخَاصّ لِدَفْعِ العَام)، وفي المادّة رقم (٢٧): (الضَّرَرُ الأشدّ يُزالُ بالضرَرِ الأَخَفّ)، وفي المادّة رقم (٢٨): (إذا تَعارَّضَت مَفسَدَتَانِ رُوعيَ أَعظمها ضَرَراً بارتكابِ أَخَفّها)، وفي المادّة (٢٩): (يُختار أهونُ الشَّرّين).

فلا بُدَّ من اختيار أهون الشرين، أيها أعظم شرا استيلاء الرُّوس عَلى أفغانستان وتحويلها إلى بلاد كفر يمنع فيها القرآن والإِسْلَام أم الجِهَاد مع قوم فيهم ذنوب وأخطاء؟

يقول ابن تَيمِيّة في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٠٦): (لِهَذَا كَانَ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْغَزْوُ مَعَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ؛ فَإِنَّ اللهَّ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ وَبِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَنَّهُ إذَا لَمْ يَتَّفِقْ الْغَزْوُ إلَّا مَعَ الْأُمَرَاءِ الْفُجَّارِ أَوْ مَعَ عَسْكَرٍ كَثِيرِ الْفُجُورِ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إمَّا تَرْكُ الْغَزْوِ مَعَهُمْ فَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ اسْتِيلَاءُ الْآخَرِينَ الَّذِينَ هُمْ أَعْظَمُ ضَرَرًا فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَإِمَّا الْغَزْوُ مَعَ الْأَمِيرِ الْفَاجِرِ فَيَحْصُلُ بِذَلِكَ دَفْعُ الْأَفْجَرِينَ وَإِقَامَةُ أَكْثَرِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ؛ وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ إقَامَةُ جَمِيعِهَا، فَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ وَكُلِّ مَا أَشْبَهَهَا؛ بَلْ كَثِيرٌ مِنْ الْغَزْوِ الْحَاصِلِ بَعْدَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ لَمْ يَقَعْ إلَّا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، وَثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «**الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ**»[١]، فما داموا المُسلِمين يجب القِتَال معهم).

والرّاية في أفغانستان إسلاميّة والهدف المعلن هو إقامة دين الله في الأرض، ولو قاتل المُسلِمُون في فِلَسطِين لما ضاعت فِلَسطِين رغم المفاسد الّتي كانت في البداية، وقبل أن يفسد الأمر نهَائِيّاً ويأتي جورج حبش، ونايف حواتمه، والأب كبوشي وأمثالهم.

يجب القِتَال مع أي قوم مُسلِمِين ما داموا مُسلِمِين مهما كانَ فسقهم وفجورهم، إذا كانَ القِتَال ضدّ الكفّار أو أهل الكتاب أو الملحدين.

يقول الشوكاني في نيل الأوطار[٢]: (**وَتَجُوزُ الِاسْتِعَانَةُ بِالْفُسَّاقِ عَلَى الْكُفَّارِ إجْمَاعًا**).

---

(١) رواه البخاري (٢٨٥٠، ٣١١٩) ومسلم (١٨٧٣).

(٢) نيل الأوطار: (٧/ ٢٦٤).

هل يجوز الغزو مع الفجرة والفساق؟

الفتوى: نعم يغزى مع كلّ بر وفاجر يعني كلّ إمام، قَالَ أبو عبدالله (الإمَام أحمد) وسئل عن الرجل يقول: أَنَا لَا أَغْزُو وَيَأْخُذُهُ وَلَدُ الْعَبَّاسِ، إِنَّمَا يُوَفَّرُ الْفَيْءُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: سُبْحَانَ الله، هَؤُلَاءِ قَوْمُ سُوءٍ، هَؤُلَاءِ الْقَعَدَةُ، مُثَبِّطُونَ جُهَّالٌ، فَيُقَالُ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَعَدُوا كَمَا قَعَدْتُمْ، مَنْ كَانَ يَغْزُو؟ أَلَيْسَ كَانَ قَدْ ذَهَبَ الْإِسْلَامُ؟ مَا كَانَتْ تَصْنَعُ الرُّومُ؟ وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُد، بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ؛ بَرًّا كَانَ، أَوْ فَاجِرًا»(١) وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ؛ الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: لَا إلَهَ إلَّا الله، لَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنْ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي الله إلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ»(٢) وَلِأَنَّ تَرْكَ الْجِهَادِ مَعَ الْفَاجِرِ يُفْضِي إلَى قَطْعِ الْجِهَادِ، وَظُهُورِ الْكُفَّارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَاسْتِئْصَالِهِمْ، وَظُهُورِ كَلِمَةِ الْكُفْرِ، وَفِيهِ فَسَادٌ عَظِيمٌ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

قَالَ أَحْمَدُ: لَا يُعْجِبُنِي أَنْ يَخْرُجَ مَعَ الْإِمَامِ أَوْ الْقَائِدِ إذَا عُرِفَ بِالْهَزِيمَةِ وَتَضْيِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا يَغْزُو مَعَ مَنْ لَهُ شَفَقَةٌ وَحَيْطَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ كَانَ الْقَائِدُ يُعْرَفُ بِشُرْبِ الْخَمْرِ وَالْغُلُولِ، يُغْزَى مَعَهُ، إنَّمَا ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، وَيُرْوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَّ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»(٣).

وَلَا يَسْتَصْحِبُ الْأَمِيرُ مَعَهُ مُخَذِّلًا، وَهُوَ الَّذِي يُثَبِّطُ النَّاسَ عَنْ الْغَزْوِ، وَيُزَهِّدُهُمْ فِي الْخُرُوجِ إلَيْهِ وَالْقِتَالِ وَالْجِهَادِ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ: الْحَرُّ أَوْ الْبَرْدُ شَدِيدٌ، وَالْمَشَقَّةُ شَدِيدَةٌ، وَلَا تُؤْمَنُ هَزِيمَةُ هَذَا الْجَيْشِ، وَأَشْبَاهَ هَذَا، وَلَا مُرْجِفًا، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ: هَلَكَتْ سَرِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ، وَمَالَهُمْ مَدَدٌ، وَلَا طَاقَةَ لَهُمْ بِالْكُفَّارِ، وَالْكُفَّارُ لَهُمْ قُوَّةٌ، وَمَدَدٌ، وَصَبْرٌ، وَلَا يَثْبُتُ لَهُمْ أَحَدٌ، وَنَحْوَ هَذَا، وَلَا مَنْ يُعِينُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالتَّجَسُّسِ لِلْكُفَّارِ، وَإِطْلَاعِهِمْ عَلَى عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَمُكَاتَبَتِهِمْ بِأَخْبَارِهِمْ، وَدَلَالَتِهِمْ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ، أَوْ إيوَاءِ جَوَاسِيسِهِمْ، وَلَا مَنْ يُوقِعُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَسْعَى بِالْفَسَادِ؛ لِقَوْلِ اللهَّ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٣٣) وضعفه الألباني، وقال الأرنؤوط: إسناده رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاع.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٣٢) وضعفه الألباني وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٣) رواه البخاري (٣٠٦٢) ومسلم (١١١).

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ۝٤٦ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٧﴾ [التوبة]

وَلِأَنَّ هَؤُلَاءِ مَضَرَّةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَيَلْزَمُهُ مَنْعُهُمْ، وَإِنْ خَرَجَ مَعَهُ أَحَدُ هَؤُلَاءِ، لَمْ يُسْهِمْ لَهُ وَلَمْ يَرْضَخْ وَإِنْ أَظْهَرَ عَوْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَظْهَرَهُ نِفَاقًا، وَقَدْ ظَهَرَ دَلِيلُهُ، فَيَكُونُ مُجَرَّدَ ضَرَرٍ، فَلَا يَسْتَحِقُّ مِمَّا غَنِمُوا شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ الْأَمِيرُ أَحَدَ هَؤُلَاءِ، لَمْ يُسْتَحَبَّ الْخُرُوجُ مَعَهُ؛ لِأَنَّهُ إذَا مُنِعَ خُرُوجُهُ تَبَعًا، فَمَتْبُوعًا أَوْلَى، وَلِأَنَّهُ لَا تُؤْمَنُ الْمَضَرَّةُ عَلَى مَنْ صَحِبَهُ.[(١)]. أهـ[(٢)].

- **قتل المدنيين من الكفّار وإفساد أموالهم:**

[قتل النِّسَاء والولدان والشُّيُوخ.

قد بينا من قبل أن الإِسْلَام لا يقتل إلا المقاتلة، أو الّذين يمدون المشركين وأعداء الإِسْلَام بمال أو برأي، لأن الآية: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝١٩٠﴾ [البقرة] ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩٣﴾ [البقرة]

والمقاتلة: مفاعلة في المشاركة من الجانبين، فمن قتل أو أشترك بوسيلة ما في القِتَال فإنه يقتل ويقاتل، وإلا فلا حاجة إلى قتلة ولذا فلا حاجة لقتل النِّسَاء لضعفهن إلا إذا قاتلن، ولا لقتل الأطفال، ولا الرهبان عن قصد إلا إذا اختلطوا بالمشركين، ولن نستطع أن نضرب المشركين المقاتلين منفردين، فهنا نضرب المشركين ولا نقصد الضّعفة.

إن التنكيل بالذرية والضّعفة يورث الأحقاد بمداد الدموع والدِّماء لتتناقله الأجيال جيلا بعد جيل وهذا الّذي لا يريده الإِسْلَام.

إن الإِسْلَام يريد أن يحبب النّاس به ويريد أن يحبب الله رسوله ودينه إلى النّاس، ولكن الإِسْلَام في نفس الوقت لا يربت عَلى شهوات النّاس، ولا يغير منهاجه إرضاء لأهوائهم ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [المؤمنون: ٧١]، وقد أختلف آراء العُلَماء في هذه القضية عَلى مذاهب:

---

(١) الفتوى : من المغني لابن قدامة (٩/ ٢٠١).

(٢) الذخائر العظام: (ج١ / ص١٣٥- ١٠١٧).

المذهب الأوّل: لا يجوز قتل النِّسَاء والولدان بأي حال: (وهو مذهب مالك والأوزاعي)، حتَّى ولو تترس الكفّار بأطفالهم ونسائهم لا يجوز رميهم، ولو تحصنوا في حصن ومعهم ذريتهم لا يجوز رميهم بالمنجنيق وغيره.

المذهب الثّاني: لا يقصد الضّعفة بالقتال إلا إذا قاتلوا أو اختلطوا بالمقاتلين بحيث لا نستطيع مقاتلتهم بدون قتلهم، وهذا رأي الشّافعي والحنفية.

وقال الماوردي في الأحكام السلطانية (٧٧): (**وَلَا يَجُوزُ قَتْلُ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ فِي حَرْبٍ وَلَا فِي غَيْرِهَا مَا لَمْ يُقَاتِلُوا؛ لِنَهْيِ رَسُولِ الله ﷺ عَنْ قَتْلِهِمْ**).

قَالَ السَّرخسيّ في المبسُوط (١٠/ ٣٢): (**ثُمَّ لَا يَمْتَنِعُ تَحْرِيقُ حُصُونِهِمْ بِكَوْنِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ فِيهَا، فَكَذَلِكَ لَا يَمْتَنِعُ ذَلِكَ بِكَوْنِ الْأَسِيرِ-المسلم- فِيهَا وَلَكِنَّهُمْ يَقْصِدُونَ الْمُشْرِكِينَ**).

ويجوز قتل الشَّيْخ الكبير إن كانَ ذا رأي، كما أقر رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري عَلى قتل (دريد بن الصمة) وقد جاوز المائة والحديث في الصَّحِيحين[1].

ولا يقتل الأعمى ولا المقعد ولا المعتوه من الأسارى لأنه إنما يقتل من يقاتل (والمقاتلة من الجانبين) ولا بأس بإرسال الماء إلى مدينة أهل الحَرب وحرقهم بالنار ورميهم بالمنجنيق وإن كانَ فيهم أطفال أو ناس من المُسلِمين، ويحل رميهم وإن تترسوا بأطفال المُسلِمين وقد بين رسول الله ﷺ العلة في الحديث الّذي رواه أحمد وأبو داوود[2]، وإن كانَ فيه مقال لأن رسول الله ﷺ مر عَلى امرأة مقتولة فقال: «مَا كَانَتْ هَذِهِ تُقَاتِلُ» إذاً العلة في القتل والمقاتلة، فمن كانَ من أهل القِتَال قتل وقوتل.

ودار خلاف الأئمة حول الأحاديث المتعارضة ظاهراً:

فمالكٌ أخذ بعموم النّص، نصّ ابن عُمر رضي الله عنهما قَالَ: **وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ الله ﷺ**، «فَنَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ»[3].

---

(١) حديث قتل دريد بن الصمة جاء في البخاري (٤٣٢٣) ومسلم (٢٤٩٨) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد (٥٩٥٩)، وأبو داود (٢٦٦٩) وغيرهما، وصححه شاكر والألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه البخاري (٣٠١٤) ومسلم (١٧٤٤).

أما الشّافعية: فيستدل لديهم بأن هذا النّص عام وله مخصص من حديث الصعب بن جثامة أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنْ أَهْلِ الدَّارِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُبَيَّتُونَ فَيُصَابُ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، قَالَ: «هُمْ مِنْهُمْ»[١]، وزاد أبو داوود، وقال الزهري: ثمّ نهى رسول الله ﷺ عن قتل النِّسَاء والولدان، إن هذا وإن كانَ يستدل به من تمسك بالنّهي عن قتل النِّسَاء والولدان مهما كانَ الأمر ويرى قول الزهري ناسخاً إلا أنّه يشهد للشّافعيّة والحنفيّة الحديث الّذي رواه التِّرْمِذِيّ مرسلاً: «نصب رسول الله ﷺ الْمَنْجَنِيقَ عَلَى أَهْلِ الطَّائِفِ»[٢].والحديث الّذي رواه سلمة بن الأكوع: «بَيَّتْنَا هَوَازِنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَكَانَ أَمَّرَهُ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ»[٣].

والبيات: هو الإغارة في الليل وغزو الطائف وهوازن كانَ في أواخر حياة رسول الله ﷺ.

أما منع الجيش المسلم من قتال المشركين إذا اختلطوا بأطفالهم عَلى أية حال فهذا يعني وقف الجِهَاد ضدهم وفي هذا خطر عَلى المسمين وإضرار بمصالح المجتمع المسلم، خاصّة في هذه الأيّام الّتي أصبح القِتَال فيها بقذائف بعيد المدى من المدفعية الطائرات والدبابات وهذا يعني منع استعمال هذه جميعها وإيقافه.

فإذا كانَ الفقهاء باتفاق قد أباحوا قتل المُسلِمِين حالة تترس الكفّار بهم، فكيف لا يبيحون حرب الكفّار إذا كانَ معهم أطفالهم ونسائهم؟!

هل حرمة دماء نساء المشركين وأطفالهم أشد حرمة من دماء المُسلِمِين؟

ثمّ إن المنع من قتل النِّسَاء اليَوْم إن كانت المرأة لا تشترك في الحَرب ولا تدخل في الجُيُوش ولا تعتنق مبادئ كالشُّيُوعِيّة وغيرها تقاتل دونها وتموت في سبيلها... أما الآن فقد تغير الوضع، وأصبحت المرأة لا تفترق - في هذه النَّاحية - كثيرا عن الرجل، يقول ابن تَيمِيّة في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٧):

---

(١) رواه البخاري (٣٠١٢، ٣٠١٣) ومسلم (١٧٤٥).

(٢) رواه أبو داود في المراسيل (٣٣٥-٣٣٦)، ورواه الترمذي مرسلا (٢٧٦٢) وقال الألباني: موضوع - الضعيفة (٢٨٨).

(٣) رواه أحمد (١٦٤٩٧، ١٦٤٩٨) وقال الأرنؤوط: صحيح على شرط مسلم. وروى أبو داود بنحوه (٢٦٣٨) وحسنه الألباني.

(إِنَّ الْأَئِمَّةَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْكُفَّارَ لَوْ تَتَرَّسُوا بِمُسْلِمِينَ وَخِيفَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إذَا لَمْ يُقَاتِلُوا؛ فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ نَرْمِيَهُمْ وَنَقْصِدَ الْكُفَّارَ، وَلَوْ لَمْ نَخَفْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَازَ رَمْيُ أُولَئِكَ الْمُسْلِمِينَ أَيْضًا فِي أَحَدِ قَوْلَيْ الْعُلَمَاءِ).

قَالَ ابن العربيّ في أحكام القرآن (١/ ١٤٨): (لَا تَقْتُلُوا النِّسَاءَ إلَّا أَنْ يُقَاتِلْنَ؛ لِنَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ قَتْلِهِنَّ..... وَهَذَا مَا لَمْ يُقَاتِلْنَ، فَإِنْ قَاتَلْنَ قُتِلْنَ).

وقد فرق الشّافعية بين قتل الأطفال والنِّسَاء وبين قتل الرهبان والشُّيُوخ والعمي، فقد حرموا قصد قتل النِّسَاء والولدان إلا للضرورة فقال الرملي (٨/ ٦٤): وتحريم قتل صبي ومجنون وامرأة – ولو لم يكن لها كتاب – وخنثى مشكل ومن به رمق، ما لم يقاتلوا أو يسبوا الله أو أحد رسله ﷺ.

أما بالنسبة للراهب والشَّيْخ: فقال الرملي (٨/ ٦٤): ويحل قتل راهب وأجير وشيخ وأعمى ومن لا قتال منهم ولا رأي في الأظهر لعموم قوله تَعَالَى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] والثّاني لا يحل قتلهم.

قتل الراهب:

أما الراهب فمدار القتل وعدمه عَلى الخلطة مع النّاس، فإن خالط النّاس قتل.. وإن كانَ معتزلا لعبادته يترك. وقد جاء في الحديث ابن عباس رضي الله عنهما: كانَ رسول الله ﷺ إذا بعث جُيُوشه قَالَ: «اخْرُجُوا بِسْمِ الله تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله مَنْ كَفَرَ بِالله، لَا تَغْدِرُوا، وَلا تَغُلُّوا، وَلا تُمَثِّلُوا، وَلا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ، وَلا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ»(١).

جاء في المبسوط للسرخسي (١٠/ ١٣٧)، قَالَ أبو يوسف ومحمّد ورواية السّير الكبير عن أبي حنيفة: **لَا يُقْتَلُونَ.**

قَالَ أبو يوسف: (سألت أبا حنيفة عَنْ أَصْحَابِ الصَّوَامِعِ، وَالرُّهْبَانِ فَرَأَى قَتْلَهُمْ حَسَنًا، وقال: هَؤُلَاءِ مِنْ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ)، والجميع بين روايتي أبي حنيفة... الخلطة مع النّاس، فمن اختلط يقتل، ومن لا يختلط لا يقتل.

قتل شيوخ المشركين والمرضى والعمي والزَّمنى:

اختلف في قتل المشركين عَلى رأيين:

---

(١) رواه أحمد (٢٧٢٨) وقال الأرنؤوط : إسناده ضعيف والحديث حسن لغيره بالشواهد.

١-فمنهم من ألحقَ الشُّيُوخ بالأطفال والنِّسَاء كالحنفية ومالك، واستدلوا بالحديث الّذي رواه أبو داوود عن أنس مرفوعا: «لَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلَا طِفْلًا ولا صَغِيرًا» والحديث [١]فيه خالد بن الفزر وليس بذاك.

وقد قَالَ الفقهاء أن مناط (علة) عدم قتلهم هيَ نفسها الموجودة في الأطفال، إذا ليس لهم نفع للمشركين ولا ضرر عَلى الْمُسلِمِين فقال ابن نجيم في البحر (٥/ ٨٤): (ولا تقتلِ **امْرَأَةٌ وَغَيْرُ مُكَلَّفٍ وَشَيْخٌ فَانٍ وَأَعْمَى وَمُقْعَدٌ إلَّا أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ ذَا رَأْيٍ فِي الْحَرْبِ أَوْ مَلِكًا**).

٢-ومنهم كالشّافعية – عَلى الأصح – من أباح قتلهم، ويستدل بحديث في الصَّحِيحين (**بأن أبا عامر الأشعري قتل دريد بن الصمة وقد نيف عَلى المائة عام..**)[٢].

ويستدل لهم كذلك بحديث عند أحمد والتِّرْمِذِيّ وصححه عن سمرة: «اقْتُلُوا شُيُوخَ الْمُشْرِكِينَ وَاسْتَبْقُوا شَرْخَهُمْ»[٣].

وقد علل أحمد بن حنبل أمره ﷺ بقتل الشُّيُوخ أن لا يكاد يسلم، أما الصغير فهو الأقرب إلى الإِسْلَام.

ويضاف إلى هذا أن الشُّيُوخ غالبا لهم رأي ومكيدة في الحَرب فدريد بن الصمة قد نصح مالك بن عوف أن لا يأخذ الذرية والنِّسَاء فرفض...

ومما استدل به هَؤُلَاءِ الفريق عموم قوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥] ولأنه كافر لا نفع في حياته فيقتل كالشاب.

وخلاصة الأمر والّذي نرجحه والله أعلم:

إن من كانَ به فائدة للمشركين أو غيره فإنه يقتل – شيخًا كانَ أو راهبًا أو مقعدًا –.

وأما الشَّيْخ الهرم – الخرف – والراهب والمعتزل والمريض الّذي يعاني من آلامه، وهم الّذين ليس لهم نفع للكفر، ولا ضرر عَلى الْمُسلِمِين فالأولى تركهم للنصوص الواردة (وإن كانَ فيها ضعف لأن القياس يدعمها بجانب عدم النفع والضرر).

---

(١) رواه أبو داود (٢٦١٤) وضعفه الألباني، وقال الأرنؤوط : إسناده ضعيف والحديث حسن لغيره بالشواهد.

(٢) رواه البخاري (٢٨٨٤، ٦٣٨٣) ومسلم (٢٤٩٨).

(٣) رواه أبو داود (٢٦٧٠) والترمذي (١٥٨٣) وأحمد (٢٠١٤٥، ٢٠٢٣٠) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

وقد أوصى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان قائلاً له: (**لاَ تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلاَ صَبِيّاً، وَلاَ كَبِيراً هَرِماً**). أخرجه مالك في الموطأ[1].. انظر الموطأ بشرح الزرقائي (٣/ ٢٩٠) ولكن الحديث مرسل.

وفي المبسوط للسرخسي (١٠/ ١٣٧): قَالَ أبو يوسف: سألت أبا حنيفة عن قتل النِّسَاء والصبيان والشَّيْخ الكبير الّذي لا يطيق القِتَال والّذين بهم زمانة فنهى عن ذلك وكرهه.

- **قطع الأشجار وقتل الحيوانات:**

اتفق جمهور الفقهاء الأربعة أن كلّ ما فيه مصلحة للمسلمين أو مضرة للكافرين أثناء المَعْرَكة أو الإعداد لها يجوز فعله سواء كانَ هذا الفعل قتل إنسان أو حيوان أو قطع شجر أو تدمير بناء، لأن المقصود بالمَعْرَكة ابتداء وانتهاء إزالة الفتنة ونشر الدّعوة وإعلاء دين الله. فإذا أباح الإِسْلَام قتل البشر الّذين يقفون أمام الدّعوة فمن باب أولى أن يجوز إتلاف أموالهم إن كانَ فيه إضرار بهم أو إجبار لهم عَلَى الخضوع لهذا الدّين.

أما الآية: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة] فقد نزلت في الأخنس بن شريف عندما جاء إلى رسول الله ﷺ وأعلن إسلامه ثمّ عندما خرج أحرق الزرع وعقر المواشي فاستعمال هذه الآية مع الجيش المسلم – اضطر لقطع الأشجار – ليس له أدنى مناسبة بالموضوع.

نعود فنقول: كلّ ما كانَ في مصلحة الجِهَاد من نفع للمسلمين أو إضرار للكافرين فهذا يفعل لأن مصلحة الجِهَاد مقدمة عَلَى كلّ شيء.

- **قتل النِّسَاء الشُّيُوعِيّات في أفغانستان:**

أما النِّسَاء الشُّيُوعِيّات في أفغانستان فيجب قتلهن سواء اشتركن في الحَرب أو في رأي أم لم يشتركن وسواء إن انفردن أو اختلطن، وسواء كانت واحدة أو مجموعة. لأنهن ذوات عقائد يكافحن ضدّ الإِسْلَام ويؤذين الإِسْلَام والمُسلِمِين وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قَالَ عن امرأتين كانتا لبني عبد المطلب

(١) ورد في موطأ مالك (١٢٩٢) وقال الألباني في الإرواء عن إسناده معضل.

وكن يئذين الرَّسُول الله ﷺ وأهله والإِسْلَام بالكلام فقال فيهما وفي مجموعة من الرّجال: «اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُعَلَّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ»(١).

- **استعمال المدفعية والطائرات والهاون والصواريخ للقصف:**

قد أشرنا أن القِتَال في الإِسْلَام لإزالة العقبات أمام دعوته ولتحطيم الأنظمة السّياسيّة الّتي تحول دون وصول الإِسْلَام إلى الشّعوب، فإذا استطعنا أن نوصلها دون قتل أو قتال فهذا الّذي يتمناه المسلم؛ أن يهدي الله عَلَى يديه واحدا «وَهُوَ خَيرٌ لَهُ مِنْ حُمْرِ النَّعَم»(٢). فإن لم نستطع، فبدفع الحواجز بكل الطرق الممكنة بلا إزهاق لأرواح الضّعفة ولا إتلاف للأموال.

فإن لم نستطع الوصول إلى الطواغيت المتألهة في الأرض إلا بقتل الذرية وقطع الأشجار وتدمير المنشآت، فلا بأس، لأن هذه اضطررنا إليها ولم تكن مقصودا لنا ولا هدفا.

وقد مر معنا حديث الصعب بن جثامة أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنْ أَهْلِ الدَّارِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُبَيَّتُونَ فَيُصَابُ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، قَالَ: «هُمْ مِنْهُمْ»(٣).

قَالَ الزهري: (**ثمّ نهى رسول الله ﷺ عن قتل النِّسَاء والصبيان**) فإن الزهري يعتبر قتل النِّسَاء والأولاد إذا لم يكن مقصودا يحرم، وكذلك لأنه منسوخ، وقد تعرضنا للرد عليه بالحديث المرسل الّذي أخرجه التِّرْمِذِيّ أن الرَّسُول الله ﷺ: «نَصَبَ الْمَنْجَنِيقَ عَلَى أَهْلِ الطَّائِفِ»(٤) ورجاله ثقات انظر سبل السَّلام (٤/ ١٣٥٢). وبالحديث الآخر عن سلمة بن الأكوع «بَيَّتْنَا هَوَازِنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَكَانَ

(١) رواه النسائي (٤٠٦٧) وأبو داود (٢٦٨٣، ٤٣٥٩) وصححه الألباني.

(٢) لفظ نبوي، رواه البخاري (٣٠٠٩) ومسلم (٢٤٠٦).

(٣) رواه البخاري (٣٠١٢، ٣٠١٣) ومسلم (١٧٤٥).

(٤) رواه أبو داود في المراسيل (٣٣٥-٣٣٦)، ورواه الترمذي مرسلا (٢٧٦٢) وقال الألباني: موضوع - الضعيفة (٢٨٨).

أَمَّرَهُ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ»(١) رواه أبو داوود وسكت عليه المنذري. وغزو الطائف وهوازن كانَ في أواخر أيّام الرَّسُول ﷺ.

قَالَ التِّرْمِذِيّ: قد رخص قوم من أهل العلم في الغارة بالليل، وأن يبيتوا، وكرهه بعضهم وقال أحمد وإسحاق: لا بأس أن يبيتوا العدوّ ليلا.

قَالَ الصنعاني: عند حديث نصب المنجنيق: (في الحديث دليل عَلى أنه يجوز قتل الكفّار إذا تحصنوا بالمنجنيق) ويقاس عليه غيره من المدافع المعدة فيما جاء في الغزو لصديق حسن]. أهـ.(٢)

- **حكم العمليّات الاستشهادية:**

[ولذا فالجِهَاد نفسه تغرير بالنّفس، ألا ترى أن الغلام قتل نفسه من أجل نشر الدّين؟

يقول ابن تَيمِيّة في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٥٠): (**إِنَّ الْغُلَامَ أُمِرَ بِقَتْلِ نَفْسِهِ لِأَجْلِ مَصْلَحَةِ ظُهُورِ الدِّينِ، وَلِهَذَا جَوَّزَ الْأَئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ أَنْ يَنْغَمِسَ الْمُسْلِمُ فِي صَفِّ الْكُفَّارِ وَإِنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَهُ؛ إذَا كَانَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ**).

جاء في أحكام الجصاص(٣): قَالَ محمّد بن الحسن في السّير الكبير: (أَنَّ رَجُلًا لَوْ حَمَلَ عَلَى أَلْفِ رَجُلٍ وَهُوَ وَحْدَهُ لَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ بَأْسٌ إذَا كَانَ يَطْمَعُ فِي نَجَاةٍ أَوْ نِكَايَةٍ وَإِنْ كَانَ لَا يَطْمَعُ فِي نَجَاةٍ وَلَا نِكَايَةٍ، وَلَكِنَّهُ مِمَّا يُرْهِبُ الْعَدُوَّ، فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا أَفْضَلُ النِّكَايَةِ وَفِيهِ مَنْفَعَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ).

قَالَ الجصاص: فَأَمَّا إذَا كَانَ فِي تَلَفِ نَفْسِهِ مَنْفَعَةٌ عَائِدَةٌ عَلَى الدِّينِ فَهَذَا مَقَامٌ شَرِيفٌ مَدَحَ اللهُ بِهِ أَصْحَابَ النبيّ ﷺ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]].(٤)

---

(١) رواه أحمد (١٦٤٩٧، ١٦٤٩٨) وقال الأرنؤوط: صحيح على شرط مسلم. وروى أبو داود بنحوه (٢٦٣٨) وحسنه الألباني.

(٢) (الذخائر: ج١/ ص٢٨٨ – ٢٩٤)

(٣) أحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٢٧).

(٤) (الذخائر: ج١ – ص٢٩٢).

[الانتحار حرام. لأن النّفس ليست ملكا لصاحبها بل لله عَزَّ وَجَلَّ، فلا يجوز له أن يتصرف بنفسه إلا حسب مرضاة الله والمنتحر يستحق النار، فقد روى الشَّيْخان عن ثابت بن قيس عن النبيّ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بما سِوى الإِسْلَام كاذباً فهو كَما قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيٍء عُذِّبَ بِهِ يَومَ القِيَامة وَمَنْ رَمَى مُؤمناً بكفرٍ فَهُوَ كَقتلِهِ وَلَعْنُ المؤمنِ كقتلِهِ»(١).

وليس من قبيل الانتحار: تضحية الإنسان بنفسه خدمة للإسلام، ورفعا لمعنويات المُسلِمِين، أو إنكاء فأعداء الله عَزَّ وَجَلَّ. فقد ورد في الحديث الصَّحِيح الّذي رواه مسلم(٢) في تفسير سور البروج قصة الغلام الّذي عجز الملك عن قتله فدله الغلام عَلَى طريقة قتل، وقال به خذ سهما بعد أن تجمع النّاس وتصلبني وقل: «باسمِ ربِّ الغُلام أقتلُ هَذَا الغُلَام» فقتله فقال النّاس: آمنا برب الغلام، فهذا وأمثاله ممن نظن أن الله تَعَالَى قَالَ فيهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وقد نص عَلَى هذا شيْخ الإِسْلَام ومحمّد بن الحسن والجصاص والسرخسي: بأن المسلم يجوز له أن يهجم عَلَى ألف من الكفّار وإن تيقن فوات نفسه وقتلها إذا كانَ في ذلك مصلحة المُسلِمِين، أو نكاية بالكافرين، أو كانَ بالمُسلِمين ضعف وتخاذل، فأراد أن يقوي هممهم ويشحذ عزائمهم، ومن هذا القبيل قصة البَرَاء بن مالك عندما طلب من الصّحابة أن يضعوه عَلَى لوح، ويرفعوه عَلَى رؤوس الرماح، ويلقوه في حديقة الموت عَلَى جند مسليمة الكذاب يوم اليمامة، ولقد سئلت عن نساء ألقين بأنفسهن في نهر (كونر) – في أفغانستان، كن قد خشين عَلَى أعراضهن من الرُّوس الّذين صاروا يعتدون عَلَى الأعراض فقلت هذه شهادة إن شاء الله، لأن العُلَمَاء أجمعوا عَلَى أنه لا يجوز للمرأة أن تستسلم للأسر إذا خشيت عَلَى عرضها، وكذلك الغلام الأمرد].أهـ.(٣)

<u>سؤال هام:</u>

ما حكم الرجل يضع الحزام النّاسف عَلَى بدنه ثمّ يلقي نفسه بين مجموعة كفارأودبابات فتنفجربه وبهم جميعا؟ وما حكم الرجل الواحد يحمل وحده عَلَى حلبة العدوّ؟

---

(١) رواه البخاري (٦١٠٥) ومسلم (١١٠) بلفظ قريب عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم (٣٠٠٥).

(٣) (الذخائر ج١/ ٣٢٣).

الفتوى:

لقد أجاز الفقهاء التَّضحِيَة بالنّفس من أجل نصرة الإسْلَام ولا يعد هذا انتحارا.

هنالك فرق بين الإنتحاروالتَّضحِيَة بالنّفس : فالإنتحار: قتل النّفس هربا من هموم الحياة وآلامها، أما التَّضحِيَة: فهي بذل النّفس من أجل حماية دين الله ونصرة شريعته من دون هم ولا غم.

جاء في أحكام الجصاص (١/ ٢٦٢): («عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: غَزَوْنَا بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحمن بن الوَلِيد، وَالرُّوم مُلصِقُوا ظُهُورِهِمْ بِحَائِطِ الْمَدِينَةِ فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى الْعَدُوِّ فَقَالَ النَّاسُ: مَهْ مَهْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ! فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا نَصَرَ الله نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ دِينَهُ الْإِسْلَامَ، قُلْنَا: هَلُمَّ نُقِيمُ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة] فَالْإِلْقَاءُ بِالْأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا فَنُصْلِحَهَا وَنَدَعَ الْجِهَادَ»[1].

أَمَّا الرَّجُلِ الْوَاحِدِ يَحْمِلُ عَلَى حَلْبَةِ الْعَدُوِّ، فَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ ذَكَرَ فِي السِّيَرِ الْكَبِيرِ:

- أَنَّ رَجُلًا لَوْ حَمَلَ عَلَى أَلْفِ رَجُلٍ وَهُوَ وَحْدَهُ لَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ بَأْسٌ إِذَا كَانَ يَطْمَعُ فِي نَجَاةٍ أَوْ نِكَايَةٍ،
- فَإِنْ كَانَ لَا يَطْمَعُ فِي نَجَاةٍ وَلَا نِكَايَةٍ فَإِنِّي أَكْرَهُ لَهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتَّلَفِ مِنْ غَيْرِ مَنْفَعَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا إِذَا كَانَ يَطْمَعُ فِي نَجَاةٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ،
- فَإِنْ كَانَ لَا يَطْمَعُ فِي نَجَاةٍ وَلَا نِكَايَةٍ وَلَكِنَّهُ يُجَرِّئُ الْمُسْلِمِينَ بِذَلِكَ حَتَّى يَفْعَلُوا مِثْلَ مَا فَعَلَ فَيُقْتَلُونَ وَيُنْكُونَ فِي الْعَدُوِّ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ إِنْ شَاءَ الله لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى طَمَعٍ مِنْ النِّكَايَةِ فِي الْعَدُوِّ وَلَا يَطْمَعُ فِي النَّجَاةِ لَمْ أَرَ بَأْسًا أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهِمْ.
- فَكَذَلِكَ إذَا طَمِعَ أَنْ يُنْكَى غَيْرُهُ فِيهِمْ بِحَمْلَتِهِ عَلَيْهِمْ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَأْجُورًا
- وَإِنْ كَانَ لَا يَطْمَعُ فِي نَجَاةٍ وَلَا نِكَايَةٍ، وَلَكِنَّهُ مِمَّا يُرْهِبُ الْعَدُوَّ، فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا أَفْضَلُ النِّكَايَةِ وَفِيهِ مَنْفَعَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ.

(١) رواه أبو داود (٢٥١٢) والتِّرمِذِيّ (٢٩٧٢) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

قَالَ الجصاص: فَأَمَّا إذَا كَانَ فِي تَلَفِ نَفْسِهِ مَنْفَعَةٌ عَائِدَةٌ عَلَى الدِّينِ فَهَذَا مَقَامٌ شَرِيفٌ مَدَحَ الله بِهِ أَصْحَابَ النبيّ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٠٧]

فِي نَظَائِرِ ذَلِكَ مِنْ الْآيِ الَّتِي مَدَحَ الله فِيهَا مَنْ بَذَلَ نَفْسَهُ لله.

وفي الحديث الشريف: «شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شُحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ»[(١)] وَذَمُّ الْجُبْنِ يُوجِبُ مَدْحَ الْإِقْدَامِ وَالشَّجَاعَةِ فِيمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَى الدِّينِ وَإِنْ أَيْقَنَ فِيهِ بِالتَّلَفِ)[(٢)].

قَالَ ابن تَيمِيّة في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٤٠).

(إنَّ الْغُلَامَ أُمِرَ بِقَتْلِ نَفْسِهِ لِأَجْلِ مَصْلَحَةِ ظُهُورِ الدِّينِ، وَلِهَذَا جَوَّزَ الْأَئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ أَنْ يَنْغَمِسَ الْمُسْلِمُ فِي صَفِّ الْكُفَّارِ وَإِنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَهُ؛ إذَا كَانَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ). قد بسطنا القول في هذه المسألة في موضع آخر].أهـ.[(٣)]

{ أقول وبالله التوفيق: أَنّي سألت الشَّيْخ عبد القادر بن عبد العزيز(الدكتور فضل) – فرج الله عنه – عن حكم العمليَّات الاستشهادية، فقال لي: (أنه كانَ لا يرى جوازها لعدم عثوره عَلى دليل نصي صريح يخرجها عن حكم الإنتحار. وأنه تفكر فيها طويلا، حتَّى وجد دليل جوازها في قوله تَعَالَى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]**، وجِهَاد الأَعدَاء ونكايتهم من أحق الحقّ،** وقد رأيت دليله هذا من أصرح ما استُدل به عَلى العمليَّات الاستشهادية بأسلوبها المعاصر، إذ أن أكثر كلام الأقدمين، منصرف لانغماس الرجل في صف العدوّ بما يغلب عَلى ظنه هلكته، ولكن قتلا بيد العدوّ، أما النّص الّذي استدل به شيخنا فهو عام. } والله أعلم.

- حكم أسرى الأعدَاء:

يختلف حكم الأسير باختلاف الجنس والعمر والدّين، والأسرى عادة عَلى ثلاثة أصناف:

---

(١) رواه أحمد (٨٢٦٣) وأبو داود (٢٥١١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) أحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٢٧).

(٣) (الذخائر ج١/ ١٠١٦).

أولا: النِّسَاء والأطفال: هَؤُلَاءِ لا يجوز قتلهم أثناء الحَرب إذا كانوا منفردين وكذلك بعد الأسر لا يجوز قتلهم، ويصبحون رقيقا بمجرد الأسر.

ثانيا: الرّجال من المجوس وأهل الكتاب: وهَؤُلَاءِ اختلفت آراء الفقهاء فيهم، وإليك التفصيل – إن شاء الله –:

قَالَ بعض العُلَمَاء – كالحسن ومُجَاهد –: لا يجوز قتل الأسير وحكى محمّد بن حسن التميمي إجماع الصّحابة.

أما الفقهاء الأربعة: فقد اتفقوا أن الإِمَام مخير في الأسرى بين القتل والاسترقاق، أما المن بدون مال فمنعه الحنفية وأجازه الشّافعية والحنبلية.

أما الإِمَام مالك فقد اختلفت عنه الرواية في المن بدون مال بالجواز وعدمه.

أما الفداء بالمال: فقد أجازه المالكية والشّافعية والحنبلية، وأما الحنفية فقد منعوه.

جاء في المبسوط للسرخسي: (سألته عن الأسير يقتل أو يفادي قَالَ: يقتل أو يجعل فيئا).

وقال الشّافعي: يفدى بالمال العظيم.

وقال محمّد: يفدى إن كانَ المُسلِمُون بحاجة إلى مال.

واستشهد أبو حنيفة بقول أبي بكر: لا تفادوه ووإن أعطيتم به مدين من ذهب.

ولأن تخلية المشرك ليعود حربا عَلَى المُسلِمِين معصية، وارتكاب المعصية لمنفعة المال لا يجوز وهو ترك واجب... وقتل المشرك فرض، ولو أعطونا مالا لترك الصّلاة لا يجوز لنا مع الحاجة إلى المال.

ولا يجوز تقوية المشركين بالسّلاح، فكذلك لا تجوز تقويتهم بالرّجال، والّذي يدل عَلَى جواز المن والفداء قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]

فنص عَلَى جواز المن بدون مال والفداء بالمال.

أما الحنفية: فيرون أن هذه الآية منسوخة بقوله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]

لأنها نزلت بعدها، لأن سورة التوبة نزلت بعد سورة محمّد ﷺ، ولكن لا دليل عَلَى النسخ، وفعل رسول الله ﷺ يدل عَلَى أنه منّ، وفادى وبادل الأسرى، وقتل واسترقّ.

أما بالنسبة للمنِّ ففي صحيح مسلم[١] عن أنس: أَنَّ ثَمانِينَ رَجُلاً مِنْ أَهلِ مَكّة هَبَطُوا عَلى النبيّ ﷺ. وأَصحَابه مِنْ جَبَلِ التَّنعِيمِ عِنْدَ صَلاةِ الفَجْرِ لِيَقْتُلُوهُمْ، فَأَخَذَهُم ﷺ سِلْماً فَأَعْتَقهُم، فَأَنزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [الفتح: ٢٤]، وعن جبير بن مطعم أن النبيّ ﷺ قَالَ: في أسارى بدر: «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ»[٢].

وفي الصَّحِيحين[٣] أن رسول الله ﷺ، مَنَّ عَلى ثُمامَة بن أَثَال مِن بَني حَنفيةَ وَهُوَ سيّد أَهلِ اليَمامة.

أما الدليل عَلى جواز الفدية ؛ فحديث ابن عباس رضي الله عنهما :

«أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ جَعَلَ فِدَاءَ أَهلِ الجَاهِلِيَّة يَومَ بَدْرٍ أَرْبَعَمائةٍ»[٤] رواه أبو داوود وسكت عليه هو والمنذري والحافظ في التلخيص ورجاله ثقات.

وأما الدليل عَلى مبادلة الأسرى:

فقد جاء في صحيح مسلم[٥] أن رسول الله ﷺ فادى بالرجل الّذي من بني عقيل – صاحب العضباء – برجلين من المُسلِمين، (العضباء اسم ناقة الأعرابي الّتي أصبحت لرسول الله ﷺ).

ولقد ورد عن أبي حنيفة روايتان أظهرهما عدم الجواز، وأما الصاحبان فقد أجازا مبادلة الأسرى، المبسوط (١٠/ ١٢٩).

ولقد قتل رسول الله ﷺ رِجَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَهُمْ بَيْنَ السِّتِّمِائَةِ وَالسَّبْعِمِائَةِ، وَقَتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ – وهذا دليل عَلى جواز قتل الأسرى.

الرَّأي الراجح في الأسرى:

لا شَّكَّ أن الرَّأي الراجح في الأسرى هو رأي الجمهور: وهو أن الإِمَام مخير في الأسرى بما فيه مصلحة المُسلِمين بين القتل والاسترقاق والمن والفداء بمسلم أو مال.

---

(١) رواه مسلم (١٨٠٨).

(٢) رواه البخاري (٣١٣٩، ٤٠٢٤).

(٣) في صحيح البخاري (٤٦٢، ٤٦٩، ٢٤٢٢، ٢٤٢٣) وصحيح مسلم (١٧٦٤).

(٤) رواه أبو داود (٢٦٩١) وقال الألباني : صحيح دون «الأربعمائة».

(٥) رواه مسلم (١٦٤١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه .

وهذا الرَّأي الّذي تدعمه الأدِلَّة، فالإمام يختار الأصلح للمسلمين بالنسبة للأسرى.

جاء في الشرح الكبير مع المغني (١٠/ ٤٠٧): (فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ قُوَّةٌ وَنِكَايَةٌ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَبَقَاؤُهُ ضَرَرٌ عَلَيْهِمْ، فَقَتْلُهُ أَصْلَحُ، وَمِنْهُمْ الضَّعِيفُ الَّذِي لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ، فَفِدَاؤُهُ أَصْلَحُ، وَمِنْهُمْ حَسَنُ الرَّأْيِ فِي الْمُسْلِمِينَ، يُرْجَى إسْلَامُهُ بِالْمَنِّ عَلَيْهِ، أَوْ مَعُونَتُهُ لِلْمُسْلِمِينَ بِتَخْلِيصِ أَسْرَاهُمْ، وَالدَّفْعِ عَنْهُمْ، فَالْمَنُّ عَلَيْهِ أَصْلَحُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْتَفَعُ بِخِدْمَتِهِ، وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، فَاسْتِرْقَاقُهُ أَصْلَحُ، كَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، وَالْإِمَامُ أَعْلَمُ بِالْمَصْلَحَةِ ففوض ذلك إليه، إذا أثبت ذلك فَإِنَّ هَذَا تَخْيِيرُ مَصْلَحَةٍ وَاجْتِهَادٍ، لَا تَخْيِيرُ شَهْوَةٍ، فمَتى رَأَى المصلَحة في خصلَة لمْ يجزْ اختيارُ غيرها، لأَنَّه يَتَصرف لهم عَلى سبيلِ النَّظرِ لهمْ، فَلَمْ يجز لَهُ تركُ ما فيه الحظّ كولي اليَتيم، ومَتَى حَصَلَ عندَه تردُّدٌ في هذه الخصال فالقتلُ أَوْلَى.

قَالَ مُجَاهِدٌ فِي أَمِيرَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا يَقْتُلُ الْأَسْرَى: وَهُوَ أَفْضَلُ. وَكَذَلِكَ قَالَ مَالِكٌ.

وَقَالَ إسْحَاقُ: الْإِثْخَانُ أَحَبُّ إلَيَّ، إلَّا أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا يَطْعَمُ بِهِ فِي الْكَثِيرِ.)[١].

حكم الأسير الشُّيُوعِيّ الأفغاني:

كثير من الشُّيُوعِيّن إذا أسرهم الُمجَاهدون وشعروا أنهم سيقتلون ينطقون بالشهادتين، ومع ذلك فإن الُمجَاهدين يقتلونهم واعترض بعض النّاس عَلى هذا الفعل ظانين أن كلمة الشَّهَادة تعصم دمه، وقد استشهد هَؤُلَاءِ النّاس بحديث أُسَامَة: «كيفَ قَتَلْتَهُ بعدَ أَنْ قَالَ لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله»؟[٢].

والحق أن الحال في أفغانستان يختلف، إذ أن الُمجَاهدين من عادتهم إذا أسروا أسرى جاؤوا بهم إلى مجلس القضاء في الحزب، فيحققون معهم وهم يعرفون بعضهم البعض، فعندما يتأكدون أنه شيوعي ويتعرف عليه أهل قريته، فإنهم يقتلونه سواء نطق بالشهادتين أو صلى أو أقام شعائر الإِسْلَام.

نعم إن الحكم الشَّرعيّ في الكافر الأسير إذ أسلم لا يجوز قتله ويصبح معصوم الدَّم ويصير رقيقا في الحال، له حكم الأطفال فلا يجوز قتله ويصبح عبدا، وهذا عندما تكون كلمة لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله هيَ الفارق بين الكفر والإِسْلَام.

---

(١) انظر المغني لابن قدامة (٩/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٦٩، ٦٨٧٢) ومسلم (٩٦).

أما الحال في أفغانستان فهو مختلف تماما، إذ أن (بابراك كارمل) و(نجيب) زعيم الحزب الشُّيُوعِيّ الأفغاني الّذي يمحو الإِسْلَام من أفغانستان يقول أنا مسلم ويصلّي وتظهر صورته بالتلفاز.

ومثل هَؤُلَاءِ يقتلون ولا يقبل ادعاؤهم، وإليك الأدِلَّة عَلى صحّة هذا الحكم:

١- أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ يوم الفتح في مجموعة: «اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُعَلَّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ»[١]، منهم المقيسُ بن صُبَابَة وابن خَطَلٍ والجارِيَتَيْن اللتين كانتا تغنيان بهجائه، مع أن نساء أهل الحَرب لا يقتلن كما لا تُقتلُ الذّرّيّة.

٢- روى الإمَام مسلم[٢]: (عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِى عُقَيْلٍ، فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ، رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» فَقَالَ: بِمَ أَخَذْتَنِي، وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟ فَقَالَ: «إِعْظَامًا لِذَلِكَ أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، قَالَ: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ»).

قَالَ الشوكاني عن هذا الحديث: أن للإمام أن يمتنع من قبول إسلام من عرف منه أنه لم يرغب في الإِسْلَام وإنما دعته إلى ذلك الضَّرورة، ولاسيما إذا كانَ في عدم القبول مصلحة للمسلمين.

٣- الشُّيُوعِيّ الأفغاني إما زنديق أو مرتد وحكم الزنديق أنه يقتل دون استتابة، هذا رأي جمهور الفقهاء وبه قَالَ مالك وأحمد والليث وغيرهم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: لا تقبل توبة من كرر ردته كالزنديق لقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ٩٠﴾ [آل عمران] وفي الدّراية (المذهب الحنفي) روايتان في الزنديق: (لاتقبل) كقول مالك وأحمد، وفي رواية تقبل كقول الشّافعي.

٤- أما المرتدّ الّذي تغلظت ردت هو نصب نفسه لحرب الإِسْلَام والمُسلِمين فيجوز قتله دون استتابة.

(١) رواه النسائي (٤٠٦٧) وأبو داود (٢٦٨٣، ٤٣٥٩) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (١٦٤١).

قَالَ ابن رشد في بداية المجتهد (٢/ ٣٤٤): (وَأَمَّا إِذَا حَارَبَ الْمُرْتَدُّ، ثُمَّ ظُهِرَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ بِالْحِرَابَةِ، وَلَا يُسْتَتَابُ، كَانَتْ حِرَابَتُهُ بِدَارِ الْإِسْلَامِ أَوْ بَعْدَ أَنْ لَحِقَ بِدَارِ الْحَرْبِ، إِلَّا أَنْ يُسْلِمَ. والإِسْلَام يسقط عنهُ حدَّ الحِرَابَة، ولكنَّ حُكْمُهُ فِيمَا جَنَى حُكْمُ الْمُرْتَدِّ إِذَا جَنَى فِي رِدَّتِهِ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ أَسْلَمَ)[1]... أي يقتل قصاصاً إذا قتل.

يقول ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٤٦٤)[2]: (يجوز قتل المرتدّ إذا تغلظت ردته من غير استتابة، فَإِنَّ عَبْدَ الله بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ الله ﷺ ثُمَّ ارْتَدَّ وَلَحِقَ بِمَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ أَتَى بِهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَسُولَ الله ﷺ لِيُبَايِعَهُ فَأَمْسَكَ عَنْهُ طَوِيلًا، ثُمَّ بَايَعَهُ وَقَالَ: «إِنَّمَا أَمْسَكْتُ عَنْهُ لِيَقُومَ إِلَيْهِ بَعْضُكُمْ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: هَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيَّ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ»[3]).

٥- كلّ من جاهر بسب الله، أم بسب رسول الله ﷺ، أو بسب دين الإِسْلَام فإنه يقتل دون استتابة سواء كانَ مسلما أو ذميا، ولذلك لما قتل الأعمى أم ولده لأجل سب رسول الله ﷺ، أهدر دمها.

ولمن أراد الاستزادة في هذا الموضوع فعليه أن يراجع كتاب (الصارم المسلول عَلى شاتم الرَّسُول) لشيخ الإِسْلَام ابن تَيمِيّة، وهذا الحكم إجماع الخُلَفَاء الرّاشدين ﷺ، ومقتضى النّصوص وعلى هذا أكثر من أربعين حديثاً.

وهذا الشُّيُوعِيّ معروف لدى أهل بلده بسب الإِسْلَام ومعاداة الرَّسُول ﷺ، وقد بقي يحارب الإِسْلَام إلى آخر لحظة.

٦- ولنفرض أنهم كانوا مُسلِمِين أصلا وسيقوا إلى المَعْرَكة قصرا وقتلوا المُسلِمِين، فإنهم يقتلون قصاصا، قَالَ عمر: «**لو اشتركَ أهلُ صَنعاءَ في قتلِ رجلٍ لقتلتُهُم بِهِ جميعاً**»[4].

ملاحظات حول الأسرى:

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٤/ ٢٤٢).

(٢) في نسخة التحقيق: زاد المعاد (٣/ ٤٠٧).

(٣) رواه أبو داود (٤٣٥٩) والنسائي (٤٠٦٧) وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري (٦٨٩٦) باب: إذا أصاب قوم من رجل، هل يعاقِبُ أو يَقتصُّ منهُمْ كلّهم؟.

١- من أسر أسيرا فلا يجوز له التصرف به، وإنما أمره إلى الأمير، والأمير في الجِهَاد الأفغاني هو أمير التَّنظِيم أو الحزب، ولا يجوز لمن أسر أسيرا أن يقتله إلا إذا امتنع من السّير معه، أو كانَ جريحا لا يستطيع السّير.

٢- جرحى الحَرب من الكفّار يجوز قتلهم وإنهاؤهم.

٣- ....

٤- المرأة الشُّيُوعِيّة تقتل لأنها مرتدة، ففي الصَّحِيح: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(١)، وكذلك تقتل لأنها تشارك في الحَرب وفي الرَّأي وفي تهييج الكفّار ضدّ المُسلِمِين.

٥- لا يجوز تشويه الأسير، ولا قطع أذنيه ولا قلع عينيه، لأن رسول الله ﷺ نهى عن المثلة، ولا يجوز قطع رأسه ولا قدميه].أهـ(٢)

- حكم العين (الجاسوس):

[يختلف حكم الجاسوس باختلاف دينه وحاله، فهناك الجاسوس الكافر وغير الذمّي والمعاهد وغير المسلم...

والجاسوس: هو الّذي يطلع عَلَى أسرار النّاس وعيوبهم وينقلها.

والمقصود بالجاسوس هنا: هو الّذي ينقل أسرار المُسلِمِين إلى أعدائهم.

أما الجاسوس الكافر فيقتل عند جمهور الفقهاء.

والدليل في هذا الحديث الّذي في الصَّحِيحين عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قَالَ: أتى النبيّ ﷺ عين من المشركين وهو في سفر، فجلس عند أصحابه يتحدث ثمّ انفتل، فقال النبيّ ﷺ:

(١) روه البخاري: (٣٠١٧، ٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

(٢) الذخائر العظام (ج١/ ٢٩٩-٣٠٣).

«اطلبُوهُ، واقْتُلُوهُ، فَقَتَلَهُ ابنُ الأكوع فَنَفَّلَهُ سَلَبَهُ»(١)، وفي رواية مسلم(٢)قال ﷺ: «مَنْ قَتَلَ الرَّجلَ؟ قَالُوا: ابنُ الأكوَع، قَالَ: لَهُ سَلَبُهُ أَجمَع».

قَالَ النووي: (فيه قتل الجاسوس الحَربي الكافر وهو اتفاق.. وأما المعاهد الذمي، فقال مالك والأوزاعي: ينتقض عهده بذلك، وعند الشّافعي خلاف في ذلك.. أما لو شرط عليه ذلك في عهده في ينقض إتفاقا.

أما الذمي: فإن تجسس عَلى المُسلِمِين فقد اختلف الفقهاء في إعتبار تجسسه نقضا لعهده، فيقتل أو يكون فيئا للمسلمين أم لا.

فقال الحنفية: لا يكون هذا نقضا إلا أن ينعى عليه في عقد الذمة أو عهد الأمان).

جاء في شرح سير الكبير (٥/ ٢٠٤٠): (قَالَ محمّد ابن الحسن: كَذَلِكَ لَوْ فَعَلَ هَذَا ذِمِّيٌّ فَإِنَّهُ يَوْجَعُ عُقُوبَةً وَيُسْتَوْدَعُ السَّجْنَ، وَلَا يَكُونُ هَذَا نَقْضًا مِنْهُ لِلْعَهْدِ، كَذَلِكَ لَوْ فَعَلَهُ مُسْتَأْمَنٌ فِينَا إلَّا أَنَّهُ يُوجَعُ عُقُوبَةً فِي جَمِيعِ ذَلِكَ).

فإن كانَ حيث طلب الأمان قَالَ له المُسلِمُون: قد أمناك إن لم تكن عينا فتجاهل المسألة، فلا بأس بقتله، وإن رأى الإِمَام سلبه حتَّى يعتبر به غيره فلا بأس بذلك، وإن رأى أن يجعل فيئا فلا بأس به أيضا كغيره من الأسرى... إلا أن الأولى أن يقتله هنا ليعتبر غيره، فإن كانَ مكان الرجل امرأة فلا بأس بقتلها أيضا إلا أنه يكره.

الشَّيْخ العاقل الّذي لا قتال عنده في منزلة المرأة أيضا فلا يجعل فيئا ولا يقتل.

أما الجاسوس الّذي ظاهره الإِسْلَام:

فقد إختلفت أراء الفقهاء فيه.

قَالَ الحنفية والشّافعية والحنبلية: لا يقتل بل يعزر، وقال مالك وابن القاسم وأشهب من المالكية: يجتهد في ذلك الإِمَام، وقال ابن الماجشون من المالكية: إن كانت تلك عادته قتل لأنه جاسوس، وقد قَالَ مالك

(١) رواه البخاري (٣٠٥١).

(٢) صحيح مسلم (١٧٥٤).

يقتل الجاسوس، وهو صحيح لإحرازه بالمُسلِمين وسعيه بالفساد في الأرض، (تفسير القرطبي (١٨/ ٥٢)، وقال الأوزاعي: عاقبه الإمَام عقوبة منكلة وغربه إلى الآفاق، (شرح السنة للبغوي (١٠/ ٧١)، جاء في السّير الكبير: (قَالَ محمّد بن الحسن: إذا وجد المُسلِمُون رجلا ممن يدعي الإِسْلَام عينا للمشركين عَلَى المُسلِمين يكتب إليهم بعوراتهم، فأقر بذلك طوعا فإنه لا يقتل ولكن الإمَام يوجعه عقوبة، والأصل في هذا البَاب حديث حاطب بن أبي بلتعة البدري الّذي كتب إلى كفار مكّة يخبرهم بأن الرَّسُول ﷺ يريد غزوهم، فقال رسول الله ﷺ: «ما هذا يا حاطب؟» فقال: لا تعجل علي، أنّي امرؤ ملصق في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان معك من المُهَاجِرين من لهم قرابات يحمون بها أقرباءهم، ولم يكن لي بمكّة قرابة، فأحببت إن فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يدا، والله ما فعلته شكا في ديني ولا رضي بالكفر بعد الإِسْلَام، فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد صدق» فقال عمر: يا رسول الله دعني أجز عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك يا عمر لعلّ الله اطلع عَلَى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة:١]

جاء في شرح السنة للبغوي (١٠/ ٧٤) قَالَ الإمَام في حديث حاطب دليل عَلَى حكم التأول استباحة المحظور خلاف حكم المعتمد لاستحلاله من غير تأويل، وأن من تعاطى شيئا من المحظور ثمّ ادعى له تأويلا محتملا لا يقتل منه، وأن من تجسس للكفار يتجافى عنه، وقد استدل الجمهور بآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ وقد سمى الله حاطب بن أبي بلتعة مؤمنا...والمؤمن لا يجوز قتله ولا سفك دمه.

وقد مال الإِمَام ابن القيم إلى رأي الإِمَام مالك، ونحن نرى رأي الإِمَام مالك رحمه الله، وقال الإِمَام ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ١١٤): ثبت عنه أنه قتل جاسوسا، واستأذن عمر في قتل حاطب فقال: (وما يدريك يا عمر لعلّ الله اطلع عَلَى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)، فاستدل به أيضا من يرى قتله كالإمام مالك، وبعض أصحاب أحمد وغيرهم – رحمهم الله – قالوا لأنه علل بعلة مانعة منه

قتله، لم يعلل بأخص من أهل بدر، لأن الحكم إذا علل بالأعم كانَ الأخص عديم التّأثير، وهذا أقوى والله أعلم)].أهـ.(١)

{ **أقول والله أعلم بالصواب:**

يفضل للمُجَاهدين اليَوْم الأخذ برأي الإِمَام مالك، والإمام ابن القيم، وقتل الجواسيس الّذين ظاهرهم الإِسْلَام، بعد أن أصبحت معظم المواجهات مع أعدائنا تحسم بالتجسس والاختراقات الأمنيّة، وقد أصاب المُجَاهدين والتَّنظِيمات السرية من هذا بلاء كبير، ويكفي أن نعلم أن في مناطق الفلسطينيين آلاف الجواسيس العاملين لصالح اليَهُوْد من عشرات السنين، بل إن اليَهُوْد يعطون من أفنى عمره في ذلك راتبا تقاعديا، ويبنون لهم قرى خاصّة يبلغ تعداد سكان بعضها آلاف الأسر !! ويكفي أن نعلم أن الجِهَاد في سوريا، وفي الجَزَائِر وغيرها قد قضي عليه بسبب برناج تجسسي استخباراتي، فأميل إلى رأي الشَّيْخ عبدالله عزام الّذي اختار مذهب الإِمَام مالك وترجيح ابن القيم في أن ذلك للإمام، وأنصح بقتل الجواسيس الّذين يدعون الإِسْلَام، إلا في حالات نادرة يرى فيها أمراء الجِهَاد قرائن خاصّة تقترب من مثال حاطب في رجل ذي بلاء في الإِسْلَام والجِهَاد زلت به قدمه زلة محدودة لم يترتب عليها هلاك مسلم، إن رأى أن يعفو عنه كحالة استثنائية تقدر بقدرها، وإلا فالأصل اليَوْم إعدام الجواسيس، لعنهم الله وأخزاهم } .

- **حرمة بيع العدوّ ما يقويه علىَ المُسلِمِين:**

[أما بالنسبة للمعاملات التجاريَّة بين المُسلِمِين والكفار أثناء الحَرب، فعندما وضع الفقهاء قواعدهم التجاريَّة، إنما بنوها عَلى تصوُّرهم فيما يكون فيه خير للمسلمين وتضييق عَلى الكافرين.

١- فالإمام مالك مثلا يجيز الاستيراد من بلاد الكفّار، ويرى السماح للتجار الحَربيين بالدخول إلى بلاد الإِسْلَام يحملون معهم تجاراتهم، ولأن في هذا تقوية للمسلمين، بينما يمنع الإِمَام مالك التّصدّير إلى بلاد الكفّار لأن في هذا تقوية لهم.

---

(١) (الذخائر / ج١-٣٠٤).

بينما الشراء من مصنوعات الكفّار في الواقع الدّولي الآن، إنما يعتبر تقوية للكفار بإدخال العملة الصعبة إلى الدّول المصدرة. ويعتبر البحث عن الأسواق التجاريَّة الّتي تصرف فيها المنتجات للدول الكبرى أحد الأسباب الرَّئيسيَّة الّتي شنت من أجلها الحَرب الحديثة وقام من أجلها الإستعمار.

وعلى كلّ حال فالقَاعِدَة في الميدان التجاري عند الفقهاء: (**يمنع تصدير أو استيراد أي شيء فيه تقوية للكفار**)، (**يسمح بتصدير أو استيراد كلّ شيء فيه تقوية للمسلمين**).

فتصدير السّلاح مثلا حرام إلى بلاد الكفّار، وكذلك البترول الّذي تدار به مصانع السّلاح، وكل آلات الحَرب، حتَّى منع الفقهاء تصدير الديباج والحرير لأنه تصنع منه آليات الحَرب، ويمنع تصدير الحديد الّذي يصنع منه السّلاح، فقد جاء في الفتاوى الهندية: (ولا يباع كلّ ما هو أصل في الحَرب)، وفي العصر الحديث يمنع بيع النحاس والكوبالت والراديوم واليورانيوم (إذ منهما تصنع القنابل الذرية). وقد قَالَ الإِمَام مالك في المدونة: (أما كلّ ما هو قوة عَلى أهل الإِسْلَام مما يتقوون به في حُرُوبهم من كراع وسلاح أو – خرثي- أو متاع أو شيء مما يعلم أنه قوة في الحَرب من نحاس أو غيره فإنهم لا يباعون ذلك)].أهـ.[1]

- تترس الكفّار في الحَرب بغير المقاتلين منهم أو بالمُسلِمين:

أولا: تترس الكفّار بنسائهم وأطفالهم:

التترس: هو التوقي والاحتماء بالترس، والترس صفحة الفولاذ تحمل للوقاية من السّيف فالترس: ما يتوقى به في الحَرب.

والتترس يعني: اتخاذ المُسلِمين كترس (واقي) للكفار (ما يسمونه اليَوْم: دروعا بشرية)، فقد يلجأ الكفّار أحيانا في المَعْرَكة لوضع أسير مسلم أو مجموعة من أطفال المُسلِمين معهم في داخل الحصن أو القلعة حتَّى يمنعوا المُجَاهدين من إطلاق النار عليهم، وذلك لأَنَّهم يعلمون أن المُجَاهدين يخشون من

(١) (الذخائر ج١/ ١٦٤).

قتل إخوانهم الأسرى في نفس الحصن مع الكافرين، ولأن دماء المُسلِمين محرمة «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ»[(١)] حديث صحيح.

وقد يلجأ الكفّار أحيانا إلى وضع أطفالهم معهم (أطفال الكفّار) في الحصن أو المُعَسْكَرات ليكونوا ذريعة لمنع المُسلِمين في إطلاق القذائف عليهم، لأن الكفّار يعلمون «أنَّ الرَّسُول ﷺ نَهى عَنْ قَتلِ النِّسَاءِ والصِّبْيَان» متفق عليه[(٢)].

وهذه مشكلة كبيرة تواجه المُجَاهدين في الحَرب الحديثة لأن رحى الحَرب يدور معظمه عَلى القذائف الثقيلة كالهاون والصواريخ والرشاشات الثقيلة وقد يتورع بعض المُجَاهدين لقلة علمه أن يطلق القذائف عَلى حصن فيه أطفال المشركين أو أسير مسلم، وتزداد القضية تعقيدا عندما نعلم أنه ما من مركز للشيوعيين إلا فيه جنود من الشعب الأفغاني قد أخذوا كرها (التَّجنيد الإجباري)، ويراهم الإخوة في المركز الشُّيُوعِيّ يصلون ويسمعون أذانهم وهَؤُلَاءِ أحيانا يكون عددهم كثير، وليس لهم حول ولا قوة لأنّهم أخذوا قسرا ووضعوا لحراسة المركز الشُّيُوعِيّة مع أن هَؤُلَاءِ المجندين إجباريا يكرهون الشُّيُوعِيّة فما الحكم في مثل هذه الحالات؟!

حالات اختلاط الشُّيُوعِيّين بأطفالهم:

أولاً: حرم الإِسْلَام قتل الأولاد إذا انفردوا أو أمكن تمييزهم وذلك للحديث «نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَان»[(١)] أما النِّسَاء فلا يقتلن إلا إذا قاتلن أو ارتددن بعد الإِسْلَام كالشُّيُوعِيّات في أفغانستان وهذا رأي الأئمة الثّلاثة وخالف الحنفية في قتل المرتدّة وقالوا تسجن ولا تقتل.

ثانياً: إذا أختلط أولاد (أطفال) المشركين مع المقاتلين منهم: هنا اختلف العُلَماء في إطلاق القذائف عَلى الحصن الّذي هم فيه عَلى أقوال:

١- قَالَ مالك الأوزاعي: لا يجوز قتل النِّسَاء والصبيان بحال حتَّى لو تترس أهل الحَرب بالنِّسَاء أو تحصنوا بحصن أو سفينة وجعلوا معهم النِّسَاء والصبيان لم يجز رميهم ولا تحريقهم.[(٣)]

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤)

(٢) رواه البخاري (٣٠١٤، ٣٠١٥) ومسلم (١٧٤٤).

(٣) أوجز المسالك (٨/ ٢٢٣).

٢- قَالَ جمهور الشّافعية والحنفية والحنبلية يجوز رميهم ولكن لا نقصد قتل الصبيان فإن قتل الصبيان والنِّسَاء فلا بأس به ولا حرج وقد استدل الجمهور بحديث الصعب بن جثامة: مَرَّ النَّبيّ ﷺ بِالأَبْوَاء أَوْ بِوَدَّان فَسُئِلَ عَنْ أَهْلِ الدَّارِ يُبَيَّتُونَ مِنَ المُشْرِكِين فَيُصِيبُونَ مِن نِسَائِهِم وذَرَارِيِّهِم؟، فَقَالَ: «هُمْ مِنهُم»[١].

ومعنى البيات الهجوم ليلا بحيث لا يميز بين الصَّبيّ والرّجل، ومعنى «هُم منهُم»: أي حكمهم كحكمهم، قَالَ النووي في شرح مسلم ١٢/ ٤٩: (والمراد إذا لم يتعمد من غير ضرورة، وأما الحديث السابق في النهي عن قتل النِّسَاء والصبيان فالمراد به إذا تميزوا، وهذا الحديث ذكرناه في جواز بياتهم وقتل النِّسَاء والصبيان والبيات هو مذهبنا ومذهب أبي حنيفة والجمهور) وعلى مثل هذا نصّ النّوويّ في المنهاج[٢]..

ومما احتج به المالكية قولهم حديث الصعب بن جثامة منسوخ بدليل قول الزهري بعد أن روى الحديث ثمّ نهى الرَّسُول ﷺ عن قتل النِّسَاء والصبيان، وكذلك يحتجوا المالكية بالحديث الّذي رواه مالك في الموطأ[٣] عن عبد الرَّحْمن بن كعب أنه قَالَ: «نَهَى رَسُولُ الله ﷺ الّذينَ قَتَلُوا ابنَ أَبي الحقَيْقِ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ، قَالَ فَكَانَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقُولُ بَرَّحَتْ بِنَا امرَأَةُ ابنِ أَبِي الحقَيْقِ فَأَرْفَعُ عَلَيْهَا السَّيْفَ ثُمّ أَذْكُرُ نَهْيَ رَسُولِ الله ﷺ فَأَكُفُّ ولَوْلَا ذَلكَ اسْتَرَحْنَا منها» (أوجز المسالك ٨/ ٢٢٠).

فلو كانَ هنالك أية رخصة في قتل النِّسَاء لقتلها وكما قَالَ الصحابي (ولولا ذلك لاسترحنا) مع أنها اشتركت في الدّفاع ولو بالصياح فكانت حياة الصّحابة في خطر بسبب صياحها لأنّهم في داخل حصن لابن أبي الحقيق اليَهُوْدي.

والأرجح هو رأي الجمهور لأن الجمهور جمعوا بين الحديثين: النهي عن قتل النِّسَاء والصبيان، وحديث الصعب بن جثامة «هُمْ مِنهُم» فقالوا حديث صعب بن جثامة إذا لم يتميزوا، وحديث النهي عند التمييز، ولو أخذنا برأي الإِمَام مالك لانسد باب الجِهَاد في هذه الأيّام لأن معظم القِتَال بالرمي من

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٢٣٧٠، ٣٠١٢، ٣٠١٣) ومسلم (١٧٤٥).

(٢) انظر: (زاد المحتاج بشرح المنهاج ٤/ ٣٠٣)

(٣) موطأ مالك (١٢٩٠).

بعيد بالقذائف والرشاشات وغيرها، ويشهد لرأي الجمهور كذلك حديث مكحول «أن رسول الله ﷺ نصب المنجنيق عَلى أهلِ الطائف»[1]، رواه أبو داوود [في المراسيل]، والرَّسُول ﷺ وقد قذف الحجارة بالمنجنيق يعلم أن الحجارة قد تصيب الأطفال والنِّسَاء وحصار الطائف كانَ في أواخر حياة الرَّسُول ﷺ، أواخر سنة ٨ هجرية.

وبناء عَلى ما تقدم: **يجوز رمي الكفّار مع أطفالهم ونسائهم إذا لم يتميزوا، ولا يجوز قتل الأطفال والنِّسَاء إذا إنفروا، فإذا اشتركت النِّسَاء في القِتَال ولو رأيا ثمّ انفردن يقتلن.**

ثانياً: تترس الكفّار بالمُسلِمين:

هنالك بعض المراكز الشُّيُوعِيّة فيها جنود مكرهون يصلون ويؤذنون في كلّ وقت، وقد رأى الإخوة في جاجي في القواعد الشُّيُوعِيّة القريبة عليهم، أناسا يصلون ويؤذنون وتحرجوا من قتالهم، فسألوني عن الحكم الشَّرعيّ في هذا فأقول وبالله التوفيق: لو امتنعنا عن الهجوم عَلى هذه المراكز لانسد باب الجِهَاد ولانتشر الكفر وعمت الفتنة واستراحت الشُّيُوعِيّة ورسخت أقدامها في أفغانستان، ولذا:

يجب قتال هذه المراكز ولو قتل هَؤُلَاءِ المُسلِمُون المكرهون للأسباب التّالية:

١ – دفع الضرر العام بارتكاب الضرر الخاص وهذه قاعدة شرعيّة منفق عليها، فقتل هَؤُلَاءِ الجنود المُسلِمين ضرر خاص وضياع البلاد ضرر عام يدفع بالضرر الخاص.

٢ – إن رسول الله ﷺ قَالَ: «يَغزُو هَذَا البَيت (الكَعبة) جَيشٌ مِنَ النَّاسِ، بَينما هُمْ بِبَيْدَاء مِنَ الأَرضِ إذْ خُسِفَ بِهِم، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله إنَّ فِيهِم المكرَه؟ فَقالَ: يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِم» رواه الشَّيْخان[2].

---

(١) رواه أبو داود في المراسيل (٣٣٥-٣٣٦)، ورواه الترمذي مرسلا (٢٧٦٢) وقال الألباني : موضوع – الضعيفة (٢٨٨).

(٢) رواه البخاري: (٢١١٨)، ومسلم : (٢٨٨٢، ٢٨٨٤).

يقول ابن تَيمِيّة[١]: (فَالله تَعالَى أَهْلَكَ الجيشَ الّذي أَرَادَ أَنْ يَنْتَهِكَ حُرمَاتِه – المكرَه فِيهِم وَغَير المكرَه – مَعَ قُدرَتِه عَلى التَّمييز بَيْنَهُمْ مَعَ أَنَّه يَبْعَثُهُمْ عَلى نِيَّاتِهِم، فَكَيفَ يَجبُ عَلى المُؤمِنِينَ المُجَاهدينَ أَنْ يُميِّزُوا بَيْنَ المكرَه وَغَيره وَهُم لَا يَعلَمُونَ ذَلِكَ؟).

٣- إن ظاهر هَؤُلَاءِ ضدّ المُسلِمِين: فهم يقومون بحماية قواعد الشُّيُوعِيّين الّذين يفسدون البلاد ويهلكون العِبَاد وهذه القواعد لقطع الطرق عَلى المُجَاهدين المارين فقد يجرح بعضهم وقد يقتل بعضهم، فوقوفهم في صفِّ المشركين مع وجودِ السّلاح معهم يُبيحُ دَمهم، يقول محمّد بن حسن[٢]: (وَكَذَلِكَ يُبَاحُ قِتَال المسْلم في صَفِّ المشْرِكِين إنْ كَانَ عَلَيْهِ السِّلَاحُ، وَهُوَ فِي صَفِّ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُقَاتِلْ أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ مُسْتَعِدًّا لِلْقِتَالِ فِي صَفِّ الْمُشْرِكِينَ فَهُوَ مُبَاحُ الدَّمِ وَإِنْ كَانَ يُسْتَحَبُّ التَّبَيُّنُ فِي أَمْرِهِ عِنْدَ التَّمَكُّنِ مِنْ ذَلِكَ).

والظَّاهِر حجة للمُجَاهدين بجواز قتال المُسلِمِين الّذين في صف الكفّار فقد روي: **أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَمَّا أَسَرَهُ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ بَدْرٍ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي كُنْت مُكْرَهًا، فَقَالَ: «أَمَّا ظَاهِرُك فَكَانَ عَلَيْنَا وَأَمَّا سَرِيرَتُك فَإِلَى الله »**[٣].

ويعقب ابن تَيمِيّة[٤] عَلى هذا الحديث بقوله: لو كانَ فيهم قوم صالحون من خيار النّاس ولم يمكن قتالهم إلا بقتل هَؤُلَاءِ لقتلوا أيضا.

وعندما تحرج المُسلِمُون من قتال التّتار لأنّ بعضهم يُصلون ويصومون، قَالَ ابن تَيمِيّة: (**إِذَا رَأَيْتُمُونِي بَينَهُم وَالمصحَف عَلى رَأسِي فَاقْتُلُونِي**).

---

(١) في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٧).

(٢) في السّير الكبير فقرة (٢٧٩٩/ ١٤٤٦).

(٣) لَمْ أَجِدِ الْحَدِيثَ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَلَكِنْ أَوْرَدَ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ (٣٣١٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما جاءَ فِيهِ أَنَّ أَبَا الْيُسْرِ بْنَ عَمْرٍو أَسَرَ الْعَبَّاسَ. .. وَفِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا عَبَّاسُ افْدِ نَفْسَكَ وَابْنَ أَخِيكَ»، وَقَالَ (الْعَبَّاسُ): إِنِّي كُنْتُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا اسْتَكْرَهُونِي، قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ، إِنْ يَكُ مَا تَدَّعِي حَقًّا فَاللهُ يَجْزِيكَ بِذَلِكَ، وَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا، . . . الْحَدِيثَ»، قَالَ أَحْمَد شَاكِر رحمه الله: إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وقال الأرنؤوط : حديث حسن وهذا إسناد ضعيف.

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٧).

٤ – إن عيش هَؤُلَاءِ الجنود المُسلِمِين بين الكافرين الّذين يحاربون الله ورسوله ويقطعون الطّريق عَلى المُجَاهدين بل يقتلون المُجَاهدين فلا أقل من أن ينطبق عليهم جزاء قاطع الطّريق: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة]

فهَؤُلَاءِ المُسلِمُون يعيشون مع الطَّائِفَة الممتنعة الّتي تقتل المُسلِمِين وتقطع طريقهم فحكمهم هو نفس حكم المشركين عند عدم القدرة عَلى التمييز.

ولقد قَالَ عَلى ﷺ حين قاتل أهل البصرة بجيشه "لا تبدؤوهم بالقتال حتَّى يبدؤوكم" ومقصوده من هذا الاستدلال (أن ظهور القِتَال من بعضهم كظهوره من جماعتهم في حكم إباحة قتالهم)[١]، مع أن أهل البصرة كلهم مسلمون.

٥ – أجمع الفقهاء عَلى أن جيش الكفّار إذا تترسوا بمن عندهم من أسرى المُسلِمِين وخيف عَلى المُسلِمِين الضرر إذا لم يقاتلوا فإنهم يقاتلون وإن أفضى ذلك إلى قتل المُسلِمِين الّذين تترسوا بهم.

ووجود هذه المركز ضرر متحقق متعين لا شبهة فيه ولا مرية، فوجودها من أجل قطع دابر الجِهَاد وإبقاء الكفّار في البلاد.

أ- جاء في حاشية الدسوقي المالكي (٢/ ١٧٨): (وإنْ تَتَرَّسُوا بمسلمٍ قوتِلُوا وَلم يَقصُدوا التّرس بالرَّمي إنْ خِفْنَا عَلى أَنفسنَا لأنَّ دمَ المسلمِ يُبَاحُ بالخوفِ عَلى النّفسِ وإنْ لمْ يخف عَلى أكثرِ المُسلِمِينَ فإنْ خِيفَ سَقَطَ حُرمَةُ التّرسِ وجَازَ رَميُه).

ب- يقول النووي في المنهاج: (ويجوزُ حصارُ الكفّارِ في البلادِ والقلاعِ وإرسالِ الماءِ عليهِم ورَميهم بنارٍ ومنجنيق وتبييتهم في غفلة فإن كانَ منهُم مسلمٌ أسيرٌ أوْ تاجرٌ ولَوْ التَحمُوا حَرباً فَتَتَرَّسُوا بِنِسَاءٍ وصِبيان جازَ رَميُهُم وإنْ دَفعُوا بِهِم عَنْ نَفْسِهِم وَلَمْ تَدْعُ ضَرُورَةٌ إلى رَميهِم فَالأَظهَرُ تَركهم، وإنْ تَتَرَّسُوا بالمُسلِمِين فَإن لم تَدْعُ ضَرُورةٌ إلى رَميهِم تَركنَاهُم وإلَّا جازَ رَميهم عَلى الأَصحّ)[٢].

---

(١) شرح السّير الكبير لمحمّد بن الحسن الحنفي (٢٧٩٨/ ١٤٤٦)

(٢) زاد المحتاج: (٤/ ٣٠٢).

ج- جاء في شرح السّير الكبير[١]:ولو حرقوا سفينة من سفائن المشركين أو أغرقوها وفيها ناس من المُسلِمين فليس عَلى المُسلِمين دية ولا كفارة لأنّهم باشروا فعلا هو حلال لهم شَرعاً مع العلم بحقيقة الأمر.

أما إذا نخشى اضرر عَلى المُجَاهدين في حالة الترس بأسرى المُسلِمين فهل يجوز رميهم هنا اختلف الفقهاء الأربعة، فقد أباحه الحنفية ومنعه الثّلاثة، جاء في فتح القدير[٢] لابن الهمام الحنفي: (**لَوْ تَتَرَّسُوا بِأُسَارَى الْمُسْلِمِينَ وَصِبْيَانِهِمْ سَوَاءٌ عَلِمَ أَنَّهُمْ إنْ كَفُّوا عَنْ رَمْيِهِمْ انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا ذَلِكَ إلَّا أَنَّهُ لَا يُقْصَدُ بِرَمْيِهِمْ إلَّا الْكُفَّارُ، فَإِنْ أُصِيبَ أَحَدٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَلَا دِيَةَ وَلَا كَفَّارَةَ**).

وعند الأئمة الثّلاثة لا يجوز رميهم في صورة الترس إلا إذا كانَ في الكف عن رميهم في هذه الحالة انهزام المُسلِمين، وهو قول الحسن بن زياد.

وفتوى الفقهاء الثّلاثة مبنية عَلى حالة أن الجِهَاد فرض كفاية حيث يفتح المُسلِمُون بلادا جديدة، أما في مثل حالة أفغانستان حيث اغتصبت بلاد المُسلِمين ويتعرض دينهم للزوال ويضعون هَؤُلَاءِ الجنود المُسلِمين لحماية الكفّار ولاستمرار الاغتصاب وانتهاك الأعراض فلا أظن أن أحدا من الفقهاء يفتي بعدم جواز قتالهم.

يجب أن نتحرز في نياتنا عن قتل المُسلِمين:

يجب أن ننوي قتال المشركين وعدم قتل المُسلِمين، وإن كنا لا نستطيع التمييز بينهم في قتالنا، أما في النِّيَّة فهي مما وسعنا وأمكننا.

ولا دية ولا كفارة عَلى من يقتل من المُسلِمين في صف المشركين:

يقول المرغيناني في الهداية: (وَإِنَّ تَتَرَّسُوا بِصِبْيَانِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ بِالْأُسَارَى لَمْ يَكُفُّوا عَنْ رَمْيِهِمْ) لِمَا بَيَّنَّاهُ (وَيَقْصِدُونَ بِالرَّمْيِ الْكُفَّارَ) لِأَنَّهُ إنْ تَعَذَّرَ التَّمْيِيزُ فِعْلًا فَلَقَدْ أُمْكِنَ قَصْدًا، وَالطَّاعَةُ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ، وَمَا أَصَابُوهُ مِنْهُمْ لَا دِيَةَ عَلَيْهِمْ وَلَا كَفَّارَةَ لِأَنَّ الْجِهَادَ فَرْضٌ وَالْغَرَامَاتُ لَا تُقْرَنُ بِالْفُرُوضِ)[٣].

---

(١) السير الكبير: (فقرة ٢٨٠٠ ج٤/ ١٤٤٦).

(٢) فتح القدير للكمال ابن الهمام : (٥/ ٤٤٧).

(٣) فتح القدير لابن الهمام: (٥/ ١٩٨).

وقال الحسن بن زياد: قتل المسلم فيه الدية والكفارة، وعند الشّافعية في الكفارة قول واحد وفي الدية قولان.

٦- ومما يستدل به عَلَى جواز القِتَال في حالة وجود المُسلِمِين معهم ما رواه البُخَارِيّ[١] عن عكرمة قَالَ: **أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ – أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ –» فَأَنْزَلَ الله:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء]

فهذا حكم المستضعفين من المُؤمِنِين في مكّة الّذين لم يهاجروا حفاظا عَلَى أموالهم وقتلوا في بدر، فما حكم المستضعفين من الأفغان الّذين يكثرون سواد الأفغان الشُّيُوعِيّين المرتدّين؟ إن حكمهم أشد وعقابهم أنكى والله أعلم.

٧- إن قتال هَؤُلَاءِ المشركين الّذين معهم مسلمون هو دفع للصائل، ودفع الصّائل المسلم واجب – فرض عند جمهور الفقهاء – وجائز عند بعضهم، ولم يقل أحد من من المُسلِمِين بكراهية أو حرمة دفع الصّائل ولو كانَ من خيار المُسلِمِين.

٨- إن مصلحة حفظ الدّين مقدمة عَلَى مصلحة حفظ النّفس، وقتل هَؤُلَاءِ المُسلِمِين في صف المشركين فيه مصلحة حفظ الدّين وإن كانَ فيه ذهاب مصلحة حفظ النّفس.

ويقول ابن تَيمِيّة[٢]: **(والسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مُتَّفِقَيْنِ عَلَى أَنَّ الصَّائِلَ الْمُسْلِمَ إذَا لَمْ يَنْدَفِعْ صَوْلُهُ إلَّا بِالْقَتْلِ قُتِلَ وَإِنْ كَانَ الْمَالُ الَّذِي يَأْخُذُهُ قِيرَاطًا مِنْ دِينَارٍ كما قَالَ رسول الله ﷺ في الحديث الصَّحِيح: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ حَرَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» فَكيفَ بِقتالِ هَؤُلَاءِ المشْركَين الّذينَ مَعَهُم مُسلِمُون يَصُولونَ عَلَى الدّينِ والعرضِ والنّفسِ والمالِ، فَهوَ لَا شَكَّ وَلَا رَيبَ أَولَى وَأَوجَب)**، فلو كانَ جميع ما في القَاعِدَة مسلمون وجب قتالهم إذا لم ينسحبوا بأنفسهم، لأَنّهم صائلون عَلَى أرض المُسلِمِين ودينهم،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٥٩٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٤٠)

خُلاصة الأمر:

المُسلِمُون الّذين يختلطون بالجيش الكافر إذا استطعنا تمييزهم وعلمنا أنهم مكرهون فلا يجوز قتالهم. أما إذا فتحنا قلعة ووجدنا فيها جنودا مُسلِمِين بعد أن نقدر عليهم، فإن كانوا قد قتلوا مسلما فإنهم يقتلون قصاصا.

(أَمَّا إِذَا اخْتَلَطُوا بِالمشْرِكِين وَلَمْ نَسْتَطِعْ تَمْيِيزَهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ الْمُكْرَهَ وَلَا نَقْدِرُ عَلَى التَّمْيِيزِ، فَإِذَا قَتَلْنَاهُمْ بِأَمْرِ الله كُنَّا فِي ذَلِكَ مَأْجُورِينَ وَمَعْذُورِينَ وَكَانُوا هُمْ عَلَى نِيَّاتِهِمْ فَمَنْ كَانَ مُكْرَهًا لَا يَسْتَطِيعُ الِامْتِنَاعَ فَإِنَّهُ يُحْشَرُ عَلَى نِيَّتِهِ)[(١)]. [(٢)]

{ وهنا أقول: بأني أريد أن ألفت النَّظر لمسألة هامة جدا متعلقة بهذه المسألة وهي:

لفتة هامة في مسألة تترس الكفّار بالمُسلِمين:

أقول والله المُستَعان:

كما نرى فإن كلّ كلام العُلَماء السابق في مسألة التترس بالمُسلِمين منصرف إلى إحدى حالتين:

الأولى: أن يأخذ الكفّار بعض المُسلِمِين من الأسرى، أو المحتجزين ويضعونهم معهم كي لا يضربهم المُجَاهدون المُسلِمُون تورعا عن قتل إخوانهم، وقد رأينا أن الخلاصة في ذلك هيَ ترجيح إباحة ضربهم وإن أدى ذلك لقتل المُسلِمِين المحتجزين إذا خيف عَلى المُسلِمِين أن ينهزموا إذا لم يفعلوا ذلك، أو كانَ الضرر المترتب عَلى عدم ضربهم أكبر من ضرر قتل بعض المُسلِمِين الأسرى والمحتجزين، ومع ذلك فقد تشدد بعض الفقهاء في المسألة ومنع قتل المُسلِمِين، لما لمسألة حفظ دم المسلم من القداسة والمكانة.

الثّانية: مسألة المكرهين عَلى الخروج للقتال في صف الكفّار (كالمجندين إجباريا من المُسلِمِين في جيش الكفّار) وقد مر الحكم بإباحة قتلهم إن لم يمكن تمييزهم، وأن الله لا يظلمهم – حاشاه تبارك وتعالى – وأنهم يبعثون عَلى نياتهم.

---

(١) الفتاوى (٢٨/ ٥٤٧)

(٢) الذخائر: (١٠٢٢- ١٠٢٦).

ولكن هناك أحوال جديدة طرأت هذه الأيّام، طرحت مسألة في غاية الدقة والصعوبة والحساسية. وهي أن قوّات المحتلين الغُزَاة قد دخلت بلادنا بما لا طاقة للمُجَاهدين في مقابلتهم بشكل مكشوف في صفين متقابلين متمايزين - كما هو الحال في العراق وأفغانستان وفلسطين وكشمير والشِّيشَان وسواها، وتعددت أشكال تواجدهم العسكريّة والأمنيّة والمدنيّة المختلفة الصُّور بين الأهالي من المُسلِمِين داخل المدن والتَّجَمُّعات السّكّانية، وأصبح أسلوب حرب العِصَابات والكر والفر هو الأساس في مواجهتهم، وشاع أسلوب استخدام المتفجرات من قبل المُجَاهدين سواء بالتفجير عن بعد أو بالعمليّات الاستشهادية أو غيرها من أساليب استخدام المتفجرات، كذلك الأمر في تواجد المرتدّين من الطواغيت الموالين لأعداء الله الغُزَاة المحاربين لله ورسوله المُسلِمِين، واختلاطهم واختلاط عساكرهم وقوّات أمنهم وحراسهم وحراس حلفائهم الكفّار بالمُسلِمين، وانتشارهم بين التَّجَمُّعات السكنية وحركتهم في أسواق المُسلِمِين ومناطق تواجدهم، بحيث صار يُؤَدِّي استهداف أعداء الله أولئك بأساليب التفجير المختلفة، إلى وقوع الكثير من الضحايا من المُسلِمِين الأبرياء قتلا وجرحا، وتدمير بيوتهم وممتلكاتهم وأموالهم.

وقد شاع في بعض بيانات المُجَاهدين قياس هذه الأحوال عَلى حكم الترس، وجواز قتل المُسلِمِين الّذين تترس بهم الأَعدَاء في الحَرب، وأظن أن لا علاقة واضحة مباشرة لمسألة الترس بكثير من هذه الحالات، كما أعتقد أن استسهال المسألة بهذا الشّكل وإطلاقها عَلى عواهنها بغير تدقيق ولا تفصيل ولا ضوابط ولا شروط، لا يخلو من الخلل الّذي قد يجعل بعض المُجَاهدين يتحملون وزر سفك دماء بريئة مسلمة، وتدمير أموال واستباحة حرمات معصومة للمسلمين لا تحل - والله أعلم - بهذه الصُّورة المطلقة، الّتي لا يبررها اعتماد مسالة حكم تترس الكافر بالمسلم في الحَرب، وألفت النَّظر إلى عدد من النقاط عَلى سبيل التنبيه:

(١) - أنا لا أقول بوقف قتال الكفّار الغُزَاة أو أوليائهم ومعاونيهم من الطواغيت المحاربين لله ورسوله والمُؤمِنِين، إذا اختلطوا بالمُسلِمين كليا، لأن هذا يُؤَدِّي إلى تمكنهم في بلادنا وبالتالي إفساد دين المُسلِمِين ودنياهم وهو ما يريده أعداء الله، ومعاذ الله أن أدعو إلى ذلك.

(٢) - يجب عَلى المُجَاهدين أن يجهدوا أنفسهم في دراسة تبعات كلّ عمليَّة شَرعاً وسياسة كما يجهدون أنفسهم في دراستها عسكريّاً وأمنيّاً، ومن أهمّ ذلك ما نحن بصدده، وهو مسألة من سيُقتل من

المُسلِمِين بتفجيرات المُجَاهدين، ووجوب توخي تحاشيهم بكل وسيلة، وحساب مردود العمليّة وأهميتها، ونسبة ما يصاب من المُسلِمِين خطأ بغير قصد، إلى النكاية المتوقعة الحاصلة في الكفّار، وأثرها فيهم، فقد وجدنا في بعض العمليَّات، قنابل توضع في سوق مزدحم للمسلمين، تقصد قتل بضعة أفراد من دورية عسكريّة للكفار، أو سيارة مفخخة عَلى باب قنصلية أمريكية، من خارج السور الّذي يسيج حديقة، وراءها مكاتب أكثر من فيها ليسوا أمريكان، حيث لا يحتمل في مثل هذه العمليّة عاقل أن يصاب أمريكي واحد ! فيقتل أو يجرح العدد القليل من الأَعدَاء المستهدفين، وقد لا يصابون، في حين يصاب العشرات من المُسلِمِين بمن فيهم من الأطفال والنِّسَاء والأبرياء قتلا وجرحا ودمارا للأموال !! وهي نتيجة معروفة لكل عاقل، بحساب بسيط ودراسة للمكان واحتمالات من سيتواجد فيه من المُسلِمِين، وأعتقد أن هذا لا يجوز.

فهناك فرق كبير يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار بين استخدام المتفجرات في بلاد الكفّار وعواصمهم مثل تل أبيب وواشنطن ولندن، واستخدامها في عواصم بلاد المُسلِمِين وديارهم.

وقد مرت معنا فقرة بطولها بعنوان حرمة دم المسلم وعصمته وماله وعرضه، في الصفحات السَّابقة، ومنها قوله ﷺ في الحديث الّذي رواه مسلم في صحيحه: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»[1].

فضرب الفاجر والكافر لا يبرر عدم تحاشي المؤمن وصاحب الذمة والعهد الصَّحِيح شرعا، وكذلك ما روي عنه ﷺ في الحديث الّذي أخرجه البيهقي[2] من حديث البَرَاء بن عازب: «لزوال الدُّنيَا وما فيها أهون عند الله من قتلِ مؤمنٍ»، «ولو أن أهل سماواته وأرضه اشتركوا في دم مؤمن لأدخلهم الله

(١) رواه مسلم : (١٨٤٨).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٩٥٨) ولفظه «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ سَفْكِ دَمِ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ» وأخرجه ابن ماجة (٢٦١٩) وحسنه لغيره الأرنؤوط.

تَعَالَى النار»[1]، وقوله يخاطب الكعبة المشرفة ينظر إليها: «إن لك عند الله لشأنا ولزوالك أهون عند الله من قتل امرئ مسلم»، أو كما قَالَ ﷺ.

فهل مظنة زوال بعض العلوج من الكفّار أو أعوانهم الّذين لا قيمة لهم ولا يغيرون شيئا في مسار المَعْرَكة طويلة المدى الّتي نخوضها، يبرر زوال عشرات النفوس المؤمنة عَلى وجه التأكيد أو الظن الراجح؟! أعتقد أن هذا القصد والنِّيَّة، لا تبرر مثل هذا العمل في كلّ تلك الحالات.

وقد مر معنا الكثير من النّصوص القرآنية والنبوية الشريفة في التغليظ في حرمة النّفس المسلمة، ما فيه الكفاية لكي يتأملها المُجَاهدون في سبيل الله ويدققوا في أعمالهم.

(٣)- قد يظن بعض المُجَاهدين أن مجرد نيته بأنه يقصد قتل الكفّار، ولا يقصد من سيقتل من المُسلِمِين كافية في استحلال كلّ تلك الأعمال، وأعتقد أن صلاح النِّيَّة والقصد وحده غير كاف، لأن الله لا يقبل من العبد إلا ما كانَ خالصا لوجهه وكان صوابا، والصواب هو متابعة الكتاب والسنة كما شرحه العُلَماء، ومن ذلك ولا شَّكَّ تحاشي سفك دماء المُؤمِنِين والمعصومين شَرعاً في القِتَال ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

(٤) – إذا كانَ الهدف الّذي يقصده المُجَاهدون يحدث من النكاية المؤكدة في الأَعدَاء (بحسب غلبة الظن) ما يساهم في هزيمة العدوّ ونصر المُسلِمِين كانَ يكون رأسا مهما من رؤوس الأَعدَاء، أو يوقع خسارة فادحة مؤثرة في صفوف الكفّار، وبذل المُجَاهدون كلّ وسعهم في إبعاد المُسلِمِين عن مكان الحدث، وتحاشيهم، واختيار الأوقات الّتي يندر فيها تواجدهم... إلى آخر ما استطاعوه من الإحتياطات، ثمّ حصل قدر بغير قصد سبب إصابة بعض المُسلِمِين بغير قصد مع التحاشي، فإني أرجو أن يغفر الله لهم ذلك لبذلهم الوسع ولصحة نيتهم وقصدهم.

(٥) – سمعت من بعض المُجَاهدين أثناء نقاش هذه المسألة النازلة، ما يوحي باستهانتهم بما يقع من خسائر في صفوف عوام المُسلِمِين، كقولهم، إن أكثر هَؤُلَاءِ المصابين من المُسلِمِين من الفساق، أو

(١) رواه الترمذي (١٣٩٨) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة، وصححه الألباني ولفظه: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ».

القاعدين الّذين لا يجاهدون، أو أنهم من المبتدعة الّذين فسدت كثير من عقائدهم، إلى آخر ما قد يصح أو لا يصح من الأوصاف. ولكن هذا الكلام بَاطِل، فكون أن الأصل فيهم الإِسْلَام يعصمهم، ويوجب تحاشيهم، وما قَالَ أحد ممن يعتد به من أهل الإِسْلَام باستباحة دماء أمثال هَؤُلَاءِ، فلا يحل دم مسلم إلا بما هو معلوم من الأحكام، ولكني رأيت في بعض الحالات، أن الحالة النّفسية الّتي قد يصل إليها بعض المُجَاهدين من ضغوط أعداء الله من جهة، وإعراض العامّة عن نصرة دين الله من جهة أُخرى، وما قد يتلبسون به من الأحوال الفاسدة، سبب لدى البعض في الاستهانة بمسألة التحاشي الحقيقي، وهذا خطير ولا يجوز.

(٦) – أخيرا أنصح كلّ تنظيم أو سرية من المُجَاهدين، أن يكون لهم مرجعا شرعيا يعرضون عليه ما التبس من أمور في هذه الطامات النازلة، رغم علمي بندرة من يمكن الوثوق بعلمه أو استعداده لنصرة المُجَاهدين بعلمه إن توفر في هذا الزّمان، وإلى الله نشتكي مما اشتكى منه عمر ﵁ من جرأة الفاجر وعجز الثقة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم }.

- حكم السكن في ديار المشركين:

قَالَ الشَّيْخ عبدالله عزام ﵀ تَعَالَى:

[يحرم السكن في بلاد المشركين إلا للضرورة القصوى، ففي الحديث الحسن الّذي رواه أبو داوود عن سمرة مرفوعا «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»[1] وفي الحديث الحسن الّذي رواه النسائي: «لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا، أَوْ يُفَارِقُ الْمُشْرِكِينَ»[2]

ومدار الحكم عَلَى علة حفظ الدّين والعرض والمال، وحيثما وجد مكان أحوط لسلامة دينه وعرضه فيجب عليه أن يختاره سكنا.

يقول صاحب المعيار (في الفقه المالكي) عن السكن في ديار الكفر: **(فهو تحريم مقطوع به من الدّين، كتحريم الدّم ولحم الخنزير وقتل النّفس بغير الحقّ وأمثاله من الكليات الخمسة الّتي اتفق أهل الملل**

---

(١) رواه أبو داود (٢٧٨٧) وضعفه إسناده الأرنؤوط، وصحح الحديثَ الألباني.

(٢) رواه النسائي (٢٤٣٦) وابن ماجة (٢٥٣٦) وأحمد (٢٠٠١١، ٢٠٠٣٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

والأديان عَلى تحريمها)، (وقال القرطبي: **وعلى هذا فلا يجوز لمسلم دخول دار الكفر لتجارة أو غيرها إلا لضرورة في الدّين، كالداخل لفداء المسلم، وقد أبطل الإِمَام مالك شهادة من دخل دار الحَرب للتجارة)**، والتكليف بحسب الإمكان والضَّرورة تقدر بقدرها، والحَمْدُ لله ربّ العَالِمَيّن].أهـ.(١)

{ وأقول والله المُستَعان:

إن تحريم السكن في ديار الكفّار والمشركين هو حكم عام متفق عليه بين علماء الإِسْلَام وجميع مذاهبهم لما يحتوي عليه من الفتنة في الدّين، وتشرب عادات المشركين، والإلفة معهم الّتي تؤدي مع الوقت للود الّذي حرمه الله معهم، واختلاط الذرية الناشئة بينهم بأطفالهم وتعلم عوائدهم الخبيثة الفاسدة الكثيرة، ناهيك عن البعد عن عادات الإِسْلَام وأعراف المُؤمِنِين وعدم وجود المساجد وما يذكَّر بالله ومن يأمر بالمعروف وينهى عن المُنكر، ناهيك عن محاولة الكفّار أذية المُسلِمِين والعدوان عليهم وفتنتهم في دينهم...وقد قدر الله لي اضطرارا أن أعيش في البلاد الأوربية ردحا طويلا من الزَّمن:

خلال الأعوام (١٩٨٣-١٩٩٧)، بسبب الأحوال الأمنيّة الّتي ألزمت أمثالي بالهِجرَة والفرار من أنظمة حكم الطواغيت، فسكنت في تلك البلاد ودرست فيها وعملت في مختلف ميادين الحياة من التجارة، إلى العمل الصحفي..وغير ذلك، وقدر لي أن أقيم زهاء ثلاث سنين في فرنسا، ونحو ثمان سنين في أسبانيا، وما يزيد عَلى ثلاث سنين في بَرِيطَانيَا، وزرت بلاد أوربية عديدة مثل ألمانيا والدّول الإسكندنافية وإيطاليا وبلجيكا وهولندا وغيرها، وعملت في أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة المتعددة فيها، **وخلصت عمليا من خلال ما رأيت إلى أن نهي رسول الله ﷺ للمسلمين عن أن يقيموا في بلاد الكفّار والمشركين، هو في الحقيقة من معجزات النبوة، لما رأيت من الأحداث والمشاهد وأحال المُسلِمِين برهم وفاجرهم، مؤمنهم وفاسقهم وكافرهم..وحتى من ينسبون أنفسهم إلى العمل في الصّحوة الإِسْلَاميّة، وحتى من لحق بأوربّا من الجهاديّين !**

فقد أثرت به تلك البلاد فيهم وفي ذراريهم جميعا ودون أي استثناء، وإنما الإختلاف في درجات التّأثير والفساد من الفسوق المتدرج، وصول إلى الرِّدَّة الجامحة والعياذ بالله.

---

(١) الذخائر (ج١/ ١٠٢٢).

ولا يتسع المقام هنا لتسجيل خُلاصة ما رأيت وسمعت به من أحوال تدمي القلب وتقطع الفؤاد حزنا عَلى أحوال المُسلِمِين ودينهم وعاداتهم وما حلّ بهم هناك، ولعلي إن سنحت لي الفرصة، أن أسجل ذلك في رسالة خاصّة، فالأكثرية السَّاحقَة من الّذين يسمون (مُسلِمِين) في بلاد الكفر، والبالغ عددهم عشرات الملايين في أوربّا وحدها (قيل أكثر من ٤٥ مليون (مسلم!)، ومثل ذلك في أمريكا وكندا وأستراليا وغيرها من بلاد الدُّنيَا شرقا وغربا، لا يقيمون الصّلاة ولا يؤتون الزّكاة، ولا يؤدون أكثر شعائر الإِسْلَام، لم يبق لهم من دين آبائهم إلا نتفا من العادات والتقاليد تذوب مع الوقت في أبنائهم وأحفادهم، فنساؤهم وبناتهم سافرات يخالطون الرّجال من المُسلِمِين والكافرين ويدرسون في مدارسهم ويعملون بينهم، وشبابهم فساق أكثرهم يشرب الخمر وكثير منهم يأكل الخنزير، وقد فشا فيهم الزنا والفجور، وحتى في كثير من نسائهم، وأدت كثرة الزواج بالكافرات (وأكثرهن ملحدات يجوز نكاحهن أصلا لأنهن لسن من أهل الكتاب لا دين لهن كأكثر شباب الغرب اليَوْم وهم يجاهرون ويفخرون بذلك)، وأدت هذه الزيجات إلى ولادة ذرية لا تعرف لغة آبائها العَرَب أو المُسلِمِين، وتعيش عَلى طريقة الأمهات ! بل لقد فشا مؤخرا زواج بنات المُسلِمِين بالكافرين، زواجا مدنيا وقد وجد من بعض الضالين من علماء السوء المستغربين من أحل بعض صور من ذلك الزواج المحرم، هذا ناهيك عما تعارفت عليه تلك الأوساط الغربيّة من طرق متعددة للزواج غير الشَّرعيّ من صور السفاح المختلفة وأشكال الزنا والتحلل، حتَّى أن كثيرا من بنات المُسلِمِين يعاشرن الرّجال والأصدقاء بمعرفة الآباء لا يستطيعون مجرد الإنكار عليهن، حتَّى لا يغادرن البيت! فضلا عن بنات (المُسلِمِين !) اللواتي احترفن الدعارة الرخيصة كما في دول وسط أوربّا! أما عما دون ذلك من العادات الأوربية، والأعياد والمناسبات، وطريقة العيش من طعام وشراب ولباس، فلا يمكن ن تجد فرقا بين الكفّار وهَؤُلَاءِ الّذين إذا سألتهم عن دينهم، أجابوك بحماس أنهم (مُسلِمِين !!)، وهذه حال الأكثرية السَّاحقَة، وقد حاولت أن أتخيل عدد المصلين في بعض البلاد الّتي عشت فيها، من خلال مجموع من يصلي الجمعة (وأكثرهم لا يصلي الأوقات الخمسة)، فوجدت أنها نسبة صغيرة من مجموع تعداد الجاليات الإِسْلَاميّة، وربما لا أخطئ لو قلت أن نسبة من يصلي الجمعة لا تزيد عَلى ١٪ أو ٢٪ من المجموع عَلى أحسن تقدير !

أما عن أوساط الملتزمين ورواد المساجد والمراكز الإِسْلَاميّة، فيمكن معرفة أفكارهم وأحوالهم من خلال متابعة بعض بَرَامج الفضائِيَّات الّتي تعنى بأخبارهم مثل (قناة **إقرأ**) وغيرها، وخلاصة ما وجدته، أن القوم قد أوجدوا لأنفسهم دينا أوربيا أمريكيا بدعوى الضَّرورات والرخص والاعتدال، وتأليف القلوب، والترفق بالمُسلِمين لدعوتهم، وأستطيع الشَّهَادة – عن علم – بكل بساطة أن ما تبقى في دينهم الإِسْلَاميّ الغربيّ الجَدِيد من دين محمّد ﷺ هو كم متواضع من الأصول العقدية وبعض العِبَادات والعادات..وأكثر نشاط تلك المراكز والمساجد محصور في توفير اللحم (الحلال)، وترتيب صلاة الجمعة، وعقود الزواج الشَّرعيّ، وأمور الموتى والجنائز، وعقد المحاضرات، وبعض الحفلات والمواسم الّتي وجدت لها طرقا إسلاميّة غربية تتناسب ودعاوى الإعتدال والوسطية وعدم التشدد ! لهذه الأقلية المتمسكة بدينها في تلك الجاليات الّتي ارتد – عمليا وواقعيا – أكثر أبنائها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وقد فشا في أوساط من يسمونهم (مفكرين إسلاميين !!)، وبعض من ينسبون إلى العُلَماء في الغرب، أفكار شوهاء مارقة، للتقارب بين الأديان، والتسامح الدّيني، وحوار الحضارات، والحوار الإِسْلَاميّ المسيحي، وما يسمونه حوار الآخر !! ونفي تهمة الإِرهَاب عن الدّين، فقد فشت أفكار وفتاوى (إسلاميّة) في غاية الزندقة والانحراف تحتاج بحثا مفردا لاستقصائها والرد عليها، وكمثال واحد عن هذه الغرائب ما سمعته من بعض من يسمونهم مفكرين مُسلِمين، من أصحاب اللحى المنتوفة، أو المحلوجة، والقبة البيضاء والـ (كرافيتة) وهي ربطة العنة أو (رسنُ الحضارة !) كما أسماها أحد شيوخنا، فقد قالوا: أن خروج الشّمس من مغربها قبل قيام السَّاعة، معناه إسلام الأوربيين والأمريكان من أهل الغرب، وهو ظهور شمس الإِسْلَام في مغربها ! حيث سيحمل الأمريكان والغرب دعوة الإِسْلَام ويأتوننا لبلادنا فاتحين بالإِسْلَام (الّذي أشرق في الغرب) ! لأَنّهم يمتلكون القوّة العسكريّة، وسيمتلكون راية الإِسْلَام ! وذلك مثلما حصل من التّتار الّذين جاؤونا فاتحين ثمّ أسلموا، وعاد (تيمورلنك) وأحفاده من التّتار المُسلِمين ففتحوا بلادنا وغيرها بالإِسْلَام !

ولك أن تتخيل كم في هذا التكلُّف المجوج من الشطط والتفاهة، والإعراض عن صريح تفاصيل الأحاديث النّبويّة وشروحها، وشواهدها الحسية المفصلة في الأحاديث الصَّحِيحة، ناهيك عن ما تدل

عليه هذه الآراء من الجهل بالتّاريخ وبأحوال كفر أولئك التّتار - الّذين يستشهدون بهم - بعد زعمهم الإِسْلَام وإفسادهم في الأرض وجِهَاد أجدادنا المُسلِمِين لهم.

ولكن هذا هو حال العقول إذا انتكست، وخرَّت وخسف بها من رؤوس أصحابها، لتهذر بهذه التخريفات، أما التمحكات السّياسيّة اليَوْم فحدث عنها ولا حرج، من الدّعوة للاندماج في المجتمعات الغربيّة، ودخول أحزابها السّياسيّة، وتشكيل اللوبيات الضاغطة عَلى الحُكُومَات، والانسجام مع العادات الاجتماعيَّة السائدة..وغير ذلك من الطامات الشَّرعيَّة.

وباستثناء قلة قليلة جدا من الإِسْلَاميّين والجِهَاد يين الفارين بدينهم من بلادهم واضطرارهم للاحتماء باللجوء السّياسيّ في بعض دول الغرب، وهم قلة نادرة تعيش الغُربة المكعبة - صبرهم الله - غربة الدّين والأوطان، وغربة بين الكفّار، وغربة بين أولئك المُسلِمِين ممن ذكرنا حالهم، حيث تنظر أكثر تلك الأوساط الإِسْلَاميّة بمن فيهم الأئمة والمراكز الإِسْلَاميّة هَؤُلَاءِ الشَّبَاب نظرة الشبهة، والتوجف والمخالفة في السُّلُوك والمعتقد، حتَّى أن بعضهم يطردهم من المساجد ويمنعهم من دخولها خشية انتشار عدوى صلاحهم إلى فساد الفاسدين والقاعدين، فباستثناء هَؤُلَاءِ القلة النادرة فأحوال الحاليات هيَ ما ذكرت لمحة عنه.

ولدي قصص وشواهد كثيرة من الغرائب والعجائب والحكايات المؤلمة الّتي رأيتها بنفسي، فضلا عما سمعته من الثقاة عن أحوال المُسلِمِين وطرق عيشهم، ودين أئمة مساجدهم ومدراء مراكزهم (الإِسْلَاميّة!)، ولا يتسع لها المقام هنا وأترك ذكرها لرسالة متعلقة بهذا الموضوع الهام إن يسر الله ذلك.

ولكن ومنذ انطلقت الحملات الصّليبيّة المعاصرة، منذُ ١٩٩٠، وانطلق معها ما سمي الحَرب العَالَمِيّة عَلى الإِرهَاب، أخذت أحوال المُسلِمِين في الغرب تأخذ بعدا آخر، بلغ اليَوْم أوجه بعد أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١، وبعد احتلال العراق، وإعلان أمريكا وحلفاءها مشاريعهم في الشّرق الأوسط الكبير! وانطلاق حملاتهم الصّليبيّة صراحة.

فقد بدأت موجة من الممارسات والحملات العنصرية ضدّ المُسلِمِين تتفشى في أوساط الشّعوب الغربيّة في أوربّا وأمريكا وغيرها..وتجلى ذلك في العدوان عَلى المساجد، والمراكز الإِسْلَاميّة بالحرق والنسف بالقنابل، وبالعدوان عَلى المُسلِمِين و، أطفالهم ونسائهم لاسيما المميزات بالحجاب، ولم يقتصر

الأمر عَلى هجوم المتعصبين والعنصريين وهم كثر جدا وفي تزايد، من جراء حالة الحَرب وما يقوم به المُجَاهدون من حربهم، ولكن العدوان عَلى المُسلِمِين يصل الآن ليكون سياسة للحُكُومَات الغربيّة ذاتها، فقد سنت جميع الدّول الغربيّة تشريعات جديدة تضيق عَلى المُسلِمِين بدعوى مكافحة التطرف والإِرهَاب، فصدر قانون لمنع الحجاب في فرنسا، ويدرس مثل ذلك في بلاد أُخرى، وصدرت قوانين لمراقبة الخطب المسجدية، وطرد الخطباء الّذين لا يلتزمون التّعليمات الحُكُوميّة المتعسفة، ووضع أكثر المصلين ولاسيما الشَّبَاب تحت المراقبة وفي دائرة التهمة، واستدعي الكثيرون للتحقيقات، وجندت الإستخبارات آلاف الجواسيس بين رواد المساجد، هذا في أوربّا، أما في أمريكا فالإجراءات التعسفية شديدة وعدوانية، اختلط فيها الحقد بإجراءات الأمن، وهذه الأخبار متكررة يوميا في وسائل الإعلام اليَوْم بما يغني عن الإطالة.

ولكن الجدير بالذكر، التنبيه عَلى أن هذه الأحوال والضغوطات، بدأت تدفع اليَوْم كثيرا من المُسلِمِين المقيمين في الغرب، إلى ارتكاب الأفعال المحرمة، والتصريح بالأقوال الّتي تهدّد دينهم وعقيدتهم من أجل دفع التهمة – تهمة الإِرهَاب والتطرف – عن أنفسهم، والتدليل عَلى بعدهم عن دينهم، مثل ترك الحجاب أو ارتياد المساجد، أو التصريح بدينهم أو معتقدهم، وقد وصل الأمر بالبعض للمجاهرة بالمعاصي والمُنكرات لنفس الغرض، والأفدح من كلّ هذا ما يقوم به أئمة المُسلِمِين، ومدراء المراكز، ورؤساء الجاليات الإِسْلَاميّة، من تراجعات خطيرة جراء تلك الضغوط، حتَّى بلغ الأمر بإظهار الوَلَاء الصريح للكفار، والبَرَاءة الصريحة من المُؤمِنِين ولاسيما المُجَاهدين في سبيل الله، بل سبهم وشتمهم في وسائل الإعلام صراحة، ناهيك عن إطلاق الفتاوى الضالة، والآراء المناقضة لمقتضيات الدّين وأساسِيَّات العَقِيْدَة، ومن يتابع وسائل الإعلام يقف عَلى ما يندى له الجبين من تلك التصريحات والممارسات.

ولو نظرت في أسباب ذلك لرأيت بكل وضوح، أن خُلاصة الأسباب هو تمسك أولئك (المُسلِمِين!) بإقامتهم في ديار الكافرين من أجل الدُّنيَا الّتي يصيبونها ويدفعون دينهم ودين ذراريهم الّتي يكفر أكثرها مع الوقت ثمنا لهذا الهدف، تلك الإقامة المحرمة أصلا من قبل أن تحصل لهم هذه الضغوط وهذا العدوان من الكفّار من أصحاب تلك البلاد، فما بالك بعد هذه الحملات الظَّالمة.

ولكن الحقيقة أن أكثر أولئك القوم قد رضوا بالحياة الدُّنيَا هناك واطمأنوا بها.

ولابد لنا قبل أن نختم هذه الفقرة أن نذكر أولئك المُسلِمِين ونلفت نظرهم لأمرين في غاية الأهمّيّة:

أولاً: أن يعلم كلّ من في قلبه حرص عَلى دينه وعلى طاعة الله وطاعة رسوله بالحكم الشَّرعيّ في حالهم، وهو حرمة إقامة كلّ من لا تلجئه الضَّرورة لتلك الإقامة في ديار الكفر والكافرين، ووجوب عودته إلى بلاده (بلاد المُسلِمِين) رغم ما فيها من الظُّلم، والفقر وغير ذلك من المصاعب، إن لم يكن عليه خطر من حُكَّام بلده، فإن كانَ ذلك فعليه البحث عن مهجر في بلاد المُسلِمِين، إذ تجب الهِجرَة عن دار الكفر إلى دار الإِسْلَام إن وجدت، فإن لم توجد فإلى ديار المُسلِمِين حيث يأمن عَلى دينه وعرضه ونفسه وماله، ويجب أن يتحرى الأصلح فالأصلح والأقل فسادا فالأقل، وأما الدُّنيَا والمال والرزق فقد تكفل بها الله تَعَالَى، وليس العمل والتجارة والبحث عن رغد العيش عذر للبقاء في ديار الكافرين، لاسيما وقد آلت الأحوال إلى ما آلت إليه.

ولا يحل البقاء في الغرب وغيرها من بلاد الكفر إلا قهرا لمن غلب عَلى أمره لا يجد حيلة غيرها، أو لمصلحة شرعيّة من قبيل جِهَاد الكفّار في بلادهم دفعا لهم عن بلاد المُسلِمِين، وهو فرض عين عَلى كلّ مسلم كما بينا آنفا في البَاب الأوّل من هذا الفَصل، كما يجوز لمن كانَ من العُلَماء أو الدعاة إلى الله ممن يحتاجه المُسلِمُون هناك البقاء، شريطة أن لا يضر بنفسه وأسرته في دينهم، وأن يتمكن من الدّعوة إلى الله بحرية، وأن لا يتلبس بالنِّفَاق الّذي فشا في تلك الأوساط رغبا ورهبا من الكفّار وأذنابهم، والله هو الرقيب عَلى القلوب والنوايا.

ثانياً: أن نلفت نظر المُسلِمِين في ديار الغرب وغيرها من البلاد المحاربة للمسلمين المحالفة لأمريكا في غزوها لبلادنا، بأن الحَرب قد قامت وستطول، وهاهي تزداد ضراوة، وقد بدأت بوادر طلائع المُجَاهدين والمقاومين تتصدى لأمريكا وحلفائها، في بلادنا وفي بلادهم عَلى حد سواء، وستؤدي هذه الحالة الّتي ستتفاقم طبيعيا، إلى انتقام الكفّار منهم، وازدياد الضغوط عليهم، ولا أظن عاقلا يطالب المُجَاهدين في سبيل الله بترك جِهَاد أعداء الله الّذين يحتلون بلادنا ويذبحون أطفالنا ونساءنا ورجالنا، وينهبون ثرواتنا ويذيقوننا كلّ ألوان العذاب، من أجل الحفاظ عَلى مصالح قطعان من المُسلِمِين الّذين اختاروا العيش بين أرجل الكفّار والمشركين وتحت أقدامهم من أجل دنياهم وحياتهم بين ذلك العفن

فارتد كثير منهم، وأكثر من تبقى فاسقون ! فلا تترك الفريضة من أجل هَؤُلَاءِ وأكثريتهم السَّاحقَة هم من العصاة لربهم، الناكصين عن أوامر نبيهم الصريحة الواضحة ووعيده ﷺ لهم ببراءته منهم، إن هم أقاموا في ديار الكافرين.

وعلى أولئك الّذين تصدروا الريادة الدّينيّة لتلك الجاليات أن يبينوا هذه الأحكام وتفصيلاتها للمسلمين من حولهم، وعلى علماء الإِسْلَام أن يصرحوا لهم بحكم إقامتهم تلك وما يترتب عليها، ولاسيما وقد انعقدت الحُرُوب الصّليبيّة واستعرت بكل جلاء. }

- **منع المثلة والتشويه والتعامل مع جيف المشركين:**

[إن الإِسْلَام دين يترفع عن الدنايا، وعن الأعمال الخسيسة، وعن الأحقاد الصغيرة والَّتي تبرز في الانتقام من جثث الموتى، حتَّى أن سدنة الجَاهِلِيَّة كانوا يترفعون عن هذا الفعل، وإذا حصل من صغارهم فإنهم يتبرؤون منه.

(والمثلة هيَ تشويه الجثة من قبيل قطع أطراف القتيل أو سمل عينه أو قطع أذنه أو أنفه أو أي عضو من أعضائه..).

وقد اختلف الفقهاء حول المثلة عَلى رأيين:

١ – الرَّأي الأوّل: رأي الحنفية والحنبلية لا يجيزون المثلة إبتداءا، ولكنهم يجيزونه إذا كانَ من قبيل الجزاء والمعاملة بالمثل.

٢- الرَّأي الثّاني: رأي الشّافعية والمالكية: بكراهة المثلة، سواء كانت مبتدأة أو معاملة بالمثل....].أهـ.[1]

قَالَ الشَّيْخ عبدالله عزام رَحِمَهُ اللهُ:

[ومن آداب الجِهَاد دفن جيف أجساد القتلى من المشركين، وإذا أرادوا أخذها ودفع ثمنها فالأولى عدم أخذ الثَّمن، فقد ألقى رسول الله ﷺ جثث زعماء قريش يوم بدر في القليب، وحفر لبني قريظة

---

(١) الذخائر (ج١/ ١٦٧) بتصرف.

الخنادق عند قتلهم، وقد ذكر ابن إسحاق في المغازي أن المشركين سألوا النبيّ ﷺ أن يبيعهم جسد نوفل بن عبدالله بن المغيرة، وكان اقتحم الخندق فقال النبيّ ﷺ: «لا حَاجَة لنَا بِثَمَنِهِ وَلا جَسَدِهِ»[(١)].

ونحن نرجح مذهب الشّافعية والمالكية، بمنع المثلة لأنه يتماشى مع القواعد العامّة للإسلام، ويتفق مع الرّوح الّتي تسري في تعاليم هذا الدّين...]. أهـ. [(٢)]

- **البيعة في الحَرب:**

قَالَ الشَّيْخ عبدالله ﷺ:

[١- **عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: «رجعنا من العام المقبل فما اجتمع من اثنان عَلى الشجرة الّتي بايعنا تحتها، كانت رحمة من الله، فقيل له: عَلى أي شيء بايعهم؟ عَلى الموت؟ قَالَ: لا، بايعهم عَلى الصّبر»**[(٣)].

البيعة في الحَرب سنة نقلت عن المصطفى ﷺ لتثبيت القلوب وتذكيرها بعهد قطعته عَلى أنفسها قبل المَعْرَكة.

الشجرة الّتي بايعنا تحتها: الشجرة الّتي تمت تحتها بيعة الرضوان عام (٦هـ)، وفي العام المقبل سنة (٧هـ) لم يعرف اثنان منا مكان الشجرة، وهذه رحمة من الله حتَّى لا تصبح الشجرة شيئا مقدّسا، ثمّ تنتشر البِدَع والخرافات من خلال وجودها وحتى لا يأتي النّاس للتبرك بها، وحديث جابر في مسلم[(٤)]: «بايعنا عَلى أن لا نفر ولم نبايعه عَلى الموت».

والشجرة هيَ سمرة من أشجار الصَّحرَاء، وقد خفيت عَلى الصّحابة في العام الّذي تلا الحديبية خوفا من الفتنة.

---

(١) رواه الترمذي (١٧١٥) وأحمد (٢٢٣٠) وابن أبي الشيبة (٣٣٢٥٦) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٢) الذخائر (ج١/ ١٦٩).

(٣) رواه البخاري (٢٩٥٨).

(٤) رواه مسلم (١٨٥٦).

١- عن عبدالله بن زيد ﵁ قَالَ: (لما كانَ زمن الحرة أتاه آت فقال له: إن ابن حنظلة يبايع النّاس عَلى الموت، فقال لا أبايع عَلى هذا أحد بعد رسول الله ﷺ)[١].

الحرة: معركة وقعت بالمدينة سنة (٦٣هـ)، وسميت الحرة لأن خيول (يزيد) اقتحمت الحرة (وهي أول مرّة تقتحم فيها الخيول حجر الحرة) لأن الحرة منطقة حجارة سوداء تحيط بالمدينة من شرقها بحرة (واقم) ومن غربها بحرة (الوابرة) ولذا يقال ما بين حرتيها أو لابتيها، ويعنون بها هاتين الحرتين، وعندما استباح جيش (يزيد) المدينة قام الصحابي عبدالله بن حنظلة يبايع النّاس عَلى الموت لمقاتلة يزيد بعد خلع بيعته.

٢- عن سلمة بن الأكوع ﵁ قَالَ: (بايعت النبيّ ﷺ ثمّ عدلت إلى ظل شجرة، فلما خف النّاس قَالَ: يا ابن الأكوع ألا تبايع؟ قَالَ: قلت: قد بايعت يا رسول الله، قَالَ: وأيضا، فبايعته الثّانية، فقيل له: عَلى أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟ قَالَ: عَلى الموت)[٢].

لقد كانَ ﷺ يختار بعض أصحابه الّذين يعدهم للمهمات في المستقبل ثمّ يأخذ عليهم عهودا خاصّة يتميزون بها عن بقية الصّحابة، كما أخذ عَلى ثوبان وأبي بكر وفئة من الصّحابة (أن لا يسألوا النّاس شيئا)[٣] فكان أحدهم يسقط سوطه من يده فلا يطلب من أحد مناولته إياه.

والبيعة دائما عَلى البر والتقوى، لأن عهد عَلى التّعاون عَلى البر التقوى ولا يجوز البيعة عَلى الإثم والعدوان، كمن يتعاهدون عهدا خاصا ثمّ يطلب من المبايع بعد فترة أن يعمل أعمالا لا يرضاها الله، ولا تقرها الشّريعة كمقاطعة فلان، والتجسس عَلى فلان وتتبع عورات الآخرين.

يجوز للمسلم أن يعطي عدّة بيعات لعدة أشخاص، فيعطي الشَّيْخ بيعة أن يجاهد معه، والآخرين بيعة أن يتلقى العلم عَلى يديه ويتربى عَلى يديه، ولا معارضة بين هذه البيعات، ولا يجوز لأحد أن يفرض طاعته في كلّ شيء عَلى من عاهد عَلى شيء ولا يجوز لأحد أن يحتج ببيعته ليمنع المبايع من عمل بر نص

---

(١) رواه البخاري (٢٩٥٩).

(٢) رواه البخاري (٢٩٦٠، ٧٢٠٨) واللفظ له، ومسلم (١٨٠٧) من حديث طويل.

(٣) رواه أبو داود (١٦٤٣) والنسائي (٢٥٩٠) وأحمد (٢٢٣٦٦، ٢٢٣٨٥) وابن ماجه (١٨٣٧) وصححه الألباني.

عليه الكتاب والسنة كالجِهَاد في سبيل الله مثلا، لأن البيعة عندئذ تنقلب إلى بيعة عَلى الإثم «وإنما الطاعة بالمعروف»[١] «ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[٢]].أهـ.[٣]

- **أحكام الشّهِيد:**

في فقرة " الشّهِيد وأحكامه " من موسوعة الخائر..للشيخ عبدالله عزام رحمه الله تفاصيل مفيدة نقل منها هنا باختصار ما يلي:

[سبب تسميته شهيداً:

قَالَ الأزهري: (لأن الله تَعَالَى ورسوله ﷺ شهدا له بالجنة).

وقيل: الشّهِيد: الحي، فسموا كذلك لأَنّهم أحياء عند ربّهم، وقيل لأن ملائكة الرحمة يشهدونه فيقبضون روحه، وقيل: لأنه شهد له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله، وقيل لأن روحه تشهد دار السَّلام { حال وفاته } وروح غيره لا تشهدها إلا يوم القيامة.

تعريف الشّهِيد:

– عند الشّافعية: (الشّهِيد الّذي لا يغسل ولا يصلى عليه: هو الّذي مات بسبب قتال الكفّار حال قيام القِتَال سواء قتله كافر أو أصابه سلاح مسلم خطأ، أو عاد إليه سلاح نفسه، أو سقط عن فرسه، أو رمحته دابته فمات، أو وطئته دواب المُسلِمِين، أو غيرهم، أو أصابه سهم لا يعرف هل رمى به مسلم أو كافر، أو وجد قتيلا عند انكشاف الحَرب ولم يعرف سبب موته، وسواء كانَ عليه أثر دم أم لا، وسواء مات في الحال، أم بقي زمنا ثمّ مات بذلك السبب بعد انقضاء الحَرب، وسواء أكل وشرب ووصى، أم لم يفعل شيئا من ذلك، وهذا كله متفق عليه عندنا..نص عليه الشّافعي).

– عند الحنفية: (الشّهِيد هو كلّ مكلف مسلم طاهر قتل ظلما بجارحة ولم يجب بنفس القتل مال ولم يرتث).

---

(١) رواه البخاري (٧١٤٥، ٧٢٥٧) ومسلم (١٨٤٠).

(٢) رواه البخاري (٧٢٥٧، ٤٣٤٠) ومسلم (١٨٤٠) واللفظ لأحمد (١٠٩٥).

(٣) الذخائر (ج١-٢٦٣).

شروط الشَّهَادة:

١- أن يكون القِتَال في سبيل الله: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله»[١]متفق عليه. وهذا نص ضابط فكل من كانَ قصده نصرة الإِسْلَام ثمّ قتل فهو شهيد وإلا فلا.

٢-الصّبر: «إن قُتلتَ صابرًا محتسبًا مُقبِلاً غيرَ مدبر، كفَّر الله خطاياكَ إلَّا الدّين»[٢]، والصابر هو المقبل عَلى العدوّ لصبورته وقلبه، ولا يضره مع ذلك أن يجد ألما في قلبه وكراهية للموت وفراق الأهل. والصّبر عَلى العِبَادة فعلها بشروطها.

٣- الإقبال وليس الإدبار.

٤- عدم الغلول: ﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ حاملا غله عَلى ظهره، والغلول هو السرقة من الغنائم قبل القسمة، وفي البُخَارِيّ[٣]: **عن عبدالله بن عمرو** رضي الله عنهما: **(كانَ عَلى ثقل النبيّ** ﷺ **رجل يقال له كركرة فمات، فقال النبيّ** ﷺ: «هو في النَّار» **فذهبوا ينظرون فوجدوا عباءة قد غلها)**.

أثر الدّين في الشَّهَادة وتكفير الخطايا:

الدّين لا يؤثر في الشَّهَادة، ولكن تكفير الخطايا كلها قد يؤثر فيه الدّين، **(قَالَ النووي: (إلا الدّين).. فيه تنبيه عَلى جميع حقوق الآدميين، وإنما تكفر حقوق الله تَعَالَى.**

وكذلك قَالَ ابن عبد البر: وقد ذكر القرطبي شرطا في الدّين المانع من مغفرة الذّنوب وهو: (إذا امتنع عن أداء الحقوق مع تمكنه...) أما إذا لم يستطع قضاء الدّين مع محاولته فالمرجو من كرم الله تَعَالَى- إذا صدق قصده وصحت نيته - أن يرضي الله تَعَالَى خصومه عنه بما شاء حتَّى يدخل الجنّة.

هكذا حقوق الآدميين، أما حقوق الله تَعَالَى فالظَّاهِر أنها تغفر كلها بالشَّهَادة، وفي النوادر أن التشديدات الّتي وردت في الدّين كلها منسوخة إلا من أدان في سرف أو فساد، ونحو ذلك عن ابن شهاب، وهذا رأي المالكية.

---

(١) رواه البخاري: (٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨) ومسلم (١٩٠٤) وأصحاب السنن.

(٢) صحيح مسلم (١٨٨٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣٠٧٤).

غسل الشّهِيد:

اتفق الأئمة الأربعة عَلى أن الشّهِيد لايغسل، وهذا قول عامة أهل العلم، ولم يخالف في هذا الحكم إلا الحسن وسعيد بن المسيب وابن سريج الشّافعي، فقالوا بغسل الشّهِيد، واحتجوا بأنه: ما مات ميت إلا جنبا والجنب يجب غسله.

واحتج الجمهور بحديث جابر[1]: (**أن رسول الله ﷺ أمر بشهداء أحد بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم**)، ولأحمد[2] أن النبيّ ﷺ قَالَ في قتلى أحد: «**لاتغسلوهم فإن كلّ جرح أو كلّ دم يفوح مسكا يوم القيامة، ولم يصل عليهم**».

ورأي الجمهور أرجح للأدلة الصَّحِيحة الّتي تكاد تصل إلى حد التواتر.

الصّلاة عَلى الشّهِيد:

اختلف العُلَماء في الصّلاة عَلى الشّهِيد عَلى رأيين:

الأوّل: - وهو رأي الجمهور- إنه لا يصلى عليه، وهو قول مالك والشّافعي وجمهور الحنابلة.

الثّاني: وهو رأي الحنفية والثّوريّ ورواية عن أحمد أنه يصلى عليه، وهو رأي الحسن البصري وسعيد بن المسيب.

هل يقال لفلان شهيد:

عندما نقول أن فلان شهيد: أي نعامله معاملة الشّهداء في الدُّنيَا من حيث ترك الغسل والصّلاة عليه، ولكننا لا نشهد لأحد بجنة ولا بنار لأن القلوب بيد الله وله غيب السموات والأرض وإليه يرجع المر كله.

وهو الّذي درج عليه المُؤلّفون من أهل السّير والمغازي والمعارك الإِسْلَاميّة فيقولون شهداء أحد وحنين واليرموك والقادسية...

أقسام الشّهِيد:

١- شهيد الدُّنيَا والآخرة: وهو المسلم الّذي قتل في المَعْرَكة مع الكفّار، وهو يقاتل لتكون كلمة الله هيَ العليا.

---

(١) رواه البخاري (١٣٤٥، ١٣٤٧، ١٣٥٣، ٤٠٧٩)

(٢) رواه أحمد (١٤١٨٩) وصححه الأرنؤوط.

٢- شهيد الدُّنيَا: المسلم الّذي يقاتل في المَعْرَكة ضدّ الكفّار ولكنه يقاتل حمية ورياء، (وهذا يعامل بأحكام الشّهِيد من قبل النّاس).

٣- شهيد الآخرة: الّذي يأخذ أجر الشَّهَادة ولا يعامل معاملة الشّهِيد، فيغسل ويكفن ويصلى عليه..مثل الميت في طريق الهِجرَة والجِهَاد، والمبطون، والغريق..

من أنواع الشّهداء:

(الغريق، الحريق، الغريب، المهدوم عليه، المبطون، المطعون، النّفساء، الميت ليلة الجمعة، صاحب ذات الجنب، من مات بطلب العلم، المراة الحامل والسل، الصرع والحمى، من مات دون ماله أو دمه، افتراس السبع، **حبس السُّلطَان، بالضرب، من مات متواريا (مختفيا من السُّلطَان)**، أو لدغته هامة، المؤذن المحتسب والتاجر الصدوق والمائد في البحر، من ماتت صابرة عَلَى الغيرة، من صلى الضحى وصام ثلاثة أيّام كلّ شهر ولم يترك الوتر سفرا ولا حضرا، المتمسك بسنته ﷺ، من قَالَ في مرضه أربعين مرّة ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من مات مرابطا، من قرأ كلّ ليلة سورة (يس)، من صرع عن دابة فمات، من طلب الشَّهَادة صادقا، من مات يوم الجمعة، من جاب طعاما إلى مصر من الأمصار، من اغتسل بالثلوج فمات)

جاء في أوجز المسالك إلى موطأ الإِمَام مالك..(٤/ ٢٦٧): (ذكر الحافظ في ٢٧ منها أنها طريقها جيدة)..(فكل من كثرت أسباب شهادته زيد له في سعادته).

المرتث:

وهو من حمل رثيثا (جريحا) من المَعْرَكة وبه رمق، وقد اتفق الفقهاء أن المرتث لا يعامل معاملة الشّهِيد كما فعل رسول الله بسعد بن معاذ، وقد غسله وصلى عليه، وكما فعل الصّحابة بعمر رضي الله عنه.

ويكاد الفقهاء يتفقون أن المرتث: من حمل من أرض المَعْرَكة جريحا وفعل فعل الأحياء كالأكل، وكتابة الوصية، أو مضى عليه وقت صلاة وهو يعقل، وقدر عَلَى أدائها، أما إذا فعل هذا والمَعْرَكة مستمرة وهو في أرض المَعْرَكة فإنه ليس مرتثا.

وأما منفوذ المقاتل (بأن كانَ جرحه عميقا قاتلا ولا يرجى برؤه) فإنه يعامل كالشّهِيد ولو أكل وأوصى.وكذلك الّذي ينقل مغمورا (مغمى عليه)، فيعامل معاملة الشّهِيد ولو بقي أيّاما، فإذا شروط المرتث:

١- أن ينقل من أرض المَعْرَكة جريحا.

٢- أن يفعل فعل الأحياء كالأكل والبيع أو كتابة الوصية.

٣- أن لا يكون جرحه قاتلا.

٤- أن لا يكون مغمورا (مغمى عليه).

٥- وما لم تجتمع هذه الشُّرُوط الأربعة فإنه يعامل معاملة الشّهِيد.] أهـ.[1]

{ أقول بعد هذه المختارات الفقهيّة الجهاديّة:

أنه وبشكل عام يجب أن يكون للمُجَاهد أرضيته المعرفية الشَّرعيَّة عامة، وأنصح من أجل ذلك أن يطالع بعض الكتب – وبإشراف موجه لمن تيسر له ذلك – لتحصيل ثقافة إسلاميّة شرعيّة أولية فيما يلي:

- كتاب في العَقِيْدَة، وأنصح بكتاب العَقِيْدَة الطحاوية للإمام ابن أبي العز الحنفي.
- كتاب في تفسير القرآن، مثل تفسير ابن كثير، وأنصح أن يضم إليه كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب رحمه الله.
- كتاب مختصر في الحديث الشريف مثل كتاب رياض الصّالحين.
- كتاب مختصر في السيرة النّبويّة وأنصح بكتاب (الرحيق المختوم).
- كتاب مختصر في أصول الفقه.
- كتاب مختصر في مصطلح الحديث.
- كتاب في فقه العِبَادات، وأنصح أن يكون عَلى أحد المذاهب الأربعة، ولا سيما المعروفة في مكان عيشه وإقامته.

---

(١) (الذخائر/ ج١- ٣١٤).

- كتاب في الرّقائق والسُّلُوك. وأنصح بكتاب صفة الصفوة وكتاب الترغيب والترهيب

- كتاب الأذكار للنووي.

- كتاب في السّياسة الشَّرعيَّة مثل كتاب الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء.

- وأنصح باقتناء وقراءة كتاب زاد المعاد للإمام ابن القيم فهو كتاب جامع في هدي الرَّسُول ﷺ.

(٢) المجال الثّاني في التّربية:

الأدب والعِبَادات والأخلاق والرّقائق

الآداب العامّة:

قَالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

[قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: أَدِّبُوهُمْ وَعَلِّمُوهُمْ، وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ مُؤْذِنَةٌ بِالِاجْتِمَاعِ، فَالْأَدَبُ: اجْتِمَاعُ خِصَالِ الْخَيْرِ فِي الْعَبْدِ، وَمِنْهُ الْمَأْدُبَةُ؛ وَهِيَ الطَّعَامُ الَّذِي يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ النَّاسُ.

وَعِلْمُ الْأَدَبِ: هُوَ عِلْمُ إِصْلَاحِ اللِّسَانِ وَالْخِطَابِ، وَإِصَابَةِ مَوَاقِعِهِ، وَتَحْسِينِ أَلْفَاظِهِ، وَصِيَانَتِهِ عَنِ الْخَطَأِ وَالْخَلَلِ؛ وَهُوَ شُعْبَةٌ مِنَ الْأَدَبِ الْعَامِّ، وَالله أَعْلَمُ.

وَالْأَدَبُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: أَدَبٌ مَعَ الله سُبْحَانَهُ، وَأَدَبٌ مَعَ رَسُولِهِ ﷺ وَشَرْعِهِ، وَأَدَبٌ مَعَ خَلْقِهِ.

أولاً: فَالْأَدَبُ مَعَ الله ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: صِيَانَةُ مُعَامَلَتِهِ أَنْ يَشُوبَهَا بِنَقِيصَةٍ، الثَّانِي: صِيَانَةُ قَلْبِهِ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِهِ، الثَّالِثُ: صِيَانَةُ إِرَادَتِهِ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِمَا يَمْقُتُكَ عَلَيْهِ.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ: (الْعَبْدُ يَصِلُ بِطَاعَةِ الله إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَصِلُ بِأَدَبِهِ فِي طَاعَتِهِ إِلَى الله)، وَقَالَ: (رَأَيْتُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ فِي الصَّلَاةِ إِلَى أَنْفِهِ فَقَبَضَ عَلَى يَدِهِ)، وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: الْأَدَبُ الْوُقُوفُ مَعَ الْمُسْتَحْسَنَاتِ، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا مَعْنَاهُ؟ فَقَالَ: أَنْ تُعَامِلَهُ سُبْحَانَهُ بِالْأَدَبِ سِرًّا وَعَلَنًا، ثُمَّ أَنْشَدَ:

إِذَا نَطَقَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلَاحَةٍ ۞ وَإِنْ سَكَتَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلِيحِ

وَقَالَ ابْنُ مُبَارَكٍ: (نَحْنُ إِلَى قَلِيلٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ).

وَسُئِلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَنْفَعِ الْأَدَبِ؟ فَقَالَ: التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ، وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَا لِلهِ عَلَيْكَ.

وَقَالَ سَهْلٌ: (الْقَوْمُ اسْتَعَانُوا بِالله عَلَى مُرَادِ الله. وَصَبَرُوا للهِ عَلَى آدَابِ الله)، وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: طَلَبْنَا الْأَدَبَ حِينَ فَاتَنَا الْمُؤَدِّبُونَ وَقَالَ أَبُو حَفْصٍ - لَمَّا قَالَ لَهُ الْجُنَيْدُ: لَقَدْ أَدَّبْتَ أَصْحَابَكَ أَدَبَ السَّلَاطِينِ - فَقَالَ: حُسْنُ الْأَدَبِ فِي الظَّاهِرِ عُنْوَانُ حُسْنِ الْأَدَبِ فِي الْبَاطِنِ، فَالْأَدَبُ مَعَ الله حُسْنُ الصُّحْبَةِ مَعَهُ، وَبِإِيقَاعِ الْحَرَكَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ عَلَى مُقْتَضَى التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ وَالْحَيَاءِ، كَحَالِ مَجَالِسِ الْمُلُوكِ وَمُصَاحِبِهِمْ.

وَقَالَ أَبُو نَصْرٍ السَّرَّاجُ: (النَّاسُ فِي الْأَدَبِ عَلَى ثَلَاثِ طَبَقَاتٍ؛ أَمَّا أَهْلُ الدُّنْيَا: فَأَكْثَرُ آدَابِهِمْ: فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَحِفْظِ الْعُلُومِ، وَأَسْمَارِ الْمُلُوكِ، وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ، وَأَمَّا أَهْلُ الدِّينِ: فَأَكْثَرُ آدَابِهِمْ: فِي طَهَارَةِ الْقُلُوبِ، وَمُرَاعَاةِ الْأَسْرَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَحِفْظِ الْوَقْتِ، وَقِلَّةِ الِالْتِفَاتِ إِلَى الْخَوَاطِرِ، وَحُسْنِ الْأَدَبِ، فِي مَوَاقِفِ الطَّلَبِ، وَأَوْقَاتِ الْحُضُورِ، وَمَقَامَاتِ الْقُرْبِ)، قَالَ سَهْلٌ: مَنْ قَهَرَ نَفْسَهُ بِالْأَدَبِ فَهُوَ يَعْبُدُ اللهَ بِالْإِخْلَاصِ، وَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ الْمُبَارَكِ: قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ الْقَوْلَ فِي الْأَدَبِ وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّهُ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ وَرُعُونَاتِهَا، وَتَجَنُّبُ تِلْكَ الرُّعُونَاتِ.

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ: (إِذَا صَحَّتِ الْمَحَبَّةُ تَأَكَّدَتْ عَلَى الْمُحِبِّ مُلَازَمَةُ الْأَدَبِ)

وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ كَمَالُ هَذَا الْخُلُقِ إِلَّا لِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ.

وَمِنْ هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ الرَّجُلَ: أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَتَهُ، وَإِنْ كَانَ خَالِيًا لَا يَرَاهُ أَحَدٌ، أَدَبًا مَعَ الله، عَلَى حَسَبِ الْقُرْبِ مِنْهُ، وَتَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ، وَشِدَّةِ الْحَيَاءِ مِنْهُ، وَمَعْرِفَةِ وَقَارِهِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْزَمِ الْأَدَبَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَمَا أَسَاءَ أَحَدٌ الْأَدَبَ فِي الظَّاهِرِ إِلَّا عُوقِبَ ظَاهِرًا، وَمَا أَسَاءَ أَحَدٌ الْأَدَبَ بَاطِنًا إِلَّا عُوقِبَ بَاطِنًا.

وَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ تَهَاوَنَ بِالْأَدَبِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِ السُّنَنِ، وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالسُّنَنِ، عُوقِبَ بِحِرْمَانِ الْفَرَائِضِ، وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْفَرَائِضِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِ الْمَعْرِفَةِ، وَحَقِيقَةُ الْأَدَبِ اسْتِعْمَالُ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ، وَلِهَذَا كَانَ الْأَدَبُ: اسْتِخْرَاجَ مَا فِي الطَّبِيعَةِ مِنَ الْكَمَالِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ.

فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هَيَّأَ الْإِنْسَانَ لِقَبُولِ الْكَمَالِ بِمَا أَعْطَاهُ مِنَ الْأَهْلِيَّةِ وَالِاسْتِعْدَادِ، الَّتِي جَعَلَهَا فِيهِ كَامِنَةً كَالنَّارِ فِي الزِّنَادِ، فَأَلْهَمَهُ وَمَكَّنَهُ، وَعَرَّفَهُ وَأَرْشَدَهُ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ إِلَيْهِ كُتُبَهُ لِاسْتِخْرَاجِ تِلْكَ الْقُوَّةِ الَّتِي أَهَّلَهُ بِهَا لِكَمَالِهِ إِلَى الْفِعْلِ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن

زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ [الشمس]، فَعَبَّرَ عَنْ خُلُقِ النَّفْسِ بِالتَّسْوِيَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الِاعْتِدَالِ وَالتَّمَامِ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ قَبُولِهَا لِلْفُجُورِ وَالتَّقْوَى، وَأَنَّ ذَلِكَ نَالَهَا مِنْهُ امْتِحَانًا وَاخْتِبَارًا، ثُمَّ خَصَّ بِالْفَلَاحِ مَنْ زَكَّاهَا فَنَمَّاهَا وَعَلَّاهَا، وَرَفَعَهَا بِآدَابِهِ الَّتِي أَدَّبَ بِهَا رُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ، وَهِيَ التَّقْوَى، ثُمَّ حَكَمَ بِالشَّقَاءِ عَلَى مَنْ دَسَّاهَا فَأَخْفَاهَا وَحَقَّرَهَا، وَصَغَّرَهَا وَقَمَعَهَا بِالْفُجُورِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الْأَدَبَ مَعَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هُوَ الْقِيَامُ بِدِينِهِ، وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَلَا يَسْتَقِيمُ لِأَحَدٍ قَطُّ الْأَدَبُ مَعَ اللهِ إِلَّا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: مَعْرِفَتُهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَعْرِفَتُهُ بِدِينِهِ وَشَرْعِهِ، وَمَا يُحِبُّ وَمَا يَكْرَهُ، وَنَفْسٌ مُسْتَعِدَّةٌ قَابِلَةٌ لَيِّنَةٌ، مُتَهَيِّئَةٌ لِقَبُولِ الْحَقِّ عِلْمًا وَعَمَلًا وَحَالًا، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

ثانيا: وَأَمَّا الْأَدَبُ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ فَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ بِهِ:

فَرَأْسُ الْأَدَبِ مَعَهُ: كَمَالُ التَّسْلِيمِ لَهُ، وَالِانْقِيَادُ لِأَمْرِهِ، وَتَلَقِّي خَبَرِهِ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ، دُونَ أَنْ يُحَمِّلَهُ مُعَارَضَةَ خَيَالٍ بَاطِلٍ، يُسَمِّيهِ مَعْقُولًا، أَوْ يُحَمِّلَهُ شُبْهَةً أَوْ شَكًّا، أَوْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ آرَاءَ الرِّجَالِ، وَزُبَالَاتِ أَذْهَانِهِمْ، فَيُوَحِّدُهُ بِالتَّحْكِيمِ وَالتَّسْلِيمِ، وَالِانْقِيَادِ وَالْإِذْعَانِ، كَمَا وَحَّدَ الْمُرْسِلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ، وَالْإِنَابَةِ وَالتَّوَكُّلِ، فَهُمَا تَوْحِيدَانِ، لَا نَجَاةَ لِلْعَبْدِ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِلَّا بِهِمَا: تَوْحِيدُ الْمُرْسِلِ، وَتَوْحِيدُ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ فَلَا يُحَاكِمُ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا يَرْضَى بِحُكْمِ غَيْرِهِ، وَلَا يَقِفُ تَنْفِيذُ أَمْرِهِ، وَتَصْدِيقُ خَبَرِهِ، عَلَى عَرْضِهِ عَلَى قَوْلِ شَيْخِهِ وَإِمَامِهِ، وَذَوِي مَذْهَبِهِ وَطَائِفَتِهِ، وَمَنْ يُعَظِّمُهُ.

وَمِنَ الْأَدَبِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ: أَنْ لَا يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ، وَلَا إِذْنٍ وَلَا تَصَرُّفٍ، حَتَّى يَأْمُرَ هُوَ، وَيَنْهَى وَيَأْذَنَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات: ١]، وَهَذَا بَاقٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَمْ يُنْسَخْ، فَالتَّقَدُّمُ بَيْنَ يَدَيْ سُنَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، كَالتَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا عِنْدَ ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ.

قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللهُ: لَا تَفْتَاتُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: تَقُولُ الْعَرَبُ: لَا تُقَدِّمْ بَيْنَ يَدَيِ الْإِمَامِ وَبَيْنَ يَدَيِ الْأَبِ، أَيْ لَا تُعَجِّلُوا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ دُونَهُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا تَأْمُرُوا حَتَّى يَأْمُرَ، وَلَا تَنْهُوا حَتَّى يَنْهَى.

وَمِنَ الْأَدَبِ مَعَهُ: أَنْ لَا تُرْفَعَ الْأَصْوَاتُ فَوْقَ صَوْتِهِ، فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِحُبُوطِ الْأَعْمَالِ فَمَا الظَّنُّ بِرَفْعِ الْآرَاءِ، وَنَتَائِجِ الْأَفْكَارِ عَلَى سُنَّتِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ؟ أَتُرَى ذَلِكَ مُوجِبًا لِقَبُولِ الْأَعْمَالِ، وَرَفْعُ الصَّوْتِ فَوْقَ صَوْتِهِ مُوجِبٌ لِحُبُوطِهَا؟

وَمِنَ الْأَدَبِ مَعَهُ: أَنْ لَا يُسْتَشْكَلَ قَوْلُهُ: بَلْ تُسْتَشْكَلُ الْآرَاءُ لِقَوْلِهِ: وَلَا يُعَارَضُ نَصُّهُ بِقِيَاسٍ بَلْ تُهْدَرُ الْأَقْيِسَةُ وَتُلْقَى لِنُصُوصِهِ، وَلَا يُحَرَّفُ كَلَامُهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِخَيَالٍ يُسَمِّيهِ أَصْحَابُهُ مَعْقُولًا، نَعَمْ هُوَ مَجْهُولٌ، وَعَنِ الصَّوَابِ مَعْزُولٌ، وَلَا يُوقَفُ قَبُولُ مَا جَاءَ بِهِ ﷺ عَلَى مُوَافَقَةِ أَحَدٍ، فَكُلُّ هَذَا مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ مَعَهُ ﷺ، وَهُوَ عَيْنُ الْجُرْأَةِ.

ثالثا: الْأَدَبُ مَعَ الْخَلْقِ:

وَأَمَّا الْأَدَبُ مَعَ الْخَلْقِ: فَهُوَ مُعَامَلَتُهُمْ - عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ - بِمَا يَلِيقُ بِهِمْ، فَلِكُلِّ مَرْتَبَةٍ أَدَبٌ، وَالْمَرَاتِبُ فِيهَا أَدَبٌ خَاصٌّ، فَمَعَ الْوَالِدَيْنِ: أَدَبٌ خَاصٌّ وَلِلْأَبِ مِنْهُمَا: أَدَبٌ هُوَ أَخَصُّ بِهِ، وَمَعَ الْعَالِمِ: أَدَبٌ آخَرُ، وَمَعَ السُّلْطَانِ: أَدَبٌ يَلِيقُ بِهِ، وَلَهُ مَعَ الْأَقْرَانِ أَدَبٌ يَلِيقُ بِهِمْ، وَمَعَ الْأَجَانِبِ: أَدَبٌ غَيْرُ أَدَبِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ وَذَوِي أُنْسِهِ، وَمَعَ الضَّيْفِ: أَدَبٌ غَيْرُ أَدَبِهِ مَعَ أَهْلِ بَيْتِهِ.

وَلِكُلِّ حَالٍ أَدَبٌ: فَلِلْأَكْلِ آدَابٌ، وَلِلشُّرْبِ آدَابٌ، وَلِلرُّكُوبِ وَالدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ وَالسَّفَرِ وَالْإِقَامَةِ وَالنَّوْمِ آدَابٌ، وَلِلْبَوْلِ آدَابٌ، وَلِلْكَلَامِ آدَابٌ، وَلِلسُّكُوتِ وَالِاسْتِمَاعِ آدَابٌ.

وَأَدَبُ الْمَرْءِ: عُنْوَانُ سَعَادَتِهِ وَفَلَاحِهِ، وَقِلَّةُ أَدَبِهِ: عُنْوَانُ شَقَاوَتِهِ وَبَوَارِهِ.

فَمَا اسْتُجْلِبَ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِثْلِ الْأَدَبِ، وَلَا اسْتُجْلِبَ حِرْمَانُهُمَا بِمِثْلِ قِلَّةِ الْأَدَبِ، فَانْظُرْ إِلَى الْأَدَبِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ: كَيْفَ نَجَّى صَاحِبَهُ مِنْ حَبْسِ الْغَارِ حِينَ أَطْبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ؟ وَالْإِخْلَالُ بِهِ مَعَ الْأُمِّ - تَأْوِيلًا وَإِقْبَالًا عَلَى الصَّلَاةِ - كَيْفَ امْتُحِنَ صَاحِبُهُ بِهَدْمِ صَوْمَعَتِهِ وَضَرْبِ النَّاسِ لَهُ، وَرَمْيِهِ بِالْفَاحِشَةِ؟

وَتَأَمَّلْ أَحْوَالَ كُلِّ شَقِيٍّ وَمُغْتَرٍّ وَمُدْبِرٍ: كَيْفَ تَجِدُ قِلَّةَ الْأَدَبِ هِيَ الَّتِي سَاقَتْهُ إِلَى الْحِرْمَانِ؟

وَانْظُرْ قِلَّةَ أَدَبِ عَوْفٍ مَعَ خَالِدٍ: كَيْفَ حَرَمَهُ السَّلْبَ بَعْدَ أَنْ بَرَدَ بِيَدَيْهِ؟

وَانْظُرْ أَدَبَ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ: أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: مَا كَانَ يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَيْفَ أَوْرَثَهُ مَقَامَهُ وَالْإِمَامَةَ بِالْأُمَّةِ بَعْدَهُ؟ فَكَانَ ذَلِكَ التَّأَخُّرُ إِلَى

خَلْفِهِ - وَقَدْ أَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنِ اثْبُتْ مَكَانَكَ - جَمْزًا، وَسَعْيًا إِلَى قُدَّامَ؟ بِكُلِّ خُطْوَةٍ إِلَى وَرَاءَ مَرَاحِلُ إِلَى قُدَّامَ، تَنْقَطِعُ فِيهَا أَعْنَاقُ الْمَطِيِّ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

[ومن الأمور الهامة في تربية المُجَاهدين وشباب الإِسْلَام عموما، ما أورده ابن القيم عند قوله]:

قَالَ صَاحِبُ " الْمَنَازِلِ ":

الْأَدَبُ: (حِفْظُ الْحَدِّ، بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ، بِمَعْرِفَةِ ضَرَرِ الْعُدْوَانِ).

هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْحُدُودِ، فَإِنَّ الِانْحِرَافَ إِلَى أَحَدِ طَرَفَيِ الْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ: هُوَ قِلَّةُ الْأَدَبِ، وَالْأَدَبُ: الْوُقُوفُ فِي الْوَسَطِ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، فَلَا يُقَصِّرُ بِحُدُودِ الشَّرْعِ عَنْ تَمَامِهَا، وَلَا يَتَجَاوَزُ بِهَا مَا جُعِلَتْ حُدُودًا لَهُ، فَكِلَاهُمَا عُدْوَانٌ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَالْعُدْوَانُ: هُوَ سُوءُ الْأَدَبِ، وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: دِينُ اللهِ بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ.

فَإِضَاعَةُ الْأَدَبِ بِالْجَفَاءِ: كَمَنْ لَمْ يُكْمِلْ أَعْضَاءَ الْوُضُوءِ، وَلَمْ يُوفِّ الصَّلَاةَ آدَابَهَا الَّتِي سَنَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَفَعَلَهَا، وَهِيَ قَرِيبٌ مِنْ مِائَةِ أَدَبٍ: مَا بَيْنَ وَاجِبٍ وَمُسْتَحَبٍّ، وَإِضَاعَتُهُ بِالْغُلُوِّ: كَالْوَسْوَسَةِ فِي عَقْدِ النِّيَّةِ، وَرَفْعِ الصَّوْتِ بِهَا، وَالْجَهْرِ بِالْأَذْكَارِ وَالدَّعَوَاتِ الَّتِي شُرِعَتْ سِرًّا، وَتَطْوِيلِ مَا السُّنَّةُ تَخْفِيفُهُ وَحَذْفُهُ، كَالتَّشَهُّدِ الْأَوَّلِ وَالسَّلَامِ الَّذِي حَذْفُهُ سُنَّةٌ، وَزِيَادَةِ التَّطْوِيلِ عَلَى مَا فَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا عَلَى مَا يَظُنُّهُ سُرَّاقُ الصَّلَاةِ وَالنَّقَّارُونَ لَهَا وَيَشْتَهُونَهُ، وَمِثَالُ هَذَا التَّوَسُّطُ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: أَنْ لَا يَغْلُوَ فِيهِمْ، كَمَا غَلَتِ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ، وَلَا يَجْفُوَ عَنْهُمْ، كَمَا جَفَتِ الْيَهُودُ، فَالنَّصَارَى عَبَدُوهُمْ، وَالْيَهُودُ قَتَلُوهُمْ وَكَذَّبُوهُمْ، وَالْأُمَّةُ الْوَسَطُ: آمَنُوا بِهِمْ، وَعَزَّرُوهُمْ وَنَصَرُوهُمْ، وَاتَّبَعُوا مَا جَاءُوا بِهِ، وَمِثَالُ ذَلِكَ فِي حُقُوقِ الْخَلْقِ: أَنْ لَا يُفَرِّطَ فِي الْقِيَامِ بِحُقُوقِهِمْ، وَلَا يَسْتَغْرِقَ فِيهَا، بِحَيْثُ يَشْتَغِلُ بِهَا عَنْ حُقُوقِ اللهِ، أَوْ عَنْ تَكْمِيلِهَا، أَوْ عَنْ مَصْلَحَةِ دِينِهِ وَقَلْبِهِ، وَأَنْ لَا يَجْفُوَ عَنْهَا حَتَّى يُعَطِّلَهَا بِالْكُلِّيَّةِ، فَإِنَّ الطَّرَفَيْنِ مِنَ الْعُدْوَانِ الضَّارِّ، وَعَلَى هَذَا الْحَدِّ، فَحَقِيقَةُ الْأَدَبِ: هِيَ الْعَدْلُ، وَاللهُ أَعْلَمُ] أهـ، (١)

---

(١) (مدارج السالكين: «٢/ ٣٦٨»- منزلة الأدب - باختصار).

أداب الإلفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخَلْق:

قَالَ الإِمَام الغزالي رحمه الله:

[الحَمْدُ لله الّذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتنانا، وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدُّنيَا أصدقاء وأخدانا، وفي الآخرة رفقاء وخلانا والصّلاة والسَّلام عَلى محمّد المصطفى وعلى آله وأصحابه الّذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا وإحسانا أما بعد:

فإن التحاب في الله تَعَالَى والأخوة في دينه من أفضل القربات وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تَعَالَى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدرات ونزغات الشّيطان فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة أبواب البَاب الأوّل في فضيلة الألفة والأخوة في الله تَعَالَى وشروطها ودرجاتها وفوائدها البَاب الثّاني في حقوق الصحبة وآدابها وحقيقتها ولوازمها، البَاب الثّالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفِيَّة المعاشرة مع من قد بلى بهذه الأسباب.

البَاب الأوّل: في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها :

اعْلَمْ أَنَّ الْأُلْفَةَ ثَمَرَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالتَّفَرُّقَ ثَمَرَةُ سُوءِ الْخُلُقِ فَحُسْنُ الْخُلُقِ يُوجِبُ التَّحَابَّ وَالتَّآلُفَ وَالتَّوَافُقَ وَسُوءُ الْخُلُقِ يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كانَ المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تخفى في الدِّينِ فَضِيلَتُهُ وَهُوَ الَّذِي مَدَحَ الله سُبْحَانَهُ بِهِ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ قَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، وقال النبيّ ﷺ: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ تَقْوَى الله وَحُسْنُ الْخُلُقِ»(١)، وقال أُسَامَة بن شريك قلنا يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان فقال: «خُلُقٌ حَسَنٌ»(٢)، وقال ﷺ: «بُعِثْتُ

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٤) وابن ماجة (٤٢٤٦) وأحمد (٧٩٠٧، ٩٠٩٦) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه ابن ماجة (٣٤٣٦) وأحمد (١٨٤٥٤) وصححه الألباني والأرنؤوط.

لِأُتَمِّمَ محَاسِنَ الأَخْلاقِ»(١)، وقال ﷺ: «أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي المِيزَانِ خُلُقٌ حَسَنٌ»(٢)، وقال ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيرَةَ عَلَيْكَ بِحُسنِ الخُلُق»»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَة رضي الله عنه: وَمَا حُسْنُ الخلُقِ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «تَصِلُ مَنْ قَطَعَك وتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَك وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَك»(٣)، ولا يخفي أن ثمرة الخلق الحسن الألفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة وكيف وقد ورد في الثناء عَلى نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هيَ التقوى والدّين وحب الله من الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع قَالَ الله تَعَالَى مُظهراً عظيمَ مِنّتِه عَلى الخلق بنعمةِ الألفة: ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الأنفال: ٦٣] وقال: ﴿فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣] أي بالألفة ثمّ ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران]، وقال ﷺ: «إِنَّ أقربَكُم مِنِّي مجلِسَاً أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ»(٤)، وقال ﷺ في الثناء عَلى الأخوة في الدّين: «مَنْ أَرَادَ الله بِهِ خَيْرًا رَزَقَهُ خَلِيلًا صَالِحًا إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ»(٥)، وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ: إِنّي أحبك في الله، فقال: له أبشر ثمّ أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تنصب لطائفة من النَّاس كراسي حول الْعَرْش يَوْم الْقِيَامَة وُجُوههم كَالْقَمَرِ لَيْلَة الْبَدْر، يفزع النَّاس وهم لَا يفزعون وَيخَاف النَّاس وهم لَا يخَافُونَ وهم أَوْلِيَاء الله الَّذين لَا

---

(١) رواه أحمد (٨٩٥٢) والحاكم (٤٢٢١) وصححه، بلفظ: «لأتمِّم صالح الأخلاق» والبيهقي(٢٠٧٨٢) واللفظ له، وصححه الألباني (الصحيحة ٤٥).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٩٩) والترمذي (٢٠٠٢، ٢٠٠٣) وأحمد (٢٧٤٩٦، ..) وصححه الألباني.

(٣) قال العراقي: (رواه البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن أبي هريرة ولم يسمع منه). ولم أقف عليه عند البيهقي بهذا السند، وقد ورد طرف الحديث «قال: تَصِلُ مَنْ قَطَعَك و..و » من طرق أخرى عند البيهقي وغيره وكلها ضعيفة.

(٤) رواه الطبراني في مكارم الأخلاق (٦) من حديث جابر بسند ضعيف. وروى بمعناه في الأوسط (٤٤٢٢) بسند حسنه الألباني بلفظ: « أكمل المؤمنين إيمانا.....».

(٥) غريب بهذا اللفظ، والمعروف أن ذلك في الأمير، رواه أبو داود (٢٩٣٢) وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها بسند صححه الألباني: «إذا أرادَ اللهُ بالأميرِ خيراً جعَلَ لَهُ وَزيرَ صِدقٍ إنْ نَسِيَ ذكَّرهُ وإنْ ذكَرَ أعانَهُ.. الحديث»

خوف عَلَيْهِم وَلَا هم يَحْزَنُونَ، فَقيل: من هَؤُلَاءِ يَا رَسُول الله؟ فَقَالَ: هُم المتَحَابُّون فِي الله تَعَالَى»[١]، وقال ﷺ: «إِنَّ الله يَقُول: حَقَّتْ مَحَبَّتِي للَّذين يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتي للَّذين يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلي، وحقَّتْ محبَّتي للَّذينَ يَتبَاذَلُونَ مِنْ أَجلي، وَحَقَّتْ محبَّتي للَّذينَ يَتنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلي»[٢]، وقال ﷺ: «إنَّ الله تَعَالَى يقولُ يَومَ القِيامَةِ: أينَ المتحابُّونَ بِجلالي اليَوْمَ أُظلُّهُم في ظِلِّي يومَ لَا ظلَّ إلَّا ظلِّي»[٣]، وقال ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظلّهم الله فِي ظلّه يَوْمَ لَا ظلّ إِلَّا ظلّه إِمَام عَادِل، وشابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله، وَرَجُل قلبُه مُتَعَلق بِالْمَسْجِدِ إِذا خرجَ مِنْهُ حَتَّى يَعود إِلَيْهِ، وَرَجُلان تحابَّا فِي الله اجْتمعَا عَلَى ذَلِك وتفرَّقا عَلَيْهِ، ورجلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيناهُ، وَرجلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَات حَسَبٍ وجمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ تَعَالَى، وَرجلٌ تصدَّق بِصَدقَة فأَخفَاهَا حَتَّى لَا تَعلَمَ شِمَالُه مَا تنْفقُ يَمِينُه»[٤].

وقال عيسى عليه السلام: «**تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قَالَ جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله**».

وقَالَ علي رضي الله عنه: (عليكم بالإخوان فإنهم عدّة في الدُّنيَا والآخرة إلا تسمع إلى قول أهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم)، وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: (والله لو صمت النَّهَار لا أفطره وقمت الليل لا أنامه وأنفقت مالي غلقا غلقا في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما نفعني ذلك شيئا)، وقال الحسن عَلى ضده: (يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من أحب فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليَهُوْد والنّصَارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم)، وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع، وقال الفضيل في بعض كلامه: (هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرَّحمٰن في داره مع النبيّين والصديقين والشّهداء

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ إلا عند الغزالي، وأصله عند أحمد (٢٢٠٣٠) وصححه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه أَحْمد (١٩٤٣٨) من حَدِيث عَمْرو بن عبسة، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد ضعيف.

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٦).

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (١٤٢٣، ٦٤٧٩، ٦٨٠٦) ومسلم (١٠٣١).

والصّالحين بأي عمل عملته بأي شهوة تركتها بأي غيظ كظمته بأي رحم قاطع وصلتها بأي زلة لأخيك غفرتها بأي قريب باعدته في الله بأي بعيد قاربته في الله).

وقال رجل لمحمّد بن واسع: إنّي لأحبك في الله فقال: (أحبك الّذي أحببتني له ثمّ حول وجهه وقال اللّهم إنّي أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض).

وقال الفضيل: (نظر الرجل إلى وجه أخيه عَلَى المودة والرحمة عبادة).] أهـ.(١)

من آداب الجِهَاد

جاء في كتاب (الذخائر العظام من مؤلفات الشَّيْخ عبدالله عزام) في مسألة آداب القِتَال وأحكامه، ما نقتطف منه مايلي:

[لقد شرع القِتَال في الإِسْلَام لنشر الدّعوة الإِسْلَاميّة، وإنقاذ البشرية من الكفر، ونقلهم من ظلمة الدُّنيَا إلى نور الآخرة، ولذا فإن القِتَال في هذا الدّين الحنيف لإزالة العقبات السّياسيّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة أمام الدّعوة الإِسْلَاميّة، بل تستطيع أن تقول أن وظيفة الجِهَاد (القِتَال): هو تحطيم الحواجز الّتي تقف دون نشر هذا الدّين في ربوع العَالَمِيّن، فإن قبل النّاس هذا الدّين فلا حاجة لإشهار سيف، ولا إراقة دماء، ولا إتلاف منشآت وأموال، لأن هذا الدّين جاء للإصلاح والإعمار لا للإتلاف والدمار.

والقتل والقتال ضرورة مفروضة عَلَى المُسلِمِين لأَنَّهم يحملون راية التّوحيد، وهم مأمورون بنشرها فوق كلّ رابية وسهل، والضروة تقدر بقدرها.

فإذا لم نستطع الدّعوة إلا بقتال الأنظمة السّياسيّة والسُّلطات القائمة قاتلناهم لأَنّهم يحولون بيننا وبين تبليغ النّاس، فإذا وقف أمامنا القوّة السّياسيّة وأصحاب والأموال وتجمعات القبائل اضطررنا لمواجهتهم بالسّلاح حتَّى يستسلموا لهذا الدّين ويفتحوا الطّريق بيننا وبين الشّعوب الّتي أمرنا بإنقاذها.

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩﴾ [الأنفال].

---

(١) عن كتاب إحياء علوم الدين باختصار: (٢/ ١٥٨-١٥٩).

فالقتال لإزالة الفتنة، وتحطيم الطغمة الّذين يعبدون النّاس لأنفسهم من دون الله، فإن استسلمت هذه الطغمة وألقت السلم فلا حاجة لإشهار السّلاح ولا ضرورة لقتل النّاس.

ولذا فإن الإِسْلَام يحرص أولاًعلى إنقاذ النّاس – حتَّى الطواغيت – من النار: من نار الجَاهِليَّة في الدُّنيَا ومن جحيم الآخرة، ولذا قَالَ النبيّ ﷺ لعلي حينما سلم له الرّاية يوم خيبر: «فَوَاللهِ لَئِن يَهتدي بِكَ رجلٌ وَاحدٌ خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمرِ النَّعَم»(١).

ومن هنا فالقتال في الإِسْلَام ضرورة لإنقاذ الشّعوب المستضعفة والقطعان المستعبدة للآلهة البشرية، فلا بُدَّ من إنزال هذ الآلهة البشرية إلى مقام العبودية وإنقاذ العبيد وتحريرهم، فإن أبت هذه الأرباب الآدمية أن تزول من عليائها فلا بُدَّ من تحطيم كبريائها وإعادتها إلى حجمها الطبيعي إلى حدها الّذي تخطته ظلما وعدوانا عَلى بحور الدِّماء وجماجم الأبرياء وأشلاء الشّهداء.

ومن هنا فإن الإِسْلَام يعلم مبادئ كبرى، ويخط خطوطا واضحة تعتبر قواعد عامة في الجِهَاد، وأهمّها: أن القِتَال لنشر الدّعوة الإِسْلَاميّة فمن لم يقف في طريقها فلا يجوز قتاله ولذا:

- لا بُدَّ من عرض الدّعوة عَلى النّاس قبل قتالهم،
- ولا يجوز قتالهم قبل تبليغهم الدّعوة.
- لا يجوز قتل الّذين لا يقاتلون ﴿وَقَـٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ﴾ وقاتل (فاعل): صيغة مشاركة، أي: يجب أن يكون الّذي يقاتله المُسلِمُون مقاتلا،
- ولا يجوز قتال الّذين ليس لهم شوكة ولا بأس ولا تخشى منهم الفتنة كالأطفال، والنِّسَاء، والمقعدين والذميين، والرهبان، والمنعزلين عن النّاس.
- ولا يجوز إتلاف الموال ولا قطع الشجر ولا حرق البيوت إلا بقدر الضَّرورة لإزالة الحواجز أمام الدّعوة.
- لا يجوز بعد القِتَال تمثيل (المثلة) ولا تشويه للموتى.
- لا يجوز بعد الاستسلام والذمة والعهد قتال ولا غدر ما وفوا بذمتهم وعهدهم

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٣٠٠٩) ومسلم (٢٤٠٦).

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ [التوبة] «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يومَ القِيَامَةِ»[1] حديث صحيح].أهـ.[2]

خطوط رئيسيَّة في آداب الجِهَاد:

رسم أبو بكر ﷺ معالم واضحة، وخطوطا واضحة في سياسة التعامل مع الكفّار أثناء الجِهَاد، فقد أوصى يزيد بن أبي سفيان لما شيّعه ماشياً ووجهه إلى الشّام فقال: (إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ لِأَبْلُوَكَ وَأُجَرِّبَكَ وَأُخَرِّجَكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ رَدَدْتُكَ إِلَى عَمَلِكَ وَزِدْتُكَ، وَإِنْ أَسَأْتَ عَزَلْتُكَ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى الله فَإِنَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ مِثْلَ الَّذِي مِنْ ظَاهِرِكَ، وَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالله أَشَدُّهُمْ تَوَلِّيًا لَهُ، وَأَقْرَبُ النَّاسِ مِنَ الله أَشَدُّهُمْ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ بِعَمَلِهِ، وَقَدْ وَلَّيْتُكَ عَمَلَ خَالِدٍ، فَإِيَّاكَ وَعُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ اللهَّ يُبْغِضُهَا وَيُبْغِضُ أَهْلَهَا، وَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى جُنْدِكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمْ، وَابْدَأْهُمْ بِالْخَيْرِ وَعِدْهُمْ إِيَّاهُ، وَإِذَا وَعَظْتَهُمْ فَأَوْجِزْ؛ فَإِنَّ كَثِيرَ الْكَلَامِ يُنْسِي بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلُحْ لَكَ النَّاسُ، وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لِأَوْقَاتِهَا بِإِتْمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَالتَّخَشُّعِ فِيهَا، وَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمْهُمْ، وَأَقْلِلْ لُبْثَهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ عَسْكَرِكَ وَهُمْ جَاهِلُونَ بِهِ، وَلَا تُرِيَنَّهُمْ فَيَرَوْا خَلَلَكَ وَيَعْلَمُوا عِلْمَكَ، وَأَنْزِلْهُمْ فِي ثَرْوَةِ عَسْكَرِكَ، وَامْنَعْ مَنْ قِبَلَكَ مِنْ مُحَادَثَتِهِمْ، وَكُنْ أَنْتَ الْمُتَوَلِّيَ لِكَلَامِهِمْ، وَلَا تَجْعَلْ سِرَّكَ لِعَلَانِيَتِكَ فَيَخْلِطُ أَمْرُكُ، وَإِذَا اسْتَشَرْتَ فَاصْدُقِ الْحَدِيثَ تُصْدَقِ الْمَشُورَةَ، وَلَا تَخْزِنْ عَنِ الْمُشِيرِ خَبَرَكَ فَتُؤْتَى مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ، وَاسْمِرْ بِاللَّيْلِ فِي أَصْحَابِكَ تَأْتِكَ الْأَخْبَارُ وَتَنْكَشِفْ عِنْدَكَ الْأَسْتَارُ، وَأَكْثِرْ حَرَسَكَ وَبَدِّدْهُمْ فِي عَسْكَرِكَ، وَأَكْثِرْ مُفَاجَأَتَهُمْ فِي مَحَارِسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِكَ، فَمَنْ وَجَدْتَهُ غَفَلَ عَنْ مَحْرَسِهِ فَأَحْسِنْ أَدَبَهُ وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ، وَأَعْقِبْ بَيْنَهُمْ بِاللَّيْلِ، وَاجْعَلِ النَّوْبَةَ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنَ الْأَخِيرَةِ؛ فَإِنَّهَا أَيْسَرُهُمَا لِقُرْبِهَا مِنَ النَّهَارِ، وَلَا تَخَفْ مِنْ عُقُوبَةِ الْمُسْتَحِقِّ، وَلَا تَلِجَّنَّ فِيهَا، وَلَا تُسْرِعْ إِلَيْهَا، وَلَا تَخْذُلْهَا مَدْفَعًا، وَلَا تَغْفُلْ عَنْ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فَتُفْسِدَهُ، وَلَا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ، وَلَا تَكْشِفِ النَّاسَ عَنْ أَسْرَارِهِمْ، وَاكْتَفِ بِعَلَانِيَتِهِمْ، وَلَا تُجَالِسِ الْعَبَّاثِينَ،

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٣١٨٦، ٣١٨٧) ومسلم (١٧٣٦، ١٧٣٧).

(٢) (الذخائر ج١/ ٢٨٥).

وَجَالِسْ أَهْلَ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ، وَاصْدُقِ اللِّقَاءَ، وَلَا تَجْبُنْ فَيَجْبُنَ النَّاسُ، وَاجْتَنِبِ الْغُلُولَ فَإِنَّهُ يُقَرِّبُ الْفَقْرَ وَيَدْفَعُ النَّصْرَ، وَسَتَجِدُونَ أَقْوَامًا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ فَدَعْهُمْ وَمَا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ)(١)]. أهـ.(٢)

****

(١) الكامل في التاريخ (٢/ ٢٥٠) في ذكر فتوح الشام.

(٢) (الذخائر ج١/ ١٧٥).

العبادات والنوافل:

الصّلاة:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «سَلُونِي»، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «لَا تُشْرِكُ بِالله شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَخْشَى اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا رَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾ [لقمان] قَالَ: ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «رُدُّوهُ عَلَيَّ»، فَالْتُمِسَ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَذَا جِبْرِيلُ، أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا»(١).

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمسٍ شَهَادَةُ أن لَاإِلٰهَ إِلَّا الله وأنَّ محَمّداً رَسُولُ الله، وإقامُ الصّلاةِ، وإيتاءُ الزّكاةِ، والحجّ، وصَوْم رَمَضَانَ»(٢).

*عن أبي مالكٍ الأشعري قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلَآنِ ـ أَوْ تَمْلَأُ ـ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٥٠، ١٣٩٧، ٤٧٧٧، ٧١٢١) ومسلم (٩، ١٠، ١٤) واللفظ له.

(٢) رواه البُخَارِيّ (٤٥١٣) ومسلم (١٦).

(٣) رواه ومسلم (٢٢٣) والتِّرْمِذِيّ (٣٥١٧).

* أبا عمرو الشيباني يقول: حدثنا صاحب هذه الدار وأشار إلى دار عبدالله قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أيّ العمل أحبّ إلى الله؟ قَالَ: «الصّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا» قَالَ: ثُمَّ أَي؟ قَالَ: «ثُمّ برّ الوَالِدَّيْن» قَالَ: ثُمَّ أَي؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيْلِ الله»، قَالَ: حَدَّثني بِهِنَّ وَلَوْ اسْتَزدتهُ لَزَادَنِي[١].

* عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ» قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو الله بِهِ الخَطَايَا»[٢].

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قَالَ: «الصّلَوَاتُ الخمْسُ والجُمْعَةُ إلى الجمعةِ كفَّارةٌ لما بَيْنَهُنَّ مَا لمْ تُغْشَ الكبَائرُ»[٣].

* [عن معاذ ﷺ قَالَ: فقلت يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] حَتَّى بَلَغَ ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة] ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «تكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»][٤].

* عن أبي هريرة ﷺ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «صَلاَةُ الجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلاَتِهِ فِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ، وَأَتَى المَسْجِدَ، لاَ يُرِيدُ إِلَّا الصَّلاَةَ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً

---

(١) متفق عليه، رواه البُخَارِيّ (٢٧٨٢، ٥٩٧٠، ٧٥٣٤) ومسلم (٨٥).

(٢) متفق عليه، رواه البُخَارِيّ (٥٢٨) ومسلم (٦٦٧)

(٣) رواه مسلم (٢٣٣) وأصحاب السنن.

(٤) رواه الترمذي (٢٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي (٢٢٢٤، ٢٢٢٥) وابن ماجة (٣٩٧٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

إِلَّا رَفَعَهُ الله بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، وَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، كَانَ فِي صَلاَةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ، وَتُصَلِّي – يَعْنِي عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ – مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ: اللهمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ»(١).

* عن أبي هريرة ﵁، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ، فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى، دَعَاهُ، فَقَالَ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَجِبْ»(٢).

* عن أبي هريرة ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»(٣).

عقوبة تارك الصّلاة:

* عن أبي المليح قَالَ كنا مع بريدة في غزوة في يوم ذي غيم فقال بكروا بصلاة العصر فإن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»(٤).

* عن أبي هريرة ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ – وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: يَا وَيْلِي – أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ»، حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ»(٥).

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٤٧٧، ٤٤٥، ٦٤٧..) ومسلم (٦٠٢، ٦٦٦)

(٢) رواه مسلم (٦٥٣) والنسائي (٨٥٠).

(٣) متفق عليه، رواه البُخَارِيّ (٦١٥، ٦٤٤، ٦٥٧، ٧٢٠...) ومسلم (٤٣٧، ٦٥١).

(٤) رواه البخاري (٥٥٣، ٥٩٤).

(٥) رواه مسلم (٨١).

* عن أبي سفيان قَالَ سمعت جابرا يقولا سمعت النبيّ ﷺ يقول: «إِنَّ بَينَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّركِ والكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»(١).

الزّكاة:

* عن أبي أيوب ﷺ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، قَالَ: مَا لَهُ مَا لَهُ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَبٌ مَا لَهُ، تَعْبُدُ اللهَّ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ»(٢).

* عن سليم بن عامر، قَالَ: سمعت أبا أمامة يقول: سَمِعْتَ رَسُولَ الله ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ فَقَالَ: «اتَّقُوا اللهَّ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»(٣) قَالَ أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

* عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ الله نُودِيَ فِي الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ الله، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ الله، مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» - يعني أبا بكر -(٤).

* عن خالد بن أسلم قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عَبدِالله بنِ عُمَر ﷺ فَقَالَ أَعرَابيٌّ: أَخبرني عَنْ قَوْلِ الله ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، قَالَ ابنُ عُمَر ﷺ: «من كَنَزَها فَلَم يُؤَدِّ زَكَاتَها فَوَيْلٌ لَهُ إِنَّمَا كَانَ هَذا قَبل أَنْ تَنْزِلَ الزّكاة فَلَمّا أُنزلَت جَعَلَهَا اللهُ طُهراً لِلأَموَالِ»(٥).

---

(١) رواه مسلم (٨٢) وأصحاب السنن.

(٢) رواه البُخَارِيّ (١٣٩٦) ومسلم (١٣).

(٣) رواه التِّرْمِذِيّ (٦١٦) وأحمد (٢٢١٦١، ٢٢٢٥٨، ٢٢٢٦٠) وصححه الألباني.

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (١٨٩٧، ٢٨٤١، ٣٢١٦) ومسلم (١٠٢٧).

(٥) رواه البُخَارِيّ (٤٦٦١).

إثمُ مانعِ الزّكاة:

قَالَ الإِمَام البُخَارِيّ: بَاب إِثْمِ مَانِعِ الزّكاة وَقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾ [التوبة].

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: قَالَ النبيّ صلى الله عليه وسلم: «تَأْتِي الإِبِلُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، إِذَا هُوَ لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَأْتِي الغَنَمُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ إِذَا لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا، تَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا، وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا»، وَقَالَ: «وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُحْلَبَ عَلَى المَاءِ» قَالَ: «وَلاَ يَأْتِي أَحَدُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ بِشَاةٍ يَحْمِلُهَا عَلَى رَقَبَتِهِ لَهَا يُعَارٌ، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ بَلَّغْتُ، وَلاَ يَأْتِي بِبَعِيرٍ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ لَهُ رُغَاءٌ فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ الله شَيْئًا، قَدْ بَلَّغْتُ»(١) .

صوم رمضان:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قَالَ: «تَعْبُدُ اللهَّ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ» قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»(٢).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»(٣).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ حَسَنَةٍ عَمِلَهَا ابْنُ آدَمَ إِلَّا كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (١٤٠٢، ٢٣٧٨، ..) ومسلم (٩٨٧، ١٨٣١).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (١٣٩٧) ومسلم (٩، ١٠، ١٤).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٣٢٧٧، ١٨٩٨، ١٨٩٩) ومسلم (١٠٧٩)

مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ جُنَّةٌ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»(١).

* عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا واحتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِهِ»(٢).

فريضة الحجّ:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمسٍ شَهَادَةُ أن لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله وأنَّ مُحَمّداً رَسُولُ الله، وإقامُ الصّلاةِ، وإيتاءُ الزَّكَاةِ، والحجّ، وصَوْم رَمَضَانَ»(٣).

* وعنه قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ ولَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتهُ أُمُّهُ»(٤).

وعنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ»(٥).

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلاَ نُجَاهِدُ؟ قَالَ: «لاَ، لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»(٦).

* وعنها أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ»(٧).

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (١٨٩٤، ١٩٠٤، ..) ومسلم (١١٥١) واللفظ للنسائي (٢٢١٥).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (١٩٠١، ٢٠١٤) ومسلم (٧٦٠) وأصحاب السنن.

(٣) رواه البُخَارِيّ (٤٥١٣) ومسلم (١٦).

(٤) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١٨١٩، ١٨٢٠) ومُسلم (١٣٥٠).

(٥) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١٧٧٣) ومُسلم (١٣٤٩).

(٦) رواه البُخَارِيّ (١٥٢٠).

(٧) رواه مسلم (١٣٤٨).

* عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيّ ﷺ قَالَ: «عُمْرَةٌ في رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً - أَوْ حَجَّةً مَعِي»[١]

* عائشة رضي الله عنها قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، هَلْ عَلَى النِّسَاءِ مِنْ جِهَادٍ؟ قَالَ: «[نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ] جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ: الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ»[٢].

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ أيُّ الأعمَالِ أَفْضَل؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِالله وَرَسُولِهِ»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «جِهادٌ في سَبِيلِ الله»، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»[٣].

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ثمّ وَفْدُ الله ثَلَاثَةٌ: الْغَازِي، وَالْحَاجُّ، وَالْمُعْتَمِرُ»[٤].

* عن شقيق عن عبدالله رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ دُونَ الْجَنَّةِ»[٥].

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ثُمَّ اللّهمَّ اغْفِرْ لِلْحُجَّاجِ وَلِمَنْ استَغْفَرَ لَهُ الحَاجّ»[٦].

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ثمّ مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[٧].

---

(١) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١٨٦٣، ١٧٨٢) ومُسلم (١٢٥٦).

(٢) رواه البخاري (١٥٢٠، ١٨٦١، ٢٧٨٤..) واللفظ لأحمد (٢٥٣٢٢).

(٣) متفق عليه، رواه البُخَارِيّ (٢٦) ومسلم (٨٣).

(٤) رواه النسائي (٢٦٢٥) وصححه الألباني.

(٥) رواه الترمذي (٨١٠) وصححه، والنسائي (٢٦٣١) وأحمد (٣٦٦٩)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٦) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢٥١٦)، والحاكم في المستدرك (١٦١٢)، والبيهقي في الشعب (٣٨١٧)، وضعفه الألباني.

(٧) متفق عليه، رواه البخاري (١٨١٩، ١٨٢٠) ومسلم (١٣٥٠).

النوافل وفضائل الأعمال

فضل الوضوء:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ [المائدة: ٦]

- عن أبي هريرة ﵁ قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»(١).
- عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»(٢).
- عمر بن الخطاب ﵁ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» رواه مسلم(٣) وزاد التِّرْمِذِيّ(٤): «اللهمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ».

فضل قراءة القرآن:

- عن أبي أمامة ﵁ قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقْرَؤوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»(٥).
- عن عثمان بن عفان ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٦).

---

(١) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١٣٦) ومُسلم (٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩).

(٢) رواه مسلم (٢٥١).

(٣) رواه مسلم (٢٣٤) .

(٤) في سنن الترمذي (٥٥) وصححه الألباني.

(٥) رواه مسلم (٨٠٤).

(٦) رواه البُخَارِيّ (٥٠٢٧، ٥٠٢٨).

• وعن عائشة ﵂ قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»(١).

• عن عمر بن الخطاب ﵁، أن النبيّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»(٢).

• عن ابن مسعود ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»(٣).

• عن ابن عباس ﵄ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ»(٤).

• عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﵄ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»(٥).

• عن أبي هريرة ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»(٦).

فضل صلاة النافلة:

**** سنن الصّلاة المكتوبة:**

• عن عائشة ﵂ : «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَدَعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ»(٧).

---

(١) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٤٩٣٧) ومُسلم (٧٩٨).

(٢) رواه مسلم (٨١٧).

(٣) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٩١٠) وقال حديث حسن صحيح

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٩١٣) وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، ورواه الحاكم (٢٠٣٧) وصححه ولم يوافقه الذهبي، ورواه أحمد (١٩٤٧) وضعفه الأرنؤوط والألباني.

(٥) رواه أبو داود (١٤٦٤) والتِّرْمِذِيّ (٢٩١٤) وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني، وحسنه الأرنؤوط.

(٦) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٧) رواه البُخَارِيّ (١١٨٢).

• وعنها عن النبيّ ﷺ قَالَ: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(١).

• وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ»(٢).

• عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قَالَ: «رَحِمَ الله امْرَءًا صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا»(٣).

• وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ العَصْرِ رَكْعَتَيْنِ»(٤).

**** استحباب جعل النوافل في البيت سواء الراتبة وغيرها:**

• عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قَالَ: «صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلاَةِ صَلاَةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا المَكْتُوبَةَ»(٥).

• وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا»(٦) .

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قَالَ: «اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا»(٧).

• عن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ»(٨).

**** فضل صلاة الضحى:**

---

(١) رواه مسلم (٧٢٥).

(٢) رواه أبو داود (١٢٦٩) والتِّرْمِذِيّ (٤٢٨) . صححه الألباني، وحسنه الأرنؤوط.

(٣) رواه أبو داود (١٢٧١)، والتِّرْمِذِيّ (٤٣٠) وقال: حديث حسن. وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه أبو داود (١٢٧٢) وحسنه الألباني بلفظ أربع ركعات وبه قال الأرنؤوط.

(٥) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٧٣١) ومُسلم (٧٨١).

(٦) رواه مسلم (٧٧٨).

(٧) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٩٩٨) ومُسلم (٧٤٩، ٧٥١).

(٨) رواه مسلم (٧٥٥).

• عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: «بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ»(١).

• عن أبي ذر ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»(٢).

• وعن عائشة ﷺ قالت: «كانَ رسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي الضُّحَى أَرْبَعًا، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ»(٣)

** صلاة تحية المَسجِد بركعتين وكراهية الجلوس قبل أن يصلي ركعتين في أي وقت دخل:

• عن أبي قتادة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلاَ يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ»(٤)

•وعن جابرٍ ﷺ قَالَ أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو في المَسجِد فقال: «صَلِّ رَكعَتَينِ»(٥).

**استحباب ركعتين بعد الوضوء:

• عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ لِبِلاَلٍ: «[عِنْدَ صَلاَةِ الفَجْرِ] يا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ(٦).

** فضل قيام الليل:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء]. وقال تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]. وقال تَعَالَى: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧﴾ [الذاريات]

(١) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١١٧٨، ١٩٨١) ومُسلم (٧٢١).

(٢) رواه مسلم (١٠٠٦).

(٣) رواه مسلم (٧١٩).

(٤) رواه التسعة، وهو في البُخَارِيّ برقم (٤٤٤، ١١٦٣) ومُسلم (٧١٤).

(٥) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٢٠٩٧، ٢٣٩٤، ٤٤٣، ٢٦٠٤...) ومُسلم (٧١٥).

(٦) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١١٤٩) ومُسلم (٢٤٥٨).وهذا لفظ البُخَارِيّ.

• عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فقالتُ عائشةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلاَ [أحبُّ أن] أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا»(١).

• عن علي رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ لَيْلًا، فَقَالَ: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟»»(٢).

• عن سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللهِ، بَعْدَ ذَلِكَ، لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا (٣).

• عن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ، أَوْ قَالَ: فِي أُذُنِهِ»(٤)

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»(٥).

• وعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ»(٦).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ»(٧).

• عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيّ ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ»(٨).

---

(١) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٤٨٣٧) واللفظ له، ومُسلم (٢٨٢٠).

(٢) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١١٢٧، ٤٧٢٤، ٧٣٤٧، ٧٤٦٥) ومُسلم (٧٧٥).

(٣) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١١٢٢) ومُسلم (٢٤٧٩).

(٤) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٣٢٧٠) ومُسلم (٧٧٤).

(٥) متفق عليه رواه البخاري (١١٤٢) ومسلم (٧٧٦).

(٦) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٤٨٥) وأحمد (٢٣٧٨٤) وابن ماجه (٣٢٥١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٧) رواه مسلم (١١٦٣).

(٨) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١١٣٧، ٤٧٣، ..) ومُسلم (٧٤٩).

• عن عائشة ﵂ : «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، كَانَتْ تِلْكَ صَلاَتَهُ يَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أَحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً، قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الفَجْرِ، ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيَهُ المُنَادِي لِلصَّلاَةِ»(١).

• عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﵄ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ الصَّلاَةِ إِلَى الله صَلاَةُ دَاوُدَ [عَلَيْهِ السَّلاَمُ]، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى الله صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا»(٢).

• وعن جابر ﵁ قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»(٣).

• عن أبي هريرة ﵁ أن النبيّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيَفْتَتِحْ صَلَاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ»(٤)، وعن عائشة ﵂ قالت: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي، افْتَتَحَ صَلَاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ»(٥).

• وعنها ﵂ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ : «كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ، أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً»(٦).

• عن عمر بن الخطاب ﵁ قَالَ: قالَ رسول الله ﷺ «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»(٧).

---

(١) رواه البُخَارِيّ (١١٢٣).

(٢) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٢٤٢٠، ١١٣١) ومُسلم (١١٥٩).

(٣) رواه مسلم (٧٥٧).

(٤) رواه مسلم (٧٦٨).

(٥) رواه مسلم (٧٦٧).

(٦) رواه مسلم (٧٤٦).

(٧) رواه مسلم (٧٤٧).

• عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبَى، نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الماءَ»(١).

• عن أبي سعيد ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا، أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ»(٢).

• عن عائشة ﷺ أن النبيّ ﷺ قَالَ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ، فَيَسُبُّ نَفْسَهُ»(٣).

**** باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح:**

• عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٤).

**** فضل قيام ليلة القدر وبيان أرجى لياليها:**

• عن أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٥).

• عن عائشة ﷺ قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُجَاوِرُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَيَقُولُ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»(٦).

• كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، «إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ»(٧).

---

(١) رواه أبو داود (١٣٠٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه أبو داود (١٣٠٩) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٧٨٦) ومُسلم (٢١٢).

(٤) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٢٠٠٩) ومُسلم (٧٥٩).

(٥) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١٩٠١، ٢٠١٤) ومُسلم (٧٦٠).

(٦) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٢٠٢٠) ومسلم (١١٦٩).

(٧) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٢٠٢٤) ومسلم (١١٧٤).

فضل ذكر الله تَعَالَى:

- عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ » قَالَ: «فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: «فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ» قَالَ: «فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْكَ؟» قَالَ: «فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: « يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا» قَالَ: «يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟» قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا» قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا» قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً» قَالَ: «فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ» قَالَ: «يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(١).

- **جاء في كتاب الترغيب والترهيب للإمام المنذري:**

(كتاب الذكر والدّعاء الترغيب في الإكثار من ذكر الله سرا وجهرا والمداومة عليه وما جاء فيمن لم يكثر ذكر الله تَعَالَى):

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «يَقُولُ الله: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(٢).

---

(١) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩).

(٢) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٧٤٠٥، ٧٥٠٥) ومُسلم (٢٦٧٥).

• وعن معاذ بن أنس ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: قَالَ الله جلَّ ذكره: «لَا يَذْكُرُنِي عَبْدٌ فِي نَفْسِهِ إِلَّا ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ مِنْ مَلَائِكَتِي، وَلَا يَذْكُرُنِي فِي مَلَأٍ إِلَّا ذَكَرْتُهُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»(١).

• وعن ابن عباس ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِذَا ذَكَرْتَنِي خَالِيًا ذَكَرْتُكَ خَالِيًا، وَإِذَا ذَكَرْتَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلإٍ خَيْرٌ مِنَ الَّذِين تَذْكُرُنِي فِيهِمْ»(٢).

• وعن أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»(٣).

• وعن عبدالله بن بسر ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ»(٤).

• وعن مَالِكَ بْنَ يُخَامِرَ حَدَّثَهُمْ، أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَالَ لَهُمْ: إِنَّ آخِرَ كَلَامٍ فَارَقْتُ عَلَيْهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ قُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ»(٥).

• وعن أبي المخارق ﷺ قَالَ: قَالَ النبيّ ﷺ: «مَررتُ ليلَة أُسرِيَ بي برجل مُغَيَّبٍ في نورِ العرشِ، قلتُ: مَنْ هذا، أَمَلَكٌ؟ قيلَ: لا، قلتُ: نبيٌّ؟، قيلَ: لا، قلتُ: مَنْ هو؟ قال: هذا رجلٌ كان في الدنيا لسانُه رطبٌ مِنْ ذِكْرِ الله، وقلبه مُعَلَّقٌ بالمَساجِد، ولم يَسْتَسِبَّ لوالديه»(٦).

• وعن سالم بن أبي الجعد ﷺ قَالَ: «قيل لأبي الدرداء ﷺ إن رجلاً أَعتق مئة نَسَمَةٍ؟ قال: إنَّ مئةَ نَسَمةٍ مِنْ مالِ رجلٍ لكثيرٌ، وأَفْضَلُ مِنْ ذلكَ إِيمَانٌ مَلْزُومٌ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنْ لَا يَزَالَ لِسَانُ أَحَدِكُمْ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ»(٧).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٣٩١) بإسناد حسنه الألباني.

(٢) رواه البزار (٥١٣٨) بإسناد صححه الألباني.

(٣) رواه ابن ماجه (٣٧٩٢) وابن حبان (٨١٥) وأحمد (١٠٩٧٥) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٣٧٥) وابن ماجه (٣٧٩٣) وابن حبان (٨١٤) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٥) رواه ابن حبان (٨١٨) والطبراني في الكبير (٢٠٨) واللفظ له، وصححه الألباني.

(٦) رواه ابن أبي الدُّنيَا في كتاب الأولياء (٩٥) هكذا مرسلاً، وضعفه الألباني .

(٧) رواه البيهقي في الشعب (٦١٨)، وأحمد في الزهد (٧٣٠)، وضعفه الألباني.

• وعن عبدالله بن بسر ﵁: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله»(١).

•وعن أبي الدرداء ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ»؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذِكْرُ الله تَعَالَى» قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: «مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ الله مِنْ ذِكْرِ الله»(٢).

• وعن عبدالله بن عمرو ﵄ عن النبيّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ صِقَالَةً، وَإِنَّ صِقَالَةَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ الله مِنْ ذِكْرِ الله» قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ»(٣).

• وَرُوِيَ عَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ ﵁ أَن رَسُول الله ﷺ سُئِلَ: أَي الْعباد أفضل دَرَجَة عِنْد الله يَوْم الْقِيَامَة؟ قَالَ: «الذَّاكرُون الله كثيرًا»، قَالَ: قلت يَا رَسُول الله وَمن الْغَازِي فِي سَبِيل الله؟ قَالَ: «لَو ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي الْكفَّار وَالْمُشْركين حَتَّى يَنْكَسِرَ وَيَخْتَضِبَ دَمًا لَكَانَ الذَّاكِرُونَ الله كَثِيرًا أَفضل مِنْهُ دَرَجَة»(٤).

• وعن أنس ﵁ عن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ»(٥).

• ورُوِيَ عَن أَنس ﵁ أيضًا عن النبيّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ للهِ سَيَّارَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَطْلُبُونَ حَلَقَ الذِّكْرِ فَإِذَا أَتَوْا عَلَيْهِمْ حَفُّوا بِهِمْ ثُمَّ بَعَثُوا رائدَهم إِلَى السَّمَاءِ إِلَى رَبِّ العِزَّةِ تَبَارَكَ وتَعالى، فيقولون: ربَّنا أتينا عَلى عِبادٍ مِنْ

---

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٣٧٥) وابن ماجه (٣٧٩٣) وابن حبان في صحيحه (٨١٤)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه الترمذي (٣٣٧٧) وأحمد (٢١٧٠٢) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه البيهقي في الدعوات الكبير (١٩) وفي الشعب، وقال عنه الألباني: موضوع (الضعيفة – ٤٩٨٧)

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٣٧٦) وأحمد (١١٧٢٠) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٥) رواه أحمد (١٢٤٥٣) وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

عِبادك، يُعَظِّمونَ آلاءَك، ويَتْلونَ كِتابَك، ويُصَلُّونَ على نبيِّكَ محمدٍ ﷺ ويَسْأَلُونَك لآخِرَتِهِمْ ودنياهُم. فيقولُ الله تبارك وتعالى: غَشُّوهم رَحْمتي فَهُم الجُلَساءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(١).

- وعن أبي الدَّرداء رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَيَبْعَثَنَّ الله أقْواماً يومَ القِيامَةِ في وُجوهِهِمُ النورُ، على مَنابِرِ اللُّؤْلُؤِ، يَغْبطُهُم الناسُ، لَيْسوا بأنْبياءَ ولا شُهَداءَ»، قال: فَجثَى أعْرابيٌّ على رُكْبَتَيْهِ، فقالَ: يا رسولَ الله! جَلِّهِمْ لنا نَعْرِفْهُمْ؟ قال: «هُم المتَحابُّونَ في الله مِنْ قَبائلَ شَتَّى، وبِلادٍ شَتَّى يَجْتَمِعونَ، على ذِكْرِ الله يَذْكُرونَهُ»(٢).

---

(١) رواه البزار (٦٤٩٤) وقال الألباني: منكر.

ويُفيدنا في هذا الصَّدد حديثٌ متفقٌ عليهِ عندَ البُخاريّ (٦٤٠٨)، وعند مسلم (٢٦٨٩)، ولفظه في البخاريّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ» قَالَ: «فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: «فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ» قَالَ: «فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «فَيَقُولُونَ: لاَ وَالله مَا رَأَوْكَ؟» قَالَ: «فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا» قَالَ: «يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟» قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَالله يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لاَ وَالله يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا» قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً» قَالَ: «فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ» قَالَ: «يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

(٢) رواه الطبراني بإسناد حسن، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٧٧٠)، وأشار الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) إليه بالصحة وعلق عليه بقوله: [ولم يتيسر لي الوقوف على إسناد الحديثين لننظر فيهما، فإن مسند الصحابيين المذكورين من «المعجم الكبير» للطبراني لم يطبع بعد، فأخشى أن يكون في التحسين المذكور شيء من التساهل المعهود، فإن الحديث قد جاء عن جمع من الصحابة وليس فيه الاجتماع على الذكر، فأخشى أن يكون ذكره فيه منكراً، أو على الأقل شاذاً].

• وعن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنهما أَنَّهما شهدا على رَسُول الله ﷺ أَنَّه قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»(١).

• وعن أَنس بن مَالك رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ، فَارْتَعُوا» قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ»(٢).

التَّرهيب مِن أن يجلس الإنسان مجلسًا لا يُذكر الله فيه ولا يُصلى عَلى نبيِّه محمّد ﷺ:

• عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»(٣).

*** قَالَ ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم مدارج السالكين:**

[وَهِيَ مَنْزِلَةُ الْقَوْمِ الْكُبْرَى الَّتِي مِنْهَا يَتَزَوَّدُونَ وَفِيهَا يَتَّجِرُونَ، وَإِلَيْهَا دَائِمًا يَتَرَدَّدُونَ.

وَالذِّكْرُ مَنْشُورُ الْوِلَايَةِ الَّذِي مِنْ أُعْطِيَهُ اتَّصَلَ وَمَنْ مُنِعَهُ عُزِلَ، وَهُوَ قُوتُ قُلُوبِ الْقَوْمِ الَّذِي مَتَى فَارَقَهَا صَارَتِ الْأَجْسَادُ لَهَا قُبُورًا، وَعِمَارَةُ دِيَارِهِمُ الَّتِي إِذَا تَعَطَّلَتْ عَنْهُ صَارَتْ بُورًا، وَهُوَ سِلَاحُهُمُ الَّذِي يُقَاتِلُونَ بِهِ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ، وَمَاؤُهُمُ الَّذِي يُطْفِئُونَ بِهِ الْتِهَابَ الطَّرِيقِ وَدَوَاءُ أَسْقَامِهِمُ الَّذِي مَتَى فَارَقَهُمُ انْتَكَسَتْ مِنْهُمُ الْقُلُوبُ، وَالسَّبَبُ الْوَاصِلُ وَالْعَلَاقَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ.

إِذَا مَرِضْنَا تَدَاوِينَا بِذِكْرِكُمُ ۞ فَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ

بِهِ يَسْتَدْفِعُونَ الْآفَاتِ وَيَسْتَكْشِفُونَ الْكُرُبَاتِ وَتَهُونُ عَلَيْهِمْ بِهِ الْمُصِيبَاتُ، إِذَا أَظَلَّهُمُ الْبَلَاءُ فَإِلَيْهِ مَلْجَؤُهُمْ، وَإِذَا نَزَلَتْ بِهِمُ النَّوَازِلُ فَإِلَيْهِ مفْزَعهُمْ. فَهُوَ رِيَاضُ جَنَّتِهِمُ الَّتِي فِيهَا يَتَقَلَّبُونَ وَرُءُوسُ أَمْوَالِ سَعَادَتِهِمُ الَّتِي بِهَا يَتَّجِرُونَ. يَدَعُ الْقَلْبَ الْحَزِينَ ضَاحِكًا مَسْرُورًا، وَيُوصِّلُ الذَّاكِرَ إِلَى الْمَذْكُورِ، بَلْ يَدَعُ الذَّاكِرَ مَذْكُورًا.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٠).

(٢) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٥١٠) وأحمد (١٢٥٢٣)، حسنه الألباني وضعفه الأرنؤوط.

(٣) رواه أحمد (٩٨٤٣) وأبو داود (٤٨٥٦) والتِّرْمِذِيّ (٣٣٨٠) واللفظ له وقال: حديث حسن، وصححه الألباني والأرنؤوط.

وَفِي كُلِّ جارِحَةٍ مِنَ الْجَوَارِحِ عُبُودِيَّةٌ مُؤَقَّتَةٌ، وَالذِّكْرُ عُبُودِيَّةُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَهِيَ غَيْرُ مُؤَقَّتَةٍ، بَلْ هُمْ مَأْمُورُونَ بِذِكْرِ مَعْبُودِهِمْ وَمَحْبُوبِهِمْ فِي كُلِّ حَالٍ: قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ. فَكَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ قِيعَانٌ وَهُوَ غِرَاسُهَا، فَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ بُورٌ وَخَرَابٌ وَهُوَ عِمَارَتُهَا وَأَسَاسُهَا.

وَهُوَ جَلَاءُ الْقُلُوبِ وَصِقَالُهَا وَدَوَاؤُهَا إِذَا غَشِيَهَا اعْتِلَالُهَا، وَكُلَّمَا ازْدَادَ الذَّاكِرُ فِي ذِكْرِهِ اسْتِغْرَاقًا: ازْدَادَ الْمَذْكُورُ مَحَبَّةً إِلَى لِقَائِهِ وَاشْتِيَاقًا، وَإِذَا وَاطَأَ فِي ذِكْرِهِ قَلْبُهُ لِلِسَانِهِ: نَسِيَ فِي جَنْبِ ذِكْرِهِ كُلَّ شَيْءٍ وَحَفِظَ اللهُ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ وَكَانَ لَهُ عِوَضًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

بِهِ يَزُولُ الْوَقْرُ عَنِ الْأَسْمَاعِ وَالْبَكَمُ عَنِ الْأَلْسُنِ وَتَنْقَشِعُ الظُّلْمَةُ عَنِ الْأَبْصَارِ. زَيَّنَ اللهُ بِهِ أَلْسِنَةَ الذَّاكِرِينَ كَمَا زَيَّنَ بِالنُّورِ أَبْصَارَ النَّاظِرِينَ، فَاللِّسَانُ الْغَافِلُ: كَالْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ وَالْأُذُنِ الصَّمَّاءِ وَالْيَدِ الشَّلَّاءِ.

وَهُوَ بَابُ اللهِ الْأَعْظَمُ الْمَفْتُوحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغْلِقْهُ الْعَبْدُ بِغَفْلَتِهِ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (تَفَقَّدُوا الْحَلَاوَةَ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: فِي الصَّلَاةِ وَفِي الذِّكْرِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ الْبَابَ مُغْلَقٌ).

وَبِالذِّكْرِ: يَصْرَعُ الْعَبْدُ الشَّيْطَانَ كَمَا يَصْرَعُ الشَّيْطَانُ أَهْلَ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (إِذَا تَمَكَّنَ الذِّكْرُ مِنَ الْقَلْبِ فَإِنْ دَنَا مِنْهُ الشَّيْطَانُ صَرَعَهُ كَمَا يَصْرَعُ الْإِنْسَانُ إِذَا دَنَا مِنْهُ الشَّيْطَانُ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُونَ: مَا لِهَذَا؟ فَيُقَالُ: قَدْ مَسَّهُ الْإِنْسِيُّ).

وَهُوَ رُوحُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَإِذَا خَلَا الْعَمَلُ عَنِ الذِّكْرِ كَانَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

فصل: وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى عَشَرَةِ أَوْجُهٍ.

الْأَوَّلُ: الْأَمْرُ بِهِ مُطْلَقًا وَمُقَيَّدًا.

الثَّانِي: النَّهْيُ عَنْ ضِدِّهِ مِنَ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ.

الثَّالِثُ: تَعْلِيقُ الْفَلَاحِ بِاسْتِدَامَتِهِ وَكَثْرَتِهِ.

الرَّابِعُ: الثَّنَاءُ عَلَى أَهْلِهِ وَالْإِخْبَارُ بِمَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ.

الْخَامِسُ: الْإِخْبَارُ عَنْ خُسْرَانِ مَنْ لَهَا عَنْهُ بِغَيْرِهِ.

السَّادِسُ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ ذِكْرَهُ لَهُمْ جَزَاءً لِذِكْرِهِمْ لَهُ.

السَّابِعُ: الْإِخْبَارُ أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

الثَّامِنُ: أَنَّهُ جَعَلَهُ خَاتِمَةَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كَمَا كَانَ مِفْتَاحَهَا.

التَّاسِعُ: الْإِخْبَارُ عَنْ أَهْلِهِ بِأَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ الِانْتِفَاعِ بِآيَاتِهِ وَأَنَّهُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ دُونَ غَيْرِهِمْ.

الْعَاشِرُ: أَنَّهُ جَعَلَهُ قَرِينَ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَرُوحَهَا، فَمَتَى عُدِمَتْهُ كَانَتْ كَالْجَسَدِ بِلَا رُوحٍ.

فَصْلٌ فِي تَفْصِيلِ ذَلِكَ:

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب] وقوله تعالَى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف]

وَفِيهِ قَوْلَانِ، أَحَدُهُمَا: فِي سِرِّكَ وَقَلْبِكَ، وَالثَّانِي: بِلِسَانِكَ بِحَيْثُ تُسْمِعُ نَفْسَكَ.

وَأَمَّا النَّهْيُ عَنْ ضِدِّهِ، فَكَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر] وَأَمَّا تَعْلِيقُ الْفَلَاحِ بِالْإِكْثَارِ مِنْهُ، فَكَقَوْلِهِ: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال] وَأَمَّا الثَّنَاءُ عَلَى أَهْلِهِ وَحُسْنُ جَزَائِهِمْ، فَكَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةٗ وَأَجْرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب] وَأَمَّا خُسْرَانُ مَنْ لَهَا عَنْهُ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون]

وَأَمَّا جَعْلُ ذِكْرِهِ لَهُمْ جَزَاءً لِذِكْرِهِمْ لَهُ فَكَقَوْلِهِ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة]

وَأَمَّا الْإِخْبَارُ عَنْهُ بِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت]

وَفِيهَا أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ ذِكْرَ الله أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ أَفْضَلُ الطَّاعَاتِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالطَّاعَاتِ كُلِّهَا: إِقَامَةُ ذِكْرِهِ فَهُوَ سِرُّ الطَّاعَاتِ وَرُوحُهَا.

الثَّانِي: أَنَّ الْمَعْنَى: أَنَّكُمْ إِذَا ذَكَرْتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ فَكَانَ ذِكْرُهُ لَكُمْ أَكْبَرَ مِنْ ذِكْرِكُمْ لَهُ. فَعَلَى هَذَا: الْمَصْدَرُ مُضَافٌ إِلَى الْفَاعِلِ، وَعَلَى الْأَوَّلِ: مُضَافٌ إِلَى الْمَذْكُورِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْمَعْنَى: وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَبْقَى مَعَهُ فَاحِشَةٌ وَمُنْكَرٌ، بَلْ إِذَا تَمَّ الذِّكْرُ: مَحَقَ كُلَّ خَطِيئَةٍ وَمَعْصِيَةٍ. هَذَا مَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رحمه الله يَقُولُ: مَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ فِي الصَّلَاةِ فَائِدَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا: نَهْيُهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَالثَّانِيَةُ: اشْتِمَالُهَا عَلَى ذِكْرِ الله وَتَضَمُّنُهَا لَهُ وَلَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ ذِكْرِ الله أَعْظَمُ مِنْ نَهْيِهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.

وَأَمَّا خَتْمُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بِهِ: فَكَمَا خُتِمَ بِهِ عَمَلُ الصِّيَامِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥] وختَمَ بِهِ الحجَّ في قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠] وختَمَ بِهِ الصّلاة كقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[النساء: ١٠٣] وَختَمَ بهِ الجمعة كقوله ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجمعة]، وَلِهَذَا كَانَ خَاتِمَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَإِذَا كَانَ آخِرَ كَلَامِ الْعَبْدِ أَدْخَلَهُ الله الْجَنَّةَ.

وَأَمَّا اخْتِصَاصُ الذَّاكِرِينَ بِالِانْتِفَاعِ بِآيَاتِهِ وَهُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ وَالْعُقُولِ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران]

وَأَمَّا مُصَاحَبَتُهُ لِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ وَاقْتِرَانُهُ بِهَا وَأَنَّهُ رُوحُهَا: فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ قَرَنَهُ بِالصَّلَاةِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤﴾ [طه]

وَقَرَنَهُ بِالصِّيَامِ وَبِالْحَجِّ وَمَنَاسِكِهِ، بَلْ هُوَ رُوحُ الْحَجِّ وَلُبُّهُ وَمَقْصُودُهُ. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ: «إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمْيُ الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ الله»[(١)].

وَقَرَنَهُ بِالْجِهَادِ وَأَمَرَ بِذِكْرِهِ عِنْدَ مُلَاقَاةِ الْأَقْرَانِ وَمُكَافَحَةِ الْأَعْدَاءِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥﴾ [الأنفال]

---

(١) رواه أبو داود (١٨٨٨) والترمذي (٩٠٢) وأحمد (٢٤٤٦٨) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

وَفِي أَثَرٍ إِلَهِيٍّ يَقُولُ الله تَعَالَى: (إِنَّ عَبْدِي - كُلَّ عَبْدِيَ - الَّذِي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلَاقٍ قِرْنَهُ)[١].

سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ الله رُوحَهُ - يَسْتَشْهِدُ بِهِ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: الْمُحِبُّونَ يَفْتَخِرُونَ بِذِكْرِ مَنْ يُحِبُّونَهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ، كَمَا قَالَ عَنْتَرَةُ:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ شَوَاجِرٌ ... تَحْوِي وَبِيضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي

وقال الآخر:

ذَكَرْتُكِ وَالْخَطِّيُّ يَخْطُرُ بَيْنَنَا ... وَقَدْ نَهَلَتْ مِنَّا الْمُثَقَّفَةُ السُّمْرُ

وَهَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ وَهُوَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ الْمَحَبَّةِ، فَإِنَّ ذِكْرَ الْمُحِبِّ مَحْبُوبَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ الَّتِي لَا يَهُمُّ الْمَرْءَ فِيهَا غَيْرُ نَفْسِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِهِ أَوْ أَعَزُّ مِنْهَا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ الْمَحَبَّةِ، وَالله أَعْلَمُ.

- وَالذَّاكِرُونَ: هُمْ أَهْلُ السَّبْقِ كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ[٢] مِنْ حَدِيثِ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ: سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ. قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ» وَالْمُفَرِّدُونَ إِمَّا الْمُوَحِّدُونَ وَإِمَّا الْآحَادُ الْفُرَادَى.
- وَفِي الْمُسْنَدِ مَرْفُوعًا[٣] مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﵁: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: ذِكْرُ الله عَزَّ وَجَلَّ».
- وَرَوَى شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَغَرَّ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ ﵄ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ الله قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ» وَهُوَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[٤].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٨٠) وضعفه الألباني.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٦٧٦).

(٣) رواه أحمد (٢١٧٠٢) والترمذي (٣٣٧٧) وابن ماجة (٣٧٩٠) وغيرهم، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه مسلم (٢٧٠٠).

- وَيَكْفِي فِي شَرَفِ الذِّكْرِ: أَنَّ اللهَ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ بِأَهْلِهِ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[١] عَنْ مُعَاوِيَةَ ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ: خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: قَالَ اللهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟ قَالُوا: اللهُ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَلِكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنْ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي: أَنَّ اللهَ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ».
- «وَسَأَلَ أَعْرَابِيٌّ رَسُولَ اللهِ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «أَنْ تُفَارِقَ الدُّنْيَا وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ»، وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَمُرْنِي بِأَمْرٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، فَقَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ»[٢].
- وَفِي الْمُسْنَدِ[٣] وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ ارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: «مَجَالِسُ الذِّكْرِ»، وَقَالَ: «اغْدُوا وَرُوحُوا وَاذْكُرُوا، مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللهِ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللهِ عِنْدَهُ؛ فَإِنَّ اللهَ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ».
- وَرَوَى النَّبِيُّ عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: «أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَانٌ وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ وَغَيْرُهُمَا[٤].
- وَفِي الصَّحِيحَيْنِ[٥] مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ: مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» وَلَفْظُ مُسْلِمٍ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ: مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» فَجَعَلَ بَيْتَ الذَّاكِرِ بِمَنْزِلَةِ بَيْتِ الْحَيِّ وَبَيْتَ الْغَافِلِ بِمَنْزِلَةِ بَيْتِ الْمَيِّتِ وَهُوَ الْقَبْرُ، وَفِي اللَّفْظِ

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠١).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٧٥) وابن ماجة (٣٧٩٣) وأحمد (١٧٦٩٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٢٥) والطبراني في الأوسط (٢٥٠١) والحاكم في المستدرك (١٨٢٠) وضعفه الألباني.

(٤) رواه الترمذي (٣٤٦٢) وحسنه الألباني، وهو عند أحمد (٢٣٥٥٢) بغير هذا اللفظ.

(٥) رواه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

الْأَوَّلِ: جَعَلَ الذَّاكِرَ بِمَنْزِلَةِ الْحَيِّ وَالْغَافِلَ بِمَنْزِلَةِ الْمَيِّتِ، فَتَضَمَّنَ اللَّفْظَانِ: أَنَّ الْقَلْبَ الذَّاكِرَ كَالْحَيِّ فِي بُيُوتِ الْأَحْيَاءِ، وَالْغَافِلَ كَالْمَيِّتِ فِي بُيُوتِ الْأَمْوَاتِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ أَبْدَانَ الْغَافِلِينَ قُبُورٌ لِقُلُوبِهِمْ وَقُلُوبَهُمْ فِيهَا كَالْأَمْوَاتِ فِي الْقُبُورِ، كَمَا قِيلَ:

فَنِسْيَانُ ذِكْرِ اللهِ مَوْتُ قُلُوبِهِمْ ... وَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورُ

وَأَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِهِمْ ... وَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ

وَفِي أَثَرٍ إِلَهِيٍّ: (**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِذَا كَانَ الْغَالِبُ عَلَى عَبْدِي ذِكْرِي: أَحَبَّنِي وَأَحْبَبْتُهُ**).

وَفِي آخَرَ: (**فَبِي فَافْرَحُوا وَبِذِكْرِي فَتَنَعَّمُوا**).

وَفِي آخَرَ: (**ابْنَ آدَمَ مَا أَنْصَفْتَنِي! أَذْكُرُكَ وَتَنْسَانِي وَأَدْعُوكَ وَتَهْرُبُ إِلَى غَيْرِي، وَأُذْهِبُ عَنْكَ الْبَلَايَا وَأَنْتَ مُعْتَكِفٌ عَلَى الْخَطَايَا، يَا ابْنَ آدَمَ مَا تَقُولُ غَدًا إِذَا جِئْتَنِي؟**).

وَفِي آخَرَ: (**ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي حِينَ تَغْضَبُ: أَذْكُرْكَ حِينَ أَغْضَبُ، وَارْضَ بِنُصْرَتِي لَكَ فَإِنَّ نُصْرَتِي لَكَ خَيْرٌ مِنْ نُصْرَتِكَ لِنَفْسِكَ**).

وَفِي الصَّحِيحِ[1] فِي الْأَثَرِ الَّذِي يَرْوِيهِ رَسُولُ اللهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ».

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي الذِّكْرِ نَحْوَ مِائَةِ فَائِدَةٍ فِي كِتَابِنَا (الْوَابِلُ الصَّيِّبُ وَرَافِعُ الْكَلِمِ الطَّيِّبُ) وَذَكَرْنَا هُنَاكَ أَسْرَارَ الذِّكْرِ وَعِظَمَ نَفْعِهِ وَطِيبَ ثَمَرَتِهِ وَذَكَرْنَا فِيهِ: أَنَّ الذِّكْرَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: ذِكْرُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَمَعَانِيهَا، وَالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ بِهَا، وَتَوْحِيدِ اللهِ بِهَا، وَذِكْرُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَذِكْرُ الْآلَاءِ وَالنَّعْمَاءِ وَالْإِحْسَانِ وَالْأَيَادِي، وَأَنَّهُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ أَيْضًا: ذِكْرٌ يَتَوَاطَأُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ، وَهُوَ أَعْلَاهَا، وَذِكْرٌ بِالْقَلْبِ وَحْدَهُ وَهُوَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ، وَذِكْرٌ بِاللِّسَانِ الْمُجَرَّدِ، وَهُوَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ.] أهـ[2].

---

(١) رواه أحمد (٨٦٥٠، ٩٢٥٤) وابن حبان (٣٢٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم: (٢/ ٣٩٥) وما بعدها.

فضل الأذكار بعد الصلوات المكتوبة:

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(١).

• عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللهمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»(٢).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ العُلاَ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ»، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنَحْمَدُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ: «سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ»(٣).

• عن عبدالله بن عمرو، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «خَلَّتَانِ لَا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ» قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، يُسَبِّحُ أَحَدُكُمْ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُ عَشْرًا، فَهِيَ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ فِي اللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ»، وَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَعْقِدُهُنَّ بِيَدِهِ، «وَإِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ أَوْ مَضْجَعِهِ سَبَّحَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَهِيَ مِائَةٌ عَلَى اللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، «فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ

---

(١) رواه مسلم (٥٩٧).

(٢) رواه أبو داوود (١٥٢٢) والنسائي (١٣٠٣) وأحمد (٢٢١١٩، ٢٢١٢٦) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه البخاري (٨٤٣).

فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَ مِائَةِ سَيِّئَةٍ؟» قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ لَا نُحْصِيهَا؟ فَقَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، وَيَأْتِيهِ عِنْدَ مَنَامِهِ فَيُنِيمُهُ»[١].

فضل أذكار الصباح والمساء:

لقد هممت أن أجمع طائف من هذه الأذكار من بعض المصادر المشتهرة من أجل هذه الفقرة، ثمّ وجدت فيما جمعه شيخنا الشّهيد عبدالله عزام رحمه الله، كفاية موجزة تناسب هذا المختصر، وإليكموه:

قَالَ الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله عن طائفة الأحاديث الّتي جمعها:

[كلّ هذه الأحاديث صحيحة وهي ضرورية لحماية الإنسان من كلّ الشرور، ولحفظه من الشّيطان وجميع الأضرار، بالإضافة إلى الثواب العظيم الّذي ينتظر قائلها.

و ما من علاج أشفى لأمراض القلب من الذكر، والذكر كالماء للسمك، وكالماء للزرع، والذكر يصفى القلب، ويشفى الصدر من القلق والضنك، ويقوي البدن والروح، ويزيل الهم والغم، ويطرد الشّيطان، وينزل الملائكة والرحمة والسكينة.

وكلما ذكر الإنسان فإن الملائكة تبني له منازل في الجنّة، فإذا توقف الذكر توقف البناء، وكذلك الذكر غراس الجنّة، فإذا توقف الذكر توقف الغراس.

والذكر يزيل صدأ القلوب، ويصفي الرّوح، ويورث المحبة لله ثمّ للخلق، ويبني التوكل ويورث الطمأنينة والرضا بالقدر.

والذكر بأنواعه كالصيدلية الّتي تضم أنواع الدّواء للأمراض المختلفة، فمنها ما يشفي من الهم، وآخر من الغم، وثالث من الأرق، ورابع من الخوف، وخامس من الشّيطان... وهكذا، ولقد وصف الطبيب الحكيم ﷺ بمقدار الجرعة (حبة أو ثلاثة أو سبعة... الخ).

ووقت أذكار الصباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس، وأذكار المساء من بعد العصر.

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٤١٠) والنسائي (١٣٤٨) وأبو داود (٥٠٦٥) ابن ماجة (٩٢٦) وأحمد (٦٤٩٨) وصححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

١- بعد صلاة الفجر مباشرة وهو عَلى جلسة الصّلاة[(١)] يقول عشرة مرات: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

عن أبي أيوب ﷺ أن رسول الله ﷺ قالَ: «مَنْ قَالَ [إِذَا أَصْبَحَ]: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ -عَشْرَ مَرَّاتٍ- كُتِبَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَ بِهِنَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكُنَّ لَهُ عَدْلَ عَتَاقَةِ أَرْبَعِ رِقَابٍ، وَكُنَّ لَهُ حَرَسًا [مِنَ الشَّيْطَانِ] حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَالَهُنَّ إِذَا صَلَّى الْمَغْرِبَ دُبُرَ صَلَاتِهِ فَمِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ»[(٢)].

٢- آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة]

عن أبي كعب ﷺ: أنه كَانَ لَهُ جُرْنٌ مِنْ تَمْرٍ، فَكَانَ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ شِبْهِ الْغُلَامِ [الْمُحْتَلِمِ]، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ: مَا أَنْتَ، جِنِّيٌّ أَمْ إِنْسِيٌّ؟ قَالَ: لَا بَلْ جِنِّيٌّ، قَالَ: فَنَاوِلْنِي يَدَكَ، فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فَإِذَا يَدُهُ يَدُ كَلْبٍ، وَشَعْرُهُ شَعْرُ كَلْبٍ، قَالَ: هَكَذَا خَلْقُ الْجِنِّ، قَالَ: قَدْ عَلِمَتِ الْجِنُّ أَنَّ مَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدُّ مِنِّي، قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّكَ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَجِئْنَا نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ، قَالَ: فَمَا يُنْجِينَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

---

(١) رواه أحمد (١٧٩٩٠) وحسنه الأرنؤوط. وفيه: « مَنْ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ وَيَثْنِيَ رِجْلَهُ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، وَالصُّبْحِ:.....».

(٢) رواه ابن حبان (٢٠٢٣) وأحمد (٢٣٥١٨) صححه الأرنؤوط، وقال الألباني : حسن صحيح، انظر (الصحيحة ١١٣ و٢٥٦٣) ولمعنى الحديث مثيل في البخاري (٣٢٩٣) ولكن يقولها مئة مرة : «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ».

﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ مَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُمْسِيَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «صَدَقَ الْخَبِيثُ»(١).

٣- آخر آيتين من سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة]

قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»(٢).

٤- (قل هو الله أحد، قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب النّاس)... كلّ واحدة (ثلاث مرات).

قَالَ عبدالله بن خبيب: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نطْلِبَ رَسُولُ الله ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا فَأَدْرَكْنَاهُ فقَالَ: «أَصَلَّيْتُم؟» فَلَم أَقُل شَيئًا فقَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»(٣).

٥- سبحان الله ثلاثا وثلاثين، والحمد الله ثلاثا وثلاثين، اللهُ أكبَر أربعا وثلاثين.

قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(٤).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٥٤١) والحاكم في المستدرك (٢٠٦٤) وصححه، وابن حبان (٧٨٤) وصححه الألباني .

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٥٠٠٩، ٥٠٤٠، ٥٠٥١) ومسلم (٨٠٧، ٨٠٨).

(٣) رواه أبو داود (٥٠٨٢) والترمذي (٣٥٧٥) والنسائي (٥٤٢٨) وأحمد (٢٢٦٦٤) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه مسلم (٥٩٧).

٦- الحديث: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ، وَالْحَمْدُ للهِ لا شَرِيكَ لَهُ، لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»(١).

٧- الحديث: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا [مُسْلِمًا]، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»(٢).

٨- الحديث: «اللهمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ».

عن عبدالله بن غنام البياضي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللهمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ»(٣).

٩- الحديث: «يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ».

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حدثهم أَنَّ: عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ قَالَ: «يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ»، فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ، فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا، فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَا: يَا رَبَّنَا، إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لَا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ:

---

(١) أورده بهذا اللفظ البزار (٨٦٨٥) وقال الهيثمي إسناده جيد، ولفظ مسلم (٢٧٢٣): «كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ للهِ، وَالْحَمْدُ للهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» قَالَ: أُرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ» وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ».

(٢) رواه أحمد (١٥٣٦٠) والنسائي في الكبرى (١٠١٠٣، ٩٧٤٤) والدارمي (٢٨٣٠) وصححه الأرنؤوط على شرط الشيخين.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٧٣) ابن حبان (٨٦١) والنسائي في الكبرى (٩٧٥٠) والبيهقي في الشعب (٤٠٥٩) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ قَالَا: يَا رَبِّ إِنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا: «اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي، حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا»(١).

١٠- الحديث: «رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا».

عن ثوبان وغيره أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يُمْسِي وَحِينَ يُصبِحُ رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ»(٢).

١١- الحديث: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» (ثلاث مرات).

عَنْ جُوَيْرِيَةَ أم الْمُؤمِنِين رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»(٣).

١٢- الحديث: عن إبَّان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، -ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ»، وَكَانَ أَبَانُ، قَدْ أَصَابَهُ طَرَفُ فَالِجٍ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: (مَا تَنْظُرُ؟ أَمَا إِنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثْتُكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ لِيُمْضِيَ اللهُ عَلَيَّ قَدَرَهُ)(٤).

١٣- الحديث: «اللهمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ».

---

(١) رواه ابن ماجة (٣٨٠١) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه الترمذي (٣٣٨٩) وابن ماجة (٣٨٧٠) وأحمد (٢٣١١٢) وزاد (ثلاث مرات) وضعفه الألباني، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٣) رواه مسلم (٢٧٢٦).

(٤) رواه أبو داود (٥٠٨٨) والترمذي (٣٣٨٨) وابن ماجة (٣٨٦٩) وأحمد (٤٧٤) وصححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ، فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»، فَقَالَ لَهُ، مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «قولوا: اللهمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ»(١).

١٤- الحديث: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»(٢) (ثلاث مرات).

«مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي -ثَلَاثَ مَرَّاتٍ-: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ لَدْغَةُ حَيَّةٍ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ»(٣).

١٥- الحديث: « اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ».

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ: أَبُو أُمَامَةَ، فَقَالَ: «يَا أَبا أُمَامَةَ، مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟»، قَالَ: هُمُومٌ لَزِمَتْنِي، وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ، قَالَ: «قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ»، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي(٤).

١٦- الحديث: «اللهمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي اللهمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي اللهمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، و أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»(٥).

---

(١) رواه أحمد (١٩٦٢٢) والطبراني في الأوسط (٣٤٧٩) وصححه الألباني

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٨)، لكن لم يرد قولها ثلاثا عند مسلم .

(٣) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٠٦٤) وصححه الألباني.

(٤) رواه أبو داوود (١٥٥٥) وضعفه الأرنؤوط والألباني.

(٥) رواه أبو داوود (٥٠٩٠) وفي الحديث «تعيدها ثلاث» ضعفه الألباني في (ضعيف الجامع ١٢١٠) وقال في (صحيح سنن أبي داود): حسن الإسناد، وقال في (صحيح الأدب المفرد ٥٤٢): حسن. وقال الأرنؤوط : إسناده حسن في المتابعات والشواهد.

١٧- الحديث: عن شداد بن أوس مرفوعا: سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: «اللهمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»(١).

١٨- الحديث:

عن أبي هريرة ﵁ أن أبا بكر الصّديق قَالَ: يَا رَسُولَ الله عَلِّمْنِي شَيْئًا أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: «قُلْ: اللهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ.- وفي رواية - (وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ)، قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»(٢).

١٩- الحديث:

قَالَ عبدالله بن عمر ﵄: لم يكن النبيّ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللهمَّ أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللهمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»(٣).

٢٠- الحديث: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ».

عن أبي مسعود مرفوعا: من قَالَ: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَت لَهُ ذُنُوبُهُ، وإن كان فَرَّ من الزَّحْفِ»(٤).

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٦٣٠٦).

(٢) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٣٩٢، ٣٥٢٩) وأبو داود (٥٠٦٧) وأحمد (٥١، ٧٩٦١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٧٤) وابن ماجة (٣٨٧١) وأحمد (٤٧٨٥) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه الترمذي (٣٥٧٧) وأبو داود (١٥١٧) وصححه الألباني والأرنؤوط.

٢١- الحديث: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ».

عن أنس بن مالك ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ لفاطمة: «ما يمنعك أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»(١).

٢٢- الصّلاة عَلى النَّبيّ عشر مرَّاتٍ.

«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ [عَشْراً]، وَحِينَ يُمْسِي عَشْراً أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

٢٣- سبحانَ الله وبِحَمدِه مائة مرّة.

رواه مسلم(٣) عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ».

٢٤- كفارة المجلس: «سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»

عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»(٤).

٢٥- الحديث: «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»(٥).] أهـ.(٦)

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (١٠٣٣٠) والحاكم (٢٠٠٠) وصحّحه، وحسّنه الألباني (الصحيحة ٢٤٥٧).

(٢) ذكره الهيثمى وقال: رواه الطبرانى بإسنادين وإسناد أحدهما جيد ورجاله وثقوا، مجمع الزوائد (١٧٠٢٢) وضعفه الألباني، انظر (الضعيفة ٥٧٨٨).

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٢).

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٤٣٣) وأحمد (١٠٤١٥) وصححه الألباني، والأرنؤوط وقال: على شرط مسلم.

(٥) رواه أبو يعلى (١١١٨) وابن أبي الشيبة في المصنف (٣٠٩٧) وذكر الترمذي (٢٩٩) بصيغة تمريض، وضعفه الألباني.

(٦) الذخائر العظام لعبدالله عزام: (ج١/ ١١٤).

فضل أذكار النَّوم:

١- عن أبي هريرة ﷺ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ فِرَاشَهُ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ ثَوْبِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَقُلْ: «بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»(١).

٢- وعن عائشة ﷺ قالت: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»(٢).

٣- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ عَن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا»(٣).

٤- وعن أبي هريرةَ ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(٤).

٥- وعن البَرَاء بن عازبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللهمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللهمَّ آمَنْتُ

---

(١) رواه البخاري (٧٣٩٣) ومسلم (٢٧١٤).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٥٠١٧، ٦٣١٩).

(٣) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٣٩٧) وأحمد (١١٠٧٤) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه ابن حبان (٥٥٢٨) وصححه الألباني.

بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ»(١).

* - دعاء الفزع في النوم:

٦- عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ﵁ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»(٢).

*- دعاء الأرق وتعذر النوم:

٧- وعن خالد بن الوليد ﵁ أنه أصابه الأرق، فقال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ نِمْتَ؟ قُلِ: اللهمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ جَمِيعًا؛ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَطْغَى، عَزَّ جَارُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ». فقالهن فنام(٣).

٨- وعن زيد بن ثابت ﵁ قَالَ: شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ أَرَقًا أَصَابَنِي فقال: «قُلِ: اللهمَّ غَارَتِ النُّجُومُ، وَهَدَأَتِ الْعُيُونُ، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ، لا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، أَهْدِئْ لَيْلِي، وَأَنِمْ عَيْنِي» فَقُلْتُهَا، فأذهب الله عزَّ وجلّ عني ما مَا كُنْتُ أَجِدُه(٤).] أهـ.(٥)

فضل الدّعاء:

جاء في كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري: **الترغيب في كثرة الدّعاء وما جاء في فضله:**

---

(١) رواه البخاري (٢٤٧، ٦٣١١) ومسلم (٢٧١٠).

(٢) رواه أبو داوود (٣٨٩٣) والتِّرْمِذِيّ (٣٥٢٨) والنسائي في الكبرى (١٠٥٣٣) وأحمد (٦٦٩٦) وحسنه الألباني وصححه لغيره الأرنؤوط.

(٣) رواه الطبراني في الصغير (٩٨٤) والترمذي (٣٥٢٣) وقال: هَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِالقَوِيِّ. وضعفه الألباني.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٤٨١٧) وقال الألباني: ضعيف جداً.

(٥) الذخائر: (ج ١/ ١١٦).

* عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» **قَالَ سَعِيدٌ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ**، رواه مسلم[١] واللفظ له.

ورواه التِّرْمِذِيّ وابن ماجه ولفظ ابن ماجه[٢]: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَقُولُ: يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ، إِلَّا مَنْ عَافَيْتُ، فَسَلُونِي الْمَغْفِرَةَ فَأَغْفِرَ لَكُمْ، وَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى الْمَغْفِرَةِ، فَاسْتَغْفَرَنِي بِقُدْرَتِي غَفَرْتُ لَهُ، وَكُلُّكُمْ ضَالٌّ، إِلَّا مَنْ هَدَيْتُ، فَسَلُونِي الْهُدَى أَهْدِكُمْ، وَكُلُّكُمْ فَقِيرٌ، إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتُ، فَسَلُونِي أَرْزُقْكُمْ، وَلَوْ أَنَّ حَيَّكُمْ، وَمَيِّتَكُمْ، وَأَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ، وَيَابِسَكُمُ اجْتَمَعُوا، فَكَانُوا عَلَى قَلْبِ أَتْقَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي، لَمْ يَزِدْ فِي مُلْكِي جَنَاحُ بَعُوضَةٍ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا فَكَانُوا عَلَى قَلْبِ أَشْقَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي، لَمْ يَنْقُصْ مِنْ مُلْكِي جَنَاحُ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ أَنَّ حَيَّكُمْ، وَمَيِّتَكُمْ، وَأَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ، وَيَابِسَكُمُ اجْتَمَعُوا، فَسَأَلَ كُلُّ سَائِلٍ مِنْهُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ، مَا نَقَصَ مِنْ مُلْكِي، إِلَّا كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِشَفَةِ الْبَحْرِ، فَغَمَسَ فِيهَا إِبْرَةً، ثُمَّ نَزَعَهَا، ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ، عَطَائِي كَلَامٌ، إِذَا أَرَدْتُ شَيْئًا، فَإِنَّمَا أَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ».

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٧).

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٤٩٥) وابن ماجة برقم(٤٢٥٧) وقال الألباني : ضعيف بهذا السياق.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي»(١).

* وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠]»(٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»(٣).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول قَالَ اللهُ تَعَالَى: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ، وَلَا أُبَالِي»(٤).

* وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «اللهُ أَكْثَرُ»(٥).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْصِبُ وَجْهَهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَسْأَلَةٍ، إِلَّا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ، إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَهَا لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ»(٦).

* وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قَالَ: «يَدْعُو اللهُ بِالْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقِفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ: عَبْدِي إِنِّي أَمَرْتُكَ أَنْ تَدْعُونِي وَوَعَدْتُكَ أَنْ أَسْتَجِيبَ لَكَ، فَهَلْ كُنْتَ تَدْعُونِي؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَمَا إِنَّكَ لَمْ تَدْعُنِي بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجَبْتُ لَكَ، فَهَلْ لَيْسَ دَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا لِغَمٍّ نَزَلَ بِكَ

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) رواه أبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٢٩٦٩، ٣٣٧٢) وابن ماجة (٣٨٢٨) والنسائي في الكبرى (١١٤٠٠) وأحمد (١٨٤٣٦) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٣٨٢) وحسنه الألباني.

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٥٣٤) وصححه الألباني.

(٥) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٥٧٣) وقال: حسن صحيح، وبه قال الألباني.

(٦) رواه أحمد (٩٧٨٥) وقال الأرنؤوط : حسن لغيره.

أَنْ أُفَرِّجَ عَنْكَ فَفَرَّجْتُ عَنْكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي عَجَّلْتُهَا لَكَ فِي الدُّنْيَا، وَدَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا لِغَمٍّ نَزَلَ بِكَ أَنْ أُفَرِّجَ عَنْكَ، فَلَمْ تَرَ فَرَجًا؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ إِنِّي ادَّخَرْتُ لَكَ بِهَا فِي الْجَنَّةِ كَذَا وَكَذَا». قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَلَا يَدَعُ الله دَعْوَةً دَعَا بِهَا عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ إِلَّا بَيَّنَ لَهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عُجِّلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ادُّخِرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ: فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ عُجِّلَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ».(١)

* وعن أنس ﷺ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا تَعْجِزُوا فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ»(٢).

* وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الدُّعَاءُ سِلاحُ الْمُؤْمِنِ وَعِمَادُ الدِّينِ وَنُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ»(٣).

* وعن ابن عمر ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ فُتِحَ لَهُ مِنْكُمْ بَابُ الدُّعَاءِ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَمَا سُئِلَ الله شَيْئًا يَعْنِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ العَافِيَةَ» وقال: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ الله بِالدُّعَاءِ»(٤).

* وعن سلمان ﷺ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»(٥).

* وعن أنس ﷺ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله رَحِيمٌ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبدِهِ أَنْ يَرفَعَ إِليهِ يَدَيْه، ثمَّ لا يضعُ فِيهِمَا خَيْرَاً»(٦).

---

(١) رواه الحاكم (١٨١٩)، وضعفه الألباني (ضعيف الترغيب والترهيب ١٠٠٩).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٨٧١) والحاكم (١٨١٨) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه الحاكم (١٨١٢) وأبو يعلى (٤٣٩) وقال عنه الألباني: موضوع (الضعيفة ١٤٩).

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٥٤٨) والحاكم (١٨٣٣) وضعفه الألباني.

(٥) رواه أبو داود (١٤٨٨) والتِّرْمِذِيّ (٣٥٥٦) وابن ماجة (٣٨٦٥) وصححه الألباني، وقواه الأرنؤوط.

(٦) رواه الحاكم (١٨٣٢) وصححه الألباني (صحيح الجامع ١٧٦٨).

* وعن عبدالله بن مسعود ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالله، فَيُوشِكُ الله لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ»(١).

* وعن ثوبان ﵁ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»(٢).

* وعن عائشة ﵂ قالت قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٣).

* وعن ابن مسعود ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «سَلُوا اللهَ مَنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفرجِ»(٤).

* ورُوِيَ عن أنس ﵁ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»(٥).

* عن جابر بن عبدالله ﵁ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يُنْجِيكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَيُدِرُّ لَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ؟ تَدْعُونَ اللهَ فِي لَيْلِكُمْ وَنَهَارِكُمْ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ سِلاحُ الْمُؤْمِنِ»(٦).

التَّرغيب في كلمات يستفتح بها الدّعاء وبعض ما جاء في اسم الله الأعظم:

---

(١) رواه أبو داود (١٦٤٥) والتِّرْمِذِيّ (٢٣٢٦) والحاكم (١٤٨٢) وأحمد (٣٨٦٩) وصححه الألباني.

(٢) رواه ابن حبان (٨٧٢) والحاكم (١٧١٤) وأحمد (٢٢٤١٣، ٢٢٤٣٨) وابن ماجة (٩٠) وحسنه لغيره الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٢٤٩٨) والحاكم (١٨١٣) وحسنه الألباني.

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٥٦٦) وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ٣٢٧٨).

(٥) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٣٧١) وضعفه الألباني.

(٦) رواه أبو يعلى (١٨١٢) وقال عنه الألباني: موضوع (الضعيفة ١٨٠).

* عن عبدالله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» فَقَالَ: «لقد سَأَلت الله بِالِاسْمِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذا سُئِلَ بِهِ أعْطى وَإِذا دعِي بِهِ أجَاب»(١).

* وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قَالَ: «سمع النبيّ ﷺ رَجُلًا وَهُوَ يَقُولُ: يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَقَالَ: «قَدْ اسْتُجِيبَ لَكَ فَسَلْ»(٢).

* وعن أبي أمامة رضي الله عنه قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ لله مَلَكًا مُوَكَّلًا بِمَنْ يَقُولُ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، فَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا قَالَ الْمَلَكُ: إِنَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فَاسْأَلْ»(٣).

---

(١) رواه أبو داود (١٤٩٣) والتِّرْمِذِيّ (٣٤٧٥) وابن ماجة (٣٨٥٧) وأحمد (٢٢٩٥٢، ٢٢٩٦٥) وغيرهم، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٥٢٧) وقال: حديث حسن، وأحمد (٢٢٠١٧) وحسنه الأرنؤوط وضعفه الألباني.

(٣) رواه الحاكم (١٩٩٦) وضعفه الألباني.

الأخلاق والتّربية السُّلُوكي

❖ بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق:

قَالَ الإِمَامِ النووي رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وعن أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «كانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسنَ النَّاسِ خُلقاً»(١). وعنه قَالَ: «مَا مَسِسْتُ دِيباجاً ولاَ حَرِيراً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسُولِ الله ﷺ، وَلاَ شَمَمْتُ رائحَةً قَطُّ أَطْيَبَ مِن رَسُولِ اللهَّ ﷺ، وَلَقَدْ خَدَمْتُ رَسُولَ الله ﷺ عشْرَ سِنينَ، فَما قالَ لي قَطُّ: أُفٍّ، وَلا قالَ لِشَيْءٍ فَعلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟ وَلاَ لشيءٍ لَمْ أفعَلْهُ: أَلاَ فَعَلْتَ كَذا؟»(٢).

* وعن الصَّعبِ بنِ جَثَّامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَهْدَيْتُ رسُولَ الله ﷺ حِماراً وَحْشِياً، فَرَدَّهُ عليَّ، فَلَمَّا رأَى مَا في وَجْهي قالَ: «إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلاَّ أَنَّا حُرُمٌ»(٣).

* وعن النَّوَّاسِ بنِ سمعانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سأَلتُ رسُولَ الله ﷺ عنِ البِرِّ والإِثم فقالَ: «البِرُّ حُسنُ الخُلُقِ، والإِثْمُ: مَا حاكَ فِي نَفْسِكَ، وكَرِهْتَ أَنْ يطَّلعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»(٤).

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنْ رسولُ اللهَّ ﷺ فَاحِشاً وَلاَ مُتَفَحِّشاً. وكانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِن خِيارِكُم أَحْسَنَكُم أَخْلاقاً»(٥) متفقٌ عَلَيْهِ. وعن أَبي الدرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَن النبيَّ ﷺ قالَ: «مَا مِنْ شَيءٍ أَثْقَلُ فِي ميزَانِ المُؤمِنِ يَومَ القِيامة مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وإِنَّ اللهَّ يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ»(٦). «البذِيُّ»: هُوَ الَّذِي يَتَكَلَّم بالفُحْشِ ورِديء الكلامِ.

---

(١) متفقٌ عَلَيْهِ رواه البخاري (٦٢٠٣) ومسلم (٢١٥٠، ٦٥٩).

(٢) متفقٌ عَلَيْهِ رواه البخاري (٣٥٦١) ومسلم (٢٣٢١، ٨٢).

(٣) متفقٌ عَلَيْهِ، رواه البخاري (١٨٢٥) ومسلم (١١٩٣، ٥٠).

(٤) رواهُ مسلم (٢٥٥٣، ١٥).

(٥) رواه البخاري (٣٥٥٩) ومسلم (٢٣٢١، ٦٨).

(٦) رواه أبو داود (٤٧٩٩) الترمذي (٢٠٠٢) وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني والأرنؤوط.

* وعن أبي هُريرة رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكثرِ مَا يُدْخلُ النَّاس الجَنَّةَ؟ قَالَ: «تَقْوى الله وَحُسنُ الخُلُق»، وَسُئِلَ عَنْ أَكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»(١).

* وعنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَكْمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَاناً أَحسَنُهُم خُلُقاً، وخيارُكُم خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»(٢).

* وعن عائشةَ رضي الله عنها، قالت سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إِنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْركُ بِحُسنِ خُلُقِه درَجة الصائمِ القَائمِ»(٣).

* وعن أَبي أُمَامَة الباهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنا زَعِيمٌ ببَيتٍ في ربَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِراءَ، وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً، وَببيتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وإِن كَانَ مازِحاً، وَببيتٍ في أعلَى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُهُ»(٤).

* وعن جابر رضي الله عنه أن رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: «إِن مِنْ أَحَبِّكُم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجلساً يَومَ القِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُم أَخلاقاً، وإِنَّ أَبْغَضَكُم إِلَيَّ وَأَبْعَدكُم مِنِّي يومَ الْقِيامةِ، الثَّرْثَارُونَ والمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ» قالوا: يَا رسول اللهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا المُتَفيْهِقُونَ؟ قَالَ: «المُتَكَبِّرُونَ».(٥)

«الثَّرثَارُ»: هُوَ كَثِيرُ الكَلامِ تَكلُّفاً. «وَالمُتَشَدِّقُ»: المُتطاوِلُ عَلى النَّاسِ بِكَلامِهِ، وَيتكَلَّمُ بِملءِ فِيهِ تَفَاصُحاً وَتَعْظِيماً لكلامِهِ، «وَالمُتَفَيْهِقُ»: أَصلُهُ مِنَ الفَهْقِ، وهُو الامْتِلاءُ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلأُ فَمَهُ بِالكَلامِ، وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ، وَيُغْرِب بِهِ تَكَبُّراً وَارتِفَاعاً، وإِظْهَاراً للفَضِيلَةِ عَلى غيرِهِ.

وروى الترمذي عن عبد اللهِ بن المباركِ رحمه الله في تَفْسير حُسْنِ الخُلُقِ قَالَ: هُوَ طَلاقَةُ الوجه، وبذلُ المَعرُوف، وكَفُّ الأَذَى.

---

(١) رواه ابن ماجة (٤٢٤٦) الترمذي (٢٠٠٤) وقال: حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٨٢) وروايته اقتصرت على الجزء الأول من الحديث. والترمذي (١١٦٢) وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه أبو داود (٤٧٩٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه أبو داود (٤٨٠٠) بإسناد صححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

(٥) رواه الترمذي (٢٠١٨) وقال: حديث حسن. وصححه الألباني.

❖ وجاء في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري:

* [عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ، وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ، وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعِبَادَةِ، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ بِسُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرَجَةٍ فِي جَهَنَّمَ»(١).

* وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ المسلم المُسَدَّدَ لَيُدْرِكُ درجةَ الصَّوَّامِ القَوَّامِ بآيات الله بِحُسْنِ خُلُقِهِ، وَكَرَمِ ضَرِيبَتِهِ»(٢). الضريبة: الطبيعة.

* وعن صفوان بن سليم قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَيْسَرِ الْعِبَادَةِ وَأَهْوَنِهَا عَلَى الْبَدَنِ: الصَّمْتُ وَحُسْنُ الخُلُقِ»(٣).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «كَرَمُ المؤمن دِينُهُ، وَمُروءته عَقْلُهُ، وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ»(٤).

* وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قَالَ له: «يَا أَبَا ذَر لَا عَقلَ كالتَّدبير وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ وَلَا حَسَبَ كَحُسنِ الْخلقِ»(٥).

* وَتقدم فِي الْإِخْلَاص حَدِيث أبي ذَر عَن النَّبِي ﷺ: «قد أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ قلبَه للإيمانِ، وجَعَل قَلْبَهُ سليماً، ولسانَهُ صادِقاً، ونَفْسَهُ مُطْمَئِنَّةً، وخليقَتَهُ مُسْتَقِيمَةً»(٦)] أهـ.

❖ و قَالَ الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله(٧):

[قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مُثْنِيًا عَلَيْهِ وَمُظْهِرًا نِعْمَتَهُ لَدَيْهِ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] وقالت عائشة رضي الله عنها: «كانَ رَسُولُ الله ﷺ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ»(٨).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٥٤) وضعفه الألباني (ضعيف الترغيب والترهيب ١٥٩١).

(٢) رواه أحمد (٦٦٤٨، ٧٠٥٢) والطبراني في الأوسط (٣١٢٦) والكبير (١٤٢) وصححه لغيره الأرنؤوط، والألباني.

(٣) رواه ابن أبي الدُّنيَا في الصمت مرسلا (٢٧) وقال الألباني : مرسل وضعيف.

(٤) رواه ابن حبان (٤٨٣) والحاكم (٤٢٥) والبيهقي في الآداب (١٦٤) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٥) رواه ابن حبان (٣٦١) وغيره. وقال الألباني والأرنؤوط : ضعيف جداً.

(٦) رواه أحمد (٢١٣١٠) والبيهقي في الشعب (٣٠٨) وحسنه الألباني وضعفه الأرنؤوط.

(٧) وقعت في الأصل (وقال ابن القيم) والصواب أنه قول الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/ ٥٠).

(٨) رواه مسلم (٧٤٦).

وسأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق، فتلا قوله تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف]، ثمّ قَالَ ﷺ: «هو أن تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَتَعْفُوَ عمن ظلمك»[١].

* وقال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ»[٢].

* وقال ﷺ: «أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تقوى الله حُسْنُ الْخُلُقِ»[٣].

* وسئل ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قَالَ: «خُلُقٌ حَسَنٌ»، وقال ﷺ: «مَا حَسَّنَ اللهُ خَلْقَ عَبْدٍ وَخُلُقَهُ فَيُطْعِمَهُ النَّارُ»[٤].

* وقال الفضيل: قيل لِرَسُولِ الله ﷺ إِنَّ فُلَانَةَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ وَهِيَ سَيِّئَةُ الْخُلُقِ تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ: «لَا خَيْرَ فِيهَا هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»[٥].

* و«قيل يَا رَسُولَ الله أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ إِيمَانًا قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[٦].

* قَالَ ابن لقمان الحكيم لأبيه: (يا أبت أي الخصال من الإنسان خير، قَالَ: الدّين، قَالَ: فإذا كانت اثنتين، قَالَ: الدّين والمال، قَالَ: فإذا كانت ثلاثا، قَالَ: الدّين والمال والحياء، قَالَ: فإذا كانت أربعا، قَالَ: الدّين والمال والحياء وحسن الخلق، قَالَ: فإذا كانت خمسا، قَالَ: الدّين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء، قَالَ: فإذا كانت ستا، قَالَ: يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي تقي والله ولي ومن الشّيطان بري).

* وقال الحسن: (مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ).

* وقال يحيى بن معاذ: (في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق)، وقال وهب ابن منبه: (الْخُلُقِ كَمَثَلِ الْفَخَّارَةِ الْمَكْسُورَةِ لَا تُرَقَّعُ وَلَا تُعَادُ طِينًا).

---

(١) رواه ابن مردويه، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (٨٩٥٢) والحاكم (٤٢٢١) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) أصله عند أبو داود (٤٧٩٩) والتِّرْمِذِيّ (٢٠٠٢) انظر (السلسلة الصحيحة ٨٧٦) للألباني.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٦٧٨٠) والبيهقي في الشعب (٧٦٧٨)

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٩) وأحمد (٩٦٧٥) والحاكم (٧٣٠٤) وصححه الألباني.

(٦) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٦٢) وغيرهما بلفظ : «أكمل المؤمنين..» وصححه الألباني والأرنؤوط.

* وقال الفضيل: (أن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق).

* وقال الجنيد: (أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه: الحلم، والتواضع، والسخاء، وحسن الخلق وهو كمال الإيمان).

* (وسئل ابن عباس ما الكرم فقال: هو ما بين الله في كتابه العزيز إن أكرمكم عند الله أتقاكم قيل فما الحسب قَالَ أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا وقال لكل بنيان أساس وأساس الإِسْلَام حسن الخلق).

* وقال عطاء: (ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن، ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى ﷺ فأقرب الخلق إلى الله عَزَّ وَجَلَّ السالكون آثاره بحسن الخلق).

- **بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق:**

اعلم أن النّاس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وإنما تعرضوا لثمرته ثمّ لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كلّ واحد من ثمراته ما خطر له وما كانَ حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته عَلى التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن: (حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى) وقال الواسطي: (هو أَنْ لَا يُخَاصِمَ وَلَا يُخَاصَمَ) مِنْ شِدَّةِ معرفته بالله تَعَالَى، وقال شاه الكرماني (هو كف الأذى واحتمال المؤن) وقال بعضهم (هو أن يكون من النّاس قريباً وفيما بينهم غريبا) وقال الواسطي مرّة (هو إرضاء الخلق في السراء والضراء) وقال أبو عثمان (هو الرضا عن الله تَعَالَى) وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال (أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه) وقال مرّة أن (لا يتهم الحقّ في الرزق ويثق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين النّاس) وقال علي رضي الله عنه: (حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة عَلى العيال) وقال الحسين بن منصور: (هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق) وقال أبو سعيد الخراز (هو أن لا يكون لك هم غير الله تَعَالَى).

فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثمّ ليس هو محيطا بجميع الثمرات أيضا وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الأقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أي حسن الباطن والظَّاهِر فيراد بالخلق الصُّورة الظَّاهِرة ويراد بالخلق

الصُّورة الباطنة وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة فالنّفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه إذ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص] فنبه عَلَى أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى ربّ العَالَمِيّن والمراد بالروح والنّفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هَيْئَةٌ فِي النَّفْسِ رَاسِخَةٌ عَنْهَا تُصْدِرُ الْأَفْعَالَ بِسُهُولَةٍ وَيُسْرٍ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ.

فالخلق إذا عبارة عن هيئة النّفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصُّورة الظَّاهِرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بُدَّ من حسن الجميع ليتم حسن الظَّاهِر فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بُدَّ من الحسن في جميعها حتَّى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل.

أما قوة العلم فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصِّدق والكذب في الأقوال وبين الحقّ والبَاطِل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الأفعال فإذا صلحت هذه القوّة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي الّتي قَالَ الله فيها ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وأما قوة الغضب فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها عَلَى حد ما تقتضيه الحكمة، وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة أعني إشارة العقل والشَّرع، وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشَّرع، فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هيَ القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضي لإشارة العقل والغضب هو الّذي تنفد فيه الإشارة ومثاله مثال كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتَّى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النّفس والشهوة مثالها مثال الفرس الّذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصّة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوّة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه

بالعفة فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمَّى تهورا وإن مالت إلى الضّعف والنقصان تسمَّى جبنا وخورا وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمَّى شرها وإن مالت إلى النقصان تسمَّى جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطّرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضدّ واحد ومقابل وهو الجور وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الّذي يختص باسم الحكمة **فإذن أمهات الْأَخْلَاقِ وَأُصُولُهَا أَرْبَعَةٌ:**

❖ الْحِكْمَةُ وَالشَّجَاعَةُ وَالْعِفَّةُ وَالْعَدْلُ.

وَنَعْنِي بِالْحِكْمَةِ حَالَةً لِلنَّفْسِ بِهَا يُدْرَكُ الصَّوَابُ من الخطأ في جميع الأفعال الِاخْتِيَارِيَّةِ

وَنَعْنِي بِالْعَدْلِ حَالَةً لِلنَّفْسِ وَقُوَّةً بِهَا تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما فِي الِاسْتِرْسَالِ وَالِانْقِبَاضِ عَلَى حَسَبِ مُقْتَضَاهَا وَنَعْنِي بِالشَّجَاعَةِ كَوْنَ قُوَّةِ الْغَضَبِ مُنْقَادَةً لِلْعَقْلِ فِي إِقْدَامِهَا وَإِحْجَامِهَا وَنَعْنِي بِالْعِفَّةِ تَأَدُّبَ قُوَّةِ الشَّهْوَةِ بِتَأْدِيبِ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ، فَمِنِ اعْتِدَالِ هَذِهِ الْأُصُولِ الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرَّأي وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن إفراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون وأعني بالغمارة قلة التَّجربة في الأمور مع سلامة التخيل فقد يكون الإنسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق الجنون أن الأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطّريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطّريق الموصل إلى الغرض وأما المجنون فإنه يختار ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإيثاره فاسدا وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النّفس والاحتمال والحلم والثّبات وكظم الغيظ والوقار

والتودد وأمثالها وهي أخلاق محمودة وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النّفس والانقباض عن تناول الحقّ الواجب وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصّبر والمسامحة

والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك.

فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة:

وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله ﷺ، والنّاس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب

منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تَعَالَى بقدر قربه من رسول الله ﷺ وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به في جميع الأفعال ومن انفك عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعِبَاد فإنه قد قرب من الشّيطان اللعين المبعد فينبغي أن يبعد كما أن الأوّل قريب من الملك المقرب فينبغي أن يقتدي به ويتقرب إليه فإن رسول الله ﷺ لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق كما قَالَ، وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ إِلَى هَذِهِ الْأَخْلَاقِ فِي أَوْصَافِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات]

فالإيمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثَمَرَةُ الْعَقْلِ وَمُنْتَهى الْحِكْمَةِ وَالْمُجَاهَدَةُ بِالْمَالِ هُوَ السَّخَاءُ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَى ضَبْطِ قُوَّةِ الشَّهْوَةِ، وَالْمُجَاهَدَةُ بِالنَّفْسِ هِيَ الشَّجَاعَةُ الَّتِي تَرْجِعُ إِلَى اسْتِعْمَالِ قُوَّةِ الْغَضَبِ عَلَى شَرْطِ الْعَقْلِ وَحَدِّ الِاعْتِدَالِ فَقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى الصَّحَابَةَ فَقَالَ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: ٢٩] إِشَارَةً إِلَى أَنَّ لِلشِّدَّةِ مَوْضِعًا وَلِلرَّحْمَةِ مَوْضِعًا فَلَيْسَ الْكَمَالُ فِي الشِّدَّةِ بِكُلِّ حَالٍ وَلَا فِي الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخُلق وحُسنه وقُبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه، بَيَانُ قَبُولِ الْأَخْلَاقِ لِلتَّغْيِيرِ بِطَرِيقِ الرِّيَاضَةِ.

اعْلَمْ أن بعض من غلبت البطالة عليه اسْتَثْقَلَ الْمُجَاهَدَةَ وَالرِّيَاضَةَ وَالِاشْتِغَالَ بِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَتَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ فَلَمْ تَسْمَحْ نَفْسُهُ بِأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِقُصُورِهِ وَنَقْصِهِ وَخُبْثِ دُخْلَتِهِ فَزَعَمَ أَنَّ الْأَخْلَاقَ لَا يُتَصَوَّرُ تَغْيِيرُهَا فَإِنَّ الطِّبَاعَ لَا تَتَغَيَّرُ واستدل فيه بأمرين أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظّاهِر فالخلقة الظّاهِرة لا يقدر عَلى تغييرها فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلا ولا

الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيرًا ولا القبيح يقدر عَلى تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثّاني أنهم قالوا حسن الخلق يقمع الشهوة والغضب وقد جربنا ذلك بطول المُجَاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فإنه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الأخلاق لاتقبل التَّغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات]. أهـ.(١)

ولنتناول طرفا من مكارم الأخلاق وخصال الخير الّتي تنفع وتلزم كلّ مسلم، وهي للمُجَاهد ألزم، وفي حقه آكد:

❖ الإخلاص:

ونقتطف من كلام ابن القيم رحمه الله في كتابه (مدارج السالكين)، مع بعض الإختصار:

قَالَ الله تَعَالَى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾ [الزمر] وقال له: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام] وقال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك: ٢]

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: هُوَ أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ، قَالُوا: يَا أَبَا عَلِيٍّ، مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا، وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا، لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا: لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ: أَنْ يَكُونَ للهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف].

وقال تَعَالَى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [النساء: ١٢٥] فَإِسْلَامُ الْوَجْهِ: إِخْلَاصُ الْقَصْدِ وَالْعَمَلِ للهِ، وَالْإِحْسَانُ فِيهِ: مُتَابَعَةُ رَسُولِهِ ﷺ وَسُنَّتِهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان] وَهِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى غَيْرِ السُّنَّةِ، أَوْ أُرِيدَ بِهَا غَيْرُ وَجْهِ الله، قَالَ

---

(١) (إحياء علوم الدين – ج / ٣. باختصار).

النَّبِيُّ ﷺ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: «إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ، فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ الله تَعَالَى إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ خَيْرًا، وَدَرَجَةً وَرِفْعَةً»[١].....

وَسُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ رِيَاءً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً: أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ الله؟ فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله»[٢]، وَأَخْبَرَ عَنْ أَوَّلِ ثَلَاثَةٍ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ: قَارِئُ الْقُرْآنِ، وَالْمُجَاهِدُ، وَالْمُتَصَدِّقُ بِمَالِهِ، الَّذِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ لِيُقَالَ: فُلَانٌ قَارِئٌ، فُلَانٌ شُجَاعٌ، فُلَانٌ مُتَصَدِّقٌ، وَلَمْ تَكُنْ أَعْمَالُهُمْ خَالِصَةً لله.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ[٣] الْإِلَهِيِّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ بِهِ، وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ**» .

وَفِي أَثَرٍ آخَرَ: يَقُولُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «اذْهَبْ فَخُذْ أَجْرَكَ مِمَّنْ عَمِلْتَ لَهُ، لَا أَجْرَ لَكَ عِنْدَنَا».

وَفِي الصَّحِيحِ[٤] عَنْهُ ﷺ «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ» .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[الحج: ٣٧] وَفِي أَثَرٍ مَرْوِيٍّ إِلَهِيٍّ: «الْإِخْلَاصُ سِرٌّ مِنْ سِرِّي، اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ مِنْ عِبَادِي» .

وَقَدْ تَنَوَّعَتْ عِبَارَتُهُمْ فِي الْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ، وَالْقَصْدُ وَاحِدٌ.

فَقِيلَ: هُوَ إِفْرَادُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِالْقَصْدِ فِي الطَّاعَةِ.

وَقِيلَ: تَصْفِيَةُ الْفِعْلِ عَنْ مُلَاحَظَةِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَقِيلَ: التَّوَقِّي مِنْ مُلَاحَظَةِ الْخَلْقِ حَتَّى عَنْ نَفْسِكَ، وَالصِّدْقُ التَّنَقِّي مِنْ مُطَالَعَةِ النَّفْسِ، فَالْمُخْلِصُ لَا رِيَاءَ لَهُ، وَالصَّادِقُ لَا إِعْجَابَ لَهُ، وَلَا يَتِمُّ الْإِخْلَاصُ إِلَّا بِالصِّدْقِ، وَلَا الصِّدْقُ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ، وَلَا يَتِمَّانِ إِلَّا بِالصَّبْرِ.

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٦٣٧٣، ٤٤٠٩) ومسلم (١٦٢٨).

(٢) رواه البخاري : (٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨) ومسلم (١٩٠٤) وأصحاب السنن.

(٣) رواه مسلم (٢٩٨٥) واللفظ لابن ماجة (٤٢٠٢).

(٤) رواه مسلم (٢٥٦٤) وجاء عنده: «لا ينظر إلى أجسادكم..» بدل «أجسامكم» .

وَقِيلَ: مَنْ شَهِدَ فِي إِخْلَاصِهِ الْإِخْلَاصَ، احْتَاجَ إِخْلَاصُهُ إِلَى إِخْلَاصٍ، فَنُقْصَانُ كُلِّ مُخْلِصٍ فِي إِخْلَاصِهِ: بِقَدْرِ رُؤْيَةِ إِخْلَاصِهِ، فَإِذَا سَقَطَ عَنْ نَفْسِهِ رُؤْيَةُ الْإِخْلَاصِ، صَارَ مُخْلِصًا مُخْلَصًا.

وَقِيلَ: الْإِخْلَاصُ اسْتِوَاءُ أَعْمَالِ الْعَبْدِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَالرِّيَاءُ: أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ خَيْرًا مِنْ بَاطِنِهِ، وَالصِّدْقُ فِي الْإِخْلَاصِ: أَنْ يَكُونَ بَاطِنُهُ أَعْمَرَ مِنْ ظَاهِرِهِ، وَقِيلَ: الْإِخْلَاصُ نِسْيَانُ رُؤْيَةِ الْخَلْقِ بِدَوَامِ النَّظَرِ إِلَى الْخَالِقِ، وَمَنْ تَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ الله.

وَمِنْ كَلَامِ الْفُضَيْلِ: تَرْكُ الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ: رِيَاءٌ، وَالْعَمَلُ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ: شِرْكٌ، وَالْإِخْلَاصُ: أَنْ يُعَافِيَكَ اللهُ مِنْهُمَا.

قَالَ الْجُنَيْدُ: الْإِخْلَاصُ سِرٌّ بَيْنَ الله وَبَيْنَ الْعَبْدِ، لَا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ فَيَكْتُبُهُ، وَلَا شَيْطَانٌ فَيُفْسِدُهُ، وَلَا هَوًى فَيُمِيلُهُ.

وَقِيلَ لِسَهْلٍ: أَيُّ شَيْءٍ أَشَدُّ عَلَى النَّفْسِ؟ فَقَالَ: الْإِخْلَاصُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا فِيهِ نَصِيبٌ.

تعريف الإخلاص:

قَالَ صَاحِبُ «الْمَنَازِلِ»: الْإِخْلَاصُ: (تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ). أَيْ لَا يُمَازِجُ عَمَلَهُ مَا يَشُوبُهُ مِنْ شَوَائِبِ إِرَادَاتُ النَّفْسِ إِمَّا طَلَبُ التَّزَيُّنِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِمَّا طَلَبُ مَدْحِهِمْ، وَالْهَرَبُ مِنْ ذَمِّهِمْ، أَوْ طَلَبُ تَعْظِيمِهِمْ، أَوْ طَلَبُ أَمْوَالِهِمْ أَوْ خِدْمَتِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ وَقَضَائِهِمْ حَوَائِجَهُ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ وَالشَّوَائِبِ، الَّتِي عَقْدُ مُتَفَرِّقَاتِهَا هُوَ إِرَادَةُ مَا سِوَى الله بِعَمَلِهِ، كَائِنًا مَا كَانَ.

قَالَ: درجات الإخلاص: وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى:

إِخْرَاجُ رُؤْيَةِ الْعَمَلِ عَنِ الْعَمَلِ، وَالْخَلَاصُ مِنْ طَلَبِ الْعِوَضِ عَلَى الْعَمَلِ، وَالنُّزُولُ عَنِ الرِّضَا بِالْعَمَلِ.

يَعْرِضُ لِلْعَامِلِ فِي عَمَلِهِ ثَلَاثُ آفَاتٍ: رُؤْيَتُهُ وَمُلَاحَظَتُهُ، وَطَلَبُ الْعِوَضِ عَلَيْهِ، وَرِضَاهُ بِهِ وَسُكُونُهُ إِلَيْهِ.

فَفِي هَذِهِ الدَّرَجَةِ يَتَخَلَّصُ مِنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ، فَالَّذِي يُخَلِّصُهُ مِنْ رُؤْيَةِ عَمَلِهِ مُشَاهَدَتُهُ لِمِنَّةِ الله عَلَيْهِ وَفَضْلِهِ وَتَوْفِيقِهِ لَهُ، وَأَنَّهُ بِالله لَا بِنَفْسِهِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا أَوْجَبَ عَمَلَهُ مَشِيئَةُ الله لَا مَشِيئَتُهُ هُوَ....

فَكُلُّ خَيْرٍ فِي الْعَبْدِ فَهُوَ مُجَرَّدُ فَضْلِ اللهِ وَمِنَّتِهِ، وَإِحْسَانِهِ وَنِعْمَتِهِ. وَهُوَ الْمَحْمُودُ عَلَيْهِ، فَرُؤْيَةُ الْعَبْدِ لِأَعْمَالِهِ فِي الْحَقِيقَةِ، كَرُؤْيَتِهِ لِصِفَاتِهِ الْخَلْقِيَّةِ: مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، وَإِدْرَاكِهِ وَقُوَّتِهِ، بَلْ مِنْ صِحَّتِهِ، وَسَلَامَةِ أَعْضَائِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَالْكُلُّ مُجَرَّدُ عَطَاءِ اللهِ وَنِعْمَتِهِ وَفَضْلِهِ.

فَالَّذِي يُخَلِّصُ الْعَبْدَ مِنْ هَذِهِ الْآفَةِ: مَعْرِفَةُ رَبِّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَفْسِهِ.

وَالَّذِي يُخَلِّصُهُ مِنْ طَلَبِ الْعِوَضِ عَلَى الْعَمَلِ: عِلْمُهُ بِأَنَّهُ عَبْدٌ مَحْضٌ، وَالْعَبْدُ لَا يَسْتَحِقُّ عَلَى خِدْمَتِهِ لِسَيِّدِهِ عِوَضًا وَلَا أُجْرَةً؛ إِذْ هُوَ يَخْدِمُهُ بِمُقْتَضَى عُبُودِيَّتِهِ، فَمَا يَنَالُهُ مِنْ سَيِّدِهِ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ تَفَضُّلٌ مِنْهُ، وَإِحْسَانٌ إِلَيْهِ، وَإِنْعَامٌ عَلَيْهِ، لَا مُعَارَضَةٌ؛ إِذِ الْأُجْرَةُ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّهَا الْحُرُّ، أَوْ عَبْدُ الْغَيْرِ، فَأَمَّا عَبْدُ نَفْسِهِ فَلَا.

وَالَّذِي يُخَلِّصُهُ مِنْ رِضَاهُ بِعَمَلِهِ وَسُكُونِهِ إِلَيْهِ أَمْرَانِ:

أَحَدُهُمَا: مُطَالَعَةُ عُيُوبِهِ وَآفَاتِهِ، وَتَقْصِيرِهِ فِيهِ، وَمَا فِيهِ مِنْ حَظِّ النَّفْسِ، وَنَصِيبِ الشَّيْطَانِ، فَقَلَّ عَمَلٌ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَصِيبٌ، وَإِنْ قَلَّ، وَلِلنَّفْسِ فِيهِ حَظٌّ.

سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْتِفَاتِ الرَّجُلِ فِي صَلَاتِهِ؟ فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ»[(١)].

فَإِذَا كَانَ هَذَا الْتِفَاتَ طَرْفِهِ أَوْ لَحْظِهِ؛ فَكَيْفَ الْتِفَاتُ قَلْبِهِ إِلَى مَا سِوَى اللهِ؟ هَذَا أَعْظَمُ نَصِيبِ الشَّيْطَانِ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ لِلشَّيْطَانِ حَظًّا مِنْ صَلَاتِهِ، يَرَى أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ لَا يَنْصَرِفَ إِلَّا عَنْ يَمِينِهِ، فَجَعَلَ هَذَا الْقَدْرَ الْيَسِيرَ النَّزْرِ حَظًّا وَنَصِيبًا لِلشَّيْطَانِ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ، فَمَا الظَّنُّ بِمَا فَوْقَهُ؟ وَأَمَّا حَظُّ النَّفْسِ مِنَ الْعَمَلِ فَلَا يَعْرِفُهُ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَائِرِ الصَّادِقُونَ.

الثَّانِي: عِلْمُهُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْ حُقُوقِ الْعُبُودِيَّةِ، وَآدَابِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَشُرُوطِهَا، وَأَنَّ الْعَبْدَ أَضْعَفُ وَأَعْجَزُ وَأَقَلُّ مِنْ أَنْ يُوَفِّيَهَا حَقًّا، وَأَنْ يَرْضَى بِهَا لِرَبِّهِ، فَالْعَارِفُ لَا يَرْضَى بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ لِرَبِّهِ، وَلَا يَرْضَى نَفْسَهُ للهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَيَسْتَحْيِي مِنْ مُقَابَلَةِ اللهِ بِعَمَلِهِ.

---

(١) رواه البخاري (٧٥١).

فَسُوءُ ظَنِّهِ بِنَفْسِهِ وَعَمَلِهِ وَبُغْضُهُ لَهَا، وَكَرَاهَتُهُ لِأَنْفَاسِهِ وَصُعُودِهَا إِلَى الله يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرِّضَا بِعَمَلِهِ، وَالرِّضَا عَنْ نَفْسِهِ.

وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفُ يُصَلِّي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةَ أَرْبَعَمِائَةِ رَكْعَةٍ، ثُمَّ يَقْبِضُ عَلَى لِحْيَتِهِ وَيَهُزُّهَا، وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ: يَا مَأْوَى كُلِّ سُوءٍ، وَهَلْ رَضِيتُكَ للهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؟

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: آفَةُ الْعَبْدِ رِضَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ بِاسْتِحْسَانِ شَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ أَهْلَكَهَا، وَمَنْ لَمْ يَتَّهِمْ نَفْسَهُ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ فَهُوَ مَغْرُورٌ.

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ:

(الْخَجَلُ مِنَ الْعَمَلِ مَعَ بَذْلِ الْمَجْهُودِ، وَتَوْفِيرِ الْجُهْدِ بِالِاحْتِمَاءِ مِنَ الشُّهُودِ، وَرُؤْيَةِ الْعَمَلِ فِي نُورِ التَّوْفِيقِ مِنْ عَيْنِ الْجُودِ).

هَذِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ: (خَجَلُهُ) مِنْ عَمَلِهِ، وَهُوَ شِدَّةُ حَيَائِهِ مِنَ الله؛ إِذْ لَمْ يَرَ ذَلِكَ الْعَمَلَ صَالِحًا لَهُ، مَعَ بَذْلِ مَجْهُودِهِ فِيهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠﴾ [المؤمنون] قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هُوَ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيُصَلِّي، وَيَتَصَدَّقُ، وَيَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ»(١) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنِّي لَأُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فَأَقُومُ عَنْهُمَا بِمَنْزِلَةِ السَّارِقِ أَوِ الزَّانِي، الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ، حَيَاءً مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ فَالْمُؤْمِنُ: جَمَعَ إِحْسَانًا فِي مَخَافَةٍ وَسُوءَ ظَنٍّ بِنَفْسِهِ، وَالْمَغْرُورُ: حَسَنُ الظَّنِّ بِنَفْسِهِ مَعَ إِسَاءَتِهِ.

الثَّانِي: تَوْفِيرُ الْجُهْدِ بِاحْتِمَائِهِ مِنَ الشُّهُودِ، أَيْ يَأْتِي بِجُهْدِ الطَّاقَةِ فِي تَصْحِيحِ الْعَمَلِ، مُحْتَمِيًا عَنْ شُهُودِهِ مِنْكَ وَبِكَ.

الثَّالِثُ: أَنْ تَحْتَمِيَ بِنُورِ التَّوْفِيقِ الَّذِي يُنَوِّرُ اللهُ بِهِ بَصِيرَةَ الْعَبْدِ، فَتَرَى فِي ضَوْءِ ذَلِكَ النُّورِ أَنَّ عَمَلَكَ مِنْ عَيْنِ جُودِهِ لَا بِكَ، وَلَا مِنْكَ.

فَقَدِ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الدَّرَجَةُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: عَمَلٌ، وَاجْتِهَادٌ فِيهِ، وَخَجَلٌ، وَحَيَاءٌ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَصِيَانَةٌ عَنْ شُهُودِهِ مِنْكَ، وَرُؤْيَتُهُ مِنْ عَيْنِ جُودِ الله سُبْحَانَهُ وَمِنَّهُ.

---

(١) رواه الترمذي (٣١٧٥) وابن ماجة (٤١٩٨) وأحمد (٢٥٧٠٥) والحاكم (٣٤٨٦) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لانقطاعه.

قَالَ: الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ:

إِخْلَاصُ الْعَمَلِ بِالْخَلَاصِ مِنَ الْعَمَلِ، تَدَعُهُ يَسِيرُ سَيْرَ الْعِلْمِ، وَتَسِيرُ أَنْتَ مُشَاهِدًا لِلْحُكْمِ، حُرًّا مِنْ رِقِّ الرَّسْمِ.

قَدْ فَسَّرَ الشَّيْخُ مُرَادَهُ بِإِخْلَاصِ الْعَمَلِ مِنَ الْعَمَلِ بِقَوْلِهِ: تَدَعُهُ يَسِيرُ سَيْرَ الْعِلْمِ وَتَسِيرُ أَنْتَ مُشَاهِدًا لِلْحُكْمِ.

وَمَعْنَى كَلَامِهِ: أَنَّكَ تَجْعَلُ عَمَلَكَ تَابِعًا لِعِلْمٍ، مُوَافِقًا لَهُ، مُؤْتَمًّا بِهِ، تَسِيرُ بِسَيْرِهِ وَتَقِفُ بِوُقُوفِهِ، وَتَتَحَرَّكُ بِحَرَكَتِهِ، نَازِلًا مَنَازِلَهُ، مُرْتَوِيًا مِنْ مَوَارِدِهِ، نَاظِرًا إِلَى الْحُكْمِ الدِّينِيِّ الْأَمْرِيِّ، مُتَقَيِّدًا بِهِ، فِعْلًا وَتَرْكًا، وَطَلَبًا وَهَرَبًا، نَاظِرًا إِلَى تَرَتُّبِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَيْهِ سَبَبًا وَكَسْبًا، وَمَعَ ذَلِكَ فَتَسِيرُ أَنْتَ بِقَلْبِكَ، مُشَاهِدًا لِلْحُكْمِ الْكَوْنِيِّ الْقَضَائِيِّ، الَّذِي تَنْطَوِي فِيهِ الْأَسْبَابُ وَالْمُسَبَّبَاتُ، وَالْحَرَكَاتُ وَالسَّكَنَاتُ، وَلَا يَبْقَى هُنَاكَ غَيْرُ مَحْضِ الْمَشِيئَةِ، وَتَفَرُّدِ الرَّبِّ وَحْدَهُ بِالْأَفْعَالِ، وَمَصْدَرِهَا عَنْ إِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَيَكُونُ قَائِمًا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِعْلًا وَتَرْكًا، سَائِرًا بِسَيْرِهِ، وَبِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، إِيمَانًا وَشُهُودًا وَحَقِيقَةً، فَهُوَ نَاظِرٌ إِلَى الْحَقِيقَةِ، قَائِمٌ بِالشَّرِيعَةِ.

وَهَذَانِ الْأَمْرَانِ هُمَا عُبُودِيَّةُ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير] وقال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٣٠﴾ [الإنسان]

فَتَرْكُ الْعَمَلِ يَسِيرُ سَيْرَ الْعِلْمِ: مَشْهَدُ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ وَسَيْرُ صَاحِبِهِ مُشَاهِدًا لِلْحُكْمِ: مَشْهَدُ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.][1]

قَالَ الشَّيْخ عبدالله عزام:

النِّيَّة وأسباب النّصر:

١- «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ»[2].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٩٧).

(٢) رواه النسائي (٣١٧٨) وصححه الألباني.

قَالَ ابن العربيّ: (من حكمة الله العظمى أنه أمر بالعدة للعدو وأخذه بالقوة وأخبر أن النّصر بعد ذلك يكون بالضّعفاء، ليعلم الخلق فيما أمروا به من الاستعداد وقدر العِبَادة من النَّظر في العِبَادة، وليرجوا إلى الحقيقة، وأن النّصر من عند الله يلقيه عَلَى يد الأضعف، فالاستعداد للعبادة والعلم بجهة النّصر في الضعيف للتوحيد وأن الأمر كله لله عادة وحقيقة يديرها كيف أخبر).

٢- عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ». وبداية الحديث في البُخَارِيّ[١] عن مصعب بن سعد قَالَ: رأى – أي سعد ﷺ – أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ».

قَالَ المهلب: إنما أراد ﷺ بهذا القول لسعد التواضع ونفي الكبر والزهو عن قلوب المُؤْمِنِين، وأخبر ﷺ أن بدعائهم ينصرون ويرزقون، لأن عبادتهم ودعاءهم أشد إخلاصا وأكثر خشوعا لخلو قلوبهم من التعلق بزخرف الدُّنيَا وزينتها وصفاء ضمائرهم عما يقطعهم عن الله تَعَالَى، فجعلوا همهم واحدا، فزكت أعمالهم وأجيب دعاؤهم.

٣- عن أبي أمامة ﷺ: «لَقَدْ فَتَحَ الفُتُوحَ قَوْمٌ، مَا كَانَتْ حِلْيَةُ سُيُوفِهِمُ الذَّهَبَ وَلاَ الفِضَّةَ، إِنَّمَا كَانَتْ حِلْيَتُهُمْ العَلاَبِيَّ وَالآنُكَ وَالحَدِيدَ»[٢].

٤- قَالَ النبيّ ﷺ وهو في قبة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ اليَوْمِ» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ الله، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ [القمر] وفي رواية: «وذلك: يَوْمَ بَدْرٍ»[٣].

قَالَ ابن إسحاق حدثني عبدالله بن أبي بكر أنه حدث: **أن سعد بن معاذ قَالَ: يا نبي الله، ألا نبتني لَكَ عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ، ونُعد عِنْدَكَ رَكَائِبَكَ، ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا فَإِنْ أَعَزَّنَا اللهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوِّنَا، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى، جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبِكَ، فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ، يَا نَبِيَّ**

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٢٨٩٦).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٢٩٠٩).

(٣) رواه البُخَارِيّ (٢٩١٥).

الله، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ لَكَ حُبًّا مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ اللهُ بِهِمْ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ، ثُمَّ بُنِيَ لِرَسُولِ الله ﷺ العريشَ فَكَانَ فِيهِ(١).

٥- حدثنا أبو موسى الأشعري أن رجلا أعرابيا أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله**»(٢).

يقع القِتَال بسبب خمسة أشياء:

طلب المغنم، وإظهار الشجاعة، والرياء، والحمية، والغضب، وكل منها يتناول المدح والذم.

والمراد بكلمة الله: دعوة الله إلى الإِسْلَام، ويحتمل أن يكون المراد أنه لايكون في سبيل الله إلا من كانَ سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط، بمعنى أنه لو أضاف إلى ذلك سببا من الأسباب المذكورة أخل بذلك، ويحتمل أن لا يخل إذا حصل ذلك ضمنا لا أصلا ومقصودا، وبذلك صرح الطبري فقال: إن كانَ أصل الباعث هو الأوّل لا يضره ما عرض له بعد ذلك، وبذلك قَالَ الجمهور، ويدل عَلى صحة رأي الجمهور ما رواه أبو داوود(٣) بإسناد حسن عن عبدالله بن حوالة قَالَ: **بعثنا رسول الله ﷺ لِنَغْنَمَ فَرَجَعْنَا وَلَمْ نَغْنَمْ شيئا، فقال:** «**اللَّهُمَّ لَا تَكِلْهُمْ إِلَيَّ فَأَضْعُفَ عَنْهُمْ، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجِزُوا عنها، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى النَّاسِ فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ**».

واشتمل طلب إعلاء كلمة الله عَلى طلب رضاه، وطلب ثوابه، وطلب دحض أعدائه، وكلها متلازمة.

١- عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ ناقل أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ،**

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٦٢٠)

(٢) رواه البخاري: (٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨) ومسلم (١٩٠٤) واللفظ له.

(٣) رواه أبو داود (٢٥٣٥) وأحمد (٢٢٤٨٧) والحاكم (٨٣٠٩) وصححه الذهبي والألباني، وضعف إسناده الأرنؤوط بتتمته إلا أنه صححه بهذه السياقة، انظر سنن أبي داود بتحقيق الأرنؤوط حديث رقم (٢٤٨٣).

ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(١).

٢- عن أنس بن مالك قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا، أُعْطِيَهَا، وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ» وفي رواية: «بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»(٢).

٣- «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»(٣).

ومعنى الحديثين: أنه إذا سأل الشَّهَادة بصدق أعطي من ثواب الشّهداء وإن كانَ عَلى فراشه، وفيه استحباب سؤال الشَّهَادة واستحباب نية الخير.

٤- عن جابر قَالَ: كنا مع النبيّ ﷺ في غزاة فقال: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ»، وفي رواية: «إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ»(٤).

وفي الحديث: فضيلة النِّيَّة الخير، وأن من نوى الغزو وغيره من الطاعات فعرض له عذر منعه حصل له ثواب نيته، وأنه كلما أكثر من التأسف عَلى فوات ذلك وتمنى كونه من الغُزَاة ونحوهم كثر ثوابه والله أعلم، وفي الحديث دلاله أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه عن العمل.

(١) رواه مسلم (١٩٠٥).

(٢) رواه مسلم (١٩٠٨).

(٣) رواه مسلم (١٩٠٩).

(٤) رواه مسلم (١٩١١).

٥- عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ» فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»(١).

٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله، وَهُوَ يَبْتَغِي عرضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا؟، قَالَ: «لَا أَجْرَ لَهُ»، فَأَعْظَمَ ذَلِكَ النَّاسُ، وَقَالُوا لِلرَّجُلِ: عُدْ لِرَسُولِ الله ﷺ فَلَعَلَّكَ لَمْ تُفَهِمْهُ، قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ الله، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله، وَهُوَ يَبْتَغِي عرضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا؟، قَالَ: «لَا أَجْرَ لَهُ»، فقَالُوا لِلرَّجُلِ: عُدْ لِرَسُولِ الله، فَقَالَ الثَّالِثَةَ: «لَا أَجْرَ لَهُ»(٢).

قَالَ بن عابدين في حاشيته (٤/ ١٢٠): (وأما إذا كانَ معظم مقصوده الجِهَاد ويرغب معه في الغنيمة فهو داخل قوله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] يعني التجارة في طريق الحجّ، فكما أنه لا يحرم ثواب الحجّ فكذا الجِهَاد).....

١١- «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ مَاتَ عَلَى شُعبَةٍ مِنْ النِّفَاقِ»(٣)، أي أشبه المُنَافِقين المتخلفين عن الجِهَاد في هذا الوصف، فإن ترك الجِهَاد أحد شعب النِّفَاق.] أهـ.(٤)

❖ الإحسان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «سَلُونِي»، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «لَا تُشْرِكُ بِالله شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ،

---

(١) رواه النسائي (٣١٤٠) وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) رواه أبو داود (٢٥١٦) أحمد (٨٧٩٣) وابن حبان (٤٦٣٧) والحاكم (٢٤٣٦، ٣٤٠٤) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح غير مكرز.

(٣) رواه مسلم (١٩١٠).

(٤) الذخائر: (ج١/ ٢٧٦).

وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَخْشَى اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: صَدَقْتَ....»(١).

وعن أبي يعلى شداد بن أوس ﷺ عن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»(٢).

قَالَ ابن القيم رحمه الله: [منزلة الإحسان:

وَهِيَ لُبُّ الْإِيمَانِ، وَرُوحُهُ وَكَمَالُهُ، وَهَذِهِ الْمَنْزِلَةُ تَجْمَعُ جَمِيعَ الْمَنَازِلِ، فَجَمِيعُهَا مُنْطَوِيَةٌ فِيهَا، وَكُلُّ مَا قِيلَ مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ إِلَى هَاهُنَا فَهُوَ مِنَ الْإِحْسَانِ.

قَالَ صَاحِبُ «الْمَنَازِلِ» رحمه الله وَقَدِ اسْتَشْهَدَ عَلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ۝٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠] فَالْإِحْسَانُ: جَامِعٌ لِجَمِيعِ أَبْوَابِ الْحَقَائِقِ، وَهُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ.

أَمَّا الْآيَةُ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْمُفَسِّرُونَ: هَلْ جَزَاءُ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَعَمِلَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَّا الْجَنَّةُ؟ .

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَرَأَ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ۝٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠] ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «يَقُولُ: هَلْ جَزَاءُ مَنْ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ إِلَّا الْجَنَّةُ؟»(٣).

وَأَمَّا الْحَدِيثُ: فَإِشَارَةٌ إِلَى كَمَالِ الْحُضُورِ مَعَ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَمُرَاقَبَتِهِ الْجَامِعَةِ لِخَشْيَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالْإِخْلَاصِ لَهُ، وَلِجَمِيعِ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ.

(دَرَجَاتُ الْإِحْسَانِ): قَالَ: وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ.

الدَّرَجَةُ الْأُولَى:

الْإِحْسَانُ فِي الْقَصْدِ بِتَهْذِيبِهِ عِلْمًا، وَإِبْرَامِهِ عَزْمًا، وَتَصْفِيَتِهِ حَالًا؛ يَعْنِي: إِحْسَانُ الْقَصْدِ يَكُونُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

---

(١) رواه البخاري (٥٠، ١٣٩٧، ٤٧٧٧، ٧١٢١) ومسلم (٩، ١٠، ١٤) واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (١٩٥٥).

(٣) انظر شعب الإيمان للبيهقي (٤٢٥) والحديث ضعيف .

أَحَدُهَا: تَهْذِيبُهُ عِلْمًا، بِأَنْ يَجْعَلَهُ تَابِعًا لِلْعِلْمِ عَلَى مُقْتَضَاهُ مُهَذَّبًا بِهِ، مُنَقًّى مِنْ شَوَائِبِ الْحُظُوظِ، فَلَا يَقْصِدُ إِلَّا مَا يَجُوزُ فِي الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ هُوَ اتِّبَاعُ الْأَمْرِ وَالشَّرْعِ.

وَالثَّانِي: إِبْرَامُهُ عَزْمًا، وَالْإِبْرَامُ: الْإِحْكَامُ وَالْقُوَّةُ، أَيْ يُقَارِنُهُ عَزْمٌ يُمْضِيهِ، وَلَا يَصْحَبُهُ فُتُورٌ وَتَوَانٍ يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ.

الثَّالِثُ: تَصْفِيَتُهُ حَالًا؛ أَيْ يَكُونُ حَالُ صَاحِبِهِ صَافِيًا مِنَ الْأَكْدَارِ وَالشَّوَائِبِ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَى كَدَرِ قَصْدِهِ. فَإِنَّ الْحَالَ مَظْهَرُ الْقَصْدِ وَثَمَرَتُهُ، وَهُوَ أَيْضًا مَادَّتُهُ وَبَاعِثُهُ، فَكُلٌّ مِنْهُمَا يَنْفَعِلُ عَنِ الْآخَرِ، فَصَفَاؤُهُ وَتَخْلِيصُهُ مِنْ تَمَامِ صَفَاءِ الْآخَرِ وَتَخْلِيصِهِ.

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ:

الْإِحْسَانُ فِي الْأَحْوَالِ، وَهُوَ أَنْ تُرَاعِيَهَا غَيْرَةً، وَتَسْتُرَهَا تَظَرُّفًا، وَتُصَحِّحَهَا تَحْقِيقًا.

يُرِيدُ بِمُرَاعَاتِهَا: حِفْظَهَا وَصَوْنَهَا، غَيْرَةً عَلَيْهَا أَنْ تَحُولَ، فَإِنَّهَا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَإِنْ لَمْ يَرْعَ حُقُوقَهَا حَالَتْ، وَمُرَاعَاتُهَا: بِدَوَامِ الْوَفَاءِ، وَتَجَنُّبِ الْجَفَاءِ.

وَيُرَاعِيهَا أَيْضًا بِإِكْرَامِ نُزُلِهَا، فَإِنَّهَا ضَيْفٌ، وَالضَّيْفُ إِنْ لَمْ تُكْرِمْ نُزُلَهُ ارْتَحَلَ.

وَيُرَاعِيهَا أَيْضًا بِضَبْطِهَا مَلَكَةً، وَشَدِّ يَدِهِ عَلَيْهَا، وَأَنْ لَا يَسْمَحَ بِهَا لِقَاطِعِ طَرِيقٍ وَلَا نَاهِبٍ.

وَيُرَاعِيهَا أَيْضًا: بِالِانْقِيَادِ إِلَى حُكْمِهَا، وَالْإِذْعَانِ لِسُلْطَانِهَا إِذَا وَافَقَ الْأَمْرَ.

وَيُرَاعِيهَا أَيْضًا: بِسَتْرِهَا تَظَرُّفًا، وَهُوَ أَنْ يَسْتُرَهَا عَنِ النَّاسِ مَا أَمْكَنَهُ، لِئَلَّا يَعْلَمُوا بِهَا، وَلَا يُظْهِرَهَا إِلَّا لِحُجَّةٍ، أَوْ حَاجَةٍ، أَوْ مَصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ، فَإِنَّ فِي إِظْهَارِهَا بِدُونِ ذَلِكَ آفَاتٍ عَدِيدَةً، مَعَ تَعْرِيضِهَا لِلُّصُوصِ وَالسُّرَّاقِ وَالْمُغِيرِينَ (...).

الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ:

(الْإِحْسَانُ فِي الْوَقْتِ وَهُوَ أَنْ لَا تُزَايِلَ الْمُشَاهَدَةَ أَبَدًا، وَلَا تَخْلِطَ بِهِمَّتِكَ أَحَدًا، وَتَجْعَلَ هِجْرَتَكَ إِلَى الْحَقِّ سَرْمَدًا).

أَيْ لَا تُفَارِقُ حَالَ الشُّهُودِ، وَهَذَا إِنَّمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَهْلُ التَّمَكُّنِ الَّذِينَ ظَفِرُوا بِنُفُوسِهِمْ وَقَطَعُوا الْمَسَافَاتِ الَّتِي بَيْنَ النَّفْسِ وَبَيْنَ الْقَلْبِ، وَالْمَسَافَاتِ الَّتِي بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ اللهِ، بِمُجَاهِدَةِ الْقُطَّاعِ الَّتِي عَلَى تِلْكَ الْمَسَافَاتِ.

قَوْلُهُ: وَلَا تَخْلِطْ بِهِمَّتِكَ أَحَدًا؛ يَعْنِي: أَنْ تُعَلِّقَ هِمَّتَكَ بِالْحَقِّ وَحْدَهُ، وَلَا تُعَلِّقَ هِمَّتَكَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ شِرْكٌ فِي طَرِيقِ الصَّادِقِينَ.

قَوْلُهُ: وَأَنْ تَجْعَلَ هِجْرَتَكَ إِلَى الْحَقِّ سَرْمَدًا؛ يَعْنِي: أَنَّ كُلَّ مُتَوَجِّهٍ إِلَى اللهِ بِالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْ هَذِهِ الْهِجْرَةِ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَصْحَبَهَا سَرْمَدًا، حَتَّى يَلْحَقَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ، ثُمَّ تَنْقَضِي ... وَيَحْمَدُ غِبَّ السَّيْرِ مَنْ هُوَ سَائِرٌ

وَللهِ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ هِجْرَتَانِ ... وَهُمَا فَرْضٌ لَازِمٌ لَهُ عَلَى الْأَنْفَاسِ

هِجْرَةٌ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ، وَالْإِنَابَةِ وَالْحُبِّ، وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالْعُبُودِيَّةِ وَهِجْرَةٌ إِلَى رَسُولِهِ ﷺ: بِالتَّحْكِيمِ لَهُ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّفْوِيضِ، وَالِانْقِيَادِ لِحُكْمِهِ، وَتَلَقِّي أَحْكَامِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ مِنْ مِشْكَاتِهِ، فَيَكُونُ تَعَبُّدُهُ بِهِ أَعْظَمَ مِنْ تَعَبُّدِ الرَّكْبِ بِالدَّلِيلِ الْمَاهِرِ فِي ظُلَمِ اللَّيْلِ، وَمَتَاهَاتِ الطَّرِيقِ.

فَمَا لَمْ يَكُنْ لِقَلْبِهِ هَاتَانِ الْهِجْرَتَانِ فَلْيَحْثُ عَلَى رَأْسِهِ الرَّمَادَ، وَلْيُرَاجِعِ الْإِيمَانَ مِنْ أَصْلِهِ، فَيَرْجِعَ وَرَاءَهُ لِيَقْتَبِسَ نُورًا، قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَيُقَالَ لَهُ ذَلِكَ عَلَى الصِّرَاطِ مِنْ وَرَاءِ السُّورِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.] أهـ.[1]

❖ الاستقامة:

قَالَ ابن القيم رحمه الله:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ [فصلت: ٣٠] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٤﴾ [الأحقاف] وقال لرسوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٢﴾ [هود] فَبَيَّنَ أَنَّ الِاسْتِقَامَةَ ضِدُّ الطُّغْيَانِ، وَهُوَ مُجَاوَزَةُ الْحُدُودِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وقال تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦﴾ [فصلت]، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ﴾ [الجن] سُئِلَ

(١) (مدارج السالكين. ج ٢/ ٤٣١. باختصار).

صِدِّيقُ الْأُمَةِ وَأَعْظَمُهَا اسْتِقَامَةً - أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه - عَنِ الِاسْتِقَامَةِ؟ فَقَالَ: (أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا). يُرِيدُ الِاسْتِقَامَةَ عَلَى مَحْضِ التَّوْحِيدِ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: الِاسْتِقَامَةُ: أَنْ تَسْتَقِيمَ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَلَا تَرُوغُ رَوَغَانَ الثَّعَالِبِ.

وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه: اسْتَقَامُوا: أَخْلَصُوا الْعَمَلَ للهِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، وَابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: اسْتَقَامُوا: أَدَّوُا الْفَرَائِضَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: اسْتَقَامُوا عَلَى أَمْرِ اللهِ فَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ، وَاجْتَنَبُوا مَعْصِيَتَهُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اسْتَقَامُوا عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حَتَّى لَحِقُوا بِاللهِ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ: اسْتَقَامُوا عَلَى مَحَبَّتِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا عَنْهُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[1] عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ» .

وَفِيهِ عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»[2].

وَالْمَطْلُوبُ مِنَ الْعَبْدِ الِاسْتِقَامَةُ، وَهِيَ السَّدَادُ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا فَالْمُقَارَبَةُ، فَإِنْ نَزَلَ عَنْهَا: فَالتَّفْرِيطُ وَالْإِضَاعَةُ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[3] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ» .

فَجَمَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَقَامَاتِ الدِّينِ كُلَّهَا، فَأَمَرَ بِالِاسْتِقَامَةِ، وَهِيَ السَّدَادُ وَالْإِصَابَةُ فِي النِّيَّاتِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ.

---

(١) رواه مسلم (٣٨).

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٧٨) وابن ماجة (٢٧٧) وصححه الأرنؤوط والألباني.

(٣) رواه البخاري (٦٤٦٣) ومسلم (٢٨١٦).

وَأَخْبَرَ فِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ: أَنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَهَا، فَنَقَلَهُمْ إِلَى الْمُقَارَبَةِ، وَهِيَ أَنْ يَقْرَبُوا مِنَ الِاسْتِقَامَةِ بِحَسَبِ طَاقَتِهِمْ، كَالَّذِي يَرْمِي إِلَى الْغَرَضِ، فَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ يُقَارِبْهُ، وَمَعَ هَذَا فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الِاسْتِقَامَةَ وَالْمُقَارَبَةَ لَا تُنْجِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَرْكَنُ أَحَدٌ إِلَى عَمَلِهِ، وَلَا يُعْجَبُ بِهِ، وَلَا يَرَى أَنَّ نَجَاتَهُ بِهِ، بَلْ إِنَّمَا نَجَاتُهُ بِرَحْمَةِ اللهِ وَعَفْوِهِ وَفَضْلِهِ.

فَالِاسْتِقَامَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ، آخِذَةٌ بِمَجَامِعِ الدِّينِ، وَهِيَ الْقِيَامُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَلَى حَقِيقَةِ الصِّدْقِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ.

وَالِاسْتِقَامَةُ تَتَعَلَّقُ بِالْأَقْوَالِ، وَالْأَفْعَالِ، وَالْأَحْوَالِ، وَالنِّيَّاتِ، فَالِاسْتِقَامَةُ فِيهَا: وُقُوعُهَا للهِ، وَبِاللهِ، وَعَلَى أَمْرِ اللهِ.

قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: كُنْ صَاحِبَ الِاسْتِقَامَةِ، لَا طَالِبَ الْكَرَامَةِ، فَإِنَّ نَفْسَكَ مُتَحَرِّكَةٌ فِي طَلَبِ الْكَرَامَةِ، وَرَبَّكَ يُطَالِبُكَ بِالِاسْتِقَامَةِ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى رَوْحَهُ - يَقُولُ: أَعْظَمُ الْكَرَامَةِ لُزُومُ الِاسْتِقَامَةِ.

❖ الصِّدق:

قَالَ ابن القيم ﷺ تَعَالَى[1]:

[وَهِيَ مَنْزِلَةُ الْقَوْمِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي مِنْهُ تَنْشَأُ جَمِيعُ مَنَازِلِ السَّالِكِينَ، وَالطَّرِيقُ الْأَقْوَمُ الَّذِي مَنْ لَمْ يَسِرْ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنَ الْمُنْقَطِعِينَ الْهَالِكِينَ، وَبِهِ تَمَيَّزَ أَهْلُ النِّفَاقِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَسُكَّانُ الْجِنَانِ مِنْ أَهْلِ النِّيرَانِ، وَهُوَ سَيْفُ اللهِ فِي أَرْضِهِ الَّذِي مَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا قَطَعَهُ، وَلَا وَاجَهَ بَاطِلًا إِلَّا أَرْدَاهُ وَصَرَعَهُ، مَنْ صَالَ بِهِ لَمْ تُرَدَّ صَوْلَتُهُ، وَمَنْ نَطَقَ بِهِ عَلَتْ عَلَى الْخُصُومِ كَلِمَتُهُ، فَهُوَ رُوحُ الْأَعْمَالِ، وَمَحَكُّ الْأَحْوَالِ، وَالْحَامِلُ عَلَى اقْتِحَامِ الْأَهْوَالِ، وَالْبَابُ الَّذِي دَخَلَ مِنْهُ الْوَاصِلُونَ إِلَى حَضْرَةِ ذِي الْجَلَالِ، وَهُوَ أَسَاسُ بِنَاءِ الدِّينِ، وَعَمُودُ فُسْطَاطِ الْيَقِينِ، وَدَرَجَتُهُ تَالِيَةٌ لِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ أَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْعَالَمِينَ، وَمِنْ مَسَاكِنِهِمْ فِي الْجَنَّاتِ تُجْرَى الْعُيُونُ وَالْأَنْهَارُ إِلَى مَسَاكِنِ الصِّدِّيقِينَ، كَمَا كَانَ مِنْ قُلُوبِهِمْ إِلَى قُلُوبِهِمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ مَدَدٌ مُتَّصِلٌ وَمَعِينٌ.

---

(١) مدارج السالكين: منزلة الصدق (٢/ ٢٥٧).

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، وَخَصَّ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالنَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، فَقَالَ تَعَالَى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة]. وقال تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ فَهُمُ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء] وَلَا يَزَالُ اللهُ يَمُدُّهُمْ بِأَنْعُمِهِ وَأَلْطَافِهِ وَمَزِيدِهِ إِحْسَانًا مِنْهُ وَتَوْفِيقًا، وَلَهُمْ مَرْتَبَةُ الْمَعِيَّةِ مَعَ الله، فَإِنَّ اللهَ مَعَ الصَّادِقِينَ، وَلَهُمْ مَنْزِلَةُ الْقُرْبِ مِنْهُ، إِذْ دَرَجَتُهُمْ مِنْهُ ثَانِي دَرَجَةِ النَّبِيِّينَ.

وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ مَنْ صَدَقَهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، فَقَالَ ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٢١﴾ [محمد] وَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ الْبِرِّ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ: مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالصَّبْرِ، بِأَنَّهُمْ أَهْلُ الصِّدْقِ فَقَالَ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة]

وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ الصِّدْقَ بِالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَأَنَّ الصِّدْقَ هُوَ مَقَامُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ.

وَقَسَّمَ اللهُ سُبْحَانَهُ النَّاسَ إِلَى صَادِقٍ وَمُنَافِقٍ، فَقَالَ ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأحزاب: ٢٤] وَالْإِيمَانُ أَسَاسُهُ الصِّدْقُ، وَالنِّفَاقُ أَسَاسُهُ الْكَذِبُ، فَلَا يَجْتَمِعُ كَذِبٌ وَإِيمَانٌ إِلَّا وَأَحَدُهُمَا مُحَارِبٌ لِلْآخَرِ.

وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ: أَنَّهُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ وَيُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِهِ إِلَّا صِدْقُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾ [المائدة] وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾ [الزمر] فَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ: هُوَ مَنْ شَأْنِهِ الصِّدْقُ فِي قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ وَحَالِهِ، فَالصِّدْقُ: **فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ.**

فَالصِّدْقُ فِي الْأَقْوَالِ: اسْتِوَاءُ اللِّسَانِ عَلَى الْأَقْوَالِ، كَاسْتِوَاءِ السُّنْبُلَةِ عَلَى سَاقِهَا، **وَالصِّدْقُ فِي الْأَعْمَالِ:** اسْتِوَاءُ الْأَفْعَالِ عَلَى الْأَمْرِ وَالْمُتَابَعَةِ، كَاسْتِوَاءِ الرَّأْسِ عَلَى الْجَسَدِ، **وَالصِّدْقُ فِي الْأَحْوَالِ:** اسْتِوَاءُ أَعْمَالِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ عَلَى الْإِخْلَاصِ، وَاسْتِفْرَاغُ الْوُسْعِ، وَبَذْلُ الطَّاقَةِ، فَبِذَلِكَ يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا بِالصِّدْقِ، وَبِحَسَبِ كَمَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ فِيهِ وَقِيَامِهَا بِهِ: تَكُونُ صِدِّيقِيَّتُهُ، وَلِذَلِكَ كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه

وَأَرْضَاهُ: ذُرْوَةُ سَنَامِ الصِّدِّيقِيَّةِ، سُمِّيَ الصِّدِّيقَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَالصِّدِّيقُ أَبْلَغُ مِنَ الصَّدُوقِ وَالصَّدُوقُ أَبْلَغُ مِنَ الصَّادِقِ.

فَأَعْلَى مَرَاتِبِ الصِّدْقِ: مَرْتَبَةُ الصِّدِّيقِيَّةِ، وَهِيَ كَمَالُ الِانْقِيَادِ لِلرَّسُولِ ﷺ، مَعَ كَمَالِ الْإِخْلَاصِ لِلْمُرْسِلِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ: أَنْ يَسْأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ مُدْخَلَهُ وَمُخْرَجَهُ عَلَى الصِّدْقِ، فَقَالَ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ۝٨٠﴾ [الإسراء] وَأَخْبَرَ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، أَنَّهُ سَأَلَهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ، فَقَالَ: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝٨٤﴾ [الشعراء] وَبَشَّرَ عِبَادَهُ بِأَنَّ لَهُمْ عِنْدَهُ قَدَمَ صِدْقٍ، وَمَقْعَدَ صِدْقٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] وقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر] **فَهَذِهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ:** مُدْخَلُ الصِّدْقِ، وَمُخْرَجُ الصِّدْقِ، وَلِسَانُ الصِّدْقِ، وَقَدَمُ الصِّدْقِ، وَمَقْعَدُ الصِّدْقِ.

وَحَقِيقَةُ الصِّدْقِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ: هُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ، الْمُتَّصِلُ بِاللهِ، الْمُوَصِّلُ إِلَى اللهِ، وَهُوَ مَا كَانَ بِهِ وَلَهُ، مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَجَزَاءُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الصِّدْقِ: طُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ، **وَمِنْ عَلَامَاتِ الْكَذِبِ:** حُصُولُ الرِّيبَةِ، كَمَا فِي التِّرْمِذِيِّ[(١)] - مَرْفُوعًا - مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبُ رِيبَةٌ**»، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ[(٢)] مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**» فَجَعَلَ الصِّدْقَ مِفْتَاحَ الصِّدِّيقِيَّةِ وَمَبْدَأَهَا، وَهِيَ غَايَتُهُ، فَلَا يَنَالُ دَرَجَتَهَا كَاذِبٌ أَلْبَتَّةَ، لَا فِي قَوْلِهِ:، وَلَا فِي عَمَلِهِ، وَلَا فِي حَالِهِ، وَلَا سِيَّمَا كَاذِبٌ عَلَى اللهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَنَفْيِ مَا أَثْبَتَهُ، أَوْ إِثْبَاتِ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَيْسَ فِي هَؤُلَاءِ صِدِّيقٌ أَبَدًا، وَكَذَلِكَ الْكَذِبُ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَشَرْعِهِ، بِتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ، وَتَحْرِيمِ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ، وَإِسْقَاطِ مَا أَوْجَبَهُ، وَإِيجَابِ مَا لَمْ يُوجِبْهُ، وَكَرَاهَةِ مَا أَحَبَّهُ، وَاسْتِحْبَابِ مَا لَمْ يُحِبَّهُ، كُلُّ ذَلِكَ مُنَافٍ لِلصِّدِّيقِيَّةِ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٢٠) وأحمد (١٧٢٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧).

وَكَذَلِكَ الْكَذِبُ مَعَهُ فِي الْأَعْمَالِ: بِالتَّحَلِّي بِحِلْيَةِ الصَّادِقِينَ الْمُخْلِصِينَ، وَالزَّاهِدِينَ الْمُتَوَكِّلِينَ، وَلَيْسَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ.

فَلِذَلِكَ كَانَتِ الصِّدِّيقِيَّةُ: كَمَالَ الْإِخْلَاصِ وَالِانْقِيَادِ، وَالْمُتَابَعَةَ لِلْخَبَرِ وَالْأَمْرِ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، حَتَّى إِنَّ صِدْقَ الْمُتَبَايِعَيْنِ يُحِلُّ الْبَرَكَةَ فِي بَيْعِهِمَا، وَكَذِبُهُمَا يَمْحَقُ بَرَكَةَ بَيْعِهِمَا، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ[(١)] عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا: مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا».

كَلِمَاتٌ فِي حَقِيقَةِ الصِّدْقِ:

قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ: الصِّدْقُ: الْوَفَاءُ للهِ بِالْعَمَلِ.

وَقِيلَ: مُوَافَقَةُ السِّرِّ النُّطْقَ، وَقِيلَ: اسْتِوَاءُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، يَعْنِي أَنَّ الْكَاذِبَ عَلَانِيَتُهُ خَيْرٌ مِنْ سَرِيرَتِهِ، كَالْمُنَافِقِ الَّذِي ظَاهِرُهُ خَيْرٌ مِنْ بَاطِنِهِ، وَقِيلَ: الصِّدْقُ: الْقَوْلُ بِالْحَقِّ فِي مَوَاطِنِ الهلكَةِ.

وَقِيلَ: كَلِمَةُ الْحَقِّ عِنْدَ مَنْ تَخَافُهُ وَتَرْجُوهُ، (..)وَقَالَ الْجُنَيْدُ: (حَقِيقَةُ الصِّدْقِ: أَنَّ تَصْدُقَ فِي مَوْطِنٍ لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ إِلَّا الْكَذِبُ).

وَقِيلَ: ثَلَاثٌ لَا تُخْطِئُ الصَّادِقَ: الْحَلَاوَةُ، وَالْمَلَاحَةُ، وَالْهَيْبَةُ.

وَفِي أَثَرٍ إِلَهِيٍّ: مَنْ صَدَقَنِي فِي سَرِيرَتِهِ صَدَقْتُهُ فِي عَلَانِيَتِهِ عِنْدَ خَلْقِي.

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ: (لَأَنْ أَبِيتَ لَيْلَةً أُعَامِلُ اللهَ بِالصِّدْقِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَضْرِبَ بِسَيْفِي فِي سَبِيلِ اللهِ).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ لَمْ يُؤَدِّ الْفَرْضَ الدَّائِمَ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ الْفَرْضُ الْمُؤَقَّتُ، قِيلَ: وَمَا الْفَرْضُ الدَّائِمُ؟ قَالَ: الصِّدْقُ.

وَقِيلَ: مَنْ طَلَبَ اللهَ بِالصِّدْقِ أَعْطَاهُ مِرْآةً يُبْصِرُ فِيهَا الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، وَقِيلَ: عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ حَيْثُ تَخَافُ أَنَّهُ يَضُرُّكَ، فَإِنَّهُ يَنْفَعُكَ، وَدَعِ الْكَذِبَ حَيْثُ تَرَى أَنَّهُ يَنْفَعُكَ، فَإِنَّهُ يَضُرُّكَ، وَقِيلَ: (مَا أَمْلَقَ تَاجِرٌ صَدُوقٌ).

---

(١) رواه البخاري (٢١١٠) ومسلم (١٥٣٢).

فَمِنْ هَاهُنَا كَانَ الصَّادِقُ مُضْطَرًّا - أَشَدَّ الضَّرُورَةِ - إِلَى مُتَابَعَةِ الْأَمْرِ، وَالتَّسْلِيمِ لِلرَّسُولِ ﷺ، فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَالِاقْتِدَاءِ بِهِ، وَالتَّعَبُّدِ بِطَاعَتِهِ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ، مَعَ إِخْلَاصِ الْقَصْدِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُرْضِيهِ مِنْ عَبْدِهِ إِلَّا ذَلِكَ، وَمَا عَدَا هَذَا فَقُوتُ النَّفْسِ، وَمُجَرَّدُ حَظِّهَا، وَاتِّبَاعُ أَهْوَائِهَا، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنَ الْمُجَاهَدَاتِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ وَالْخَلَوَاتِ مَا كَانَ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْ عَبْدِهِ عَمَلًا، أَوْ يَرْضَى بِهِ، حَتَّى يَكُونَ عَلَى مُتَابَعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، خَالِصًا لِوَجْهِهِ سُبْحَانَهُ]أهـ.

❖ التوكل:

جاء في رياض الصّالحين: قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب] وقال تعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران] وقال تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] والآيات في الأمر بالتوكل كثيرة معلومة.

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «عُرِضَت عليَّ الأمَمُ، فَرَأَيْت النَّبيَّ وَمعَه الرُّهيْطُ والنَّبيَّ ومَعهُ الرَّجُل وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبيَّ وليْسَ مَعهُ أحدٌ إذْ رُفِعَ لِي سوادٌ عظيمٌ فظننتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فَإِذا سَوادٌ عَظِيمٌ فقيلَ لِي انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ فَإِذَا سَوَادٌ عَظيمٌ فقيلَ لِي: هَذه أُمَّتُكَ، ومعَهُمْ سبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الْجَنَّة بِغَيْرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَض فَدَخَلَ منْزِلَهُ، فَخَاض النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذينَ يدْخُلُون الْجنَّةَ بِغَيْرِ حساب وَلا عذابٍ، فَقَالَ بعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ صَحِبُوا رسولَ اللهَّ ﷺ، وقَال بعْضهُم: فَلعَلَّهُمْ الَّذينَ وُلِدُوا في الإسْلامِ، فَلَمْ يُشْرِكُوا باللهَّ شَيئاً - وذَكَروا أَشْياء - فَخرجَ عَلَيْهِمْ رسولُ اللهَّ ﷺ فقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ فقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لا يرقُونَ، وَلا يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطيَّرُون، وَعَلَى ربِّهِمْ يتوكَّلُونَ» فقَامَ عُكَّاشَةُ بنُ مُحْصِن فَقَالَ: ادْعُ اللهَّ أَنْ يجْعَلَني مِنهُمْ، فَقَالَ: «أَنْت مِنْهُمْ» ثُمَّ قَام رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللهَّ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُم فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»(١)

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٥٧٠٥) ومسلم (٢٢٠).

* عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا قَالَ: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران]»(١).

* عن عمر رضي الله عنه قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»(٢).

وننقل مما قَالَ ابن القيم في مدارج السالكين (باختصار):

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة]، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم]، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] وقال عن أوليائه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة] وقال عن أصحاب نبيه ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال]، والقرآن مملوء من ذلك.

التوكل نصف الدّين والنصف الثّاني الإنابة فإن الدّين استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هيَ العِبَادَة، ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها ولا تزال معمورة بالنازلين لسعة متعلق التوكل وكثرة حوائج العَالَمِين، وعموم التوكل ووقوعه من الْمُؤمنِين والكفار والأبرار والفجار والطير والوحش والبهائم فأهل السموات والأرض المكلفون وغيرهم في مقام التوكل وإن تباين متعلق توكلهم، فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في حصول ما عليه في الإيمان ونصرة دينه وإعلاء كلمته وجِهَاد أعدائه وفي محابه وتنفيذ أوامره، ودون هَؤُلَاءِ من يتوكل عليه في استقامته في نفسه وحفظ حاله مع الله فارغا عن النّاس. ودون هَؤُلَاءِ من يتوكل عليه في معلوم يناله منه من رزق أو عافية أو نصر عَلى عدو أو زوجة أو ولد ونحو ذلك، ودون هَؤُلَاءِ من يتوكل عليه في حصول الإثم والفواحش فإن أصحاب هذه المطالب لا

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٤٥٦٣، ٤٥٦٤).

(٢) أخرجه: ابن ماجه (٤١٦٤)، والترمذي (٢٣٤٤)، وقال: «حديث حسن صحيح».

ينالونها غالبا إلا باستعانتهم بالله وتوكلهم عليه، بل قد يكون توكلهم أقوى من توكل كثير من أصحاب الطاعات ولهذا يلقون أنفسهم في المتالف والمهالك معتمدين عَلى الله أن يسلمهم ويظفرهم بمطالبهم.

فأفضل التوكل التوكل في الواجب أعني واجب الحقّ وواجب الخلق وواجب النّفس، وأوسعه وأنفعه التوكل في التّأثير في الخارج في مصلحة دينية أو في دفع مفسدة دينية وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله ودفع فساد المفسدين في الأرض وهذا توكل ورثتهم.

ثمّ النّاس بعد في التوكل عَلى حسب هممهم ومقاصدهم فمن متوكل عَلى الله في حصول الملك ومن متوكل في حصول رغيف.

*** معنى التوكل ودرجاته وما قيل فيه:**

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (التَّوَكُّلُ عَمَلُ الْقَلْبِ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ، لَيْسَ بِقَوْلِ اللِّسَانِ، وَلَا عَمَلِ الْجَوَارِحِ، وَلَا هُوَ مِنْ بَابِ الْعُلُومِ وَالْإِدْرَاكَاتِ).

وَمِنْهُمْ مَنْ يُفَسِّرُهُ بِالرِّضَا، فَيَقُولُ: هُوَ الرِّضَا بِالْمَقْدُورِ.

قَالَ بِشْرٌ الْحَافِي: (يَقُولُ أَحَدُهُمْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الله، يَكْذِبُ عَلَى الله، لَوْ تَوَكَّلَ عَلَى الله، رَضِيَ بِمَا يَفْعَلُ الله).

وَقَالَ أَبُو تُرَابٍ النَّخْشَبِيُّ: (هُوَ طَرْحُ الْبَدَنِ فِي الْعُبُودِيَّةِ، وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَالطُّمَأْنِينَةُ إِلَى الْكِفَايَةِ، فَإِنْ أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِنْ مُنِعَ صَبَرَ).

فَجَعَلَهُ مُرَكَّبًا مِنْ خَمْسَةِ أُمُورٍ: الْقِيَامِ بِحَرَكَاتِ الْعُبُودِيَّةِ، وَتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِتَدْبِيرِ الرَّبِّ، وَسُكُونِهِ إِلَى قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، وَطُمَأْنِينَتِهِ وَكِفَايَتِهِ لَهُ، وَشُكْرِهِ إِذَا أَعْطَى، وَصَبْرِهِ إِذَا مَنَعَ.

وَأَجْمَعَ الْقَوْمُ عَلَى أَنَّ التَّوَكُّلَ لَا يُنَافِي الْقِيَامَ بِالْأَسْبَابِ، فَلَا يَصِحُّ التَّوَكُّلُ إِلَّا مَعَ الْقِيَامِ بِهَا، وَإِلَّا فَهُوَ بَطَالَةٌ وَتَوَكُّلٌ فَاسِدٌ.

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الله: مَنْ طَعَنَ فِي الْحَرَكَةِ فَقَدْ طَعَنَ فِي السُّنَّةِ، وَمَنْ طَعَنَ فِي التَّوَكُّلِ فَقَدْ طَعَنَ فِي الْإِيمَانِ.

فَالتَّوَكُّلُ حَالُ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْكَسْبُ سُنَّتُهُ، فَمَنْ عَمِلَ عَلَى حَالِهِ فَلَا يَتْرُكَنَّ سُنَّتَهُ وَقِيلَ: التَّوَكُّلُ قَطْعُ عَلَائِقِ الْقَلْبِ بِغَيْرِ الله.

وَسُئِلَ سَهْلٌ عَنِ التَّوَكُّلِ؟ فَقَالَ: قَلْبٌ عَاشَ مَعَ اللهِ بِلَا عَلَاقَةٍ.

وَكَانَ شَيْخُنَا - ﷺ - يَقُولُ: الْمَقْدُورُ يَكْتَنِفُهُ أَمْرَانِ: التَّوَكُّلُ قَبْلَهُ، وَالرِّضَا بَعْدَهُ، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَرَضِيَ بِالْمَقْضِيِّ لَهُ بَعْدَ الْفِعْلِ فَقَدْ قَامَ بِالْعُبُودِيَّةِ، أَوْ مَعْنَى هَذَا.

قُلْتُ: وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي دُعَاءِ الِاسْتِخَارَةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ»، فَهَذَا تَوَكُّلٌ وَتَفْوِيضٌ، ثُمَّ قَالَ: «فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَتَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»، فَهَذَا تَبَرُّؤٌ إِلَى اللهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَتَوَسُّلٌ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِهِ الَّتِي هِيَ أَحَبُّ مَا تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِهَا الْمُتَوَسِّلُونَ، ثُمَّ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَقْضِيَ لَهُ ذَلِكَ الْأَمْرَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَصْلَحَتُهُ، عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، وَأَنْ يَصْرِفَهُ عَنْهُ إِنْ كَانَ فِيهِ مَضَرَّتُهُ، عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، فَهَذَا هُوَ حَاجَتُهُ الَّتِي سَأَلَهَا، فَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ إِلَّا الرِّضَا بِمَا يَقْضِيهِ لَهُ، فَقَالَ: «وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»[(١)].

❖ الأمانة:

جاء في رياض الصّالحين:

قَالَ الله تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وقال تعالَى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾ [الأحزاب].

* عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» متفق عليه، وفي رواية: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ»[(٢)].

* وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قَالَ: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ» ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ فقَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ - ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ - فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي

---

(١) حديث الاستخارة رواه البخاري (٦٣٨٢).

(٢) رواه البخاري (٣٣، ٢٦٨٢) ومسلم (٥٩).

الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا» متفق عليه(١).

❖ **الحياء:**

نقل من مدارج السالكين(٢) باختصار:

[قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق]، وقال تَعالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء] وقال تَعالَى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر]

* وَفِي الصَّحِيحِ(٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ بِرَجُلٍ - وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ - فَقَالَ: «دَعْهُ! فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ».

* وَفِيهِمَا عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «الحيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»(٤).

* وَفِيهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً - فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»(٥).

* وَفِيهِمَا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ»(٦).

---

(١) رواه البخاري (٦٤٩٧، ٧٠٨٦) ومسلم (١٤٣).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٩).

(٣) رواه البخاري (٢٤، ٦١١٨) ومسلم (٣٦).

(٤) رواه البخاري (٦١١٧) ومسلم (٣٧).

(٥) رواه البخاري (٩) ومسلم (٣٥).

(٦) رواه البخاري (٦١٠٢، ٣٥٦٢) ومسلم (٢٣٢٠).

* وَفِي الصَّحِيحِ[١] عَنْهُ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

* وَفِي التِّرْمِذِيِّ[٢] مَرْفُوعًا «اسْتَحْيُوا مِنَ الله حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالُوا: إِنَّا نَسْتَحِي يَا رَسُولَ الله، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكُمْ، وَلَكِنَّ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ الله حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ الله حَقَّ الْحَيَاءِ».

تعريف الحياء:

وَالْحَيَاءُ مِنَ الْحَيَاةِ، وَمِنْهُ الْحَيَا لِلْمَطَرِ، لَكِنَّهُ مَقْصُورٌ، وَعَلَى حَسَبِ حَيَاةِ الْقَلْبِ يَكُونُ فِيهِ قُوَّةُ خُلُقِ الْحَيَاءِ، وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ مِنْ مَوْتِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ، فَكُلَّمَا كَانَ الْقَلْبُ أحيى كانَ الحياء أتم، أَحْيَى كَانَ الْحَيَاءُ أَتَمَّ،

قَالَ الْجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللهُ: (الْحَيَاءُ رُؤْيَةُ الْآلَاءِ، وَرُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ، فَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمَا حَالَةٌ تُسَمَّى الْحَيَاءُ، وَحَقِيقَتُهُ خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى تَرْكِ الْقَبَائِحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّفْرِيطِ فِي حَقِّ صَاحِبِ الْحَقِّ).

وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ: أَحيُوا الْحَيَاءَ بِمُجَالَسَةِ مَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ، وَعِمَارَةُ الْقَلْبِ: بِالْهَيْبَةِ وَالْحَيَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَا مِنَ الْقَلْبِ لَمْ يَبْقَ فِيهِ خَيْرٌ.

وَفِي أَثَرٍ إِلَهِيٍّ، «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا اسْتَحْيَيْتَ مِنِّي أَنْسَيْتُ النَّاسَ عُيُوبَكَ، وَأَنْسَيْتُ بِقَاعَ الْأَرْضِ ذُنُوبَكَ، وَمَحَوْتُ مِنْ أُمِّ الْكِتَابِ زَلَّاتِكَ، وَإِلَّا نَاقَشْتُكَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَفِي أَثَرٍ آخَرَ: «أَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: عِظْ نَفْسَكَ، فَإِنِ اتَّعَظَتْ، وَإِلَّا فَاسْتَحِي مِنِّي أَنْ تَعِظَ النَّاسَ» .

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: خَمْسٌ مِنْ عَلَامَاتِ الشِّقْوَةِ: الْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ، وَجُمُودُ الْعَيْنِ، وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ، وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا، وَطُولُ الْأَمَلِ، وَفِي أَثَرٍ إِلَهِيٍّ: «مَا أَنْصَفَنِي عَبْدِي، يَدْعُونِي فَأَسْتَحْيِي أَنْ أَرُدَّهُ، وَيَعْصِينِي وَلَا يَسْتَحْيِي مِنِّي».

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٨٣، ٣٤٨٤).

(٢) رواه أحمد (٣٦٧١) والترمذي (٢٤٥٨) وحسنه الألباني.

وَقَدْ قَسَّمَ الْحَيَاءَ عَلَى عَشَرَةِ أَوْجُهٍ: حَيَاءُ جِنَايَةٍ، وَحَيَاءُ تَقْصِيرٍ، وَحَيَاءُ إِجْلَالٍ، وَحَيَاءُ كَرَمٍ، وَحَيَاءُ حِشْمَةٍ، وَحَيَاءُ اسْتِصْغَارٍ لِلنَّفْسِ وَاحْتِقَارٍ لَهَا، وَحَيَاءُ مَحَبَّةٍ، وَحَيَاءُ عُبُودِيَّةٍ، وَحَيَاءُ شَرَفٍ وَعِزَّةٍ، وَحَيَاءُ الْمُسْتَحْيِي مِنْ نَفْسِهِ..].

❖ حفظ اللسان:

قَالَ النووي رَحِمَهُ اللهُ:

اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ الكَلامِ إلاَّ كَلاَمًا ظَهَرَتْ فِيهِ المَصْلَحَةُ، ومَتَى اسْتَوَى الكَلاَمُ وَتَرْكُهُ فِي المَصْلَحَةِ، فالسُّنَّةُ الإمْسَاكُ عَنْهُ، لأَنَّهُ قَدْ يَنْجَرُّ الكَلاَمُ المُبَاحُ إِلَى حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، وذَلِكَ كَثِيرٌ في العَادَةِ، والسَّلاَمَةُ لا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**» متفق عَلَيْهِ(١)، وهذا صَرِيحٌ في أَنَّهُ يَنْبَغي أَنْ لا يَتَكَلَّمَ إلاَّ إِذَا كَانَ الكلامُ خَيرًا، وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَتْ مَصْلَحَتُهُ، ومَتَى شَكَّ في ظُهُورِ المَصْلَحَةِ، فَلاَ يَتَكَلَّم.
- وعن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: **يَا رسولَ الله أَيُّ المُسْلِمينَ أفْضَلُ؟** قَالَ: «**مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**» متفق عَلَيْهِ(٢).
- وعن سهل بن سعد قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**»(٣).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبيّ ﷺ يقول: «**إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ**» متفق عَلَيْهِ(٤)، وعنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «**إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ**

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٥) ومسلم (٤٧).

(٢) رواه البخاري (١١) ومسلم (٤٢، ٦٦).

(٣) رواه البخاري (٦٤٧٤) .

(٤) رواه البخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨، ٥٠).

رِضْوَانِ الله تَعَالَى مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجاتٍ، وإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله تَعَالَى لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»(١).

• وعن أبي عبد الرَّحمٰن بِلالِ بن الحارِثِ المُزَنِيِّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله تَعَالَى مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يوم يَلْقَاهُ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ الله لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»(٢).

• وعن سفيان بن عبدالله ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله حدِّثني بأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ: «قلْ: رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ» قُلْتُ: يَا رسولَ الله، مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا»(٣).

• وعن ابن عمر ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا تُكْثِرُوا الكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلاَمِ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله تَعَالَى قَسْوَةٌ لِلقَلْبِ! وإنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ الله القَلْبُ القَاسِي»(٤).

• وعن عقبة بن عامر ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»(٥).

• وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسانَ، تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحنُ بِكَ؛ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وإنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا»(٦). معنى: «تَكْفُرُ اللِّسَانَ»: أيْ تَذِلُّ وَتَخْضَعُ لَهُ.

• [عن معاذ ﷺ قَالَ: فقلت يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَّ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٨).

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (٢٨١٨) برواية الليثي، والترمذي (٢٣١٩)

(٣) رواه ابن ماجه (٣٩٧٢)، والترمذي (٢٤١٠) وقال حديث حسن صحيح.

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٤١١) وضعفه الألباني.

(٥) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٤٠٦) وقال: حديث حسن، وصححه الألباني.

(٦) رواه الترمذي (٢٤٠٧) وحسنه الألباني.

تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] حَتَّى بَلَغَ ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة] ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»][١].

❖ اليقين:

قَالَ ابن القيم في مدارج السالكين[٢]:

[منزلة اليقين: وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ مَنْزِلَةُ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ، وَبِهِ تَفَاضَلَ الْعَارِفُونَ، وَفِيهِ تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ، وَإِلَيْهِ شَمَّرَ الْعَامِلُونَ، وَعَمَلُ الْقَوْمِ إِنَّمَا كَانَ عَلَيْهِ، وَإِشَارَاتُهُمْ كُلُّهَا إِلَيْهِ، وَإِذَا تَزَوَّجَ الصَّبْرُ بِالْيَقِينِ: وُلِدَ بَيْنَهُمَا حُصُولُ الْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى، وَبِقَوْلِهِ: يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة]

وَخَصَّ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الْيَقِينِ بِالِانْتِفَاعِ بِالْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ، فَقَالَ، وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ٢٠﴾ [الذاريات] وَخَصَّ أَهْلَ الْيَقِينِ بِالْهُدَى وَالْفَلَاحِ مِنْ بَيْنِ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤﴾ [البقرة] وأخبر عن أهل النار بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين فقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ٣٢﴾ [الجاثية] فَالْيَقِينُ رُوحُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ الَّتِي هِيَ أَرْوَاحُ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وَهُوَ حَقِيقَةُ الصِّدِّيقِيَّةِ، وَهُوَ قُطْبُ هَذَا الشَّأْنِ الَّذِي عَلَيْهِ مَدَارُهُ.

وَرَوَى خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ عَنِ السُّفْيَانَيْنِ عَنِ التَّيْمِيِّ عَنْ خَيْثَمَةَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تُرْضِيَنَّ أَحَدًا بِسَخَطِ الله، وَلَا تَحْمَدَنَّ أَحَدًا عَلَى فَضْلِ الله، وَلَا تَذُمَّنَّ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ، فَإِنَّ

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦) والنسائي (٢٢٢٤، ٢٢٢٥) وابن ماجة (٣٩٧٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) منزلة اليقين - مدارج السالكين (٢/ ٣٧٦).

رِزْقَ الله لَا يَسُوقُهُ إِلَيْكَ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ عَنْكَ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ، وَإِنَّ اللهَ بِعَدْلِهِ وَقِسْطِهِ جَعَلَ الرَّوحَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَا وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ»[(١)] .

وَالْيَقِينُ قَرِينُ التَّوَكُّلِ، وَلِهَذَا فُسِّرَ التَّوَكُّلُ بِقُوَّةِ الْيَقِينِ، وَالصَّوَابُ: أَنَّ التَّوَكُّلَ ثَمَرَتُهُ وَنَتِيجَتُهُ، وَلِهَذَا حَسُنَ اقْتِرَانُ الْهُدَى بِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩﴾ [النمل] فَالْحَقُّ: هُوَ الْيَقِينُ، وَقَالَتْ رُسُلُ الله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾ [إبراهيم: ١٢]. وَمَتَّى وَصَلَ الْيَقِينُ إِلَى الْقَلْبِ امْتَلَأَ نُورًا وَإِشْرَاقًا، وَانْتَفَى عَنْهُ كُلُّ رَيْبٍ وَشَكٍّ وَسَخَطٍ، وَهَمٍّ وَغَمٍّ، فَامْتَلَأَ مَحَبَّةً للهِ، وَخَوْفًا مِنْهُ وَرِضًا بِهِ، وَشُكْرًا لَهُ، وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ، وَإِنَابَةً إِلَيْهِ، فَهُوَ مَادَّةُ جَمِيعِ الْمَقَامَاتِ وَالْحَامِلُ لَهَا.

وَاخْتُلِفَ فِيهِ: هَلْ هُوَ كَسْبِيٌّ، أَوْ مَوْهِبِيٌّ؟

فَقِيلَ: هُوَ الْعِلْمُ الْمُسْتَوْدَعُ فِي الْقُلُوبِ، يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ غَيْرُ كَسْبِيٍّ، وَقَالَ سَهْلٌ: الْيَقِينُ مِنْ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْإِيمَانَ كَسْبِيٌّ، وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّهُ كَسْبِيٌّ بِاعْتِبَارِ أَسْبَابِهِ، مَوْهِبِيٌّ بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ وَذَاتِهِ.

قَالَ سَهْلٌ: ابْتِدَاؤُهُ الْمُكَاشَفَةُ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينًا، ثُمَّ الْمُعَايَنَةُ وَالْمُشَاهَدَةُ.

وَقَالَ ابْنُ خَفِيفٍ: هُوَ تَحَقُّقُ الْأَسْرَارِ بِأَحْكَامِ الْمُغَيَّبَاتِ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: الْعِلْمُ تُعَارِضُهُ الشُّكُوكُ، وَالْيَقِينُ لَا شَكَّ فِيهِ.

وَعِنْدَ الْقَوْمِ: الْيَقِينُ لَا يُسَاكِنُ قَلْبًا فِيهِ سُكُونٌ إِلَى غَيْرِ الله.

وَقَالَ ذُو النُّونِ: الْيَقِينُ يَدْعُو إِلَى قَصْرِ الْأَمَلِ، وَقَصْرُ الْأَمَلِ يَدْعُو إِلَى الزُّهْدِ، وَالزُّهْدُ يُورِثُ الْحِكْمَةَ، وَهِيَ تُورِثُ النَّظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ.

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٠٥١٤) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢١) والبيهقي في الشعب (٢٠٤-٢٠٥) وقال الألباني: موضوع، انظر (ضعيف الترغيب والترهيب ١٠٦٤).

قَالَ: وَثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْيَقِينِ: قِلَّةُ مُخَالَطَةِ النَّاسِ فِي الْعِشْرَةِ، وَتَرْكُ الْمَدْحِ لَهُمْ فِي الْعَطِيَّةِ، وَالتَّنَزُّهُ عَنْ ذَمِّهِمْ عِنْدَ الْمَنْعِ، وَثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِهِ أَيْضًا: النَّظَرُ إِلَى اللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ فِي كُلِّ حَالٍ.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: الْيَقِينُ هُوَ اسْتِقْرَارُ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَنْقَلِبُ وَلَا يُحَوَّلُ، وَلَا يَتَغَيَّرُ فِي الْقَلْبِ، وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: عَلَى قَدْرِ قُرْبِهِمْ مِنَ التَّقْوَى أَدْرَكُوا مِنَ الْيَقِينِ.

وَأَصْلُ التَّقْوَى مُبَايَنَةُ النَّهْيِ، وَهُوَ مُبَايَنَةُ النَّفْسِ، فَعَلَى قَدْرِ مُفَارَقَتِهِمُ النَّفْسَ: وَصَلُوا إِلَى الْيَقِينِ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: الْيَقِينُ مَلَاكُ الْقَلْبِ، وَبِهِ كَمَالُ الْإِيمَانِ، وَبِالْيَقِينِ عُرِفَ اللهُ، بِالْعَقْلِ عُقِلَ عَنِ اللهِ.

وَقَالَ النَّهْرَجُورِيُّ: إِذَا اسْتَكْمَلَ الْعَبْدُ حَقَائِقَ الْيَقِينِ صَارَ الْبَلَاءُ عِنْدَهُ نِعْمَةً وَالرَّخَاءُ عِنْدَهُ مُصِيبَةً].

❖ الصّبر:

قَالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: الصَّبْرُ فِي الْقُرْآنِ فِي نَحْوِ تِسْعِينَ مَوْضِعًا.

وَهُوَ وَاجِبٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ نِصْفُ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ نِصْفَانِ: نِصْفُ صَبْرٍ، وَنِصْفُ شُكْرٍ.

وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي الْقُرْآنِ عَلَى سِتَّةَ عَشَرَ نَوْعًا.

الْأَوَّلُ: الْأَمْرُ بِهِ. نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣] وقوله: ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]

الثَّانِي: النَّهْيُ عَنْ ضِدِّهِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فَإِنَّ الْوَهْنَ مِنْ عَدَمِ الصَّبْرِ.

الثَّالِثُ: الثَّنَاءُ عَلَى أَهْلِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٧] وقوله: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة] وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ.

الرَّابِعُ: إِيجَابُهُ سُبْحَانَهُ مَحَبَّتَهُ لَهُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران]

الْخَامِسُ: إيجَابُ مَعِيَّتِهِ لَهُمْ، وَهِيَ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ، تَتَضَمَّنُ حِفْظَهُمْ وَنَصْرَهُمْ، وَتَأْيِيدَهُمْ، لَيْسَتْ مَعِيَّةً عَامَّةً، وَهِيَ مَعِيَّةُ الْعِلْمِ وَالْإِحَاطَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦﴾ [الأنفال] وقوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩﴾ [البقرة: ٢٤٩]

السَّادِسُ: إخْبَارُهُ بِأَنَّ الصَّبْرَ خَيْرٌ لِأَصْحَابِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝١٢٦﴾ [النحل]. وقوله: ﴿وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [النساء: ٢٥]

السَّابِعُ: إيجَابُ الْجَزَاءِ لَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [النحل].

الثَّامِنُ: إيجَابُهُ سُبْحَانَهُ الْجَزَاءَ لَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝١٠﴾ [الزمر]

التَّاسِعُ: إطْلَاقُ الْبُشْرَى لِأَهْلِ الصَّبْرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥﴾ [البقرة].

الْعَاشِرُ: ضَمَانُ النَّصْرِ وَالْمَدَدِ لَهُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥﴾ [آل عمران] ومنه قول النبيّ ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ»(١).

الْحَادِي عَشَرَ: الْإِخْبَارُ مِنْهُ تَعَالَى بِأَنَّ أَهْلَ الصَّبْرِ هُمْ أَهْلُ الْعَزَائِمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝٤٣﴾ [الشورى].

الثَّانِي عَشَرَ: الْإِخْبَارُ أَنَّهُ مَا يَلْقَى الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَجَزَاءَهَا وَالْحُظُوظَ الْعَظِيمَةَ إلَّا أَهْلُ الصَّبْرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ۝٨٠﴾ [القصص] وقوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٣٥﴾ [فصلت].

الثَّالِثَ عَشَرَ: الْإِخْبَارُ أَنَّهُ إنَّمَا يَنْتَفِعُ بِالْآيَاتِ وَالْعِبَرِ أَهْلُ الصَّبْرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى لِمُوسَى: ﴿أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝٥﴾ [إبراهيم] وَقَوْلِهِ فِي أَهْلِ سَبَإٍ: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝١٩﴾ [سبأ] وَقَوْلِهِ: فِي سُورَةِ

---

(١) رواه أحمد (٢٨٠٣) والحاكم (٦٣٠٤) وصححه الألباني في صَحِيح الْجَامِع: (٦٨٠٦) والصَّحِيحَة: (٢٣٨٢).

الشُّورَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الشورى].

الرَّابِعَ عَشَرَ: الْإِخْبَارُ بِأَنَّ الْفَوْزَ المَطْلُوبَ المَحْبُوبَ، وَالنَّجَاةَ مِنَ المَكْرُوهِ المَرْهُوبِ، وَدُخُولَ الْجَنَّةِ، إِنَّمَا نَالُوهُ بِالصَّبْرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

الْخَامِسَ عَشَرَ: أَنَّهُ يُورِثُ صَاحِبَهُ دَرَجَةَ الْإِمَامَةِ، سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ: بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة].

السَّادِسَ عَشَرَ: اقْتِرَانُهُ بِمَقَامَاتِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، كَمَا قَرَنَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالْيَقِينِ وَبِالْإِيمَانِ، وَالتَّقْوَى وَالتَّوَكُّلِ، وَبِالشُّكْرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالرَّحْمَةِ.

وَلِهَذَا كَانَ الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ، كَمَا أَنَّهُ لَا جَسَدَ لِمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: خَيْرُ عَيْشٍ أَدْرَكْنَاهُ بِالصَّبْرِ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ(١) أَنَّهُ ضِيَاءٌ، وَقَالَ: «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ».

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ(٢): «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ السَّوْدَاءِ الَّتِي كَانَتْ تُصْرَعُ فَسَأَلَتْهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهَا: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ»، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا (٣).

وَأَمَرَ الْأَنْصَارَ ﷺ بِأَنْ يَصْبِرُوا عَلَى الْأَثَرَةِ الَّتِي يَلْقَوْنَهَا بَعْدَهُ، حَتَّى يَلْقَوْهُ عَلَى الْحَوْضِ.

وَأَمَرَ عِنْدَ مُلَاقَاةِ الْعَدُوِّ بِالصَّبْرِ، وَأَمَرَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى.

وَأَمَرَ ﷺ الْمُصَابَ بِأَنْفَعِ الْأُمُورِ لَهُ، وَهُوَ الصَّبْرُ وَالِاحْتِسَابُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُخَفِّفُ مُصِيبَتَهُ، وَيُوَفِّرُ أَجْرَهُ، وَالْجَزَعُ وَالتَّسَخُّطُ وَالتَّشَكِّي يَزِيدُ فِي الْمُصِيبَةِ، وَيُذْهِبُ الْأَجْرَ.

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٩، ٦٤٧٠) ومسلم (١٠٥٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٣) رواه البخاري (٥٦٥٢) ومسلم (٢٥٧٦).

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الصَّبْرَ خَيْرٌ كُلُّهُ، فَقَالَ: «مَا أُعْطِي أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا لَهُ وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»(١).

تعريف الصّبر:

وَالصَّبْرُ فِي اللُّغَةِ: الْحَبْسُ وَالْكَفُّ، وَمِنْهُ: قُتِلَ فُلَانٌ صَبْرًا، إِذَا أُمْسِكَ وَحُبِسَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨] أَيْ: احْبِسْ نَفْسَكَ مَعَهُمْ.

فَالصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ وَالتَّسَخُّطِ، وَحَبْسُ اللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَى، وَحَبْسُ الْجَوَارِحِ عَنِ التَّشْوِيشِ.

وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَصَبْرٌ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَصَبْرٌ عَلَى امْتِحَانِ اللهِ، فَالْأَوَّلَانِ: صَبْرٌ عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالْكَسْبِ، وَالثَّالِثُ: صَبْرٌ عَلَى مَا لَا كَسْبَ لِلْعَبْدِ فِيهِ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ: كَانَ صَبْرُ يُوسُفَ عَنْ مُطَاوَعَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ عَلَى شَأْنِهَا: أَكْمَلُ مِنْ صَبْرِهِ عَلَى إِلْقَاءِ إِخْوَتِهِ لَهُ فِي الْجُبِّ، وَبَيْعِهِ وَتَفْرِيقِهِمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ، فَإِنَّ هَذِهِ أُمُورٌ جَرَتْ عَلَيْهِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، لَا كَسْبَ لَهُ فِيهَا، لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهَا حِيلَةٌ غَيْرَ الصَّبْرِ، وَأَمَّا صَبْرُهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ: فَصَبْرُ اخْتِيَارٍ وَرِضًا وَمُحَارَبَةٍ لِلنَّفْسِ، وَلَا سِيَّمَا مَعَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْوَى مَعَهَا دَوَاعِي الْمُوَافَقَةِ، فَإِنَّهُ كَانَ شَابًّا، وَدَاعِيَةُ الشَّبَابِ إِلَيْهَا قَوِيَّةٌ، وَعَزَبًا لَيْسَ لَهُ مَا يُعَوِّضُهُ وَيَرُدُّ شَهْوَتَهُ، وَغَرِيبًا، وَالْغَرِيبُ لَا يَسْتَحِي فِي بَلَدِ غُرْبَتِهِ مِمَّا يَسْتَحِي مِنْهُ مَنْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَمَعَارِفِهِ وَأَهْلِهِ، وَمَمْلُوكًا، وَالْمَمْلُوكُ أَيْضًا لَيْسَ وَازِعُهُ كَوَازِعِ الْحُرِّ، وَالْمَرْأَةُ جَمِيلَةٌ، وَذَاتُ مَنْصِبٍ، وَهِيَ سَيِّدَتُهُ، وَقَدْ غَابَ الرَّقِيبُ، وَهِيَ الدَّاعِيَةُ لَهُ إِلَى نَفْسِهَا، وَالْحَرِيصَةُ عَلَى ذَلِكَ أَشَدَّ الْحِرْصِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَوَعَّدَتْهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ بِالسِّجْنِ وَالصَّغَارِ، وَمَعَ هَذِهِ الدَّوَاعِي كُلِّهَا صَبَرَ اخْتِيَارًا، وَإِيثَارًا لِمَا عِنْدَ اللهِ، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ صَبْرِهِ فِي الْجُبِّ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ كَسْبِهِ؟

وَكَانَ يَقُولُ: الصَّبْرُ عَلَى أَدَاءِ الطَّاعَاتِ: أَكْمَلُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَأَفْضَلُ؛ فَإِنَّ مَصْلَحَةَ فِعْلِ الطَّاعَةِ أَحَبُّ إِلَى الشَّارِعِ مِنْ مَصْلَحَةِ تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ، وَمَفْسَدَةُ عَدَمِ الطَّاعَةِ: أَبْغَضُ إِلَيْهِ وَأَكْرَهُ مِنْ مَفْسَدَةِ وُجُودِ الْمَعْصِيَةِ،

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣).

وَلَهُ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي ذَلِكَ مُصَنَّفٌ قَرَّرَهُ فِيهِ بِنَحْوٍ مِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهَا.

وَالْمَقْصُودُ: الْكَلَامُ عَلَى الصَّبْرِ وَحَقِيقَتِهِ وَدَرَجَاتِهِ وَمَرْتَبَتِهِ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

أنواع الصّبر:

وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ: صَبْرٌ بِاللهِ، وَصَبْرٌ للهِ، وَصَبْرٌ مَعَ اللهِ.

فَالْأَوَّلُ: صَبْرُ الِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَرُؤْيَتُهُ أَنَّهُ هُوَ الْمُصَبِّرُ، وَأَنَّ صَبْرَ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ لَا بِنَفْسِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] يَعْنِي إِنْ لَمْ يُصَبِّرْكَ هُوَ لَمْ تَصْبِرْ.

وَالثَّانِي: الصَّبْرُ للهِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ مَحَبَّةَ اللهِ، وَإِرَادَةَ وَجْهِهِ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ، لَا لِإِظْهَارِ قُوَّةِ النَّفْسِ، وَالِاسْتِحْمَادِ إِلَى الْخَلْقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْرَاضِ.

وَالثَّالِثُ: الصَّبْرُ مَعَ اللهِ، وَهُوَ دَوَرَانُ الْعَبْدِ مَعَ مُرَادِ اللهِ الدِّينِيِّ مِنْهُ، وَمَعَ أَحْكَامِهِ الدِّينِيَّةِ، صَابِرًا نَفْسَهُ مَعَهَا، سَائِرًا بِسَيْرِهَا، مُقِيمًا بِإِقَامَتِهَا، يَتَوَجَّهُ مَعَهَا أَيْنَ تَوَجَّهَتْ رَكَائِبُهَا، وَيَنْزِلُ مَعَهَا أَيْنَ اسْتَقَلَّتْ مَضَارِبُهَا.

فَهَذَا مَعْنَى كَوْنِهِ صَابِرًا مَعَ اللهِ؛ أَيْ قَدْ جَعَلَ نَفْسَهُ وَقْفًا عَلَى أَوَامِرِهِ وَمَحَابِّهِ، وَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ وَأَصْعَبُهَا، وَهُوَ صَبْرُ الصِّدِّيقِينَ.

قَالَ الْجُنَيْدُ: الْمَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ سَهْلٌ هَيِّنٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ، وَهِجْرَانُ الْخَلْقِ فِي جَنْبِ اللهِ شَدِيدٌ، وَالْمَسِيرُ مِنَ النَّفْسِ إِلَى اللهِ صَعْبٌ شَدِيدٌ، وَالصَّبْرُ مَعَ اللهِ أَشَدُّ.

وَسُئِلَ عَنِ الصَّبْرِ؟ فَقَالَ: تَجَرُّعُ الْمَرَارَةِ مِنْ غَيْرِ تَعَبُّسٍ.

قَالَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ: الصَّبْرُ: التَّبَاعُدُ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ، وَالسُّكُونُ عِنْدَ تَجَرُّعِ غُصَصِ الْبَلِيَّةِ، وَإِظْهَارُ الْغِنَى مَعَ حُلُولِ الْفَقْرِ بِسَاحَاتِ الْمَعِيشَةِ.

وَقِيلَ: الصَّبْرُ: الْوُقُوفُ مَعَ الْبَلَاءِ بِحُسْنِ الْأَدَبِ.

وَقِيلَ: هُوَ الْفَنَاءُ فِي الْبَلْوَى، بِلَا ظُهُورٍ وَلَا شَكْوَى.

وَقِيلَ: تَعْوِيدُ النَّفْسِ الْهُجُومَ عَلَى الْمَكَارِهِ.

وَقِيلَ: الْمُقَامُ مَعَ الْبَلَاءِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ، كَالْمُقَامِ مَعَ الْعَافِيَةِ.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: هُوَ الثَّبَاتُ مَعَ اللهِ، وَتَلَقِّي بَلَائِهِ بِالرَّحْبِ وَالدَّعَةِ.

وَقَالَ الْخَوَّاصُ: هُوَ الثَّبَاتُ عَلَى أَحْكَامِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَقِيلَ: الصَّبْرُ هُوَ الاِسْتِعَانَةُ بِالله.

وَقِيلَ:

الصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ، مُرٌّ مَذَاقَتُهُ، ... لَكِنَّ عَوَاقِبَهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

وَقِيلَ: الصَّبْرُ أَنْ تَرْضَى بِتَلَفِ نَفْسِكَ فِي رِضَا مَنْ تُحِبُّهُ، كَمَا قِيلَ:

سَأَصْبِرُ كَيْ تَرْضَى وَأَتْلَفَ حَسْرَةً ... وَحَسْبِي أَنْ تَرْضَى وَيُتْلِفَنِي صَبْرِي

وَقِيلَ: مَرَاتِبُ الصَّابِرِينَ خَمْسَةٌ: صَابِرٌ، وَمُصْطَبِرٌ، وَمُتَصَبِّرٌ، وَصَبُورٌ، وَصَبَّارٌ، فَالصَّابِرُ: أَعَمُّهَا، وَالْمُصْطَبِرُ: الْمُكْتَسِبُ الصَّبْرَ الْمَلِيءُ بِهِ، وَالْمُتَصَبِّرُ: الْمُتَكَلِّفُ حَامِلٌ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، وَالصَّبُورُ: الْعَظِيمُ الصَّبْرِ الَّذِي صَبْرُهُ أَشَدُّ مِنْ صَبْرِ غَيْرِهِ، وَالصَّبَّارُ: الْكَثِيرُ الصَّبْرِ، فَهَذَا فِي الْقَدْرِ وَالْكَمِّ، وَالَّذِي قَبْلَهُ فِي الْوَصْفِ وَالْكَيْفِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: (الصَّبْرُ مَطِيَّةٌ لَا تَكْبُو)، وقيل في قوله تَعَالَى: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] إِنَّهُ انْتِقَالٌ مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى، فَالصَّبْرُ دُونَ الْمُصَابَرَةِ، وَالْمُصَابَرَةُ دُونَ الْمُرَابَطَةِ وَالْمُرَابَطَةُ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الرَّبْطِ وَهُوَ الشَّدُّ، وَسُمِّي الْمُرَابِطُ مُرَابِطًا لِأَنَّ الْمُرَابِطِينَ يَرْبِطُونَ خُيُولَهُمْ يَنْتَظِرُونَ الْفَزَعَ، ثُمَّ قِيلَ لِكُلِّ مُنْتَظِرٍ قَدْ رَبَطَ نَفْسَهُ لِطَاعَةٍ يَنْتَظِرُهَا: مُرَابِطٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ، إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»(١)، **وقال**: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فيها»(٢)، وَقِيلَ: اصْبِرُوا بِنُفُوسِكُمْ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَصَابِرُوا بِقُلُوبِكُمْ عَلَى الْبَلْوَى فِي اللهِ، وَرَابِطُوا بِأَسْرَارِكُمْ عَلَى الشَّوْقِ إِلَى اللهِ، وَقِيلَ: اصْبِرُوا فِي اللهِ، وَصَابِرُوا بِاللهِ، وَرَابِطُوا مَعَ اللهِ.

وَقِيلَ: اصْبِرُوا عَلَى النَّعْمَاءِ، وَصَابِرُوا عَلَى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَرَابِطُوا فِي دَارِ الْأَعْدَاءِ، وَاتَّقَوْا إِلَهَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فِي دَارِ الْبَقَاءِ.

---

(١) رواه مسلم (٢٥١)، وهذا اللفظ عند النسائي (١٤٣).

(٢) رواه البخاري (٢٨٩٢).

وَفِي كِتَابِ الْأَدَبِ لِلْبُخَارِيِّ[(١)]: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ؟ فَقَالَ: «الصَّبْرُ، وَالسَّمَاحَةُ»، وَهَذَا مِنْ أَجْمَعِ الْكَلَامِ وَأَعْظَمِهِ بُرْهَانًا، وَأَوْعَبِهِ لِمَقَامَاتِ الْإِيمَانِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا.

فَإِنَّ النَّفْسَ يُرَادُ مِنْهَا شَيْئَانِ: بَذْلُ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَإِعْطَاؤُهُ، فَالْحَامِلُ عَلَيْهِ السَّمَاحَةُ، وَتَرْكُ مَا نُهِيَتْ عَنْهُ، وَالْبُعْدُ مِنْهُ، فَالْحَامِلُ عَلَيْهِ: الصَّبْرُ.

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ، وَالصَّفْحِ الْجَمِيلِ، وَالْهَجْرِ الْجَمِيلِ، فَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - يَقُولُ: الصَّبْرُ الْجَمِيلُ هُوَ الَّذِي لَا شَكْوَى فِيهِ وَلَا مَعَهُ، وَالصَّفْحُ الْجَمِيلُ هُوَ الَّذِي لَا عِتَابَ مَعَهُ، وَالْهَجْرُ الْجَمِيلُ هُوَ الَّذِي لَا أَذَى مَعَهُ.

وَفِي أَثَرٍ إِسْرَائِيلِيٍّ: أَوْحَى اللهُ إِلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ: أَنْزَلْتُ بِعَبْدِي بَلَائِي، فَدَعَانِي، فَمَاطَلْتُهُ بِالْإِجَابَةِ، فَشَكَانِي، فَقُلْتُ: عَبْدِي، كَيْفَ أَرْحَمُكَ مِنْ شَيْءٍ بِهِ أَرْحَمُكَ؟ .

وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤] قَالَ: (أَخَذُوا بِرَأْسِ الْأَمْرِ فَجَعَلَهُمْ رُؤَسَاءَ).

وَالشَّكْوَى إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ لَا تُنَافِي الصَّبْرَ، فَإِنَّ يَعْقُوبَ عليه السلام وَعَدَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ، وَالنَّبِيُّ إِذَا وَعَدَ لَا يُخْلِفُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] وَكَذَلِكَ أَيُّوبُ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ وَجَدَهُ صَابِرًا مَعَ قَوْلِهِ: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء] وإنما ينافي الصّبر شكوى وَإِنَّمَا يُنَافِي الصَّبْرَ شَكْوَى الله، لَا الشَّكْوَى إِلَى الله، كَمَا رَأَى بَعْضُهُمْ رَجُلًا يَشْكُو إِلَى آخَرَ فَاقَةً وَضَرُورَةً، فَقَالَ: يَا هَذَا، تَشْكُو مَنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ؟ ثُمَّ أَنْشَدَ:

وَإِذَا عَرَتْكَ بَلِيَّةٌ فَاصْبِرْ لَهَا ... صَبْرَ الْكَرِيمِ فَإِنَّهُ بِكَ أَعْلَمُ
وَإِذَا شَكَوْتَ إِلَى ابْنِ آدَمَ إِنَّمَا ... تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ.

❖ الكرم:

قَالَ الإِمَامُ النووي في كتابه (رياض الصّالحين):

باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تَعَالَى:

---

(١) رواه أحمد (١٩٤٣٥) وصححه الألباني (الصحيحة ٥٥٤)

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩] وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة]. وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة].

* وعن ابن مسعود ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «لا حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا ويُعَلِّمُهَا» متفق عليه[1]، ومعناه: يَنْبَغي أَنْ لاَ يُغبَطَ أحَدٌ إلاَّ عَلَى إحْدَى هَاتَيْنِ الخَصْلَتَيْنِ.

* وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ «أيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أَحبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قالوا: يَا رسول الله، مَا مِنَّا أحَدٌ إلاَّ مَالُهُ أحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «فإنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أخَّرَ»[2].

* وعن عدي بن حاتم ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، متفقٌ عَلَيْهِ[3].

* وعن جابر ﷺ قَالَ: «مَا سُئِلَ رسول الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ، فقالَ: لاَ»، متفقٌ عَلَيْهِ[4].

* وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»، متفقٌ عَلَيْهِ[5].

* وعنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «قَالَ الله تَعَالَى: أنفِق يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ». متفقٌ عَلَيْهِ[6].

* وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ: أيُّ الإسلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ». متفقٌ عَلَيْهِ[7].

---

(١) رواه البخاري (٧٣) ومسلم (٨١٦).

(٢) رواه البخاري (٦٤٤٢).

(٣) رواه البخاري (١٤١٧) ومسلم (١٠١٦).

(٤) رواه البخاري (٦٠٣٤) ومسلم (٢٣١١).

(٥) رواه البخاري (١٤٤٢) ومسلم (١٠١٠).

(٦) رواه البخاري (٤٦٨٤) ومسلم (٩٩٣).

(٧) رواه البخاري (١٢) ومسلم (٣٩).

* وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً: أَعْلاهَا مَنِيحةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا؛ رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلاَّ أَدْخَلَهُ الله تَعَالَى بِهَا الجَنَّةَ»(١)

* عن أبي أمامة صدي بن عجلان رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَن تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَن تُمْسِكَه شَرٌّ لَكَ، وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَاليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»(٢).

* وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: «ما سئل رسول الله ﷺ عَلَى الإسْلاَمِ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ، وَلَقَدْ جَاءهُ رَجُلٌ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرجعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أَسْلِمُوا فإِنَّ مُحَمَّدًا يُعطِي عَطَاءَ مَن لاَ يَخْشَى الفَقْرَ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا، فَمَا يَلْبَثُ إِلاَّ يَسِيرًا حَتَّى يَكُونَ الإِسْلاَمُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»(٣).

* وعن عمر رضي الله عنه قَالَ: قسم رسول الله ﷺ قَسْمًا، فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، لَغَيْرُ هؤلاَءِ كَانُوا أَحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ خَيَّرُونِي أَنْ يَسألُونِي بالفُحْشِ، أَوْ يُبَخِّلُونِي، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ»(٤)

* وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْن، فَعَلِقَهُ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَة، فَخَطِفَت رِدَاءهُ، فَوَقَفَ النَّبيُّ ﷺ فقال: «أَعْطُونِي رِدَائي، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا، لَقَسَمْتُهُ بينكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلاَ كَذّابًا وَلاَ جَبَانًا».(٥) «مَقْفَلَهُ» أيْ: حَال رُجُوعِه. وَ «السَّمُرَةُ»: شَجَرَةٌ. وَ «العِضَاهُ»: شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَال، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَواضَعَ أَحَدٌ لله إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ – عزَّ وجلَّ»(٦).

---

(١) رواه البخاري (٢٦٣١).

(٢) رواه مسلم (١٠٣٦) والترمذي (٢٣٤٣).

(٣) رواه مسلم (٢٣١٢).

(٤) رواه مسلم (١٠٥٦).

(٥) رواه البخاري (٢٨٢١).

(٦) رواه مسلم (٢٥٨٨)

* وعن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماريّ رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ»، قَالَ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهذا بأفضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أنَّ لِي مَالًا لَعَمِلتُ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ بنيَّتِهِ، فأجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخبطُ فِي مَالِهِ بغَيرِ عِلْمٍ، لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهذَا بأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلاَ عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ»[(١)].

* وعن عائشة رضي الله عنها أنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُها، قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا»[(٢)]. ومعناه: تَصَدَّقُوا بِهَا إِلاَّ كَتِفَها، فَقَالَ: بَقِيَتْ لَنَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ كَتِفَهَا.

* وعن أسماء بنت أبي بكر الصّديق رضي الله عنهما قالت قَالَ لِي رسول الله ﷺ: «لاَ تُوكِي فَيُوكى عَلَيْكِ»، وفي رواية: «أنفقي أَوِ انْفَحِي، أَوْ انْضَحِي، وَلاَ تُحصي فَيُحْصِي اللهُ عَلَيْكِ، وَلاَ تُوعي فَيُوعي اللهُ عَلَيْكِ». متفقٌ عَلَيْهِ[(٣)]. وَ «انْفَحِي» بالحاء المهملة، وَهُوَ بمعنى «أنفقي» وكذلك «انْضحي».

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَثَل البَخِيل وَالْمُنْفِق، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلاَّ سَبغَتْ - أَوْ وَفَرَتْ - عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ، وَتَعْفُو أثرَهُ، وأمَّا البَخِيلُ، فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوسِّعُهَا فَلاَ تَتَّسِعُ». متفقٌ عَلَيْهِ[(٤)]. وَ «الجُنَّةُ»: الدِّرْعُ؛ وَمَعناهُ أنَّ الْمُنْفِقَ كُلَّمَا أَنْفَقَ سَبَغَتْ، وَطَالَتْ حَتَّى تَجُرَّ وَرَاءهُ، وَتُخْفِيَ رِجْلَيْهِ وَأَثَرَ مَشْيِهِ وَخطُوَاتِهِ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٥) وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٧٠) وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري (١٤٣٣) ومسلم (١٠٢٩).

(٤) رواه البخاري (١٤٤٣) ومسلم (١٠٢١).

* وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بعَدلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

«الفَلُوُّ» بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، ويقال أيضًا: بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو: وَهُوَ المُهْرُ.

* وعنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ، اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ المَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فإذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ المَاءَ بِمسَحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ الله، ما اسمُكَ؟ قال: فُلانٌ للاسم الذي سَمِعَ في السَّحابةِ، فقال له: يا عبدَ الله، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ لاسمِك، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا، فَقَالَ: أَمَا إذ قلتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»(٢).

«الحَرَّةُ» الأَرْضُ المُلَبَّسَةُ حِجَارَةً سَوْدَاءَ، وَ «الشَّرْجَةُ» بفتح الشين المعجمة وإسكان الراءِ وبالجيم: هي مَسِيلُ الماءِ.

❖ القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة وذم السّؤال من غير ضرورة:

قَالَ النووي في رياض الصّالحين:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦] وقال تَعَالَى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبًا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافًاۗ﴾ [البقرة: ٢٧٣] وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ٦٧﴾ [الفرقان] وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧﴾ [الذاريات].

---

(١) رواه البخاري (١٤١٠) ومسلم (١٠١٤).

(٢) رواه مسلم (٢٩٨٤).

* عن أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الغِنَى عَن كَثْرَةِ العَرَض، وَلكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ» متفق عليه(١).

* وعن عبدالله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»(٢).

* وعن حكيم بن حزام ﷺ قَالَ: سأَلتُ رسول الله ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيم، إنَّ هَذَا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بإشرافِ نَفسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَاليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى» قَالَ حكيم: فقلتُ: يَا رسول الله، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يَدْعُو حَكيمًا لِيُعْطِيَه العَطَاء، فَيَأبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيئًا، ثُمَّ إنَّ عُمَرَ ﷺ دَعَاهُ لِيُعْطِيَه فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ، فقالَ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أُشْهِدُكُمْ عَلَى حَكيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ الَّذِي قَسَمَهُ اللهُ لَهُ في هَذَا الفَيء فَيَأبَى أَنْ يَأخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النبي ﷺ حَتَّى تُوُفِّي. متفقٌ عَلَيْهِ(٣).

«يَرْزَأُ» بِراءٍ ثُمَّ زايٍ ثُمَّ همزة؛ أيْ: لَمْ يَأخُذْ مِنْ أحَدٍ شَيْئًا، وَأَصْلُ الرُّزءِ: النُّقْصَان، أيْ: لَمْ يَنقُص أحَدًا شَيْئًا بالأخذِ مِنْهُ، وَ «إشْرَافُ النَّفْسِ»: تَطَلُّعُهَا وَطَمَعُهَا بالشَّيْء. وَ «سَخَاوَةُ النَّفْسِ»: هِيَ عَدَمُ الإشرَاف إِلَى الشَيء، وَالطَّمَع فِيهِ، وَالمُبَالاَةِ بِهِ وَالشَّرَهِ.

* وعن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رسول الله ﷺ في غَزاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَت أقدَامُنَا وَنَقِبَت قَدَمِي، وسَقَطت أظْفَاري، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أرْجُلِنا الخِرَق، فَسُمِّيَت غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ عَلَى أرْجُلِنَا مِنَ الخِرَقِ، قَالَ أَبُو بُردَة: فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الحَدِيثِ، ثُمَّ كَرِه ذَلِكَ، وقال: مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ! قَالَ: كأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أفْشَاهُ. متفقٌ عَلَيْهِ(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

(٢) رواه مسلم (١٠٥٤).

(٣) رواه البخاري (١٤٧٢) ومسلم (١٠٣٥).

(٤) رواه البخاري (٤١٢٨)، ومسلم (١٨١٦).

* وعن عمرو بن تغلب ﵁: أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بِمالٍ أَوْ سَبْيٍ فَقَسَّمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالًا، وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَواللهِ إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنِّي إِنَّمَا أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِم مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، مِنْهُمْ عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ» قَالَ عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ: فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رسول الله ﷺ حُمْرَ النَّعَم[١].

* وعن حكيم بن حزام ﵁ أن النبيّ ﷺ قَالَ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ الله، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله». متفقٌ عَلَيْهِ[٢]

* وعن سفيان صخر بن حرب ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لاَ تُلْحِفُوا فِي المَسْأَلَةِ، فَوَاللهِ لاَ يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئًا وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ»[٣].

* وعن أبي عبد الرَّحمٰن عوف بن مالك الأشجعي ﵁ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رسول الله ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلاَ تُبَايِعُونَ رسولَ الله ﷺ» وَكُنَّا حَديثِي عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رسولَ الله، ثمَّ قالَ: «ألا تُبَايِعُونَ رسولَ الله» فَبَسَطْنا أيْدينا، وقلنا: قدْ بايعناكَ فَعَلامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ وَتُطِيعُوا الله» وأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيفَةً «وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوطُ أحدِهِمْ فَمَا يَسأَلُ أحَدًا يُنَاوِلُهُ إيّاهُ[٤].

* وعن ابن عمر ﵄ أن النبيّ ﷺ قَالَ: «لاَ تَزَالُ المَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»[٥] متفق عليه. «المُزْعَةُ» بضم الميم وإسكان الزاي وبالعينِ المهملة: القِطْعَةُ.

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٩٢٣).

(٢) رواه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤).

(٣) رواه مسلم (١٠٣٨).

(٤) رواه مسلم (٥٢٨).

(٥) رواه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠).

* وعنه أن رسول الله ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ عَنِ المَسْأَلَةِ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَاليَدُ العُلْيَا هِيَ المُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا فإنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا؛ فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ»(٢).

* وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ «إنَّ المَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إلاَّ أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا أَوْ فِي أَمْرٍ لاَ بُدَّ مِنْهُ» (٣). «الكد»: الخَدْشُ وَنَحْوُهُ.

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا باللهِ، فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ»(٤)

* وعن ثوبان رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالجَنَّةِ؟» فقلتُ: أنَا، فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أحَدًا شَيْئًا(٥).

* وعن أَبي بِشْرٍ قَبيصَةَ بنِ المُخَارِقِ رضي الله عنه قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رسولَ الله ﷺ أسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: «أقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا» ثُمَّ قَالَ: «يَا قَبيصةُ، إنَّ المَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إلاَّ لأَحَدِ ثلاثَةٍ: رَجُلٌ تَحمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوامًا مِنْ عَيش - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، حَتَّى يَقُولَ ثَلاثَةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَى مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلانًا فَاقَةٌ. فَحلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يصيب قوامًا من عيش، أَوْ قَالَ: سدادًا من عيشٍ، فما سِوَاهُنَّ مِنَ المسألَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتٌ، يَأكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا».(٦)

(١) رواه البخاري (١٤٢٩)، ومسلم (١٠٣٣)

(٢) رواه مسلم (١٠٤١).

(٣) رواه أبو داود (١٦٣٩)، والترمذي (٦٨١) وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني.

(٤) رواه أبو داود (١٦٤٥)، والترمذي (٢٣٢٦) وقال: «حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني.

(٥) رواه أبو داود (١٦٤٣) وصححه الألباني.

(٦) رواه مسلم (١٠٤٤).

«الحَمَالَةُ» بفتح الحاءِ: أَنْ يَقَعَ قِتَالٌ وَنَحْوُهُ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ، فَيُصْلِحُ إِنْسَانٌ بَيْنَهُمْ عَلَى مَالٍ يَتَحَمَّلُهُ وَيَلْتَزِمُهُ عَلَى نَفْسِهِ. وَ «الجَائحةُ» الآفَةُ تُصيبُ مَالَ الإنْسَانِ. وَ «القَوَامُ» بكسر القاف وفتحهَا: هُوَ مَا يَقُومُ بِهِ أَمْرُ الإنسَان مِنْ مَال ونحوِهِ. وَ «السِّدَادُ» بكسر السين: مَا يَسُدُّ حَاجَةَ المُعْوِزِ وَيَكْفِيهِ، وَ «الفَاقَةُ»: الفَقْرُ. وَ «الحِجَى»: العَقْلُ.

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لَيْسَ المسكينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلكِنَّ المِسكينَ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنىً يُغْنِيهِ، وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ»[1].

* وعن أبي عبدالله الزبير بن العوام ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أُحبُلَهُ ثُمَّ يَأْتِيَ الجَبَلَ، فَيَأْتِيَ بحُزْمَةٍ مِنْ حَطَب عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»[2].

* وعن المقدام بن معد يكرب ﷺ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِه، وَإِنَّ نَبيَّ الله دَاوُدَ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[3].

❖ الإيثار:

قوله تعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]

عن أبي هريرة قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ فَقَالَ: إنِّي مَجْهُودٌ، فَأرسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقالت: وَالَّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ، ثُمَّ أرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثلَ ذَلِكَ: لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ مَا عِنْدِي إلاَّ مَاءٌ، فَقَالَ النبي ﷺ: «مَنْ يُضيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا يَا رسولَ الله، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِه، فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: أكرِمي ضَيْفَ رسول الله ﷺ، وفي روايةٍ قَالَ لامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فقَالَتْ: لاَ، إلاَّ قُوتَ صِبيَانِي، قَالَ: فَعَلِّليهم بِشَيْءٍ وَإِذَا أَرَادُوا العَشَاءَ فَنَوِّميهِمْ، وَإِذَا

(١) متفق عليه، رواه البخاري (١٤٧٩، ٤٥٣٩) ومسلم (١٠٣٩).

(٢) رواه البُخَارِيّ (١٤٧١).

(٣) رواه البخاري (٢٠٧٢).

دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «لَقَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ». متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

* وقال ابن عمر: (أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال إن أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا فبعثه إليهم فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتَّى تداولها سبعة أبيات حتَّى رجعت إلى أولئك، فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

- وقال ابن عباس قَالَ النبيّ ﷺ للأنصار يوم بني النضير: (إن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم نقسم لكم من الغنيمة شيئا فقالت الأنصار بل نقسم لإخواننا في ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالغنيمة، فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، والأول أصح.

- الْإِيثَارُ: هُوَ تَقْدِيمُ الْغَيْرِ عَلَى النَّفْسِ وَحُظُوظِهَا الدنياوية، وَرَغْبَةٌ فِي الْحُظُوظِ الدِّينِيَّةِ، وَذَلِكَ يَنْشَأُ عَنْ قُوَّةِ الْيَقِينِ، وَتَوْكِيدِ الْمَحَبَّةِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَشَقَّةِ، يُقَالُ: آثَرْتُهُ بِكَذَا، أَيْ خَصَصْتُهُ بِهِ وَفَضَّلْتُهُ، وَمَفْعُولُ الْإِيثَارِ مَحْذُوفٌ، أَيْ يُؤْثِرُونَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، لَا عَنْ غِنًى بَلْ مَعَ احْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهَا، حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

- وَفِي مُوَطَّأِ مَالِكٍ: أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ مِسْكِينًا سَأَلَهَا وَهِيَ صَائِمَةٌ وَلَيْسَ فِي بَيْتِهَا إِلَّا رَغِيفٌ فَقَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَا: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ، فَقَالَتْ: لَيْسَ لَكِ مَا تُفْطِرِينَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَتْ: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ، قَالَتْ: فَفَعَلَتْ، قَالَتْ: فَلَمَّا أَمْسَيْنَا أَهْدَى لَنَا أَهْلُ بَيْتٍ أَوْ إِنْسَانٌ مَا كَانَ يُهْدَى لَنَا: شَاةً وَكَفَنَهَا فَدَعَتْنِي عَائِشَةُ فَقَالَتْ: كُلِي مِنْ هَذَا، فَهَذَا خَيْرٌ مِنْ قُرْصِكِ. قَالَ عُلَمَاؤُنَا: هَذَا مِنَ الْمَالِ الرَّابِحِ، وَالْفِعْلُ الزَّاكِي عِنْدَ اللهِ تَعَالَى يُعَجِّلُ مِنْهُ مَا يشاء ولا ينقص ذلك مما يدخر عَنْهُ. وَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا للهِ لَمْ يَجِدْ فَقْدَهُ. وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي فِعْلِهَا هَذَا مِنَ الَّذِينَ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْخَصَاصَةِ، وَأَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ وُقِيَ شُحَّ نَفْسِهِ وَأَفْلَحَ فَلَاحًا لَا خَسَارَةَ بَعْدَهُ.

---

(١) رواه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤).

- وروى النسائي عن نافع أن ابن عمر اشتكى واشتهى عنبا فاشترى له عنقود بدرهم فجاء مسكين فسأل فقال أعطوه إياه ثمّ خالف إنسان فاشتراه بدرهم ثمّ جاء به إليه فأراد السائل أن يرجع فمنع ولو علم ابن عمر أنه ذلك العنقود ما ذاقه لأنها خرج لله لا يعود فيه.
- وذكر ابن المبارك قَالَ أخبرنا محمّد بن مطرف قَالَ حدثنا أبو حازم عن عبد الرَّحْمٰن بن سعيد بن يربوع عن مالك الدار أن عمر بن الخطاب ﷺ أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة ثمّ قَالَ للغلام اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثمّ تلكأ ساعة في البيت حتَّى تنظر ماذا يصنع بها فذهب بها الغلام إليه فقال يقول لك أمير الْمُؤمِنِين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثمّ قَالَ تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة إلى فلان حتَّى أنفذها فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل وقال اذهب بها إلى معاذ بن جبل وتلكأ في البيت ساعة حتَّى تنظر ماذا يصنع فذهب بها إليه فقال يقول لك أمير الْمُؤمِنِين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال ﷺ ووصله وقال يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا فاطلعت امرأة معاذ فقالت ونحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق في الخرقة إلا ديناران قد جاء بهما إليها فرجع الغلام إلى عمر بذلك، فقال إنهم إخوة بعضهم من بعض.
- ونحوه عن عائشة ﷺ في إعطاء معاوية إياها وكان عشرة آلاف وكان المنكدر دخل عليها فإن قيل وردت أخبار صحيحة في النهي عن نظير بجميع ما يملكه المرء قيل له إنما كره ذلك في حق من لا يوثق منه الصّبر عَلى الفقر وخاف أن يتعرض للمسألة إذا فقد ما ينفقه فأما الأنصار الّذين أثنى الله عليهم بالإيثار عَلى أنفسهم فلم يكونوا بهذه الصفة بل كانوا كما قَالَ الله تَعَالَى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس وكان الإيثار فيهم أفضل من الإمساك والإمساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسألة أولى من الإيثار.
- وروى أن رجلا جاء إلى النبيّ ﷺ بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماه بها وقال يأتي أحدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثمّ يباع يتكفف النّاس والله أعلم.
- التاسعة والإيثار بالنّفس فوق الإيثار بالمال وإن عاد إلى النّفس ومن الأمثال السائرة: (والجود بالنّفس أقصى غاية الجود).

- وأفضل الجود بالنّفس الجود عَلى حماية رسول الله ﷺ ففي الصَّحِيح **أن أبا طلحة ترس عَلى النبيّ ﷺ يوم أحد وكان النبيّ ﷺ يتطلع ليرى القوم فيقول له أبو طلحة لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك نحري دون نحرك. ووقى بيده رسول الله ﷺ فشلت.**
- وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من الماء وأنا أقول إن كانَ به رمق سقيته فإذا أنا به فقلت له أسقيك فأشار برأسه أن نعم فإذا أنا برجل يقول آه آه فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إليه فإذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فأشار أن نعم فسمع آخر يقول آه آه فأشار هشام أن أنطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات.
- وقال أبو يزيد البسطامي ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت إن وجدنا أكلنا وإن فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا، فقلت وما حد الزهد عندكم قَالَ إن فقدنا شكرنا وإن وجدنا آثرنا.
- وحكى عن أبي الحسن الأنطاكي أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الري ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفئوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فإذا الطعام بحاله لم يأكل منه أحد شيئا إيثارا لصاحبه عَلى نفسه.
- قوله تَعَالَى ولو كانَ بهم خصاصة الخصاصة الحاجة الّتي تختل بها الحال وأصلها من الاختصاص وهو انفراد بالأمر فالخصاصة الإنفراد بالحاجة أي ولو كانَ بهم فاقة وحاجة.

قوله تَعَالَى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر] والبخل سواء يقال رجل شحيح بين الشح والشح والشحاحة، وجعل بعض أهل اللغة الشح أشد من البخل وفي الصحاح الشح البخل مع حرص (..). وروى الأسود عن ابن مسعود أن رجلا أتاه فقال له أنّي أخاف أن أكون قد هلكت قَالَ وما ذاك قَالَ سمعت الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئا فقال ابن مسعود ليس ذلك بالشح الّذي ذكره الله تَعَالَى في القرآن إنما الشح الّذي ذكره الله تَعَالَى في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلما، ولكن ذلك البخل وبئس الشيء

البخل ففرق ﷺ بين الشح والبخل، وقال طاووس البخل أن يبخل الإنسان بما في يده والشح أن يشح بما في أيدي النّاس يحب أن يكون له ما في أيديهم بالحلّ والحرام.

- وقال أنس قَالَ النبيّ ﷺ بريء من الشح من أدى الزّكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة، وعنه أن النبيّ ﷺ كانَ يدعو: (اللّهم أنّي أعوذ بك من شح نفسي وإسرافها ووساوسها)، وقال أبو الهياج الأسدي رأيت رجلا في الطواف يدعو اللّهم قني شح نفسي لا يزيد عَلى ذلك شيئا فقلت له فقال إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل فإذا الرجل عبد الرَّحْمن بن عوف، قلت يدل عَلى هذا قوله ﷺ: (اتقوا الظُّلم فإن الظُّلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كانَ قبلكم حملهم عَلى أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) وقد بيناه في آخر آل عمران، وقال كسرى لأصحابه أي شيء أضر بابن آدم قالوا الفقر فقال كسرى الشح أضر من الفقر لأن الفقير إذا وجد شبع والشحيح إذا وجد لم يشبع أبدا.

قَالَ ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين:

[قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩﴾ [الحشر] فَالْإِيثَارُ ضِدُّ الشُّحِّ، فَإِنَّ الْمُؤْثِرَ عَلَى نَفْسِهِ تَارِكٌ لِمَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، وَالشَّحِيحُ: حَرِيصٌ عَلَى مَا لَيْسَ بِيَدِهِ، فَإِذَا حَصَلَ بِيَدِهِ شَيْءٌ شَحَّ عَلَيْهِ، وَبَخِلَ بِإِخْرَاجِهِ، فَالْبُخْلُ ثَمَرَةُ الشُّحِّ، وَالشُّحُّ يَأْمُرُ بِالْبُخْلِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا» .

فَالْبَخِيلُ: مَنْ أَجَابَ دَاعِيَ الشُّحِّ. وَالْمُؤْثِرُ: مَنْ أَجَابَ دَاعِيَ الْجُودِ.

كَذَلِكَ السَّخَاءُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ هُوَ السَّخَاءُ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ سَخَاءِ الْبَذْلِ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: سَخَاءُ النَّفْسِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ أَفْضَلُ مِنْ سَخَاءِ النَّفْسِ بِالْبَذْلِ.

وَهَذَا الْمَنْزِلُ: هُوَ مَنْزِلُ الْجُودِ وَالسَّخَاءِ وَالْإِحْسَانِ.

وَسُمِّيَ بِمَنْزِلِ الْإِيثَارِ لِأَنَّهُ أَعْلَى مَرَاتِبِهِ، فَإِنَّ الْمَرَاتِبَ ثَلَاثَةٌ.

إِحْدَاهَا: أَنْ لَا يَنْقُصَهُ الْبَذْلُ، وَلَا يَصْعُبَ عَلَيْهِ، فَهُوَ مَنْزِلَةُ السَّخَاءِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يُعْطِيَ الْأَكْثَرَ، وَيُبْقِيَ لَهُ شَيْئًا، أَوْ يُبْقِيَ مِثْلَ مَا أَعْطَى، فَهُوَ الْجُودُ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُؤْثِرَ غَيْرَهُ بِالشَّيْءِ مَعَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ مَرْتَبَةُ الْإِيثَارِ وَعَكْسُهَا الْأَثَرَةُ وَهُوَ اسْتِئْثَارُهُ عَنْ أَخِيهِ بِمَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ. وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ الَّتِي قَالَ فِيهَا رَسُولُ الله ﷺ لِلْأَنْصَارِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» وَالْأَنْصَارُ: هُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِالْإِيثَارِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، فَوَصَفَهُمْ بِأَعْلَى مَرَاتِبِ السَّخَاءِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِيهِمْ مَعْرُوفًا.

وَكَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ﷺ مِنَ الْأَجْوَادِ الْمَعْرُوفِينَ، حَتَّى إِنَّهُ مَرِضَ مَرَّةً، فَاسْتَبْطَأَ إِخْوَانَهُ فِي الْعِيَادَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ؟ فَقَالُوا: إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَحْيُونَ مِمَّا لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدَّيْنِ، فَقَالَ: أَخْزَى اللهُ مَالًا يَمْنَعُ الْإِخْوَانَ مِنَ الزِّيَارَةِ، ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي: مَنْ كَانَ لِقَيْسٍ عَلَيْهِ مَالٌ فَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ، فَمَا أَمْسَى حَتَّى كُسِرَتْ عَتَبَةُ بَابِهِ، لِكَثْرَةِ مَنْ عَادَهُ.

وَقَالُوا لَهُ يَوْمًا: هَلْ رَأَيْتَ أَسْخَى مِنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، نَزَلْنَا بِالْبَادِيَةِ عَلَى امْرَأَةٍ، فَحَضَرَ زَوْجُهَا، فَقَالَتْ: إِنَّهُ نَزَلَ بِكَ ضَيْفَانِ، فَجَاءَ بِنَاقَةٍ فَنَحَرَهَا، وَقَالَ: شَأْنُكُمْ؟ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَ بِأُخْرَى فَنَحَرَهَا، فَقُلْنَا: مَا أَكَلْنَا مِنَ الَّتِي نَحَرْتَ الْبَارِحَةَ إِلَّا الْيَسِيرَ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أُطْعِمُ ضَيْفَانِي الْبَائِتَ، فَبَقِينَا عِنْدَهُ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، وَالسَّمَاءُ تُمْطِرُ، وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَرَدْنَا الرَّحِيلَ وَضَعْنَا مِائَةَ دِينَارٍ فِي بَيْتِهِ، وَقُلْنَا لِلْمَرْأَةِ: اعْتَذِرِي لَنَا إِلَيْهِ، وَمَضَيْنَا، فَلَمَّا طَلَعَ النَّهَارُ إِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ يَصِيحُ خَلْفَنَا: قِفُوا، أَيُّهَا الرَّكْبُ اللِّئَامُ، أَعْطَيْتُمُونِي ثَمَنَ قِرَايَ؟ ثُمَّ إِنَّهُ لَحِقَنَا، وَقَالَ: لَتَأْخُذُنَّهُ أَوْ لَأُطَاعِنَنَّكُمْ بِرُمْحِي، فَأَخَذْنَاهُ وَانْصَرَفَ.].

❖ الرفق والحِلم:

قَالَ النووي رَحِمَهُ اللهُ:

[باب الحلم والأناة والرفق: قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران] وقال تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف] وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت] وقال تَعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى].

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأَشَجِّ عَبْدِ القَيْسِ: «إِنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ»(١).

● وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه»(٢).

● وعنها أن النبيّ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطي عَلَى الرِّفق، مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»(٣).

● وعنها أن النبيّ ﷺ قال: «إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ في شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ»(٤).

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَال أعْرَابيٌّ في المسجدِ، فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»(٥).

● وعن أنس رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا»(٦).

● وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ كلَّهُ»(٧).

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ للنبيِّ ﷺ أَوْصِني، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مِرارًا، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»(٨).

● وعن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قَالَ: «إنَّ الله كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُم فَأَحْسِنُوا القِتْلَة، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَه، وَلْيُرِح ذَبِيحَتَهُ»(٩).

---

(١) رواه مسلم (١٧).

(٢) متفقٌ عَلَيْهِ. رواه البخاري (٦٢٥٦) ومسلم (٢١٦٥).

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٣).

(٤) رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٥) رواه البخاري (٢٢٠).

(٦) رواه البخاري (٦١٢٥) ومسلم (١٧٣٤).

(٧) رواه مسلم (٢٥٩٢).

(٨) رواه البُخَارِيّ (٦١١٦).

(٩) رواه مسلم (١٩٥٥).

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا خُيِّرَ رسول الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. وَمَا انْتَقَمَ رسول الله ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلاَّ أن تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ للهِ تَعَالَى(١).

• وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ؟ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ» (٢).

كما جاء في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري رحمه الله:

الترغيب في الرفق والأناة والحلم:

* وعن جرير بن عبدالله ﷺ أن النبيّ ﷺ قَالَ: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ لَيُعْطي على الرفْقِ ما لا يُعْطِي على الخَرْقِ، وإذا أحَبَّ الله عَبْداً أعطاهُ الرفْقَ، ما مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يُحْرَمون الرفْقَ؛ إلا حُرِموا الخَيْرَ»(٣).

* وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أُعْطِيَ حظَّه مِنَ الرفْقِ فقد أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ، ومَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرفْقِ فَقد حُرِمَ حظَّه مِنَ الخَيْرِ»(٤).

* وعن أبي أمامة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يحبُّ الرفْقَ ويرضاهُ، ويُعينُ عليه ما لا يُعينُ على العُنْفِ»(٥)

* وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مَعَاذِيرَ مِنَ اللهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْحَمْدِ»(٦).

---

(١) متفقٌ عَلَيْه رواه البخاري (٦١٢٦، ٦٧٨٦، ٦٨٥٣) ومسلم (٢٣٢٧).

(٢) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٤٨٨) وقال حديث حسن، وصححه الألباني.

(٣) رواه الطبراني في الكبير(٢٢٧٤) وحسنه لغيره الألباني.

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٠١٣) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٥) رواه الطبراني في الكبير (٧٤٧٧) وصححه لغيره الألباني.

(٦) رواه أبو يعلى (٤٢٥٦) وحسنه الألباني.

* وعن أنس ﷺ قَالَ: كنتُ أَمْشِي معَ رَسولِ الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نَجْرانِيٌّ غَليظُ الحاشِيَةِ، فأَدْرَكَهُ أعْرابِيٌّ، فجذَبَهُ بِردائه جَذْبةً شديدةً، فنَظَرْتُ إلى صفْحَة عُنُقِ رسولِ الله ﷺ وقد أثَّر بها حاشِيَةُ الرِداءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِه، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّد مُرْ لي مِنْ مالِ الله الذي عِنْدَك، فالْتَفَتَ إليْه فضَحِكَ، ثُمَّ أَمَر له بعَطَاءٍ[١].

* وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: كَأَنِّي أنظر إِلَى رَسُول الله ﷺ يَحْكِي نَبيًا من الْأَنْبِيَاء ضَربَه قومُهُ فَأدمَوهُ وَهُوَ يَمسَح الدَّمَ عَن وَجههِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِر لقومي فَإِنَّهُم لَا يعلَمُونَ»[٢].

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «ليسَ الشديدُ بالصُّرعَةِ، إنَّما الشديدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عندَ الغَضَبِ»[٣].

❖ طلاقة الوجه وطيب الكلام:

جاء في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري:

* عن أبي ذر ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لاَ تَحْقِرنَّ مِنَ المَعرُوفِ شَيئًا وَلَوْ أَنْ تَلقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ»[٤].

* وعن الحسن ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مِنَ الصَّدَقَة أَن تُسَلِّمَ على النَّاس وَأَنت طليقَ الْوَجْه»[٥].

* وعن جابر بن عبدالله ﷺ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «كلُّ معروفٍ صدقَةٌ، وإنَّ مِنَ المعْروفِ أنْ تَلْقى أخاكَ بوَجهٍ طَلْقٍ، وأنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ في إناءِ أخيكَ»[٦].

* وعن أبي ذر ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ لَكَ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلالَةِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٣١٤٩) ومسلم (١٠٥٧).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٣٤٧٧) ومسلم (١٧٩٢).

(٣) رواه البُخَارِيّ (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩).

(٤) رواه مسلم (٢٦٢٦).

(٥) رواه ابن أبي الدُّنيَا والحديث مرسل.

(٦) رواه أحمد (١٤٧٠٩) والتِّرْمِذِيّ (١٩٧٠). وصححه الألباني.

وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»، وزاد ابن حبان: «وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ»(١).

* وعن أبي جُرَيّ الهجيمي رضي الله عنه قَالَ: أتيت رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله! إنا قومٌ مِنْ أهلِ الباديَةِ، فعلِّمْنا شيئاً ينْفَعُنا الله بِهِ؟ فقال: «لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْروفِ شَيْئاً، ولوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ في إناءِ المُسْتَقي، ولوْ أَنْ تُكَلِّمَ أخاكَ ووَجْهُك إليه مُنْبَسِطٌ، وإيَّاك وإسْبالَ الإزارِ؛ فإنَّه مِنَ المَخِيلَةِ، ولا يُحِبُّها الله، إنِ امْرُؤٌ شَتَمك بِما يَعْلَمُ فيك، فلا تَشْتُمْهُ بِما تَعْلَمُ فيه؛ فإنَّ أجْرَهُ لكَ، وَوبَالَهُ على مَنْ قَالَهُ»(٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قَالَ: «والكَلِمةُ الطيِّبَةُ صَدقَةٌ»(٣).

* وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «اتَّقوا النارَ ولَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طيِّبَةٍ»(٤).

❖ الرحمة:

قَالَ الإِمَام النووي رحمه الله:

باب تعظيم حرمات المُسلِمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠] وقال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج] وقال تَعَالَى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر] وقال تَعَالَى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]

---

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (١٩٥٦) وحسنه، وابن حبان (٥٢٩) في صحيحه، وحسنه الألباني.

(٢) رواه أبو داود (٤٠٨٤) وابن حبان (٥٢٢)، وصححه الألباني.

(٣) رواه البُخَارِيّ (٢٩٨٩) ومسلم (١٠٠٩).

(٤) رواه البُخَارِيّ (٦٥٦٣) ومسلم (١٠١٦).

* وعن أبي موسى قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وشبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[1].

* وعنه رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنا، أَوْ أَسْوَاقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ، أَوْ لِيَقْبِضْ عَلَى نِصَالِهَا بِكَفِّهِ؛ أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ»[2].

* وعن النّعمان بن بشير رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى»[3].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَبَّلَ النَّبيُّ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رضي الله عنهما وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِس، فَقَالَ الأقْرَعُ: إن لِي عَشرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُول الله ﷺ فَقَالَ: «مَنْ لا يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ!»[4].

* وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَى رسول الله ﷺ فقالوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قالوا: لَكِنَّا والله مَا نُقَبِّلُ! فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «أَوَ أَمْلِكُ إنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُم الرَّحْمَةَ!»[5].

* وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ لاَ يَرْحَمِ النَّاسَ لاَ يَرْحَمْهُ الله»[6].

* وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إنِّي لأَقُومُ إِلَى الصَّلاة، وَأُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَع بُكَاءَ الصَّبيِّ فَأَتَجَوَّزَ فِي صَلاتِي كَرَاهية أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ»[7]

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٧٠٧٥)، ومسلم (٢٦١٥).

(٣) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم ٧/ ٧٧ (٢٣١٨).

(٥) متفق عليه، رواه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم ٧/ ٧٧ (٢٣١٧).

(٦) متفق عليه، رواه البخاري (٧٣٧٦)، ومسلم (٢٣١٩).

(٧) رواه البُخَارِيّ (٧٠٧).

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1] متفق عليه.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَخُونُهُ، وَلاَ يَكْذِبُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، التَّقْوى هاهُنَا، بِحَسْب امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمِ»[2].

* وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا تَحاسدُوا وَلاَ تناجشُوا وَلاَ تَباغَضُوا وَلاَ تَدابرُوا وَلاَ يبِعْ بعْضُكُمْ عَلَى بيْعِ بعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللَّه إِخْواناً، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِم لاَ يَظلِمُه وَلا يَحْقِرُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ، التَّقْوَى هَاهُنا ويُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مرَّاتٍ بِحسْبِ امْرِيءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِر أَخاهُ الْمُسْلِمَ، كُلَّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حرامٌ دمُهُ ومالُهُ وعِرْضُهُ»[3]، «النَّجْشُ»: أَنْ يزيدَ في ثَمَنِ سلْعَة.

❖ القوّة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[4].

❖ العفو والإعراض عن الجاهلين:

قَالَ الإِمَام النووي:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف] وقال تَعَالَى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ۝٨٥﴾ [الحجر] وقال تَعَالَى: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [النور: ٢٢] وقال تَعَالَى:

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٨٢) وابن ماجه (٣٩٣٣) والترمذي (١٩٢٧) وقال: «حديث حسن غريب»، وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٤) رواه مسلم (٢٦٦٤).

﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران] وقال تعالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى]، والآيات في البَاب كثيرة معلومة.

- عن عائشة قالت: (مَا ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا، إلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إلاَّ أن يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ تَعَالَى، فَيَنْتَقِمُ للهِ تَعَالَى)[١].
- وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: (كُنْتُ أمشي مَعَ رسول الله ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فأدْرَكَهُ أعْرَابِيٌّ فَجبذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَديدةً، فَنظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبيِّ ﷺ وَقَدْ أثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُر لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ)[٢].
- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يَحْكِي نَبيًّا مِنَ الأنبياءِ، صَلَوَاتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيهِمْ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، ويقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»[٣].
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»[٤].

باب احتمال الأذى:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى]

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلًا قَالَ: يَا رَسُول الله، إنّ لِي قَرابَةً أصِلُهُمْ وَيَقْطَعُوني، وَأُحْسِنُ إلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إلَيَّ، وَأحْلَمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكأنَّمَا تُسِفُّهُمْ المَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذلِكَ»[٥].

---

(١) رواه مسلم (٢٣٢٨).

(٢) متفقٌ عَلَيْهِ، رواه البخاري (٥٨٠٩)، ومسلم (١٠٥٧).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢).

(٤) متفق عليه رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٥) رواه مسلم (٢٥٥٨).

❖ **التواضع:**

قَالَ ابن القيم في مدارج السالكين:

[قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: ٦٣] أَيْ سَكِينَةً وَوَقَارًا مُتَوَاضِعِينَ، غَيْرَ أَشِرِينَ، وَلَا مَرِحِينَ وَلَا مُتَكَبِّرِينَ، قَالَ الْحَسَنُ: عُلَمَاءُ حُلَمَاءُ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ: أَصْحَابُ وَقَارٍ وَعِفَّةٍ لَا يَسْفَهُونَ، وَإِنْ سُفِهَ عَلَيْهِمْ حَلُمُوا.

وَالْهَوْنُ بِالْفَتْحِ فِي اللُّغَةِ: الرِّفْقُ وَاللِّينُ، وَالْهُونُ بِالضَّمِّ: الْهَوَانُ، فَالْمَفْتُوحُ مِنْهُ: صِفَةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ. وَالْمَضْمُومُ: صِفَةُ أَهْلِ الْكُفْرَانِ، وَجَزَاؤُهُمْ مِنَ الله النِّيرَانُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] لَمَّا كَانَ الذُّلُّ مِنْهُمْ ذُلَّ رَحْمَةٍ وَعَطْفٍ وَشَفَقَةٍ وَإِخْبَاتٍ عَدَّاهُ بِأَدَاةِ عَلَى تَضْمِينًا لِمَعَانِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِهِ ذُلَّ الْهَوَانِ الَّذِي صَاحِبُهُ ذَلِيلٌ، وَإِنَّمَا هُوَ ذُلُّ اللِّينِ وَالِانْقِيَادِ الَّذِي صَاحِبُهُ ذَلُولٌ، فَالْمُؤْمِنُ ذَلُولٌ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ «الْمُؤْمِنِ كَالْجَمَلِ الذَّلُولِ، وَالْمُنَافِقُ وَالْفَاسِقُ ذَلِيلٌ»(١) وَأَرْبَعَةٌ يَعْشَقُهُمُ الذُّلُّ أَشَدَّ الْعِشْقِ: الْكَذَّابُ، وَالنَّمَّامُ، وَالْبَخِيلُ، وَالْجَبَّارُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ هُوَ مِنْ عِزَّةِ الْقُوَّةِ وَالْمَنَعَةِ وَالْغَلَبَةِ، قَالَ عَطَاءٌ ﵁: لِلْمُؤْمِنِينَ كَالْوَالِدِ لِوَلَدِهِ، وَعَلَى الْكَافِرِينَ كَالسَّبُعِ عَلَى فَرِيسَتِهِ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] وَهَذَا عَكْسُ حَالِ مَنْ قِيلَ فِيهِمْ:

كِبْرًا عَلَيْنَا، وَجُبْنًا عَنْ عَدُوِّكُمُ ... لَبِئْسَتِ الْخَلَّتَانِ: الْكِبْرُ، وَالْجُبْنُ

- وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ(٢) مِنْ حَدِيثِ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» .

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٥).

- وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[١] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ».
- وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مَرْفُوعًا «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ»[٢].
- وَفِي حَدِيثِ احْتِجَاجِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ «أَنَّ النَّارَ قَالَتْ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ؟ وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقْطُهُمْ»[٣].
- وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[٤] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵄ قَالَا: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْعِزَّةُ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي عَذَّبْتُهُ».
- وَفِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ[٥] مَرْفُوعًا عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ﵁: «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي دِيوَانِ الْجَبَّارِينَ، فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ».
- «وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمُرُّ عَلَى الصِّبْيَانِ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ»[٦].
- «وَكَانَتِ الْأَمَةُ تَأْخُذُ بِيَدِهِ ﷺ، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ»[٧].
- «وَكَانَ ﷺ إِذَا أَكَلَ لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ»[٨].

---

(١) رواه مسلم (٩١).

(٢) رواه البخاري (٤٩١٨، ٦٠٧١) ومسلم (٢٨٥٣).

(٣) رواه البخاري (٤٨٥٠، ٧٤٤٩) ومسلم (٢٨٤٦).

(٤)رواه مسلم (٢٦٢٠).

(٥) رواه الترمذي (٢٠٠٠) وضعفه الألباني.

(٦) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).

(٧) رواه البخاري (٦٠٧٢).

(٨) رواه مسلم (٢٠٣٤).

- «وَكَانَ ﷺ يَكُونُ فِي بَيْتِهِ فِي خِدْمَةِ أَهْلِهِ»(١)، «وَلَمْ يَكُنْ يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ قَطُّ» وَكَانَ ﷺ «يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ، وَيَحْلِبُ الشَّاةَ لِأَهْلِهِ، وَيَعْلِفُ الْبَعِيرَ وَيَأْكُلُ مَعَ الْخَادِمِ، وَيُجَالِسُ الْمَسَاكِينَ، وَيَمْشِي مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْيَتِيمِ فِي حَاجَتِهِمَا، وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ دَعَاهُ، وَلَوْ إِلَى أَيْسَرِ شَيْءٍ».
- «وَكَانَ ﷺ هَيِّنَ الْمُؤْنَةِ، لَيِّنَ الْخُلُقِ، كَرِيمَ الطَّبْعِ، جَمِيلَ الْمُعَاشَرَةِ، طَلْقَ الْوَجْهِ بَسَّامًا، مُتَوَاضِعًا مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ، جَوَادًا مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ، رَقِيقَ الْقَلْبِ رَحِيمًا بِكُلِّ مُسْلِمٍ خَافِضَ الْجَنَاحِ لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيِّنَ الْجَانِبِ لَهُمْ».
- وَقَالَ ﷺ : «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ -أَوْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ- تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ»(٢)
- وَقَالَ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ - أَوْ كُرَاعٍ - لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ - أَوْ كُرَاعٌ - لَقَبِلْتُ»(٣).
- وَكَانَ ﷺ «يَعُودُ الْمَرِيضَ، وَيَشْهَدُ الْجِنَازَةَ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ، وَكَانَ يَوْمَ قُرَيْظَةَ عَلَى حِمَارٍ مَخْطُومٍ بِحَبْلٍ مِنْ لِيفٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ»(٤).

سُئِلَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ عَنِ التَّوَاضُعِ؟ فَقَالَ: يَخْضَعُ لِلْحَقِّ، وَيَنْقَادُ لَهُ، وَيَقْبَلُهُ مِمَّنْ قَالَهُ.

وَقِيلَ: التَّوَاضُعُ أَنْ لَا تَرَى لِنَفْسِكَ قِيمَةً، فَمَنْ رَأَى لِنَفْسِهِ قِيمَةً فَلَيْسَ لَهُ فِي التَّوَاضُعِ نَصِيبٌ.

وَهَذَا مَذْهَبُ الْفُضَيْلِ وَغَيْرِهِ.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ: هُوَ خَفْضُ الْجَنَاحِ، وَلِينُ الْجَانِبِ.

وَقَالَ أَبُو يَزِيدَ الْبَسْطَامِيُّ: هُوَ أَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ مَقَامًا وَلَا حَالًا، وَلَا يَرَى فِي الْخَلْقِ شَرًّا مِنْهُ.

وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: هُوَ قَبُولُ الْحَقِّ مِمَّنْ كَانَ، وَالْعِزُّ فِي التَّوَاضُعِ، فَمَنْ طَلَبَهُ فِي الْكِبْرِ فَهُوَ كَتَطَلُّبِ الْمَاءِ مِنَ النَّارِ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَيْبَانَ: الشَّرَفُ فِي التَّوَاضُعِ، وَالْعِزُّ فِي التَّقْوَى، وَالْحُرِّيَّةُ فِي الْقَنَاعَةِ.

وَيُذْكَرُ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ قَالَ: أَعَزُّ الْخَلْقِ خَمْسَةُ أَنْفُسٍ: عَالِمٌ زَاهِدٌ وَفَقِيهٌ صُوفِيٌّ، وَغَنِيٌّ مُتَوَاضِعٌ، وَفَقِيرٌ شَاكِرٌ، وَشَرِيفٌ سُنِّيٌّ، وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى عَاتِقِهِ

(١) رواه البخاري (٦٧٦).

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٨٨). وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. وصححه الألباني.

(٣) رَوَاهُ البخاري (٢٥٦٨).

(٤) أخرجه الترمذي (١٠١٧)، وفي الشمائل (٣٣٣) واللفظ له، وابن ماجه (٤١٧٨) وضعفه الألباني.

قِرْبَةُ مَاءٍ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يَنْبَغِي لَكَ هَذَا، فَقَالَ: لَمَّا أَتَانِيَ الْوُفُودُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، دَخَلَتْ نَفْسِي نَخْوَةٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَهَا.

وَوَلِيَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ إِمَارَةً مَرَّةً، فَكَانَ يَحْمِلُ حِزْمَةَ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، وَيَقُولُ: طَرِّقُوا لِلْأَمِيرِ.

وَرَكِبَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مَرَّةً، فَدَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ لِيَأْخُذَ بِرِكَابِهِ، فَقَالَ: مَهْ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ! فَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِكُبَرَائِنَا، فَقَالَ: أَرِنِي يَدَكَ، فَأَخْرَجَهَا إِلَيْهِ فَقَبَّلَهَا، فَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا نَفْعَلُ بِأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَسَّمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ﷺ حُلَلًا، فَبَعَثَ إِلَى مُعَاذٍ حُلَّةً مُثَمَّنَةً، فَبَاعَهَا، وَاشْتَرَى بِثَمَنِهَا سِتَّةَ أَعْبُدٍ وَأَعْتَقَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ حُلَّةً دُونَهَا، فَعَاتَبَهُ مُعَاذٌ، فَقَالَ عُمَرُ: لِأَنَّكَ بِعْتَ الْأُولَى، فَقَالَ مُعَاذٌ: وَمَا عَلَيْكَ؟ ادْفَعْ لِي نَصِيبِي، وَقَدْ حَلَفْتُ لَأَضْرِبَنَّ بِهَا رَأْسَكَ فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: رَأْسِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَقَدْ يَرْفُقُ الشَّابُّ بِالشَّيْخِ، وَمَرَّ الْحَسَنُ عَلَى صِبْيَانٍ مَعَهُمْ كِسَرُ خُبْزٍ، فَاسْتَضَافُوهُ. فَنَزَلَ فَأَكَلَ مَعَهُمْ، ثُمَّ حَمَلَهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَأَطْعَمَهُمْ وَكَسَاهُمْ، وَقَالَ: الْيَدُ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ شَيْئًا غَيْرَ مَا أَطْعَمُونِي، وَنَحْنُ نَجِدُ أَكْثَرَ مِنْهُ.

وَيُذْكَرُ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ ﷺ عَيَّرَ بِلَالًا ﷺ بِسَوَادِهِ، ثُمَّ نَدِمَ، فَأَلْقَى بِنَفْسِهِ، فَحَلَفَ: لَا رَفَعْتُ رَأْسِي حَتَّى يَطَأَ بِلَالٌ خَدِّي بِقَدَمِهِ، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى فَعَلَ بِلَالٌ.

وَقَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ، قَوَّمْتُ ثِيَابَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ﷺ - وَهُوَ يَخْطُبُ - بِاثْنَيْ عَشَرَ دِرْهَمًا، وَكَانَتْ قِبَاءً وَعِمَامَةً وَقُمُصًا وَسَرَاوِيلَ وَرِدَاءً وَخُفَّيْنِ وَقَلَنْسُوَةً.

وَرَأَى مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ ابْنًا لَهُ يَمْشِي مِشْيَةً مُنْكَرَةً، فَقَالَ: تَدْرِي بِكَمْ شَرَيْتُ أُمَّكَ؟ بِثَلَاثِمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَأَبُوكَ - لَا كَثَّرَ اللهُ فِي الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهُ - أَنَا، وَأَنْتَ تَمْشِي هَذِهِ الْمِشْيَةَ؟ .

وَقَالَ حَمْدُونُ الْقَصَّارُ: التَّوَاضُعُ أَنْ لَا تَرَى لِأَحَدٍ إِلَى نَفْسِكَ حَاجَةً، لَا فِي الدِّينِ وَلَا فِي الدُّنْيَا.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ: مَا سُرِرْتُ فِي إِسْلَامِي إِلَّا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: كُنْتُ فِي سَفِينَةٍ، وَفِيهَا رَجُلٌ مِضْحَاكٌ، كَانَ يَقُولُ: كُنَّا فِي بِلَادِ التُّرْكِ فَأَخَذَ الْعِلْجُ هَكَذَا - وَكَانَ يَأْخُذُ بِشَعَرِ رَأْسِي وَيَهُزُّنِي - لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي تِلْكَ السَّفِينَةِ أَحَدٌ أَحْقَرُ مِنِّي، وَالْأُخْرَى: كُنْتُ عَلِيلًا فِي مَسْجِدٍ، فَدَخَلَ الْمُؤَذِّنُ، وَقَالَ: اخْرُجْ،

فَلَمْ أُطِقْ، فَأَخَذَ بِرِجْلِي وَجَرَّنِي إِلَى خَارِجٍ، وَالْأُخْرَى: كُنْتُ بِالشَّامِ وَعَلَيَّ فَرْوٌ، فَنَظَرْتُ فِيهِ فَلَمْ أُمَيِّزْ بَيْنَ شَعَرِهِ وَبَيْنَ الْقَمْلِ لِكَثْرَتِهِ، فَسَرَّنِي ذَلِكَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: كُنْتُ يَوْمًا جَالِسًا، فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَبَالَ عَلَيَّ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: رَأَيْتُ فِي الطَّوَافِ رَجُلًا بَيْنَ يَدَيْهِ شَاكِرِيَّةٌ يَمْنَعُونَ النَّاسَ لِأَجْلِهِ عَنِ الطَّوَافِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ عَلَى جِسْرِ بَغْدَادَ يَسْأَلُ شَيْئًا، فَتَعَجَّبْتُ مِنْهُ، فَقَالَ لِي: إِنِّي تَكَبَّرْتُ فِي مَوْضِعٍ يَتَوَاضَعُ النَّاسُ فِيهِ، فَابْتَلَانِي اللهُ بِالذُّلِّ فِي مَوْضِعٍ يَتَرَفَّعُ النَّاسُ فِيهِ.

وَبَلَغَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ﷺ: أَنَّ ابْنًا لَهُ اشْتَرَى خَاتَمًا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: بَلَغَنِي أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ فَصًّا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَبِعِ الْخَاتَمَ، وَأَشْبِعْ بِهِ أَلْفَ بَطْنٍ، وَاتَّخِذْ خَاتَمًا بِدِرْهَمَيْنِ، وَاجْعَلْ فَصَّهُ حَدِيدًا صِينِيًّا، وَاكْتُبْ عَلَيْهِ: رَحِمَ اللهُ امْرَءًا عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

أَوَّلُ ذَنْبٍ عَصَى اللهَ بِهِ أَبَوَا الثَّقَلَيْنِ: الْكِبْرُ وَالْحِرْصُ، فَكَانَ الْكِبْرُ ذَنْبَ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ، فَآلَ أَمْرُهُ إِلَى مَا آلَ إِلَيْهِ، وَذَنْبُ آدَمَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ: كَانَ مِنَ الْحِرْصِ وَالشَّهْوَةِ، فَكَانَ عَاقِبَتُهُ التَّوْبَةَ وَالْهِدَايَةَ، وَذَنْبُ إِبْلِيسَ حَمَلَهُ عَلَى الِاحْتِجَاجِ بِالْقَدَرِ وَالْإِصْرَارِ، وَذَنْبُ آدَمَ أَوْجَبَ لَهُ إِضَافَتَهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَالِاعْتِرَافَ بِهِ وَالِاسْتِغْفَارَ.

فَأَهْلُ الْكِبْرِ وَالْإِصْرَارِ، وَالِاحْتِجَاجِ بِالْأَقْدَارِ: مَعَ شَيْخِهِمْ وَقَائِدِهِمْ إِلَى النَّارِ إِبْلِيسَ، وَأَهْلُ الشَّهْوَةِ: الْمُسْتَغْفِرُونَ التَّائِبُونَ الْمُعْتَرِفُونَ بِالذُّنُوبِ، الَّذِينَ لَا يَحْتَجُّونَ عَلَيْهَا بِالْقَدَرِ: مَعَ أَبِيهِمْ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ – رَحِمَهُ اللهُ – يَقُولُ: التَّكَبُّرُ شَرٌّ مِنَ الشِّرْكِ فَإِنَّ الْمُتَكَبِّرَ يَتَكَبَّرُ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَالْمُشْرِكَ يَعْبُدُ اللهَ وَغَيْرَهُ.

قُلْتُ: وَلِذَلِكَ جَعَلَ اللهُ النَّارَ دَارَ الْمُتَكَبِّرِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الزُّمَرِ وَفِي سُورَةِ غَافِرٍ ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ [الزمر: ٧٢][غافر٧٦] وفي سورة النحل: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩﴾ وفي الزمر: ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾ وَأَخْبَرَ أَنَّ أَهْلَ الْكِبْرِ وَالتَّجَبُّرِ هُمُ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ [غافر] وَقَالَ ﷺ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، وَقَالَ ﷺ «**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ**

النَّاسِ»[(١)]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الْكِبْرَ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الشِّرْكِ، وَكَمَا أَنَّ مَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ، فَكَذَلِكَ مَنْ تَكَبَّرَ عَنِ الانْقِيَادِ لِلْحَقِّ أَذَلَّهُ اللهُ وَوَضَعَهُ، وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَنِ الانْقِيَادِ لِلْحَقِّ - وَلَوْ جَاءَهُ عَلَى يَدِ صَغِيرٍ، أَوْ مَنْ يُبْغِضُهُ أَوْ يُعَادِيهِ - فَإِنَّمَا تَكَبُّرُهُ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ، وَكَلَامُهُ حَقٌّ، وَدِينُهُ حَقٌّ، وَالْحَقُّ صِفَتُهُ، وَمِنْهُ وَلَهُ، فَإِذَا رَدَّهُ الْعَبْدُ وَتَكَبَّرَ عَنْ قَبُولِهِ: فَإِنَّمَا رَدَّ عَلَى اللهِ، وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

تعريف التواضع:

التَّوَاضُعُ: أَنْ يَتَوَاضَعَ الْعَبْدُ لِصَوْلَةِ الْحَقِّ.

يَعْنِي: أَنْ يَتَلَقَّى سُلْطَانَ الْحَقِّ بِالْخُضُوعِ لَهُ، وَالذُّلِّ، وَالانْقِيَادِ، وَالدُّخُولِ تَحْتَ رِقِّهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ الْحَقُّ مُتَصَرِّفًا فِيهِ تَصَرُّفَ الْمَالِكِ فِي مَمْلُوكِهِ، فَبِهَذَا يَحْصُلُ لِلْعَبْدِ خُلُقُ التَّوَاضُعِ، وَلِهَذَا فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْكِبْرَ بِضِدِّهِ، فَقَالَ «الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْط النَّاسِ»، فَبَطَرُ الْحَقِّ: رَدُّهُ وَجَحْدُهُ، وَالدَّفْعُ فِي صَدْرِهِ، كَدَفْعِ الصَّائِلِ، وَغَمْصُ النَّاسِ: احْتِقَارُهُمْ وَازْدِرَاؤُهُمْ، وَمَتَى احْتَقَرَهُمْ وَازْدَرَاهُمْ: دَفَعَ حُقُوقَهُمْ، وَجَحَدَهَا، وَاسْتَهَانَ بِهَا.

وَلَمَّا كَانَ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالٌ وَصَوْلَةٌ: كَانَتِ النُّفُوسُ الْمُتَكَبِّرَةُ لَا تَقِرُّ لَهُ بِالصَّوْلَةِ عَلَى تِلْكَ الصَّوْلَةِ الَّتِي فِيهَا، وَلَا سِيَّمَا النُّفُوسَ الْمُبْطِلَةَ، فَتَصُولُ عَلَى صَوْلَةِ الْحَقِّ بِكِبْرِهَا وَبَاطِلِهَا، فَكَانَ حَقِيقَةُ التَّوَاضُعِ: خُضُوعَ الْعَبْدِ لِصَوْلَةِ الْحَقِّ، وَانْقِيَادَهُ لَهَا، فَلَا يُقَابِلُهَا بِصَوْلَتِهِ عَلَيْهَا.

❖ السّمع والطاعة لولاة الأمور الشّرعيين في غير معصية:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]

❋وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قَالَ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وكَرِهَ، إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٩١).

(٢) متفقٌ عَلَيْهِ. رواه البخاري (٢٩٥٥) ومسلم (١٨٣٩).

* وعنه قَالَ: كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رسولَ الله ﷺ عَلَى السَّمعِ والطَّاعَةِ، يَقُولُ لَنَا: «فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ»(١).

* وعنه قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(٢).

* وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «اسْمَعُوا وأطِيعُوا، وَإِنِ استُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كأنَّ رأْسَهُ زَبِيبةٌ»(٣).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ»(٤).

* وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ: كنا مع رسول الله ﷺ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إذْ نَادَى مُنَادِي رسولِ الله ﷺ: الصَّلاَةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رسولِ الله ﷺ فَقَالَ: «إنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبيٌّ قَبْلِي إلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُم شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإنَّ أُمَّتَكُمْ هذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أوَّلِهَا، وَسَيُصيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الفتنَةُ فَيقُولُ المُؤْمِنُ: هذه مُهلكتي، ثُمَّ تنكشفُ، وتجيء الفتنةُ فيقولُ المؤمنُ: هذِهِ هذِهِ، فَمَنْ أحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ منيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إمَامًا فَأعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إنِ استَطَاعَ، فإنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ»(٥).

---

(١) متفقٌ عَلَيْهِ. رواه البخاري (٧٢٠٢) ومسلم (١٨٦٧).

(٢) رواه مسلم (١٨٥١).

(٣) رواه البُخَارِيّ(٧١٤٢).

(٤) رواه مسلم(١٨٣٦).

(٥) رواه مسلم (١٨٤٤).

* وعن أبي هنيدة وائل بن حجر ﷺ قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بن يَزِيدَ الجُعفِيُّ رسولَ الله ﷺ فقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، أرأيتَ إنْ قامَت عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسألُونا حَقَّهُم، وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عنه، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فإنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»(١).

* وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا!» قالوا: يَا رسول الله، كَيْفَ تَأمُرُ مَنْ أدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ»(٢).

* وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أطَاعَنِي فَقَدْ أطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أطَاعَنِي، وَمَنْ يَعصِ الأميرَ فَقَدْ عَصَانِي»(٣).

* وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ كَره مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(٤).

****

التحذير من مساوئ الأخلاق

وقال أنس بن مالك: (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنّة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد).

ونتناول طائفة من مساوئ الأخلاق للتحذير منها ونذكر بعض ما جاء فيها من آثار:

---

(١) رواه مسلم (١٨٤٦).

(٢) متفقٌ عَلَيْهِ. رواه البخاري (٣٦٠٣) ومسلم (١٨٤٣).

(٣) متفقٌ عَلَيْهِ. رواه البخاري (٢٩٥٧) ومسلم (١٨٣٥).

(٤) متفقٌ عَلَيْهِ. رواه البخاري (٧٠٥٣) ومسلم (١٨٤٩).

❖ الرّياء والسّمعة وحبّ الظّهور:

جاء في رياض الصّالحين:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] وقال تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤] وقال تعَالَى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء]

*وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «قَالَ الله تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١).

* وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَولَ النَّاسِ يُقْضَى يَومَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ! فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ القُرآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ! وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ؛ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، ولكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: جَوَادٌ! فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(٢).

*وعن ابن عمر ﷺ: أن نَاسًا قَالُوا لَهُ: إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلاَطِينِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلاَفِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِندِهِمْ؟ قَالَ ابنُ عُمَرَ ﷺ: كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رسول الله ﷺ(٣).

* قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرائِي يُرائِي اللهُ بِهِ»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) رواه مسلم (١٩٠٥).

(٣) رواه البخاري (٧١٧٨) من دون: «على عهد رسول الله ﷺ».

(٤) متفق عَلَيْهِ، البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧).

«سَمَّعَ» بتشديد الميم، ومعناه: أظهر عمله للناس رياءً، «سَمَّعَ اللهُ بِهِ» أيْ: فَضَحَهُ يومَ القِيامَةِ، ومعنى: «مَنْ رَاءى» أيْ: مَنْ أظْهَرَ لِلنَّاسِ العَمَلَ الصَّالِحَ لِيَعْظُمَ عِنْدَهُمْ، «رَاءى اللهُ بِهِ» أيْ: أظْهَرَ سَرِيرَتَهُ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ.

* وعن أبي هريرة ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ عز وجل لاَ يَتَعَلَّمُهُ إلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١). يَعْنِي: رِيحَهَا.

- باب ما يتوهم أنه رياء وليس برياء:

عن أبي ذر ﵁، قَالَ: قيل لرسول الله ﷺ أرَأيْتَ الرَّجُلَ الَّذِي يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ»(٢).

❖ العجب والغرور:

قَالَ الإمَام النووي ﵀:

[باب تحريم الكبر والإعجاب:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص] وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧] وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾ [لقمان] ومعنى (تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ): أيْ تُمِيلُهُ وتُعرِضُ بِهِ عَنِ النَّاسِ تَكَبُّرًا عَلَيْهِمْ. وَ «المَرَحُ»: التَّبَخْتُرُ. وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦﴾ [القصص] إلى قوله تَعَالَى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢) صححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

(٢) رواه مسلم (٢٦٤٢).

* عن عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبيّ ﷺ قالَ: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّة مِنْ كِبْرٍ!» فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، ونَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: «إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»(١) «بَطَرُ الحَقِّ»: دَفْعُهُ وَرَدُّهُ عَلَى قَائِلِهِ، وَ «غَمْطُ النَّاسِ»: احْتِقَارُهُمْ.

* وعن سلمة بن الأكوع ﷺ: أن رجلًا أكل عندَ رسول الله ﷺ بشمالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بيَمِينِكَ» قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ! قَالَ: «لاَ اسْتَطَعْتَ» مَا مَنَعَهُ إلاَّ الكِبْرُ، قَالَ: فما رفَعها إِلَى فِيهِ(٢).

* وعن حارثة بن وهب ﷺ قالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أُخْبِرُكُمْ بأَهْلِ النَّار: كلُّ عُتُلٍ جَوّاظٍ مُسْتكبِرٍ»(٣).

* وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبيّ ﷺ قالَ: «احْتَجّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَت النَّارُ: فيَّ الجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ، وقالتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعفاءُ الناس ومساكينُهُم، فقضى اللهُ بَينهُما: إنكِ الجنّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِك مَنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكِلَيْكُما عَلَيَّ مِلْؤُهَا» (٤).

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لاَ يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا»(٥).

* وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَة، وَلاَ يُزَكِّيهِم، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتكبِرٌ»(٦). «العَائِلُ»: الفَقِيرُ.

*وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ «قَالَ الله عز وجل: العِزُّ إِزَارِي، والكبرياءُ رِدائي، فَمَنْ يُنَازِعُني في وَاحِدٍ منهما فَقَد عَذَّبْتُهُ»(٧).

---

(١) رواه مسلم (٩١).

(٢) رواه مسلم (٢٠٢١).

(٣) متفقٌ عَلَيْهِ، رواه البخاري (٤٩١٨، ٦٠٧١) ومسلم (٢٨٥٣).

(٤) رواه مسلم (٢٨٤٧).

(٥) متفق عليه، رواه: البخاري (٥٧٨٨)، ومسلم (٢٠٨٧).

(٦) رواه مسلم (١٠٧).

(٧) رواه مسلم (٢٦٢٠).

* وعنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمشِي في حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأسَهُ، يَخْتَالُ فِي مَشْيَتِهِ، إذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ في الأَرضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»(١)، «مُرَجِّلٌ رَأسَهُ»: أيْ مُمَشِّطُهُ، «يتَجلْجلُ» بالجيمين: أيْ يَغُوصُ وَيَنْزِلُ.

* وعن سلمة بن الأكوع ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لاَ يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ في الجَبَّارِين، فَيُصيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ»(٢)، «يَذْهَبُ بِنَفسِهِ» أيْ: يَرْتَفِعُ وَيَتكبَّرُ].

❖ البخل:

قَالَ النووي ﷺ:

باب النهي عن البخل والشح:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ [الليل] وقال تَعَالَى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر]

وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإنَّ الشُّحَّ أهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أنْ سَفَكُوا دِمَاءهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»(٣).

❖ الظُّلم:

جاء في رياض الصّالحين للإمام النووي ﷺ تَعَالَى:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ۝١٨﴾ [غافر]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ۝٧١﴾ [الحج] وأما الأحاديث فمنها:

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَى أهْلِهَا يومَ القِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ للشَّاةِ الجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ»(٤).

---

(١) متفقٌ عَلَيْهِ، رواه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٠) وقال: «حديث حسن غريب»، وضعفه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٢٥٧٨).

(٤) رواه مسلم (٢٥٨٢).

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَنْ حَجَّةِ الوَدَاعِ، والنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَلا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الوَدَاعِ حَتَّى حَمِدَ اللهَ رَسُول الله ﷺ وَأَثْنَى عَلَيهِ، ثُمَّ ذَكَرَ المَسِيحَ الدَّجَّال، فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ، وَقَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبيٍّ إلاَّ أَنْذَرَهُ أُمَّتَهُ، أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ إنْ يَخْرُجْ فِيكُمْ فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأنِهِ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُم، إنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وإنَّهُ أعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، أَلاَ إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءكُمْ وَأمْوَالَكُمْ كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، في بلدكم هذا، في شَهْرِكُمْ هَذَا، ألا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثلاثًا «وَيْلَكُمْ - أَوْ وَيْحَكُمْ -، انْظُروا: لا تَرْجعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[(١)].
- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ ظَلَمَ قيدَ شِبْرٍ مِنَ الأرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سبعِ أَرَضينَ»[(٢)].
- وعن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود][(٣)].
- وعن معاذ رضي الله عنه قَالَ: بعثني رسول الله ﷺ، فقال: «إنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أهلِ الكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إلَهَ إلاَّ الله، وَأنِّي رسولُ الله، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ قَدِ افْتَرضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَواتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيلَةٍ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإيَّاكَ وَكَرَائِمَ أمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ»[(٤)].
- وعن أبي حميد عبد الرَّحمٰن بن سعد الساعدي رضي الله عنه قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبيُّ ﷺ رَجُلًا مِنَ الأزْدِ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ، قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ، فَقَامَ رسولُ الله ﷺ عَلَى المِنْبَرِ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيهِ، ثُمَّ قَالَ: «أمَّا بَعدُ، فَإِنِّي أسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ منْكُمْ عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلاَّنِي اللهُ، فَيَأتِي فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ إِلَيَّ، أَفَلاَ جَلَسَ فِي بيتِ أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إنْ كَانَ صَادِقًا، والله لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٤٤٠٣، ٤٤٠٢)، ومسلم (٦٦).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢).

(٣) متفق عليه، البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (١٤٩٦) ومسلم (٢٩).

مِنْكُمْ شَيئًا بِغَيرِ حَقِّهِ إلاَّ لَقِيَ اللهَ تَعَالَى، يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلا أَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُ بَعيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ»، ثُمَّ رفع يديهِ حَتَّى رُؤِيَ بَيَاضُ إبْطَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ». ثلاثًا[(١)].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ، مِنْ عِرضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ؛ إنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيهِ»[(٢)].
- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ منْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»[(٣)].
- وعنه رضي الله عنه قَالَ: كَانَ عَلَى ثَقَل النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةُ، فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «هُوَ فِي النَّارِ»، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إلَيْه، فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا[(٤)].
- وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: أَنَّهُ قَامَ فيهم، فَذَكَرَ لَهُمْ أنَّ الجِهَادَ في سبيلِ الله، وَالإيمَانَ بالله أفْضَلُ الأعْمَالِ، فقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أرَأيتَ إنْ قُتِلْتُ في سبيلِ الله، تُكَفَّرُ عَنّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ: «نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ في سبيلِ الله، وَأَنْتَ صَابرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيرُ مُدْبر»، ثُمَّ قَالَ رَسُول الله ﷺ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: أَرَأيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سبيلِ الله، أتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ: «نَعمْ، وَأَنْتَ صَابرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيرُ مُدْبِرٍ، إلاَّ الدَّيْنَ؛ فإنَّ جِبريلَ عليه السلام قَالَ لِي ذلِكَ»[(٥)].
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «أتدرونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟» قالوا: المفْلسُ فِينَا مَنْ لا دِرهَمَ لَهُ ولا مَتاع، فَقَالَ: «إنَّ الْمُفْلسَ مِنْ أُمَّتي مَنْ يأتي يومَ القيامَةِ بِصَلاةٍ وصِيامٍ وَزَكاةٍ، ويأتي وقَدْ شَتَمَ هَذَا، وقَذَفَ

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، رواه البخاري (٢٥٩٧)، ومسلم (١٨٣٢).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٢٤٤٩).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (١١) ومسلم (٤٠).

(٤) رواه البخاري (٣٠٧٤).

(٥) رواه مسلم (١٨٨٥).

هَذَا، وَأَكَلَ مالَ هَذَا، وسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وهَذَا مِنْ حسناتهِ، فإِنْ فَنِيَتْ حَسَناتُه قَبْلَ أَنْ يُقضى مَا عَلَيهِ، أُخِذَ منْ خَطَايَاهُم فَطُرِحَتْ عَلَيهِ، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ»(١).

- وعن أمِّ سَلَمَة ﵂ أنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا أنا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فأَقْضِيَ لَهُ بِنَحْوِ مَا أَسْمعُ، فَمَنْ قَضَيتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ فَإِنَّما أقطَعُ لَهُ قِطعةً مِنَ النَّارِ»(٢).
- وعن ابن عمر ﵄ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ في فُسْحَةٍ مِنْ دِينهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»(٣).
- وعن خولة بنت عامر الأنصارية وهي امرأة حمزة ﵁ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ في مَالِ الله بغَيرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يومَ القِيَامَةِ»(٤).

❖ حب السُّلطَان والإمارة:

عن كعب بن مالك ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»(٥)

النهي عن سؤال الإمارة:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص].

(١) رواه مسلم (٢٥٨١).

(٢) متفق عليه، البخاري (٧١٦٩)، ومسلم (١٧١٣).

(٣) رواه البخاري (٦٨٦٢).

(٤) رواه البُخَارِيّ (٣١١٨).

(٥) رواه أحمد (١٥٧٨٤) والترمذي (٢٣٧٦) وقال: «حديث حسن صحيح». وصححه الألباني.

- وعن أبي سعيد عبد الرَّحْمن بن سمرة ﷺ قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمن بن سَمُرَةَ، لاَ تَسْأَلِ الإمَارَةَ؛ فَإنَّكَ إنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إلَيْهَا، وَإذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينكَ»(١).
- وعن أبي ذر ﷺ قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»(٢).
- وعنه قَالَ: قلت يا رسول الله ألا تَسْتَعْمِلُني؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»(٣).
- وعن أبي هُرَيرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإمَارَةِ، وَسَتكونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ»(٤).

قَالَ الإمَام ابن تَيمِيّة ﷺ في كتاب (السّياسة الشَّرعيَّة ١ / ١٥)(٥):

[البَاب الأَوّل الولايات: أما **أَدَاءُ الْأَمَانَاتِ فَفِيهِ نَوْعَانِ:أَحَدُهُمَا الْوِلَايَاتُ وَهُوَ كَانَ سَبَبَ نُزُولِ الْآيَةِ** [إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها]، وفيه أربعة فصول:

- **الفَصل الأوّل إستعمال الأصلح:** فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ وَتَسَلَّمَ مَفَاتِيحَ الْكَعْبَةِ مِنْ بَنِي شَيْبَةَ طَلَبَهَا مِنْهُ الْعَبَّاسُ، لِيَجْمَعَ لَهُ بَيْنَ سِقَايَةِ الْحَاجِّ وَسِدَانَةِ الْبَيْتِ فَأَنْزَلَ اللهُّ هَذِهِ الْآيَةَ فَدَفَعَ مَفَاتِيحَ الْكَعْبَةِ إلَى بَنِي شَيْبَةَ، فَيَجِبُ عَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ أَنْ يُوَلِّيَ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ أَصْلَحَ مَنْ يَجِدُهُ لِذَلِكَ الْعَمَلِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَوَلَّى رَجُلًا وَهُوَ يَجِدُ مَنْ هُوَ أَصْلَحُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللهَّ

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٧١٤٦)، ومسلم (١٦٥٢).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٦).

(٣) رواه مسلم (١٨٢٥).

(٤) رواه البُخَارِيّ (٧١٤٨).

(٥) انظر مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٤٦)

وَرَسُولَهُ»[١]، وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ وَلَّى رَجُلًا عَلَى عِصَابَةٍ وَهُوَ يَجِدُ فِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى للهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَخَانَ الْمُؤْمِنِينَ»[٢]]...[وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﵁: (مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَوَلَّى رَجُلًا لِمَوَدَّةٍ أَوْ قَرَابَةٍ بَيْنَهُمَا فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُسْلِمِينَ) وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَيْهِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ الْبَحْثُ عَنْ الْمُسْتَحِقِّينَ لِلْوِلَايَاتِ مِنْ نُوَّابِهِ عَلَى الْأَمْصَارِ؛ مِنْ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ هُمْ نُوَّابُ ذِي السُّلْطَانِ وَالْقُضَاةِ وَنَحْوِهِمْ وَمِنْ أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ وَمُقَدَّمِي الْعَسَاكِرِ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ وَوُلَاةِ الْأَمْوَالِ: مِنْ الْوُزَرَاءِ وَالْكُتَّابِ وَالشَّادِينَ وَالسُّعَاةِ عَلَى الْخَرَاجِ وَالصَّدَقَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَمْوَالِ الَّتِي لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ أَنْ يَسْتَنِيبَ وَيَسْتَعْمِلَ أَصْلَحَ مَنْ يَجِدُهُ؛ وَيَنْتَهِي ذَلِكَ إلَى أَئِمَّةِ الصَّلَاةِ وَالْمُؤَذِّنِينَ وَالْمُقْرِئِينَ وَالْمُعَلِّمِينَ وَأُمَرَاءِ الْحَاجِّ وَالْبَرَدِ وَالْعُيُونِ الَّذِينَ هُمْ الْقُصَّادُ وَخُزَّانِ الْأَمْوَالِ وَحُرَّاسِ الْحُصُونِ وَالْحَدَّادِينَ الَّذِينَ هُمْ الْبَوَّابُونَ عَلَى الْحُصُونِ وَالْمَدَائِنِ وَنُقَبَاءِ الْعَسَاكِرِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ وَعُرَفَاءِ الْقَبَائِلِ وَالْأَسْوَاقِ وَرُؤَسَاءِ الْقُرَى الَّذِينَ هُمْ (الدَّهَاقِينُ)، فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَسْتَعْمِلَ فِيمَا تَحْتَ يَدِهِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ أَصْلَحَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَا يُقَدِّمُ الرَّجُلَ لِكَوْنِهِ طَلَبَ الْوِلَايَةَ أَوْ سَبَقَ فِي الطَّلَبِ؛ بَلْ يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِلْمَنْعِ؛ فَإِنَّ فِي الصَّحِيحِ[٣] عَنْ النَّبِيِّ ﷺ :أَنَّ قَوْمًا دَخَلُوا عَلَيْهِ فَسَأَلُوهُ وِلَايَةً؛ فَقَالَ: «إنَّا لَا نُوَلِّي أَمْرَنَا هَذَا مَنْ طَلَبَهُ»، وَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ لَا تَسْأَلْ الْإِمَارَةَ فَإِنَّك إنْ أُعْطِيتهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْت عَلَيْهَا؛ وَإِنْ أُعْطِيتهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْت إلَيْهَا» أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ[٤]، وَقَالَ ﷺ : «مَنْ طَلَبَ الْقَضَاءَ وَاسْتَعَانَ عَلَيْهِ وُكِلَ إلَيْهِ وَمَنْ لَمْ يَطْلُبْ الْقَضَاءَ وَلَمْ يَسْتَعِنْ

---

(١) رواه الطبراني (١١٢٣٨) والبيهقي (٢٠٨٦١) ولفظ الطبراني: «ومن تولى من أمر المسلمين شيئا فاستعمل عليهم رجلا وهو يعلم أن فيهم من هو أولى بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسنة رسوله فقد خان الله ورسوله». قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني وفيه أبو محمد الجزري حمزة لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه الحاكم (٧٠٢٣) بلفظ: «مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابَةٍ وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى للهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللهَ وخانَ رَسُولَهُ وخانَ الْمُؤْمِنِينَ» من حديث ابن عباس ﵄، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وضعفه الذهبي والألباني (ضعيف الجامع ٥٤٠٩).

(٣) رواه البخاري (٧١٤٩)، ومسلم (١٧٣٣).

(٤) رواه البخاري (٦٧٢٧).

عَلَيْهِ؛ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ» رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ[١]، فَإِنْ عَدَلَ عَنْ الْأَحَقِّ الْأَصْلَحِ إِلَى غَيْرِهِ لِأَجْلِ قَرَابَةٍ بَيْنَهُمَا أَوْ وَلَاءِ عَتَاقَةٍ أَوْ صَدَاقَةٍ أَوْ مُرَافَقَةٍ فِي بَلَدٍ أَوْ مَذْهَبٍ أَوْ طَرِيقَةٍ أَوْ جِنْسٍ: كَالْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ وَالتُّرْكِيَّةِ وَالرُّومِيَّةِ؛ أَوْ لِرِشْوَةٍ يَأْخُذُهَا مِنْهُ مِنْ مَالٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ؛ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَسْبَابِ أَوْ لِضَغْنٍ فِي قَلْبِهِ عَلَى الْأَحَقِّ أَوْ عَدَاوَةٍ بَيْنَهُمَا؛ فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَدَخَلَ فِيمَا نُهِيَ عَنْهُ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾ [الأنفال] ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨﴾ [الأنفال] فَإِنَّ الرَّجُلَ لِحُبِّهِ لِوَلَدِهِ أَوْ لِعَتِيقِهِ قَدْ يُؤْثِرُهُ فِي بَعْضِ الْوِلَايَاتِ أَوْ يُعْطِيهِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ؛ فَيَكُونُ قَدْ خَانَ أَمَانَتَهُ؛ وَكَذَلِكَ قَدْ يُؤْثِرُهُ زِيَادَةً فِي مَالِهِ أَوْ حفظِهِ؛ بِأَخْذِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ أَوْ مُحَابَاةِ مَنْ يُدَاهِنُهُ فِي بَعْضِ الْوِلَايَاتِ، فَيَكُونُ قَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَخَانَ أَمَانَتَهُ، ثُمَّ إنَّ الْمُؤَدِّيَ لِلْأَمَانَةِ مَعَ مُخَالَفَةِ هَوَاهُ يُثَبِّتُهُ اللهُ فَيَحْفَظُهُ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بَعْدَهُ وَالْمُطِيعُ لِهَوَاهُ يُعَاقِبُهُ اللهُ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ فَيُذِلُّ أَهْلَهُ وَيُذْهِبُ مَالَهُ، وَفِي ذَلِكَ الْحِكَايَةُ الْمَشْهُورَةُ؛ أَنَّ بَعْضَ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ سَأَلَ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ أَنْ يُحَدِّثَهُ عَمَّا أَدْرَكَ فَقَالَ: أَدْرَكْت عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ؛ قِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْفَرْت أَفْوَاهَ بَنِيك مِنْ هَذَا الْمَالِ وَتَرَكْتهمْ فُقَرَاءَ لَا شَيْءَ لَهُمْ - وَكَانَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ - فَقَالَ: أَدْخِلُوهُمْ عَلَيَّ؛ فَأَدْخَلُوهُمْ؛ وَهُمْ بِضْعَةَ عَشَرَ ذَكَرًا لَيْسَ فِيهِمْ بَالِغٌ فَلَمَّا رَآهُمْ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا بَنِيَّ وَاللهِ مَا مَنَعْتُكُمْ حَقًّا هُوَ لَكُمْ وَلَمْ أَكُنْ بِالَّذِي آخُذُ أَمْوَالَ النَّاسِ فَأَدْفَعُهَا إلَيْكُمْ؛ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إمَّا صَالِحٌ فَاَللهُ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ؛ وَإِمَّا غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا أُخَلِّفُ لَهُ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ قُومُوا عَنِّي، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْت بَعْضَ بَنِيهِ حَمَلَ عَلَى مِائَةِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ يَعْنِي أَعْطَاهَا لِمَنْ يَغْزُو عَلَيْهَا، قُلْت: هَذَا وَقَدْ كَانَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَقْصَى الْمَشْرِقِ بِلَادِ التُّرْكِ إلَى أَقْصَى الْمَغْرِبِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهَا وَمِنْ جَزَائِرِ قُبْرُصَ وَثُغُورِ الشَّامِ وَالْعَوَاصِمِ كطرسوس وَنَحْوِهَا إلَى أَقْصَى الْيَمَنِ، وَإِنَّمَا أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٌ مِنْ أَوْلَادِهِ مِنْ تَرِكَتِهِ شَيْئًا يَسِيرًا يُقَالُ: أَقَلُّ مِنْ عِشْرِينَ دِرْهَمًا - قَالَ وَحَضَرْت بَعْضَ الْخُلَفَاءِ وَقَدْ اقْتَسَمَ تَرِكَتَهُ بَنُوهُ فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سِتَّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ؛ وَلَقَدْ رَأَيْت بَعْضَهُمْ يَتَكَفَّفُ النَّاسَ - أَيْ يَسْأَلُهُمْ بِكَفِّهِ - وَفِي هَذَا الْبَابِ مِنْ الْحِكَايَاتِ وَالْوَقَائِعِ الْمُشَاهَدَةِ فِي الزَّمَانِ وَالْمَسْمُوعَةِ عَمَّا قَبْلَهُ؛ مَا فِيهِ عِبْرَةٌ لِكُلِّ ذِي لُبٍّ، وَقَدْ دَلَّتْ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَنَّ

(١) رواه الترمذي (١٣٢٤، ١٣٢٣) وأبو داود (٣٥٧٨) وابن ماجه (٢٣٠٩) وأحمد (١٣٣٠٢) وضعفه الألباني.

الْوِلَايَةِ أَمَانَةٌ يَجِبُ أَدَاؤُهَا فِي مَوَاضِعَ: مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ، وَمِثْلَ قَوْلِهِ لِأَبِي ذَرٍّ ﷺ فِي الْإِمَارَةِ: «إِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ[٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ»، قِيلَ يَا رَسُولَ الله: وَمَا إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ»، وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَعْنَى هَذَا؛ فَإِنَّ وَصِيَّ الْيَتِيمِ وَنَاظِرَ الْوَقْفِ وَوَكِيلَ الرَّجُلِ فِي مَالِهِ؛ عَلَيْهِ أَنْ يَتَصَرَّفَ لَهُ بِالْأَصْلَحِ فَالْأَصْلَحِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [الأنعام]، وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ حَسَنَةٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْوَالِيَ رَاعٍ عَلَى النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ رَاعِي الْغَنَمِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ؛ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْوَلَدُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ وَالْعَبْدُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ[٣] وَقَالَ ﷺ: «مَا مِنْ رَاعٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهَا إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَدَخَلَ أَبُو مُسْلِمٍ الخولاني عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا الْأَجِيرُ؛ فَقَالُوا: قُلْ السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا الْأَمِيرُ، فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا الْأَجِيرُ، فَقَالُوا: قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا الْأَمِيرُ، فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا الْأَجِيرُ، فَقَالُوا قُلْ السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا الْأَمِيرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا الْأَجِيرُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: دَعُوا أَبَا مُسْلِمٍ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ، فَقَالَ: إنَّمَا أَنْتَ أَجِيرٌ اسْتَأْجَرَك رَبُّ هَذِهِ الْغَنَمِ لِرِعَايَتِهَا؛ فَإِنْ أَنْتَ هَنَأْت جَرْبَاهَا وَدَاوَيْت مَرْضَاهَا وَحَبَسْت أُولَاهَا عَلَى أُخْرَاهَا: وَفَاك سَيِّدُهَا أَجْرَك وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَهْنَأْ جَرْبَاهَا وَلَمْ تداو مَرْضَاهَا؛ وَلَمْ تَحْبِسْ أُولَاهَا عَلَى أُخْرَاهَا عَاقَبَك سَيِّدُهَا، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي الِاعْتِبَارِ؛ فَإِنَّ الْخَلْقَ عِبَادُ الله وَالْوُلَاةُ نُوَّابُ الله عَلَى عِبَادِهِ وَهُمْ وُكَلَاءُ الْعِبَادِ عَلَى نُفُوسِهِمْ؛ بِمَنْزِلَةِ أَحَدِ الشَّرِيكَيْنِ مَعَ الْآخَرِ؛ فَفِيهِمْ مَعْنَى الْوِلَايَةِ وَالْوِكَالَةِ؛ ثُمَّ الْوَلِيُّ وَالْوَكِيلُ متى اسْتَنَابَ فِي أُمُورِهِ رَجُلًا وَتَرَكَ مَنْ هُوَ أَصْلَحُ لِلتِّجَارَةِ أَوْ الْعَقَارِ مِنْهُ وَبَاعَ

---

(١) رواه مسلم (١٨٢٥).

(٢) رواه البخاري (٥٩).

(٣) رواه البخاري (٢٤١٩) ومسلم (١٨٢٩).

(٤) رواه البخاري (٧١٥١)، ومسلم (١٤٢).

السِّلْعَةَ بِثَمَنٍ وَهُوَ يَجِدُ مَنْ يَشْتَرِيهَا بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ الثَّمَنِ؛ فَقَدْ خَانَ صَاحِبَهُ لَا سِيَّمَا إنْ كَانَ بَيْنَ مَنْ حَابَاهُ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ أَوْ قَرَابَةٌ فَإِنَّ صَاحِبَهُ يُبْغِضُهُ وَيَذُمُّهُ وَيَرَى أَنَّهُ قَدْ خَانَهُ وَدَاهَنَ قَرِيبَهُ أَوْ صَدِيقَهُ]أهـ.

❖ الكذب:

قَالَ الله تَعالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال تَعالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨﴾ [ق]

- وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إِلَى البرِّ، وإنَّ البر يَهدِي إِلَى الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا»(١).
- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ: أن النبيّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(٢) متفق عليه.
- وعن ابن عباس ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ، وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»(٣).

بيان ما يجوز من الكذب:

اعلَمْ أنَّ الكَذِبَ، وإنْ كَانَ أَصْلُهُ مُحَرَّمًا، فَيَجُوزُ فِي بَعْضِ الأَحْوَالِ بِشُروطٍ قَدْ أَوْضَحْتُهَا في كتاب: «الأَذْكَارِ»، ومُخْتَصَرُ ذَلِكَ: أنَّ الكلامَ وَسيلَةٌ إِلَى المَقَاصِدِ، فَكُلُّ مَقْصُودٍ مَحْمُودٍ يُمْكِنُ تَحْصِيلُهُ بِغَيْرِ الكَذِبِ يَحْرُمُ الكَذِبُ فِيهِ، وإنْ لَمْ يُمْكِنْ تَحْصِيلُهُ إلاَّ بالكَذِبِ، جازَ الكَذِبُ، ثُمَّ إنْ كَانَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ المَقْصُودِ مُبَاحًا كَانَ الكَذِبُ مُبَاحًا، وإنْ كَانَ وَاجِبًا، كَانَ الكَذِبُ وَاجِبًا، فإذا اخْتَفَى مُسْلِمٌ مِنْ ظَالِمٍ يُريدُ قَتْلَهُ، أَوْ أَخذَ مَالِهِ وأخفى ماله وَسُئِلَ إنْسَانٌ عَنْهُ، وَجَبَ الكَذِبُ بإخْفَائِه، وكذا لو كانَ عِندَهُ وديعَةٌ، وأراد ظالمٌ

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) رواه البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨).

(٣) رواه البُخَارِيّ (٧٠٤٢) ومسلم (٢١١٠).

أخذها، وجبَ الكذبُ بإخفائها، وَالأحْوطُ في هَذَا كُلِّهِ أن يُورِّيَ، ومعْنَى التَّوْرِيَةِ: أَنْ يَقْصِدَ بِعِبَارَتِهِ مَقْصُودًا صَحيحًا لَيْسَ هُوَ كَاذِبًا بالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، وإِنْ كَانَ كَاذِبًا في ظَاهِرِ اللَّفْظِ، وبالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَفْهَمُهُ المُخَاطَبُ، وَلَوْ تَرَكَ التَّوْرِيَةَ وَأَطْلَقَ عِبَارَةَ الكَذِبِ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ في هَذَا الحَالِ، وَاسْتَدَلَ العُلَمَاءُ بِجَوازِ الكَذِبِ في هَذَا الحَالِ بِحَدِيثِ أُمِّ كُلْثُومٍ رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا»(١) متفق عليه، زاد مسلم في رواية: قالت أُمُّ كُلْثُومٍ: (وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إِلاَّ في ثَلاَثٍ، تَعْنِي: الحَرْبَ، والإِصْلاَحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحديثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا.)

❖ الغيبة:

قَالَ الإِمَام النووي رحمه الله:

قَالَ الله تَعالَى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾ [الحجرات: ١٢] وقال تعالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال تعالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٨]

اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ الكَلامِ إِلاَّ كَلامًا ظَهَرَتْ فِيهِ المَصْلَحَةُ، ومَتَى اسْتَوَى الكَلاَمُ وَتَرْكُهُ فِي المَصْلَحَةِ، فالسُّنَّةُ الإِمْسَاكُ عَنْهُ، لأَنَّهُ قَدْ يَنْجَرُّ الكَلاَمُ المُبَاحُ إِلَى حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، وذَلِكَ كَثِيرٌ فِي العَادَةِ، والسَّلاَمَةُ لا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ.

- وعن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله أَيُّ المُسْلمِينَ أفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(٢) متفق عليه.
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبيّ ﷺ يقول: «إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ»(٣) متفق عليه.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٢) ومسلم (٢٦٠٥).

(٢) رواه البخاري (١١)، ومسلم (٤٢).

(٣) رواه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

- عن معاذ رضي الله عنه قال: فقلت يا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ المَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تَلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] حَتَّى بَلَغَ ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة] ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»(١).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فقد اغْتَبْتَهُ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ»(٢).

- وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنًى فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: «إِنَّ دِماءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وأَعْرَاضَكُمْ، حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، ألا هَلْ بَلَّغْتُ»(٣) متفق عليه.

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قُلت للنبي ﷺ (حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كذَا وكَذَا)، قَالَ بعضُ الرواةِ: تَعْنِي قَصِيرَةً، فقالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ!» قالت: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسانًا وإنَّ لِي كَذَا وَكَذَا»(٤)، ومعنى: «مَزَجَتْهُ» خَالَطَتْهُ مُخَالَطَةً يَتَغَيَّرُ بِهَا طَعْمُهُ أَوْ رِيحُهُ لِشِدَّةِ نَتْنِها وَقُبْحِهَا، وهذا الحَديثُ مِنْ أبلَغِ الزَّواجِرِ عَنِ الغِيبَةِ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ٤﴾ [النجم]

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦) والنسائي (٢٢٢٤، ٢٢٢٥) وابن ماجة (٣٩٧٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٩).

(٣) رواه البخاري (١٠٥)، ومسلم (١٦٧٩).

(٤) رواه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢) وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني.

• وعن أنس ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَومٍ لَهُمْ أظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ: مَنْ هؤُلاءِ يَا جِبرِيلُ؟ قَالَ: هؤُلاءِ الَّذِينَ يَأكُلُونَ لُحومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أعْرَاضِهِمْ!»(١).

• وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ»(٢).

باب تحريم سماع الغيبة وأمر من سمع غيبة محرمة بردها والإنكار على قائلها:

فإن عجز أو لم يقبل منه فارق المجلس إن أمكنه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥] وقال تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون] وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء] وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٦٨﴾ [الأنعام]

• وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخيهِ، رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَومَ القِيَامَةِ»(٣)

بيان ما يباح من الغيبة:

اعْلَمْ أنَّ الغِيبَةَ تُبَاحُ لِغَرَضٍ صَحيحٍ شَرْعِيٍّ لا يُمْكِنُ الوُصُولُ إِلَيْهِ إلاَّ بِهَا، وَهُوَ سِتَّةُ أسْبَابٍ:

- **الأَوَّلُ**: التَّظَلُّمُ، فَيَجُوزُ لِلمَظْلُومِ أنْ يَتَظَلَّمَ إِلَى السُّلْطَانِ والقَاضِي وغَيرِهِما مِمَّنْ لَهُ وِلاَيَةٌ، أَوْ قُدْرَةٌ عَلَى إنْصَافِهِ مِنْ ظَالِمِهِ، فيقول: ظَلَمَنِي فُلاَنٌ بكذا.

- **الثَّاني**: الاسْتِعانَةُ عَلَى تَغْيِيرِ المُنْكَرِ، وَرَدِّ العَاصِي إِلَى الصَّوابِ، فيقولُ لِمَنْ يَرْجُو قُدْرَتهُ عَلَى إزالَةِ المُنْكَرِ: فُلانٌ يَعْمَلُ كَذا، فازْجُرْهُ عَنْهُ ونحو ذَلِكَ ويكونُ مَقْصُودُهُ التَّوَصُّلُ إِلَى إزالَةِ المُنْكَرِ، فَإنْ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ كَانَ حَرَامًا.

- **الثَّالِثُ**: الاسْتِفْتَاءُ، فيقُولُ لِلمُفْتِي: ظَلَمَنِي أبي أَوْ أخي، أَوْ زوجي، أَوْ فُلانٌ بكَذَا فَهَلْ لَهُ ذَلِكَ؟ وَمَا طَريقي في الخلاصِ مِنْهُ، وتَحْصيلِ حَقِّي، وَدَفْعِ الظُّلْمِ؟ وَنَحْو ذَلِكَ، فهذا جَائِزٌ لِلْحَاجَةِ، ولكِنَّ الأحْوطَ

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٧٨) و (٤٨٧٩) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٣) رواه أحمد (٢٧٥٣٦، ٢٧٥٤٣) والتِّرْمِذِيّ (١٩٣١) وقال: «حديث حسن» وصححه الألباني.

والأفضَلَ أَنْ يقول: مَا تقولُ فِي رَجُلٍ أَوْ شَخْصٍ، أَوْ زَوْجٍ، كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كذا؟ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ الغَرَضُ مِنْ غَيرِ تَعْيِينٍ، وَمَعَ ذَلِكَ، فالتَّعْيِينُ جَائِزٌ كَمَا سَنَذْكُرُهُ فِي حَدِيثِ هِنْدٍ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى..

- **الرَّابِعُ**: تَحْذِيرُ المُسْلِمِينَ مِنَ الشَّرِّ وَنَصِيحَتُهُمْ، وذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

مِنْهَا جَرْحُ المَجْرُوحِينَ مِنَ الرُّواةِ والشُّهُودِ وذلك جَائِزٌ بِإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ، بَلْ وَاجِبٌ لِلْحَاجَةِ.

ومنها: المُشَاوَرَةُ فِي مُصاهَرَةِ إِنْسانٍ أو مُشاركتِهِ، أَوْ إيداعِهِ، أَوْ مُعامَلَتِهِ، أَوْ غيرِ ذَلِكَ، أَوْ مُجَاوَرَتِهِ، ويجبُ عَلَى المُشَاوِرِ أَنْ لا يُخْفِيَ حَالَهُ، بَلْ يَذْكُرُ المَسَاوِئَ الَّتي فِيهِ بِنِيَّةِ النَّصِيحَةِ.

ومنها: إِذَا رأى مُتَفَقِّهًا يَتَرَدَّدُ إِلَى مُبْتَدِعٍ، أَوْ فَاسِقٍ يَأْخُذُ عَنْهُ العِلْمَ، وخَافَ أَنْ يَتَضَرَّرَ المُتَفَقِّهُ بِذَلِكَ، فَعَلَيْهِ نَصِيحَتُهُ بِبَيَانِ حَالِهِ، بِشَرْطِ أَنْ يَقْصِدَ النَّصِيحَةَ، وَهَذا مِمَّا يُغلَطُ فِيهِ، وَقَدْ يَحمِلُ المُتَكَلِّمَ بِذلِكَ الحَسَدُ، وَيُلَبِّسُ الشَّيطانُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، ويُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ نَصِيحَةٌ فَلْيَتَفَطَّنْ لِذلِكَ.

وَمِنها: أَنْ يكونَ لَهُ وِلايَةٌ لا يقومُ بِهَا عَلَى وَجْهِها: إِمَّا بِأَنْ لا يكونَ صَالِحًا لَهَا، وإما بِأَنْ يكونَ فَاسِقًا، أَوْ مُغَفَّلًا، وَنَحوَ ذَلِكَ فَيَجِبُ ذِكْرُ ذَلِكَ لِمَنْ لَهُ عَلَيْهِ ولايةٌ عامَّةٌ لِيُزِيلَهُ، وَيُوَلِّيَ مَنْ يُصْلِحُ، أَوْ يَعْلَمَ ذَلِكَ مِنْهُ لِيُعَامِلَهُ بِمُقْتَضَى حالِهِ، وَلاَ يَغْتَرَّ بِهِ، وأَنْ يَسْعَى فِي أَنْ يَحُثَّهُ عَلَى الاسْتِقَامَةِ أَوْ يَسْتَبْدِلَ بِهِ.

-**الخَامِسُ**: أَنْ يَكُونَ مُجَاهِرًا بِفِسْقِهِ أَوْ بِدْعَتِهِ كالمُجَاهِرِ بِشُرْبِ الخَمْرِ، ومُصَادَرَةِ النَّاسِ، وأَخْذِ المَكْسِ، وجِبَايَةِ الأَمْوَالِ ظُلْمًا، وَتَوَلِّي الأمُورِ الباطِلَةِ، فَيَجُوزُ ذِكْرُهُ بِمَا يُجَاهِرُ بِهِ، وَيَحْرُمُ ذِكْرُهُ بِغَيْرِهِ مِنَ العُيُوبِ، إِلاَّ أَنْ يكونَ لِجَوازِهِ سَبَبٌ آخَرُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ.

-**السَّادِسُ**: التعرِيفُ، فإذا كَانَ الإِنْسَانُ مَعْرُوفًا بِلَقَبٍ، كالأَعْمَشِ، والأَعرَجِ، والأَصَمِّ، والأَعْمى، والأَحْوَلِ، وغَيْرِهِمْ جاز تَعْرِيفُهُمْ بذلِكَ، وَيَحْرُمُ إِطْلاقُهُ عَلَى جِهَةِ التَّنْقِيصِ، ولو أمكَنَ تَعْرِيفُهُ بِغَيرِ ذَلِكَ كَانَ أَوْلَى، فهذه سِتَّةُ أسبابٍ ذَكَرَهَا العُلَمَاءُ وأَكثَرُها مُجْمَعٌ عَلَيْهِ.

❖ النميمة وهي نقل الكلام بين النّاس عَلى جهة الإفساد:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم] وقال تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق] وعن حذيفة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ» متفق عليه(١).

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥٦) ومسلم (١٠٥) واللفظ له.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ مرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ في كَبِيرٍ! بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ: أَمَّا أَحَدُهُمَا، فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»[1] متفق عليه، قَالَ العلماءُ معنى: «وَمَا يُعَذَّبَانِ في كَبيرٍ» أيْ: كَبيرٍ في زَعْمِهِمَا. وقِيلَ: كَبيرٌ تَرْكُهُ عَلَيْهِمَا.

❖ ذو الوجهين:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٠٨﴾ [النساء]

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعادِنَ: خِيَارُهُم في الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا، وتَجِدُونَ خِيَارَ النَّاسِ في هَذَا الشَّأنِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لَهُ، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَينِ، الَّذِي يَأتِي هؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ»[2].
- وعن محمد بن زيدٍ: أنَّ ناسًا قالوا لجَدِّهِ عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما: إنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلاَطِينِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلاَفِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: (كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رسُولِ الله ﷺ)[3].

❖ إشاعة الفاحشة وإفساد ذات بين المُسلِمين:

- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «صَلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ»، قَالَ أبو عيسى: هذا حديث صحيح ويروى عن النبيِّ ﷺ أنه قَالَ: «هِيَ الحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ»[4].

---

(١) رواه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٣٤٩٣)، ومسلم (٢٥٢٦).

(٣) رواه البُخَارِيّ (٧١٧٨).

(٤) رواه الترمذي (٢٥٠٩) وأبو داود (٤٩١٩) وأحمد (٢٧٥٠٨) و صححه الألباني وقال الأرنؤوط : صحيح على شرطهما.

• حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ يَحْيَى الدِّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعِيدٍ، حَدَّثَنَا مَكْحُولٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى نَدَعُ الِائْتِمَارَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: «إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذَا كَانَتِ الْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ، وَالْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالْعِلْمُ فِي رُذَالِكُمْ»[1].

❖ شهادة الزور:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾ [الحج]وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]وقال تَعَالَى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ۝١٨﴾ [ق]وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر]وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢].

وعن أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رسولَ الله، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بالله، وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ» وكَانَ مُتَّكِئًا فَجلَسَ، فَقَالَ: «ألا وَقَولُ الزُّورِ»، فما زال يُكَرِّرُهَا حَتَّى قلنا: لَيْتَهُ سَكَتَ.[2]

❖ الفحش والبذاءة:

عن ابنِ مَسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَيْس الْمُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ، وَلا اللَّعَّانِ، وَلا الْفَاحِشِ، وَلا الْبَذِيءِ»[3].

❖ لعن إنسان بعينه أو دابة:

* عن أَبِي زيدٍ ثابت بن الضَّحَّاك الأنصاريِّ ﷺ وَهُوَ من أهلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلاَمِ كاذِبًا مُتَعَمِّدًا، فَهُوَ كَما قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيءٍ، عُذِّبَ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ، وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فيما لا يَمْلِكُهُ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ»[4].

---

(١) رواه أحمد (١٢٩٤٣) وقال الأرنؤوط : إسناده قوي، وروى نحوه ابن ماجة (٤٠١٥) وضعفه إسناده الألباني.

(٢) رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

(٣) رواه أحمد (٣٨٣٩، ٣٩٤٨) التِّرْمِذِيّ (١٩٧٧) وقال: «حديث حسن» وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري (٦٠٤٧)، ومسلم (١١٠).

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لاَ يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا»(١).

* وعن أبي الدرداء ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لاَ يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ، وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

* وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لاَ تَلاَعَنُوا بِلَعْنَةِ الله، وَلاَ بِغَضَبِهِ، وَلاَ بِالنَّارِ»(٣).

* وعن أبي الدرداء ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا، صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّماءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوابُ السَّماءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبْوابُهَا دُونَها، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمالًا، فَإذا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فإِنْ كَانَ أَهْلًا لِذلِكَ، وإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا»(٤).

* وعن عمران بن الحصين ﷺ قَالَ: بينما رسول الله ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رسُولُ الله ﷺ فقالَ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ»، قَالَ عِمْرانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ(٥).

❖ سب المسلم بغير حق:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝﴾ [الأحزاب]

---

(١) رواه مسلم (٢٥٩٧).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٨). قال النووي في شرح صحيح مسلم: «معناه: لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار. (ولا شهداء) فيه ثلاثة أقوال: أصحها وأشهرها: لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات. والثاني: لا يكونون شهداء في الدنيا، أي: لا تقبل شهادتهم لفسقهم. والثالث: لا يرزقون الشهادة وهي القتل في سبيل الله. قال: وإنّما قال ﷺ: لعانًا ولعانون بصيغة التكثير؛ لأنَّ هذا الذم في الحديث هو لمن كثر منه اللعن لا لمرة ونحوها؛ ولأنه يخرج منه أيضًا اللعن المباح وهو الذي ورد به الشرع وهو لعنة الله على الظالمين، ولعن الله اليهود والنصارى ولعن الله الواصلة والواشمة ... »

(٣) رواه أبو داود (٤٩٠٦)، والترمذي (١٩٧٦).وقال: «حديث حسن صحيح»، وحسنه الألباني.

(٤) رواه أبو داود (٤٩٠٥) وحسنه الألباني.

(٥) رواه مسلم (٢٥٩٥).

* عن ابن مسعود ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»(١).

* وعن أبي ذر ﵁، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالفِسْقِ أَوِ الكُفْرِ، إلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كذَلِكَ»(٢).

* وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «الْمُتَسَابَّانِ مَا قَالاَ فَعَلَى البَادِي منهُمَا حَتَّى يَعْتَدِي المَظْلُومُ»(٣).

* وعنه قَالَ: أُتي النبيّ ﷺ برَجُلٍ قَدْ شرِبَ قَالَ: «اضربوهُ» قَالَ أَبُو هريرةَ: فَمِنَّا الضارِبُ بيَدِهِ، والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، والضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أَخْزَاكَ اللهُ! قَالَ: «لا تَقُولُوا هَذَا، لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ»(٤).

❖ الإيذاء:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب]

- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﵄ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ منْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»(٥).
- وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»(٦).

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٦٠٤٥).

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٧).

(٤) رواه البُخَارِيّ (٦٧٧٧).

(٥) متفق عليه، رواه البخاري (١١) ومسلم (٤٠).

(٦) رواه مسلم (١٨٤٤).

❖ **الحسد وهو تمني زوال النعمة عن صاحبها سواء كانت نعمة دين أو دنيا:**

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤]

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبيّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالحَسَدَ؛ فَإِنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ» أَوْ قَالَ: «العُشْبَ»(١).

❖ **التجسس والتسمع لكلام من يكره استماعه:**

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢] وقال تعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨]

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، ولا تحسَّسوا وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَنَافَسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمْ، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هاهُنَا التَّقْوَى هاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ «بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَعِرْضُهُ، وَمَالُهُ، إنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أجْسَادِكُمْ، وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وأعْمَالِكُمْ»، وَفِي رواية: «لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا وَكُونُوا عِبَادَ الله إخْوانًا»، وفي رواية: «لاَ تَقَاطَعُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إخوانًا» وَفِي رِواية: «وَلاَ تَهَاجَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ»، رواه مسلم بكلّ هذِهِ الرواياتِ، وروى البخاريُّ أكْثَرَهَا(٢).

- وعن معاوية ﷺ قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ المُسْلِمِينَ أفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ»(٣).

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٠٣)، وضعفه الألباني، وقال البخاري عن الحديث: «لا يصح».

(٢) رواه البخاري (٢١٤٠، ٢١٥٠، ٢١٦٠، ٢٧٢٣، ....) ومسلم (١٤١٣، ١٥١٥، ٢٥٦٣، ...٢٥٦٤)

(٣) رواه أبو داود (٤٨٨٨) وصححه الألباني.

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «أَنَّهُ أُتِيَ بِرَجُلٍ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا فُلَانٌ تَقْطُرُ لِحْيَتُهُ خَمْرًا، فَقَالَ: إِنَّا قَدْ نُهِينَا عَنِ التَّجَسُّسِ، ولكِنْ إِنْ يَظْهَرْ لَنَا شَيْءٌ، نَأْخُذ بِهِ»(١).

❖ سوء الظن بالمُسلِمين من غير ضرورة:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ»(٢).

❖ احتقار المُسلِمِين:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات]

وقال تعالَى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ [الهمزة]

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»(٣).
- وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ!» فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»(٤). ومعنى «بَطَرُ الحَقِّ» دَفْعه، «وغَمْطُهُم»: احْتِقَارُهُمْ.
- وعن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لاَ يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ، فَقَالَ اللهُ عز وجل: مَنْ ذا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ! فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَاحْبَطْتُ عَمَلَكَ»(٥).

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٩٠) وصححه الألباني.

(٢) صحيح، سبق تخريجه.

(٣) صحيح، سبق تخريجه.

(٤) رواه مسلم (٩١).

(٥) رواه مسلم (٢٦٢١).

❖ إظهار الشماتة بالمسلم:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩]

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لاَ تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ»(١).

❖ الغش والخداع:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨]

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»، وفي رواية لَهُ: أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أصابعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: «مَا هذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ: أصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رسول الله، قَالَ: «أفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوقَ الطَّعَامِ حَتَّى يرَاهُ النَّاسُ! مَنْ غشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»(٢).
- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيّ ﷺ: «نَهى عن النَّجْشِ»(٣).
- وعنه قَالَ: ذَكَرَ رَجُلٌ لِرَسُولِ الله ﷺ: أنَّهُ يُخْدَعُ في البُيُوعِ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ بَايَعْتَ، فَقُلْ: لاَ خِلاَبَةَ»(٤) متفق عليه، «الخِلاَبَةُ» بخاءٍ معجمةٍ مكسورةٍ وباءٍ موحدة، وهي: الخديعة.

❖ الغدر:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] وقال تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء]

---

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٥٠٦)، وقال: «حديث حسن غريب».

(٢) رواه مسلم (١٠١، ١٠٢).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٢١٤٢)، ومسلم (١٥١٦).

(٤) رواه البخاري (٢١١٧)، ومسلم (١٥٣٣).

- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَها: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(١) متفق عليه.
- وعن ابن مسعود وابن عمر وأنس رضي الله عنهم قالوا: قَالَ النبيّ ﷺ: «لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ: هذِهِ غَدْرَةُ فلانٍ»(٢) متفق عليه.
- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يومَ القِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدَرِ غَدْرِهِ، أَلاَ وَلاَ غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ»(٣).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «قَالَ الله تَعَالَى: ثَلاَثَةٌ أَنا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أعْطَى بي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أجيرًا، فَاسْتَوْفَى مِنْهُ، وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ»(٤).

❖ المن بالعطية:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤] وقال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٢]

* عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله ﷺ ثلاثَ مِرارٍ: قَالَ أَبُو ذرٍ: خَابُوا وخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رسول الله؟ قَالَ: «المُسْبِلُ، والمَنَّانُ، وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكَاذِبِ»(٥).

---

(١) رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٢) رواه البخاري (٣١٨٦، ٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٦، ١٧٣٧).

(٣) رواه مسلم (١٧٣٨).

(٤) رواه البُخَارِيّ (٢٢٢٧).

(٥) رواه مسلم (١٠٦).

❖ الافتخار والبغي:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم] وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الشورى].

- عن عياض بن حمار ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تَعَالَى أوْحَى إلَيَّ أنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أحَدٍ، وَلاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أحَدٍ»[١] قَالَ أهلُ اللغةِ: البغيُ: التَّعَدِّي والاستطالَةُ.

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا قَالَ الرجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ»[٢]، والرواية المشهورة: «أَهْلَكُهُمْ» بِرَفعِ الكاف وروي بنصبها: وذلكَ النَّهيُ لِمَنْ قَالَ ذَلِكَ عُجْبًا بِنَفْسِهِ، وتَصَاغُرًا للنَّاسِ، وارْتِفاعًا عَلَيهِمْ، فَهَذَا هُوَ الحَرامُ، وَأمَّا مَنْ قَالَهُ لِما يَرَى في النَّاسِ مِنْ نَقْصٍ في أمرِ دِينِهم، وقَالَهُ تَحَزُّنًا عَلَيهِمْ، وعَلَى الدِّينِ، فَلاَ بَأسَ بِهِ، هكَذَا فَسَّرَهُ العُلَماءُ وفَصَّلُوهُ.

❖ هجران المُسلِمِين فوق ثلاثة أيّام إلا لبدعة تظاهر بفسق أو نحو ذلك:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]

- عن أنس ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا تَقَاطَعُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَث»[٣].

- وعن أبي أيوب ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ: يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وخَيْرُهُما الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ»[٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٣).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩).

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠).

- وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ في كلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيَغْفِرُ اللهُ لِكُلِّ امْرِئٍ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا، إِلاَّ امْرَءًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيقُولُ: اتْرُكُوا هذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»(١).

- وعن جابر ﷺ، قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ في التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»(٢). «التَّحْرِيشُ»: الإِفْسَادُ وتَغييرُ قُلُوبِهِمْ وتَقَاطُعُهُم.

- وعن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلاَثٍ فَمَاتَ، دَخَلَ النَّارَ»(٣).

- وعن أَبي خِراشٍ حَدْرَدِ بنِ أَبي حَدْرَدٍ الأسلميِّ، ويقالُ: السُّلمِيّ الصحابي ﷺ: أَنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقولُ: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ»(٤).

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لاَ يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوقَ ثَلاَثٍ، فإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلاَثٌ، فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ فَقَدِ اشْتَرَكَا فِي الأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالإِثْمِ، وَخَرَجَ الْمُسَلِّمُ مِنَ الهِجْرَةِ»(٥)، قَالَ أَبُو داود: (إِذَا كَانَتْ الهِجْرَةُ للهِ تَعَالَى فَلَيسَ مِنْ هَذَا فِي شَيْءٍ).

****

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٥).

(٢) رواه مسلم (٢٨١٢).

(٣) رواه أبو داود (٤٩١٤) بإسناد عَلى شرط البُخَارِيّ، ورواه مسلم (٢٥٦٢) دون قوله: " فمن هجر فوق ثلاث فمات، دخل النار".

(٤) رواه أَبُو داود (٤٩١٥) وصححه الألباني.

(٥) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤١٤)، وأبو داود (٤٩١٢) وضعفه الألباني.

الرّقائق والزهد وعلاج أمراض القلوب

❖ ذكر الموت وقصر الأمل:

جاء في رياض الصّالحين:

قَالَ الله تَعالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران] وقال تعَالَى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] وقال تعَالَى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النحل] وقال تعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون] وقال تعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون] وقال تعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد] والآيات في البَاب كثيرة معلومة.

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَو عَابِرُ سَبيلٍ» وَكَانَ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما، يقول: (إِذَا أَمْسَيتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)(١).

---

(١) البخاري (٦٤١٦).

- وعنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إلا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ» متفقٌ عَلَيْهِ[1]، هَذَا لفظ البخاري، وفي روايةٍ لمسلمٍ: «يَبِيتُ ثَلاثَ لَيَالٍ» قَالَ ابن عمر: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ قَالَ ذَلِكَ إلا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي.
- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: خَطَّ النَّبيُّ ﷺ خطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا في الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَط، فَقَالَ: «هَذَا الإنْسَانُ، وَهذَا أجَلُهُ مُحِيطًا بِهِ – أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ – وَهذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا، وَإنْ أخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا»[2].
- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالأعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إلاَّ فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنَىً مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ؟!»[3].
- وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أكْثِرُوا ذِكْرَ هَادمِ اللَّذَّاتِ» يَعْنِي: المَوْتَ.[4]

❖ ذكر القيامة والحشر والجنّة والنار:

-جاءَ في كِتَابِ التّرغيبِ والتّرهيبِ، للإمام المنذري رحمه الله تَعَالَى:

- عن أبي سعيد رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ» فَكَأَن ذَلِك ثقل على أَصْحَابه؟ فَقَالُوا: فَكيف نَفْعل يَا رَسُول الله أَو نقُول؟ قَالَ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى الله تَوَكَّلْنَا وَرُبمَا قَالَ تَوَكَّلْنَا على الله»[5].

---

(1) رواه البخاري (٢٧٣٨)، ومسلم (١٦٢٧).

(2) رواه البُخَارِيّ (٦٤١٧).

(3) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٣٠٦) وقال حديث حسن. وضعفه الألباني.

(4) رواه ابن ماجه (٤٢٥٨)، والترمذي (٢٣٠٧) وقال الألباني: حديث حسن صحيح.

(5) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٤٣١) ابن حبان (٨٢٣) وأحمد (١١٠٣٩) وصححه الألباني والأرنؤوط.

- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تطلع عَلَيْكُم قبل السَّاعَة سَحَابَة سَوْدَاء من قبل الْمغرب مثل الترس فَلَا تزَال ترْتَفع فِي السَّمَاء وتنتشر حَتَّى تملأ السَّمَاء ثمَّ يُنَادي مُنَاد يَا أَيهَا النَّاس أَتَى أَمر الله فَلَا تستعجلوه قَالَ رَسُول الله ﷺ فوالذي نَفسِي بِيَدِهِ إِن الرجلَيْن ينشران الثَّوْب فَلَا يطويانه وَإِن الرجل ليمدر حَوْضه فَلَا يسْقِي مِنْهُ شَيْئا أبدا وَالرجل يحلب نَاقَته فَلَا يشربه أبدا»(١).
- وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ الناسُ حُفاةً عُراةً غُرْلاً»، قالَتْ عائشةُ: فقلتُ: الرجالُ والنساءُ جَميعاً ينظُر بعضُهم إلى بَعْضٍ؟ قال: «الأمْرُ أشَدُّ مِنْ أنْ يَهُمِّهُمْ ذلك»، وفي رواية: «مِنْ أنْ يَنْظُرَ بعْضُهم إلى بَعْضٍ»(٢).
- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ المتكَبِّرونَ يوم القِيامَةِ أمْثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرجالِ، يَغْشاهُم الذُّلُّ مِنْ كلِّ مَكانٍ، يُساقونَ إلى سِجْنٍ في جَهنَّم يُقالُ له: (بُولَسُ)، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أهْلِ النار: طينَةِ الخَبَالِ»(٣).
- وَعَن الْمِقْدَاد رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «تدنى الشَّمْس يَوْم الْقِيَامَة من الْخلق حَتَّى تكون مِنْهُم كمقدارِ مِيل»، قَالَ سليم بن عَامر: وَالله مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بالميل مَسَافَة الأَرْض أَو الْميل الَّتِي تكحل بِهِ الْعين، قَالَ: «فَتكون النَّاس على قدرِ أَعْمَالهم فِي الْعرق فَمنهمْ من يكون إِلَى كعبيه وَمِنْهُم من يكون إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُم منْ يَكُون إِلَى حقْوَيْهِ وَمِنْهُم مَن يُلجمه الْعرق إلجامًا وَأَشَارَ رَسُول الله ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ»(٤).
- وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «يَوْمًا كَانَ مِقْدَاره خمسين أَلفَ سَنَة» فَقِيل: مَا أطول هَذَا الْيَوْم، قَالَ النَّبِي ﷺ: «وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ إِنَّه ليخفّف على الْمُؤمن حَتَّى يكون أخفّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَة»(٥).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨٩٩) والحاكم (٨٦٢٢) وضعفه الألباني.

(٢) رواه البُخَارِيّ (٦٥٢٧) ومسلم (٢٨٥٩).

(٣) رواه النسائي في الكبرى (١١٨٢٧) والتِّرْمِذِيّ (٢٤٩٢) وقال حديث حسن، وحسنه الألباني.

(٤) رواه مسلم (٢٨٦٤).

(٥) رواه أحمد (١١٧١٧) وأبو يعلى (١٣٩٠) وابن حبان (٧٣٣٤) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

- وعن عبدالله بن عمرو ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «تَجْتَمِعونَ يومَ القيامَةِ فيُقالُ: أَيْنَ فُقراءُ هذه الأُمَّةِ ومسَاكينها؟ فيقُومون، فيقالُ لَهم: ماذا عمِلْتُم؟ فيقولون: ربَّنا ابْتَلَيْتَنا فصَبرْنا، ووليّتَ الأمْوال والسُّلْطانَ غَيْرَنا، فيقولُ الله جلَّ وعَلا: صدقْتُم، قال: فيدْخلُون الجَنَّةَ قبلَ الناسِ، وتَبقَى شِدَّةُ الحِسَابِ، على ذَوي الأمْوال والسلْطانِ. قالوا: فأيْنَ المؤْمنِونَ يومَئذٍ؟ قال: تُوضَعُ لَهم كراسِيُّ مِنْ نورٍ، ويظَلّلُ عليهم الغَمائم، يكونُ ذلك اليومُ أقصرَ على المؤْمِنين مِنْ ساعَةٍ مِنْ نَهارٍ»(١).
- عن أبي بردة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لَا تَزُول قدما عبد يَوْم الْقِيَامَة حَتَّى يسْأَل عَن أَربع عَن عمره فِيمَا أفناه وَعَن علمه مَا عمل بِهِ وَعَن مَاله من أَيْن اكْتَسبهُ وَفِيمَا أنفقهُ وَعَن جِسْمه فِيمَا أبلاه»(٢).
- وعن عائشة ﷺ أن النبيّ ﷺ قَالَ: «من نُوقِشَ الْحساب عذب»، فَقلت: أَلَيْسَ يَقُول الله ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق] فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِك الْعرض وَلَيْسَ أحد يُحَاسب يَوْم الْقِيَامَة إِلَّا هلك»(٣).
- عن عائشة ﷺ زوج النبيّ ﷺ أنها كانت تقول: قَالَ رسول الله ﷺ: «سدِّدوا وقارِبوا وأبْشِروا، فإنَّه لَنْ يُدخِلَ أحداً الجنةَ عَملُه» قَالُوا: وَلَا أَنْت يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «وَلَا أَنا إِلَّا أَن يتغمدني الله برحمته»(٤).
- وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَيَخْتَصِمَنَّ كُلُّ شَيْءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى الشَّاتَانِ فِيمَا انْتَطَحَتَا»(٥).
- وعن عبدالله بن أنيس ﷺ أنه سمع النبيّ ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ – أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ – عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا» قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ،

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٤٤٤٥) وابن حبان في صحيحه (٧٤١٩) وحسنه الألباني.

(٢) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٤١٧) وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني.

(٣) رواه البُخَارِيّ (١٠٣) ومسلم (٢٨٧٦).

(٤) رواه البُخَارِيّ (٦٤٦٣، ٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦).

(٥) رواه أحمد (٩٠٧٢) وضعفه إسناده الأرنؤوط، وقال الألباني: صحيح لغيره.

حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ» قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: «بِالحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ»(١).

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ بَيْنَ الظُّلْمَاءِ وَالْوُعْرَةِ، لَقِيَهُ الْمَظْلُومُ، وَعَرَّفَهُ، وَعَرَّفَ مَا ظَلَمَهُ بِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الَّذِينَ ظُلِمُوا بِالَّذِينَ ظَلَمُوا حَتَّى يَنْتَزِعُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا حَسَنَاتِهِمْ رُدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مِثْلُ مَا ظَلَمُوا حَتَّى يُورَدُوا فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»(٢).
- وتقدم في الغيبة حديثٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(٣).
- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: «بَينا رَسُول الله ﷺ جَالس إِذْ رَأَيْنَاهُ ضحك حَتَّى بَدَت ثناياه فَقَالَ لَهُ عمر مَا أضْحكك يَا رَسُول الله بِأبي أَنْت وَأمي قَالَ رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي جَثَيَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رب خُذ لي مظلمتي من أخي فَقَالَ الله كَيفَ تصنع بأخيك وَلم يبْق من حَسَنَاته شَيْء قَالَ يَا رب فليحمل من أوزاري وفاضت عينا رَسُول الله ﷺ بالبكاء ثمَّ قَالَ إِن ذَلِك ليَوْم عَظِيم يحْتَاج النَّاس أَن يحمل عَنْهُم من أوزارهم...»(٤).
- وعنه رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ في قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] قَالَ: «يُدْعَى أَحَدُهُمْ، فَيُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَيُمَدُّ لَهُ فِي جِسْمِهِ سِتُّونَ ذِرَاعًا وَيُبَيَّضُ وَجْهُهُ، وَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ يَتَلَأْلَأُ»، قَالَ: «فَيَنْطَلِقُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَيَرَوْنَهُ مِنْ بَعِيدٍ، فَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي هَذَا حَتَّى يَأْتِيَهُمْ، فَيَقُولُ: أَبْشِرُوا، فَإِنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلَ هَذَا، وَأَمَّا الْكَافِرُ، فَيُعْطَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ مُسْوَدًّا وَجْهُهُ، وَيُزَادُ فِي جِسْمِهِ سِتُّونَ ذِرَاعًا

---

(١) رواه أحمد (١٦٠٤٢) بإسناد حسنه الأرنؤوط والألباني.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٥٩٧٦) وضعفه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٢٥٨١) وغيره.

(٤) رواه الحاكم (٨٧١٨) وضعفه الألباني.

عَلَى صُورَةِ آدَمَ، وَيَلْبَسُ تَاجًا مِنْ نَارٍ، فَيَرَاهُ أَصْحَابُهُ، فَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ أَخْزِهِ، فَيَقُولُ: أَبْعَدَكُمُ اللهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مِثْلَ هَذَا»(١).

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ وَعَدَنِي أَنْ يُدخِلَ الجنَّةَ مِنْ أُمَّتي سَبْعين ألفاً بِغَير حِسَاب» فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْأَخْنَسِ السُّلَمِيُّ: وَاللهِ مَا أُولَئِكَ فِي أُمَّتِكَ إِلَّا كَالذُّبَابِ الْأَصْهَبِ فِي الذِّبَّانِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «قد وعَدني سَبْعين ألفاً، مع كلِّ ألْفٍ سَبْعونَ ألفاً، وزادَني ثلاث حَثَياتٍ»، قَالَ: فَمَا سِعَةُ حَوْضِكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «كَمَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى عُمَانَ وَأَوْسَعَ وَأَوْسَعَ» يشيرُ بيدِه، قال: «فيه مَثْعبَانِ مِنْ ذهبٍ وفِضَّةٍ» قال: فما ماءُ حوضِك يا نبيَّ الله؟ قال: «أشدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وأحْلى [مذاقةً] مِنَ العَسلِ، وأطيبُ رائحةً مِنَ المِسْكِ، مَن شَربَ منه شَربَةً لَمْ يظْمَأْ بعدَهَا أَبَدَاً، وَلمْ يَسوَدَّ وجْهُه أبداً»(٢).
- وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «حَوْضِي كما بين (عَدْنَ) و (عَمَّانَ) فيهِ أكاويبُ عَدَدُ نُجُومِ السَّماءِ، مَنْ شربَ مِنْهُ لمْ يَظْمَأْ بعدَهُ أبدًا، وإنَّ مِمَّنْ يَرِدُ عليهِ من أُمَّتي : الشَّعِثَةُ رُءوسُهُمْ، الدَّنِسَةُ ثِيابُهُمْ، لا يَنْكِحُونَ المُنعماتِ، ولا يَحْضُرُونَ السُّدَدَ – يعني أبوابَ السُّلْطَانِ»(٣).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، قُلْتُ أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى، فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ»(٤).
- وعن أنس رضي الله عنه قَالَ حدثني رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي تَعْبُرُ عَلَى الصِّرَاطِ، إِذْ جَاءَنِي عِيسَى فَقَالَ: هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يَا مُحَمَّدُ يَسْأَلُونَ – أَوْ قَالَ: يَجْتَمِعُونَ إِلَيْكَ – وَيَدْعُونَ اللهَ، أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ جَمْعِ الْأُمَمِ، إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ اللهُ، لِغَمِّ مَا هُمْ فِيهِ فَالْخَلْقُ مُلْجَمُونَ فِي الْعَرَقِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَهُوَ عَلَيْهِ كَالزَّكْمَةِ،

---

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (٣١٣٦) وابن حبان في صحيحه (٧٣٤٩) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه أحمد (٢٢١٥٦) وابن حبان (٦٤٥٧) وصححه الأرنؤوط والألباني.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٧٥٤٦) وصححه الألباني لغيره.

(٤) رواه البُخَارِيّ (٦٥٨٧).

وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَتَغَشَّاهُ الْمَوْتُ»، قَالَ: «قَالَ عِيسَى: انْتَظِرْ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ، قَالَ: فَذَهَبَ نَبِيُّ الله ﷺ حَتَّى قَامَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَلَقِيَ مَا لَمْ يَلْقَ مَلَكٌ مُصْطَفًى، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى جِبْرِيلَ: أَنِ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، قَالَ: فَشُفِّعْتُ فِي أُمَّتِي، أَنْ أُخْرِجَ مِنْ كُلِّ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا وَاحِدًا، قَالَ: فَمَا زِلْتُ أَتَرَدَّدُ عَلَى رَبِّي، فَلَا أَقُومُ مَقَامًا إِلَّا شُفِّعْتُ، حَتَّى أَعْطَانِي اللهُ مِنْ ذَلِكَ، أَنْ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مِنْ خَلْقِ الله، مَنْ شَهِدَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَوْمًا وَاحِدًا مُخْلِصًا، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ»(١).

- ورُوِيَ عَن كليب بن حزن رضي الله عنه، قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اطْلُبُوا الْجَنَّةَ جَهْدَكُمْ، وَاهْرَبُوا مِنَ النَّارِ جَهْدَكُمْ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَنَامُ طَالِبُهَا، وَإِنَّ النَّارَ لَا يَنَامُ هَارِبُهَا وإنَّ الآخرةَ اليومَ مَحْفوفَةٌ بالمكارِهِ، وإنَّ الدنيا مَحْفوفَةٌ باللَّذاتِ والشَّهواتِ، فلا تُلْهِيَنَّكُمْ عنِ الآخِرَةِ»(٢).
- وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: رَأَيْتُ الجنَّةَ وَالنَّارَ»(٣).
- وَرُوِيَ عَن عَبدالله بن الزُّبَير رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مرَّ بِقَومٍ وَهُمْ يَضحَكُون، فقال: «تَضْحَكونَ وذِكْرُ الجنَّة والنارِ بينَ أظْهُرِكُم؟!» قَالَ: فما رُؤِيَ أحَدٌ منهُمْ ضاحِكاً حتى ماتَ، قال: ونَزَلَتْ فيهمْ ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر](٤).
- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ أنه خطب فقال: «لا تَنْسَوُا العَظيمَتينِ: الجنَّةَ والنارَ» ثمَّ بَكى حتى جَرى أوْ بَلَّ دموعُهُ جانبي لحيته، ثم قال: «وَالذي نَفْسُ محمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوْ تعلَمونَ مَا أعلَمُ مِنْ أمْرِ الآخرَة؛ لمَشَيْتُم إلى الصَّعيدِ، ولحَثَيْتُم عَلَى رُؤوسِكُمُ الترّابَ»(٥).

---

(١) رواه أحمد (١٢٨٢٤) صححه الألباني وقال الأرنؤوط: رجاله رجال الصحيح، وفي متن هذا الحديث غرابة.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٤٤٩) وضعفه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٤٢٦).

(٤) رواه البزار (٢٢١٦) وضعفه الألباني.

(٥) رواه أبو يعلى في المطالب العالية (٣٣١٨) وابن أبي الدنيا في صفة النار (٢) وضعفه الألباني.

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»(١).
- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ بَنُو آدَمَ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قَالُوا: وَالله إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»(٢).
- وعن علي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ جُبِّ الْحُزْنِ، أَوْ وَادِي الْحُزْنِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جُبُّ الْحُزْنِ، أَوْ وَادِي الْحُزْنِ؟ قَالَ: «وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهَا، أَعَدَّهُ اللهُ لِلْقُرَّاءِ الْمُرَائِينَ»(٣).
- وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ جُبِّ الْحُزْنِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جُبُّ الْحُزْنِ؟ قَالَ: «وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، يُتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَمِائَةِ مَرَّةٍ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله مَنْ يَدْخُلُهُ؟ قَالَ «أُعِدَّ لِلْقُرَّاءِ الْمُرَائِينَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الْقُرَّاءِ إِلَى الله الَّذِينَ يَزُورُونَ الْأُمَرَاءَ الجورَة»(٤).
- عن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي النَّارِ حَيَّاتٍ كَأَمْثَالِ أَعْنَاقِ الْبُخْتِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، وَإِنَّ فِي النَّارِ عَقَارِبَ كَأَمْثَالِ الْبِغَالِ الْمُوكَفَةِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ، فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً»(٥).

---

(١) رواه مسلم (٢٨٤٢).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٣٢٦٥) ومسلم (٢٨٤٣).

(٣) رواه البيهقي في البعث والنشور (٤٨١) بإسناد ضعفه الألباني.

(٤) رواه ابن ماجه (٢٥٦) واللفظ له والتِّرْمِذِيّ (٢٣٨٣) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٥) رواه أحمد (١٧٧١٢) والحاكم (٨٧٥٤) و ابن حبان (٧٤٧١) وضعفه الأرنؤوط في تحقيق المسند واستدرك ذك على تحسينه في تحقيق صحيح ابن حبان، وحسنه الألباني.

- وعن أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ قالَ: «إِنَّ الحمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الْحَمِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلِتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ»(١)، إلا أن البيهقي قَالَ: «فَيَخلص، فَينفذُ الجمْجُمةَ حَتّى يَخلصَ إلى جَوفِهِ».

الْحمِيم هُوَ الْمَذْكُور فِي الْقُرْآن فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ۝١٥﴾ [محمد]، وَرُوِيَ عَن ابْن عَبَّاس وَغَيره أَن الْحَمِيم الْحَار الَّذِي يحرق، وَقَالَ الضَّحَّاك الْحَمِيم يغلي مُنْذُ خلق الله السَّمَوَات وَالْأَرْض إِلَى يَوْم يسقونه وَيصب على رؤوسهم، وَقيل هُوَ مَا يجْتَمع من دموع أَعينهم فِي حِيَاض النَّار فيسقونه وَقيل غير ذَلِك، وفي قوله تَعَالَى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ [إبراهيم]، قَالَ يقرب إِلَى فِيهِ فيكرهه فَإِذا أدني مِنْهُ شوى وَجهه وَوَقعت فَرْوَة رَأسه فَإِذا شربه قطع أمعاءه حَتَّى يخرج من دبره قَالَ الله عزَّ وَجلّ ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ۝١٥﴾ ويقول: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩﴾ [الكهف]

- وعن أبي سعيد ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهَرَاقُ فِي الدُّنْيَا لَأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيَا»(٢).
- وعن أنس ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِأَنْعَم أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْت خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَالله يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْت بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَالله يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»(٣).

وعن سويد بن غفلة ﷺ قَالَ: (إذا أرادَ الله أنْ يُنْسِيَ أَهْلَ النارِ؛ جَعَل لِلرَّجُلِ منهم صُنْدوقاً على قدْرِهِ مِنْ نارٍ، لا يَنْبُضُ منه عِرْقٌ إلا فيه مِسْمارٌ مِنْ نارٍ، ثُمَّ تُضْرَمُ فيه النارُ، ثُمَّ يُقْفَلُ بِقِفْلٍ مِنْ نارٍ، ثُمَّ يُجْعَلُ ذلك الصُّنْدوقُ في صُندوقٍ مِنْ نارٍ، ثُمَّ يُضْرَم بينهما نارٌ، ثم يُقْفَلُ بِقفلٍ مِنْ نارٍ، ثُمَّ يُجْعلُ ذلك الصُّندوقِ في صُندوقٍ مِنْ نارٍ، ثُمَّ يُضْرَمُ بينهما نارٌ، ثُمَّ يُقْفَلُ ثُمَّ يُلْقَى أَوْ يُطْرَحُ في النارِ فذلك قوله: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ

---

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٥٨٢) وقال: حسن غريب صحيح، وحسنه الألباني انظر (الصحيحة ٣٤٧٠).

(٢) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٥٨٤) وأحمد (١١٧٨٦، ١١٢٣٠) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه مسلم (٢٨٠٧).

ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦﴾ [الزمر]، وذلك قوله: ﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾ [الأنبياء] قَالَ: فما يُرَى أنَّ في النارِ أحداً غَيْرُهُ)(١).

ذكر الجنّة:

- وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ، عُودُ الطِّيبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»، وفي رواية: «...لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»(٢)

- وعن المغيرة بن شعبة ﷺ عن النبيّ ﷺ: «أن موسى عليه السلام سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(٣).

عن علي ﷺ: [أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥﴾ [مريم].. قَالَ قلت يا رسول الله ما الوفد إلا ركب قَالَ النبيّ ﷺ: «والذي نَفْسي بيَدِه؛ إِنَّهُمْ إذا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهم اسْتُقْبِلوا بنوقٍ بيضٍ، لها أَجْنِحَةٌ عليها رِحالُ الذّهَبِ، شُرُكُ نِعالِهِم نورٌ يتَلألأُ، كلُّ خُطْوَةٍ منها مثْلُ مدِّ البَصَرِ، ويَنْتهون إلى بابِ الجنَّةِ، فإذا حَلْقَةٌ من ياقوتَةٍ حمْراءُ على صفائِح الذهَب، وإذا شَجَرةٌ على بابِ

---

(١) رواه ابن أبي الشيبة في المصنف (٣٥٤١٤) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٧٦) وقال الألباني : ضعيف ومقطوع.

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٥، ٣٣٢٧) ومسلم (٢١٦، ٢٨٣٤).

(٣) رواه مسلم (١٨٩).

الجنَّة يَنْبُع مِنْ أَصْلِها عينانِ، فإذا شَرِبوا مِنْ أَحَدِهما جَرَتْ في وُجوهِهِمْ بِنَضْرَةِ النعيم، وإذا تَوَضَّؤُوا مِنَ الأُخْرى لَمْ تَشْعَثْ أَشْعارُهم أَبَداً، فيَضْرِبونَ الحَلْقَة بالصفيحَةِ، فلو سمعتَ طنين الحلْقَةِ يا عليّ! فيبْلُغ كلَّ حوْراءَ أنَّ زَوْجَها قد أقْبَلَ، فتَسْتَخِفُّها العَجَلة، فتَبْعَثُ قَيِّمَها فَيَفْتَحُ لهُ البَابَ، فلَوْلا أنَّ الله عزَّ وجلَّ عَرَّفَهُ نَفْسَه؛ لخَرَّ له ساجِداً مِمّا يَرى مِنَ النورِ والبَهاءِ، فيقول: أنا قَيِّمُك الذي وُكِّلْتُ بِأمْرِك، فيَتْبَعُه فيَقْفوا أَثَرَهُ فيأتي زوْجَتَهُ، فتَسْتَخِفُّها العَجَلَةُ، فتَخْرُجُ منَ الخَيْمَة فتُعانِقُه، وتقول: أنْت حِبِّي وأنا حِبُّك، وأنا الراضِيَةُ فلا أَسْخَطُ أبداً، وأنا الناعِمَةُ فلا أَبْؤُسُ أبداً، وأنا الخالِدَةُ فلَا أَظْعَنُ أبَداً، فيَدْخُلُ بَيْتاً مِّنْ أساسِه إلى سَقْفِه مئةُ ألفِ ذِراع، مَبْنيٌّ على جَنْدَلِ اللُّؤْلُؤِ والياقُوتِ، طرائقُ حُمْرٌ، وطرائقُ خُضْرٌ، وطرائقُ صفرٌ، ما منها طريقَةٌ تشاكِلُ صاحِبَتَها، فيأتي الأريكَةَ فإذا علَيْها سريرٌ، على السريرِ سبعونَ فِراشاً، على كلِّ فِراشٍ سبعون زَوْجَةً، على كلِّ زَوْجَةٍ سبْعون حُلَّةً، يُرى مُخُّ ساقِها مِنْ باطِنِ الحُلَلِ، يُفْضي جِماعُهُنَّ في مقدارِ ليْلَةٍ، تجري مِنْ تَحْتِهِمْ أنهارٌ مطَّرِدَةٌ، أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ، صاف ليسَ فيه كدَرٌ، وأنهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصفًّى لَمْ يَخْرُج مِنْ بُطونِ النَّحْلِ، وأنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لذَّةٍ لِلشارِبينَ لمْ تَعْصِرْه الرجالُ بأقْدامِها، وأنهارٌ منْ لَبَنٍ لمْ يتغيَّر طَعْمُهُ لَمْ يَخْرُج مِنْ بُطونِ الماشيَة، فإذا اشْتَهُوا الطعامَ جاءَتْهم طَيرٌ بِيضٌ فَتَرْفَعُ أجْنِحتَها، فيأكلونَ مِنْ جُنوبِها مِنْ أيِّ الألْوانِ شَاؤوا ثُمَّ تطيرُ فتَذْهَبُ، وفيها ثمارٌ متدلِّيَةٌ إذا اشْتَهوها انْبَعَث الغُصْنُ إليْهِمْ فَيَأْكُلونَ مِنْ أيِّ الثمارِ شَاؤوا، إن شاءَ قائماً، وإنْ شاءَ متّكِئاً، وذلك قوله: ﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ٥٤﴾ [الرحمن] ، وبين أيديهم خَدَمٌ كاللُّؤْلُؤِ»(١)، ولفظ ابن أبي الدُّنيَا: «يُسَاقُ الّذين اتقوا ربَّهم إلى الجنّةِ زُمَراً، حَتَّى إذا انتهَوا إلى بَابٍ مِنْ أَبْوابِها وَجَدُوا عِنْدَه شَجَرةً يخرجُ منْ تَحتِ ساقِها عَيْنان تجريَان، فَعَمَدُوا إلى أحداهما كأنها أُمِروا بها، فَشَرِبُوا مِنها، فأَذْهَبَتْ مَا في بُطُونِهم مِن أذىَ أَو قَذىَ أَو بَأسٍ، ثمَّ عَمَدُوا إلى الأُخرى فتطهَّرُوا مِنها، فَجَرَتْ عليهم بنضرةِ النعيمِ، فلن تتغيّرَ أبشارُهم تغيُّراً بعدَها أبداً، ولن تَشْعَثَ أشعارُهم؛ كأنّما دُهنوا بِالدّهانِ، ثمَّ انتهوا إلى خَزَنَةِ الجنةِ فقالوا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر] قال: ثم يلقاهم -أو تلقاهم- الوِلْدان يطيفون بهم كما يطيفُ وِلْدانُ أهلِ الدنيا بالحميم يَقْدُمُ من غيْبةٍ، فيقولون: أبشرْ بما أعدّ اللهُ لك من الكرامةِ، قال: ثم ينطلقُ غلامٌ من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من

---

(١) رواه ابن أبي الدُّنيَا في كتاب صفة الجنّة (٧) والبيهقي في البعث والنشور (٢٤٦) وضعفه الألباني.

الحورِ العِينِ فيقول: قد جاء فلان -باسمه الذي يدعى به في الدنيا-، فتقول: أنتَ رأيتَه؟ فيقول: أنا رأيتُه، وهو ذا بأثري، فيستخفّ إحداهن الفرحُ حتى تقومَ على أُسْكُفَّة بابها، فإذا انتهى إلى منزلِهِ نظرَ إلى أيّ شيءٍ أساسُ بنيانِهِ؟ فإذا جَنْدَلُ اللؤلؤ، فوقه صَرحٌ أخضرُ وأصفرُ وأحمرُ، ومن كلّ لونٍ، ثم رفع رأسَهُ فنظَرَ إلى سقفِه، فإذا مثلُ البرقِ لولا أنّ اللهَ قدّرَ له لألَمَّ أن يُذْهِبَ ببصرِه، ثم طأطأَ رأسَه فنظرَ إلى أزواجِهِ، وَأكوابٌ موضوعةٌ، ونمارقُ مصفوفةٌ، وزرابيُّ مبثوثةٌ، فَنَظَرُوا إلى تِلك النّعمةِ ثمّ اتّكَأوا ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف] الآية، ثم ينادي منادٍ: تَحْيُون فَلا تَمُوتُون أبداً، وتُقِيمُون فلا تَظْعَنون أَبَدَاً، وَتَصِحُّون -أَراه قال:- فَلا تمرضُون أَبَدَاً».

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِالله وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»(١).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»(٢).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ الله، حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ، مَا بِنَاؤُهَا؟ قَالَ: «لَبِنَةُ ذَهَبٍ وَلَبِنَةُ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»(٣).
- وعن كريب أنه سمع أُسَامَة بن زيد رضي الله عنه يقول: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَلَا مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ؟ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا، هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهَرٌ مُطَّرِدٌ، وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا، فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ، فِي دَارٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ» قَالُوا: نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا، يَا رَسُولَ الله قَالَ: «قُولُوا إِنْ شَاءَ اللهُ»، فقال القوم: إن شاء الله(٤).

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٣٢٥٦) ومسلم (٢٨٣١).

(٢) صحيح البخاري (٢٧٩٠).

(٣) رواه أحمد (٨٠٤٣) والترمذي (٢٥٢٦) وابن حبان (٧٣٨٧) وصححه الألباني والأنؤوط.

(٤) رواه ابن ماجه (٤٣٣٢) وابن حبان في صحيحه (٧٣٨١) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمِ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»(١).
- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لِكُلِّ مُسْلِمٍ خَيْرَةٌ وَلِكُلِّ خَيْرَةٍ خَيْمَةٌ وَلِكُلِّ خَيْمَةٍ أربعة أبواب يدخل عَلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ كُلِّ بَابٍ تُحْفَةٌ وَهَدِيَّةٌ وَكَرَامَةٌ لَمْ تكن من قبل ذلك لا مرحات وَلَا ذَفِرَاتٌ وَلَا سَخِرَاتٌ وَلَا طَمَّاحَاتٌ حُورٌ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن] قَالَ: (**الخَيْمَةُ مِنْ دُرَّةٍ مجَوَّفَةٍ، طولها فرسَخٌ، وعَرْضُها فرسَخٌ، ولها ألْفُ بابٍ مِنْ ذَهبٍ، حولَها سُرادَقٌ، في دَوْرِهِ خمسونَ فَرْسَخاً، يدخلُ عليهِ مِنْ كلِّ بابٍ منها مَلَكٌ بِهدِيَّة مِنْ عندِ الله عزَّ وجلَّ**) رواه ابن أبي الدُّنيَا (٣) موقوفا وفي رواية له وللبيهقي: (**الخَيْمَة درة مجوفة فَرسَخ فِي فرسَخ لَهَا أَرْبَعَة آلَاف مصراع من ذهب**) وإسناد هذه أصحّ.

- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ»(٤).
- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ، لاَ يَقْطَعُهَا، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١﴾ [الواقعة]»(٥).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَقُول الله أَعدَدْت لعبادي الصَّالِحين مَا لَا عين رَأَتْ وَلَا أذن سَمِعت وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَر اقرؤوا إِن شِئْتُم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ ومَوْضعُ سَوْطٍ مِنَ الجَنَّةِ خيرٌ مِنَ الدّنيَا ومَا فِيها، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]»(٦).

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٤٨٧٩) ومسلم (٢٨٣٨) واللفظ له.

(٢) رواه ابن أبي الدُّنيَا في صفة الجنة (٣١٧) وهو موقوفٌ ضعفه الألباني.

(٣) صفة الجنة لابن أبي الدنيا (٣٢٩) والبيهقي في البعث والنشور (٣٠٤) وهو موقوف ضعفه الألباني.

(٤) رواه ابن ماجه (٤٣٣٤) والتِّرمِذِيّ (٣٣٦١) وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٥) رواه البُخَارِيّ (٤٨٨١).

(٦) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٢٩٢) وغيره، وصححه الألباني.

* وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قَالَ: (نزلنَا الصفاح فإذا رجلٌ نائم تحتَ شجَرةٍ قد كادَتِ الشمسُ تبْلُغه، قال: فقلتُ لِلْغُلامِ: انْطلِقْ بهذا النَّطْع فأظلَّه، قال: فانْطَلَقَ فأَظلَّهُ، فلمّا استَيْقظَ فإذا هو سَلْمانُ رضي الله عنه، فأتيْتُه أسلِّمُ عَلَيْهِ فَقَالَ يا جَرير! تواضَعْ لله، فإنَّه مَنْ تواضَع لله في الدنيا رفَعهُ الله يومَ القِيامَةِ، يا جرير هل تدري ما الظلُماتُ يومَ القِيامَةِ؟ قلتُ: لا أدري، قال:ظلْمُ الناسِ بينَهُم، ثم أخَذ عوْيداً لا أكادُ أراهُ بين أصْبَعيْه فقال: فَقَالَ يا جريرُ! لو طلَبْتَ في الجنَّةِ مثلَ هذا لَمْ تجدْهُ، قلتُ: يا أبا عبدِ الله! فأينَ النخلُ والشجرُ؟ قال: أصولُها اللُّؤْلُؤ والذهَبُ، وأعلاهُ التمر)(١).

* وعن البَرَاءِ بن عازب رضي الله عنه في قوله: ﴿وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ١٤﴾ [الإنسان] قَالَ: (**إنَّ أهلَ الجنَّةِ يَأكُلُونَ مِن ثِمارِ الجنَّةِ قيامًا وقُعودًا ومُضطَجِعين**)(٢).

- ورُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فِي الْجُنَّةِ شَجَرَةً مِنْ ذَهَبٍ، وَفُرُوعُهَا مِنْ زَبَرْجَدٍ وَلُؤْلُؤٍ، فَتَهُبُّ لَهَا رِيحٌ فَتُصَفِّقُ، فَمَا سَمِعَ السَّامِعُونَ بِصَوْتِ شَيْءٍ قَطُّ أَلَذَّ مِنْهُ»(٣).
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: (نَخلُ الجنَّة جذُوعُها مِنْ زمُرُّدٍ خضْرٍ، وكَرَبُها ذهَبٌ أحمرُ، وسعْفُها كِسْوةٌ لأهْلِ الجنَّةِ، منها مُقَطَّعَاتُهم وحُلَلُهم، وثمرُها أمثالُ القِلالِ والدّلاء أشدُّ بيَاضاً مِنَ اللَّبنِ، وأحْلى مِنَ العَسلِ، وألْيَنُ مِنَ الزبْدِ، ليس فيها عَجَمَ)(٤).
- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ الله أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ، لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(٥).

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٧٧٩٧) وصححه الألبانيّ.

(٢) رواه موقوفا البيهقي في البعث والنشور (٢٨٥)، وصححه لغيره الألباني.

(٣) رواه أبو نعيم في صفة الجنّة (٤٣٣)، وضعفه الألباني.

(٤) رواه ابن أبي الدُّنيَا في صفة الجنة (٤٨)، والحاكم (٣٧٧٦)، وقال: صحيح عَلى شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني.

(٥) متفق عليه، رواه البخاري (٢٧٩٦، ٦٥٦٨) ومسلم (١٨٨٠).

• ورُوِيَ عَنْ أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ حدثني رسول الله ﷺ قَالَ: «حَدَّثَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَدْخُلُ الرَّجُلُ عَلَى الْحَوْرَاءِ فَتَسْتَقْبِلُهُ بِالْمُعَانَقَةِ، وَالْمُصَافَحَةِ»، قَالَ ثَابِتٌ: قَالَ أَنَسٌ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَبِأَيِّ بَنَانٍ تُعَاطِيهِ، لَوْ أَنَّ بَعْضَ بَنَانِهَا بَدَا لَغَلَبَ ضَوْؤُهُ ضوء الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَلَوْ أَنَّ طَاقَةً مِنْ شَعْرِهَا بَدَتْ لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا، فَبَيْنَا هُوَ مُتَّكِئٌ مَعَهَا عَلَى أَرِيكَتِهِ إِذْ أَشْرَفَ عَلَيْهِ نُورٌ مِنْ فَوْقِهِ، فَيَظُنُّ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى خَلْقِهِ، فَإِذَا حَوْرَاءُ تُنَادِيهِ: يَا وَلِيَّ الله، أَمَا لَنَا فِيكَ مِنْ دَوْلَةٍ؟ فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتِ يَا هَذِهِ؟، فَتَقُولُ: أَنَا مِنَ اللَّوَاتِي قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ [ق]. فَيَتَحَوَّلُ إِلَيْهَا، فَإِذَا عِنْدَهَا مِنَ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ مَا لَيْسَ مَعَ الْأُولَى، فَبَيْنَا هُوَ مُتَّكِئٌ مَعَهَا عَلَى أَرِيكَتِهِ إِذْ أَشْرَفَ عَلَيْهِ نُورٌ مِنْ فَوْقِهِ، وَإِذَا حَوْرَاءُ أُخْرَى، تُنَادِيهِ: يَا وَلِيَّ الله، أَمَا لَنَا فِيكَ مِنْ دَوْلَةٍ؟، فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتِ يَا هَذِهِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا مِنَ اللَّوَاتِي قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة] فَلَا يَزَالُ يَتَحَوَّلُ مِنْ زَوْجَةٍ إِلَى زَوْجَةٍ»(١).

• وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَحُورٌ عِينٞ ٢٢﴾ [الواقعة] قَالَ: «حُورٌ: بِيضٌ، عِينٌ: ضِخَامٌ، شَفْرُ الْحَوْرَاءِ بِمَنْزِلَةِ جَنَاحِ النَّسْرِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٥٨﴾ [الرحمن] قَالَ: «صَفَاؤُهُنَّ كَصَفَاءِ الدُّرِّ الَّذِي فِي الْأَصْدَافِ الَّذِي لَا تَمَسُّهُ الْأَيْدِي»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ الله: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ٧٠﴾ [الرحمن] قَالَ: «خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ، حِسَانُ الْوُجُوهِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ٤٩﴾ [الصافات] قَالَ: «رِقَّتُهُنَّ كَرِقَّةِ الْجِلْدِ الَّذِي فِي دَاخِلِ الْبَيْضَةِ مِمَّا يَلِي الْقِشْرَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ: ﴿عُرُبًا أَتۡرَابٗا ٣٧﴾ [الواقعة]، قَالَ: «هُنَّ اللَّاتِي قُبِضْنَ فِي دَارِ الدُّنْيَا عَجَائِزَ، رُمْصًا، شُمْطًا، خَلَقَهُنَّ اللهُ بَعْدَ الْكِبَرِ فَجَعَلَهُنَّ عَذَارَى»، قَالَ: «عُرُبًا: مُعَشَّقَاتٍ، مُحَبَّبَاتٍ، أَتْرَابًا: عَلَى مِيلَادٍ وَاحِدٍ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَنِسَاءُ الدُّنْيَا أَفْضَلُ أَمِ الْحُورُ الْعِينُ؟ قَالَ: «نِسَاءُ الدُّنْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ كَفَضْلِ الظِّهَارَةِ عَلَى الْبِطَانَةِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، وَبِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: «بِصَلَاتِهِنَّ، وَصِيَامِهِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلْبَسَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وُجُوهَهُنَّ النُّورَ، وَأَجْسَادَهُنَّ الْحَرِيرَ، بِيضُ الْأَلْوَانِ، خُضْرُ الثِّيَابِ، صُفْرُ الْحُلِيِّ،

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٨٨٧٧) وقال الألباني: منكر.

مَجَامِرُهُنَّ الدُّرُّ، وَأَمْشَاطُهُنَّ الذَّهَبُ، يَقُلْنَ: أَلَا نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ أَبَدًا، أَلَا وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأَسُ أَبَدًا، أَلَا وَنَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعَنُ أَبَدًا، أَلَا وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ أَبَدًا، طُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَانَ لَنَا»، قُلْتُ: الْمَرْأَةُ مِنَّا تَتَزَوَّجُ الزَّوْجَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ وَالْأَرْبَعَةَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ تَمُوتُ فَتَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَيَدْخُلُونَ مَعَهَا، مَنْ يَكُونُ زَوْجَهَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ، [إِنَّهَا] تُخَيَّرُ فَتَخْتَارُ أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا» قَالَ: «فَتَقُولُ: أَيْ رَبِّ، إِنَّ هَذَا كَانَ أَحْسَنَهُمْ مَعِي خُلُقًا فِي دَارِ الدُّنْيَا فَزَوِّجْنِيهِ، يَا أُمَّ سَلَمَةَ ذَهَبَ حُسْنُ الْخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[1].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ نَهَرًا طُولَ الْجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ الْعَذَارَى قِيَامٌ مُتَقَابِلَاتٌ، وَيُغَنِّينَ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ يَسْمَعُهَا الْخَلَائِقُ، حَتَّى مَا يَرَوْنَ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ لَذَّةً مِثْلَهَا:، قُلْنَا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَمَا ذَلِكَ الْغِنَاءُ؟ قَالَ: (إِنْ شَاءَ اللهُ التَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّقْدِيسُ وَثَنَاءٌ عَلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ)[2].

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا»[3].

- وعن سعيد بن المسيب، أنّه لقيَ أبَا هُريرة، فقال أبو هريرة: أسأل اللهَ أنْ يجمع بيني وبينك في سوقِ الجنّةِ قَالَ سَعيد: أَوَ فِيهَا سُوق؟ قَالَ: نعم أخبرني رسول الله ﷺ، قَالَ: «أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا، نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، فَيُؤْذَنُ لَهُمْ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، فَيَزُورُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشَهُ، وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ، وَمَا فِيهِمْ دَنِيءٌ، عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ، مَا يُرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ بِأَفْضَلَ مِنْهُمْ مَجْلِسًا»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨٧٠) والأوسط (٣١٤١) وهذا لفظه، وقال الألباني: منكر.

(٢) رواه البيهقي في البعث والنشور (٣٨٣) موقوفا، وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٢٨٣٣).

نَرى رَبَّنا؟ قَالَ: «نَعَمْ، هَلْ تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قُلْنَا: لَا، قَالَ: «كَذَلِكَ لَا تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ إِلَّا حَاضَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَاضَرَةً، حَتَّى إِنَّهُ يَقُولُ لِلرَّجُلِ مِنْكُمْ: أَلَا تَذْكُرُ يَا فُلَانُ يَوْمَ عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ يُذَكِّرُهُ بَعْضَ غَدَرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِي؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَبِسَعَةِ مَغْفِرَتِي بَلَغْتَ مَنْزِلَتَكَ هَذِهِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طِيبًا لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئًا قَطُّ، ثُمَّ يَقُولُ: قُومُوا إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ، فَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ، قَالَ: فَنَأْتِي سُوقًا قَدْ حُفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ، فِيهِ مَا لَمْ تَنْظُرِ الْعُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَمْ تَسْمَعِ الْآذَانُ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ»، قَالَ: «فَيُحْمَلُ لَنَا مَا اشْتَهَيْنَا، لَيْسَ يُبَاعُ فِيهِ شَيْءٌ وَلَا يُشْتَرَى، وَفِي ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَيُقْبِلُ الرَّجُلُ ذُو الْمَنْزِلَةِ الْمُرْتَفِعَةِ، فَيَلْقَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَمَا فِيهِمْ دَنِيءٌ فَيَرُوعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ، فَمَا يَنْقَضِي آخِرُ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتَمَثَّلَ لَهُ عَلَيْهِ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا»، قَالَ: «ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا، فَتَلْقَانَا أَزْوَاجُنَا، فَيَقُلْنَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، لَقَدْ جِئْتَ وَإِنَّ بِكَ مِنَ الْجَمَالِ وَالطِّيبِ أَفْضَلَ مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ، فَنَقُولُ: إِنَّا جَالَسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَحِقُّنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا»(١).

- ورُوِيَ عن علي رضي الله عنه قَالَ: سَمِعتُ رَسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «إنَّ في الجنَّة لشَجرةً تَخْرُج مِنْ أعْلاها حُلَلٌ، ومِنْ أسْفَلِها خَيْلٌ مِنْ ذَهَبٍ، مُسْرَجَةٌ مُلْجَمَةٌ مِنْ دُرٍّ وياقوتٍ، لا تَروثُ ولا تَبولُ، لها أجْنِحَةٌ، خَطْوُها مَدى البَصَرِ، فيرْكَبُها أهْلُ الجنَّة فتَطيرُ بِهِمْ حيث شَاؤوا، فَيَقُولُ الّذينَ أسْفَلَ منهُم درجَةً: يا ربِّ! بمَ بلَغَ عِبادُك هذه الكَرَامَة كُلَّها؟ قال: فَيُقَالُ لهم:كَانُوا يُصلُّونَ بالليل وَكُنتُم تنامُونَ، وكَانُوا يَصُومُونَ وكُنتُمْ تَأْكُلونَ، وكَانوا يُنْفِقونَ وكُنْتُمْ تَبْخَلونَ، وكَانُوا يُقاتِلونَ وكُنتُم تَجبنُونَ»(٢).

- وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إذا دخل أهل الجنّة الجنّة يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا،

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٥٤٩) وابن ماجه (٤٣٣٦) وضعفه الألباني.

(٢) رواه ابن أبي الدُّنيَا في صفة الجنة (٢٣٨) وقال الألباني: موضوع في ضعيف الترغيب والترهيب رقم (٣٥٥) وقال: ضعيف في (٢٢٣٩).

وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف]»(١).

• وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم] وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا»(٢).

❖ المراقبة والمحاسبة:

قَالَ ابن القيم رحمه الله (٣):

[قَالَ الله تَعالَى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وقال تَعالَى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾﴾ [الأحزاب] وقال تَعالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾﴾ [الحديد] وقال تَعالَى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق] وقال تَعالَى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨] وقال تَعالَى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر] إلى غير ذلك من الآيات.

* وَفِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِحْسَانِ؟ فَقَالَ لَهُ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(٤).

المراقبة دَوَامُ عِلْمِ الْعَبْدِ، وَتَيَقُّنِهِ بِاطِّلَاعِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، فَاسْتَدَامَتُهُ لِهَذَا الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ هِيَ الْمُرَاقَبَةُ وَهِيَ ثَمَرَةُ عِلْمِهِ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ رَقِيبٌ عَلَيْهِ، نَاظِرٌ إِلَيْهِ، سَامِعٌ لِقَوْلِهِ، وَهُوَ

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٧).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٦٥).

(٤) رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٨).

مُطَّلِعٌ عَلَى عَمَلِهِ كُلَّ وَقْتٍ وَكُلَّ لَحْظَةٍ، وَكُلَّ نَفَسٍ وَكُلَّ طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَالْغَافِلُ عَنْ هَذَا بِمَعْزِلٍ عَنْ حَالِ أَهْلِ الْبِدَايَاتِ، فَكَيْفَ بِحَالِ الْمُرِيدِينَ؟ فَكَيْفَ بِحَالِ الْعَارِفِينَ؟ .

قَالَ الْجَرِيرِيُّ: مَنْ لَمْ يُحَكِّمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله تَعَالَى التَّقْوَى وَالْمُرَاقَبَةَ: لَمْ يَصِلْ إِلَى الْكَشْفِ وَالْمُشَاهَدَةِ

وَقِيلَ: مَنْ رَاقَبَ اللهَ فِي خَوَاطِرِهِ، عَصَمَهُ فِي حَرَكَاتِ جَوَارِحِهِ.

وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: مَتَى يَهُشُّ الرَّاعِي غَنَمَهُ بِعَصَاهُ عَنْ مَرَاتِعِ الْهَلَكَةِ؟ فَقَالَ: إِذَا عَلِمَ أَنَّ عَلَيْهِ رَقِيبًا.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: مَنْ تَحَقَّقَ فِي الْمُرَاقَبَةِ خَافَ عَلَى فَوَاتِ لَحْظَةٍ مِنْ رَبِّهِ لَا غَيْرَ.

وَقَالَ ذُو النُّونِ: عَلَامَةُ الْمُرَاقَبَةِ إِيثَارُ مَا أَنْزَلَ الله، وَتَعْظِيمُ مَا عَظَّمَ الله، وَتَصْغِيرُ مَا صَغَّرَ الله.

وَقِيلَ: الرَّجَاءُ يُحَرِّكُ إِلَى الطَّاعَةِ، وَالْخَوْفُ يُبْعِدُ عَنِ الْمَعَاصِي، وَالْمُرَاقَبَةُ تُؤَدِّيكَ إِلَى طَرِيقِ الْحَقَائِقِ.

وَقِيلَ: الْمُرَاقَبَةُ مُرَاعَاةُ الْقَلْبِ لِمُلَاحَظَةِ الْحَقِّ مَعَ كُلِّ خَطْرَةٍ وَخُطْوَةٍ.

وَقَالَ الْجَرِيرِيُّ: أَمْرُنَا هَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى فَصْلَيْنِ: أَنْ تُلْزِمَ نَفْسَكَ الْمُرَاقَبَةَ للهِ، وَأَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ عَلَى ظَاهِرِكَ قَائِمًا.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَوَّاصُ: الْمُرَاقَبَةُ خُلُوصُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقِيلَ: أَفْضَلُ مَا يُلْزِمُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ: الْمُحَاسَبَةُ وَالْمُرَاقَبَةُ، وَسِيَاسَةُ عَمَلِهِ بِالْعِلْمِ.

وَقَالَ أَبُو حَفْصٍ لِأَبِي عُثْمَانَ النَّيْسَابُورِيِّ: إِذَا جَلَسْتَ لِلنَّاسِ فَكُنْ وَاعِظًا لِقَلْبِكَ وَنَفْسِكَ، وَلَا يَغُرَّنَّكَ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَيْكَ، فَإِنَّهُمْ يُرَاقِبُونَ ظَاهِرَكَ، وَالله يُرَاقِبُ بَاطِنَكَ.

وَأَرْبَابُ الطَّرِيقِ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ مُرَاقَبَةَ الله تَعَالَى فِي الْخَوَاطِرِ: سَبَبٌ لِحِفْظِهَا فِي حَرَكَاتِ الظَّوَاهِرِ. فَمَنْ رَاقَبَ اللهَ فِي سِرِّهِ، حَفِظَهُ الله فِي حَرَكَاتِهِ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ.

وَالْمُرَاقَبَةُ هِيَ التَّعَبُّدُ بِاسْمِهِ الرَّقِيبِ، الْحَفِيظِ، الْعَلِيمِ، السَّمِيعِ، الْبَصِيرِ، فَمَنْ عَقَلَ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ، وَتَعَبَّدَ بِمُقْتَضَاهَا: حَصَلَتْ لَهُ الْمُرَاقَبَةُ، وَالله أَعْلَمُ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ الله رَوْحَهُ - يَقُولُ: إِذَا لَمْ تَجِدْ لِلْعَمَلِ حَلَاوَةً فِي قَلْبِكَ وَانْشِرَاحًا، فَاتَّهِمْهُ، فَإِنَّ الرَّبَّ تَعَالَى شَكُورٌ، يَعْنِي أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُثِيبَ الْعَامِلَ عَلَى عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ حَلَاوَةٍ يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ، وَقُوَّةِ انْشِرَاحٍ وَقُرَّةِ عَيْنٍ، فَحَيْثُ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ فَعَمَلُهُ مَدْخُولٌ)، والقصد: أن السرور بالله وقربه وقرة العين به تبعث عَلى الازدياد من طاعته وتحث عَلى الجد في السّير]ا.هـ.

قَالَ الإِمَام الغزالي في كتاب المراقبة والمحاسبة من كتابه إحياء علوم الدّين (ما ننقل منه باختصار):

[قَالَ الله تَعَالَى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء] وقال تَعَالَى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف] وقال تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [المجادلة] وقال تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة] وقال تَعَالَى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [آل عمران] وقال تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٠] وقال تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]

فعرف أرباب البصائر من جملة العِبَاد أن الله تَعَالَى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النّفس في الأنفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السّؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الخزى والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله وقد أمرهم بالصّبر والمرابطة فقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فرابطوا أنفسهم أولاً بالمشارطة ثمّ بالمراقبة ثمّ بالمحاسبة ثمّ بالمعاقبة ثمّ بالمُجَاهدة ثمّ بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولا بُدَّ من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ولكن كلّ حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله التوفيق:

المقام الأوّل من المرابطة: المشارطة:

اعلم أن مطالب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما أن التاجر يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتَّى يتجر ثمّ يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما مطالبة وربحه تزكية النّفس لأن بذلك فلاحها قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾

[الشمس] وإنما فلاحها بالأعمال الصّالحة والعقل يستعين بالنّفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الّذي يتجر في ماله وكما أن الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولاًويراقبه ثانياً ويحاسبه ثالثا ويعاقبه أو يعاتبه رابعا فكذلك العقل يحتاج إلى مشارطة النّفس أولاًفيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشُّرُوط ويرشدها إلى طريق الفلاح ويجزم عليها الأمر بسلوك تلك الطرق ثمّ لا يغفل عن مراقبتها لحظة فإنه لو أهملها لم ير منها إلا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخَائِن إذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثمّ بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فإن هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والشّهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النّفس أهمّ كثيرا من تدقيقه في أرباح الدُّنيَا مع أنها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى ثمّ كيفما كانت فمصيرها إلى التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لأن الشر الّذي لا يدوم إذا انقطع بقى الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الّذي لا يدوم يبقى الأسف عَلى انقطاعه دائما وقد انقضى (..) فحتم عَلى كلّ ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها فإن كلّ نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد فانقباض هذه الأنفاس ضائعة أو مصروفة إلى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغى أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطه النّفس كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة إلا العمر ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليَوْم الجَدِيد قد أمهلني الله فيه وأنسأ في أجلى وأنعم عَلى به ولو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدُّنيَا يوما واحدا حتَّى أعمل فيه صالحا فاحسبي أنك قد توفيت ثمّ قد رددت فإياك ثمّ إياك أن تضيعي هذا اليَوْم فإن كلّ نفس من الأنفاس جوهرة لا قيمة لها (..) فيقول لنفسه اجتهدي اليَوْم في أن تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك الّتي هيَ أسباب ملكك ولا تميلي إلى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وإن دخلت الجنّة فألم الغبن وحسرته لا يطاق وإن كانَ دون ألم النار وقد قَالَ بعضهم هب أن المسيء قد عفي عنه

أليس قد فاته ثواب المحسنين أشار به إلى الغبن والحسرة وقال الله تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن: ٩] فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثمّ ليستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسليمها إليها فإنها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة وبها تتم أعمال هذه التجارة وإن لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وإنما تتعين تلك الأبواب لمن عصى الله تَعَالَى بهذه الأعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين فيحفظها عن النَّظر إلى وجه من ليس له بمحرم أو إلى عورة مسلم أو النَّظر إلى مسلم بعين الاحتقار بل عن كلّ فضول مستغنى عنه فإن الله تَعَالَى يسأل عبده عن فضول النَّظر كما يسأله عن فضول الكلام ثمّ إذا صرفها عن هذا لم تقنع به حتَّى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له من النَّظر إلى عجائب صنع الله بعين الاعتبار والنَّظر إلى أعمال الخير للإقتداء والنَّظر في كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي أن يفصل الأمر عليها عضوًا عضوًا لاسيّما اللسان والبطن أما اللسان فلأنّه منطلق بالطّبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنّميمة وتزكية النّفس ومذمة الخلق والأطعمة واللعن والدّعاء عَلى الأَعدَاء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان فهو بصدد ذلك كله مع أنه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتّعليم وإرشاد عباد الله إلى طريق الله وإصلاح ذات البين وسائر خيراته فليشترط عَلى نفسه أن لا يحرك اللسان طول النَّهَار إلا في الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظره وعبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد. وأما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الأكل من الحلال واجتناب الشُّبُهات ويمنعه من الشَّهَوَات ويقتصر عَلى قدر الضَّرورة ويشرط عَلى نفسه أنها إن خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهواتها هكذا يشرط عليها في جميع الأعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الأعضاء وطاعاتها ثمّ يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات الّتي تتكرر عليه في اليَوْم والليلة ثمّ النَّوافل الّتي يقدر عليها ويقدر عَلى الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيّتها وكيفِيَّة الاستعداد لها بأسبابها وهذه شروط يفتقر إليها في كلّ يوم ولكن إذا تعود الإنسان شرط ذلك عَلى نفسه أيّاما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وإن أطاعت في بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد المشارطة فيما بقى ولكن لا يخلو كلّ يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه في ذلك حق ويكثر هذا

عَلَى من يشتغل بشيء من أعمال الدُّنيَا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضى حق الله فيها فعليه أن يشترط عَلَى نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الإهمال ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد فإن النّفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها، وذكر فإن الذكرى تنفع الْمُؤمِنِين، فهذا وما يجرى مجراه هو أول مقام المرابطة مع النّفس وهي محاسبة قبل العمل.

والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قَالَ الله تَعَالَى واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فإنه يسمى محاسبة فالنَّظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤] وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] وقال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ﴾ [ق: ١٦] ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل، وروى عبادة بن الصامت أنه ﷺ قَالَ لرجل سأله أن يوصيه ويعظه: «إذا أردتَ أمرًا فَتَدَبَّرْ عَاقِبَتَهُ، وَإِنْ كَانَ رُشْدًا فَأَمْضِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيًّا فَانْتَهِ عَنْهُ»(١).. وقال بعض الحكماء: (إذا أردت أن يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتَّى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة)، وقال لقمان: (إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة)، وروى شداد بن أوس عنه ﷺ أنه قَالَ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى الله الأَمَانِي»(٢)، «دان نفسه» أي: حاسبها، ويوم الدّين يوم الحساب، وقوله: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣﴾ [الصافات] أي لمحاسبون، وَقَالَ عمر ﷺ: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا وتَهَيّئوا للعرضِ الأَكبر)، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: (حَاسِب نفسَكَ في الرَّخاء قَبل حِسَابِ الشّدّة)، وقال لكعب: كيف تجدها في كتاب الله؟ قَالَ: ويل لديان الأرض من ديان السّماء فعلاه بالدرة، وقال: إلا من حاسب نفسه، فقال كعب: ياأمير الْمُؤمِنِين إنها إلى جنبها في التوراة ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه.

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق (٤١) وقال الألباني : موضوع .

(٢) رواه أحمد (١٧١٢٣) والترمذي (٢٤٥٩) بلفظ : « والعاجز من أتبع..» وضعفه الألباني والأرنؤوط.

وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قَالَ: من دان نفسه يعمل لما بعد الموت، ومعناه: وزن الأمور أولاً وقدّرها ونظر فيها وتدبرها ثمّ أقدم عليها فباشرها.

المرابطة الثّانية: المراقبة: إذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى إلا المراقبة لها عند الخوض في الأعمال وملاحظاتها بالعين الكالئة فإنها إن تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثمّ درجاتها، أما الفضيلة فقد سأل جبريل عليه السلام عَنِ الْإِحْسَانِ فَقَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تراه» وقال عليه السلام: «اعبد اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(١)، وقد قَالَ تعَالَى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، وقال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ [العلق] وقال الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء] وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ٣٣﴾ [المعارج]، وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تَعَالَى فسأله عن تفسيره فقال: كن أبدا كأنك ترى الله عَزَّ وَجَلَّ، وقال عبد الواحد بن زيد: إذا كانَ سيدي رقيبا عَلى فلا أبالي بغيره، وقال أبو عثمان المغربي: أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطَّريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم، وقال ابن عطاء: أفضل الطاعات مراقبة الحقّ عَلى دوام الأوقات، وقال الجريري: أمرنا هذا مبنى عَلى أصلين أن تلزم نفسك المراقبة لله عَزَّ وَجَلَّ ويكون العلم عَلى ظاهرك قائما، وقال أبو عثمان: قَالَ لي أبو حفص إذا جلست للنَّاس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب عَلى باطنك.(..). وقال رجل للجنيد بم أستعين عَلى غض البصر فقال بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه. وقال الجنيد: إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف عَلى فوت حظه من ربه عَزَّ وَجَلَّ.(..) وقال محمّد بن علي التِّرْمِذِيّ: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك وأجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمة عنك وأجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه وأجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه. وقال سهل لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهدة حيث كانَ، وسئل بعضهم عن قوله تَعَالَى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة]، فقال معناه ذلك لمن راقب ربه عَزَّ وَجَلَّ وحاسب نفسه وتزود لمعاده، وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنّة فقال: بخمس ؛ استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة الله تَعَالَى

---

(١) رواه البخاري (٥٠، ١٣٩٧، ٤٧٧٧، ٧١٢١) ومسلم (٩، ١٠، ١٤) واللفظ له.

في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب. (..) وقال حميد الطويل لسليمان بن علي: عظني، فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت عَلى أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت، وقال سفيان الثّوريّ: عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة. وقال فرقد السنجي: إن المنافق ينظر فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وإنما يراقب النّاس ولا يراقب الله تَعَالَى. وقال عبدالله بن دينار: (خرجت مع عمر ابن الخطاب ﷺ إلى مكّة فعرسنا في بعض الطّريق فانحدر عليه راع من الجبل، فقال له: يا راعى بعني شاة من هذه الغنم، فقال: إنّي مملوك، فقال: قل لسيدك أكلها الذئب، قَالَ: فأين الله؟! قَالَ: فبكى عمر ﷺ ثمّ غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه، وقال: أعتقتك في الدُّنيَا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك في الآخرة).

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها: أعلم أن حقيقة المراقبة هيَ ملاحظة الرقيب، وانصراف الهم إليه. فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال أنه يراقب فلانا ويراعى جانبه، ويعنى بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب، أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه، وأما المعرفة الّتي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع عَلى الضمائر، عالم بالسرائر رقيب عَلى أعمال العِبَاد قائم عَلى كلّ نفس بما كسبت، وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك، فهذه المعرفة إذا صارت يقينا أعنى أنها خلت عن الشك ثمّ استولت بعد ذلك عَلى القلب قهرته، فرب علم لا شَّكَّ فيه لا يغلب عَلى القلب كالعلم بالموت فإذا استولت عَلى القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه، والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون، وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين فمراقبتهم عَلى درجتين:

الدرجة الأولى: مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والإجلال وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلا وهذه مراقبة لا نطول النَّظر في تفصيل أعمالها فإنها مقصورة عَلى القلب، أما الجوارح فإنها تتعطل عن التلفت إلى المباحات فضلا عن المحظورات، وإذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج إلى تدبير

وتثبيت في حفظها عَلى سنن السّداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فإذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية عَلى السّداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الّذي صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم (..).

الدرجة الثّانية: مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين إطلاع الله عَلى ظاهرهم وباطنهم وعلى قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم عَلى حد الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال إنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كلّ ما يفتضحون به في القيامة فإنهم يرون الله في الدُّنيَا مطلعا عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة (..) ومن كانَ في هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل، أما قبل العمل فلينظر أن ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره أهو لله خاصّة أو هو في هوى النّفس ومتابعة الشّيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتَّى ينكشف له ذلك بنور الحقّ فإن كانَ لله تَعَالَى أمضاه وإن كانَ لغير الله استحيا من الله وانكف عنه ثمّ لام نفسه عَلى رغبته فيه وهمه به وميله إليه، وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وأنها عدوة نفسها إن لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الأمور إلى حد البيان واجب محتوم لا محيص لأحد عنه. (..) وقال الحسن: كانَ أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت فإن كانَ لله أمضاه. وقال الحسن: رحم الله تَعَالَى عبدا وقف عند همه فإن كانَ لله مضى وإن كانَ لغيره تأخر. (..) وقال محمّد بن علي: إن المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النَّظر الأوّل في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا إلا العلم المتين والمعرفة الحقيقة بأسرار الأعمال وأغوار النّفس ومكايد الشّيطان فمتى لم يعرف نفسه وربه وعدوة إبليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ويرضاه في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل الأكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تَعَالَى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ولا تظنن أن الجاهل بما يقدر عَلى التعلم فيه يعذر، هيهات ! بل طلب العلم فريضة عَلى كلّ مسلم، ولهذا كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم، لأنه يعلم آفات النفوس ومكايد الشّيطان ومواضع الغرور فيتقى ذلك والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه، فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله

من الجهل والغفلة فهو رأس كلّ شقاوة وأساس كلّ خسران. فحكم الله تَعَالَى عَلَى كلّ عبد أن يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتَّى ينكشف له بنور العلم أنه لله تَعَالَى فيمضيه أو هو لهوى النّفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فإن الخطوة الأولى في البَاطِل إذا لم تدفع أورثت الرغبة، والرغبة تورث الهم، والهم يورث جزم القصد، والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت، فينبغي أن تحسم مادة الشر من منبعه الأوّل وهو الخاطر، فإن جميع ما وراءه يتبعه، ومهما أشكل عَلى العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر في ذلك بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشّيطان بواسطة الهوى.

فإن عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء الدّين وليفر من العُلَماء المضلين المقبلين عَلى الدُّنيَا فراره من الشّيطان بل أشد، فقد أوحى الله تَعَالَى إلى داود عليه السلام: **(لا تسأل عني عالما أسكره حب الدُّنيَا فيقطعك عن محبتي أولئك قطاع الطّريق عَلى عبادي)**، فالقلوب المظلمة بحب الدُّنيَا وشدة الشرة والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تَعَالَى فإن مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضئ بها من استدبرها وأقبل عَلى عدوها وعشق بغيضها ومقيتها وهي شهوات الدُّنيَا، فلتكن همة المريد أولًا في إحكام العلم أو في طلب عالم معرض عن الدُّنيَا أو ضعيف الرغبة فيها إن لم يجد من هو عديم الرغبة، (..) فمن لم يتوقف عند الاشتباه كانَ متبعا لهواه معجبا برأيه وكان ممن وصفه رسول الله ﷺ إذ قَالَ: «فإِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ»(١) وكل من خاض في شبهه بغير تحقيق فقد خالف قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقوله عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»(٢)، وأراد به ظنا بغير دليل كما يستفتى بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الأمر وعظمة كانَ دعاء الصّديق رضي الله عنه: (اللّهم أرني الحقّ حقًا وارزقني إتباعه وأرني البَاطِلَ بَاطِلًا وارزقني اجتنابَه ولا تجعله متشابهًا عَليّ فأتبع الهوَى).

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٥٨) وابن حبان (٣٨٥) وضعف هذا الطرف من الحديث الألبانيُّ والأرنؤوطُ.

(٢) رواه البخاري (٥١٤٣، ٦٠٦٤) ومسلم (٢٥٦٣).

وقال عيسى عليه السلام: الأمور ثلاثة أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى عالمه. (..) فأعظم نعمة الله عَلى عباده هو العلم وكشف الحقّ والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قَالَ تَعَالَى امتنانا عَلى عبده: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ١١٣﴾ [النساء] وأراد به العلم، وقال تَعَالَى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٧﴾ [الأنبياء]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ١٢﴾ [الليل: ١٢]، وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ [القيامة: ١٩]، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]

وقال عَلى كرم الله وجهه: (الهوى شريك العمى، ومن التوفيق التوقف عند الحيرة، ونعم طارد الهم اليقين، وعاقبة الكذب الندم وفي الصِّدق السَّلامة، ربّ بعيد أقرب من قريب، وغريب من لم يكن له حبيب، والصديق من صدق غيبه، ولا يعدمك من حبيب سوء ظن، نعم الخلق التكرم، والحياء سبب إلى كلّ جميل، وأوثق العرا التقوى، وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تَعَالَى، إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك، والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك، فان لم تأته أتاك وإن كنت جازعا عَلى ما أصيب مما في يديك فلا تجزع عَلى ما لم يصل إليك، واستدل عَلى ما لم يكن بما كانَ فإنما الأمور أشباه، والمرء يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا، وليكن سرورك بما قدمت، وأسفك عَلى ما خلفت، وشغلك لأخرتك، وهمك فيما بعد الموت).

وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة فإذن النَّظر الأوّل للمراقب نظره في الهم والحركة أهي لله أم للهوى، وقد قَالَ ﷺ: «ثلاثٌ من كنَّ فيهِ استكملَ إيمانَه: لا يخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ، ولَا يُرائِي بِشيءٍ مِن عَمَلِه، وإذا عرضَ لَهُ أَمرانِ أحدهُما للّدنيا والآخرُ للآخرةِ آثَرَ الآخرةَ عَلى الدُّنيَا»[1]... وأكثر ما ينكشف له في حركاته أن يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه، لقوله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمُرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[2].

(١) انظر كنز العمال (٤٣٢٤٧)، وأورده الألباني في (ضعيف الجامع ٢٥٨٥) وقال: ضعيف رواه ابن عساكر من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٧) وابن ماجة (٣٩٧٦) وغيرهم، وصححه الألباني.

النَّظر الثّاني للمرقبة عند الشُّروع في العمل، وذلك بتفقد كيفِيَّة العمل ليقضى حق الله فيه، ويحسن النِّيَّة في إتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه عَلى أكمل ما يمكنه. وهذا ملازم له في جميع أحواله فإنه لا يخلو في جميع أحواله عن حركة وسكون، فإذا راقب الله تَعَالَى في جميع ذلك قدر عَلى عبادة الله تَعَالَى فيها بالنِّيَّة وحسن الفعل ومراعاة الأدب، فإن كانَ قاعدا مثلا فينبغي أن يقعد مستقبل القبلة لقوله ﷺ: «خيرُ المجالسِ مَا اسْتَقبَلَ بِهِ القِبلة»[(١)].. ولا يجلس متربعا إذ لا يجالس الملوك كذلك، وملك الملوك مطلع عليه.

قَالَ إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ: **(جلست مرّة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم أجلس بعد ذلك متربعا).**

وإن كانَ ينام فينام عَلى اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب الّتي ذكرناها في موضعها، فكل ذلك داخل في المراقبة، بل لو كانَ في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة، فإذن لا يخلو العبد أما أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح، فمراقبته في الطاعة بالإخلاص والإكمال، ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات، وإن كانَ في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر، وإن كانَ في مباح فمراقبته بمراعاة الأدب ثمّ بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها، ولا يخلو العبد في جملة أحواله عن بلية لا بُدَّ له من الصّبر عليها ونعمة لا بُدَّ له من الشكر عليها، وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كلّ حال من فرض لله تَعَالَى عليه، إما فعل يلزمه مباشرته أو محظور يلزمه تركه أو ندب حث عليه ليسارع به إلى مغفرة الله تَعَالَى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له عَلى طاعته، ولكل واحد من ذلك حدود لابد من مراعاتها بدوام المراقبة ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١] فينبغي أن يتفقد العبد نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثّلاثة فإذا كانَ فارغا من الفرائض وقدر عَلى الفضائل فينبغي أن يلتمس أفضل الأعمال ليشتغل بها فإن من فاته مزيد ربح وهو قادر عَلى دركه فهو مغبون، والأرباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه

---

(١) جميع أسانيده ضعيفه وخير أسانيده ما أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٣٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء سيداً، وإن سيد المجالس قبالة القبلة» وصححه الألباني (الصحيحة ٢٦٤٥).

لآخرته كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [القصص: ٧٧] وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة، فإن الساعات ثلاث ساعة مضت لا تعب فيها عَلَى العبد كيفما انقضت في مشقة أو رفاهية وساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدري العبد أيعيش إليها أم لا ولا يدرى ما يقضى الله فيها وساعة راهنة ينبغي أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فإن لم تأته السَّاعة الثّانية لم يتحسر عَلَى فوات هذه السَّاعة وإن أتته السَّاعة الثّانية استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم عَلَى المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كأنه في آخر أنفاسه فلعله آخر أنفاسه وهو لا يدرى وإذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغي أن يكون عَلَى وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو عَلَى تلك الحالة وتكون جميع أحواله مقصورة عَلَى ما رواه أبو ذر ﵁ من قوله ﵇: «لا يكونُ المؤمنُ ظَاعِنًا إِلَّا فِي ثَلَاثٍ؛ تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ أَوْ مَرَمَّة لِمَعَاشٍ أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ»[(١)] (..) وما روي عنه أيضا في معناه: «وعَلَى العَاقِلِ أن تكُونَ لَهُ أَربعة سَاعَاتٍ سَاعَةٍ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٍ يُحَاسَبُ فِيهَا نَفْسَهُ وَسَاعَة يتفكَّرُ فِيهَا فِي صُنعِ الله تَعَالَى وَسَاعَة يَخْلُو فِيهَا للمَطعَمِ وَالْمَشْرَبِ»[(٢)]، فإن في هذه السَّاعة عونا له عَلَى بقية الساعات ثمّ هذه الساعات الّتي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغى أن يخلو عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر فإن الطعام الّذي يتناوله مثلا فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كانَ ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح والنّاس فيه أقسام قسم ينظرون إليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعته وكيفِيَّة ارتباط قوام الحيوانات به وكيفِيَّة تقدير الله لأسبابه وخلق الشَّهَوَات الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوى الألباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار إليه وبودهم لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها إلى صفات الخالق فتكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر أبواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين إذ المحب إذا رأي صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسى الصنعة

---

(١) رواه ابن حبان (٣٦١) بلفظ « على العاقل أن لايكون .....» وهو طرف من حديث طويل وضعفه جدا الألباني والأرنؤوط .

(٢) هو طرف من الحديث السابق.

واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تَعَالَى فله في النَّظر منه إلى الصانع مجال رحب إن فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جدا.

وقسم رابع ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون عَلى ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته ويذمون منه مالا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون أن الفاعل للطبيخ والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله تَعَالَى وأن من ذم شيئا من خلق الله بغير إذن فقد ذم الله، ولذلك قَالَ النبيّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الله هُوَ الدَّهْر»(١).

المرابطة الثّالثة: محاسبة النّفس بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثمّ حقيقتها أما الفضيلة فقد قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر: ١٨] وهذه إشارة إلى المحاسبة عَلى ما مضى من الأعمال (..) وقال تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور] والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه، وقد قَالَ ﷺ: «إِنِّي لَأَسْتَغْفِر الله تَعَالَى وَأَتُوبُ إليهِ فِي اليَوْمِ مِائة مَرّة»(٢)، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف]

وعن عمر رضي الله عنه انه كانَ يضرب قدميه بالدره إذا جنه الليل ويقول لنفسه: ماذا عملت اليَوْم، وعن ميمون ابن مهران انه قَالَ: لا يكون العبد من المتقين حتَّى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه، والشريكان يتحاسبان بعد العمل، وروي عن عائشة رضى الله تَعَالَى عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه، قَالَ لها عند الموت: (ما أحد من النّاس أحب إلي من عمر، ثمّ قَالَ لها: كيف قلت فأعادت عليه ما قَالَ فقال لا أحد أعز عَلي من عمر)(٣) فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها، وحديث أبى طلحة حين شغله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تَعَالَى ندما ورجاء للعوض مما فاته... وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقيل له: يا أبا يوسف قد كانَ في بنيك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تنكره، وقال الحسن: المؤمن قوام عَلى نفسه يحاسبها لله، وإنما خف الحساب عَلى قوم حاسبوا أنفسهم في الدُّنيَا، وإنما شق الحساب يوم القيامة عَلى قوم أخذوا

---

(١) رواه البخاري (٦١٨١) ومسلم (٢٢٤٦) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٧) بلفظ: «أكثر من سبعين...»، ولفظ مائة عند ابن ماجة (٣٨١٥) وصححه الألباني.

(٣) روى البخاري في الأدب المفرد (٨٤) بمعناه، وحسنه الألباني.

هذا الأمر من غير محاسبه، ثمّ فسر المحاسبة فقال: إن المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول والله إنك لتعجبني وإنك من حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك، وهذا حساب قبل العمل، ثمّ قَالَ ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا إن شاء الله. وقال أنس بن مالك: (سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يوما وقد خرج وخرجت معه حتَّى دخل حائطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحائط عمر ابن الخطاب أمير الْمُؤمِنِين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك)(١)، وقال الحسن في قوله تَعَالَى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾[القيامة] قَالَ لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي ؟ ماذا أردت بأكلتي ؟ ماذا أردت بشربتي ؟ والفاجر يمضى قدما لا يعاتب نفسه. وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: رحم الله عبدا قَالَ لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثمّ ذمها ثمّ خطمها ثمّ ألزمها كتاب الله تَعَالَى فكان له قائدا. وقال ميمون بن مهران: التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح. وقال إبراهيم التيمي: مثلت نفسي في الجنّة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثمّ مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدين فقالت أريد أن أرد إلى الدُّنيَا فأعمل صالحا قلت فأنت في الأمنيّة فاعملي. وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر في مكياله رحم الله امرأ نظر في ميزانه فما زال يقول حتَّى أبكاني. وحكى صاحب للأحنف ابن قيس قَالَ: كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدّعاء وكان يجئ إلى المصباح فيضع أصبعه فيه حتَّى يحس بالنار ثمّ يقول لنفسه يا حنيف ما حملك عَلى ما صنعت يوم كذا ما حملك عَلى ما صنعت يوم كذا.

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل: إعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النَّهَار يشارط فيه نفسه عَلى سبيل التوصية بالحق فينبغي أن يكون له في آخر النَّهَار ساعة يطالب فيها النّفس ويحاسبها عَلى جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدُّنيَا مع الشركاء في آخر كلّ سنة أو شهر أو يوم حرصا منهم

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٢) وإسناده صحيح.

عَلى الدُّنيَا وخوفا من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى إلا أيّاما قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ما هذه المساهلة إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك. ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فإن كانَ من فضل حاصل استوفاه وشكره وإن كانَ من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل، وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النَّهار ومعامله نفسه الأمارة بالسوء فيحاسبها عَلى الفرائض أولاًفإن أداها عَلى وجهها شكر الله تَعَالَى عليه ورغبها في مثلها وإن فوتها من أصلها طالبها بالقضاء وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وإن ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفى منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يفتش في حساب الدُّنيَا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتَّى لا يغبن في شيء منها فينبغي أن يتقى غبينة النّفس ومكرها فإنها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها أولاًبتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتَّى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكونه لم سكن فإذا عرف مجموع الواجب عَلى النّفس وصح عنده قدر أدى الواجب فيه كانَ ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي عَلى نفسه فليثبته عليها وليكتبه عَلى صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الّذي عَلى شريكه عَلى قلبه وفي جريدة حسابه (..).

وعن وهب بن منبه: أن رجلا تعبد زمانا ثمّ بدت له إلى الله تَعَالَى حاجة فقام سبعين سبتا يأكل في كلّ سبت إحدى عشرة تمرة ثمّ سأل حاجته فلم يعطها فرجع إلى نفسه وقال منك أتيت لو كانَ فيك خير لأعطيت حاجتك فنزل إليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك الّتي مضت وقد قضى الله حاجتك. وقال عبدالله بن قيس: كنا في غزاة لنا فحضر العدوّ فصيح في النّاس فقاموا إلى المصاف في يوم شديد الريح وإذا رجل أمامي وهو يخاطب نفسه ويقول أي نفسي ألم أشهد مشهد كذا فقلت لي أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت والله لأعرضنك اليَوْم عَلى الله أخذك أو تركك فقلت لأرمقنه اليَوْم فرمقته فحمل النّاس عَلى عدوهم

فكان في أوائلهم ثمّ أن العدوّ حمل عَلى النّاس فانكشفوا فكان في موضعه حتَّى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذاك دأبه حتَّى رأيته صريعا فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة (..) وعن مجمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره عَلى امرأة فجعل عَلى نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السّماء ما دام في الدُّنيَا وكان الأحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع أصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك عَلى أن صنعت يوم كذا كذا وأنكر وهيب بن الورد شيئا عَلى نفسه فنتف شعرات عَلى صدره حتَّى عظم ألمه ثمّ جعل يقول لنفسه ويحك إنما أريد بك الخير ورأى محمّد بن بشر داود الطائي وهو يأكل عند إفطاره خبزا بغير ملح فقال له لو أكلته بملح فقال أن نفسي لتدعوني الى الملح منذُ سنة ولا ذاق دواد ملحا ما دام في الدُّنيَا فكذا كانت عقوبة أولى الحزم لأنفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وأمتك واهلك وولدك عَلى ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في أمر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبغوا عليك ثمّ تهمل نفسك وهى أعظم عدو لك واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك فان غايتهم أن يشوشوا عليك معيشة الدُّنيَا ولو عقلت لعلمت إن العيش عيش الآخرة وان فيه النعيم المقيم الّذي لا آخر له ونفسك هى الّتي تنغص عليك عيش الآخرة فهى بالمعاقبة أولى من غيرها.

المرابطة الخامسة: المُجَاهدة:

وهو انه إذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغى أن يعاقبها بالعقوبات الّتي مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغى أن يؤدبها بتثقيل الأوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات منه وتداركا لما فرط فهكذا كانَ يعمل عمال الله تَعَالَى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة وأخر ليلة صلاة المغرب حتَّى طلع كوكبان فأعتق رقبتين وفات ابن أبى ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل عَلى نفسه صوم سنة أو الحجّ ما شيا أو التصدق بجميع ماله كلّ ذلك مرابطه للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها فإن قلت إن كانت نفسي لا تطاوعني عَلى المُجَاهدة والمواظبة عَلى الأوراد فما سبيل معالجتها فأقول سبيلك في ذلك أن تسمعها ما ورد في الأخبار من فضل المجتهدين (..) ومن أنفع أسباب العلاج أن تطلب صحبة عبد

من عباد الله مجتهد في العِبَادة فتلاحظ أقواله وتقتدي به. وكان بعضهم يقول كنت إذا اعترتنى فترة في العِبَادة نظرت إلى أحوال محمّد بن واسع والى اجتهاده فعملت عَلى ذلك أسبوعا. إلا أن هذا العلاج قد تعذر، إذ قد فقد في هذا الزّمان من يجتهد في العِبَادة اجتهاد الأولين فينبغى أن يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء انفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقى ثوابهم ونعيمهم ابد الآباد لا ينقطع فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه أيّاما قلائل بشهوات مكدرة ثمّ يأتيه الموت ويحال بينه وبين كلّ ما يشتهيه أبد الآباد نعوذ بالله تَعَالَى من ذلك. ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم ما حرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم(..) قَالَ الحسن أجهدتهم العِبَادة قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قَالَ الحسن يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله. وقال رسول الله ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ»(١).. ويروى أن الله تَعَالَى يقول لملائكته: (**ما بال عبادي مجتهدين فيقولون إلهنا خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم إلى شيء فاشتاقوا إليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف لو رآني عبادي لكانوا أشد اجتهادا**)(٢) وقال الحسن: (أدركت أقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدُّنيَا أقبل ولا يتأسفون عَلى شيء منها أدبر ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب الّذي تطئونه بأرجلكم أن كانَ احدهم ليعيش عمره كله ما طوى له ثوب ولا أمر أهله بصنعة طعام قط، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا قط، وأدركتهم عاملين بكتاب ربّهم وسنة نبيهم إذا جنهم الليل فقيام عَلى أطرافهم يفترشون وجوههم تجرى دموعهم عَلى خدودهم يناجون ربّهم في فكاك رقابهم. إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله تَعَالَى أن يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك وَوَالله مَا سَلِمُوا مِنَ الذّنوبِ ولا نَجَوا إلَّا بالمغفرة). ويحكى أن قوما دخلوا عَلى عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه وإذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال عمر له: يا فتى ما الّذي بلغ بك ما أرى؟ فقال: يا أمير المُؤمِنِين أسقام وأمراض فقال سألتك

---

(١) رواه أحمد (١٧٦٨٠) والترمذي (٣٢٢٩) بلفظ «أي الناس خير؟ قال: من طال...» وصححه الألباني، وأما لفظ طوبى فهو عند ابن الجعد (٣٤٣١) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١١١) وصححه الألباني، انظر (الصحيحة ١٨٣٦).

(٢) لم أقف له على إسناد.

بالله إلا صدقتني، فقال: يا أمير المُؤمِنِين ذقت حلاوة الدُّنيَا فوجدتها مرّة، وصغر عندي زهرتها وحلاوتها، واستوى عند ذهبها وحجرها، وكأني أنظر إلى عرش ربى والنّاس يساقون إلى الجنّة والنار، فأظمأت لذلك نهاري أسهرت ليلى، وقليل حقير كلّ ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه. وقال أبو نعيم كانَ داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية. ودخل رجل عليه يوما فقال إن في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن أخي إن لي في البيت منذُ عشرين سنة ما نظرت الى السقف. وكانوا يكرهون فضول النَّظر كما يكرهون فضول الكلام. وقال محمّد بن عبد العزيز: جلسنا إلى أحمد بن رزين من غدوة إلى العصر فما التفت يمنه ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال إن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق العينين لينظر بهما العبد الى عظمة الله تَعَالَى فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة. وقالت امرأة مسروق ما كانَ يوجد مسروق إلا وساقاه منتفختان من طول الصّلاة. وقالت والله إن كنت لأجلس خلفه فأبكى رحمة له. وقال أبو الدرداء: (لو لا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا الظمأ لله بالهواجر والسجود لله في جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمر). وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العِبَادة ويصوم في الحر حتَّى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها أريد. وكان يصوم حتَّى يخضر جسده ويصلى حتَّى يسقط فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له: إن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يأمرك بكل هٰذا: فقال إنما أنا عبد مملوك لا أدع من الاستكانة شيئا إلا جئت به. وكان بعض المجتهدين يصلى كلّ يوم ألف ركعة حتَّى أقعد من رجليه فكان يصلى جالسا ألف ركعة فإذا صلى العصر احتبى ثمّ قَالَ عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا منك عجبت للخليقة كيف أنست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك. وكان ثابت البنانى قد حببت إليه الصّلاة فكان يقول اللّهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلى لك في قبره فائذن لي أن أصلى في قبري. وقال الجنيد ما رأيت أعبد من السري أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعا إلا في علة الموت. (..) وعن أبى محمّد المغازلى قَالَ جاور أبو محمّد الجريرى بمكّة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند إلى عمود ولا الى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه أبو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له يا أبا محمّد بم قدرت عَلى اعتكافك هذا فقال علم صدق باطني فأعانني عَلى ظاهري فاطرق الكتاني ومشى مفكرا. (..) وقيل لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال أنّي

إذن لفارغ. وكان أويس القرني يقول هذه ليلة الركوع فيحيى الليل كله في ركعة، وإذا كانت الليلة الآتية قَالَ هذه ليلة السجود فيحيى الليل كله في سجدة. وقيل لما تاب عتبة الغلام كانَ لا يتهنأ بالطعام والشراب فقالت له أمه لو رفقت بنفسك قَالَ الرفق أطلب دعينى أتعب قليلا وأتنعم طويلا. وحج مسروق فما نام قط إلا ساجدا. وكان سفيان الثّوريّ يقول: عند الصباح يحمد القوم السرى وعند المات يحمد القوم التقى. وقال عبدالله بن داود: كانَ أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه أي كانَ لا ينام طول الليل. وكان كهمس بن الحسن يصلى كلّ يوم ألف ركعة ثمّ يقول لنفسه قومي يا مأوى كلّ شر فلما ضعف اقتصر عَلى خمسمائة ثمّ كانَ يبكى ويقول ذهب نصف عملي. (..) ويروى عن رجل من أصحاب عَلي بن أبى طالب رضي الله تَعَالَى عنه أنه قَالَ: صليت خلف عَلي رضي الله تَعَالَى عنه الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتَّى طلعت الشّمس ثمّ قلب يده وقال: (والله لقد رأيت أصحاب محمّد ﷺ وما أرى اليَوْم شيئا يشبههم، كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم، وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتَّى تبل ثيابهم، وكأن القوم باتوا غافلين - يعنى من كانَ حوله -)[1] وكان أبو مسلم الخولانى قد علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومى فوالله لأزحفن بك زحفا حتَّى يكون الكلل منك لا منى فإذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالضرب من دابتى وكان يقول أيظن أصحاب محمّد ﷺ أن يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمهم عليه زحاما حتَّى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا. وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد متزايدا وكان إذا جاء الشتاء اضطجع عَلى السطح ليضر به البرد وإذا كانَ في الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر فلا ينام وانه مات وهو ساجد وانه كانَ يقول اللّهم أَنّي أحب لقاءك فأحب لقائي. وقال القاسم بن محمّد: غدوت يوما وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة رضي الله عنها أسلم عليها، فغدوت يوما إليها فإذا هى تصلي صلاة الضحى وهى تقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾ [الطور] وتبكى وتدعو وتردد الآية، فقمت حتَّى مللت وهي كما

(١) ورد في حلية الأولياء (١/ ٧٦) (١٠/ ٣٨٨) وقال الألباني عن إسناده: ضعيف مظلم.

هي فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتي ثمّ أرجع ففرغت من حاجتي ثمّ رجعت وهي كما هي تردد الآية وتبكي وتدعو. وقال محمّد بن إسحاق: لما ورد علينا عبد الرَّحْمٰن ابن الأسود حاجّا اعتلت إحدى قدميه فقام يصلى عَلى قدم واحدة حتَّى صلى الصبح بوضوء العشاء. وقال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل. وقال عَلي بن أبى طالب كرم الله وجهه: (سيما الصّالحين صفرة الألوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصّوم عليهم غبرة الخاشعين) وقيل للحسن: ما بال المتهجدين أحسن النّاس وجوها؟ فقال: لأَنّهم خلوا بالرَّحْمٰن فألبسهم نورًا من نوره، وكان عامر بن عبد القيس يقول: إلهي خلقتني ولم تؤامرنى وتميتني ولا تعلمني وخلقت معى عدوا وجعلته يجرى منى مجرى الدَّم وجعلته يراني ولا أراه ثمّ قلت لي استمسك إلهي كيف أستمسك إن لم تمسكني إلهي في الدُّنيَا الهموم والأحزان وفي الآخرة العقاب والحساب فأين الراحة والفرح. (..) وعن القاسم بن راشد الشيباني، قَالَ: كانَ زمعة نازلا عندنا بالمحصب وكان له أهل وبنات وكان يقوم فيصلى ليلا طويلا فإذا كانَ السحر نادى بأعلى صوته أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون أفلا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع من ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى. وقال بعض الحكماء: (إن لله عبادا أنعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة، وتوابيت للعظمة، وخزائن للقدرة، فهم بين الخلق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت، وتلوذ بمحجوب الغيوم ثمّ ترجع ومعها طوائف من لطائف الفوائد وما لا يمكن واصفا أن يصفه، فهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا، وهم في الظَّاهِر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعا). وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالتكلف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء. (..) فعليك إن كنت من المرابطين المراقبين لنفسك أن تطالع أحوال الرّجال والنِّسَاء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك وإياك أن تنظر إلى أهل عصرك فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عَلى سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر.

المرابطة السَّادسة في توبيخ النّفس ومعاتبتها:

اعلم أن أعدى عدوك نفسك الّتي بين جنبيك وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة إلى الشر فرارة من الخير وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فإن أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النّفس اللوامة الّتي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النّفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية، فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها، ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل أولاً بوعظ نفسك، أوحى الله تَعَالَى إلى عيسى عليه السلام: (يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ النّاس وإلا فاستحي مني)، وقال تَعَالَى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات] وسبيلك أن تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها وأنها أبدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد أنفها واستنكافها إذا نسبت إلى الحمق..... فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وإنما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك أن لا يكون الله تَعَالَى عنه راضيا والسّلام، والحَمْدُ لله وحده، وصلاته على سيدنا محمّد وآله وصحبه وسلامه).

❖ الخوف من الله تَعَالَى:

قَالَ النووي رحمه الله في رياض الصّالحين:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ۝٤٠﴾ [البقرة] وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ [البروج]. وقال تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ۝١٠٤ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۝١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦﴾ [هود] وقال تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقال تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ [عبس] وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج] وقال تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرحمن] وقال تَعَالَى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ

يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور] والآيات في الباب كثيرة جدا معلومات والغرض الإشارة إلى بعضها وقد حصل.

وأما الأحاديث فكثيرة جدا فنذكر منها طرفا وبالله التوفيق:

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أربَعِينَ يومًا نُطفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلِك، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يُرسَلُ المَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. فَوَالَّذِي لاَ إلهَ غَيْرُهُ إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبينَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيدْخُلُها، وَإنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلاَّ ذراعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ فَيعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»(١).
- وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يُؤتَى بِجَهَنَّمَ يَومَئذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»(٢).
- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ يُوضعُ في أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ. مَا يَرى أنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَأنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا»(٣).

وننقل (باختصار) بعض ما جاء في البَاب مما قاله ابن القيم رحمه الله في كتابه مدارج السالكين:

منزلة الخوف:

[وَهِيَ مِنْ أَجَلِّ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ وَأَنْفَعِهَا لِلْقَلْبِ، وَهِيَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، قَالَ اللهُّ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران] وقال تَعَالَى: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل] وقال: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة: ٣] وَمَدَحَ أَهْلَهُ فِي كِتَابِهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي

---

(١) متفق عليه. رواه البخاري (٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣)

(٢) رواه مسلم (٢٨٤٢).

(٣) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.البخاري (٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣) .

ﭐلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ [المؤمنون] وفي المسند والترمذي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله، قَوْلُ الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾. أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَيَسْرِقُ؟ قَالَ: «لَا يَا ابْنَةَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَيَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ»(١) قَالَ الْحَسَنُ: (عَمِلُوا وَالله بِالطَّاعَاتِ، وَاجْتَهَدُوا فِيهَا، وَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَخَشْيَةً، وَالْمُنَافِقَ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا). وَ «الْوَجَلُ» وَ «الْخَوْفُ» وَ «الْخَشْيَةُ» وَ «الرَّهْبَةُ» أَلْفَاظٌ مُتَقَارِبَةٌ غَيْرُ مُتَرَادِفَةٍ، قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْجُنَيْدُ: (الْخَوْفُ تَوَقُّعُ الْعُقُوبَةِ عَلَى مَجَارِي الْأَنْفَاسِ)، وَقِيلَ: الْخَوْفُ اضْطِرَابُ الْقَلْبِ وَحَرَكَتُهُ مِنْ تَذَكُّرِ الْمَخُوفِ، وَقِيلَ: الْخَوْفُ قُوَّةُ الْعِلْمِ بِمَجَارِي الْأَحْكَامِ، وَهَذَا سَبَبُ الْخَوْفِ، لَا أَنَّهُ نَفْسُهُ، وَقِيلَ: الْخَوْفُ هَرَبُ الْقَلْبِ مِنْ حُلُولِ الْمَكْرُوهِ عِنْدَ اسْتِشْعَارِهِ.

وَ «الْخَشْيَةُ» أَخَصُّ مِنَ الْخَوْفِ، فَإِنَّ الْخَشْيَةَ لِلْعُلَمَاءِ بِالله، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] فَهِيَ خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِمَعْرِفَةٍ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي أَتْقَاكُمْ للهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً»(٢)، فَالْخَوْفُ حَرَكَةٌ، وَالْخَشْيَةُ انْجِمَاعٌ، وَانْقِبَاضٌ وَسُكُونٌ، فَإِنَّ الَّذِي يَرَى الْعَدُوَّ وَالسَّيْلَ وَنَحْوَ ذَلِكَ لَهُ حَالَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: حَرَكَةٌ لِلْهَرَبِ مِنْهُ، وَهِيَ حَالَةُ الْخَوْفِ.

وَالثَّانِيَةُ: سُكُونُهُ وَقَرَارُهُ فِي مَكَانٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ فِيهِ، وَهِيَ الْخَشْيَةُ، وَمِنْهُ: انْخَشَى الشَّيْءُ، وَالْمُضَاعَفُ وَالْمُعْتَلُّ أَخَوَانِ، كَتَقَضِّي الْبَازِيِّ وَتَقَضَّضَ.

وَأَمَّا الرَّهْبَةُ فَهِيَ الْإِمْعَانُ فِي الْهَرَبِ مِنَ الْمَكْرُوهِ، وَهِيَ ضِدُّ الرَّغْبَةِ الَّتِي هِيَ سَفَرُ الْقَلْبِ فِي طَلَبِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ.

وَبَيْنَ الرَّهَبِ وَالْهَرَبِ تَنَاسُبٌ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، يَجْمَعُهُمَا الِاشْتِقَاقُ الْأَوْسَطُ الَّذِي هُوَ عَقْدُ تَقَالِيبِ الْكَلِمَةِ عَلَى مَعْنًى جَامِعٍ.

وَأَمَّا الْوَجَلُ فَرَجَفَانُ الْقَلْبِ، وَانْصِدَاعُهُ لِذِكْرِ مَنْ يُخَافُ سُلْطَانُهُ وَعُقُوبَتُهُ، أَوْ لِرُؤْيَتِهِ.

---

(١) رواه أحمد (٢٥٧٠٥) والترمذي (٣١٧٥) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (١١٠٨) ولفظه: «أَمَا وَالله، إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ للهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ».

وَأَمَّا الْهَيْبَةُ فَخَوْفٌ مُقَارِنٌ لِلتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ مَعَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ. وَالْإِجْلَالُ: تَعْظِيمٌ مَقْرُونٌ بِالْحُبِّ.

فَالْخَوْفُ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْخَشْيَةُ لِلْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ، وَالْهَيْبَةُ لِلْمُحِبِّينَ، وَالْإِجْلَالُ لِلْمُقَرَّبِينَ، وَعَلَى قَدْرِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ يَكُونُ الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً» وَفِي رِوَايَةٍ «خَوْفًا» وَقَالَ «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى»(١).

فَصَاحِبُ الْخَوْفِ يَلْتَجِئُ إِلَى الْهَرَبِ، وَالْإِمْسَاكِ، وَصَاحِبُ الْخَشْيَةِ يَلْتَجِئُ إِلَى الِاعْتِصَامِ بِالْعِلْمِ، وَمَثَلُهُمَا مَثَلُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالطِّبِّ، وَمَثَلُ الطَّبِيبِ الْحَاذِقِ، فَالْأَوَّلُ يَلْتَجِئُ إِلَى الْحِمْيَةِ وَالْهَرَبِ، وَالطَّبِيبُ يَلْتَجِئُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِالْأَدْوِيَةِ وَالْأَدْوَاءِ.

قَالَ أَبُو حَفْصٍ: الْخَوْفُ سَوْطُ اللهِ، يُقَوِّمُ بِهِ الشَّارِدِينَ عَنْ بَابِهِ، وَقَالَ: الْخَوْفُ سِرَاجٌ فِي الْقَلْبِ، بِهِ يُبْصَرُ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَكُلُّ أَحَدٍ إِذَا خِفْتَهُ هَرَبْتَ مِنْهُ إِلَّا اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّكَ إِذْ خِفْتَهُ هَرَبْتَ إِلَيْهِ. فَالْخَائِفُ هَارِبٌ مِنْ رَبِّهِ إِلَى رَبِّهِ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: مَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرِبَ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُفْيَانَ: إِذَا سَكَنَ الْخَوْفُ الْقُلُوبَ أَحْرَقَ مَوَاضِعَ الشَّهَوَاتِ مِنْهَا، وَطَرَدَ الدُّنْيَا عَنْهَا، وَقَالَ ذُو النُّونِ: النَّاسُ عَلَى الطَّرِيقِ مَا لَمْ يَزُلْ عَنْهُمُ الْخَوْفُ، فَإِذَا زَالَ عَنْهُمُ الْخَوْفُ ضَلُّوا الطَّرِيقَ، وَقَالَ حَاتِمٌ الْأَصَمُّ: لَا تَغْتَرَّ بِمَكَانٍ صَالِحٍ، فَلَا مَكَانَ أَصْلَحُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَقِيَ فِيهَا آدَمُ مَا لَقِيَ، وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ، فَإِنَّ إِبْلِيسَ بَعْدَ طُولِ الْعِبَادَةِ لَقِيَ مَا لَقِيَ، وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْعِلْمِ، فَإِنَّ بَلْعَامَ بْنَ بَاعُورَا لَقِيَ مَا لَقِيَ وَكَانَ يَعْرِفُ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ، وَلَا تَغْتَرَّ بِلِقَاءِ الصَّالِحِينَ وَرُؤْيَتِهِمْ، فَلَا شَخْصَ أَصْلَحُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِلِقَائِهِ أَعْدَاؤُهُ وَالْمُنَافِقُونَ.

وَالْخَوْفُ لَيْسَ مَقْصُودًا لِذَاتِهِ، بَلْ هُوَ مَقْصُودٌ لِغَيْرِهِ قَصْدَ الْوَسَائِلِ، وَلِهَذَا يَزُولُ بِزَوَالِ الْمَخُوفِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١٢) ابن ماجة (٤١٩٠) أحمد (٢١٥١٦) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

وَالْخَوْفُ يَتَعَلَّقُ بِالْأَفْعَالِ، وَالْمَحَبَّةُ تَتَعَلَّقُ بِالذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، وَلِهَذَا تَتَضَاعَفُ مَحَبَّةُ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ إِذَا دَخَلُوا دَارَ النَّعِيمِ، وَلَا يَلْحَقُهُمْ فِيهَا خَوْفٌ، وَلِهَذَا كَانَتْ مَنْزِلَةُ الْمَحَبَّةِ وَمَقَامُهَا أَعْلَى وَأَرْفَعَ مِنْ مَنْزِلَةِ الْخَوْفِ وَمَقَامِهِ.

وَالْخَوْفُ الْمَحْمُودُ الصَّادِقُ: مَا حَالَ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ مَحَارِمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ خِيفَ مِنْهُ الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ.

قَالَ أَبُو عُثْمَانَ: صِدْقُ الْخَوْفِ هُوَ الْوَرَعُ عَنِ الْآثَامِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ يَقُولُ: الْخَوْفُ الْمَحْمُودُ مَا حَجَزَكَ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، وَقَالَ صَاحِبُ الْمَنَازِلِ: الْخَوْفُ هُوَ الِانْخِلَاعُ مِنْ طُمَأْنِينَةِ الْأَمْنِ بِمُطَالَعَةِ الْخَبَرِ، يَعْنِي الْخُرُوجَ عَنْ سُكُونِ الْأَمْنِ بِاسْتِحْضَارِ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ][1].

❖ الرجاء:

قَالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧] فَابْتِغَاءُ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ: طَلَبُ الْقُرْبِ مِنْهُ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ. فَذَكَرَ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ الثَّلَاثَةَ الَّتِي عَلَيْهَا بِنَاؤُهُ: الْحُبَّ، وَالْخَوْفَ، وَالرَّجَاءَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥] وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف] وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة]

* وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[2] عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ - قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ -: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ»، وَفِي الصَّحِيحِ[3] عَنْهُ ﷺ «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ».

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١١).

(٢) صحيح مسلم (٢٨٧٧)

(٣) رواه أحمد (١٦٠١٦) وابن حبان (٦٣٣) والحاكم (٧٦٠٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

الرَّجَاءُ ؛ حَادٍ يَحْدُو الْقُلُوبَ إِلَى بِلَادِ الْمَحْبُوبِ. وَهُوَ اللهُ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ. وَيَطِيبُ لَهَا السَّيْرُ.

وَقِيلَ: هُوَ الِاسْتِبْشَارُ بِجُودِ وَفَضْلِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَالِارْتِيَاحُ لِمُطَالَعَةِ كَرَمِهِ سُبْحَانَهُ. وَلِهَذَا أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ الرَّجَاءَ لَا يَصِحُّ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ.

قَالَ شَاهُ الْكِرْمَانِيُّ: عَلَامَةُ صِحَّةِ الرَّجَاءِ حُسْنُ الطَّاعَةِ.

وَالرَّجَاءُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: نَوْعَانِ مَحْمُودَانِ، وَنَوْعٌ غُرُورٌ مَذْمُومٌ.

فَالْأَوَّلَانِ رَجَاءُ رَجُلٍ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ. فَهُوَ رَاجٍ لِثَوَابِهِ. وَرَجُلٌ أَذْنَبَ ذُنُوبًا ثُمَّ تَابَ مِنْهَا. فَهُوَ رَاجٍ لِمَغْفِرَةِ اللهِ تَعَالَى وَعَفْوِهِ وَإِحْسَانِهِ وَجُودِهِ وَحِلْمِهِ وَكَرَمِهِ.

وَالثَّالِثُ: رَجُلٌ مُتَمَادٍ فِي التَّفْرِيطِ وَالْخَطَايَا. يَرْجُو رَحْمَةَ اللهِ بِلَا عَمَلٍ. فَهَذَا هُوَ الْغُرُورُ وَالتَّمَنِّي وَالرَّجَاءُ الْكَاذِبُ.

وَلِلسَّالِكِ نَظَرَانِ: نَظَرٌ إِلَى نَفْسِهِ وَعُيُوبِهِ وَآفَاتِ عَمَلِهِ، يَفْتَحُ عَلَيْهِ بَابَ الْخَوْفِ إِلَى سِعَةِ فَضْلِ رَبِّهِ وَكَرَمِهِ وَبِرِّهِ. وَنَظَرٌ يَفْتَحُ عَلَيْهِ بَابَ الرَّجَاءِ.

وَلِهَذَا قِيلَ فِي حَدِّ الرَّجَاءِ: هُوَ النَّظَرُ إِلَى سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الرُّوذْبَارِيُّ: الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ كَجَنَاحَيِ الطَّائِرِ إِذَا اسْتَوَيَا اسْتَوَى الطَّيْرُ وَتَمَّ طَيَرَانُهُ. وَإِذَا نَقَصَ أَحَدُهُمَا وَقَعَ فِيهِ النَّقْصُ. وَإِذَا ذَهَبَا صَارَ الطَّائِرُ فِي حَدِّ الْمَوْتِ. وَسُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ عَاصِمٍ: مَا عَلَامَةُ الرَّجَاءِ فِي الْعَبْدِ؟ فَقَالَ: أَنْ يَكُونَ إِذَا أَحَاطَ بِهِ الْإِحْسَانُ أُلْهِمَ الشُّكْرَ، رَاجِيًا لِتَمَامِ النِّعْمَةِ مِنَ اللهِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَتَمَامِ عَفْوِهِ عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ.

وَاخْتَلَفُوا، أَيُّ الرَّجَائَيْنِ أَكْمَلُ: رَجَاءُ الْمُحْسِنِ ثَوَابَ إِحْسَانِهِ. أَوْ رَجَاءُ الْمُسِيءِ التَّائِبِ مَغْفِرَةَ رَبِّهِ وَعَفْوِهِ؟ .

فَطَائِفَةٌ رَجَّحَتْ رَجَاءَ الْمُحْسِنِ. لِقُوَّةِ أَسْبَابِ الرَّجَاءِ مَعَهُ. وَطَائِفَةٌ رَجَّحَتْ رَجَاءَ الْمُذْنِبِ؛ لِأَنَّ رَجَاءَهُ مُجَرَّدٌ عَنْ عِلَّةِ رُؤْيَةِ الْعَمَلِ، مَقْرُونٌ بِذِلَّةِ رُؤْيَةِ الذَّنْبِ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: يَكَادُ رَجَائِي لَكَ مَعَ الذُّنُوبِ يَغْلِبُ رَجَائِي لَكَ مَعَ الْأَعْمَالِ؛ لِأَنِّي أَجِدُنِي أَعْتَمِدُ فِي الْأَعْمَالِ عَلَى الْإِخْلَاصِ، وَكَيْفَ أُصَفِّيهَا وَأُحْرِزُهَا؟ وَأَنَا بِالْآفَاتِ مَعْرُوفٌ. وَأَجِدُنِي فِي الذُّنُوبِ أَعْتَمِدُ عَلَى عَفْوِكَ، وَكَيْفَ لَا تَغْفِرُهَا وَأَنْتَ بِالْجُودِ مَوْصُوفٌ؟ .

وَقَالَ أَيْضًا: إِلَهِي، أَحْلَى الْعَطَايَا فِي قَلْبِي رَجَاؤُكَ. وَأَعْذَبُ الْكَلَامِ عَلَى لِسَانِي ثَنَاؤُكَ. وَأَحَبُّ السَّاعَاتِ إِلَيَّ سَاعَةٌ يَكُونُ فِيهَا لِقَاؤُكَ.

❖ التوبة:

قَالَ النووي في رياض الصّالحين:

قَالَ العلماءُ: التَّوْبَةُ وَاجبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْب، فإِنْ كَانتِ المَعْصِيةُ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ الله تَعَالَى لا تَتَعلَّقُ بحقّ آدَمِيٍّ فَلَهَا ثَلاثَةُ شُرُوط:

أَحَدُها: أَنْ يُقلِعَ عَنِ المَعصِيَةِ.

والثَّانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا.

والثَّالثُ: أنْ يَعْزِمَ أَنْ لا يعُودَ إِلَيْهَا أَبداً. فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوبَتُهُ..

وإِنْ كَانَتِ المَعْصِيةُ تَتَعَلقُ بآدَمِيٍّ فَشُرُوطُهَا أَرْبَعَةٌ: هذِهِ الثَّلاثَةُ، وأَنْ يَبْرَأَ مِنْ حَقّ صَاحِبِها، فَإِنْ كَانَتْ مالاً أَوْ نَحوَهُ رَدَّهُ إِلَيْه، وإنْ كَانَت حَدَّ قَذْفٍ ونَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ، وإِنْ كَانْت غِيبَةً استَحَلَّهُ مِنْهَا. ويجِبُ أَنْ يَتُوبَ مِنْ جميعِ الذُّنُوبِ، فَإِنْ تَابَ مِنْ بَعْضِها صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أهْلِ الحَقِّ مِنْ ذلِكَ الذَّنْبِ وبَقِيَ عَلَيهِ البَاقي.

وَقَدْ تَظَاهَرَتْ دَلائِلُ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، وإجْمَاعِ الأُمَّةِ عَلَى وُجوبِ التَّوبةِ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٣١﴾ [النور: ٣١]، وقال تَعَالَى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [هود: ٥٢] وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

- وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إنِّي لأَسْتَغْفِرُ الله وأَتُوبُ إِلَيْه في اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[١].

(١) رواه البُخَارِيّ (٦٣٠٧).

- وعن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلى اللهِ واسْتَغْفِرُوهُ، فإِنِّي أَتُوبُ فِي اليَومِ مئة مَرَّةٍ»(١).
- وعن أبي حمزة أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وقد أضلَّهُ في أرضٍ فَلاةٍ»(٢) متفق عليه، وفي رواية لمسلم: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يتوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بأرضٍ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابهُ فأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فاضطَجَعَ في ظِلِّهَا وقد أيِسَ مِنْ رَاحلَتِهِ، فَبَينَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِها قائِمَةً عِندَهُ، فَأَخَذَ بِخِطامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبدِي وأنا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ».
- وعن أبي مُوسى عبدالله بن قَيس الأَشعَريّ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «إنَّ الله تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها»(٣).
- وعن أبي هُرَيرَة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها تَابَ اللهُ عَلَيهِ»(٤).
- وعن أبي عبد الرَّحمٰن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قَالَ: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يَقْبَلُ تَوبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»(٥).

جاء في مدارج السالكين ما ننقل منه باختصار:

[وَنَذْكُرُ نُبَذًا تَتَعَلَّقُ بِأَحْكَامِ التَّوْبَةِ، تَشْتَدُّ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا، وَلَا يَلِيقُ بِالْعَبْدِ جَهْلُهَا.

(١) رواه مسلم (٢٧٠٢).

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧).

(٣) رواه مسلم (٢٧٥٩).

(٤) رواه مسلم (٢٧٠٣).

(٥) رواه ابن ماجه (٤٢٥٣)، والترمذي (٣٥٣٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

مِنْهَا: أَنَّ الْمُبَادَرَةَ إِلَى التَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ فَرْضٌ عَلَى الْفَوْرِ، وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهَا، فَمَتَى أَخَّرَهَا عَصَى بِالتَّأْخِيرِ، فَإِذَا تَابَ مِنَ الذَّنْبِ بَقِيَ عَلَيْهِ تَوْبَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ تَوْبَتُهُ مِنْ تَأْخِيرِ التَّوْبَةِ، وَقَلَّ أَنْ تَخْطُرَ هَذِهِ بِبَالِ التَّائِبِ، بَلْ عِنْدَهُ أَنَّهُ إِذَا تَابَ مِنَ الذَّنْبِ لَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ شَيْءٌ آخَرُ، وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ مِنْ تَأْخِيرِ التَّوْبَةِ، وَلَا يُنْجِي مِنْ هَذَا إِلَّا تَوْبَةٌ عَامَّةٌ، مِمَّا يَعْلَمُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُ، فَإِنَّ مَا لَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَعْلَمُهُ، وَلَا يَنْفَعُهُ فِي عَدَمِ الْمُؤَاخَذَةِ بِهَا جَهْلُهُ إِذَا كَانَ مُتَمَكِّنًا مِنَ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ عَاصٍ بِتَرْكِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، فَالْمَعْصِيَةُ فِي حَقِّهِ أَشَدُّ، وَفِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الشِّرْكُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَكَيْفَ الْخَلَاصُ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»(١).

فَهَذَا طَلَبُ الِاسْتِغْفَارِ مِمَّا يَعْلَمُهُ اللهُ أَنَّهُ ذَنْبٌ، وَلَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَأِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»(٢).

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ، سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ، أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ»(٣)، فَهَذَا التَّعْمِيمُ وَهَذَا الشُّمُولُ لِتَأْتِيَ التَّوْبَةُ عَلَى مَا عَلِمَهُ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَمَا لَمْ يَعْلَمْهُ.

وَهَذَا يَتَبَيَّنُ بِذِكْرِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَحَقِيقَتِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨]، فَجَعَلَ وِقَايَةَ شَرِّ السَّيِّئَاتِ - وَهُوَ تَكْفِيرُهَا - بِزَوَالِ مَا يَكْرَهُ الْعَبْدُ، وَدُخُولِ الْجَنَّاتِ - وَهُوَ حُصُولُ مَا يُحِبُّ الْعَبْدُ - مَنُوطًا بِحُصُولِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَالنَّصُوحُ عَلَى وَزْنِ فَعُولٍ الْمَعْدُولِ بِهِ عَنْ فَاعِلٍ قَصْدًا لِلْمُبَالَغَةِ، كَالشَّكُورِ وَالصَّبُورِ، وَأَصْلُ مَادَّةِ (ن ص ح) لِخَلَاصِ الشَّيْءِ مِنَ الْغِشِّ وَالشَّوَائِبِ الْغَرِيبَةِ، وَهُوَ مُلَاقٍ فِي الِاشْتِقَاقِ

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦) وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٦٣٩٨) ومسلم (٢٧١٩) إلا أنه عندهم بلفظ «... وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

(٣) روى مسلم في صحيحه بمعناه برقم (٤٨٣).

الْأَكْبَرِ لِنَصَحَ إِذَا خَلَصَ، فَالنُّصْحُ فِي التَّوْبَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالْمَشُورَةِ تَخْلِيصُهَا مِنْ كُلِّ غِشٍّ وَنَقْصٍ وَفَسَادٍ، وَإِيقَاعُهَا عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ، وَالنُّصْحُ ضِدُّ الْغِشِّ.

وَقَدِ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ السَّلَفِ عَنْهَا، وَمَرْجِعُهَا إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ﷺ: (التَّوْبَةُ النَّصُوحُ أَنْ يَتُوبَ مِنَ الذَّنْبِ ثُمَّ لَا يَعُودَ إِلَيْهِ، كَمَا لَا يَعُودُ اللَّبَنُ إِلَى الضَّرْعِ) وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: (هِيَ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ نَادِمًا عَلَى مَا مَضَى، مُجْمِعًا عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ فِيهِ)، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: أَنْ يَسْتَغْفِرَ بِاللِّسَانِ، وَيَنْدَمَ بِالْقَلْبِ، وَيُمْسِكَ بِالْبَدَنِ] أهـ.

❖ الورع:

قَالَ ابن القيم رحمه الله:

[قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٥١﴾ [المؤمنون] وقال تَعَالَى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾ [المدثر] قَالَ قَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ: نَفْسَكَ فَطَهِّرْ مِنَ الذَّنْبِ. فَكَنَّى عَنِ النَّفْسِ بِالثَّوْبِ. وَهَذَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ، النَّخَعِيِّ وَالضَّحَّاكِ، وَالشَّعْبِيِّ، وَالزُّهْرِيِّ، وَالْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا تَلْبَسْهَا عَلَى مَعْصِيَةٍ وَلَا غَدْرٍ. ثُمَّ قَالَ: أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ غَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ الثَّقَفِيِّ:

وَإِنِّي - بِحَمْدِ اللهِ - لَا ثَوْبَ غَادِرٍ لَبِسْتُ وَلَا مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ

وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي وَصْفِ الرَّجُلِ بِالصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ: طَاهِرُ الثِّيَابِ. وَتَقُولُ لِلْغَادِرِ وَالْفَاجِرِ: دَنِسُ الثِّيَابِ. وَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: لَا تَلْبَسْهَا عَلَى الْغَدْرِ، وَالظُّلْمِ وَالْإِثْمِ. وَلَكِنِ الْبِسْهَا وَأَنْتَ بَرٌّ طَاهِرٌ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: عَمَلَكَ فَأَصْلِحْ (..) وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْوَرَعَ يُطَهِّرُ دَنَسَ الْقَلْبِ وَنَجَاسَتَهُ. كَمَا يُطَهِّرُ الْمَاءُ دَنَسَ الثَّوْبِ وَنَجَاسَتَهُ وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ الْوَرَعَ كُلَّهُ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ. فَقَالَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[١] فَهَذَا يَعُمُّ التَّرْكَ لِمَا لَا يَعْنِي مِنَ الْكَلَامِ، وَالنَّظَرِ، وَالِاسْتِمَاعِ، وَالْبَطْشِ وَالْمَشْيِ، وَالْفِكْرِ، وَسَائِرِ الْحَرَكَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ. فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ كَافِيَةٌ شَافِيَةٌ فِي الْوَرَعِ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١٧) وابن ماجة (٣٩٧٦) وغيرهم، وصححه الألباني.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ: الْوَرَعُ تَرْكُ كُلِّ شُبْهَةٍ، وَتَرْكُ مَالَا يَعْنِيكَ هُوَ تَرْكُ الْفَضَلَاتِ. وَفِي التِّرْمِذِيِّ[(١)] مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ» .

قَالَ الشِّبْلِيُّ: الْوَرَعُ أَنْ يُتَوَرَّعَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَى الله. وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلَفٍ: الْوَرَعُ فِي الْمَنْطِقِ أَشَدُّ مِنْهُ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالزُّهْدُ فِي الرِّيَاسَةِ أَشَدُّ مِنْهُ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، لِأَنَّهُمَا يُبْذَلَانِ فِي طَلَبِ الرِّيَاسَةِ.

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: الْوَرَعُ أَوَّلُ الزُّهْدِ، كَمَا أَنَّ الْقَنَاعَةَ أَوَّلُ الرِّضَا.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: الْوَرَعُ الْوُقُوفُ عَلَى حَدِّ الْعِلْمِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ. وَقَالَ: الْوَرَعُ عَلَى وَجْهَيْنِ. وَرَعٌ فِي الظَّاهِرِ، وَوَرَعٌ فِي الْبَاطِنِ، فَوَرَعُ الظَّاهِرِ أَنْ لَا يَتَحَرَّكَ إِلَّا للهِ، وَوَرَعُ الْبَاطِنِ هُوَ أَنْ لَا تُدْخِلَ قَلْبَكَ سِوَاهُ.

وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي الدَّقِيقِ مِنَ الْوَرَعِ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْجَلِيلِ مِنَ الْعَطَاءِ.

وَقِيلَ: الْوَرَعُ الْخُرُوجُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَتَرْكُ السَّيِّئَاتِ.

وَقِيلَ: مَنْ دَقَّ فِي الدُّنْيَا وَرَعُهُ - أَوْ نَظَرُهُ - جَلَّ فِي الْقِيَامَةِ خَطَرُهُ.

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ: الْوَرَعُ الْخُرُوجُ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ، وَمُحَاسَبَةُ النَّفْسِ فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ. وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: مَا رَأَيْتُ أَسْهَلَ مِنَ الْوَرَعِ، مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ فَاتْرُكْهُ.

وَقَالَ سَهْلٌ: الْحَلَالُ هُوَ الَّذِي لَا يُعْصَى اللهُ فِيهِ، وَالصَّافِي مِنْهُ الَّذِي لَا يُنْسَى اللهُ فِيهِ، وَسَأَلَ الْحَسَنُ غُلَامًا. فَقَالَ لَهُ: مَا مِلَاكُ الدِّينِ؟ قَالَ: الْوَرَعُ. قَالَ: فَمَا آفَتُهُ؟ قَالَ: الطَّمَعُ. فَعَجِبَ الْحَسَنُ مِنْهُ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْوَرَعِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ مِثْقَالٍ مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: جُلَسَاءُ الله غَدًا أَهْلُ الْوَرَعِ وَالزُّهْدِ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ.

وَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: كُنَّا نَدَعُ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي بَابٍ مِنَ الْحَرَامِ..

الْخَوْفُ يُثْمِرُ الْوَرَعَ وَالِاسْتِعَانَةَ وَقِصَرَ الْأَمَلِ. وَقُوَّةُ الْإِيمَانِ بِاللِّقَاءِ تُثْمِرُ الزُّهْدَ. وَالْمَعْرِفَةُ تُثْمِرُ الْمَحَبَّةَ وَالْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ. وَالْقَنَاعَةُ تُثْمِرُ الرِّضَاءَ. وَالذِّكْرُ يُثْمِرُ حَيَاةَ الْقَلْبِ. وَالْإِيمَانُ بِالْقَدْرِ يُثْمِرُ التَّوَكُّلَ. وَدَوَامُ تَأَمُّلِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ يُثْمِرُ الْمَعْرِفَةَ. وَالْوَرَعُ يُثْمِرُ الزُّهْدَ أَيْضًا. وَالتَّوْبَةُ تُثْمِرُ الْمَحَبَّةَ أَيْضًا، وَدَوَامُ الذِّكْرِ

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٥) وابن ماجة (٤٢١٧) واللفظ له، وصححه الألباني، وحسنه الأرنؤوط.

يُثْمِرُهَا. وَالرِّضَا يُثْمِرُ الشُّكْرَ. وَالْعَزِيمَةُ وَالصَّبْرُ يُثْمِرَانِ جَمِيعَ الْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ. وَالْإِخْلَاصُ وَالصِّدْقُ كُلٌّ مِنْهُمَا يُثْمِرُ الْآخَرَ وَيَقْتَضِيهِ. وَالْمَعْرِفَةُ تُثْمِرُ الْخُلُقَ. وَالْفِكْرُ يُثْمِرُ الْعَزِيمَةَ. وَالْمُرَاقَبَةُ تُثْمِرُ عِمَارَةَ الْوَقْتِ، وَحِفْظَ الْأَيَّامِ وَالْحَيَاءَ، وَالْخَشْيَةَ وَالْإِنَابَةَ. وَإِمَاتَةُ النَّفْسِ وَإِذْلَالُهَا وَكَسْرُهَا يُوجِبُ حَيَاةَ الْقَلْبِ وَعِزَّهُ وَجَبْرَهُ. وَمَعْرِفَةُ النَّفْسِ وَمَقْتُهَا يُوجِبُ الْحَيَاءَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاسْتِكْثَارَ مَا مِنْهُ، وَاسْتِقْلَالَ مَا مِنْكَ مِنَ الطَّاعَاتِ. وَمَحْوَ أَثَرِ الدَّعْوَى مِنَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَصِحَّةُ الْبَصِيرَةِ تُثْمِرُ الْيَقِينَ. وَحَسَنُ التَّأَمُّلِ لِمَا تَرَى وَتَسْمَعُ مِنَ الْآيَاتِ الْمَشْهُودَةِ وَالْمَتْلُوَّةِ يُثْمِرُ صِحَّةَ الْبَصِيرَةِ.

وَمِلَاكُ ذَلِكَ كُلِّهِ: أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ تَنْقُلَ قَلْبَكَ مِنْ وَطَنِ الدُّنْيَا فَتُسْكِنَهُ فِي وَطَنِ الْآخِرَةِ، ثُمَّ تُقْبِلَ بِهِ كُلِّهِ عَلَى مَعَانِي الْقُرْآنِ وَاسْتِجْلَائِهَا وَتَدَبُّرِهَا، وَفَهْمِ مَا يُرَادُ مِنْهُ وَمَا نَزَلَ لِأَجْلِهِ، وَأَخْذِ نَصِيبِكَ وَحَظِّكَ مِنْ كُلِّ آيَةٍ مِنْ آيَاتِهِ، وَتُنْزِلَهَا عَلَى دَاءِ قَلْبِكَ.

فَهَذِهِ طَرِيقٌ مُخْتَصَرَةٌ قَرِيبَةٌ سَهْلَةٌ. مُوَصِّلَةٌ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى. آمِنَةٌ لَا يَلْحَقُ سَالِكَهَا خَوْفٌ وَلَا عَطَبٌ، وَلَا جَوْعٌ وَلَا عَطَشٌ، وَلَا فِيهَا آفَةٌ مِنْ آفَاتِ سَائِرِ الطَّرِيقِ الْبَتَّةَ. وَعَلَيْهَا مِنَ اللهِ حَارِسٌ وَحَافِظٌ يَكْلَأُ السَّالِكِينَ فِيهَا وَيَحْمِيهِمْ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ. وَلَا يَعْرِفُ قَدْرَ هَذِهِ الطَّرِيقِ إِلَّا مَنْ عَرَفَ طُرُقَ النَّاسِ وَغَوَائِلَهَا وَآفَاتِهَا وَقُطَّاعَهَا. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ]أهـ (١).

❖ الخشوع:

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢):

[قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: (مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ)، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (إِنَّ اللهَ اسْتَبْطَأَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، فَعَاتَبَهُمْ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ نُزُولِ الْقُرْآنِ) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون] وَالْخُشُوعُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ الِانْخِفَاضُ، وَالذُّلُّ، وَالسُّكُونُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨] أَيْ سَكَنَتْ، وَذَلَّتْ، وَخَضَعَتْ، وَمِنْهُ وَصْفُ

---

(١) مدارج السالكين / منزلة الزهد (٢/ ٢٢).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥١٧).

الْأَرْضِ بِالْخُشُوعِ، وَهُوَ يُبْسُهَا، وَانْخِفَاضُهَا، وَعَدَمُ ارْتِفَاعِهَا بِالرِّيِّ وَالنَّبَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩]

وَالْخُشُوعُ: قِيَامُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ بِالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ، وَالْجَمْعِيَّةِ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: الْخُشُوعُ الِانْقِيَادُ لِلْحَقِّ، وَهَذَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْخُشُوعِ، فَمِنْ عَلَامَاتِهِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا خُولِفَ وَرُدَّ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ وَالِانْقِيَادِ.

وَقِيلَ: الْخُشُوعُ خُمُودُ نِيرَانِ الشَّهْوَةِ، وَسُكُونُ دُخَانِ الصُّدُورِ، وَإِشْرَاقُ نُورِ التَّعْظِيمِ فِي الْقَلْبِ، وَقَالَ الْجُنَيْدُ: الْخُشُوعُ تَذَلُّلُ الْقُلُوبِ لِعَلَّامِ الْغُيُوبِ.

وَأَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ الْخُشُوعَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ، وَثَمَرَتُهُ عَلَى الْجَوَارِحِ، وَهِيَ تُظْهِرُهُ، وَرَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ»[(١)]، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**التَّقْوَى هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**»[(٢)] وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: حُسْنُ أَدَبِ الظَّاهِرِ عُنْوَانُ أَدَبِ الْبَاطِنِ، وَرَأَى بَعْضُهُمْ رَجُلًا خَاشِعَ الْمَنْكِبَيْنِ وَالْبَدَنِ، فَقَالَ: يَا فُلَانُ، الْخُشُوعُ هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ، لَا هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى مَنْكِبَيْهِ.

وَكَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَهُوَ حُذَيْفَةُ، يَقُولُ: (إِيَّاكُمْ وَخُشُوعَ النِّفَاقِ، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ: أَنْ تَرَى الْجَسَدَ خَاشِعًا وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ)[(٣)]، وَرَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَجُلًا طَأْطَأَ رَقَبَتَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: (يَا صَاحِبَ الرَّقَبَةِ، ارْفَعْ رَقَبَتَكَ، لَيْسَ الْخُشُوعُ فِي الرِّقَابِ، إِنَّمَا الْخُشُوعُ فِي الْقُلُوبِ)، وَرَأَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا شَبَابًا يَمْشُونَ وَيَتَمَارَوْنَ فِي مِشْيَتِهِمْ، فَقَالَتْ لِأَصْحَابِهَا: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالُوا: نُسَّاكٌ، فَقَالَتْ: (كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا مَشَى أَسْرَعَ، وَإِذَا قَالَ أَسْمَعَ، وَإِذَا ضَرَبَ أَوْجَعَ، وَإِذَا أَطْعَمَ أَشْبَعَ، وَكَانَ هُوَ النَّاسِكَ حَقًّا)، وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: كَانَ يُكْرَهُ أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ مِنَ الْخُشُوعِ أَكْثَرَ مِمَّا فِي قَلْبِهِ، وَقَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْخُشُوعُ،

---

(١) انظر حلية الأولياء (١٠/ ٢٣٠) ومصنف ابن أبي الشيبة (٦٧٨٧) وقال الألباني في إرواء الغليل (٣٧٣): موضوع.

(٢) مسلم (٢٥٦٤).

(٣) روى البيهقي في شعب الإيمان (٦٥٦٨) بمعناه من قول أبي بكر ﷺ.

وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الصَّلَاةُ، وَرُبَّ مُصَلٍّ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَيُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ الْجَمَاعَةِ فَلَا تَرَى فِيهِمْ خَاشِعًا)، وَقَالَ سَهْلٌ: مَنْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَمْ يَقْرَبْ مِنْهُ الشَّيْطَانُ] أهـ.

❖ الزهد:

قَالَ الإِمَامُ ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٨):

فصل ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين:

قَالَ الله تَعَالَى ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] وقال تَعَالَى ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد]

وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنَ التَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِخْبَارِ بِخِسَّتِهَا، وَقِلَّتِهَا وَانْقِطَاعِهَا، وَسُرْعَةِ فَنَائِهَا. وَالتَّرْغِيبِ فِي الْآخِرَةِ، وَالْإِخْبَارِ بِشَرَفِهَا وَدَوَامِهَا. فَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا أَقَامَ فِي قَلْبِهِ شَاهِدًا يُعَايِنُ بِهِ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَيُؤْثِرُ مِنْهُمَا مَا هُوَ أَوْلَى بِالْإِيثَارِ.

وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ مِنَ الْكَلَامِ فِي الزُّهْدِ وَكُلٌّ أَشَارَ إِلَى ذَوْقِهِ. وَنَطَقَ عَنْ حَالِهِ وَشَاهِدِهِ. فَإِنَّ غَالِبَ عِبَارَاتِ الْقَوْمِ عَنْ أَذْوَاقِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ. وَالْكَلَامُ بِلِسَانِ الْعِلْمِ أَوْسَعُ مِنَ الْكَلَامِ بِلِسَانِ الذَّوْقِ، وَأَقْرَبُ إِلَى الْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - يَقُولُ: (الزُّهْدُ تَرْكُ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ. وَالْوَرَعُ تَرْكُ مَا تَخَافُ ضَرَرُهُ فِي الْآخِرَةِ)، وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَأَجْمَعِهَا.

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: (الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قِصَرُ الْأَمَلِ. لَيْسَ بِأَكْلِ الْغَلِيظِ، وَلَا لُبْسِ الْعَبَاءِ).

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: (سَمِعْتُ سَرِيًّا يَقُولُ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَلَبَ الدُّنْيَا عَنْ أَوْلِيَائِهِ وَحَمَاهَا عَنْ أَصْفِيَائِهِ، وَأَخْرَجَهَا مِنْ قُلُوبِ أَهْلِ وِدَادِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرْضَهَا لَهُمْ)، وَقَالَ: الزُّهْدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد] فَالزَّاهِدُ لَا يَفْرَحُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَوْجُودٍ. وَلَا يَأْسَفُ مِنْهَا عَلَى مَفْقُودٍ)، وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: (الزُّهْدُ يُورِثُ السَّخَاءَ بِالْمُلْكِ، وَالْحُبُّ

يُورِثُ السَّخَاءَ بِالرُّوحِ)، وَقَالَ ابْنُ الْجَلَاءِ: (الزُّهْدُ هُوَ النَّظَرُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الزَّوَالِ، فَتَصْغُرُ فِي عَيْنَيْكَ، فَيَسْهُلُ عَلَيْكَ الْإِعْرَاضُ عَنْهَا.

وَقَالَ ابْنُ خَفِيفٍ: الزُّهْدُ وُجُودُ الرَّاحَةِ فِي الْخُرُوجِ مِنَ الْمُلْكِ، وَقَالَ أَيْضًا: الزُّهْدُ سُلُوُّ الْقَلْبِ عَنِ الْأَسْبَابِ، وَنَفْضُ الْأَيْدِي مِنَ الْأَمْلَاكِ، وَقِيلَ: هُوَ عُزُوفُ الْقَلْبِ عَنِ الدُّنْيَا بِلَا تَكَلُّفٍ.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: الزُّهْدُ خُلُوُّ الْقَلْبِ عَمَّا خَلَتْ مِنْهُ الْيَدُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قِصَرُ الْأَمَلِ، وَعَنْهُ رِوَايَةٌ أُخْرَى أَنَّهُ عَدَمُ فَرَحِهِ بِإِقْبَالِهَا. وَلَا حُزْنِهِ عَلَى إِدْبَارِهَا. فَإِنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَكُونُ مَعَهُ أَلْفُ دِينَارٍ. هَلْ يَكُونُ زَاهِدًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. عَلَى شَرِيطَةِ أَنْ لَا يَفْرَحَ إِذَا زَادَتْ، وَلَا يَحْزَنَ إِذَا نَقَصَتْ.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هُوَ الثِّقَةُ بِاللهِ مَعَ حُبِّ الْفَقْرِ. وَهَذَا قَوْلُ شَقِيقٍ وَيُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ.

وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ: الزُّهْدُ: الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَالدِّرْهَمِ.

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: تَرْكُ مَا يُشْغِلُ عَنِ اللهِ. وَهُوَ قَوْلُ الشِّبْلِيِّ.

وَسَأَلَ رُوَيْمٌ الْجُنَيْدَ عَنِ الزُّهْدِ؟ فَقَالَ: اسْتِصْغَارُ الدُّنْيَا، وَمَحْوُ آثَارِهَا مِنَ الْقَلْبِ، وَقَالَ مَرَّةً: هُوَ خُلُوُّ الْيَدِ عَنِ الْمُلْكِ، وَالْقَلْبِ عَنِ التَّتَبُّعِ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: لَا يَبْلُغُ أَحَدٌ حَقِيقَةَ الزُّهْدِ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: عَمَلٌ بِلَا عَلَاقَةٍ، وَقَوْلٌ بِلَا طَمَعٍ، وَعِزٌّ بِلَا رِيَاسَةٍ، وَقَالَ أَيْضًا: الزَّاهِدُ يُسْعِطُكَ الْخَلَّ وَالْخَرْدَلَ، وَالْعَارِفُ يُشِمُّكَ الْمِسْكَ وَالْعَنْبَرَ.

وَقِيلَ: حَقِيقَتُهُ هُوَ الزُّهْدُ فِي النَّفْسِ. وَهَذَا قَوْلُ ذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ، وَقِيلَ: الزُّهْدُ الْإِيثَارُ عِنْدَ الِاسْتِغْنَاءِ، وَالْفُتُوَّةُ: الْإِيثَارُ عِنْدَ الْحَاجَةِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وَقَالَ رَجُلٌ لِيَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ: مَتَى أَدْخُلُ حَانُوتَ التَّوَكُّلِ، وَأَلْبَسُ رِدَاءَ الزَّاهِدِينَ، وَأَقْعُدُ مَعَهُمْ؟ فَقَالَ: إِذَا صِرْتَ مِنْ رِيَاضَتِكَ لِنَفْسِكَ إِلَى حَدٍّ لَوْ قَطَعَ اللهُ الرِّزْقَ عَنْكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ تَضْعُفْ نَفْسُكَ. فَأَمَّا مَا لَمْ تَبْلُغْ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ فَجُلُوسُكَ عَلَى بِسَاطِ الزَّاهِدِينَ جَهْلٌ، ثُمَّ لَا آمَنُ عَلَيْكَ أَنْ تَفْتَضِحَ.

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: الزُّهْدُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ. الْأَوَّلُ تَرْكُ الْحَرَامِ. وَهُوَ زُهْدُ الْعَوَامِّ. وَالثَّانِي تَرْكُ الْفُضُولِ مِنَ الْحَلَالِ. وَهُوَ زُهْدُ الْخَوَاصِّ. وَالثَّالِثُ تَرْكُ مَا يَشْغَلُ عَنِ اللهِ. وَهُوَ زُهْدُ الْعَارِفِينَ.

وَهَذَا الْكَلَامُ مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ الْمَشَايِخِ، مَعَ زِيَادَةِ تَفْصِيلِهِ وَتَبْيِينِ دَرَجَاتِهِ. وَهُوَ مِنْ أَجْمَعِ الْكَلَامِ. وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ رِضَى الله عَنْهُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى. وَقَدْ شَهِدَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ بِإِمَامَتِهِ فِي ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ أَحَدُهَا الزُّهْدُ).

وَالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْعَارِفُونَ أَنَّ الزُّهْدَ سَفَرُ الْقَلْبِ مِنْ وَطَنِ الدُّنْيَا، وَأَخْذُهُ فِي مَنَازِلِ الْآخِرَةِ. وَعَلَى هَذَا صَنَّفَ الْمُتَقَدِّمُونَ كُتُبَ الزُّهْدِ. كَالزُّهْدِ لِعَبْدِ الله بْنِ الْمُبَارَكِ، وَلِلْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَلِوَكِيعٍ، وَلِهَنَّادِ بْنِ السَّرِيِّ، وَلِغَيْرِهِمْ.

وَمُتَعَلِّقُهُ سِتَّةُ أَشْيَاءَ. لَا يَسْتَحِقُّ الْعَبْدُ اسْمَ الزُّهْدِ حَتَّى يَزْهَدَ فِيهَا وَهِيَ: الْمَالُ، وَالصُّوَرُ، وَالرِّيَاسَةُ، وَالنَّاسُ، وَالنَّفْسُ، وَكُلُّ مَا دُونَ الله.

وَلَيْسَ الْمُرَادُ رَفْضَهَا مِنَ الْمُلْكِ. فَقَدْ كَانَ سُلَيْمَانُ وَدَاوُدُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ أَزْهَدِ أَهْلِ زَمَانِهِمَا. وَلَهُمَا مِنَ الْمَالِ وَالْمُلْكِ وَالنِّسَاءِ مَا لَهُمَا. وَكَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ أَزْهَدِ الْبَشَرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَلَهُ تِسْعُ نِسْوَةٍ. وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَالزُّبَيْرُ وَعُثْمَانُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - مِنَ الزُّهَّادِ. مَعَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ. وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ الزُّهَّادِ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَكْثَرِ الْأُمَّةِ مَحَبَّةً لِلنِّسَاءِ وَنِكَاحًا لَهُنَّ، وَأَغْنَاهُمْ. وَكَانَ عَبْدُ الله بْنُ الْمُبَارَكِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الزُّهَّادِ، مَعَ مَالٍ كَثِيرٍ. وَكَذَلِكَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الزُّهَّادِ. وَكَانَ لَهُ رَأْسُ مَالٍ يَقُولُ: لَوْلَا هُوَ لَتَمَنْدَلَ بِنَا هَؤُلَاءِ.

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الزُّهْدِ، كَلَامُ الْحَسَنِ أَوْ غَيْرِهِ: «لَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ، وَلَا إِضَاعَةِ الْمَالِ. وَلَكِنْ أَنْ تَكُونَ بِمَا فِي يَدِ الله أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِكَ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ - إِذَا أُصِبْتَ بِهَا - أَرْغَبُ مِنْكَ فِيهَا لَوْ لَمْ تُصِبْكَ» . فَهَذَا مِنْ أَجْمَعِ كَلَامٍ فِي الزُّهْدِ وَأَحْسَنِهِ. وَقَدْ رُوِيَ مَرْفُوعًا.

وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الزُّهْدِ هَلْ هُوَ مُمْكِنٌ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ أَمْ لَا؟

فَقَالَ أَبُو حَفْصٍ: الزُّهْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْحَلَالِ. وَلَا حَلَالَ فِي الدُّنْيَا، فَلَا زُهْدَ. وَخَالَفَهُ النَّاسُ فِي هَذَا. وَقَالُوا: بَلِ الْحَلَالُ مَوْجُودٌ فِيهَا. وَفِيهَا الْحَرَامُ كَثِيرًا. وَعَلَى تَقْدِيرِ: أَنْ لَا يَكُونَ فِيهَا الْحَلَالُ، فَهَذَا أَدْعَى إِلَى الزُّهْدِ فِيهَا، وَتَنَاوُلِ مَا يَتَنَاوَلُهُ الْمُضْطَرُّ مِنْهَا، كَتَنَاوُلِهِ لِلْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ.

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ: (لَوْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا بَلَغَ فِي الزُّهْدِ مَنْزِلَةَ أَبِي ذَرٍّ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَسَلْمَانَ وَالْمِقْدَادِ وَأَشْبَاهِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مَا قُلْتُ لَهُ زَاهِدٌ؛ لِأَنَّ الزُّهْدَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْحَلَالِ الْمَحْضِ. وَالْحَلَالُ الْمَحْضُ لَا يُوجَدُ فِي زَمَانِنَا هَذَا. وَأَمَّا الْحَرَامُ فَإِنِ ارْتَكَبْتَهُ عَذَّبَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ).

(درجات الزهد): الدَّرَجَةُ الْأُولَى: الزُّهْدُ فِي الشُّبْهَةِ بَعْدَ تَرْكِ الْحَرَامِ بِالْحَذَرِ مِنَ الْمَعْتَبَةِ، وَالْأَنَفَةِ مِنَ الْمَنْقَصَةِ، وَكَرَاهَةِ مُشَارَكَةِ الْفُسَّاقِ.

أَمَّا الزُّهْدُ فِي الشُّبْهَةِ فَهُوَ تَرْكُ مَا يُشْتَبَهُ عَلَى الْعَبْدِ هَلْ هُوَ حَلَالٌ، أَوْ حَرَامٌ؟ كَمَا فِي حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اتَّقَى الْحَرَامَ. وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى. يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى. أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ. أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ. وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ. أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[1] فَالشُّبُهَاتُ بَرْزَخٌ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ (...)

وَقَوْلُهُ: بَعْدَ تَرْكِ الْحَرَامِ؛ أَيْ تَرْكِ الشُّبْهَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَرْكِ الْحَرَامِ.

وَقَوْلُهُ: بِالْحَذَرِ مِنَ الْمَعْتَبَةِ، يَعْنِي أَنْ يَكُونَ سَبَبَ تَرْكِهِ لِلشُّبْهَةِ الْحَذَرُ مِنْ تَوَجُّهِ عَتَبِ اللهِ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: وَالْأَنَفَةِ مِنَ الْمَنْقَصَةِ؛ أَيْ يَأْنَفُ لِنَفْسِهِ مِنْ نَقْصِهِ عِنْدَ رَبِّهِ، وَسُقُوطِهِ مِنْ عَيْنَيْهِ. لَا أَنَفَتُهُ مِنْ نَقْصِهِ عِنْدَ النَّاسِ، وَسُقُوطِهِ مِنْ أَعْيُنِهِمْ. وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَيْسَ مَذْمُومًا، بَلْ هُوَ مَحْمُودٌ أَيْضًا. وَلَكِنَّ الْمَذْمُومَ أَنْ تَكُونَ أَنَفَتُهُ كُلُّهَا مِنَ النَّاسِ، وَلَا يَأْنَفُ مِنَ اللهِ.

وَقَوْلُهُ: وَكَرَاهَةِ مُشَارَكَةِ الْفُسَّاقِ؛ يَعْنِي أَنَّ الْفُسَّاقَ يَزْدَحِمُونَ عَلَى مَوَاضِعِ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا. وَلِتِلْكَ الْمَوَاقِفِ بِهِمْ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ. فَالزَّاهِدُ يَأْنَفُ مِنْ مُشَارَكَتِهِمْ فِي تِلْكَ الْمَوَاقِفِ. وَيَرْفَعُ نَفْسَهُ عَنْهَا، لِخِسَّةِ شُرَكَائِهِ فِيهَا، كَمَا قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: مَا الَّذِي زَهَّدَكَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: قِلَّةُ وَفَائِهَا، وَكَثْرَةُ جَفَائِهَا، وَخِسَّةُ شُرَكَائِهَا.

---

(١) متفق عليه رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).

إِذَا لَمْ أَتْرُكِ الْمَـــاءَ اتِّقَـاءً تَرَكْتُ لِكَثْرَةِ الشُّرَكَاءِ فِيهِ
إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ عَلَى طَعَامٍ رَفَعْتُ يَدَيْ وَنَفْسِي تَشْتَهِيهِ
وَتَجْتَنِبُ الْأُسُـــودُ وُرُودَ مَاءٍ إِذَا كَانَ الْكِلَابُ يَلِغْنَ فِيهِ

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ:

الزُّهْدُ فِي الْفُضُولِ. وَهُوَ مَا زَادَ عَلَى الْمُسْكَةِ وَالْبَلَاغِ مِنَ الْقُوتِ، بِاغْتِنَامِ التَّفَرُّغِ إِلَى عِمَارَةِ الْوَقْتِ. وَحَسْمِ الْجَأْشِ، وَالتَّحَلِّي بِحِلْيَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ

الْفُضُولُ مَا يَفْضُلُ عَنْ قَدَرِ الْحَاجَةِ. وَالْمُسْكَةُ مَا يَمْسِكُ النَّفْسَ مِنَ الْقُوتِ وَالشَّرَابِ، وَاللِّبَاسِ وَالْمَسْكَنِ، وَالْمَنْكَحِ إِذَا احْتَاجَ إِلَيْهِ. وَالْبَلَاغُ هُوَ الْبُلْغَةُ مِنْ ذَلِكَ، الَّذِي يَتَبَلَّغُ بِهِ الْمُسَافِرُ فِي مَنَازِلِ السَّفَرِ. فَيَزْهَدُ فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ، اغْتِنَامًا لِتَفَرُّغِهِ لِعِمَارَةِ وَقْتِهِ.

وَلَمَّا كَانَ الزُّهْدُ لِأَهْلِ الدَّرَجَةِ الْأُولَى خَوْفًا مِنَ الْمَعْتَبَةِ، وَحَذَرًا مِنَ الْمَنْقَصَةِ كَانَ الزُّهْدُ لِأَهْلِ هَذِهِ الدَّرَجَةِ أَعْلَى وَأَرْفَعَ. وَهُوَ اغْتِنَامُ الْفَرَاغِ لِعِمَارَةِ أَوْقَاتِهِمْ مَعَ اللهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا اشْتَغَلَ بِفُضُولِ الدُّنْيَا، فَاتَهُ نَصِيبُهُ مِنَ انْتِهَازِ فُرْصَةِ الْوَقْتِ. فَالْوَقْتُ سَيْفٌ إِنْ لَمْ تَقْطَعْهُ وَإِلَّا قَطَعَكَ.

وَعِمَارَةُ الْوَقْتِ الِاشْتِغَالُ فِي جَمِيعِ آنَائِهِ بِمَا يُقَرِّبُ إِلَى اللهِ، أَوْ يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مَأْكَلٍ أَوْ مُشْرَبٍ، أَوْ مَنْكَحٍ، أَوْ مَنَامٍ أو..)

وَأَمَّا حَسْمُ الْجَأْشِ فَهُوَ قَطْعُ اضْطِرَابِ الْقَلْبِ، الْمُتَعَلِّقِ بِأَسْبَابِ الدُّنْيَا، رَغْبَةً وَرَهْبَةً، وِحُبًّا وَبُغْضًا، وَسَعْيًا. فَلَا يَصِحُّ الزُّهْدُ لِلْعَبْدِ حَتَّى يَقْطَعَ هَذَا الِاضْطِرَابَ مِنْ قَلْبِهِ. بِأَنْ لَا يَلْتَفِتَ إِلَيْهَا، وَلَا يَتَعَلَّقَ بِهَا فِي حَالَتَيْ مُبَاشَرَتِهِ لَهَا وَتَرْكِهِ. فَإِنَّ الزُّهْدَ زُهْدُ الْقَلْبِ، لَا زُهْدُ التَّرْكِ مِنَ الْيَدِ وَسَائِرِ الْأَعْضَاءِ. فَهُوَ تَخَلِّي الْقَلْبِ عَنْهَا. لَا خُلُوُّ الْيَدِ مِنْهَا.

وَأَمَّا التَّحَلِّي بِحِلْيَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا حَقًّا. إِذْ هُمْ مُشَمِّرُونَ إِلَى عَلَمٍ قَدْ رُفِعَ لَهُمْ غَيْرُهَا. فَهُمْ زَاهِدُونَ، وَإِنْ كَانُوا لَهَا مُبَاشِرِينَ.

الدرجة الثَّالثة: الزُّهْدُ فِي الزُّهْدِ. وَهُوَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: اسْتِحْقَارُ مَا زَهِدْتَ فِيهِ. وَاسْتِوَاءُ الْحَالَاتِ فِيهِ عِنْدَكَ. وَالذَّهَابُ عَنْ شُهُودِ الِاكْتِسَابِ، نَاظِرًا إِلَى وَادِي الْحَقَائِقِ.

وَقَدْ فَسَّرَ الشَّيْخُ مُرَادَهُ بِالزُّهْدِ فِي الزُّهْدِ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ.

أَحَدُهَا: احْتِقَارُهُ مَا زَهِدَ فِيهِ. فَإِنَّ مَنِ امْتَلَأَ قَلْبُهُ بِمَحَبَّةِ الله وَتَعْظِيمِهِ لَا يَرَى أَنَّ مَا تَرَكَهُ لِأَجْلِهِ مِنَ الدُّنْيَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُجْعَلَ قُرْبَانًا؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا لَا تُسَاوِي عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ. فَالْعَارِفُ لَا يَرَى زُهْدَهُ فِيهَا كَبِيرَ أَمْرٍ يُعْتَدُّ بِهِ وَيُحْتَفَلُ لَهُ، فَيَسْتَحِي مَنْ صَحَّ لَهُ الزُّهْدُ أَنْ يَجْعَلَ لِمَا تَرَكَهُ لِلهِ قَدْرًا يُلَاحَظُ زُهْدَهُ فِيهِ، بَلْ يَفْنَى عَنْ زُهْدِهِ فِيهِ كَمَا فَنِيَ عَنْهُ. وَيَسْتَحِي مِنْ ذِكْرِهِ بِلِسَانِهِ، وَشُهُودِهِ بِقَلْبِهِ.

وَأَمَّا اسْتِوَاءُ الْحَالَاتِ فِيهِ عِنْدَهُ فَهُوَ أَنْ يَرَى تَرْكَ مَا زَهِدَ فِيهِ وَأَخْذَهُ مُتَسَاوِيَيْنِ عِنْدَهُ. إِذْ لَيْسَ لَهُ عِنْدَهُ قَدْرٌ. وَهَذَا مِنْ دَقَائِقِ فِقْهِ الزُّهْدِ. فَيَكُونُ زَاهِدًا فِي حَالِ أَخْذِهِ، كَمَا هُوَ زَاهِدٌ فِي حَالِ تَرْكِهِ، إِذْ هِمَّتُهُ أَعْلَى مِنْ مُلَاحَظَتِهِ أَخْذًا وَتَرْكًا، لِصِغَرِهِ فِي عَيْنِهِ.

وَأَمَّا الذَّهَابُ عَنْ شُهُودِ الِاكْتِسَابِ فَمَعْنَاهُ أَنَّ مَنِ اسْتَصْغَرَ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَاسْتَوَتِ الْحَالَاتُ فِي أَخْذِهَا وَتَرْكِهَا عِنْدَهُ لَمْ يَرَ أَنَّهُ اكْتَسَبَ بِتَرْكِهَا عِنْدَ الله دَرَجَةً الْبَتَّةَ؛ لِأَنَّهَا أَصْغَرُ فِي عَيْنِهِ مِنْ أَنْ يَرَى أَنَّهُ اكْتَسَبَ بِتَرْكِهَا الدَّرَجَاتِ.

وَفِيهِ مَعْنًى آخَرُ: وَهُوَ أَنْ يُشَاهِدَ تَفَرُّدَ الله عَزَّ وَجَلَّ بِالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ. فَلَا يَرَى أَنَّهُ تَرَكَ شَيْئًا وَلَا أَخَذَ شَيْئًا. بَلِ اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الْمُعْطِي الْمَانِعُ. فَمَا أَخَذَهُ فَهُوَ مَجْرًى لِعَطَاءِ الله إِيَّاهُ، كَمَجْرَى الْمَاءِ فِي النَّهْرِ. وَمَا تَرَكَهُ لِلهِ، فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي مَنَعَهُ مِنْهُ. فَيَذْهَبُ بِمُشَاهَدَةِ الْفَعَّالِ وَحْدَهُ عَنْ شُهُودِ كَسْبِهِ وَتَرْكِهِ. فَإِذَا نَظَرَ إِلَى الْأَشْيَاءِ بِعَيْنِ الْجَمْعِ، وَسَلَكَ فِي وَادِي الْحَقِيقَةِ، غَابَ عَنْ شُهُودِ اكْتِسَابِهِ. وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: نَاظِرًا إِلَى وَادِي الْحَقَائِقِ. وَهَذَا أَلْيَقُ الْمَعْنَيَيْنِ بِكَلَامِهِ. فَهَذَا زُهْدُ الْخَاصَّةِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

إذا زهدتني في الهوى خشية الردى ... جلت لي عن وجه يزهد في الزهد

فضل الزهد في الدُّنيَا والحث عَلى التقلل منها وفضل الفقر:

جاء في رياض الصّالحين:

- عن أنس رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إلا عَيْشَ الآخِرَةِ»[(١)] متفق عليه.

(١) رواه البخاري (٦٤١٣)، ومسلم (١٨٠٥).

- وعنه عن رسول الله ﷺ قَالَ «يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاَثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ: فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيبْقَى عَمَلُهُ»(١) متفق عليه.
- وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيَقُولُ: لاَ وَاللهِ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»(٢).
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»(٣) متفق عليه، وهذا لفظ مسلم، وفي رواية البُخَارِيّ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ».
- وعنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»(٤).
- وعنه رضي الله عنه قَالَ: (لَقَدْ رَأَيْتُ سَبعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، مَا منهُم رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ: إِمَّا إِزارٌ، وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا فِي أعنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ)(٥).
- وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الكَافِرِ»(٦).

---

(١) رواه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

(٢) رواه مسلم (٢٨٠٧).

(٣) رواه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).

(٤) رواه البُخَارِيّ (٦٤٣٥).

(٥) رواه البُخَارِيّ (٤٤٢).

(٦) رواه مسلم (٢٩٥٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: أخذ رسول الله ﷺ بِمَنْكِبَيَّ، فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَو عَابِرُ سَبيلٍ»، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (إِذَا أَمْسَيتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)(١).

قالوا في شَرْحِ هَذَا الحديث معناه: لاَ تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا وَلاَ تَتَّخِذْهَا وَطَنًا، وَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُولِ البَقَاءِ فِيهَا، وَلاَ بِالاعْتِنَاءِ بِهَا، وَلاَ تَتَعَلَّقْ مِنْهَا إِلاَّ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْغَرِيبُ فِي غَيْرِ وَطَنِهِ، وَلاَ تَشْتَغِلْ فِيهَا بِمَا لاَ يَشْتَغِلُ بِهِ الغَرِيبُ الَّذِي يُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى أَهْلِهِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

- عن أبي العبّاس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ فقال: يَا رسولَ الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فقال: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبّكَ النَّاسُ»(٢).

- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قَالَ: ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ: (لَقَدْ رَأَيْتُ رسول الله ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ)(٣)، «الدَّقَلُ» بفتح الدَّال المهملة والقاف: رديءُ التَّمرِ.

- وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قَالَ: (هَاجَرْنَا مَعَ رسول الله ﷺ نَلْتَمِسُ وَجْهَ الله تَعَالَى، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى الله، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَأْكُل منْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ: مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ رضي الله عنه قُتِلَ يَوْمَ أُحُد، وَتَرَكَ نَمِرَةً، فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ، بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رِجْلَيْهِ، بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رسول الله ﷺ أَنْ نُغَطِّي رَأْسَهُ، وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الإِذْخِرِ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا)(٤).

- عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»(٥).

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦).

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٠٢) وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٢٩٧٨).

(٤) رواه البخاري (٣٨٩٧)، ومسلم (٩٤٠).

(٥) رواه ابن ماجه (٤١١٠)، والترمذي (٢٣٢٠)، وصححه الألباني.

- وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَلاَ إِنَّ الدُّنيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلاَّ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعالِمًا وَمُتَعَلِّمًا»(١).
- عن عبدالله بن الشِّخِير ﷺ أنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مالي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!»(٢)
- عن عبدالله بن مغفل ﷺ قَالَ: قَالَ رجل للنبي ﷺ: يَا رسولَ الله، وَالله إِنِّي لأُحِبُّكَ، فَقَالَ: «انْظُرْ مَاذَا تَقُولُ؟» قَالَ: وَالله إِنِّي لأُحِبُّكَ، ثَلاَثَ مَرَّات، فقَالَ: «إِنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافًا، فإِنَّ الفَقْرَ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ»(٣).
- عن عبدالله بن مسعود ﷺ قَالَ: نام رسول الله ﷺ عَلَى حَصِيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ في جَنْبِهِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا في الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»(٤).
- عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يدْخُلُ الفُقَرَاءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمسِمِائَةِ عَامٍ»(٥).
- وعن ابن عباس وعمران بن الحصين ﷺ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»(٦) متفق عليه.
- وعن أُسَامَة بن زيد ﷺ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِم إِلَى النَّارِ»(٧).

---

(١) ابن ماجه (٤١١٢)، والترمذي (٢٣٢٢) وقال: «حديث حسن غريب»، وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٨).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٥٠) وقال: «حديث حسن غريب»، وضعفه الألباني.

(٤) رواه ابن ماجه (٤١٠٩)، والترمذي (٢٣٧٧) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٥) رواه ابن ماجه (٤١٢٢)، والترمذي (٢٣٥٣)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح» وبه قال الألباني.

(٦) رواه البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٧).

(٧) رواه البخاري (٥١٩٦)، ومسلم (٢٧٣٦).

فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار عَلى القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النّفس وترك الشّهوَات:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾ [مريم] وقال تعالَى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ [القصص] وقال تَعالَى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾ [التكاثر] وقال تَعالَى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨﴾ [الإسراء] والآيات في البَاب كثيرة معلومة.

- عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: وَاللهَّ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلى الهِلالِ ثمَّ الهِلالِ. ثُمَّ الهلالِ ثلاثةُ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ. وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رسولِ اللهَّ ﷺ نارٌ، قُلْتُ: يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قالتْ: الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ، إلاَّ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لرسول اللهَّ ﷺ جِيرانٌ مِنَ الأَنْصارِ. وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلى رسولِ اللهَّ ﷺ مِنْ أَلبانها فَيَسْقِينا[1]. متفقٌ عَلَيْهِ.
- وعن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذا هُوَ بِأَبي بكرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُما مِنْ بُيُوتِكُما هذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالا: الجُوعُ يَا رَسولَ الله، قالَ: «وَأَنا، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأَخْرَجَني الَّذِي أَخْرَجَكُما. قُوما» فقَاما مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلاً مِنَ الأَنْصارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بيتهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ المَرأَةُ قالَتْ: مَرْحَباً وَأَهْلاً، فقال لَهَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «أَيْنَ فُلانٌ» قالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الماءَ، إِذْ جاءَ الأَنْصاريُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ للهَّ، مَا أَحَدٌ اليَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيافاً مِنِّي فانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وتَمْرٌ ورُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا، وَأَخَذَ المُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رسُولُ اللهَّ ﷺ: «إِيَّاكَ وَالحَلُوبَ» فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذلكَ العِذْقِ وشَرِبُوا. فلَمَّا أَنْ شَبعُوا وَرَوُوا، قَالَ رسولُ اللهَّ ﷺ لأَبي بكرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما: «وَالَّذِي نَفْسي

(١) متفق عليه رواه البخاري (٢٥٦٧) ومسلم (٢٩٧٢).

بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هذا النَّعِيمُ»(١).

- وعن خالدِ بنِ عُمَرَ العَدَوِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بنُ غَزْوانَ، وكانَ أَمِيراً عَلى البَصْرَةِ، فَحمِدَ اللهَ وأَثْنى عليْهِ، ثُمَّ قَالَ: (أَمَا بعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ، ووَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبابةِ الإِناءِ يتصابُّها صاحِبُها، وإِنَكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْها إِلَى دارٍ لاَ زَوالَ لَها، فانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُم فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِى فِيهَا سَبْعِينَ عاماً لاَ يُدْرِكُ لَهَا قَعْراً، واللهِ لَتُمْلأَنَّ.. أَفَعَجِبْتُمْ؟ ولَقَدْ ذُكِرَ لَنا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْراعَيْنِ مِنْ مَصارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيرةَ أَرْبَعِينَ عَاماً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيها يَوْمٌ وهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحامِ، وَلَقَدْ رأَيتُني سابِعَ سبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مالَنا طَعامٌ إِلاَّ وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْداقُنا، فالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فشَقَقْتُها بيْني وَبَينَ سَعْدِ بنِ مالكٍ فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِها، وَاتَّزَر سَعْدٌ بنِصفِها، فَمَا أَصْبَحَ اليَوْم مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ أَصْبَحَ أَمِيراً عَلى مِصْرٍ مِنْ الأَمْصَارِ. وإِنِي أَعُوذُ باللهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسي عَظِيماً، وعِنْدَ اللهِ صَغِيراً)(٢).
- وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَها بالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا باللهِ، فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ»(٣).

❖ أمراض القلوب وشفائها

قَالَ شيخ الإِسْلَام ابن تَيمِيّة في كتاب أمراض القلوب(٤):

[قَالَ الله تَعَالَى عن المُنَافِقِين في سورة البقرة: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] وقال تَعَالَى في سورة الحجّ: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٣] وقال في سورة الأحزاب: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ

(١) رواه مسلم (٢٠٣٨).

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٧).

(٣) رواه أبو داود (١٦٤٥)، والترمذي (٢٣٢٦) وقال: «حديث حسن صحيح غريب».وصححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

(٤) الفتاوى (١٠/١٠٨).

﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠﴾ وقال في سورة المدثر: ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾ [المدثر: ٣١] وقال تعالَى في سورة يونس: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ وقال في الإسراء: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢﴾ وقال في التوبة: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾.

وَ (مَرَضُ الْبَدَنِ) خِلَافُ صِحَّتِهِ وَصَلَاحِهِ وَهُوَ فَسَادٌ يَكُونُ فِيهِ يَفْسُدُ بِهِ إدْرَاكُهُ وَحَرَكَتُهُ الطَّبِيعِيَّةُ فَإِدْرَاكُهُ إمَّا أَنْ يَذْهَبَ كَالْعَمَى وَالصَّمَمِ. وَإِمَّا أَنْ يُدْرِكَ الْأَشْيَاءَ عَلَى خِلَافِ مَا هِيَ عَلَيْهِ كَمَا يُدْرِكُ الْحُلْوَ مُرًّا وَكَمَا يُخَيَّلُ إلَيْهِ أَشْيَاءَ لَا حَقِيقَةَ لَهَا فِي الْخَارِجِ. وَأَمَّا فَسَادُ حَرَكَتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ فَمِثْلُ أَنْ تَضْعُفَ قُوَّتُهُ عَنْ الْهَضْمِ أَوْ مِثْلُ أَنْ يُبْغِضَ الْأَغْذِيَةَ الَّتِي يَحْتَاجُ إلَيْهَا وَيُحِبَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَضُرُّهُ وَيَحْصُلُ لَهُ مِنْ الْآلَامِ بِحَسَبِ ذَلِكَ؛ وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ الْمَرَضِ لَمْ يَمُتْ وَلَمْ يَهْلَكْ؛ بَلْ فِيهِ نَوْعُ قُوَّةٍ عَلَى إدْرَاكِ الْحَرَكَةِ الْإِرَادِيَّةِ فِي الْجُمْلَةِ فَيَتَوَلَّدُ مِنْ ذَلِكَ أَلَمٌ يَحْصُلُ فِي الْبَدَنِ إمَّا بِسَبَبِ فَسَادِ الْكَمِّيَّةِ أَوْ الْكَيْفِيَّةِ: فَالْأَوَّلُ أَمَّا نَقْصُ الْمَادَّةِ فَيَحْتَاجُ إلَى غِذَاءٍ وَأَمَّا بِسَبَبِ زِيَادَاتِهَا فَيَحْتَاجُ إلَى اسْتِفْرَاغٍ.

وَالثَّانِي كَقُوَّةٍ فِي الْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ خَارِجٍ عَنْ الِاعْتِدَالِ فَيُدَاوَى وَكَذَلِكَ (مَرَضُ الْقَلْبِ) هُوَ نَوْعُ فَسَادٍ يَحْصُلُ لَهُ يَفْسُدُ بِهِ تَصَوُّرُهُ وَإِرَادَتُهُ فَتَصَوُّرُهُ بِالشُّبُهَاتِ الَّتِي تَعْرِضُ لَهُ حَتَّى لَا يَرَى الْحَقَّ أَوْ يَرَاهُ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَإِرَادَتُهُ بِحَيْثُ يُبْغِضُ الْحَقَّ النَّافِعَ وَيُحِبُّ الْبَاطِلَ الضَّارَّ؛ فَلِهَذَا يُفَسَّرُ الْمَرَضُ تَارَةً بِالشَّكِّ وَالرَّيْبِ. كَمَا فَسَّرَ مُجَاهِدٌ وقتادة قَوْلَهُ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أَيْ: شَكٌّ. وَتَارَةً يُفَسَّرُ بِشَهْوَةِ الزِّنَا كَمَا فُسِّرَ بِهِ قَوْلُهُ: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب] (...)وَالْمَرَضُ دُونَ الْمَوْتِ فَالْقَلْبُ يَمُوتُ بِالْجَهْلِ الْمُطْلَقِ وَيَمْرَضُ بِنَوْعٍ مِنْ الْجَهْلِ فَلَهُ مَوْتٌ وَمَرَضٌ وَحَيَاةٌ وَشِفَاءٌ وَحَيَاتُهُ وَمَوْتُهُ وَمَرَضُهُ وَشِفَاؤُهُ أَعْظَمُ مِنْ حَيَاةِ الْبَدَنِ وَمَوْتِهِ وَمَرَضِهِ وَشِفَائِهِ فَلِهَذَا مَرَضُ الْقَلْبِ إذَا وَرَدَ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ أَوْ شَهْوَةٌ قَوَّتْ مَرَضَهُ وَإِنْ حَصَلَتْ لَهُ حِكْمَةٌ وَمَوْعِظَةٌ كَانَتْ مِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِهِ وَشِفَائِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج: ٥٣] لِأَنَّ ذَلِكَ أَوْرَثَ شُبْهَةً عِنْدَهُمْ وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبُهُمْ لِيُبْسِهَا فَأُولَئِكَ قُلُوبُهُمْ ضَعِيفَةٌ بِالْمَرَضِ فَصَارَ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لَهُمْ وَهَؤُلَاءِ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ قَاسِيَةً عَنْ الْإِيمَانِ فَصَارَ فِتْنَةً لَهُمْ.

وَقَالَ: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الأحزاب: ٦٠]، كَمَا قَالَ: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [المدثر: ٣١] لَمْ تَمُتْ قُلُوبُهُمْ كَمَوْتِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَلَيْسَتْ صَحِيحَةً صَالِحَةً كَصَالِحِ

قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ فِيهَا مَرَضُ شُبْهَةٍ وَشَهَوَاتٍ وَكَذَلِكَ ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب] وَهُوَ مَرَضُ الشَّهْوَةِ فَإِنَّ الْقَلْبَ الصَّحِيحَ لَوْ تَعَرَّضَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ لَمْ يَلْتَفِتْ إلَيْهَا بِخِلَافِ الْقَلْبِ الْمَرِيضِ بِالشَّهْوَةِ فَإِنَّهُ لِضَعْفِهِ يَمِيلُ إلَى مَا يَعْرِضُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْمَرَضِ وَضَعْفِهِ فَإِذَا خَضَعْنَ بِالْقَوْلِ طَمِعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ. وَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَمَنْ فِي قَلْبِهِ أَمْرَاضُ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ فَفِيهِ مِنْ الْبَيِّنَاتِ مَا يُزِيلُ الْحَقَّ مِنْ الْبَاطِلِ فَيُزِيلُ أَمْرَاضَ الشُّبْهَةِ الْمُفْسِدَةِ لِلْعِلْمِ وَالتَّصَوُّرِ وَالْإِدْرَاكِ بِحَيْثُ يَرَى الْأَشْيَاءَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَفِيهِ مِنْ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ وَالْقَصَصِ الَّتِي فِيهَا عِبْرَةٌ مَا يُوجِبُ صَلَاحَ الْقَلْبِ فَيَرْغَبُ الْقَلْبُ فِيمَا يَنْفَعُهُ وَيَرْغَبُ عَمَّا يَضُرُّهُ فَيَبْقَى الْقَلْبُ مُحِبًّا لِلرَّشَادِ مُبْغِضًا لِلْغَيِّ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُرِيدًا لِلْغَيِّ مُبْغِضًا لِلرَّشَادِ. فَالْقُرْآنُ مُزِيلٌ لِلْأَمْرَاضِ الْمُوجِبَةِ لِلْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ حَتَّى يَصْلُحَ الْقَلْبُ فَتَصْلُحُ إرَادَتُهُ وَيَعُودُ إلَى فِطْرَتِهِ الَّتِي فُطِرَ عَلَيْهَا كَمَا يَعُودُ الْبَدَنُ إلَى الْحَالِ الطَّبِيعِيِّ وَيَغْتَذِي الْقَلْبُ مِنْ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ بِمَا يُزَكِّيهِ وَيُؤَيِّدُهُ كَمَا يَغْتَذِي الْبَدَنُ بِمَا يُنَمِّيهِ وَيُقَوِّمُهُ فَإِنَّ زَكَاةَ الْقَلْبِ مِثْلُ نَمَاءِ الْبَدَنِ. وَ(الزَّكَاةُ) فِي اللُّغَةِ: النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ فِي الصَّلَاحِ. يُقَالُ: زَكَا الشَّيْءُ إذَا نَمَا فِي الصَّلَاحِ فَالْقَلْبُ يَحْتَاجُ أَنْ يَتَرَبَّى فَيَنْمُو وَيَزِيدُ حَتَّى يَكْمُلَ وَيَصْلُحَ كَمَا يَحْتَاجُ الْبَدَنُ أَنْ يُرَبَّى بِالْأَغْذِيَةِ الْمُصْلِحَةِ لَهُ وَلَا بُدَّ مَعَ ذَلِكَ مِنْ مَنْعِ مَا يَضُرُّهُ فَلَا يَنْمُو الْبَدَنُ إلَّا بِإِعْطَاءِ مَا يَنْفَعُهُ وَمَنْعِ مَا يَضُرُّهُ كَذَلِكَ الْقَلْبُ لَا يَزْكُو فَيَنْمُو وَيَتِمُّ صَلَاحُهُ إلَّا بِحُصُولِ مَا يَنْفَعُهُ وَدَفْعِ مَا يَضُرُّهُ وَكَذَلِكَ الزَّرْعُ لَا يَزْكُو إلَّا بِهَذَا. وَ (الصَّدَقَةُ) لَمَّا كَانَتْ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ صَارَ الْقَلْبُ يَزْكُو بِهَا وَزَكَاتُهُ مَعْنًى زَائِدٌ عَلَى طَهَارَتِهِ مِنْ الذَّنْبِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] وَكَذَلِكَ تَرْكُ الْفَوَاحِشِ يَزْكُو بِهَا الْقَلْبُ. وَكَذَلِكَ تَرْكُ الْمَعَاصِي فَإِنَّهَا بِمَنْزِلَةِ الْأَخْلَاطِ الرَّدِيئَةِ فِي الْبَدَنِ وَمِثْلُ الدَّغَلِ فِي الزَّرْعِ فَإِذَا اسْتَفْرَغَ الْبَدَنُ مِنْ الْأَخْلَاطِ الرَّدِيئَةِ كَاسْتِخْرَاجِ الدَّمِ الزَّائِدِ تَخَلَّصَتْ الْقُوَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ وَاسْتَرَاحَتْ فَيَنْمُو الْبَدَنُ وَكَذَلِكَ الْقَلْبُ إذَا تَابَ مِنْ الذُّنُوبِ كَانَ اسْتِفْرَاغًا مِنْ تَخْلِيطَاتِهِ حَيْثُ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا فَإِذَا تَابَ مِنْ الذُّنُوبِ تَخَلَّصَتْ قُوَّةُ الْقَلْبِ وَإِرَادَاتُهُ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَاسْتَرَاحَ الْقَلْبُ مِنْ تِلْكَ الْحَوَادِثِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ. فَزَكَاةُ الْقَلْبِ بِحَيْثُ يَنْمُو وَيَكْمُلُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] وقال تَعَالَى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨] وقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ

مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور] وقال تعالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى] وقال تعالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس].

فَالتَّزْكِيَةُ وَإِنْ كَانَ أَصْلُهَا النَّمَاءُ وَالْبَرَكَةُ وَزِيَادَةُ الْخَيْرِ فَإِنَّمَا تَحْصُلُ بِإِزَالَةِ الشَّرِّ؛ فَلِهَذَا صَارَ التَّزَكِّي يَجْمَعُ هَذَا وَهَذَا. وَقَالَ: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت] وَهِيَ التَّوْحِيدُ وَالْإِيمَانُ الَّذِي بِهِ يَزْكُو الْقَلْبُ فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ نَفْيَ إلَهِيَّةِ مَا سِوَى الْحَقِّ مِنْ الْقَلْبِ وَإِثْبَاتَ إلَهِيَّةِ الْحَقِّ فِي الْقَلْبِ وَهُوَ حَقِيقَةُ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ. وَهَذَا أَصْلُ مَا تَزْكُو بِهِ الْقُلُوبُ....

قَالَ تَعَالَى ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام: ٣٩] وذكر سبحانه آية النور وآية الظُّلمة فقال ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]. فهذا مثل نور الإيمان في قلوب المُؤمنين ثمّ قَالَ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور] فَالْأول مثل الاعتقادات الْفَاسِدَة والأعمال التابعة لَهَا يحسبها صَاحبهَا شَيْئا يَنْفَعهُ فَإِذا جاءها لم يجدهَا شَيْئا يَنْفَعهُ فوفاه الله حسابه على تِلْكَ الْأَعْمَال وَالثَّانِي مثل للْجَهْل الْبَسِيط وَعدم الايمان وَالْعلم فَإِن صَاحبهَا فِي ظلمات بَعْضهَا فَوق بعض لَا يبصر شَيْئا فَإِن الْبَصَر إِنَّمَا هُوَ بنُور الْإِيمَان وَالْعلم قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف]. وقال تعالَى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] وَهُوَ بُرهَان الْإِيمَان الَّذِي حَصَلَ فِي قلبه فَصرف اللهُ بِه مَا كَانَ هُم بِه وكَتب لَهُ حَسنة كَامِلَة ولم يَكتب عَلَيه خَطِيئة إِذ فعلَ خَيراً وَلم يَفعل سَيئة....

وَالَّذِينَ هَدَاهُمْ اللهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ حَتَّى صَارُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ الْمُتَّقِينَ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ذَلِكَ دُعَاؤُهُمْ اللهَ بِهَذَا الدُّعَاءِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ مَعَ عِلْمِهِمْ بِحَاجَتِهِمْ وَفَاقَتِهِمْ إلَى الله دَائِمًا فِي أَنْ يَهْدِيَهُمْ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. فَبِدَوَامِ هَذَا الدُّعَاءِ وَالِافْتِقَارِ صَارُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ الْمُتَّقِينَ. قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الله التستري لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ طَرِيقٌ أَقْرَبَ إلَيْهِ مِنْ الِافْتِقَارِ وَمَا حَصَلَ فِيهِ الْهُدَى فِي الْمَاضِي فَهُوَ مُحْتَاجٌ إلَى حُصُولِ الْهُدَى فِيهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَهَذَا حَقِيقَةُ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: ثَبِّتْنَا وَاهْدِنَا لُزُومَ الصِّرَاطِ. وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: زِدْنَا هُدًى

يَتَنَاوَلُ مَا تَقَدَّمَ؛ لَكِنْ هَذَا كُلُّهُ هُدًى مِنْهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ فَإِنَّ الْعَمَلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِالْعِلْمِ لَمْ يَحْصُلْ بَعْدُ وَلَا يَكُونُ مُهْتَدِيًا حَتَّى يَعْمَلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِالْعِلْمِ وَقَدْ لَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ الْمُسْتَقْبَلِ بَلْ يَزُولُ عَنْ الْقَلْبِ وَإِنْ حَصَلَ فَقَدْ لَا يَحْصُلُ الْعَمَلُ فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مُضْطَرُّونَ إلَى هَذَا الدُّعَاءِ؛ وَلِهَذَا فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ فَلَيْسُوا إلَى شَيْءٍ مِنْ الدُّعَاءِ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إلَيْهِ وَإِذَا حَصَلَ الْهُدَى إلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ حَصَلَ النَّصْرُ وَالرِّزْقُ وَسَائِرُ مَا تَطْلُبُ النُّفُوسُ مِنْ السَّعَادَةِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ]أ هـ.

***تكلم الإمَام أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدّين عن مسألة القلوب وأمراضها وعلاجها ما ننقل منه – باختصار-:**

(**مكانة القلب**): (فشرف الإنسان وفضيلته الّتي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه الّتي هيَ في الدُّنيَا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو المتقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة، فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله، وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الّذي يسعد بالقرب من الله فيفلح إذا زكاه وهو الّذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تَعَالَى وإنّما الّذي ينتشر عَلى الجوارح من العِبَادات أنواره وهو العاصي المتمرّد عَلى الله تَعَالَى، وإنما السّاري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظَّاهِر ومساوئه إذ كلّ إناء ينضح بما فيه وهو الّذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه، وهو الّذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه، ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم، فإن ﴿ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ وحيلولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفيَّة تقلبه بين أصبعينِ مع أصابعِ الرَّحْمٰن وأنه كيف يهوي مرّة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين، وكيف يرتفع أُخرى إلى أعلى عليين، ويرتقي إلى عالم الملائكة المقربين، ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه

وفيه فهو ممن قَالَ الله تَعَالَى فيه: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر] فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدّين وأساس طريق السالكين).

(القلب الأبيض والقلب الأسود)

«فإذا طَابَ المِلكُ طَابَتْ جُنُودُهُ»، فقالت: هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول[1]، وقال علي ﷺ في تمثيل القلوب: (إن لله تَعَالَى في أرضه آنية وهي القلوب فأحبها إليه تَعَالَى أرقها وأصفاها وأصلبها ثمّ فسره، فقال: أصلبها في الدّين وأصفاها في اليقين وأرقها عَلَى الإخوان، وهو إشارة إلى قوله تَعَالَى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩] وقوله تَعَالَى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ [النور: ٣٥] قَالَ أبي بن كعب ﷺ: معناه مثل نور المؤمن وقلبه، وقوله تَعَالَى: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾ [النور: ٤٠] مثل قلب المنافق، وقال زيد بن أسلم في قوله تَعَالَى: ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ [البروج] وهو قلب المؤمن، وقال سهل: (مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي) فهذه أمثلة القلب [...]

ولو عكس الأمر وقهر الجميع (جميع الصفات والغرائز في الإنسان) تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور عَلَى ما هيَ عليه والاستيلاء عَلَى الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم عَلَى الخلق لكمال العلم وجلاله، ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب، ولانتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثلَ العفة والقناعة والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النّفس والصّبر والحلم والاحتمال والعفو والثّبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها، فالقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الأمور المؤثرة فيه وهذه الآثار عَلَى التّواصل واصلة إلى القلب أما الآثار المحمودة الّتي ذكرناها فإنها تزيد مرآة القلب جلاء وإشراقا ونورا وضياء حتَّى يتلألأ فيه جلية الحقّ وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدّين (..) وهذا القلب هو الّذي يستقر فيه الذكر

---

(١) ورد في نوادر الأصول في أحاديث الرسول (٢/ ١٩٢)، والزهد لأبي داود (٤٦٩) بهذا اللفظ، و جاء عند البيهقي في الشعب (١٠٨) لفظ « إذا صلح الملك صلحت جنوده» من حديث أبي هريرة، وضعفه الألباني.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد] وأما الآثار المذمومة فإنها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرّة بعد أُخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تَعَالَى، وهو الطبع وهو الرين، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين] وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف] فربط عدم السماع بالطبع بالذّنوب كما ربط السماع بالتقوى، فقال تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟﴾ [المائدة: ١٠٨]﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ومهما تراكمت الذّنوب طبع عَلَى القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحقّ وصلاح الدّين ويستهين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدُّنيَا ويصير مقصور الهم عليها فإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك ﴿يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الممتحنة] وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذّنوب كما نطق به القرآن والسنة، قَالَ ميمون بن مهران: إذا أذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع وتاب صقل وإن عاد زيد فيها حتَّى يعلو قلبه فهو الران، وقد قَالَ النبيّ ﷺ: «قلب المؤمن أَجْرَدُ فيهِ سراجٌ يُزهِرُ وقلبُ الكافرِ أسودٌ منكوسٌ»(١) فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشَّهَوَات مصقلة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن أقبل عَلَى المعاصي اسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة الّتي يتنفس فيها ثمّ تمسح ويتنفس ثمّ تتمسح فإنها لا تخلو عن كدورة، وقد قَالَ ﷺ: «الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلَبٌ أَجْرَدُ فيهِ سراجٌ يُزهِرُ فذلكَ قلبُ المؤمنِ وَقَلَبٌ أسودٌ مَنْكُوسٌ فذلكَ قلبُ الكافرِ وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلَافِهِ فذلكَ قلبُ المنافقِ وقلبٌ مُصفحٌ فيهِ إيمانٌ ونفاقٌ»(٢) فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطّيب ومثل النِّفَاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف] فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل

(١) هو بعض من الحديث الّذي يليه.

(٢) أخرجه أحمد (١١١٢٩) والطبراني في الصغير (١٠٧٥) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الّذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تَعَالَى.

(بيان تفصيل مداخل الشّيطان إلى القلب وأثر ذلك)

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر عَلى حفظ الحصن من العدوّ إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر عَلى حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه فحماية القلب عن وسواس الشّيطان واجبة وهو فرض عين عَلى كلّ عبد مكلف وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشّيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشّيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب الّتي لا تضيق عن كثرة جنود الشّيطان فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فإن الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشّيطان ومهما غضب الإنسان لعب الشّيطان به كما يلعب الصبي بالكرة، فقد روي أن موسى الْتَلِيَّةِ لقيه إبليس فقال له: يا موسى أنت الّذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما، وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب علي! فقال موسى: نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عَزَّ وَجَلَّ وأراد النزول، قَالَ له ربه: أد الأمانة، فقال موسى: يا ربّ عبدك إبليس يريد أن تتوب عليه، فأوحى الله تَعَالَى إلى موسى: يا موسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتَّى يتاب عليه، فلقي موسى إبليس فقال له: قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتَّى يتاب عليك، فغضب واستكبر وقال: لم أسجد له حيا أسجد له ميتا!؟ ثمّ قَالَ له: يا موسى إن لك علي حقا بما شفعت لي إلى ربّك فاذكرني عند ثلاث؛ لا أهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فإن روحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدَّم، اذكرني إذا غضبت فإنه إذا غضب الإنسان نفخت فيه أنفه فما يدري ما يصنع واذكرني حين تلقي الزَّحف فإني آتى ابن آدم حين يلقى الزَّحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتَّى يولى، وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها فلا أزال حتَّى أفتنك بها وأفتنها بك فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص فإن الفرار من الزَّحف حرص عَلى الدُّنيَا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله.

وقد ذكر أن بعض الأولياء قَالَ لإبليس: أرني كيف تغلب ابن آدم فقال: آخذه عند الغضب وعند الهوى فقد حكى أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب أي أخلاق بني آدم أعون لك؟ قَالَ: الحدة فإن العبد إذا كانَ حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة، وقيل إن الشّيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتَّى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتَّى أكون في رأسه ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص فمهما كانَ العبد حريصا عَلَى كلّ شيء أعماه حرصه وأصمه، إذ قَالَ ﷺ: «حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي ويُصِمُّ»[(١)] ونور البصيرة هو الّذي يعرف مداخل الشّيطان فإذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشّيطان فرصة فيحسن عند الحريص كلّ ما يوصله إلى شهوته وإن كانَ مُنكرا وفاحشا فقد روي أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كلّ زوجين اثنين كما أمره الله تَعَالَى فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك؟، فقال: دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك؟ فقال له نوح: أخرج منها يا عدو الله فإنك لعين، فقال له إبليس: خمس أهلك بهن النّاس وسأحدثك منهم بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله تَعَالَى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنين، فقال له نوح: ما الاثنتان؟ فقال: هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما أهلك النّاس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما، وأما الحرص فإنه أبيح لآدم الجنّة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام وإن كانَ حلالا صافيا فإن الشبع يقوي الشَّهَوَات والشهوات أَسْلِحة الشّيطان، فقد روي أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السَّلام فرأى عليه معاليق من كلّ شيء، فقال له: يا إبليس ما هذه المعاليق، قَالَ: هذه الشَّهَوَات الّتي أصبت بها ابن آدم، فقال فهل فيها من شيء؟ قَالَ: ربما شبعت فثقلناك عن الصّلاة وعن الذكر، قَالَ: فهل غير ذلك؟ قَالَ: لا، قَالَ: لله علي أن لا أملأ بطني من الطعام أبدا، فقال له إبليس: ولله علي أن لا أنصح مسلما أبدا.

ويقال في كثرة الأكل ست خصال مذمومة :

---

(١) رواه أبو داود من (٥١٣٠) وأحمد (٢١٦٩٤) ضعفه الألباني وقال الأرنؤوط :الحديث صحيح موقوف وهذا إسناد ضعيف.

أولها: أن يذهب خوف الله من قلبه، الثّاني: أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شباع، والثّالث: أنه يثقل عن الطاعة والرّابع: أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة، والخامس: أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب النّاس، والسّادس: أن يهيج فيه الأمراض ومن أبوابه حب التزين من الأثاث والثياب والدار فإن الشّيطان إذا رأى ذلك غالبا عَلى قلب الإنسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره وإذا أوقعه في ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشّيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه ومن أبوابه العظيمة الطمع في النّاس لأنه إذا غلب الطمع عَلى القلب لم يزل الشّيطان يحبب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس حتَّى المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه ويدخل كلّ مدخل للوصول إلى ذلك وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس تمثل لعبدالله بن حنظلة فقال: له يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا أعلمك به، فقال: لا حاجة لي به، قَالَ: انظر فإن كانَ خيراً أخذت وإن كانَ شرا رددت، يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة، وانظر كيف تكون.. إذا غضبت فإني أملكك إذا غضبت.. ومن أبوابه العظيمة العجلة وترك التثبت في الأمور وقال ﷺ: «الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ والتَّأَنِّي مِنَ الله تَعَالَى»[1] وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] وقال تَعَالَى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء] وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤] وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشّيطان شره عَلى الإنسان من حيث لا يدري فقد روي أنه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام قد نكست رءوسها فقال هذا حادث مكانكم فطار حتَّى أتى خافقي الأرض فلم يجد شيئا ثمّ وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا الملائكة حافين به فرجع إليهم فقال إن نبيا قد ولد البارحة ما

---

(١) أخرجه التِّرْمِذِيّ (٢٠١٢) من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة وقال: (حسن)، وضعفه الألباني.

حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأيسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة ومن أبوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار فإن كلّ ما يزيد عَلى قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشّيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا عَلى طريق انبعث من قلبه شهوات تحتاج كلّ شهوة منها إلى مائة دينار أُخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أُخرى وقد كانَ قبل وجود المئة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا إلى تسعمائة ليشتري دارا يعمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه، قَالَ ثابت البناني: (لما بُعث رسول الله ﷺ قَالَ إِبْلِيسُ لِشَيَاطِينِهِ: لَقَدْ حَدَثَ أَمْرٌ فَانْظُرُوا مَا هُوَ، فَانْطَلَقُوا حتَّى أعيوا ثُمَّ جَاءُوهُ، وقالوا: ما ندري، قَالَ: أَنَا آتِيْكُمْ بِالْخَبَرِ فذهبِ ثمّ جَاء، وَقَالَ: قَد بَعَثَ اللهُ محمّدا ﷺ، قَالَ: فَجَعَلَ يُرْسِلُ شَيَاطِينَهُ إِلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فيَنصرفُون خَائبين، وَيقولونَ: مَا صَحِبْنَا قَوْمًا قَطُّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ، نُصِيبُ مِنْهُمْ ثُمَّ يَقُومُونَ إِلَى صَلَاتِهِمْ فَيُمْحَى ذَلِكَ، فقَالَ لهم إِبْلِيسُ: رُوَيْدًا بهم عَسَى الله أَنْ يَفتحَ لهمُ الدُّنيَا فنصيب مِنهم حَاجَتَنَا)(١)، وروي أن عيسى عليه الصّلاة والسّلام توسد يومًا حجرًا فمر به إبليس، فقال: يا عيسى رغبت في الدُّنيَا فأخذه عيسى ﷺ فرمى به من تحت رأسه وقال: (هذا لك مع الدُّنيَا)، وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدُّنيَا ما يمكن أن يكون عدّة للشيطان عليه فإن القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كانَ بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعوه إلى النوم وإلى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ببال ولا تتحرك رغبته إلى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الميثرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تَعَالَى ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فإن ذلك هو الّذي يمنع الإنفاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكنز والعذاب الأليم وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز قَالَ خيثمة بن عبد الرَّحمٰن إن

(١) رواه ابن أبي الدُّنيَا في مكايد الشّيطان مرسلا، وفي الزهد (٢٢٩) ولطرفه الأول شاهد صححه الألباني عند الترمذي (٣٣٢٤).

الشّيطان يقول ما غلبني ابن غلبة فلن يغلبني عَلى ثلاث أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ في البَاطِل ومنع من الحقّ وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن آفات البخل الحرص عَلى ملازمة الأسواق لجمع المال والأسواق هيَ معشش الشياطين (...) ومن أبوابه العظيمة التوصل التعصب للمذاهب والأهواء والحقد عَلى الخصوم والنَّظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العِبَاد والفساق جميعا فإن الطعن في النّاس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية فإذا خيل إليه الشّيطان أن ذلك هو الحقّ وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته عَلى قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسعى في الدّين وهو ساع في اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتعصب لأبي بكر الصّديق ﷺ وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لأنواع الفساد ولو رآه أبو بكر لكان أول عدو له إذ موالي أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته ﷺ أن يضع حصاة في فمه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فأنى لهذا الفضولي أن يدعى ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته وترى فضوليا آخر يتعصب لعلي ﷺ وكان من زهد علي وسيرته أنه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسغ ونرى الفاسق لابسا الثياب الحرير ومتجملا بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب علي ﷺ ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من أخذ ولدا عزيزا لإنسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدّين والشَّرع كانا أحب إلا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصّحابة ﷺ من الأهل والولد بل من أنفسهم والمقتحمون لمعاصي الشَّرع هم الّذين يمزقون الشَّرع ويقطعونه بمقاريض الشَّهَوَات ويتوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصّحابة وعند أولياء الله تَعَالَى لا بل لو كشف الغطاء وعرف هَؤُلَاءِ ما تحبه الصّحابة في أمة رسول الله ﷺ لاستحيوا أن يجروا عَلى اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم ثمّ إن الشّيطان يخيل إليهم أن من مات محبا لأبي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله ﷺ يقول لفاطمة ﷺ

وهي بضعة منه[١]: «اعمَلِي فإنّي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا»[٢]، وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الإِمَام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له كانَ مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل لا لأجل الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة الّتي هيَ مذهبي ومسلكي الّذي سلكته وذهبت فيه إلى الله تَعَالَى ثمّ ادعيت مذهبي كاذبًا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشّيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلمت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدّين بصيرتهم وقويت في الدُّنيَا رغبتهم واشتد عَلَى الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم عَلَى مكايد الشّيطان فيه بل نابوا عن الشّيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر النّاس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا فالله تَعَالَى يتوب علينا وعليهم، وقال الحسن: (بلغنا أن إبليس، قَالَ: سولت لأمة محمّد ﷺ المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تَعَالَى منها وهي الأهواء) وقد صدق الملعون فإنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب الّتي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشّيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين النّاس في المذاهب والخصومات: قَالَ عبدالله بن مسعود: (جلس قوم يذكرون الله تَعَالَى، فأتاهم الشّيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فأتى رفقة أُخرى يتحدثون بحديث الدُّنيَا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس إياهم يريد فقام الّذين يذكرونَ الله فاشتغلوا بهم يَفصلونَ بينهم فتفرّقوا عن مجلسِهم وذلك مُراد الشّيطان منهم) ومن أبوابه حمل العوام الّذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه عَلَى التفكر في ذات الله تَعَالَى وصفاته وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتَّى يشككهم في أصل الدّين أو يخيل إليهم في الله تَعَالَى خيالات يتعالى الله عنها يصير أحدهم بها كافرا أو مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشد النّاس حماقة أقواهم اعتقادا في عقل نفسه

---

(١) حديث فاطمة «بضعة مني» متفق عليه، رواه البخاري (٣٧١٤، ٣٧٢٩، ٥٢٣٠) ومسلم (٢٤٤٩).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٤٧٧١) ومسلم (٢٠٦).

وأثبت النّاس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه وأكثرهم سؤالا من العُلَماء قالت عائشة ﵂، قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَكَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ، فَيَقُولُ: فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقْرَأْ: آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُذْهِبُ عَنْهُ»[١]، والنبيّ ﷺ لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فإن هذا وسواس يجده عوام النّاس دون العُلَماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعامي لو يزني ويسرق كانَ خيراً له من أن يتكلم في العلم فإنه من تكلم في الله وفي دينه من غير إتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشّيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وإنما أردنا بها أوردناه المثال ومن أبوابه سوء الظن بالمُسلِمين قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحجرات: ١٢] فمن يحكم بشر عَلى غيره بالظن بعثه الشّيطان عَلى أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيراً منه وكل ذلك من المهلكات ولأجل ذلك منع الشَّرع من التعرض للتهم، روي عن علي بن حسين: أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ بن أخطب أَخْبَرَتْهُ: أنّ النّبيّ ﷺ كانَ معتكفًا في المَسجِد، قالَت: فَأَتَيْتُهُ فَتَحَدَّثْتُ عِنْدَهُ فلمَّا أَمْسَيْتُ انصَرَفْتُ، فَقَامَ يَمْشِي مَعي فمرَّ بِهِ رجُلانِ منَ الأَنْصَارِ فسَلَّمَا ثُمّ انصرفَا، فَنَادَاهُمَا وَقَالَ: «إنّها صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» فقالا: يَا رَسُولَ الله مَا نَظنّ بكَ إلّا خيراً، فقال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ من الجَسَدِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَدخلَ عَلَيْكُمَا»[٢]متفق عليه، فانظر كيف أشفق ﷺ عَلى دينهما فحرسهما وكيف أشفق عَلى أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتَّى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدّين في أحواله فيقول مثلي لا يظن به إلا الخير إعجابا منه بنفسه فإن أورع النّاس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر النّاس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك قَالَ الشاعر:

وعين الرضا عن كلّ عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

(١) رواه البخاري (٣٢٧٦) ومسلم (١٣٤) واللفظ عند أحمد (٢٦٢٠٣).

(٢) أصله عند البخاري (٣٢٨١، ٣١٠١، ٢٠٣٥) ومسلم (٢١٧٥).

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنُّون بالنّاس كلهم إلا الشر فمهما رأيت إنسانا يسيء الظن بالنّاس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو. فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافّة الخلق فهذه بعض مداخل الشّيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه عَلى غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشّيطان ومدخل من مداخله فإن قلت فما العلاج في دفع الشّيطان وهل يكفي في ذلك ذكر الله تَعَالَى وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله فاعلم أن علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كلّ صفة إلى كتاب منفرد عَلى ما سيأتي شرحه. نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كانَ للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تَعَالَى، لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له عَلى القلب فلا يدفع سلطان الشّيطان ولذلك قَالَ الله تَعَالَى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف] خصص بذلك المتقى فمثل الشّيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فإن لم يكن بين يديك خبز أو لحم فإنه ينزجر بأن تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه فإن كانَ بين يديك لحم وهو جائع فإنه يهجم عَلى اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشّيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فأما الشهوة إذا غلبت عَلى القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشّيطان في سويداء القلب وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فإنه يطرقها الشّيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فإذا عاد إلى الذكر خنس الشّيطان ودليل ذلك قوله تَعَالَى: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨﴾ [النحل] وسائر الأخبار والآيات الواردة في الذكر، قَالَ أبو هريرة: (**التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهين سمين كاس وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قَالَ أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جائعا وإذا شرب سمى الله فأظل عطشانا وإذا لبس سمى الله فأظل عريانا وإذا أدهن سمى الله فأظل شعثا فقال لكني مع رجل لا يفعل**

شيئا من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه)[١] وكان محمّد بن واسع يقول كلّ يوم بعد صلاة الصبح: (اللّهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللّهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك عَلى كلّ شيء قدير)، قَالَ: فتمثل له إبليس يوما في طريق المَسجِد، فقال له: يا ابن واسع هل تعرفني؟ قَالَ ومن أنت؟ قَالَ: أنا إبليس، فقال: وما تريد؟ قَالَ: أريد أن لا تعلم أحدا هذه الرقية (..).

فمهما طمعت في أن يندفع الشّيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر ﷺ كانَ محالا وكنت كمن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الأطعمة ويطمع أن ينفعه كما نفع الّذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة والذكر الدَّواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب عن الشَّهَوَات فإذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشّيطان كما تندفع العلة بنزول الدَّواء في المعدة الخالية عن الأطعمة قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] وقال تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [الحج] ومن ساعد الشّيطان بعمله فهو مواليه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بأن «**الذّكر يطرد الشّيطان**»[٢] ولم تفهم أن أكثر عمومات الشَّرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدّين، فأنظر إلى نفسك فليس الخبر كالعيان وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصّلاة فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشّيطان إلى الأسواق وحساب العَالَمِيّن وجواب المعاندين، وكيف يمر بك في أودية الدُّنيَا ومهالكها حتَّى إنك لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدُّنيَا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشّيطان عَلى قلبك إلا إذا صليت فالصّلاة محك القلوب فبها يظهر

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء ولم أقف له على إسناد، ولم يعلق عليه العراقي في المغني، ثم إن التسمية عند الأكل والشرب واللبس ودخول البيت حض عليها الشرع، فالتسمية عند الطعام مستحبة عند جمهور أهل العلم، وبعضهم يقول بوجوبها، فقد روى أبو داود وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره». صححه الألباني.

(٢) لعله قصد حديث الترمذي (٢٩٨٨): عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ عن رَسُولُ الله قال: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً... فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ الله فَلْيَحْمَدِ اللهَّ وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» وضعفه الألباني.

محاسنها ومساويها فالصّلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدُّنيَا، فلا جرم لا ينطرد عنك الشّيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الدَّواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فإن أردت الخلاص من الشّيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثمّ أردفه بدواء الذكر يفر الشّيطان منك كما فر من عمر ﷺ. ولذلك قَالَ وهب بن منبه: (اتق الله ولا تسب الشّيطان في العلانية وأنت صديقه في السر) أي أنت مطيع له وقال بعضهم: (يا عجبا لمن يعصى المحسن بعد معرفته بإحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه) وكما أن الله تَعَالَى قَالَ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠] وأنت تدعوه ولا يستجيب لك، فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشّيطان منك لفقد شروط الذكر والدّعاء. قيل لإبراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠]؟ قَالَ: لأن قلوبكم ميتة، قيل: وما الّذي أماتها؟ قَالَ: ثمان خصال؛ عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده، وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تعملوا بسنته، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] فواطأتموه عَلَى المعاصي، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها، وقلتم نحب الجنّة ولم تعملوا لها، وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب النّاس أمامكم، فأسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم؟).

(بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثّبات):

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات الّتي ذكرناها وتنصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب الّتي وصفناها فكأنه هدف يصاب عَلَى الدوام من كلّ جانب فإذا أصابه شيء يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته فإن نزل به الشّيطان فدعاه إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قط مهملا وإليه الإشارة بقوله تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [الأنعام: ١١٠] ولاطلاع رسول الله ﷺ عَلَى عجيب صنع الله تَعَالَى في عجائب القلب وتقلبه كانَ يحلف به فيقول: «لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ»(١). وكان كثيرا ما يقول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ،

(١) أخرجه البُخَارِيّ (٧٣٩١، ٦٦١٧).

ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» قالوا: أو تخاف يا رسول الله! قَالَ: «وَمَا يُؤَمِّنني والقلب بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابعِ الرَّحْمَٰن يقلبهُ كَيفَ يَشَاء»[1]، أخرجه التِّرْمِذِيّ والحاكم، ولمسلم[2] من حديث عبدالله ابن عمرو: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ». وللنسائي وابن ماجه والحاكم[3] من حديث النواس بن سمعان: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ».

وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تَعَالَى في تقلبها من حيث لا تهدي إليه المعرفة لا يعرفها إلا المراقبون والمراعون لأحوالهم مع الله تَعَالَى، والقلوب في الثّبات عَلَى الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة:

قلب عمر بالتقوى وزكا بالرِّيَاضة وطهر عن خبائث الأخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل إلى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع عَلَى أسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بُدَّ من فعله فيستحثه عليه ويدعوه إلى العمل به وينظر الملك إلى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه إلى خيرات أُخرى حتَّى ينجر الخير إلى الخير وكذلك عَلَى الدوام ولا يتناهى إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة بقوله تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل]. وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مكشاة الربوبية حتَّى لا يخفى فيه الشرك الخفي الّذي هو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظّلماء فلا يخفى عَلَى هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكايد الشّيطان بل يقف الشّيطان ويوحي زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير عَلَى القرب معمورا بالمنجيات الّتي سنذكرها من الشكر والصّبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الّذي أقبل الله عَزَّ وَجَلَّ بوجهه

---

(١) رواه الترمذي (٢١٤٠) والحاكم (٣١٤١) وأحمد (٢٦١٣٣) وغيرهم وصححه الأرنؤوط و الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٤).

(٣) رواه أحمد (١٧٦٣٠) والنسائي في الكبرى (٧٦٩١) والحاكم (٧٩٠٧) وابن ماجة (١٩٩) وغيرهم وصححه الألباني والأرنؤوط.

عليه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تَعَالَى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد] وبقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾ [الفجر]

القلب الثّاني القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالأخلاق المذمومة والخبائث المفتوح فيه أبواب الشياطين المسدود عنه أبواب الملائكة ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر عَلَى استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولي النّفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشّيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والأماني ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه حتَّى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالعين الّتي ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر عَلَى أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتَّى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ وأسمعه ما هو الحقّ فيه عمى عن الفهم وصم عن السّمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشّيطان وتحركت الجوارح عَلَى وفق الهوى فظهرت المعصية إلى عالم الشَّهَادة من عالم الغيب بقضاء من الله تَعَالَى وقدره وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تَعَالَى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾ [الفرقان] وبقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾ [يس] وبقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة]، ورب قلب هذا حاله بالإضافة إلى بعض الشَّهَوَات كالذي يتورع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه أو كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور أسبابه أو كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه أو كالذي لا يملك نفسه عند القدرة عَلَى أخذ درهم أو دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة والتقوى فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى إلى القلب حتَّى يظلم وتنطفئ منه أنواره فينطفئ نور الحياء والمروءة والإيمان ويسعى في تحصيل مراد الشّيطان.

القلب الثّالث: قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير فتنبعث النّفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها عَلى الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النّفس إلى نصح العقل فيحمل الشّيطان حملة عَلى العقل فيقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه أفتترك لهم ملاذ الدُّنيَا يتمتعون بها وتحجر عَلى نفسك حتَّى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك أهل الزّمان أفتريد أن يزيد منصبك عَلى فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا أما ترى العالم الفلاني ليس يحترز من مثل ذلك ولو كانَ ذلك شرا لامتنع منه فتميل النّفس إلى الشّيطان وتنقلب إليه فيحمل الملك حملة عَلى الشّيطان ويقول هل لك إلا من أتبع لذة الحال ونسي العاقبة أفتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنّة ونعيمها أبد الآباد أم تستثقل ألم الصّبر عن شهوتك ولا تستثقل ألم النار أتغتر بغفلة النّاس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشّيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك أرأيت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف النّاس كلهم في الشّمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد النّاس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف النّاس خوفا من حر الشّمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تمتثل النّفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين إلى أن يغلب عَلى القلب ما هو أولى به فإن كانت الصفات الّتي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية الّتي ذكرناها غلب الشّيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشّيطان معرضا عن حزب الله تَعَالَى وأوليائه ومساعدا لحزب الشّيطان وأعدائه وجرى عَلى جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تَعَالَى وإن كانَ الأغلب عَلى القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب إلى إغواء الشّيطان وتحريضه إياه عَلى العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تَعَالَى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء عَلى جوارحه فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرَّحْمٰن أي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب أعني التقليب والانتقال من حزب إلى حزب أما الثّبات عَلى الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشّيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب إلى عالم الشَّهَادة بواسطة خزانة القلب فإنه من خزائن الملكوت وهي أيضا إذا ظهرت

كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصي وسلط عليه أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشّيطان فإنه بأنواع الحكم يغر الحمقى بقوله: إن الله رحيم فلا تبال وإن النّاس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وإن العمر طويل فاصبر حتَّى تتوب غدًا، ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠﴾ [النساء] يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم بإذن الله تَعَالَى بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحقّ وكل ذلك بقضاء من الله وقدر ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنّة وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعمله بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل الجنّة وأهل النار فقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الانفطار] ثمّ قَالَ تَعَالَى فيما روى عنه نبيه ﷺ: (هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أُبَالِي)(١)، فتعالى الله الملك الحقّ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء]

(رياضة النّفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب):

فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو عَلى التحقيق شطر الدّين وثمرة مُجَاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والأخلاق السيئة هيَ السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار ربّ العَالَمِيّن المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تَعَالَى الموقدة، الّتي تطلع عَلى الأفئدة، كما أن الأخلاق الجميلة هيَ الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرَّحْمن والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد وأين منه المرض الّذي لا يفوت إلا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه عَلى كلّ

(١) أخرجه أحمد (١٧٦٦٠) وابن حبان (٣٣٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد إلى تأنق في معرفة علمها وأسبابها ثمّ إلى تشمير في علاجها وإصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تَعَالَى ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩﴾ [الشمس] وإهمالها هو المراد بقوله: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس])

بيان السبب الّذي به ينال حسن الخلق عَلى الجملة

قد عرفت أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل عَلى وجهين أحدهما بجود إلهي وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشَّرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السَّلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثّاني اكتساب هذه الأخلاق بالمُجَاهدة والرِّيَاضة وأعني به حمل النّفس عَلى الأعمال الّتي يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مُجَاهدا نفسه فيه حتَّى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب عَلى أفعال المتواضعين مدّة مديدة وهو فيها مُجَاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه وجميع الأخلاق المحمودة شَرعاً تحصل بهذا الطّريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الّذي يستلذ بذل المال الّذي يبذله دون الّذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الّذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الأخلاق الدّينيّة في النّفس ما لم تتعود النّفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليه مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها كما قَالَ ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»[1]، ومهما كانت العِبَادات وترك المحظورات مع كراهة

(١) رواه النسائي (٣٩٤٠) وأحمد (١٤٠٣٧) وحسنه الأرنؤوط وصححه الألباني.

واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمُجَاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قَالَ الله تَعَالَى ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾ [البقرة] وقال ﷺ: «اعبُدِ الله في الرّضَا فَإنْ لم تَستطع فَفِي الصّبرِ عَلى ما تكره خير كثير»(١)، ثمّ لا يكن في نيل السعادة الموعودة عَلى حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك عَلى الدوام وفي جملة العمر وكلما كانَ العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك لما سئل ﷺ عن السعادة فقال: «طولُ العُمر في طَاعَةِ الله تَعَالَى»(٢)، وللترمذي(٣) من حديث أبي بكرة وصححه: أي النّاس خير؟، قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ» ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فإن الدُّنيَا مزرعة الآخرة وكلما كانت العِبَادات أكثر بطول العمر كانَ الثواب أجزل والنّفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العِبَادات تأثيرها في القلب وإنما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة عَلى العِبَادات وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النّفس حب الدُّنيَا ويرسخ فيها حب الله تَعَالَى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ فلا يستعمل جميع ماله إلا عَلى الوجه الّذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها إلا عَلى الوجه الّذي يوصله إلى الله تَعَالَى وذلك بأن يكون موزونا بميزان الشَّرع والعقل ثمّ يكون بعد ذلك فرحا به مستلذا له ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصّلاة إلى حد تصير هيَ قرة العين ومصير العِبَادات لذيذة فإن العادة تقتضي في النّفس عجائب أغرب من ذلك فإنا قد نرى الملوك والمنعمين في أحزان دائمة ونرى المقامر قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح النّاس بغير قمار مع أن القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلسا ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول إلفه له وصرف نفسه إليه مدّة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النَّهَار في حر الشّمس قائما عَلى رجليه وهو لا يحس بألمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السّماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصّبر عَلى السياط وعلى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته بالصّبر عَلى ذلك حتّى يرى ذلك فخرا لنفسه ويقطع الواحد

---

(١) قال عنه الحافظ أخرجه الطبراني، وضعفه الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥١٠٧).

(٢) رواه القضاعي في مسند الشهاب (٣١٢) وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ٣٣٤٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٢٩) وصححه الألباني.

منهم إربا إربا عَلى أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصر عَلى الإنكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة أخس وأقبح من حال المخنث في تشبهه بالإناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النِّسَاء فترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتَّى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين الملوك والعُلَماء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة عَلى نمط واحد عَلى الدوام مدّة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والمعارف فإذا كانت النّفس بالعادة تستلذ البَاطِل وتميل إليه وإلى المقابح فكيف لا تستلذ الحقّ لو ردت إليه مدّة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النّفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل إلى أكل الطين فقد يغلب عَلى بعض النّاس ذلك بالعادة فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تَعَالَى ومعرفته وعبادته فهو كالميل إلى الطعام والشراب فإنه مقتضى طبع القلب فإنه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض عَلى طبعه وإنما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عَزَّ وَجَلَّ ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حلّ به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تَعَالَى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله إلا إذا كانَ أحب ذلك الشيء لكونه معينا له عَلى حب الله تَعَالَى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك عَلى المرض

فإذن قد عرفت بهذا قطعا أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرِّيَاضة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعني النّفس والبدن فإن كلّ صفة تظهر في القلب يفيض أثرها عَلى الجوارح حتَّى لا تتحرك إلا عَلى وفقها لا محالة وكل فعل يجري عَلى الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتَّى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدّة طويلة يحاكي الخط الحسن فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثمّ لا يزال يواظب عليه حتَّى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعا كما كانَ يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الّذي جعل خطه حسنا ولكن الأوّل بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثمّ انخفض من القلب إلى الجارحة فصار

يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير فقيه النّفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتَّى تنعطف منه عَلى قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النّفس وكذلك من أراد أن يصير سخيا عفيف النّفس حليما متواضعا فيلزمه أن يتعاطى أفعال هَؤُلَاءِ تكلفا حتَّى يصير ذلك طبعا له فلا علاج له إلا ذلك، وكما أن طالب فقه النّفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النّفس وتكميلها وتحليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم، وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد، ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها ثمّ تتداعى قليلا قليلا حتَّى تأنس النّفس بالكسل وتهجر التحصيل رأسا فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتَّى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة وكما أن تكرار ليلة لا يحس تأثيره في فقه النّفس بل يظهر فقه النّفس شيئا فشيئا عَلى التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النّفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فإن الجملة الكثيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد منها تأثير فما من طاعة إلا ولها أثر وإن خفي فله ثواب لا محالة فإن الثواب بإزاء الأثر وكذلك المعصية، وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا عَلى التوالي يسوف نفسه يوما فيوما إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين صغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة عَلى التوالي إلى أن يختطفه الموت بغتة أو تتراكم ظلمة الذّنوب عَلى قلبه وتتعذر عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس]، ولذلك قَالَ رضي الله تَعَالَى عنه: (إن الإيمان ليبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الإيمان ازداد ذلك البياض فإذا استكمل العبد الإيمان ابيض القلب كله وإن النِّفَاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النِّفَاق ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النِّفَاق أسود القلب كله) فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثّلاثة حتَّى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن

كانَ رذلا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتَّى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عَزَّ وَجَلَّ، وبين الرتبتين من اختلفت فيه من هذه الجهات، ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صورته وحالته ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة] ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٣٣﴾ [النحل].

(بيان تفصيل الطّريق إلى تهذيب الأخلاق):

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النّفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النّفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه وكما أن الغالب عَلى أصل المزاج الاعتدال وإنما تعتري المعدة المضرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كلّ مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي بالاعتياد والتّعليم تكتسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالنشو والتّربية بالغذاء فكذلك النّفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتّربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم وكما أن البدن إن كانَ صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وإن كانَ مريضا فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك النّفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفائها وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة المرض لا تعالج إلا بضدها فإن كانت من حرارة فبالبرودة وإن كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرَّذِيلة الّتي هيَ مرض القلب علاجها بضدها، فيعالج مرض الجهل بالتعلم، ومرض البخل بالتسخي، ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا، وكما أنه لا بُدَّ من الاحتمال لمرارة الدَّواء وشدة الصّبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة فكذلك لا بُدَّ من احتمال مرارة المُجَاهدة والصّبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تَعَالَى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد وكما أن كلّ مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة إلا إذا كانَ عَلى حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضّعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة

ولا بُدَّ له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض الّتي تعالج بها الأخلاق لا بُدَّ لها من معيار وكما أن معيار الدَّواء مأخوذ من معيار العلة حتَّى إن الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أهي ضعيفة أم قوية فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزّمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثمّ يعالج بحسبها فكذلك الشَّيْخ المتبوع الّذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرِّيَاضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشَّيْخ لو أشار عَلى المريدين بنمط واحد من الرِّيَاضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرِّيَاضة ويبني عَلى ذلك رياضته فإن كانَ المريد مبتدئا جاهلا بحدود الشَّرع فيعلمه أولاً الطهارة والصّلاة وظواهر العِبَادات وإن كانَ مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمعصية فيأمره أولاً بتركها فإذا تزين ظاهره بالعِبَادات وطهر عن المعاصي الظَّاهِرة جوارحه نظر بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه حتَّى لا يلتفت إليه وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النّفس غالبة عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للكدية والسّؤال فإن عزة النّفس والرياسة لا تنكسر إلا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السّؤال فيكلفه المواظبة عَلى ذلك مدّة حتَّى ينكسر كبره وعز نفسه فإن الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا إلى ذلك فرحا به ملتفتا إليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتَّى تتشوش عليه رعونته في النظافة فإن الّذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس الّتي تزين نفسها طول النَّهار فلا فرق بين أن يعبد الإنسان نفسه أو يعبد صنما فمهما عبد غير الله تَعَالَى فقد حجب عن الله، ومن راعى في ثوبه شيئا سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه، ومن لطائف الرِّيَاضة إذا كانَ المريد لا يخسو بترك الرعونة رأسا أو بترك صفة أُخرى ولم يسمح بضدها دفعه فينبغي أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه كالذي يغسل الدَّم بالبول ثمّ يغسل البول بالماء إذا كانَ الماء لا يزيل الدَّم

كما يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه ثمّ ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ثمّ ينقل من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثمّ ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل إلى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك إذا رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصّوم وتقليل الطعام ثمّ يكلفه أن يهيأ الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتَّى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصّبر وينكسر شرهه وكذلك إذا رآه شابا متشوقا إلى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصّوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة عَلى الماء دون الخبز وليلة عَلى الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والأدم رأسا حتَّى تذل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبدأ الإِرادَة أنفع من الجوع وإن رأى الغضب غالبا عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصبحه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتَّى يمرن نفسه عَلى الاحتمال معه كما حكي عن بعضهم أنه كانَ يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه عَلى ملأ من النّاس ويكلف نفسه الصّبر ويكظم غيظه حتَّى صار الحلم عادة له بحيث كانَ يضرب به المثل وبعضهم كانَ يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العِبَادة بالقيام طول الليل عَلى نصبة واحدة وبعض الشُّيُوخ في ابتداء إرادته كانَ يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام عَلى رأسه طول الليل ليسمح بالقيام عَلى الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر إذ خاف من تفرقته عَلى النّاس رعونة الجود والرياء بالبذل فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كلّ مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه عَلى أن الطّريق الكلي فيه سلوك مسلك المضاد لكل ما تهواه النّفس وتميل إليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كملة واحدة فقال تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات] والأصل المهم في لُمجَاهدة الوفاء بالعزم فإذا عزم عَلى ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تَعَالَى واختبارا فينبغي أن يصبر ويستمر فإنه إن عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت وإذا اتفق منه نقض عزم فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النّفس في كتاب المحاسبة والمراقبة وإذا لم يخوف النّفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرِّيَاضة بالكلية.

برنامج تربوي مقترح ووصايا للمُجَاهد

في ميدان العِبَادة والنسك والسُّلُوك والأخلاق

(١) - العمل عَلى تجديد الإيمان وتصحيح النِّيَّة والإخلاص لله تَعَالَى في كلّ حين.

(٢) - الحرص عَلى حسن إقامة الصّلاة بالتزام الصلوات في أول أوقاتها. والحرص عَلى أدائها في جماعة - إن أمكن - وإتمام ركوعها وسجودها والتزام سننها القبلية والبعدية. واستحضار الخشوع فيها وإتمامها عَلى أكمل وجه وبذل الجهد في تحسين أدائها باستمرار.

(٣) - التزام الأذكار والتسبيحات المعروفة دبر كلّ صلاة وعدم الإنصراف من مجلس الصّلاة إلا بعد أدائها. ودعاء الله وسؤاله من خير الدُّنيَا والآخرة بعد أداء التسبيحات.

(٤) - الحرص عَلى إيتاء الزّكاة - لمن كلن له مال تجب الزّكاة فيه - وتحري إحصاء الحقّ فيها وأدائها عن طيب نفس، وتحري الصّالحين المحتاجين المستحقين لها، وخاصة من ذوي الأرحام والقرابة، ومن الأسر الّتي أصيبت في سبيل الله من المُجَاهدين والمُهَاجِرين في سبيل الله، ولا سيما أسر الشّهداء والمعتقلين الأسرى لدى الأعدَاء.

(٥) - تحري صوم رمضان إيمانا واحتسابا عَلى خير وجه، والتشوق إليه، والإكثار من الطاعات فيه ولا سيما، قيامه (صلاة التراويح)، وقراءة القرآن وكثرة الصدقات لمن وجد.

(٦) - أداء فريضة الحجّ فور الاستطاعة الشَّرعيَّة. ومحاولة أدائها في سن الشَّبَاب.

(٧) - إلتزام أداء أذكار الصباح (مابين صلاة الفجر وطلوع الشّمس) وأذكار المساء: (مابين صلاة العصر إلى المغرب). وتضمينها وردا من الإستغفار ١٠٠ مر ة يوميا. والتزام أذكار النوم. وتحري أن يكون آخر الكلام قبل النوم ترديد الشهادتين. (٨) - إلتزام سنة صلاة الضحى (من ارتفاع الشّمس إلى قبيل الزوال)، ركعتان أو أربعا أو ثمانية ركعات.

(٩) - إلتزام ورد يومي من القرآن بقراءة جزء يوميا، وختمه في كلّ شهر قمري مرّة عَلى الأقل. والتزام قراءة سورة الكهف كلّ يوم جمعة، مابين الفجر إلى قبيل المغرب.

(١٠) – إلتزام قيام الليل يوميا، بورد يقدره الأخ بحسب قدرته، يصليها في الثلث الأخير من الليل إن قدر، وإلا فليصل ما قدر عليه قبل النوم ثمّ يوتر. والسنة النّبويّة فيه أحد عشر ركعة. والإكثار من الإستغفار وقت السحر.

(١١) – إلتزام ورد من صيام النافلة، وأقله ثلاثة أيّام من كلّ شهر، وهي الأيّام البيض (١٣-١٤-١٥) من كلّ شهر قمري. وأوسطه صيام الاثنين والخميس، وأفضل الصّيام صيام داوود عليه السلام، صيام يوم وإفطار يوم.

(١٢) – إلتزام قدر من الصدقة المالية أسبوعيا أو شهريا بحسب القدرة.

(١٣) – إلتزام جلسة للتفكر والمحاسبة في آخر النَّهَار قبل النوم، ومراجعة حصاد الإحسان والإساءة اليومية. وتعاهدها بالإستغفار، وتشديد محاسبة النّفس في مصادر الكسب وتحري أن يكون حلالا خالصا، ورد الحقوق لأهلها، وتصدق بما رقى إليه الشك من الكسب المحرم. واستحلال من أصابه الأخ بأي شكل من أشكال الأذية. وتعود مراقبة الله في السر والعلن.

(١٤) – تحري رضا الوالدّين وبرهما أحياءا بحسن الصلة والمعاملة، وأمواتا بالحج عنهما إن لم يحجا، وبالصدقة لهما، وبصلة أصدقائهما بعد رحيلهما، وبكثرة الإستغفار وطلب الرحمة لهما.

(١٥) – تحري صلة الأرحام وزيارتهم وبرهم والإحسان إليهم، وتعاهدهم بالصلة والهدية. وبالصدقات إن كانوا في حاجة.

(١٦) – تحري حسن الخلق في معاشرة النّاس، والإحسان إليهم والصّبر عَلَى إساءتهم والأستغفار لهم والدّعاء للمسلمين بظهر الغيب.

(١٧) – تحري سنة رسول الله ﷺ في كلّ الحركات والسكنات، وتحري أقواله وأفعاله، وما سنه وشرعه. في المأكل والمشرب والملبس والنوم واليقظة ومعاشرة الأهل و، وحسن صحبة الجيران وصلة الأرحام، وتحري أخلاقه الشريفة ﷺ في كلّ شأن، والإستعانة بالكتب الّتي تتبعت ذلك مثل (كتاب زاد المعاد للإمام ابن القيم رحمه الله).

****

(٣) - المجال الثّالث:

الفهم السّياسيّ وفقه الواقع

إن عمليَّة التّربية السّياسيّة ورفع مستوى فقه الواقع لدي الفرد عمليَّة معقدة وتأخذ وقتاً طويلاً. ولكنها إن كانت في حكم المندوبة للمُجَاهد العادي، فهي مفروضة عَلى قيادات وكوادر الْمُقاوَمة، لأنها مستند قرارات الحركة السّياسيّة الشّرعيَّة وحسابات تبعاتها. كما أن حدا أدنى منها يجب أن يتوفر للأفراد حتَّى يستطيعوا تقدير الأسباب الّتي جعلت قياداتهم تتخذ قرارا معينا، بناء عَلى حسابات المصالح والمفاسد والمترتبات.

وتتفاوت عمليَّة التأهيل عَلى كلّ حال باختلاف مستوى الفهم وحدة الذكاء والاستعياب لدى الفرد، وبمستوى الكمية المعرفية للمعلومات الّتي يستطيع الشخص تحصيلها. وتحتاج فوق المعلومات العامّة إلى عمليه متابعة مستمرة لمجريات الأمور، واختلاط بالحياة والنّاس، ومتابعة الأخبار والأحداث، وارتفاع مستوى الثّقافة العامّة في مختلف مناحي العلوم والمعارف.

ومن المعلومات اللازمة لُمجَاهد الْمُقاوَمة حتَّى يستوعب ما يجري من حوله، ويستطيع أن يقدر المصالح والمفاسد المترتبة عَلى أعماله، وفق محاكمات منطقية جملة من المعارف الأساسيّة من أهمّها مايلي:

١ - معلومات تارِيخِيَّة:

فيعرف فكرة عامة عن تاريخ الحضارة والوجود البشري، وصولاً لمرحلة انطلاق دعوة، الإِسْلَام ثمّ فكرة عن تاريخ الْمُسلِمِين، وتتابع دولة وحُكُومَاته بدءاً من البعثة النّبويّة ومروراً بالخُلَفَاء الرّاشدين، ثمّ المَرحَلَة الأموية فالعبّاسية فدول الطوائف، ثمّ المَرحَلَة العُثمَانِيّة، وصولا إلى سقوط الخِلافَة نهَائِيّاً سنة ١٩٢٤م، فمرحلة خضوع بلادنا للاستعمار الأوروبية منذُ ذلك الوقت وإلى يومنا هٰذا. وخاصة فترة الأزَمَات الكبرى في تاريخ الْمُسلِمِين. وقد لخصنا في الفَصل الثّالث من الجزء الأوّل خُلاصة مفيدة في ذلك إن شاء الله.

كما يجب أن يعرف نبذة عن تاريخ عدونا ودوله المختلفة وتطورها، وصولاً إلى دول الرُّوم المعاصرين أمريكا وأوروبّا النّاتو. وقد مر في الفَصل الثّالث أيضا لمحة من ذلك.

ومن خلال ذلك يجب أن يعرف نبذة عن الأحداث الهامة، والشخصيات التارِيخِيَّة، وتاريخ الصِّرَاع بين الإِسْلَام والمُسلِمين من جهة، والرُّوم وحضارتهم من جهة ثانية.

وقد أوردت ملخصا لذلك لأهميته في فهم ما يجري اليَوْم، عبر الفَصلين الثَّالث والرَّابع.

٢- معلومات لجغرافية:

التَّاريخ والصِّرَاعات تجري عَلى الأرض، وضمن جغرافية الممالك والبلاد المختلفة. فيجب عَلى الكادر الجهاديّ المثقف أن تكون لديه أرضية أساسية ومعرفة بالجغرافيّة في هذا العالم. وكيفِيَّة تقسيماته السّياسيّة وكياناته، حتَّى يستطيع فهم الأخبار والأحداث، ويربطها بمواقعها وتاريخ تلك المواقع.

٣- معلومات في الاقتصاد:

معظم هذه الصِّرَاعات الدّائرة اليَوْم ذات أبعاد اقتصاديَّة رئيسيَّة أو أساسية، فهي صراعات عَلى المصالح في بعد أساسي من أبعادها. فيجب أن يحيط المُجَاهد بقسط من المعرفة الاقتصاديَّة، كفكرة عن الموارد، وأنواع الإقتصاد في الدّول المختلفة ونظمه، ومستويات دخل الأفراد والشّعوب، وأوجه نشاطهم الاقتصاديّ ودورة المال والإقتصاد وعلامته بالسّياسة والحُرُوب.. الخ.. فهي معلومات أساسية لفهم الصِّرَاع، وفهم نقاط القوّة والضّعف في صفنا وصف العدوّ، والمقاتل الّتي يمكن أن تأتيه منها.

٤- معلومات في الجغرافيّا البشرية:

الجغرافيّا البشرية هيَ مجموعة المعلومات المتعلقة بالسّكّان ؛ خصائصهم، أعراقهم، أديانهم، مذاهبهم، عاداتهم حضاراتهم... لأن البشر هم العنصر الفاعل المتحرك في هذه الصِّرَاعات والخلاف في تكوينهم الدّيني والعرقي والحضاري بعد أساسي من أوجه الصِّرَاع..

٥- معلومات في السّياسة والجغرافيّا السّياسيّة:

والمقصود معلومات عامة في علم السّياسة ونشأته، والمذاهب السّياسيّة القديمة والمعاصرة، ومذاهبها القائمة حالياً، وجُذُورها من القوميّة والدِّيمقراطيَّة والإشتراكية والشُّيُوعِيّة واللبرالية... الى آخر ذلك.. وكذلك فكرة عن الصِّرَاعات السّياسيّة العَالَمِيّة ومحاورها بين الدّول العظمى، والأحلاف القائمة بينها، وأوجه التنافس بين هذه الأحلاف، وداخل الحلف الواحد ومكوّناته من الدّول.. ثمّ

الجغرافيّا السّياسيّة للدول الكبرى، ولا سيما المعادية لنا ومكوّناتها وتناقضاتها الداخليَّة. لأن كلّ ذلك يفيد في وضوء تصوُّرات المُوَاجَهة..

فالجغرافيّة السّياسيّة هيَ خريطة القوى في مكان ما أو تجمع ما، سواء كانت دولا أو أحزابا أو كيانات وشخصيات، والعلاقات بينها بمختلف أشكال تلك العلاقات. ومن المعلومات السّياسيّة الهامة، معرفة أوجه الصِّرَاع ومحاوره، وتاريخه وحاضره، بيننا وبين العدوّ. والمؤامرات عَلى العالم الإِسْلَاميّ وشكلها وتاريخها.

ومن الضَّروري وخاصة للكوادر الموجهة للمجموعات والخلايا في السَرايا المُقاوَمة، أن تجمع بقسط لا بأس به بين فهم لغة السّياسة ومصطلحاتها، ومداليل تلك المصطلحات المتجددة والمتوسعة بشكل يومي.

٦- معلومات وثقافة عامة:

وهذا باب واسع كبير، فالثّقافة العامّة كما تدل عليه الكلمتين المكونتين للمصطلح: هيَ مجموعة المعارف والمعلومات العامّة في كلّ منحى وفن.

وكلما اتسعت المعرفة، زادت القدرة عَلى الفهم. وبالتالي اتسع التَّفكير، ونتج عنه القدرة عَلى رسم الخطط وتوقع مسار الأحداث..

فإن مستويات الفهم السّياسيّ العام تمر بأربعة مراحل:

أولها معرفة الخبر، وثانيها فهم الخبر، وثالثها تحليل أبعاد الخبر، ورابعها توقع مجالات تأثير هذا الخبر عَلى المستقبل وبالتالي استقراء مستقبل الأحداث...

فهذه الأمور تتدرج بدءاً من مستوى الفهم العادي، وصولاً إلى العبقرية الّتي عرفوها تعاريف كثيرة من أدقها أنها (القدرة عَلى التحليل والتركيب) فعندما تكون لديك معلومات. عليها العقل ويعيد تركيبها في مفاهيم ومدارك.. فاللغة ثمانية وعشرين حرفاً.. يختلف مستوى استعمال النّاس لها، من أبله يتمتم بألفاظ لا معنى لها، إلى شاعر يخرج منها بياناً كأنه السحر، إلى فيلسوف يصيغها حكماً ومعرفة.

وكل هذا يعتمد كما أسلفت عَلى الموهبة والملكة والفهم والذكاء والإدراك من جهة ومن جهة ثانية عَلى المعارف المكتسبة، الّتي بدونها لا يستفيد الإنسان من مواهبه ومداركه الّتي تتهاوت بفعل الجهل والركود

الفكريّ.وكذلك فإن المعارف والمدارك المكتسبة ترفع مستوى الجاهل ليكون عالماً مدركاً ولكنها لا تسمو به إلى مستوى العبقرية والإبداع، إلا بالملكة والموهبة والفهم والذكاء والحكمة. وهذه عطية من الله تَعَالَى.. فقد روي عنه ﷺ: «إنّما العِلمُ بِالتّعَلُّم» (فالتعلم ممكن). «وإنّما الحلمُ بالتّحلُّم»[1] (وهذا كذلك). ومن يتصبر يصبره الله. فهي معارف وسلوك مكتسب.. ولكن الله تَعَالَى قَالَ ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩] فهي هبة، ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾[ص] و ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤]. ونسأله من واسع فضله كرمه ورحمته وجوده. فهو مالك الملك سبحانه.

وإذا كانت المعارف والمعلومات هامة للمُجَاهد في كلّ وجه وفن، فإنها تزداد أهمية بقربها من ساحة الصِّرَاع الّذي يعمل فيه، والقوى الّتي تشتبك في هذا الصِّرَاع.

فلا بُدَّ من معرفة واسعة بأنفسنا وبعددنا وعدتنا، وبساحة الصِّرَاع وشبكة القوى والمؤثرات فيها.

فالحكم الشَّرعيّ لا يصح إلا بفقه الواقع وإنزال العلم الشَّرعيّ والنص والفتوى عليه. وبقدر جهله تخرج الفتوى السّياسيّة الشَّرعيَّة عن سياقها.

والقرار العسكريّ لا يصح إلا بالمعرفة بالواقع، وإلا لربما اتخذ المقاتل قراراً كانَ فيه حتفه. وقل مثل ذلك عن كلّ شيء من مجالات الحركة.

وكل حديثنا هذا في عالم الأسباب الواجب الأخذ به شرعاً. وإلا فالأصل هو توفيق الله وفتحه ونصره. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت] وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ﴾ [يونس: ٩] فالذي نتحدث عنه هو العلم، وأما توفيق الله فهو النور والروح والمدد. ونسأل الله من فضله العظيم.

وقد ذكرت في الجزء الأوّل من هذا الكتاب، وفي أبعاد النَّظريَّة السّياسيّة في الجزء الثّاني، وفي طيات مختلف الفصول.. نبذة عن كثير من هذه المعلومات والمعارف الّتي تساعد عَلى فهم الصِّرَاع وأطرافه ومعطياته. ولكن ذلك لا يكفي إلا عَلى أرضية من المعارف العامّة الّتي ذكرت. ومن أجل ذلك..

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٢٥٤)، وصححه الألباني: (الصحيحة٣٤٢).

أنصح الموجهين وكل مُجَاهد قادر عَلى الإطلاع والقراءة بأن يرفعوا من مستواهم بقراءة كتب ميسره في المحاور التّالية لأمثلة عَلى بعض أبواب المعارف، وإلا فالمجال كبير، ورحب واسع جداً جداً.. ولا يحضرني أسماء كتب بعينها، وهي في ازدياد كلّ يوم. وقد فتحت شبكات المعلومات أبوابا هائلة. فمن المفيدة. أن يحيط المُجَاهد ولا سيما الكوادر والقيادات بشيء من المعارف التّالية:

- **في علوم التّاريخ:**

- تاريخ الحضارات القديمة.
- تاريخ الرُّوم القدماء.
- تاريخ أوربّا المعاصرة منذُ سقوط القُسطَنْطينيَّة وقيام المالك الأوروبية.
- تاريخ أوربّا في مرحلة الحَربين العَالِمِيّتين.
- تاريخ أمريكا ونشأتها وعلاقتها بأوروبّا والعالم منذُ الحَرب العَالمِيّة الثّانية.
- تاريخ العَرَب قبل الإِسْلَام.
- تاريخ الإِسْلَام بمراحله المختلفة بدءاً من عصر النبوة عَلى نبينا أفضل الصّلاة والسَّلام ووصولاً لسقوط الخِلافَة العُثمَانِيّة ١٩٢٤.
- تاريخ العَرَب والمُسلِمين الحديث منذُ ١٩٢٤م وإلى الآن. ولاسيما تاريخ البلاد الّتي يعيش فيها، ويريد الجِهَاد فيها.

- **في الجغرافيّا:**

- كتاب في الجغرافيّا الطبيعيّة للعالم، وكذلك جغرافيا الموارد والاقتصاد، وتوزيع الثّروات فيه.
- كتاب في الجغرافيّا الطبيعيّة للعالم الإِسْلَاميّ، وكذلك توزع الثّروات والموارد.
- كتاب في الجغرافيّا البشرية للعالم الإِسْلَاميّ والعربي. الأعراق، القوميات، الأديان والمذاهب، أوجه الثقافات والنَّشَاط السّكّاني.

- **في علم السّياسة والإقتصاد:**

- كتاب موجز عام في علم السّياسة.
- كتاب ميسر في المذاهب السّياسيّة المعاصرة ونشأتها ومبادئها.

- كتاب ميسر في علم الاقتصاد ومدارسه المعاصرة.
- الدراسات الإحصائية الاقتصاديَّة المختلفة.
- كتاب حول الصِّرَاع الاقتصاديّ عَلى العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.
- كتاب حول محاور القوى الاقتصاديَّة المعاصرة والصِّرَاع فيما بينها (لاسيما الصِّرَاع الاقتصاديّ بين أمريكا وأوربّا واليابان وشرق أسيا والصين.
- الأطماع الاستعماريّة الحديثة والصِّرَاع عَلى النفوذ في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.
- معرفة بالخريطة السّياسيّة للمكان الّذي يعيش فيه المُجَاهد ومكوّناته ومعطياته.
- تاريخ الصِّرَاع العربيّ والإسرائيلي ومراحله، ومشاريع التطبيع الحديثة ومؤامراتها.
- الصِّرَاع الدّولي وتاريخه عَلى النّفط والطاقة والموارد في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.
- مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة ومذاهبها ورجالها.
- تاريخ الصّحوة في البلد الّذي ينتمي إليه ويعمل فيه المُجَاهد.
- ومن الكتب المهمة جدا، كتب مذكرات الزعماء وصناع القرار والسّياسة في العالم وفي بلادنا من شتّى المشارب والمذاهب.
- أمر مهم آخر كتاب ميسر في الإعلام ومدارسه ووسائله المعاصرة.
- كتاب موجز في علم الإدارة.
- كتاب في كيفِيَّة إدارة الوقت والإستفادة من الوقت.

- **معلومات وثقافة عامة:**

- إتقان اللغة الإنكليزية. الّتي صارت اليَوْم وللأسف وسيلة الاتّصال العَالَمِيّ، وأداة النفاذ إلى كثير من العلوم والمعارف.
- إتقان استعمال الكومبيوتر. والإستفادة من شبكة الإنترنت.
- معرفة عامة بعلوم الطبيعة، وعلوم الصحة والإسعافات الأولية، وعلم الكهرباء، وما تيسر له من كلّ علم وفن وثقافة.

والفت النَّظر إلى أن متابعة الأخبار العَالَمِيَّة والمحليَّة. والبَرَامج الثَّقافيَّة التلفزيونية العامّة، أمر في غاية الأهمّيّة والأثر في تكوين المعارف والثّقافة السّياسيّة والعامة. مع الانتباه إلى المؤثرات السلبية لوسائل الإعلام ولا سيما الفضائِيَّات والإنترنت من تشر الأفكار الضالة والمنحرفة الّتي يشيعها العدوّ لتغير الهويّة الدّينيّة والفكريّة للمسلمين. وكذلك مجالات الفساد والأغلال والمحرمات الّتي تشيعها هذه الوسائل الّتي اختلط خيرها بشرها بطريقة لا ينقذ فيها ولا بعين عليها إلا الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى وهو الهادي.

وكذلك فإن مطالعة الصّحف والمجلات السّياسيّة والفكريّة والأدبية أمر مهم في متابعة الأحداث وعيشها وفقه الواقع.

وأختم بلفت النَّظر إلى مؤلفات **الشَّيْخ عبدالله عزام** الّتي حوت جانبا كبيرا في فقه الواقع وأحوال المُسلِمِين المعاصرة. وهي متناثرة في كتبه ومؤلفاته الّتي جمعت في (**موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن الشَّيْخ عبدالله عزام**). وأخص بالذكر منها لموضوع هذه الفقرة (الفهم السّياسيّ) كتبه: (**المنارة المفقودة**) الّذي تحدث فيه عن سقوط الخِلافَة العُثمَانِيَّة. وكتاب (**أضواء عَلى القوميّة العربيَّة**)، وكتاب (**السرطان الأحمر**) الّذي تحدث فيه عن الشُّيُوعِيّة وانتشارها في أوساط العَرَب والمُسلِمين إبَّان الستينيات والسَّبعينيَّات.وكتاب (**الإِسْلَام ومستقبل البشرية**)، وكتاب (**مبشرات النّصر**). وكتاب (**خط التّحول التّاريخي**) وهو كتاب هام جدا وصغير الحجم موجز، ولكنه عظيم الفائدة غني المحتوى.. وأعتقد أن عَلى كلّ موجه للشباب المُجَاهد أن يعتمده في منهج التوعية السّياسيّة المعاصرة في أحوال المُسلِمِين.

وقد نقلت من هذه الكتب المذكورة مقاطع مهمة نثرتها في مواضعها المناسبة في هذا الكتاب. رحم الله الشَّيْخ الشّهِيد وأجزل مثوبته وغفر له وجمعنا وإياه في الصّالحين.

****

(٤)- المجال الرَّابع:

التّربية العسكريّة والإِعداد الجهاديّ

سأترك التفصيل في هذا البَاب هنا، عَلى اعتبار أنّنا سنفرد لها باباً خاصاً في هذا الفَصل وهو (**نظريَّة التّدريب والإِعداد في دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة**). إن شاء الله.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

(٥) - المجال الخامس:

التّربية العمليّة بأداء فريضة الجِهَاد

روى البُخَارِيّ(١) عن أبي إسحاق قَالَ: سمعت البَرَاء ﷺ يقول:

أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: «أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ»، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ، فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا».

و عن أبي هريرة ﷺ : «أَنْ عَمْرَو بْنَ أُقَيْشٍ، كَانَ لَهُ رِبًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ، فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو عَمِّي؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُ المُسْلِمُونَ، قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو، قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لِأُخْتِهِ: سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ، أَوْ غَضَبًا لَهُمْ أَمْ غَضَبًا للهِ؟ فَقَالَ: بَلْ غَضَبًا للهِ وَلِرَسُولِهِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَا صَلَّى للهِ صَلَاةً»(٢).

منذ نزل الإذن بالقتال بقوله تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج] ومازال نهجه ﷺ في نفسه الشريفة، وفي توجيه أصحابه هو الجِهَاد في سبيل الله والنَّشَاط فيه دفعا وطلبا. بصرف النَّظر عن مستوى العلم الشَّرعيّ والفهم العام والإعداد المأمور به شرعاً، وعن مستوى القدم وحظ واحدهم من التّربية، فالجِهَاد فريضة، وإذا دخل وقتها أداها المسلم بصرف النَّظر عن مستواه في الدّين والعلم وسوى ذلك. فتطور المسلم في زيادة إيمانه وفقهه وعلمه وأخلاقه وسلوكه وإدراكه لواقعة وإمكانيَّاته الإعدادية الجهاديّة، أمور تسير معه منذُ نشأته وإلى وفاته. ولكن لم يقل أحد في سلف ولا خلف أن تدني تلك المستويات في وجه من وجوه الدّين تسقط الفريضة الشَّرعيَّة في القِتَال. الّذي لا يسقطه إلا الأعذار الشَّرعيَّة.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٠٨) ومسلم (١٩٠٠).

(٢) رواه أبو داود (٢٥٣٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة]

أما الأعذار الثمانية الأخرى، وما يتفرع عنها، والَّتي سميت أعذار المُنافِقين. وهي أعذار القاعدين في كلّ زمان ومكان، فقد حصرتها الآية الكريمة بإعجاز مذهل.. لم يترك عذراً منتحلاً إلا ويدخل تحتها أو يتفرع عنها..

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة]

ولكن القاعدين وشيوخهم وقياداتهم الجبانة الخائرة في هذا الزَّمن، اخترعوا أعذاراً واهية جديدة عجيبة..

فهم يقولون سنجاهد، ولكننا في مرحلة التّربية السُّلُوكية وتصحيح الدّين. وقال آخرون سنجاهد، ولكن لما تصح العقائد وتصفوا الرّاية.. وقال فريق ثالث سنجاهد ولكن لما تكتمل أجهزة التَّنظِيم وأركان الجماعة، ولا نتعجل الثمرة.. حتَّى تنقضي المَرحَلَة المكية!!

ثمّ جاء القرن الحادي والعشرين.. وجاءت أمريكا بخيلها ورجلها وأعلنت الحَرب العَالَمِيّة عَلى الإِسْلَام والمُسلِمين تحت ذريعة الإِرهَاب..

فاستعلن القوم أخيرا فقالوا.. نحن لا نجاهد، فهذا إرهاب، ونحن دعاة وسطية، وقد كانَ الجِهَاد لكسر الحواجز عن الدّعوة. والآن الدّعوة متاحة بالأساليب السّلميّة والدِّيمقراطيَّة وعبر شبكات الإنترنت ومحاضرات الفضائِيَّات وندواتها..

وقالوا.. سنجاهد ولكن في البرلمان وبالطرق (الشَّرعيَّة!)، (شرعيتهم الجَدِيدة طبعا!)، ونحن في دولة قانون، ويجب علينا نبذ العنف، وصرحوا بما كتموا في نفوسهم أخيرا، وصدق الله العظيم: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ [محمد]

فأما طريقتنا في التّربية، فهي عَلى النقيض من ذلك. فركنها الخامس والأساسي في التّربية، هو أنّنا ندعو إلى أداء فريضة جِهَاد الدَّفع العينية في الحال وبالمتيسر، وكل حسب وسعه، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. فكل مسلم عليه الجِهَاد بنفسه لدفع الصّائل بالقتال. فوراً وحالاً فرضاً لازماً، يأثم بتركه. فقد حلّ العدوّ في العقر.. في كلّ عقر من بلاد المُسلِمِين ! وقد سبق بيان الحكم الشَّرعيّ وأدله ذلك.

ونعو إلى السّير في عمليَّة التّربية في المناحي المُتكامِلة قدر المستطاع، وبحسب كلّ ظرف واستطاعة كلّ فرد، سعياً لزيادة الإيمان، وترسيخ العَقِيْدَة، وفهم أحكام الدّين، وتزكية النّفس، والرقي بالأخلاق والسُّلُوك، ورفع سوية الفهم السّياسيّ والواقعي. ولكن عَلى طريقة «أَسلِم ثُمّ قَاتِل».. فما دام المسلم مسلماً فعليه جِهَاد قتال الدَّفع فريضة مثلها مثل الصّلاة والصّيام لا تختلف عنها إلا بأنها أشد فرضية كما بينا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه : «أَنْ عَمْرَو بْنَ أُقَيْشٍ، كَانَ لَهُ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ، فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو عَمِّي؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ، قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو، قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لِأُخْتِهِ: سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ، أَوْ غَضَبًا لَهُمْ أَمْ غَضَبًا للهِ؟ فَقَالَ: بَلْ غَضَبًا للهِ وَلِرَسُولِهِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَا صَلَّى للهِ صَلَاةً»[1].

وهناك إشارة لطيفة لا يدركها القاعدون ولن يفهموها قراءةً هنا، ونحن نشير إليها لعلها تثير فضولهم، وتشد أصحاب العزيمة لطريقة (فمن ذاق عرف)..

وهي (التّربية بممارسة القِتَال).. التّربية تحت بريق السيوف وأزيز الرصاص، ودوي المدافع، وهدير الطائرات، ولا أقصد التّربية العسكريّة والتّدريب العملي هنا.. لا، وإنما التّربية في كلّ وجه..

تصحيح العَقِيْدَة في ميدان المَعْرَكة، نعم هناك حيث يدرك المؤمن أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، وتشرق أنوارها في قلبه، فتصح عقيدته، ويدرك ويفهم بطريقة إلهية عجيبة، أن الله هو الخالق وهو الرزاق، وهو وحده المحي المميت، وهو القوي القادر، وهو الجبار وهو المنتقم.. ويدرك أن الله معه

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٣٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

يسمعه ويبصره وينصره ويدبر أمره. هناك حيث تزرع العَقِيْدَة وجوهرها في أعماق نفسه وروحه، بشهود ساعة في الصف بإخلاص، ويدرك معنى قوله ﷺ: «من قاتلَ في سبيلِ اللهِ فُواقَ ناقةٍ فقد وجَبَتْ له الجنةُ»[1]! وهل تجب الجنّة لفاسد عَقِيْدَة!؟

وفي مقام الصف الأوّل، وساعة القِتَال، تزكوا نفسه، ويتعلم مكارم الأخلاق، لأنه باع نفسه لله وانخلع من الدُّنيَا، فيَحسُن خلقه، ويذهب همه وغمه، وتراه سهلاً ليناً عابداً خاشعاً. هناك إذ تراآى له الموت، ورآه في الحنايا والزوايا، وتوقع مع كلّ صغير قذيفة تنقض بالموت والنار المنتشر مع الشظايا أن فيها أجله، فيتذكر خطاياه وقد لاح الموت، فيقول: استغفر الله العظيم.. مرّة واحدة، فتسري معاني الإستغفار في كلّ خلايا بدنه، ولعلها خير من تريدها مئات المرات بسبحة أنيقة، ذات أحجار كريمة، على سجادة فاخرة أعجمية، فوق الموكيت الأوربي الفاره، في صالون أنيق خافت الأضواء، بعد عشاء دسم. وقد هجع الأولاد ونامت أم العيال.. وخلا هذا العابد المرفه إلى زاويته يتهجد..أقول لعلّ ذلك الإستغفار أبعد أثرا في النّفس وأسرع وصولا.. لعلها، والإخلاص والقبول منة الله تَعَالَى..

وكذا كلّ خلق، وكل فهم وكل بصيرة، هناك في الثُّغُور حيث يفتح الله عَلَى المخلصين، وصدق احمد بن حنبل وأقرانه من السَّلَف الّذين كانوا يقولون ؛ إذا أعجمت عليكم المسألة فأحيلوها إلى أهل الثُّغُور فقد تكفل الله لهم بالهداية لقوله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت] فالقتال ومباشرته.. ليس مجرد عبادة فقط، وهو كذلك وهذا أساسه، طاعة وعبادة يؤجر بأدائها ويأثم بتركها.. ولكنه وسيلة تربية في طريقتنا وهو أقصر السّبل، فهو (كورس مركز) لتصحيح العَقِيْدَة، وتهذيب السُّلُوك، وفهم الواقع، والإعداد العسكريّ المختصر المباشر.. ومن ذاق عرف.. ويالهم من مساكين أولئك الّذين لا يعرفون هذا ولا يفهمونه، مساكين.. كلا بل ران عَلَى قلوبهم ما كانوا يكسبون.. فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وتلك وليمته تبارك وتعالى يولج أناسا ويصرف آخرين، ويتقبل أناساً ويكرمهم، ويرد لآخرين، ويختار من يتخذ من الشّهداء ويؤجل آخرين.. ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٨﴾ [القصص]

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٤١) والترمذي (١٦٥٧) والنسائي (٣١٤١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

وإنا وإن كنا نعتقد وندعو إلى ممارسة الجِهَاد جنبا إلى جنب مع العمل في باقي مناحي التّربية. ولا سيما إذا تعينت الفريضة في جِهَاد الدَّفع كما هو حالها اليَوْم. إلا أن الجِهَاد كلّ متكامل يحتاج العبد كي يستقيم فيه ويصبر ويثبت إلى أن يقوم بالجِهَاد بكل مناحيه ومراتبه وأنواعه..

يقول الإمَام ابن القيم في الزاد(١):

مراتب الجِهَاد:

لَمَّا كَانَ الْجِهَادُ ذِرْوَةَ سَنَامِ الْإِسْلَامِ وَقُبَّتَهُ، وَمَنَازِلُ أَهْلِهِ أَعْلَى الْمَنَازِلِ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا لَهُمُ الرِّفْعَةُ فِي الدُّنْيَا، فَهُمُ الْأَعْلَوْنَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَانَ رَسُولُ الله ﷺ فِي الذِّرْوَةِ الْعُلْيَا مِنْهُ، وَاسْتَوْلَى عَلَى أَنْوَاعِهِ كُلِّهَا فَجَاهَدَ فِي الله حَقَّ جِهَادِهِ بِالْقَلْبِ وَالْجَنَانِ وَالدَّعْوَةِ وَالْبَيَانِ وَالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، وَكَانَتْ سَاعَاتُهُ مَوْقُوفَةً عَلَى الْجِهَادِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ. وَلِهَذَا كَانَ أَرْفَعَ الْعَالَمِينَ ذِكْرًا، وَأَعْظَمَهُمْ عِنْدَ الله قَدْرًا.

وَأَمَرَهُ الله تَعَالَى بِالْجِهَادِ مِنْ حِينِ بَعْثِهِ، وَقَالَ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ [الفرقان]، فَهَذِهِ سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ أَمَرَ فِيهَا بِجِهَادِ الْكُفَّارِ بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ وَتَبْلِيغِ الْقُرْآنِ، وَكَذَلِكَ جِهَادُ الْمُنَافِقِينَ إِنَّمَا هُوَ بِتَبْلِيغِ الْحُجَّةِ، وَإِلَّا فَهُمْ تَحْتَ قَهْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، قَالَ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٧٣﴾ [التوبة] فَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَصْعَبُ مِنْ جِهَادِ الْكُفَّارِ، وَهُوَ جِهَادُ خَوَاصِّ الْأُمَّةِ وَوَرَثَةِ الرُّسُلِ، وَالْقَائِمُونَ بِهِ أَفْرَادٌ فِي الْعَالَمِ، وَالْمُشَارِكُونَ فِيهِ وَالْمُعَاوِنُونَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانُوا هُمُ الْأَقَلِّينَ عَدَدًا فَهُمُ الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ الله قَدْرًا.

وَلَمَّا كَانَ مِنْ أَفْضَلِ الْجِهَادِ قَوْلُ الْحَقِّ مَعَ شِدَّةِ الْمُعَارِضِ، مِثْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ عِنْدَ مَنْ تَخَافُ سَطْوَتَهُ وَأَذَاهُ، كَانَ لِلرُّسُلِ - صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ - مِنْ ذَلِكَ الْحَظُّ الْأَوْفَرُ، وَكَانَ لِنَبِيِّنَا - صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - مِنْ ذَلِكَ أَكْمَلُ الْجِهَادِ وَأَتَمُّهُ.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٣/ ١٠).

وَلَمَّا كَانَ جِهَادُ أَعْدَاءِ اللهِ فِي الْخَارِجِ فَرْعًا عَلَى جِهَادِ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»(١) كَانَ جِهَادُ النَّفْسِ مُقَدَّمًا عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ فِي الْخَارِجِ، وَأَصْلًا لَهُ، فَإِنَّهُ مَا لَمْ يُجَاهِدْ نَفْسَهُ أَوَّلًا لِتَفْعَلَ مَا أُمِرَتْ بِهِ وَتَتْرُكَ مَا نُهِيَتْ عَنْهُ وَيُحَارِبُهَا فِي اللهِ لَمْ يُمْكِنْهُ جِهَادُ عَدُوِّهِ فِي الْخَارِجِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُهُ جِهَادُ عَدُوِّهِ وَالِانْتِصَافُ مِنْهُ وَعَدُوُّهُ الَّذِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ قَاهِرٌ لَهُ مُتَسَلِّطٌ عَلَيْهِ لَمْ يُجَاهِدْهُ وَلَمْ يُحَارِبْهُ فِي اللهِ، بَلْ لَا يُمْكِنُهُ الْخُرُوجُ إِلَى عَدُوِّهِ حَتَّى يُجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَى الْخُرُوجِ.

فَهَذَانِ عَدُوَّانِ قَدِ امْتُحِنَ الْعَبْدُ بِجِهَادِهِمَا، وَبَيْنَهُمَا عَدُوٌّ ثَالِثٌ لَا يُمْكِنُهُ جِهَادُهُمَا إِلَّا بِجِهَادِهِ، وَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَهُمَا يُثَبِّطُ الْعَبْدَ عَنْ جِهَادِهِمَا، وَيُخَذِّلُهُ وَيُرْجِفُ بِهِ، وَلَا يَزَالُ يُخَيِّلُ لَهُ مَا فِي جِهَادِهِمَا مِنَ الْمَشَاقِّ وَتَرْكِ الْحُظُوظِ وَفَوْتِ اللَّذَّاتِ وَالْمُشْتَهَيَاتِ، وَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُجَاهِدَ ذَيْنِكَ الْعَدُوَّيْنِ إِلَّا بِجِهَادِهِ، فَكَانَ جِهَادُهُ هُوَ الْأَصْلَ لِجِهَادِهِمَا، وَهُوَ الشَّيْطَانُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] وَالْأَمْرُ بِاتِّخَاذِهِ عَدُوًّا تَنْبِيهٌ عَلَى اسْتِفْرَاغِ الْوُسْعِ فِي مُحَارَبَتِهِ، وَمُجَاهَدَتِهِ، كَأَنَّهُ عَدُوٌّ لَا يَفْتُرُ وَلَا يُقَصِّرُ عَنْ مُحَارَبَةِ الْعَبْدِ عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ.

فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَعْدَاءٍ، أُمِرَ الْعَبْدُ بِمُحَارَبَتِهَا وَجِهَادِهَا، وَقَدْ بُلِيَ بِمُحَارَبَتِهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَسُلِّطَتْ عَلَيْهِ امْتِحَانًا مِنَ اللهِ لَهُ وَابْتِلَاءً، فَأَعْطَى اللهُ الْعَبْدَ مَدَدًا وَعُدَّةً وَأَعْوَانًا وَسِلَاحًا لِهَذَا الْجِهَادِ، وَأَعْطَى أَعْدَاءَهُ مَدَدًا وَعُدَّةً وَأَعْوَانًا وَسِلَاحًا، وَبَلَا أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ بِالْآخَرِ، وَجَعَلَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً لِيَبْلُوَ أَخْبَارَهُمْ، وَيَمْتَحِنَ مَنْ يَتَوَلَّاهُ وَيَتَوَلَّى رُسُلَهُ مِمَّنْ يَتَوَلَّى الشَّيْطَانَ وَحِزْبَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ [الفرقان: ٢٠] وقال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖ﴾ [محمد: ٤] وقال تَعَالَى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾ [محمد] فَأَعْطَى عِبَادَهُ الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْعُقُولَ وَالْقُوَى، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ، وَأَمَدَّهُمْ بِمَلَائِكَتِهِ وَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأنفال: ١٢]، وَأَمَرَهُمْ مِنْ أَمْرِهِ بِمَا هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْعَوْنِ لَهُمْ عَلَى حَرْبِ

---

(١) رواه أحمد (٢٣٩٥٨) وصححه الأرنؤوط، ولفظه: «..و المهاجر من هجر الذنوب والخطايا»، واللفظ الوارد هو من حديث البخاري (١٠) «المسلم من سلم المسلمون ...والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ إِنِ امْتَثَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ لَمْ يَزَالُوا مَنْصُورِينَ عَلَى عَدُوِّهِ وَعَدُوِّهِمْ، وَأَنَّهُ إِنْ سَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ فَلِتَرْكِهِمْ بَعْضَ مَا أُمِرُوا بِهِ وَلِمَعْصِيَتِهِمْ لَهُ، ثُمَّ لَمْ يُؤَيِّسْهُمْ وَلَمْ يُقَنِّطْهُمْ، بَلْ أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلُوا أَمْرَهُمْ، وَيُدَاوُوا جِرَاحَهُمْ، وَيَعُودُوا إِلَى مُنَاهَضَةِ عَدُوِّهِمْ، فَيَنْصُرَهُمْ عَلَيْهِ، وَيُظَفِّرَهُمْ بِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مَعَ الْمُتَّقِينَ مِنْهُمْ، وَمَعَ الْمُحْسِنِينَ وَمَعَ الصَّابِرِينَ وَمَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُ يُدَافِعُ عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَا يُدَافِعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، بَلْ بِدِفَاعِهِ عَنْهُمُ انْتَصَرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَلَوْلَا دِفَاعُهُ عَنْهُمْ لَتَخَطَّفَهُمْ عَدُوُّهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ.

وَهَذِهِ الْمُدَافَعَةُ عَنْهُمْ بِحَسْبِ إِيمَانِهِمْ وَعَلَى قَدْرِهِ، فَإِنْ قَوِيَ الْإِيمَانُ قَوِيَتِ الْمُدَافَعَةُ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُجَاهِدُوا فِيهِ حَقَّ جِهَادِهِ، كَمَا أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَّقُوهُ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَكَمَا أَنَّ حَقَّ تُقَاتِهِ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ، فَحَقُّ جِهَادِهِ أَنْ يُجَاهِدَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ لِيُسْلِمَ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ وَجَوَارِحَهُ للهِ، فَيَكُونُ كُلُّهُ للهِ وَبِ اللهِ لَا لِنَفْسِهِ وَلَا بِنَفْسِهِ، وَيُجَاهِدُ شَيْطَانَهُ بِتَكْذِيبِ وَعْدِهِ، وَمَعْصِيَةِ أَمْرِهِ، وَارْتِكَابِ نَهْيِهِ، فَإِنَّهُ يَعِدُ الْأَمَانِيَّ وَيُمَنِّي الْغُرُورَ، وَيَعِدُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَيَنْهَى عَنِ التُّقَى وَالْهُدَى وَالْعِفَّةِ وَالصَّبْرِ، وَأَخْلَاقِ الْإِيمَانِ كُلِّهَا، فَجَاهِدْهُ بِتَكْذِيبِ وَعْدِهِ، وَمَعْصِيَةِ أَمْرِهِ، فَيَنْشَأُ لَهُ مِنْ هَذَيْنِ الْجِهَادَيْنِ قُوَّةٌ وَسُلْطَانٌ، وَعُدَّةٌ يُجَاهِدُ بِهَا أَعْدَاءَ اللهِ فِي الْخَارِجِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ وَمَالِهِ؛ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا.

وَاخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ السَّلَفِ فِي حَقِّ الْجِهَادِ:

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ اسْتِفْرَاغُ الطَّاقَةِ فِيهِ، وَأَلَّا يَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ. وَقَالَ مقاتل: اعْمَلُوا للهِ حَقَّ عَمَلِهِ، وَاعْبُدُوهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ. وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هُوَ مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَالْهَوَى.

إِذَا عُرِفَ هَذَا فَالْجِهَادُ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ:

- **جِهَادُ النَّفْسِ.**
- **وَجِهَادُ الشَّيْطَانِ.**
- **وَجِهَادُ الْكُفَّارِ.**
- **وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ.**

- **وأما جِهاد النّفس:**

فَجِهَادُ النَّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ أَيْضًا:

إِحْدَاهَا: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ، وَمَتَى فَاتَهَا عِلْمُهُ شَقِيَتْ فِي الدَّارَيْنِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعْهَا.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ وَأَذَى الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ كُلَّهُ للهِ. فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ، فَإِنَّ السَّلَفَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الْعَالِمَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى رَبَّانِيًّا حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيُعَلِّمَهُ، فَمَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.

- **وأما جِهَاد الشّيطان:**

وَأَمَّا جِهَادُ الشَّيْطَانِ فَمَرْتَبَتَانِ، **إِحْدَاهُمَا:** جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَى الْعَبْدِ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ الْقَادِحَةِ فِي الْإِيمَانِ.

الثَّانِيَةُ: جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ مِنَ الْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالشَّهَوَاتِ، فَالْجِهَادُ الْأَوَّلُ يَكُونُ بَعْدَهُ الْيَقِينُ، وَالثَّانِي: يَكُونُ بَعْدَهُ الصَّبْرُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة] فَأَخْبَرَ أَنَّ إِمَامَةَ الدِّينِ إِنَّمَا تُنَالُ بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، فَالصَّبْرُ يَدْفَعُ الشَّهَوَاتِ وَالْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةَ، وَالْيَقِينُ يَدْفَعُ الشُّكُوكَ وَالشُّبُهَاتِ].

- **وأما جِهَاد الكفّار[1]:**

الْعُقُوبَاتُ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الشَّرِيعَةُ لِمَنْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: عُقُوبَةُ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ مِنَ الْوَاحِدِ وَالْعَدَدِ كَمَا تَقَدَّمَ. وَالثَّانِي: عِقَابُ الطَّائِفَةِ الْمُمْتَنِعَةِ كَالَّتِي لَا يُقْدَرُ عَلَيْهَا إِلَّا بِقِتَالٍ. فَأَصْلُ هَذَا هُوَ جِهَادُ الْكُفَّارِ أَعْدَاءِ اللهِ وَرَسُولِهِ فَكُلُّ مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى دِينِ اللهِ الَّذِي بَعَثَهُ بِهِ فَلَمْ يَسْتَجِبْ

---

(١) هذه الفقرة «في تبيين جهاد الكفار» هي معترضة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٨/ ٣٤٩).

لَهُ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ قِتَالُهُ ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ وَلِأَنَّ اللهَ لَمَّا بَعَثَ نَبِيَّهُ وَأَمَرَهُ بِدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى دِينِهِ: لَمْ يَأْذَنْ لَهُ فِي قَتْلِ أَحَدٍ عَلَى ذَلِكَ وَلَا قِتَالِهِ حَتَّى هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَذِنَ لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج] ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٢١٦﴾ [البقرة] وَأَكَّدَ الْإِيجَابَ وَعَظَّمَ أَمْرَ الْجِهَادِ فِي عَامَّةِ السُّوَرِ الْمَدَنِيَّةِ وَذَمَّ التَّارِكِينَ لَهُ وَوَصَفَهُمْ بِالنِّفَاقِ وَمَرَضِ الْقُلُوبِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٤﴾ [التوبة] وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾ [الحجرات] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝٢٠ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝٢١ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾ [محمد] وهذا كثير في الْقُرْآنِ. وَكَذَلِكَ تَعْظِيمُهُ وَتَعْظِيمُ أَهْلِهِ فِي (سُورَةِ الصَّفِّ) الَّتِي يَقُولُ فِيهَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣﴾ [الصف] وكقوله تَعَالَى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٢﴾ [التوبة] وقوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤﴾ [المائدة] وقال تَعَالَى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة] فَذَكَرَ مَا يَتَوَلَّدُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَمَا يُبَاشِرُونَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ.

وَالْأَمْرُ بِالْجِهَادِ وَذِكْرُ فَضَائِلِهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَرَ، وَلِهَذَا كَانَ أَفْضَلَ مَا تَطَوَّعَ بِهِ الْإِنْسَانُ وَكَانَ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ أَفْضَلَ مِنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَمِنْ الصَّلَاةِ التَّطَوُّعِ وَالصَّوْمِ التَّطَوُّعِ. كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»(١).

وَقَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَمِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ وَالدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

وَقَالَ: «مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ الله حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٣).

وَقَالَ ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ. وَإِنْ مَاتَ أُجْرِيَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٤).

وَفِي السُّنَنِ(٥): «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ».

وَقَالَ ﷺ: «عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرِس فِي سَبِيلِ الله» قَالَ التِّرْمِذِيُّ(٦): حَدِيثٌ حَسَن.

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ(٧): «حَرْسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلُهَا وَيُصَامُ نَهَارُهَا».

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦) وأحمد (٢٢٠١٦) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) صحيح البخاري (٢٧٩٠).

(٣) صحيح البخاري (٩٠٧).

(٤) صحيح مسلم (١٩١٣).

(٥) رواه أحمد (٤٧٠، ٤٤٢، ٤٧٧) والترمذي (١٦٦٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٦) سنن الترمذي (١٦٣٩) وصححه الألباني.

(٧) رواه أحمد (٤٦٣، ٤٣٣) والحاكم (٢٤٢٦) وحسن إحدى روايتيه الأرنؤوط، وضعفه الألباني وشاكر.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ(١): أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: «لَا تَسْتَطِيعُ». قَالَ: أَخْبِرْنِي بِهِ؟ قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المُجَاهِدُ أَنْ تَصُومَ لَا تُفْطِرُ وَتَقُومَ لَا تَفْتُرُ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَذَلِكَ الَّذِي يَعْدِلُ الجِهَادَ».

وَفِي السُّنَنِ(٢) أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ سِيَاحَةً وَسِيَاحَةُ أُمَّتِي الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله».

وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ لَمْ يَرِدْ فِي ثَوَابِ الْأَعْمَالِ وَفَضْلِهَا مِثْلُ مَا وَرَدَ فِيهِ. وَهُوَ ظَاهِرٌ عِنْدَ الِاعْتِبَارِ فَإِنَّ نَفْعَ الجِهَادِ عَامٌّ لِفَاعِلِهِ وَلِغَيْرِهِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَمُشْتَمِلٌ عَلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ فَإِنَّهُ مُشْتَمِلٌ مِنْ مَحَبَّةِ الله تَعَالَى وَالْإِخْلَاصِ لَهُ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَتَسْلِيمِ النَّفْسِ وَالمَالِ لَهُ وَالصَّبْرِ وَالزُّهْدِ وَذِكْرِ الله وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْأَعْمَالِ: عَلَى مَا لَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ عَمَلٌ آخَرُ. وَالْقَائِمُ بِهِ مِنْ الشَّخْصِ وَالْأُمَّةِ بَيْنَ إحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ دَائِمًا. إمَّا النَّصْرُ وَالظَّفَرُ وَإِمَّا الشَّهَادَةُ وَالْجَنَّةُ. فَإِنَّ الخَلْقَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ مَحْيَا وَمَمَاتٍ فَفِيهِ اسْتِعْمَالُ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ فِي غَايَةِ سَعَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَفِي تَرْكِهِ ذَهَابُ السَّعَادَتَيْنِ أَوْ نَقْصُهُمَا؛ فَإِنَّ مِنْ النَّاسِ مَنْ يَرْغَبُ فِي الْأَعْمَالِ الشَّدِيدَةِ فِي الدِّينِ أَوْ الدُّنْيَا مَعَ قِلَّةِ مَنْفَعَتِهَا فَالْجِهَادُ أَنْفَعُ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ عَمَلٍ شَدِيدٍ وَقَدْ يَرْغَبُ فِي تَرْفِيهِ نَفْسِهِ حَتَّى يُصَادِفَهُ المَوْتُ فَمَوْتُ الشَّهِيدِ أَيْسَرُ مِنْ كُلِّ مِيتَةٍ وَهِيَ أَفْضَلُ المِيتَاتِ. وَإِذَا كَانَ أَصْلُ الْقِتَالِ المَشْرُوعِ هُوَ الْجِهَادُ وَمَقْصُودُهُ هُوَ أَنْ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ وَأَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا فَمَنْ امْتَنَعَ مِنْ هَذَا قُوتِلَ بِاتِّفَاقِ المُسْلِمِينَ. وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ المُمَانَعَةِ وَالمُقَاتَلَةِ كَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالرَّاهِبِ وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْأَعْمَى وَالزَّمِنِ وَنَحْوِهِمْ فَلَا يُقْتَلُ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ إلَّا أَنْ يُقَاتِلَ بِقَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَرَى إبَاحَةَ قَتْلِ الجَمِيعِ لِمُجَرَّدِ الْكُفْرِ؛ إلَّا النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ؛ لِكَوْنِهِمْ مَالًا لِلْمُسْلِمِينَ.

وَأَبْلَغُ الجِهَادِ الْوَاجِبِ لِلْكَفَّارِ وَالمُمْتَنِعِينَ عَنْ بَعْضِ الشَّرَائِعِ كَمَا نَعِي الزَّكَاةَ وَالخَوَارِجَ وَنَحْوَهُمْ: يَجِبُ ابْتِدَاءً وَدَفْعًا. فَإِذَا كَانَ ابْتِدَاءً فَهُوَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ إذَا قَامَ بِهِ الْبَعْضُ سَقَطَ الْفَرْضُ عَنْ الْبَاقِينَ كَانَ الْفَضْلُ لِمَنْ قَامَ بِهِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ﴾ [النساء: ٩٥]

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٢٧٨٥) واللفظ له، ومسلم (١٨٧٨).

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبراني في الكبير (٧٧٠٨) وضعفه الألباني، ورواه أبو داود (٢٤٨٦) دون «إن لكل أمة سياحة» وحسنه الألباني.

فَأَمَّا إِذَا أَرَادَ الْعَدُوُّ الْهُجُومَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ يَصِيرُ دَفْعُهُ وَاجِبًا عَلَى الْمَقْصُودِينَ كُلِّهِمْ وَعَلَى غَيْرِ الْمَقْصُودِينَ؛ لِإِعَانَتِهِمْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢] وَكَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِنَصْرِ الْمُسْلِمِ وَسَوَاءٌ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ الْمُرْتَزِقَةِ لِلْقِتَالِ أَوْ لَمْ يَكُنْ. وَهَذَا يَجِبُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ مَعَ الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ وَالْمَشْيِ وَالرُّكُوبِ كَمَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَمَّا قَصَدَهُمْ الْعَدُوُّ عَامَ الْخَنْدَقِ لَمْ يَأْذَنْ اللهُ فِي تَرْكِهِ لِأَحَدٍ كَمَا أَذِنَ فِي تَرْكِ الْجِهَادِ ابْتِدَاءً لِطَلَبِ الْعَدُوِّ الَّذِي قَسَمَهُمْ فِيهِ إلَى قَاعِدٍ وَخَارِجٍ. بَلْ ذَمَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَ النَّبِيَّ ﷺ: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب] فَهَذَا دَفْعٌ عَنْ الدِّينِ وَالْحُرْمَةِ وَالْأَنْفُسِ وَهُوَ قِتَالُ اضْطِرَارٍ وَذَلِكَ قِتَالُ اخْتِيَارٍ لِلزِّيَادَةِ فِي الدِّينِ وَإِعْلَائِهِ وَلِإِرْهَابِ الْعَدُوِّ][1].

- **وأما جِهاد المُنَافِقِين:**

جِهَاد المُنَافِقِين إنما هو بتبليغ الحجة وإلا فهم تحت قهر أهل الإِسْلَام قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة] فَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَصْعَبُ مِنْ جِهَادِ الْكُفَّارِ، وَهُوَ جِهَادُ خَوَاصِّ الْأُمَّةِ وَوَرَثَةِ الرُّسُلِ، وَالْقَائِمُونَ بِهِ أَفْرَادٌ فِي الْعَالَمِ، وَالْمُشَارِكُونَ فِيهِ وَالْمُعَاوِنُونَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانُوا هُمُ الْأَقَلِّينَ عَدَدًا فَهُمُ الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ الله قَدْرًا وَلَمَّا كَانَ مِنْ أَفْضَلِ الْجِهَادِ قَوْلُ الْحَقِّ مَعَ شِدَّةِ الْمُعَارِضِ، مِثْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ عِنْدَ مَنْ تَخَافُ سَطْوَتَهُ وَأَذَاهُ، كَانَ لِلرُّسُلِ - صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ - مِنْ ذَلِكَ الْحَظُّ الْأَوْفَرُ، وَكَانَ لِنَبِيِّنَا - صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - مِنْ ذَلِكَ أَكْمَلُ الْجِهَادِ وَأَتَمُّهُ.

وَأَمَّا جِهَادُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فَأَرْبَعُ مَرَاتِبَ: بِالْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْمَالِ، وَالنَّفْسِ، وَجِهَادُ الْكُفَّارِ أَخَصُّ بِالْيَدِ، وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَخَصُّ بِاللِّسَانِ.

وَأَمَّا سِيرَتُهُ فِي الْمُنَافِقِينَ، فَإِنَّهُ أُمِرَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ وَيَكِلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى الله، وَأَنْ يُجَاهِدَهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْحُجَّةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُعْرِضَ عَنْهُمْ، وَيُغْلِظَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَبْلُغَ بِالْقَوْلِ الْبَلِيغِ إِلَى نُفُوسِهِمْ، وَنَهَاهُ أَنْ

---

(١) انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

يُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَقُومَ عَلَى قُبُورِهِمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ إِنِ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ، فَهَذِهِ سِيرَتُهُ فِي أَعْدَائِهِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ](١).

ونختم هذا البَاب (موضوع التّربية ومجالاتها) بكلمات في التّربية لرجل عاش تجربة التّربية الجهاديّة بنفسه متعلما ومعلما ومربيا ومُجَاهدا.. إلى أن لاقى ربه شهيداً عَلى ذلك الدّرب، رَحِمَهُ اللهُ وتقبله في الصّالحين. فنقتطف من تراثه العظيم بعض المختصرات.. للشيخ المُجَاهد الشّهيد أبو محمّد عبدالله عزام رحمه الله:

خصائص القَاعِدَة الصلبة المُجَاهدة:

لا بُدَّ للوصول إلى المجتمع المسلم من طلائع تتحمل تكاليف الطّريق، وعلى هذه الطلائع أن تدرك أن الّذي يتصدرون لإنقاذ البشرية ليسوا أناسا عاديين، بل من النماذج الّتي تسترخص كلّ شيء في سبيل دعوتها، ولا بُدَّ أن تتوفر عندهم صفات عَلى رأسها:

١ - أن يكونوا ربّانيين:

﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩﴾ [آل عمران] والرباني هو العالم العامل، فقد قَالَ سعيد بن جبير: ربانيين: أي حكماء وأتقياء، وقد قَالَ محمّد بن الحنفية يوم مات ابن عباس: (الْيَوْمَ مَاتَ رَبَّانِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ)(٢) ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٦﴾ [آل عمران] والرّبي كما قَالَ الحسن البصري: (العُلَماء الصّبر، والربي هو الرباني لأنه عرف ربوبيته الله وعبده وصبر من أحله).

يجب أن يكون ربانيا من حيث حركته ودعوته وسمته وصبره وعلمه وعمله، أي لا يغيب عنه لحظه أن الله عَلى كلّ شيء قدير، وأنه مصدر العزة، وأنه كافيه وحاميه يكلؤه ويرعاه ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٦ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ۝٣٧ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ

(١) انتهى كلام شيخ ابن القيم من زاد المعاد بتصرف.

(٢) انظر مستدرك الحاكم (٦٢٨٤) وفضائل الصحابة لابن حنبل (١٨٤٢)

﴿ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ٣٨﴾ [الزمر] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٧﴾ [الأنعام:]

يجب أن يضع الداعية نصب عينيه أن الله عَلى كلّ شيء قدير، ثمّ بعد ذلك يعلن عَلى الملأ الجَاهِليَّة: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعراف]

لا بُدَّ أن يستمد الإنسان عونه وعزته وإلهامه من الله. لا بُدَّ لمن يتصدى لإنقاذ النّاس أن يكون أقوى منهم بالله، لا بُدَّ لمن يتصدر لتطهير النّاس أن يكون أطهر منهم، ولا بُدَّ لمن يتقدم لرفع النّاس أن يكون أعلى منهم.

٢ - التجرد للدعوة عن المنافع الدنيوية وثمارها العاجلة القريبة:

إذ جاء الأنبياء جميعا يقولون: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٤٥﴾ [الشعراء]

تكررت هذه الآية كثيرا عَلى لسان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم في سورة الشعراء.

ولذا فعندما عرض الرَّسُول ﷺ عَلى بني عَامِرِ بْنِ صَعْصعة، قَالَ له بَيْحَرَةُ ابْن فِرَاسٍ أحد رجالها: (أرأيت إِنْ نَحْنُ بَايَعْنَاكَ عَلَى أَمْرِك، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ، أَيَكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِن بَعْدِكَ؟) قَالَ رسول الله ﷺ: «الْأَمْرُ إِلَى الله يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» فَأَبَوْا عَلَيْهِ[(١)].

ولم يكن يعلم رسول الله ﷺ أنه سينتصر، وأن هذا الدّين سيظهره الله في حياته وعلى يديه، بل كانَ ربه يخاطبه قائلا: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ٤١ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ٤٢﴾ [الزخرف] ولكن رسول الله ﷺ يعتقد أن هذا الدّين سينتصر، وكان لا يعد ولا يبايع أحدا من المُسلِمين إلا عَلى الجنّة، فقد قَالَ هذا للمضطهدين المعذبين: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ»[(٢)].

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٤)

(٢) رواه الحاكم (٥٦٤٦) والطبراني في الأوسط (١٥٠٨) وقال الشيخ الألباني في التعليق على (فقه السيرة: ص ١٠٧): حديث حسن صحيح.

وقال ﷺ يوم بيعة العقبة الثّانية للأنصار: «أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ» قالوا: فما لنا يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قَالَ: «الجنّة»(١). فالبيعة والصفقة مع الله عَلى الجنّة، والبيعة في الدُّنيَا عَلى العمل للجنة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة]

٣- بناء القَاعِدَة الصلبة:

يجب الاهتمام بتربية النماذج، لا بإكثار الإعداد، لأن النّاس إنما يتغير بفعل النماذج والأفذاذ.

علينا أن نعتني بالكيف لا بالكم، والفئة الصابرة والصادقة وإن كانت قليلة فإنها تنتصر بإذن الله ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾ [البقرة] هذه القَاعِدَة الصلبة هيَ الّتي أعادت الجَزِيرَة العربيّة كلها أيّام الرِّدَّة إلى الإِسْلَام، لأن من نماذجها أبا بكر الّذي صاح عندما بلغوه ردة القبائل: وَالله لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا – جديا – كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم فيه أو أهلك دونه، ثمّ قَالَ: (أينقص الدّين وأنا حي؟) وفي رواية لو منعوني عقالا – حبل الّذي يربط به البعير –(٢).

وأصر أبو بكر عَلى إنفاذ جيش أُسَامَة، وأجاب الّذين راودوه عَلى تأخيره قائلا: (وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَوْ جَرَتِ الْكِلَابُ بِأَرْجُلِ أَزْوَاجِ رَسُولِ الله ﷺ مَا رَدَدْتُ جَيْشًا وَجَّهَهُ رَسُولُ الله)، وفي رواية (لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أُسَامَة)(٣) وفي هذه اللحظة الحاسمة بعد وفاة رسول الله ﷺ ساق الله رجلا حازما – أبا بكر – لينقذ بموقفه أمة بكاملها من الإندثار والبوار.

لا بُدَّ من تربية النماذج الصلبة الّتي تستعصي عَلى الإغراء ولا تقبل البيع والشراء من قبل الأَعدَاء والأصدقاء. ولا بُدَّ من تربية الأفذاذ الّذين لا يقبلون الذوبان في حوامض المجتمع الجاهلي، ولا يتميعون

---

(١) طرف من حديث طويل رواه أحمد من (١٥٧٩٨) وقال الأرنؤوط: حديث قوي.

(٢) انظر صحيح البخاري (١٤٠٠)

(٣) انظر الاعتقاد للبيهقي (١/ ٣٤٥) وكنز العمال (١٤٠٦٦).

في ظروفه المختلة، العناصر الصلبة الّتي تحمل المجتمع والدّعوة فوق كاهلها. نريد الأفرع الصلبة الّتي لا تتلوى مع رياح المجتمع، ولا تتثنى مع أهوائه.

لقد كانَ اجتياز الجيش الإِسْلَاميّ لنهر دجلة عند فتح العراق وفارس إبَّان فيضانه من القضايا الّتي أذهلت المؤرخين وحيرهم تفسيرها: اجتياز الجيش لدجلة دون ان يفقد فردا واحدا من عدده. ولكن القضية الأروع أن هذا الجيش خاض بحور أكبر مدنيتين – الرُّوم والفرس – دون أن يفقد من خلقه ولا من دينه شي.

لقد تربع سلمان الفارسي عَلى مقام كسرى بعد أن أذله الله وذل عرشه، وكان كسرى يبكي ويقول: لم يبق عندي سوى ألف طباخ فكيف أستطيع أن أعيش بهذا العدد فقط؟ بينما سلمان – أمير فارس المسلم – ينفق كلّ يوم درهما واحدا.

٤- بناء الدعاة لأنفسهم بالعلم الحقيقي والعِبَادة الخالصة:

لا بُدَّ من أن يربط الداعية نفسه أو يربطه شيخه بالقرآن الكريم تلاوة وتجويدا وتفسيرا ومعرفة أحكامه، وأن يبني المسلم نفسه بين أروقة المساجد حيث السكنية والرحمة والملائكة والإعتكاف.

وأن يحسن اختيار الصحبة الطيبة الّتي تدله عَلى الله، وعليك يا أخي أن تحسن الاتّصال بمن يدلك عَلى الله حاله، ويذكرك بالآخرة مقاله. ولا تنس قيام الليل فله أثر عميق في بناء النّفسية المسلمة وصفاء الرّوح، وقد كانَ قيام الليل دأب الصّالحين، وكذلك صيام النافلة وخاصة يومي الإثمين والخميس.

ولابد من الذكر باستمرار لإحياء القلب. وحفظه من الشّيطان ووسواسه، ولتحصين النّفس من الهوى والشهوة الجارفة والميل.

وكذلك توطين النّفس عَلى الشكر في الرخاء، والصّبر عَلى البلاء، والاستغفار من الذّنوب والأخطاء، وتربية النّفس عَلى الصّبر عَلى متاعب الطّريق وتضحيات العَقِيْدَة ولأواء الجادة.

ولا بُدَّ من استغلال الوقت في المطالعة فيما يفيد، أو العِبَادة والعمل، ولا يجوز أن نقتل حياتنا بالجلسات الفارغة والسهرات الخاوية من الفائدة.

ويجب أن ترعى بناء التصوُّر الصَّحِيح لأنفسنا من خلال كتاب الله وسيرة رسول الله ﷺ وحياة السَّلَف الصّالح]أهـ.(١)

أثر الذّنوب عَلى المسلم:

من وجد الله وجد كلّ شيء، ومن فقد الله فقد كلّ شيء، من عرف الله ذاق سعادة الدارين، ومن نسى الله أنساه نفسه. ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر]

الحقيقة التاسعة: قانون الذّنوب والمصائب – مصائب النّاس – قسمان:

مصائب الأنبياء – وهم معصومون من الذّنوب – لرفع الدرجات.

ومصائب غير الأنبياء – غير المعصومين – لتكفير السيئات ثمّ رفع الدرجات.

القانون يقول: الذّنوب تؤدي إلى مصائب.

مصائب + صبر = مغفرة الذّنوب.

وهذا القانون مسطر في كتاب ربّ العَالَمِيّن: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ٣٠﴾ [الشورى] وهذا القانون لخصه سيدنا علي ﵁ بقوله: (وما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع بلاء إلا بتوبة).

وقال الحسن: بلغنا أنه ليس أحد خدش عود ولا نكبه قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، قَالَ القرطبي قَالَ الحسن: لما نزلت هذه الآية قَالَ النبيّ ﷺ وذكر الحديث.

وفي الصَّحِيحين(٢) عن أبي سعيد وأبي هريرة ﵄ عن النبيّ ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ».

قَالَ ابن خيرة: – من أصحاب علي ﵁ – (جزء المعصية: والوهن في العِبَادة، والضيق في المعيشة، والتعسر في اللذة، قيل في اللذة؟ قَالَ لا يصادف لذة حلالا إلا جاءه من ينغصه إياها).

يقول مالك بن دينار: (إذا رأيت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك، وحرمانا في رزقك، فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك).

---

(١) (الذخائر: ج١/ ٧٧٣).

(٢) رواه البخاري (٥٦٤١) ومسلم (٢٥٧٣).

وهذا القانون يعم كلّ جوانب الحياة من أمراض بدنية ونفسية، ومن ضيق في الرزق وظنك في العيش، وشدة في الحياة، وانحباس في المطر، وحل في الأرض، وقحط في الزرع، كلّ هذا بسبب الذّنوب.

جاء في الحديث الصَّحِيح الّذي رواه ابن ماجة والحاكم(١) عن ابن عمر مرفوعا:

«كنت عاشر عشرة رهط من المُهَاجِرين عند رسول الله ﷺ فاقبل علينا رسول الله ﷺ يوجهه فقال: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِنِ ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَنَزَلَ فِيكُمْ أَعُوذُ بِالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ:

لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا.

وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ.

وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا.

وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ.

وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ الله، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»(٢).

قَالَ الضحاك: ما تعلم رجل القرآن ونسيه إلا بذنب.

وقال مرّة الهمداني: رأيت عَلى ظهر كف شريح قرحة، فقلت: يا أبا أمية، ما هذا قَالَ: هذا بما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير.

وقال ابن عون: (إن محمّد بن سيرين لما ركبه الدّين اغتم لذلك، فقال أنّي لا أعرف هذا الغم، هذا بذنب أصبته منذُ أربعين سنة).

وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره له إلا بها، أو لينال درجة لم يكن يوصله إليها إلا بها).

(١) رواه ابن ماجة (٤٠١٩) والحاكم (٨٦٢٣) وصححه، وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٢) تم ضبط لفظ الحديث عن ما هو في الأصل.

وكلا عكرمة هذا هو خُلاصة قانون المصائب: أنها إما بذنب فجاءت البلية لتكفره، أو لأن الله يحب المرء فيريد رفع درجته عنده فيصيبه البلاء ولكن لا ينزل كذلك بالصّالحين الّذين يريد الله أن يرفع درجاتهم إلا بسبب ذنوبهم وهفواتهم.

وقد فهم الصّحابة ﷺ هذا القانون، فتراهم يفسرون الأحداث من خلاله، قَالَ الحسن دخلنا عَلى عمران بن الحصين فقال رجل: لا بُدَّ أن أسألك عما أرى بك من الوجع، فقال عمران: يا أخي لا تفعل، فوالله إنّي لأحب الوجع، ومن أحبه كانَ أحب النّاس إلى الله، قَالَ الله تَعالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى] فهذا فبما كسبت يدي، وعفو ربي عما بقى أكثر.

وقال أحمد بن أبي الحواري لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم، فقال: لأنّهم علموا أن الله تَعالَى إنما ابتلاهم بذنوبهم.

وهذا القانون (الذّنوب سبب المصائب) ورد في كثير من الآيات والأحاديث، وعلى لسان الصحب الكرام والسف الصّالح كما أوردنا آنفا قبسات من مشكاتهم، ففي الكتاب العزيز: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٤١﴾ [الروم].

وأنت تلمح من خلال النظم الكريم رحمة الله الواسعة بأن الفساد كانَ عقوبة لبعض ذنوب النّاس، ولكن لو حاسب الله المخلوقات عَلى جميع ذنوبهم ما ترك عَلى ظهرها من دابة ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٦١﴾ [النحل].

وذكر الإمَام أحمد عن عمر بن الخطاب: (توشك القرى أن تخرب وهي عامرة؟ قَالَ إذا علا فجارها عَلى أبرارها، وساد القبيلة من فقوها).

وذكر الإمَام أحمد عن صفية قالت: (زلزلت المدينة عَلى عهد عمر فقال: يا أيها النّاس ما هٰذا: ما أسرع ما أحدثتم، لئن عادت لا تجدوني فيها، ففسر عمر سبب الزلزلة بالمعاصي الّتي أحدثت في المدينة.

وقد يقول قائل: إن سبب الزلزلة أمر جيولجي أرضي من تقلص في قشرة الأرض أو غير ذلك، ونحن نؤمن معه هذا السبب الظّاهِري، ولكن ما السبب الحقيقي الّذي كانت نتيجة أن يأمر الله بالزلزلة، إنه الذّنوب والذّنوب فقط.

وروى الإِمَام أحمد بإسناده عن عمر قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَتَبَايَعُوا بِالْعِينَةِ، وَاتبعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أنزل الله بهم بلاء، فلا يرفعه حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ»(١).

قَالَ ابن القيم: وإن الذّنوب لتعم مصائبها الحيوانات والحشرات والجعلان في جحورها، يقول الله عزوجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ ﴾ [البقرة] قَالَ ﷺ: «اللاعنون: دَوَابُّ الْأَرْضِ»(٢).

قَالَ مجُاهد وعكرمة: هيَ الحشرات والبهائم يصيبها الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم.

قَالَ ابن مسعود: كاد الجعل أن يعذب في حجره بذنب أبن آدم.

قَالَ أبو هريرة: والّذي نفسي بيده إن الحبارى لتموت... في وكرها لظلم الظَّالِم.

قَالَ عكرمة: دواب الأرض وهوامها حتَّى الخنافس والعقارب يقولون: منعنا القطر بذنوب بني آدم.

لقد كانَ إهلاك الأمم السَّابقة، ودمار عمرانها، وبوار إنتاجها، وسحق أبنائها بسبب الانحراف عن منهج الله وتنكرها له ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾ [يونس: ١٣] ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨ ﴾ [سبأ]

فالّذين انطمست بصائرهم، وجحدوا فطرتهم، وأنكروا آخرتهم، في عذابهم واصب، وشقاء دائب، وتيه مستمر وجحيم مستقر في هذه الدُّنيَا وفي الآخرة، وإلا فأخبرني بربك ما الّذي أغرق الأرض بأحيائها أو أشجارها وأناسيها زمن نوح عليه الصّلاة والسَّلام إلا الإعراض عن منهج الله ؟!

وما الّذي أهلك عادا إرم ذات العماد، فأحلها كأعجاز نخل منقعر سوى البعد عن دين الله؟ وما الّذي أرسل أصيحة عَلى ثمود فأصبحت كهشيم المحتظر سوى التنكب لطريق الله؟ أيكفيك هٰذا؟ أم

---

(١) رواه أحمد (٤٨٢٥) والطبراني في الكبير (١٣٥٨٣)، والبيهقي في الشعب (٤٢٢٤) ضعفه الأرنؤوط وصححه الألباني (صحيح الجامع (٦٧٥).

(٢) رواه ابن ماجة (٤٠٢١) وضعف إسناده الألباني والأرنؤوط.

لا بُدَّ أن تمر بخرائب مدين، وخرائب أصحاب الأيكة لتدرك أن مغبة الإعراض عن دين الله عاقبته وخيمة، ونهايته خطيرة. وسنرى بالتفصيل من خلال الصفحات القادمة كيف تسبب الذّنوب ضيقا في الرزق، وهزيمة في المَعْرَكة ونسيانًا للعلم.

ففي الرزق: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ» ولفظ ابن ماجة عن ثوبان قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ» ورواه في الزوائد، إسناده حسن(١).

وقد جاء في الحديث الّذي رواه الحاكم(٢) وقال صحيح الإسناد عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ: «خَرَجَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَسْتَسْقِي، فَإِذَا هُوَ بِنَمْلَةٍ رَافِعَةٍ بَعْضَ قَوَائِمِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: ارْجِعُوا فَقَدِ اسْتُجِيبَ لَكُمْ مِنْ أَجْلِ شَأْنِ النَّمْلَةِ» وجاء في بعض رواياته «اللّهم نحن خلق من خلقك فلا تؤاخذنا بني آدم».

وأما هزيمة المَعْرَكة فقول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥﴾ [آل عمران]

فهزيمة المَعْرَكة كانت نتيجة لبعض الذّنوب وأما العلم فعن ابن مسعود مرفوعا: «إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به الشيء من الرزق وإنه ليذنب الذنب فينسى به البَاب من العلم كانَ قد علمه، وإنه ليذنب الذنب فيمنع قيام الليل»(٣).

وكل هذا سنراه تفصيلا ونحن نطرق أبواب السعادة البشرية باباً باباً، وندرك أثر طاعة الله في السعادة، ونتيجة الذّنوب حدوث المصائب والمحن والشقاء والبوار، والحق أن هذه القَاعِدَة هيَ جماع الأمر كله في هذا الدّين بل خُلاصة دين الله هيَ هذه القَاعِدَة ولذا لا يستطيع الإنسان أن يوفيه حقا ولو من كبار العُلَماء وأساطينهم، فيكف بعبد صغير جاهل مثلي؟

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٨٦) وابن ماجة (٤٠٢٢) والحاكم (١٨١٤) وصححه، وهو طرف من حديث حسنه الألباني والأرنؤوط دون هذه العبارة «إن الرجل ليحرم ...» .

(٢) رواه الحاكم (١٢١٥) وصححه، وضعفه الألباني.

(٣) لم أقف له على سنده.

وإذا ضربنا أمثلة فإنما هيَ علي سبيل توضيح القَاعِدَة لا عَلى سبيل الحصر، فإن الأمثلة كثيرة من الشواهد القرآنية والأحاديث النّبويّة، ودعنا ترى بعض الأمثلة الشاهدة لهذه القَاعِدَة الكبرى.] أهـ.(١)

كتب الشَّيْخ عبدالله عزام رَحِمَهُ اللهُ في رسالة لأحد أصدقائه:

[ودعك عن الظّروف الداخليَّة والخارجيّة الّتي يمر بها إخواننا، وانشغالهم بأمور، هنالك أشياء كثيرة أعظم منها وأرفع ذكرا وأعز شأنا، وأما حرقة الإخوة فأرجوا الله أن تكون معبرة بين المُؤمِنِين، وأن تحفظ الحرمات وتحمي الأعراض وتصان الكرامات.

لا يهمني شخصي، ولا يهمني ما ألاقى من متاعب في ذات الله وابتغاء مرضاته لإعادة الفريضة الغائبة إلى دنيا المُسلِمِين، وأن لا تمسخ التأويلات لنصوص القِتَال، ولا تؤول إلى كلمات مبرمجة وجمل مرتبة مصفوفة، بكتبها فارغ بال وهو مجلس عَلى أريكة تحت أثير المكيف. نريد أن يعود الجِهَاد إلى حياة المُسلِمِين، نريد أن نتنفس كيف شئنا، نريد لقلوبنا أن لا تحصى نبضاتها، ولأفواهنا أن تتكلم كيف شاءت ومتى شاءت لا أن تعيش مكممي الأفواه مقيدي الأيدي، موثقي الأرجل، لقد أضحى العمل للإسلام خطبة حارة، أو كتابا مجلدا أنيقا، أو جليسا خلف مكتب للتفكير كيف يكون الإِسْلَام وفالنّاس ينظرون إلى الإِسْلَام من خلال بروجهم العاجية، يتحركون في فراغ، ويعملون في فراغ، ولا ينتجون إلا الفراغ... لا بُدَّ من مجموعة المُسلِمِين تتصدر عمليَّة نقل الإِسْلَام من الأوراق إلى الأرض، فنرجو الله أن نكون منهم، لا بُدَّ من طليعة تضحي بكل ما تمتلك وتعيش، من أجل قضية القِتَال (وليس الجِهَاد بالقلم واللسان)، لا بُدَّ من نخبة تتحمل تكاليف إحياء الجِهَاد في واقع النّاس بعد أن أصبح نسيا منسيا. فوقفنا هنا في أثمن فرصة مرت علينا في حياتنا نحاول تجميع المُسلِمِين عَلى هذا المعنى العظيم، وقفنا نحاول أن نفي بالعقد المعقود بيننا وبين ربّ العَالَمِين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة]**].أهـ.**(٢)

---

(١) الذخائر: (ج١/ ٧٧٩-٧٨٥).

(٢) الذخائر (ج١/ ٧٩٣).

وفي نهاية باب نظريَّة التّربية المُتكامِلة هذا أعود إلى القول..

إن الجِهَاد اليَوْم فريضة متعينة عَلى كلّ مسلم، نعم وبهذا نقول وإليه ندعوا. ولكن مهمتنا كدعاة للجِهَاد والمُقاوَمة لا تنتهي هنا، بل من هنا تبدأ. ويجب أن نربي من لبى داعي الجِهَاد، ونوفر لهم سبل التّربية المُتكامِلة.

ولقد رأيت من خلال ما من الله به علي من مواكبة التَّجَارب الجهاديّة، وصحبة الكثيرين من المُجَاهدين في أكثر من قضية وساحة.. رأيت البون واسعا، والفرق شاسعا، بين مُجَاهد قد أخذ حظا من التّربية وآخر قد فاته هذا الخير. ورأيت الفارق هائلا بين مُجَاهد قد فقه عقيدته القتاليّة، فعلم من هو وماذا يريد، وآخر قد جاءت به العاطفة والحماس. ورأيت الإختلاف بينا بين مُجَاهد قد أخذ حظا من التّربية السُّلُوكية والأخلاق، وأنعم الله عليه بحظ من العِبَادة والنسك وبين آخرين حرموا من ذلك. وقل مثل ذلك عن الفارق بين مُجَاهد يفهم ما يجري من حوله من أحداث، وآخر لا يعرف كيف الدُّنيَا تدور. كما ظهر في القِتَال والميدان الفارق الواسع بين مُجَاهد قد أعد وصبر عَلى الإِعداد والرِّبَاط في دورات التّدريب، وآخرين قفزوا عَلى ذلك إلى الميدان شوقا إلى القِتَال فلما حضروا المَعْرَكة كانوا أقل فعلا وأثرا..

لقد تبدت تلك الفوارق ولا سيما السُّلُوكية والأخلاقية عندما عصفت بنا الخطوب والمحن ودخلنا مرحلة الفاقة والمطاردات... وظهرت معادن الرّجال عَلى حقيقتها، فظهر الصِّدق والثّبات، والشجاعة والكرم، والإيثار والتفاني والتَّضحِيَة، وأخلاق الأخوة، ومزايا الصادقين المخلصين المؤهلين.. ممن أنعم الله عليهم.

وظهرت أضداد ذلك من تفاهات النفوس واستزلال الشّيطان، حتّى بين بعض المُجَاهدين، بل وبعض قدمائهم. ونسأل الله العافية والستر في الدُّنيَا والآخرة.

والحقيقة فإن كلّ نقص في مجال التّربية يجبر بعون الآخرين من الصحب المُجَاهدين، إلا ضعف العَقِيْدَة ونقص النسك، وسوء الخلق ونقص المروءة.

فإن ضعف العَقِيْدَة يورث الخور، وربما الرِّدَّة عَلى الأعقاب. وكذلك فإن نقص النسك والعِبَادة يورث القسوة والجفوة، وإن رداءة الأخلاق وسوء التّربية لا تنجبر وتنعكس عَلى صاحبها عنتا، وعلى من ابتلي بصحبته بلاء.

فالنسك وكثرة النوافل والعِبَادة تورث معية الله وحبه، وتنعكس عَلى صاحبها طراوة ونورا. وأما حسن الخلق فقد ذهب بخير الدُّنيَا والآخرة، ويكفي هذا صاحبه إلى أن يبلغه أعلى منازل الجنّة برحمة الله، ونسأل الله من فضله العظيم.

ولا يقولن أحد أن البرنامج الّذي أشرت إليه في أنواع التّربية كبير ويتطلب وقتا طويلا. لأن هذا يسير مع الإنسان في حياته بشكل طبيعي إن كانَ في حياته الطبيعيّة ويأتي مع تعود المطالعة والتزام المساجد ودروس العلم. وأما في حالات التفرغ للجِهَاد والرِّبَاط في المُعَسْكَرَات والجبهات فما يمكن فعله هائل لو توفرت قيادات تولي مسألة التّربية ما تستحقه من الاهتمام. لأن العناصر يأتون بنفسية مستعدة للتلقي وبتفرغ في سبيل الله عَلى مدار الوقت.

ولقد مر بنا خلال الرِّبَاط عَلى ذمة الجِهَاد في تجربة الجِهَاد في سوريا سنين، تفرغ فيها مئات المُجَاهدين كليا، ولم يتلقوا إلا تربية محدودة وضاع الوقت أكثره هدرا، ولم يستفد إلا من حرص عَلى تأهيل نفسه ووقته. وفي تجربة الجِهَاد الأفغاني بمرحلتيه، ضاعت أكثر الأوقات هدرا عَلى أكثر النّاس، وقد استفاد البعض من خلال جهد بعض التَّنظِيمات، أو من خلال الجهد الشخصي وحصلوا نتائج طيبة.

فعلى من يريد الجِهَاد أن يعنى بهذا الأمر في نفسه ومن معه، فالوقت نعمة من نعم الله عَلى العبد سيسأله عنها، وسن الشَّبَاب خاصّة نعمة من نعم الله سيسأله عنها. وكذا كلّ نعمة.

****

الفصل الثامن

الباب الرابع

النَّظريَّة العسكريّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلاميّة العَالَمِيّة

هذا البَاب هو قلب الكتاب بجزئية ولأجله وضع كلّ الكتاب ورتبت له كلّ المقدمات والفصول.. فهو جوهر فكرتنا وخلاصتها.

وهو الفكرة الأولى لدعوة المُقاوَمة الّتي كتبتها في البيان الأوّل أواخر ١٩٩٠م. ونشرتها مطلع ١٩٩١م. ومن أجل جوهرها عدت لأفغانستان في عهد طالبان وقمت بمحاولة مستميتة لأحولها لمشروع حي يتحرك عَلى الأرض.. ولكن قدر الله وأدركنا ما أدركنا من أحداث ليصرفنا إلى ما نحن فيه والأمل بالله كبير..

وكما هيَ طريقتنا، فإن توليد نظريتنا العسكريّة جاء من خلال دراسة لتجاربنا الذاتية في التّيار الجهاديّ، ومعاناة ومعايشة ميدانية لها ولمراحلها المختلفة. وفق نهج النَّظريَّة العمليّة الّتي عرّفتها.

فمثل هذه النَّظريَّات لا يصوغها بتوفيق الله سبحانه تَعَالَى إلا العاملون، فهي تكتب للميدان، وتتجمع جزئيات أفكارها في الميدان، وفي ساعات التأمل أثناء استراحات المحاربين المُجَاهدين..نسأل الله أن يجعلنا منهم.

وألفت النَّظر إلى أمر مهم وهو:

أن أكثر ما سأذكره هنا هو اجتهاد حركي وعسكريّ خاص، مبني عَلى التَّجَارب الذاتية والدّراسة والمقارنة، والمحاورة مع أصحاب التَّجَارب من قادة المُجَاهدين وكوادرهم.. وأكثر هذه المواضيع ليس من مسائل العقائد وأحكام الحلال والحرام، وإنما آراء بنيت عَلى دُروس التَّجَارب من قضايا الرَّأي والحَرب والمكيدة.

وقد وضَعت البذرة الأولى وجوهر الفكرة صيف ١٩٩١، فيما كانت نذر عاصفة الصَّحرَاء ورياحها العاتية تهب علينا في أفغانستان. ثمّ طورتُها من بعد مع زلازل ومحن آخر التَّجَارب الجهاديّة في الجَزَائِر. ثمّ بلورتُها في مُعَسْكَرَات الرِّبَاط وخطوط القِتَال في الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان وحاولت تنفيذها بالتّعاون مع الإمارة الإِسْلَاميّة، ثمّ جاء سِبتَمبر، لأتفرغ كليا لصياغتها بشكلها النّهائيّ بعد أن ألزمتنا المطاردات الظَّالمة حالة قريبة من اسجن والإقامة الجبرية، كانَ من حسناتها التفرغ لمتابعة الأحداث والتَّفكير والمراجعة والكتابة. وقد مضى علينا منذُ سقوط أفغانستان وإلى الآن زهاء ثلاث سَنَوات حصلت فيها تحولات تارِيخيَّة قلبت فيها الأحداث وجه الحضارة ومسار التّاريخ، وانطلقت الحملات الأمريكيّة بأساليبها العسكريّة الجَدِيدة وهجمتها الشّاملة في كلّ منحى، لتؤكد لي صحة هذه الأفكار– والله أعلم –، ولتزيدني قناعة بها وتساعدني عَلى تطويرها وتكييفها، بما يتناسب مع الواقع الجَدِيد. فلقد اختلت موازين القوى المادية بيننا وبين أعدائنا، ثمّ رجحت لصالحهم، ثمّ انهارت.

فليس بيننا وبينهم مادياً وعسكريّاً موازين ولا مقارنات، ولا أجد مفراً وبداً إذا قررنا المُوَاجَهة، واعتبرناها فرضاً دينياً – كما هيَ حقيقتها – من اعتبار الأسلوب الأوحد الممكن، بحسب وجهة نظريَّة للمُوَاجَهة الشّاملة إلا مثل هذه الأفكار الّتي سأفصلها في هذا البَاب بإذن الله وأسأله الفتح والتيسر والهام الحقّ والخير والهدى والإخلاص أولاًوآخراً وأن يتوج كرمه بالقبول إنه سميع مجيب..

استعراض أساليب الجِهَاد وطرقه في مسار التّيار الجهاديّ (١٩٦٣– ٢٠٠١):

كما أسهبت في الفَصل السَّادس والسَّابع في الجزء الأوّل. فقد انطلق الجِهَاد مطلع الستينات من القرن الماضي، واستمرت التَّجَارب إلى أن جاء سِبتَمبر٢٠٠١، وابتدأ عالم الجَدِيد..

والناظر في تلك التَّجَارب يستطيع تصنيف التَّجَارب الجهاديّة من حيث أسلوب المُوَاجَهة إلى ثلاثة مدارس جهاديّة، ينضوي تحتها كلّ جِهَاد قام خلال تلك الفترة.

وقد كانت وكانت نتائج أدائها كما يلي:

مدرسة التَّنظِيمات الحَركيّة (القطريّة -السرية-الهرمية)	مدرسة الجبهات المفتوحة والمواجهات المكشوفة.	مدرسة الجِهَاد الفَرديِّ وإرهاب الخلايا الصغيرة.
وهي من قبيل التَّجَارب والتَّنظِيمات الجهاديّة الّتي تحدثت عنها آنفاً. فقد كانت تتبنى الفكر الجهاديّ والعمل الحَركيّ، في المجال القطري وفق النّظام السري، والبناء الشبكي الهرمي وكان الهدف الأساسي هو إسقاط الحُكُومَات والأنظمة القائمة. وإقامة النّظام الإِسْلَاميّ عبر الجِهَاد المُسلّح. **وكانت خُلاصة النَّتِيجَة:** ١- **فشل عسكريّ** وهزيمة ميدانية. ٢- **فشل أمني** وتفكيك التَّنظِيمات. ٣- **فشل دعوي** وعدم القدرة عَلَى حشد الأُمّة. ٤- **فشل تربوي** نتيجة السرية. ٥- **فشل سياسي** بعدم تحقق الهدف.	وهو من قبيل التَّجَارب الّتي حصلت في ساحات المُوَاجَهة المفتوحة وأشهرها التَّجَارب الأخيرة في أفغانستان، البوسنة، الشِّيشَان. وقد اعتمدت هذه المواجهات أسلوب المُوَاجَهة من خلال قواعد ثابتة. وحرب العِصَابات شبه النّظامية **وكانت خُلاصة النَّتِيجَة:** ١- **نجاح عسكريّ** ساحق. ٢- **نجاح أمني** أعاق دور الإستخبارات. ٣- **نجاح دعوي** أدى لحشد الأُمّة وراء تلك القضايا. ٤- **نجاح تربوي** نسبي في المُعَسْكَرَات والجبهات. ٥- **فشل سياسي إلا في أفغانستان** حيث أقيمت الدّولة الإِسْلَاميّة.	وهي من قبيل العمليَّات الفرديَّة الّتي قام بها أفراد أو مجموعات صغيرة. وهي من قبيل عمليَّات منها: - سيد نصير المصري وقتله للصهيوني الكبير كاهانا. - رمزي يوسف البلوشي ومحاولة تدمير برج نيويورك الأولى. - الدقامسة الأردني الّذي قتل الصّهيونيّات عَلَى الحدود. - سليمان خاطر المصري الّذي قتل حرس الحدود الإسرائيلي. - العمليَّات الفرديَّة أيّام حرب الخليج..وقائمة تطول.. **والخلاصة:** ١- **نجاح عسكريّ** هز كيان العدوّ. ٢- **نجاح أمني** لأنها أعمال لا تؤدي لإجهاض توليد مزيد من الخلايا. ٣- **نجاح دعوي** حشد الأُمّة. ٤- **فشل تربوي** لعدم وجود برنامج. ٤- **فشل سياسي** لعدم وجود برنامج يحولها إلى ظاهرة.
المحصلة: **فشل كامل عَلَى كلّ الأصعدة.**	المحصلة: **نجاح بشكل عام، ونجاح كامل في أفغانستان.**	المحصلة: **نجاح في إرباك العدوّ، وتحريك الأُمّة.**

فإذا جئنا لنقاش هذه المدارس الثّلاثة بحثاً عن أفضل طريقة للمُوَاجَهة اليَوْم نجد ذلك كما يلي:

أولاً: مدرسة التَّنظِيمات الجهاديّة (القطريّة - السرية - الهرمية):

كما أوجزت في الجدول السابق لقد آلت هذه المدرسة إلى الفشل التام في كافّة المناحي. ولا أقول هذا الكلام عن هذه الطَّريقة كناقد من خارجها. بل لقد كنت (ولله الفضل وأسأله الإخلاص والقبول). من أقطابها ودعاتها ومنظريها الحَركيّين.

ولكني أنظر إلى الأساليب عَلى أنها وسائل، وليست أوثاناً. فما ثبت جدواه عملنا به وما تجاوزه الزَّمن تجاوزناه وإلا تجاوزنا الزَّمن معه.

صحيح أَنّي ذكرت في التّاريخ أن أحداث سِبتَمبر قد قضت عَلى ما تبقى من تنظيمات التّيار الجهاديّ - ولاسيما العربيَّة - ودمرت تداعيات تلك الأحداث ما تبقى من تلك التَّنظِيمات جماعياً وصفت أكثر أفرادها قتلاً وأسراً. ولكن ليس هذا سبب انتهاء هذه المدرسة. لقد انتهت هذه المدرسة عملياً قبل ذلك بعشر سنين منذُ انطلق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد عام ١٩٩٠.

وعلى مدى العقد الأخير من القرن المنصرم استطاعت بَرَامج مكافحة الإِرهَاب أن تفكك تلك التَّنظِيمات أمنيّاً، وتهزمها عسكريّاً، وتعزلها عن جماهيرها وتشوه سمعتها، وتجفف منابعها المالية، وتشرد عناصرها وتدخلهم في دوامة الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس.. لقد كانَ هذا واقعاً أعرفه كما عرفه أمثالي من قدماء الجهاديّين.

وشيئاً فشيئاً تلاشت تلك التَّنظِيمات، وانحلت وأصبح شراذم الباقين منها مشردين في الشّرق والغرب، مطاردين بأسرهم وأطفالهم، وأفراد تنظيماتهم. فرارون بدينهم وأفكارهم، مستخفون هنا وهناك، لا يكادون ينتجون شيئاً.

لقد قضى نظام الفرعون الهالك الحسن الثّاني عَلى المحاولة الجهاديّة المبكرة الّتي قام بها تنظيم الشبيبة المغربية ضده في المغرب الأقصى مطلع الستينيات، في مهدها.

وهذا ما فعله نظام الشاذلي بن جديد في الجَزَائِر أواسط السَّبعينيَّات مع تنظيم حركة الدّولة الإِسْلَاميّة، ودون كبير عناء.

و استطاع النّظام الأمني للحكم البعثي الطّاغوتي النصيري في سوريا أن يقضي عَلى تنظيم (الطليعة المقاتلة للإخوان المُسلِمِين)، بعد ثورة مسلحة دامت زهاء عقد من الزّمن، قبل أن يقوم النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد بعشر سَنَوات، وقبل سِبتَمبر بعشرين سنة.. وقضى عليه قضاءً تاماً.

واستطاع النّظام الفرعوني المجرم في مصر بزعامة حسني – لا بارك الله به وبأمثاله. أن يقضي عَلى تنظيمات الجِهَاد كلها في مصر الواحد تلو الآخر. وكان آخرها تنظيم (الجِهَاد)، وتنظيم (الجماعة الإِسْلَامِيّة)، اللذان قضي عليهما أواسط التسعينات وفككت الإستخبارات المصريَّة خلاياهما وأسرت الحكومة معظم مكوّناتها البشرية وذلك قبل أحداث سِبتَمبر بسنين.

وقل مثل ذلك عما حصل في ليبيا، فقد قضى نظام القذافي عَلى المحاولتين الرَّئيسيتين أواسط الثمانينات وأواسط التسعينات.

وتكرر هذا عندما اصطدمت التَّنظِيمات الجهاديّة في كلّ قطر عربي وإسلامي، حتَّى مع أضعف الأنظمة الأمنيّة والإستخباراتية في البلاد العربيَّة والإِسْلَامِيّة ! أذكر هذا هنا بإيجاز وقد مر سرد تفصيل ذلك في الفَصلين (٦-٧) من الجزء الأوّل من الكتاب. إلى أن كانت التصفية الكبرى والنجاح الساحق للنظام الأمني العربيّ في الجَزَائِر مؤخرا (١٩٩١- ١٩٩٧)، رغم ما توفر لتلك التَّجربة من أسباب النجاح. ثمّ تلاشت آخر النبضات الجهاديّة للتنظيمات في اليمن، وفي لبنان أواخر القرن الماضي.

لقد استطاع النّظام الأمني المحلي في بلادنا أن يقضي عَلى تلك المحاولات، بفعل نظام التنسيق العربيّ والإقليمي، وتمت لهم النتائج عندما وصل ذلك التنسيق للمستوى الدّولي، وهكذا كما أسلفت بالتفصيل، كانَ موجز نتيجة طريقتنا تلك:

(٢) – هزمت تنظيماتنا عسكريّاً في كلّ المواجهات. نعم لقد سجلنا انتصارات في ي كثير من المعارك ولكننا خسرنا الحَرب، وفي كلّ التَّجَارب والمواجهات. ولست بصدد النقاش مع من يريد المكابرة. فالواقع أكبر شاهد.

(٣) – هزمت تنظيماتنا أمنيّاً، وكشفت خلاياها وتفككت وأجهضت محاولات بنائها، وتحول النّظام الأمني إلى مستوى الضربات الإجهاضية للمحاولات قبل إنشائها، أو في مهدها.

(٤) – سجلنا في تجاربنا تلك فشلا ذريعا عَلى المستوى الدعوي. فلم تستطع التَّنظِيمات الجهاديّة أن تتمدد في الجماهير، ولا أن تكون شعبيَّة، رغم الحقّ الّذي حملته. ولم تتجاوز أعداد عناصرها المئات وربما العشرات في بلاد مليونية.

(٥) – كما فشلت التَّنظِيمات الجهاديّة عَلى صعيد تربية عناصرها وإعدادهم وتأهيلهم للمُوَاجَهة فكرياً وعقديا ومنهجيا وأمنيّاً وسياسيّاً وعسكريّاً.. إلا في حالات محدودة. خاصّة بعد بدء المواجهات. لأنه لم تستطع أي من تلك التَّنظِيمات أن تستكمل بَرَامج الإِعداد والبناء تحت شعار (البناء من خلال المَعْرَكة). حيث حالت السرية والظروف الأمنيّة دون ذلك. وهكذا استُهلِكت الكوادر والعناصر المكوَّنة عبر التّربية الطويلة، ليغلب عَلى القواعد التّالية انخفاض المستوى التربوي. وقد حصل هذا في عموم التَّجَارب.

(٦) – وفي النهاية ونتيجة الفشل الشّامل في التفاصيل تجلى الفشل الشّامل في العجز عن تحقيق أهداف المشروع العام.

والآن لنلفت النَّظر من خلال هذا الإيجاز إلى مآل هذه الأساليب في ظل واقعنا الحالي بعد انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وخاصة بعد سِبتَمبر وحملات مكافحة الإِرهَاب:

- إذا كانَ فشلنا في أسلوب (التَّنظِيمات السرية القطريّة الهرمية) في مُوَاجَهة الأنظمة الأمنيَّة المحليَّة عبر العقود الماضية تاما، فكيف بنا في مُوَاجَهة الآلية الأمنيّة للنظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وانطلاق الحَرب العَالَمِيّة لمكافحة الإِرهَاب بكل وسائلها الأمنيّة والعسكريّة والفكريّة والسّياسيّة والاقتصاديَّة... ؟! لم يعد الأمر ممكنا، بل إن الإصرار عَلى هذا الأسلوب، مع هذه المعطيات المعاصرة، هو – في رأيي – ضرب من الانتحار والإصرار عَلى الفشل، يصل لحد جريمة التغرير بالبسطاء من شباب المُسلِمِين المتحمس للجِهَاد. وتحمل لمسؤولية إيرادهم المهالك في دروب ثبت فشلها، ودفعنا زكي الدَّم ثمنا لهذا الاكتشاف.
- لم تكن العلة في أسلوب التَّنظِيمات ولا في التَّنظِيمات بشكل عام، وإنما هيَ تحولات الزَّمن ومعطيات الواقع الجَدِيد بعد (١٩٩٠م)، الّذي جعل تلك الأساليب بائدة. وقد ضربت لهذا مثلا يوضح المقصود في بعض المحاضرات في أفغانستان، وأعيده هنا..

فلو كانَ لديك ماكينة كهرباء جيدة وقوية وممتازة، ولكنها تعمل بنظام الكهرباء القديم / ١١٠ فولت / فقط. ثمّ كما حصل في بلادنا تمَّ تحويل مصادر الطاقة الكهربائية كلها إلى / ٢٢٠ فولت / ، فماذا يحصل لو أصررت عَلى العمل بها ؟! سوف تحترق الماكينة، وتضرب نظام الكهرباء عندك، وربما كهربتك معها !! وبدهي أن العلة ليست في الماكينة، فهي سليمة وصالحة للعمل في وقتها، ولكن الظّروف المحيطة الجَدِيدة جعلتها خارج الزَّمن، وصار مكانها الطبيعي في المتحف ! في زاوية الخزانة كأثر من الماضي. ولن يغير من الواقع شيئا حبك لها وذكرياتك الجميلة معها، وأنها من إرث والديك.

لم تعد الماكينة صالحة للعمل، لقد تغير الوقت وخرجت من الخدمة. وهذا ما فعله النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد بماكيناتنا التَّنظِيمية (القطريّة – السرية – الهرمية). رغم روعتها. ولذلك حصلت ظواهر هامة نذكر ملاحظاتها هنا:

- لقد استغرقت المَعْرَكة بين الحُكُومَات والتَّنظِيمات الجهاديّة خلال الستينات والسبعينات والثمانينات. سنينا طويلة حتَّى تمكنت الحُكُومَات من القضاء عَلى التَّنظِيمات الجهاديّة، وكان ذلك بعد معارك طاحنة وخسائر كبيرة للحُكُومَات. فقد استغرق الجِهَاد في سوريا زهاء عشرة سنين من المُوَاجَهة (١٩٧٣-١٩٨٣). وفي مصر مثل ذلك أو أكثر، ولكن أنظر في الجَزَائِر رغم توافر المعطيات الهائلة والظروف الرائعة للحركة الجهاديّة. لقد دمرت المحاولة خلال أربع سنين (١٩٩٢- ١٩٩٥) ! ولكن المواجهات والمحاولات الّتي حصلت أواخر التسعينات ومطلع القرن الحادي والعشرين. لم يستغرق القضاء عليها إلا أيّاما معدودة فقط ! ففي لبنان، دمر تنظيم أبو عائشة رحمه الله الّذي أستغرق بناؤه عدّة سَنَوات في خمسة أيّام ! وقضي علي حركة أبو الحسن المحضار رحمه الله في اليمن في ثلاثة أيّام وهكذا... ! وهذا يثبت أن هذه الماكينة القديمة لم تعد صالحة إلا للاحتراق وإحراق أصحابها إن أصروا عَلى العمل والاستمرار بها كما هيَ. وهناك ملاحظات أُخرى.
- لقد أُغلقت الهوامش الإقليمية والدّولية أمام عمل التَّنظِيمات السرية الإقليمية والدّولية حتَّى غير الإِسْلَاميّة نتيجة قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد بعد ١٩٩٠، ولاسيما بعد سِبتَمبر ٢٠٠١. فقد كانَ هناك عدّة أقطاب في النّظام السّياسيّ العَالَمِيّ ما قبل الجَدِيد. فهناك المعسكريّن الشرقي

والغربيّ، وداخل المُعَسْكَر الغربيّ كانَ هناك محاور ومصالح دول وتنازعات. وقد مكن هذا الثائرين عَلى بعض الأنظمة من أذيال محور دولي معين، اللجوء إلى أراضي إحدى الدّول من محور آخر، واستئناف العمل. حيث تلقت التَّنظِيمات الدّعم، وأحست بالأمن، وكونت الملاذات الآمنة ونمت وتمولت. وهكذا فر الثائرون عَلى عبد النّاصر في مصر وهي من محور الشّرق إلى السّعُودِيّة لدى الملك فيصل، وهو من محور الغرب. وعمل الخارجون عَلى صدام من سوريا، كما عمل الإخوان المُسلِمُون والطليعة المقاتلة ضدّ النّظام السّوري في العراق والأردن. وساح الجهاديّون والإِسْلَاميّون والمعارضون السّياسيّون من كلّ قطر، في كثير من دول العالم وحصلوا اللجوء السّياسيّ وعملوا سرا عبر الحدود.. إلخ.

ولكن ما إن سقط روسيا، وقام نظام القطب الأوحد (أمريكا)، أصبحت معظم الدّول وخاصة الصغيرة منها أذيالا لقطب واحد فرض سياسة واحدة، فألغيت الهوامش بين الأذيال والمحاور، وهكذا خسرت الدّول والأحزاب والقوى الصغيرة، تلك الهوامش، وصارت مضطرة للسير في سياق أوامر سياسة النّظام الطَّاغي عَلى الأرض. وكلما كانت الدّولة أو التَّنظِيم أو الجهة ضعيفة. زادت خسارته مع هذا النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد. وكان من أكبر الخاسرين في هذا الإنقلاب، التَّنظِيمات السرية المُقاوَمة، والأحزاب المعارضة. حيث اضطرت إلى التوقف أو الانحلال أو الاستسلام أو التوبة والتسوية مع حُكُومَاتها.

وإلا فإن الخيار الآخر هو التصفية. وكان من أفظع الأمثلة ما حصل مع (حزب العمال الكردستاني) وزعيمه (عبدالله أوجلان). وهو من أقوى الأحزاب المعارضة العسكريّة في العالم، ولديه عشرات آلاف المقاتلين، المنتشرين في مُعَسْكَرَات وجبهات في تركيا وسوريا وشمال العراق ولبنان.. وله مؤيدين في شمال غرب إيران. ويمده مئات آلاف الأكراد في أوروبّا ولاسيما ألمانيا بنسب معينة من مداخيلهم الشهرية، وهي موارد بمئات الملايين من الدّولارات، ولديه حتَّى عدّة محطات بث فضائيّة... إلخ. فهو إمبراطورية تنظيمية بالنسبة للتنظيمات الجهاديّة الإِسْلَاميّة !

فلما قام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، ودخلت سوريا في المحور الأمريكيّ خوفا وطمعا، عصفت بمعسكراته في سوريا ولبنان غصبا عنها. ثمّ هُجِّر رئيسه إلى عدّة بلدان، ثمّ أختطف بتعاون من (CIA) و(الموساد) و(المخابرات التركية)، بل ساعدت حتَّى (اليونان)، الخصم التّاريخي لتركيا في تسليمه لتركيا. وحل

الحزب. ودمرت معسكراته. وأخرجت أمريكا من بقي منها في العراق، وأخيرا أعلن من بقي منهم تخليه عن الخيار المُسلّح، وتشكيل حزب سياسي معارض بمقاييس الدِّيمقراطيَّة والنّظام العَالَمِيّ الجَدِيد !! فيما صار أمل زعيمه المسجون أن لا يعدم فقط !

والمثال الآخر: الجيش الجمهوريّ الأيرلندي (IRA)، وهو منظّمة عسكريّة يمتد تاريخها وجُذُورها لأكثر من ١٠٠ سنة. وهو من المنظمات الهائلة، وله امتدادات في الجاليات الأيرلندية في أمريكا، ويتلقى منها مددا بالمليارات، وكان له في الولايات المتحدة مُعَسْكَرَات تدريب راقية، وكان له علاقات تدريب ودعم مع دول غربية مثل الجَزَائِر وليبيا، ومع عدد من المنظمات اليسارية العربيَّة..إلخ. فلما قام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، ودخلت بَرِيطَانيَا في رأس محور الحلف الأمريكيّ، أجبر الجيش الجمهوريّ الأيرلندي عَلَى الخيار السلمي، وتم نزع سلاحه وتفكيكه وانتهت القصة !

هذه بعض الأمثلة الصارخة أمامنا وهناك غيرها، فإن لم نتعظ بها فلا نلومن إلا أنفسنا عندما يقضى عَلَى ٨٠٪ من قوّاتنا في تداعيات سِبتَمبر خلال سنتين فقط ! كي ندرك أن مرحلة (العقليّة الطورابورية) يجب أن تنتهي.

لقد تحول الزَّمن، وعلينا أن نصمم طريقة للمُوَاجَهة بحسب مقاييس الوقت الحاضر.

وأعود فأكرر.. ليست العلة الرَّئيسيَّة في تركيبة التَّنظِيمات، وعللها الداخليَّة وإن كانت سبباً أساسياً ولكن العلة الرَّئيسيَّة سببها تحول الزّمان ومعطيات الواقع تحولاً جذرياً انقلابياً غير وجه التّاريخ والحاضر وبالتالي المستقبل.

ثانياً: مدرسة الجبهات المفتوحة في عالم ما قبل سِبتَمبر:

القصد من الجبهات المفتوحة هيَ الّتي تكون فيها قوّات المُجَاهدين متواجدة بشكل مكشوف وثابت وتقاتل قوّات الأَعدَاء في خطوط قتال مفتوحة، أو تشن حرب عِصَابات انطلاقاً من تلك المناطق الثَّابِتة. وأوضح مثال عليها في تجاربنا: (الجِهَاد الأفغاني الأوّل) – (البوسنة) – (الشِّيشَان) – ثمّ (الجِهَاد الأفغاني الثّاني في مرحلة طالبان). وكما قلت فقد أثبتت هذه الطَّريقة عَلَى عكس سابقتها جملة من الأمور هيَ:

(١)- النجاح العسكريّ الساحق:

وذلك رغم الفارق الهائل في العدوّ والعدة والسّلاح والتكنولوجيا وكل الموازين المادية. ففي التَّجربة الأولى تمكن المُجَاهدون الأفغان عَلى عوزهم، ومن معهم من المُجَاهدين العَرَب والمُسلِمين – كما مر شرحه – عَلى هزيمة دولة عظمى وطي أعلامها إلى الأبد إن شاء الله.

وفي البوسنة تمكن حفنة من المُجَاهدين العَرَب والأتراك والمُسلِمين، من قلب ميزان القوى في حرب الإبادة الصّربية. وقاموا بأعاجيب. ويكفي أن نذكر أن ٦٠ ألف جندي من القوَّات الأمريكيّة رابطوا في البحر عَلى شواطئ البوسنة وصربيا، واشترطوا لدخولهم البوسنة بعد اتفاق (دايتون)، أن يخرج ٦٠٠ مُجَاهد مسلم منها! فكان كلّ رجل منهم يبث الرعب في مئة من جنود الإمبراطورية العظمى ومن في حلفها!

وأما في الشِّيشَان فحدث ولا حرج عن المعجزات العسكريّة الّتي أذهلت العالم، من صمود حفنة من الرّجال في وجه الآلة العسكريّة السُّوفيتيّة! من شعب لا يبلغ مليون نسمة، في بلد لا يبلغ ٥٠ ألف كيلومتر مربع !

وهكذا أثبت المُجَاهدون المُؤمِنُون، أنهم في ميادين المواجهات المكشوفة مقاتلون لا مثيل لهم، ولم تقف الموازين المختلة بينهم وبين أعدائهم حائلاً دونهم ودون الانتصارات.

(٢) - النجاح الأمني البني:

عَلى اعتبار أن المواجهات قامت بشكل مكشوف، فلم يكن هناك من دور يذكر لاستخبارات الأنظمة في أن يكون لها دور في إجهاض تلك الجبهات. بل كانت المشاركة الميدانية القتاليّة حاجزاً يكتشف عنده كثير من المندسين والإستخبارات فيتوبون أو يهربون، واقتصر عملهم عَلى رصد حركة التَّنظِيمات الّتي لجأت لتلك الجبهات، وليس في إجهاض الجبهات ذاتها.

(٣)- النجاح الدعوي:

وهو الأمر الثّالث البالغ الأهمّيّة. فقد نجحت تلك القضايا في حشد الأُمّة بمئات ملايينها وراء ها. وعلى العكس من التَّجَارب التَّنظِيمية، حيث لم تستطع أعرق التَّنظِيمات الجهاديّة، أن تحشد معها الشعب في قطرها المحدود حيث تواجه الأنظمة. ناهيك عن أن أغلب شعوب الأُمّة الإِسْلَاميّة، لم تسمع

بها أصلاً، فضلاً عن أن تؤيدها ! فإنه في حالة الجبهات المفتوحة وقفت الأُمّة بمئات ملايين الشّعوب تؤيد وتدعم، ويلتحق خُلاصة أبنائها بالجبهات، ويضرع شيوخها وعجائزها إلى الله يسألونه النّصر للمُجَاهدين. وتبرع أغنياء المُسلِمين وفقراؤهم بأموالهم ودعموا الجِهَاد..

لقد كانَ الحشد الّذي توفر لجِهَاد الجبهات عارماً.. والدّعوة لتلك القضايا ناجحة بطريقة مذهلة.

(٤)- النجاح التربوي:

تقوم النَّظريَّة الإِسْلَاميّة في التّربية عَلى التلقي المباشر للعلم، وعلى القدوة والأسوة الحسنة بالمعاملة. وهكذا كانت من الرَّسُول ﷺ للصحابة ﷺ، ومنهم للتابعين، ومن هَؤُلَاءِ لتابعي التَّابعين، ثمّ لكبار علماء السَّلَف وصلحاء الأُمّة، ثمّ لتلاميذهم ومريدهم، وهكذا عَلى مر التّاريخ..

وعلى عكس عدم إمكانية ذلك في ظروف التّربية السرية، حيث لا يمكن أن يتوفر الوقت ولا الظرف، لإعطاء جرعات حقيقية من التّربية. وكذلك لا توفر السرية معرفة القدوة والقائد والشَّيْخ.. وإمكانية التأثر به والتأسي به، فإن جِهَاد الجبهات وفر ذلك.. ولكن وللأسف كانَ هناك قصور كبير من القيادات الّتي أشرفت عَلى تلك المَرحَلَة، وذلك عَلى صعيد الاهتمام بمسألة التّربية بمناحيها المختلفة. حيث اهتمت الجموع بالتّربية العسكريّة والقتال. ولكن هذا القصور لا ينفي أمران: الأوّل أن التّربية كانت ممكنة. والثّاني أنها حصلت بشكل جزئي من البعض وكان أثرها رائعاً كما في تجربة أفغانستان والبوسنة، وأكبر بكثير من ذلك الّذي حصل مع التَّجربة السرية الجهاديّة.

(٥) – النجاح السّياسيّ:

النجاح السّياسيّ هو تحقق الأهداف والشعارات.. وقد كانَ الهدف من كلّ الجِهَاد هو دحر العدوّ وإقامة الحكم الإِسْلَاميّ. وفي التَّجربة الأفغانية الأولى حصل النجاح تاماً.. وأسفر الجِهَاد بعد مروره بالفتن والمحن عن قيام الإمارة الإِسْلَاميّة. وتحقق الحلم. وإن كانَ قد أطفئ بعد حين، وسيعود قريباً إن شاء الله. وأما في البوسنة فقد كانَ الهدف إنقاذ المُسلِمين من الإبادة، وقد تحقق هٰذا. ولكن قيام دولة إسلاميّة في قلب أوروبّا، وفي ظل النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد لم يكن أمراً ممكناً. وأعتقد أن ما تحقق نظراً للظروف يشكل نجاحاً إلى حد كبير. وأما في الشِّيشَان فلم يتحقق المشروع السّياسيّ رغم النجاحات

العسكريّة. لأن المعطيات الاستراتيجيّة للشيشان كبلد مساحةً ومعطيات وتعداد سكان يجعل ذلك أمراً شبه مستحيل.. وما تحقق من الاستمرار يعتبر كسباً تاريخيا

وبالإجمال فإن النجاح السّياسيّ أمر مرتبط بعوامل أبعد من الّتي ندرسها في هذا البند وهو الأداء العسكريّ..

وهكذا نستطيع أن نوجز بأن تجربة الجبهات تعتبر ناجحة كأسلوب مُوَاجَهة إذا ما قورنت بالفشل التام عَلى كافّة الأصعدة لأسلوب التَّنظِيمات السرية القطريّة الهرمية.. رغم ما تحلى به أصحابها من الإخلاص والتَّضحِيَة وما تحقق من المكاسب والانتصارات الّتي ضاعت في النهاية نتيجة ما أسلفنا وكان أمر الله قدراً مقدورا.

ولكن نظريَّة صمود الجبهات تعرضت للسقوط في عالم ما بعد سِبتَمبر ٢٠٠١. واستعمال أمريكا لتفوقها التكنولوجي الخرافي، واستخدامها لإستراتيجية الحسم الجوي الصاروخي. والسّيطرة الفضائية والإلكترونية المطلقة. كما سنناقش هذا لاحقا إن شاء الله.

ثالثاً: مدرسة الجِهَاد الفَرديّ والخلايا الصغيرة:

وهذه المدرسة الجهاديّة قديمة جداً.. ولعلّ أول تجاربها سرية الصحابي الجليل أبي بصير وقصته المشهورة، عندما شكل أول مجموعة حرب عِصَابات في الإِسْلَام، ثمّ لحق به الصحابي الجليل أبو جندل. ومن الشواهد عَلى هذه الطَّريقة ما حصل في آخر حياة رسول الله ﷺ. عندما إرتد الأسود العنسي في اليمن. واستولى عَلى الحكم فيها وقهر المُسلِمِين. وتصدى للأمر رجل مبارك كما وصفه رسول الله ﷺ من آل بيت مباركين. وقام بعمل فردي من تلقاء نفسه.. فاغتال الأسود العنسي وقلب الموازين، ورسخ الإِسْلَام في اليمن. وبشر جبريل رسول الله ﷺ بهذا النّصر الحاسم الّذي قام به حفنة من الرّجال المبادرين.

وعلى مر التّاريخ الإِسْلَاميّ تكررت المبادرات الفرديَّة. وفي زمن الحُرُوب الصّليبيّة، وفساد الأمراء وانحلال الأُمّة، تصدت جموع المُجَاهدين المقاومين للأزمة قبل أن تنهض الدّولة الزنكية ومن ثمّ الأيوبية. وقام كثير من السَرايا والمجموعات المنعزلة بفريضة الجِهَاد. وفي تاريخ العَرَب المعاصر قصة

مشهورة عندما تمكن فيها مُجَاهد بمفرده من قلب موازين القوى، والتّأثير عَلى مسار حملة استعماريّة كبرى، وذلك عندما نفر المُجَاهد سليمان الحلبي رحمه الله، من حلب- مدينتي العريقة- في شمال غرب الشّام إلى بيت المَقْدِس حيث استفتى أحد علمائها بقتل (كليبر) قائد الحملة الفرنسية الّذي استخلفه (نابليون بونابرت عَلى مصر). ووصل إليه وقتله. وكان هذا أحد أسباب رحيل الحملة الفرنسية عن مصر. ولم يكن ثمن ذلك إلا فوز سليمان الحلبي وشيخه الّذي أفتاه بالشَّهَادة في سبيل الله، حيث أعدما رحمها الله تَعَالَى..

ومنذ حرب الخليج الثّانية (عاصفة الصَّحرَاء) ١٩٩٠، وقيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد إنتعشت هذه المدرسة. وحصلت منذُ ذلك الوقت عشرات العمليَّات الفرديَّة هنا وهناك في مختلف بقاع العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، ومازالت إلى اليَوْم.. فقد قتل سيد نصير في الولايات المتحدة المتعصب الصّهيونيّ الحاخام (مائير كاهانا) الّذي كانَ من أشد اليَهُوْد عَلى المُسلِمِين في فِلَسطِين. وكان لديه برنامجا لطرد الفلسطينيين بالكامل من فِلَسطِين. وأدى قتله لحل جماعته وانطفائها. وفي ١٩٩٣ حاول (رمزي يوسف) أحد الأفغان العَرَب، (وهو باكستاني بلوشي) مع مجموعة من المُجَاهدين نسف برج مبني التجارة العَالَمِيّ في نيويورك. وفي الأردن أقدم مجند أردني من حرس الحدود عَلى إطلاق النار عَلى عدد من الطالبات اليَهُوْديات كن يقمن بحركات استهزاء بصلاة المُسلِمِين وقتل عدداً منهن. وفي مصر قام الجندي البطل (سلمان خاطر) بَاطِلاق النار بقرار فردي منه، عَلى عدد من اليَهُوْد عَلى الحدود المصريَّة الإسرائيلية. وعلى حدود الأردن مع إسرائيل حصلت عشرات عمليَّات العبور من قبل شباب مُجَاهدين، كانَ بعضهم لا يحمل إلا سكين مطبخ! للهجوم عَلى دوريات اليَهُوْد عَلى ضفاف نهر الأردن الغربيّة. وفي بيروت اعتلى مُجَاهد سطح عمارة وأطلق عدداً من الصواريخ الـ R.P.G عَلى السفارة الرُّوسية أثناء إحدى حملات الرُّوس عَلى الشِّيشَان. وفي أيّام حرب الخليج طعن عجوز مغربي عشرة من السياح الفرنسيين في المغرب. وعُثر عَلى جثة إيطالي في الإمارات. وطعن شاب عدداً من الأجانب في عمان الأردن وأطلق عليهم النار. وفي فِلَسطِين تتم كثير من العمليَّات الفرديَّة من قبل المواطنين الثائرين ضدّ المستوطنين أو جنود الاحتلال. وفي باكستان قتل مُجَاهدون عددا من الأمريكان واليَهُوْد. وفي مصر تقدم مواطن برسالة إلى حسني مبارك ثمّ طعنه بسكين فقتله الحراس. وفي الأردن قامت مجموعة رائعة مكونة من أربعة أفراد

بتشكيل خلية لاغتيال الماسونيين في عمان، وتمكنت من إعدام العديد منهم، ثمّ قبض عليهم بعد اشتباك واستشهد بعضهم. وهكذا...

والملاحظ عَلى هذه الطَّريقة العفوية الّتي بدأت تنتشر مع اشتداد هجوم الحملات الأمريكيّة عَلى بلاد المُسلِمِين، واستعار المشروع الصّهيونيّ في فِلَسطِين، وانتشار الأخبار عبر الفضائِيَّات وشبكات الاتّصال. الملاحظ عليها ما يلي:

١- النجاح العسكريّ:

وهذا تستخلصه من حجم الرهبة والرعب الّذي بثته في العدوّ، وأثرها عَلى مصالحه، حتَّى أن بضع عمليَّات سنة ١٩٩٤م دعت أكثر من ٣٤ رئيس دولة عَلى رأسهم (بيل كلينتون) إلى مؤتمر (شرم الشَّيْخ) لمكافحة الإِرهَاب.

٢- النجاح الأمني:

وذلك أن هذه العمليَّات العفوية من قبل أفراد وخلايا هنا وهناك، على مدى اتساع العالم. من غير رابطة بينهم، أدخلت أجهزة الإستخبارات المحليَّة والعَالَمِيّة في حالة إرباك. إذ أن اعتقال ما سقط من تلك الخلايا لا يؤثر في مجال أعمال آخرين لا رابطة بينهم. وقد استفدت من هذه الملاحظة إلى حد كبير في تصميم فكرة عمل خلايا دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة المنشودة.

٣- النجاح الدعوي:

لقد حققت هذه المسألة نجاحاً دعوياً كبيرا. إذ كانَ لها بالغ الأثر في إذكاء روح الجِهَاد والمُقاوَمة في الأُمّة. وحولت أفراداً مغمورين مثل (الدقامسة، وسلمان خاطر، وسيد نصير، ورمزي يوسف...) ليكونوا رموز أمة، تهتف باسمهم الجماهير، وتشفي صدورها، ويتأسى بهم جيل الشَّبَاب من المتحمسين للمقاومة.

٤- أما من النَّاحية السّياسيّة:

فالملاحظ عَلى هذه الأحداث أنها بقيت في حجم ردود الأفعال والانفعالات العاطفية هنا وهناك، ولم تبلغ عددياً أن تكون ظاهرة. رغم عتو الهجمة وتطاول الأزمان. ولهذا أسباب سنعرض لها عند صياغة نظَريَّات العمل والحركة إن شاء الله.

٥- أما تربويا:

فإن غياب المنهج المشترك لهَؤُلَاءِ المقاومين، لم يجعل لهذه الظَّاهِرة بعداً تربوياً. وهذا خلل يمكن تلا فيه كما سنرى إن شاء الله.

وهكذا تلاحظ أيضاً أن هذه الطَّريقة قد سجلت نجاحاً نسبياً أيضاً. ولاسيما في أثرها في العدوّ واستعصائها عَلى الإجهاض الأمني.

و نستخلص من الدّراسة الفاحصة لهذه المدارس الجهاديّة الثّلاثة، في المَرحَلَة الماضية أسس في غاية الأهمّيّة:

(١)- انتهاء إمكانية العمل بأسلوب الطَّريقة السالفة، عبر التَّنظِيمات (القطريّة- السرية- الهرمية). ولاسيما أنه بعد أحداث سِبتَمبر وانطلاق الحملات الأمريكيّة، دمرت الغالبيّة السَّاحقَة من التَّنظِيمات الّتي كانت موجودة، وجعلت الظّروف إمكانية قيام تنظيمات أُخرى بهذه الطَّريقة مستحيلة وعقيمة.

(٢)- علينا أن نركز البحث في أسلوب الجبهات المفتوحة، وأسلوب العمل الجهاديّ الفَرديِّ بأسلوب المُقاوَمة الشّاملة لتطويرها. من أجل استخلاص النَّظريَّة العسكريّة والحَركيّة المناسبة للمرحلة المقبلة، وذلك من خلال الأساليب الّتي ثبت جدواها.

وهما؛ العمل في الجبهات المفتوحة، والمُقاوَمة السرية عبر الجِهَاد الفَرديِّ والخلايا الصغيرة.

ولكن قبل أن نناقش هذين الأسلوبين؛ يجدر بنا أن نلفت النَّظر إلى أمر مهم. وهو ضرورة غرس فكرة عولمة الجِهَاد عَلى كلّ الأصعدة، فقد فرض العدوّ ذلك. لكي تساعدنا الظّروف عَلى التّحرّك فعلياً وفق معتقداتنا الأممية أصلاً. وهذا من بديهيات العَقِيْدَة.

ولكن طريقتنا الجَدِيدة للعمل الجهاديّ في دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، هيَ طريقة ودعوة عالميّة. وكذلك نظريتنا العسكريّة الّتي نحن بصددها، فإنها تعتمد عَلى التّحرّك في الأفق العَالَمِيّ. وهو أساس في الحركة العسكريّة، فضلاً عن كونه استراتيجية سياسيّة وعَقِيْدَة دينية.

فكرة الانتماء لمجموع الأمة وضرورتها للجِهَاد:

وذلك عَلى مستوى الاعتقاد الدّيني، والإحساس النّفسيّ، والانتماء الجغرافيّ وعلى كلّ صعيد.

فإننا لو جئنا لأي مسلم الآن، وسألناه من أين أنت؟ فإنه سيذكر بلده؛ من مصر.. من سوريا.. من تونس.. من السّعُودِيّة.. الخ..

فلن يذكر ابتداءً مدينته ليقول لك أنه من دمشق أو بيروت أو القاهرة أو طشقند.. لأنه منصرف في الإنتماء إلى حدود (سيكس بيكو) الّتي رسمها الإستعمار في عقله.

والّذي يجب أن نرسخه الآن في عقول المُجَاهدين العازمين عَلى المُقاوَمة؛ هو حقيقة الإحساس والإنتماء وفق قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢﴾ [الأنبياء]

والحَمْدُ لله فإن هجوم العدوّ العسكريّ الآن قد وضعنا في حدود خريطة واحدة اسماها (منطقة العمليَّات الوسطى) وتشمل عملياً أكثر دول وبلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وكذلك في المجال السّياسيّ والهجوم الفكريّ والاقتصادي والحضاري..فقد وضعنا (بوش) في خريطة واحدة تشمل نفس المنطقة وأسماها سياسيّاً (الشّرق الأوسط الكبير)..

وهكذا عَوْلَمَ العدوّ قضيتنا، بهجمته علينا ولله الحمد. وهذا يساعد من لم يسعفه المعتقد والفهم عَلى هذا الاتجاه في التَّفكير الأممي الّذي هو من أساسِيَّات ديننا.

ويجب الانتباه إلى أن لهذا الانتماء الأممي بعدا عسكريّاً مهما يساعد في فهم النَّظريَّة العسكريّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيَّة.

فهي تقوم استراتيجياً في البعد الأممي لكافة الوطن الإِسْلَاميّ الكبير، ولا يمكن نجاحها لو حذفنا منها هذا البعد الأممي العَالَمِيّ.

فلو جئنا لجِهَاد الجبهات وقرنا مُوَاجَهة أمريكا في جبهات مفتوحة، سنجد أنه حتَّى ينجح الجِهَاد في جبهة ما، فإن ذلك يستلزم شروطاً استراتيجية. وليست هذه الشُّرُوط متوفرة إلا في مناطق محدودة في العالم الإِسْلَاميّ. في حين تحتاج تلك الجبهات نفير المُجَاهدين من أي قطر إسلامي، ويسد المدد من مختلف الاختصاصات أي بلد ثغرة هامة في تلك الجبهات عندما تقوم.

وكذلك في الجِهَاد السري الفَرديّ، فإن العمل في الأفق الأممي والعَالَمِيّ، يفتح آفاق ذلك العمل بصرف النَّظر عن الحدود والقطر. فالعدو يحتل العراق ويواجهنا هناك، وكذا في فِلَسطِين الآن.. فهل لزاماً عَلى مُجَاهد في تونس، أو المغرب، أو إندونيسيا، أن يحضر إلى العراق ليهب لنصرة إخوانه.. قد

يستطيع ذلك قلة، وسيصعب جدا مع الوقت لتعاون أنظمة الرِّدَّة في محيط ساحات المُوَاجَهة مع أمريكا ضدّ المُجَاهدين. ولكن أي مسلم يريد الجِهَاد والمُقاوَمة، يستطيع أن يشارك في هذه المَعْرَكة ضدّ أمريكا في بلاده أو أي مكان، وبفعالية أكثر أثرا بمئات المرات ربما مما يستطيعه لو وصل ساحة المُوَاجَهة المفتوحة.

فلا بُدَّ من الإحساس بالانتماء للأمة وعالمها، في البعد الجغرافيّ والسّياسيّ والعسكريّ وكل مجال.

ولكن الغريب، أن الناظر في هذه الخطوط المستقيمة والمنحنية والمعوجة بصورة عجيبة وهي ترسم خرائط بلادنا، يرى وكأنها لما خطتها أقلام ومساطر الكفّار من وزارات المُستَعمرات، حفرت في العقول والقلوب لدى الغالبيّة من أبناء هذه الأُمّة، والعجيب أنها مأساة لم يمض عليها إلا عشرات السنين فقط، وذلك منذُ سقط الكيان السّياسيّ الجامع للأمة سنة ١٩٢٤، بسقوط آخر الخُلَفَاء الرمزيين لهذه الأُمّة.

فعلينا أن نفتح أدمغة شباب الأُمّة وقلوبهم ليحسوا بالانتماء للأمة كلها. وهذا أساس في الدّين والعَقِيْدَة، وهو كذلك في السّياسة والتصوُّر العسكريّ الاستراتيجي.

والآن لننقل إلى نظريتنا العسكريّة.

النَّظريَّة العسكريّة لدعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة

تقوم النَّظريَّة العسكريّة لدعوة المُقاوَمة علىَ اعتماد الجِهَاد في منحيين:

1- جِهَاد الإرهَاب الفَرديِّ والعمل السري للسَرايا الصغيرة المفككة عن بعضها كليا.

2- المشاركة في جِهَاد الجبهات المفتوحة حيث توفرت شروطها .

ونلفت النَّظر إلى أن:

جِهَاد الإرهَاب الفَرديِّ أو الخلوي عَلى طريقة حُرُوب العِصَابات المدنيّة أوالريفية، هو الأساس في إنهاك العدوّ وإيصاله إلى حالة الانهيار والانسحاب، بإذن الله.

وأما جِهَاد الجبهات المفتوحة فهو الأساس في السّيطرة عَلى الأرض لتحريرها وإقامة شرع الله عليها، بعون الله.

فجِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ وحُرُوب العِصَابات الّتي تقوم بها الخلايا الصغيرة، يمهد للنوع الآخر (جِهَاد الجبهات المفتوحة)، ويساعده ويرفده. ولكن بدون المُوَاجَهة الميدانية والسّيطرة عَلى الأرض لا تقوم لنا دولة، وهو الهدف الاستراتيجي لمشروع المُقاوَمة.

هذا خُلاصة ما كنت قد بلورته من النَّظريَّة العسكريّة في آخر أشكالها وسجلته في المحاضرات الّتي سجلتها صيف سنة ٢٠٠٠.

ولكن ما حصل بعد ذلك من المواجهات الجبهوية بينا وبين القوَّات الأمريكيّة في معارك سقوط الإمارة في عموم أفغانستان في / ديسمبر ٢٠٠١ / ، ولاسيما في معارك شمال أفغانستان و(قلعة جانغي) في مزار شريف، ومعارك (تورة بورة)، ومعارك قندهار... إلخ. وكذلك بعض المعارك الأخرى بعد ذلك، مثل معركة (شاهي كوت) الّتي أسماها الأمريكان (عمليَّة أناكوندا) الّتي تكبدوا فيها مئات القتلى، وغيرها من المواجهات.. والثَّمن الإستراتيجي الفادح الّذي دفعناه في هذه المواجهات رغم ما تكبدته قوَّات أمريكا وحلفاؤها..

ثمّ ومن خلال متابعتي المستمرة ودراستي لسير طريقة المُوَاجَهة العسكريّة والأداء الأمريكيّ إبَّان غزو العراق في مارس وأبريل ٢٠٠٣. ثمّ كذلك لبعض المعارك الّتي قامت بها بعض الجُيُوش العميلة بإدارة القيادة الأمريكيّة العسكريّة والأمنيّة في المنطقة كما حصل في مداهمات الجيش اليمني لمواقع ومُعَسْكَرَات جبلية للمُجَاهدين في (جبال حطاط) وغيرها هناك...

وكما حصل أثناء محاصرة الجيش الباكستاني واقتحاماته مراراً عَلى مناطق بعض المُجَاهدين العَرَب ومن دافع معهم في مناطق القبائل في ولاية سرحد شمال غرب باكستان..

ومثل ذلك ما حصل من تدمير الأمريكان لمواقع بعض المُجَاهدين في كردستان العراق في (خورمال)، باستخدام استراتيجية القصف الجوي والصاروخي الأمريكيّ المركز، ثمّ زحف قوَّات العملاء مدعومة بالقواة الخاصّة الأمريكيّة عَلى مواقع المُجَاهدين.

وما جرى مؤخرا في معارك الفلوجة الصامدة نور الله وجوه أبنائها المُجَاهدين ووجوه المُجَاهدين في كلّ مكان..

كلّ هذا أثبت أن عمليّة المُوَاجَهة مع الحملات قوّات الأمريكيّة وقوّات حلفاءها بشكل مكشوف وفق أسلوب الجبهات المفتوحة، وانطلاقا من مراكز الدّفاع الثّابِت، ما يزال في غير وقته الآن – وسيأتي إن شاء الله – وذلك حاليا بسبب التفوق التكنولوجي الخرافي للقوّات المعادية ولاسيما في المجال الجوي، وفي السّيطرة الفضائية والقدرات الجبارة عَلى التصوير وتوجيه القصف الجوي والصاروخي. والقدرات الهائلة غير القابلة للمقارنة للقوّات المعادية في الإنزالات المحمولة جواً، والّتي تصل لحد القدرة عَلى إنزال فرق من الآليات والمدفعية وقوّات الكوماندوس بحجوم إستراتيجية في أي مكان يريدونه وبسرعات قياسية.

وإذا استصحبنا مع هذه الدُّروس الحالية الهامة. دُروس تجارب جهاديّة مأسوية متعددة لنا بطريقة حرب عِصَابات (الدّفاع الثّابِت)، كما حصل معنا في الجِهَاد في سوريا في (معارك حماة – فبراير١٩٨٢)، وفي معارك طرابلس ضدّ قوّات الحكومة السوريّة، وفي الدّفاع عن (تل الزعتر) في بيروت – لبنان ضدّ القوّات السوريّة واللبنانية العميلة والإسرائيلية برا وبحرا وجوا !!! وفي اليمن في تجربة المحضار في اليمن ١٩٩٨، وفي النبطية في لبنان ثانية سنة ٢٠٠٠ ...إلخ، نجد أن كلها تؤكد ما درسناه ودرَّسناه في (أصول قواعد حرب العِصَابات)، وما تنص عليه من أن (الدّفاع الثَّابِت) في غير وقته، هو من أكبر مقاتل العِصَابات، كما أسهبت في ذلك كتابات كبار منظري هذا الفن العسكريّ من أمثال (ماوتسي تونغ) و(جيفارا) و(جياب) وكاسترو... وغيرهم.

والخلاصة الّتي خلصت إليها الآن هيَ:

أن المحور الأساسي للأعمال العسكريّة للمقاومة ضدّ أمريكا وحلفائها الآن، يجب أن تبقى في إطار (حُرُوب العِصَابات الخفيفة)، و(الإِرهَاب المدني)، والأسلوب السري، وخاصة عَلى صعيد العمليَّات الفرديَّة وسَرايا المُقاوَمة الصغيرة المتفككة عن بعضها بشكل تام وكلي.

ولكن مع ذلك أقول: إن أي اختلال في الموازين لصالح قوى المُقاوَمة والجِهَاد، يلغي تأثيرات السّيطرة الأمريكيّة في أماكن تستكمل شروط الجبهات المفتوحة كما سأوردها، يعيد مسألة المُوَاجَهة المكشوفة لتحرير الأرض والتمركز عليها وإقامة نويات الكيان السّياسيّ والشَّرعي للقوى الإِسْلَاميّة هدفاً يجب اقتناص فرصه حيث سنحت.

والآن لنستعرض تفاصيل النَّظريَّة العسكريّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة في مجال الجبهات، وفي مجال حرب عِصَابات الإِرهَاب الفَرديِّ. وأبتدئ بالجبهات، لقصر تفاصيلها وعدم احتياجنا كثيرا لها الآن. وأترك الإسهاب للأسلوب الأساسي في الأوضاع الراهنة، والّذي أظنه يمتد لوقت غير قصير ما لم تتداركنا رحمة الله بما يقلب موازين القوى.

أولاً: جِهَاد الجبهات المفتوحة:

في الوقت الّذي يمكن فيه أداء الجِهَاد الفَرديِّ في أي مكان من العالم العربيّ والإِسْلَاميّ بل وفي العالم كله، لأن ذلك ليس متعلقاً بشروط موضوعية له حيث يجري. فإن جِهَاد الجبهات المفتوحة يحتاج لمعطيات استراتيجية لازمة لتوفير ظروف النجاح بعد توفيق الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

المعطيات اللازمة لنجاح جِهَاد الجبهات المفتوحة:

***- المعطيات الجغرافيّة:**

وهو معطيات الأرض حيث يشترط أن تكون:

١- واسعة المساحة.

٢- متنوعة وطويلة الحدود.

٣- أن يصعب حصارها.

٤- أن تحتوي عَلَى وعورة نسبية من الجبال أو الغابات أو سواها مما يساعد عَلَى التمركز ومُوَاجَهة القوَّات الزاحفة عَلَى الأرض، وأفضل ذلك الجبال المشجرة.

٥- كما أن من شروط الأرض أن تكون مواردها الغذائية والمائية كافية في حال الحصار.

***- المعطيات السّكّانية:**

وهو وجود عدد كبير من السّكّان لا يمكن ضبط حركته، ولاسيما إذا كانَ منتشراً في أرياف معمورة ومدن عالية التركيز السّكّاني، ومن ذلك أن يكون شعب تلك المنطقة قد عرف بشكيمته العسكريّة، وقدرته عَلَى المُوَاجَهة والصّبر عليها، وأن تتوفر له مصادر السّلاح في تلك المنطقة.

***- المعطيات السّياسيّة:**

وهو وجود قضية يتوفر لها إمكانية إيمان السّكّان المحليين بها، بشكل يكفي لحملهم عَلى الجِهَاد في سبيلها. وكذلك أن تكون تلك القضية قابلة لحشد الأُمّة الإِسْلَاميّة وراءها، لنصرة ذلك الشعب في الدّين والجِهَاد معه بالنّفس والمال.. وغير ذلك من الدّعم. وأفضل تلك القضايا الّتي تبعث عَلى المُقاوَمة، هيَ الغزو الخارجي وتوافر الأسباب الدّينيّة السّياسيّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة للثّورة والجِهَاد، وهو ما يدعى في كتب حُرُوب العِصَابات بالمناخ الثّوريّ ونصطلح عليه في أدبيَّاتنا بـ (المَناخ الجهاديّ).

ووفق هذه الشُّرُوط يمكن أن نستفيد من دراسة هذه المعطيات في النَّماذج الرَّئيسيَّة الثّلاثة الّتي حصلت في الفترة الماضية من جِهَاد الجبهات:

في أفغانستان، والشِّيشَان، والبُوسنة، وهذا يتَّضح بالجدول البسيط التّالي:

البلد/ المعطيات	الجُغرافيّة	السّكّانية	السّياسيّة	النَّتِيجَة
أفغانستان	-٦٥٠ ألف كم٢ - وعورة - وموارد عالية الحدود واسعة غير قابلة للإقفال ومعطيات أُخرى.	- ٢٤ مليون نسمة، معظمهم من الشَّبَاب. - شعب مقاتل صبور. - توفّر عالي للسّلاح	- قضيّة احتلال وغزو خارجيّ. - باعث دينيّ. - باعث قبليّ.	**نجحت كلّيّاً**
الشِّيشَان	- صغر في المساحة: ٤٧٠٠٠ كم٢ - وعورة متوفرة حدود مفتوحة نسبيّاً - موارد متوفرة	- عدد محدود من السّكّان زهاء ٨٥٠ ألف نسمة - شعب محارب ذو شكيمة - ووفرة في السّلاح.	- قضيّة احتلال وغزو خارجيّ. - باعث دينيّ. - باعث قوميّ.	**-نجاح عسكريّ** **-نجاح دعويّ** **-فشل سياسيّ إلى الآن.**
البُوسنة	صغر في المساحة- حدود مقفلة جداً ومحصورة - وعورة وموارد متوفرة.	عدد السّكّان محدود: المُسلِمِين نحو ٤ مليون. شعب غير محارب ليس ذو شكيمة وسلاح محدود المصادر.	قضية عدوان وإبادة صليبيّة غربيّة. - باعث دينيّ. - صِرَاع من أجل البَقاء.	**فشلت عموماً إلَّا في تأييد الأُمّة لها.**

فإذا ما استعرضنا بلدان العالم الإِسْلَاميّ وأقاليمه، بحسب التّقسيمات السّياسيّة، من منظور هذه المعطيات الاستراتيجيّة، سنجد أنَّ الأقاليم والبلدان الّتي تتوفَّر فيها هذه المعطيات، ولاسيَّما الجغرافيّة، والسّكّانيّة ضعيفة في غالب تلك الكيانات المصطنعة بطرقة قي غاية الخبث.

وأما القضيّة فإنّها ما لم يتوفر الشُّعور بالانتماء للأمَّة كلّها، ستكون ضعيفة. وأما المناخ الثّوريّ بسبب الباعث الدّيني أو الاجتماعيّ أو الاقتصاديّ للثّورة ضدّ ظلم الحكّام وعمالتهم، فقد أطفأه علماء السّلاطين والدّعاة القاعدون في كلّ الأنحاء حيث زرعوا في عقول الأُمّة أنَّ من لم يحكم بما أنزلَ اللهُ؛ فأولئك هم المُؤمِنُون ! وأنَّ من تولى الأَعدَاء منهم فإنَّه منَّا ووليُّ أمرنا وتاج رأسنا !!

ولذلك يجب البحث عن مفاتيح الثَّورة والمُقاوَمة والجِهَاد، تحت شعار مُوَاجَهة الغزو الأمريكيّ الصّهيونيّ اليَوْم لكامل الأُمّة، حيث لا يمكن لعلماء السّلاطين وأجهزة الإعلام أن تنجح إلا في السُّقوطِ مع حكَّامها وسيّدَتِهم أمريكا عندما تتصدَّى لهذه الدّعوة، وهو ما يحصل اليَوْم.

وأما عن صلاحيَّة مناطق العالم الإِسْلَاميّ للمواجهات في جهات مفتوحة فأفضلها بحسب توفّر المعطيات إذا تناولناها كأقاليم وليس كيانات سياسيّة:

وهذه المناطق هيَ:

١ - أفغانستان:

وقد سبقت الإشارة لمعطياتها.

٢ - بلاد وسط آسيا وما وراء النَّهر:

وهي رقعة كبيرة تناهز مساحتها ٥ مليون كم٢. وفيها ما يناهز ال٥٠ مليون مسلم تتوافر فيها كامل المعطيات المطلوبة للجبهات المفتوحة ولاسيَّما مع بقاء الإحتلال السُّوفيتيّ في بعضها وتسرّب الإحتلال الأمريكيّ شبه العَلنيّ لما تبقّى منها بطريقة الإستعمار الحديث عَلى الطَّريقة الأمريكيّة، وقد سبق أن كتبت بحثاً بعنوان (المُسلِمُون في وسط آسيا) تناولت فيه هذا الأمر بالتَّفصيل.

٣- اليمن وجَزِيرَة العَرَب:

وهي رقعة هائلة المساحة تجاوز بمجموعها الـ (٢، ٥) مليون كم٢، وعدد سكّانها الإجماليّ نحو ٤٥ مليون نسمة، وقلعتها الأساسيّة الصّالحة للمُوَاجَهة المفتوحة هيَ **اليمن**، وفيها من المعطيات الاستراتيجيّة الدّينيّة والاقتصاديَّة والموقع ما لا يخفي، وقد سبق أن كتبت بحثاً أيضاً حول الجِهَاد في جَزِيرَة العَرَب ورُكنُه الأساسيّ في اليمن بما يُغني عن الإطالة هنا.(١)

٤- المغرب الأقصى وشمال إفريقيا:

وهي رقعة شاسعة المساحة أيضاً مفتوحة الحدود البريّة، طويلة الشَّواطئ البحريَّة، وافرة الجبال والحصون الطّبيعيّة، متوفرة عَلى السّلاح والموارد اللّازمة، تستعصي عَلى الحصار لتعدّد حدودها

(١) راجع رسالة (مسؤولية أهل اليمن عن ثروات المُسلِمِين ومقدّساتهم) – للمؤلف.

وتنوعها، كما أنّ سكّانها من العَرَب والبربر قد عُرفوا تاريخيّاً بالبأسِ والشَّجاعة والقدرات القتاليّة وتتوفر للمنطقة موارد تسليحيّة كبيرة من وسط وغرب إفريقيا، كما أنّ تماسها البحريّ مع أوربّا يوفّر لها معطيات كبيرة، ناهيك عن أنّ أحوال شمال أفريقيا ولاسيّما المغرب، تتوفّر عَلى معظم معطيات المناخ الجهاديّ الثّوريّ وحالة الإحتلال الاقتصاديّ والسّيطرة الغربيّة واليَهُوْديّة، توفر مفاتيح ذهبيّة لانطلاق شرارة الجِهَاد أيضاً.

٤- بلاد الشّام والعراق:

تكوّن إقليماً مُتكاملاً ومُتواصلاً تزيد مساحته عَلى ٧٠٠ ألف كم٢ مجتمِعاً، وتتوفّر له بمجموعه كامل معطيات الجبهات المفتوحة، ولاسيّما في المناطق الجبليّة في شمال وغرب العراق، وشمال وغرب سوريا، وفي معظم لبنان، وكذلك في هضاب شرق نهر الأردن وشماله، وعدد السّكّان في المنطقة كلياً يزيد أيضاً عَلى ٦٠ مليون نسمة.

ويشكّل الإحتلال الأمريكيّ الماثل الآن، والّذي أعلن عن عزمِه عَلى الاستقرار ولأمدٍ بعيدٍ، كما يمهّد لمدّ عدوانه إلى سوريا ليُسيطر عَلى كامل الشّام بعد أن احتلّ اليَهُوْد سوريا وسيطر النّصَارى عَلى لبنان واستحوذت أمريكا عَلى كبير الأمور وصغيرها في الأردن.

وفي المنطقة وفرة كبيرة من السّلاح والعتاد، كما أنّ هناك تنوّع في الحدود والسّواحل والممرّات.

وتشكّل إسرائيل باعث قضية إسلاميّة عالميّة، كما يضيف الإحتلال الأمريكيّ بعداً ثوريّاً ممتازاً كمفتاح للجِهَاد.

وهناك مناطقُ أُخرى شبيهة تتوفّر لها الكثير من المعطيات الّتي تصلح للمواجهات المفتوحة أيضاً مثل تركيا وهي من أصلح البلاد لقيام حرب عِصَابات جهاديّة، حيث تتوفّر كلّ العوامل، وكذلك وأكثر منه في باكستان [1]. وبعض مناطق القرن الإفريقي وسواها، ولكن الغالبيّة العظمى للدّول والكيانات الإِسْلَاميّة الّتي يربو عددها عَلى ٥٥ دولة لا يصلح بحال للمواجهات المفتوحة، لتخلّف كلّ الشُّرُوط المناسبة أو بعضها.

---

(١) راجع كتاب (باكستان مشرف - المشكلة والحلّ والفريضة المتعينة) - للمؤلف.

وهنا يجب التَّنبه إلى موضوع القضيّة السّياسيّة الّتي ستكون مسألة الصِّرَاع والحشد من أجل المُوَاجَهة.

فيجب أن تكون كما وضّحت الآن مسألة دفع الإحتلال الأمريكيّ في المنطقة، ومسألة الصِّرَاع مع اليَهُوْد، ومسألة إخراج المُشركين من جَزِيرَة العَرَب، ومسألة النّفط والثّروات، ومسألة الهَيَمَنة الأمريكيّة، والمظالم والبلايا المترتّبة عَلى الإحتلال وحلفائه في المنطقة.

كيفِيَّة المشاركة في المُقاوَمة في جِهَاد الجبهات المفتوحة:

معظم البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة بتقسيماتها وكياناتها السّياسيّة الحالية، لا تتوفر لها معطيات الجبهات المفتوحة، وهي في معظمها ساحات مناسبة لِجهَاد الإرهَاب الفَرديِّ والسَّرايا الصّغيرة وحُرُوب العِصَابات السّريّة نتيجة كثافة تواجد أشكال تواجد مصالح أمريكا وحلفائها ومشاريع الهيمنة الغربيّة والصّهيونيّة.

وأما من أراد من المُجَاهدين المساهمة في المُوَاجَهة المفتوحة، فعليه بالتّوجّه إلى حيث تفتح الجبهات لمّا تفتح، والعمل تحت قيادة قياداتها الميدانيّة، طالما توفّر الحدّ الأدنى للرّاية الشَّرعيَّة والجِهَاد الشَّرعيّ تحت شعار الإِسْلَام العام، بما يتوافق مع أصول المُقاوَمة وأيديولوجيّتها وعقيدتها الجهاديّة.

فإذا ما أسفر الجِهَاد في جبهة من تلك الجبهات عن انتصار المُسلِمِين، فإن ذلك سيكون نواة لإمارة إسلاميّة من المفترض أن تحكم بشرعِ الله، وتكون نواةً ومهجراً لمن حولها من المُهَاجِرين للجِهَاد في سبيل الله، وستبقى القيادة والإمارة فيها لأهل ذلك البلد بالإجمال، فهناك موروثات اجتماعيَّة وواقعيّة لا ينفع تجاوزها، وتناسي آثارها إلى أن يقوم المجتمع المسلم القائم عَلى أمميّة الإِسْلَام وجنسيّة الإِسْلَام وهذا يحتاج لوقت طويل والله أعلم.

هذا عن جِهَاد الجبهات المفتوحة بصورة عامّة واختصار ولكنّي أعود للقول والتّنبيه:

إنّ من المهمّ جداً لمن يتصدّون لحمل راية الجِهَاد أن يفهموا واقعهم وواقع المُسلِمِين ومعطيات العصر الأمريكيّ الحاليّ حتَّى يزيل الله دولتهم ويشتّت شملهم.

هناك طغيان وجبروت أمريكي في كلّ مجال ؛ اقتصاديّ وعسكريّ وبشريّ وسياسيّ لا يجوز تجاهله ولا ينفع تجاهله، ولدينا منذُ أحداث سِبتَمبر نماذج بالغة الدّلالة، كلّها تشير إلى أنّه يجب التّريث كثيراً

قبل التَّفكير في المُوَاجَهة عبر جبهات مفتوحة مع هذه القوّة الطَّاغية وأنّ الوقت الآن وطالما بقيت المعطيات عَلى حالها هو في العمل بالمُقاوَمة السّريّة وفق أصول حرب عِصَابات مدنيّة أو ريفيّة تناسب هذه الأحوال من خلال اعتماد جِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ وعمل السَّرايا الصّغيرة وهو ما سنشرحه فيما تبقى من المساحة في هذا البَاب إن شاء الله، وهو الفقرات التّالية.

ثانياً: جِهَاد الإرهَاب الفَرديّ وسَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

مفهوم الإِرهَاب:

أعتقد أن من أهمّ مجالات نجاحات الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الأمريكيّة الجَدِيدة، نجاحهم في مجالات الإعلام، وممّا نجحوا فيه في ذلك، فرضهم للمصطلحات وتعريفاتها عَلى النّاس، وإلزام البشريّة بفحوى تلك المصطلحات ما يوافق رؤيتهم ومن المصطلحات الّتي فرضوها اليَوْم بصورة شوهاء لتعبّر عن أبشع الأعمال والصّفات والممارسات.

ومن ذلك اليَوْم مصطلح (الإِرهَاب) و(الإِرهَابيين) و(مكافحة الإِرهَاب)...

حتَّى أصبح الطّبيعي في الإعلام العربيّ والإِسْلَاميّ وحتى إعلام الصّحوة نفي هذه الصّفة وكأنّها تهمة ورذيلة وكارثة، تؤدّي بمن يتّهم بها إلى الاتّصاف بكل خصائص الرّذائل ومترتّباتها في الدُّنيَا والآخرة.

وبكل بساطة وشجاعة نقول:

بأننا نرفض أن نفهم هذا المصطلح وفق التوصيف الأمريكيّ. (فالإِرهَاب) كلمة مجردة ومثل كثير من الكلمات المجردة، فقد تحمل معنى صالحاً أو طالحاً بحسب نسبتها، وما يضاف إليها وما تنضوي عليه، فالكلمة مجردة لا صفة لها من سلب ولا إيجاب.

أرهب: أي أرعب والمصدر، **الرَهَبْ**: أي الخوف الزائد، والقائم بالفعل (**إرهابيّ**): والّذي يقع عليه الفعل مُرهب أو مرهوب، وبهذا يكون لدينا هناك نوعان من الإِرهَاب.

١- إرهاب مذموم:

وهو إرهاب البَاطِل وقوى البَاطِل، ويمكن تعريفه بأنه كلّ فعل أو قول أو تصرف يُؤَدِّي إلى إلحاق الأذى والخوف بالأبرياء بغير وجه حق.

ومن هذا القبيل إرهاب اللصوص، وقطاع الطرق، وإرهاب الغُزَاة والمعتدين، وإرهاب الظُّلمة والمتسلطين عَلى النّاس بغير حق، من الفراعنة وأعوانهم... فهو إرهاب مذموم وفاعله (إرهابيّ مجرم) يستأهل العقاب عَلى إرهاب وجرمه بقدر أذاه وفعله الذميم.

٢ - إرهاب محمود:

وهو الإرهَاب المعاكس لذلك الإِرهَاب المذموم. هو إرهاب المحق المظلوم الّذي يدفع الظُّلم عن المظلومين. وذلك بإرهاب ظالمة ودفعه.

ومن هذا القبيل إرهاب رجال الأمن العدول للصوص وقطاع الطرق. وإرهاب المقاومين للمحتلين. وإرهاب المدافعين عن أنفسهم لأعوان الطَّاغوت. فهذا إرهاب محمود.

إرهاب الأَعدَاء فريضة دينية، واغتيال رؤوسهم سنة نبوية:

أذكر أَنّي أُلحقت بدورة تدريبية لإعداد كوادر الجهاز العسكريّ لتنظيم الإخوان المُسلِمين أيّام الجِهَاد والثَّورة عَلى نظام حافظ الأسد وكان لي من العمر ٢٢ عاماً. وكان ذلك في مُعَسْكَر الرَّشِيد التَّابع للجيش العراقي ببغداد سنة ١٩٨٠. ولما دخل علينا المدرب - وكان- رَحِمَهُ اللَّهُ - رجلا فاضلا، وشيخا مسناً من الرعيل الأوّل، من الّذين بايعوا الشَّيْخ حسن البنا رَحِمَهُ اللَّهُ لما كانَ عمره ١٧ عاماً، وجاهد في فِلَسطِين سنة ١٩٤٨، وجرح في القُدس، وعمل في الجهاز الخاص، وشارك في المُقاوَمة السرية ضدّ الإنكليز في قناة السويس مطلع الخمسينات، وصحب سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ، وهاجر عن مصر بقية حياته، وكان مدربا في مُعَسْكَرَات الشُّيُوخ في شرقي الأردن مع منظّمة التحرير سنة ١٩٦٩ وانتدب لمساعدة أكثر من حركة جهاديّة ساندها الإخوان عندما كانوا إخوانا عَلى منهج البنا وقطب، قبل طاعون الدِّيمقراطيَّة والبرلمانات...

فكان يدربنا المواد العسكريّة ويجري معنا في الطابور الرِّيَاضي - رغم سَنَواته الّتي ناهزت الستين - ويلقي فينا المحاضرات. وأذكر أنه أول ما دخل عَلى الفريق المكون من ٣٠ شابا هم نخبة الجهاز العسكريّ للإخوان السورين في حينها، كانَ أول ما قاله لنا بلهجته المصريَّة:

(**إنتو إخوان مُسلِمِين ؟**) فقلنا: نعم، فقال: (**متأكّدين يَبْني**) ؟ قلنا متأكّدين، فقال مشيرا إلى عنقه: (يِبقى حَتِدِّبْحُوا كُلُّكُو..موافئين ؟)..فقلنا جميعا والسرور والبهجة تغمرنا: موافقين يابيه..

فاستدار إلى السبورة وكتب عليها عنوان أولى المحاضرات:

(الإرهَاب فريضة والاغتيال سنة) !

وخط تحتها خطا واستدار لتبدأ الدُّروس..ونبدأ المشوار.. فوعينا الدُّروس وطال المسار وبقيت البشارة.. والأمل في كرم الله كبير لمن قضى نحبه من ذلك الفريق ولمن ينتظر.

وهذا الّذي لخصه الشَّيْخ ﵀ جزء من عقائد هذا الدّين. وقد افتتحت بها فيما بعد دروسي. لقد أمر الله بإرهاب أعدائه في صريح كتابه، وجاءت به سنة رسوله المصطفى ﷺ القولية والفعلية والتقريرية. وقد فصل الكتاب والسنة أحكام هذا الإرهَاب المحمود لأعداء الله بصريح العبارة. ففي القرآن قوله تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال]

والآية صريحة النّص قطعية الدلالة؛ ﴿وَأَعِدُّوا۟﴾ أي تدربوا عَلى القِتَال. ﴿لَهُم﴾ أي لأعدائكم ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ وهو الرمي والركوب والسّلاح. قَالَ ﷺ «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ» يُكرِّرُها ثلاثَ مَرَّاتٍ[1].

فلماذا الإعداد والتدرب عَلى القِتَال وحشد السّلاح وربط الخيل ؟ لقد بينت الآية ذاتها ذلك: ﴿تُرْهِبُونَ﴾ أي لكي ترهبون ﴿بِهِۦ﴾ أي بما أعددتم للقتال ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ وهم المقصودين بالفعل الإرهَابي. ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ أي ممن يعينهم ويساعدهم أو يتربص بكم للعدوان. فلما يرى هَؤُلَاءِ إرهابكم للمعتدي ومقاومتكم ودفاعكم عن أنفسكم (يُرهَب) ويخاف ويُردَع عن الإقدام، من

---

(١) رواه مسلم (١٩١٧).

دون أن تكونوا قد علمتم بعزمه عَلى العدوان. ولكن الله علم ذلك وردعه بإعدادكم وإرهابكم لأعداء الله المعتدين. والله تَعَالَى أعلم.

وهكذا وباختصار:

<u>لقد أمرت الآية الكريمة بالإعداد بغية الإرهَاب للمعتدين وأعداء الله من الكفّار وأعوانهم.</u>

وقد فهم الفار الآية أكثر من كثير من علماء المُسلِمين في هذا الزّمان، فطالبت أمريكا كلّ الدّول الإِسْلَاميّة بحذفها، وكل (سورة الأنفال) و(التوبة) و(آل عمران).. من مناهج التّعليم !!

ومن يرهب الآخرين فهو (إرهابيّ) بلا لف ولا دوران، وبهذا فهناك:

- **إرهابيّ ظالم معتد..**
- **إرهابيّ عادل مدافع عن نفسه أو عن المظلومين الآخرين.**

وبذلك لا نجد في كلمة **إرهابيّ** أي مدلول سيئ في حالة نعت بها المقاومون والمُجَاهدون.. فهم في الحقيقة إرهابيون لأعدائهم وأعداء الله وعباده الضّعفاء، فأين الإشكال وأين المذمة ؟!

.. **نعم نحن إرهابيون لأعداء الله**. وقد أرهبناهم وجعلناهم يرتجفون في جحورهم رغم مئات الآلاف من العاملين في أجهزتهم الأمنيّة. ولله الحمد، وذلك بعد أن أرهبوا البلاد والعِبَاد وأدخلوا الخوف عَلى الأجنة في بطون أمهاتهم..

ومن هنا فالإِرهَاب مأمور به في كتاب الله، فيكون في مثل حال دفع المُجَاهد لعدوه وإرهابه في جِهَاد الدَّفع ؛ فريضة من أهمّ الفرائض بل ليس أوجب بعد توحيد الله منها كما نص عَلى ذلك الفقهاء والعُلَماء، قبل أن يطالنا إرهاب وسائل إعلام العدوّ وإرهابهم الفكريّ أن نتبرأ من ذواتنا وكتاب ربنا وفرائض ديننا..

ولقد علم أعداء الله أن الأمر بإرهابهم متكرر في كثير من المواضع في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فصرح (رامسفيلد) وغيره بذلك. وطالبوا الدّول الإِسْلَاميّة بحذف آيات كثيرة من مناهج التدريس في بلاد العَرَب والمُسلِمين حتَّى وصل الأمر إلى قوله تَعَالَى ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ .... لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ فقالوا هذه آيات تبعث عَلى الكراهية وتفرق بين أهل الأديان ويجب حذفها !! وما أدري أين يذهب المنافقون المغفلون بقوله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً

حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾ [محمد]

وقوله ﷺ: « بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١)، وقوله ﷺ: «يا معشر قريش؛ أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئتكم بالذَّبحِ... !»(٢) .

ولقد استجاب الحكّام ووزارات التّربية لهم وعدلت المناهج مرارا والشواهد كثيرة جدا وآخرها خروج وزيرة الثّقافة الباكستانية جهارا أمام الصحافة لتقول أن سورتي الأنفال والتوبة يجب حذفها من المناهج لأنها تدعو للإرهاب !!

ثمّ وصل الأمر أخيرا بأمريكا أن تجمع عددا من العُلَماء المقيمين في الغرب والمستشرقين، ليلخصوا القرآن، ويحذفوا منه ما يدعوا للكراهية والقتال بزعمهم !! وخرجوا بمصحف جديد مختصر، أسموه (فرقان الحقّ) !! وقد تحدث عن هذا عدد من وسائل الإعلام. وقد سمعت بعض ذلك في برنامج عن حصاد الصحافة في قناة (إقرأ) السّعُودِيّة - الخليجية ! وهكذا، وصدق الله العظيم إذ أنذرنا بقوله:

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ [البقرة] والأمر واضح بين.

ومن أوائل أعمال الإرهاب لأعداء الله ولرؤوسهم وأئمة الكفر منهم قتال أئمة الكفر. كما قَالَ تَعالَى:

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ [التوبة].

---

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر والألباني (صحيح الجامع-٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاري.

(٢) رواه أحمد (٧٠٣٦) وابن حبان (٦٥٦٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

فمن أوائل الأعمال الجهاديّة هو تصفية رؤوسهم قتلاً واغتيالاً. وقد ثبت عنه ﷺ في عدّة أحداث منفصلة إرساله لسَرايا من المُجَاهدين كفرق وسَرايا خاصّة (كوماندوس) من خيار الصّحابة.. لينفذوا اغتيال رأس من رؤوس الكفر في زمانه ﷺ وهذه الأحداث ثابتة. بل منها إرساله لاغتيال امرأة شاعرة تؤذي الله ورسوله والمُسلِمين بشعرها، فأرسل من اغتالها وأخرس لسانها.

وما فعله رسول الله ﷺ سنة نبوية نعتز بها ونستن بها ونقتدي بها ونكفر من استنكرها.

وفي آخر حياته ﷺ اغتال (فيروز الديلمي) في اليمن، رأس الرِّدَّة فيها (الأسود العنسي) الّذي استولى عَلى الملك في اليمن وأراد حمل النّاس عَلى الرِّدَّة فقتله فيروز اغتيالًا، وأخبر جبريل رسول الله بالواقعة وهو في مرض الموت وبشّره بها. وأخبر بها رسول الله ﷺ صحابته وروي أنه قَالَ لهم: «قُتِلَ الأسوَد العَنسِيّ، قتَلَه رَجُلٌ مبَارك مِن آلِ بيتٍ مُبَارَكين»[١].

فاغتيال رؤوس الكفر من مدنيين وعسكريّين ورجال سياسة ودعاية وإعلام، من الطاعنين في دين الله، ومن المناصرين لأعداء الله الغُزَاة للمسلمين. هو سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ وهي من أهمّ فنون الإِرهَاب وأعماله وأساليبه الناجعة الرادعة.

بل هيَ أساليب يطبقها أعداء الله، وقد حصلت الـ (CIA) عَلى ترخيص من الحكومة الأمريكيّة باغتيال رؤساء دول إن اقتضت ذلك مصلحة أمريكا القوميّة، ونفذوه مرات ومرات. وفي (CIA) شعبة خاصّة بذلك ! فما أدري لماذا يحرمون هذا علينا ؟ ثمّ يتابعهم عَلى البَاطِل أوباشنا والمنافقون من علمائنا قاتلهم الله ؟!

وبعد هذه المقدِّمة اللازمة لإزالة اللبس عن لفظة: (إرهاب) ومشتقاتها لأنَّنا سنستعملها كشكل وهدف من أهداف الجِهَاد، ننتقل للفقرة التّالية.

ملاحظات حول أعمال الإرهَاب والجِهَاد الفَرديِّ السالفة:

نلاحظ أن تلك العمليَّات بقيت محدودة، وحصلت من البعض كتعبير عن رد فعل عاطفي هنا وهناك. إثر بعض أعمال العدوان عَلى المُسلِمِين. وهي تزداد في أماكن العدوان ذاتها وذلك لن العقول والنفوس مازالت مجبولة عَلى الشعور القطري. فلو غزا الاستعمار بلداً وجدت الكثير من ردود الأفعال

(١) كنز العمال: (٣٧٤٧٣).

فيه. ولكن ذات قوى الاستعمار العسكريّة والمدنيّة ومن مختلف الأشكال موجودة في أقطار مجاورة لا يتهدد مصالحها أحد.

كما نلاحظ أنها غير مبرمجة من قبل أصحابها لكي تكون ظاهرة من أجل تقديم القدوة وجر شباب الأُمّة للتأسي بها والبناء عليها، وإنما مجرد ردود أفعال انفعالية.

فلم تتحول لظاهرة لأنها عفوية. ولم يتصد أحد لبرمجتها وطرحها كأسلوب عمل إستراتيجي. وهو ما سنتبناه كاستراتيجية أساسية في أساس نظريتنا العسكريّة في دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

الظّروف والضّرورات الّتي تحتم استخدام المُقاوَمة لأسلوب عمل الجِهَاد الفَرديِّ:

إن مما يفرض أسلوب العمل هذا كخيار إستراتيجي ظروف عدم التوازن في القوي بين المُقاوَمة وتحالف العدوان الكبير من الكفّار والمرتدّين والمُنَافِقين، ومن ذلك:

(١) - فشل أسلوب عمل التَّنظِيمات السرية الهرمية في ظل الهجمة الأمنيّة الدّولية والتنسيق الإقليمي والدّولي الّذي أشرنا إليه آنفاً وضرورة قيام أسلوب عمل لا يمكن تلك الأجهزة الأمنيّة من التوصل إلى إجهاض خلايا المُقاوَمة باعتقال أفرادها عن طريق التعذيب والاعترافات.

(٢) - عجز التَّنظِيمات السرية عن استيعاب كلّ شباب الأُمّة الّذين يريدون أداء فريضة الجِهَاد والمُقاوَمة بالمساهمة بفعل ما من دون الاضطرار للالتزام بتبعات الانتساب لتنظيم مركزي.

(٣) - اتساع تواجد العدوّ وتنوع أهدافه وتواجده في بقاع كثيرة يصعب أن تقوم فيها جبهات قتال كما يصعب أن تنشأ فيها تنظيمات مركزية.

(٤) - سقوط فكرة الجبهات والمُوَاجَهة الثَّابِتة مع العدوّ نتيجة استخدام العدوّ لاستراتيجية الحسم الجوي بالقصف الصاروخي المدمر والرمايات الجوية الموجهة بالأقمار الصناعية الّتي تسيطر عَلَى الأرض بل وترى ما تحت الأرض بفضل التكنولوجيا العالية، وهو أمر يجب الاعتراف به والتخطيط للمُوَاجَهة عَلَى أساسه.

الأسس العامّة لنظريَّة العمل الجهاديّ الفَرديِّ في دعوة المُقاوَمة من النَّاحية العمليّة:

(١) - نشر ثقافة المُقاوَمة وتحويلها لظاهرة استراتيجية منظّمة وليس مجرد مجموعة ردود أفعال.

(٢) - نشر فكر المُقاوَمة ومنهجه وأسسه الشَّرعيَّة والسّياسيّة ونظريات عمله بحيث تكون في متناول من يريدها من شباب الأُمّة العازم عَلى الجِهَاد والمُقاوَمة.

(٣) - إرشاد المقاومين إلى ساحات العمل المناسبة لجِهَاد الإرهَاب الفَرديِّ.

(٤) - إرشاد المقاومين إلى أهمّ الأهداف الّتي عليهم استهدافها في عمليّات المُقاوَمة وجِهَاد السَرايا الصغيرة.

(٧) - نشر العلوم والمعارف الشَّرعيَّة والسّياسيّة والعسكريّة وسواها مما يلزم المُجَاهدين للقيام بأعمال المُقاوَمة من دون أن يكون ذلك بطريقة مباشرة تؤدي لتسلسل اعتقال الشبكات كما حصل في التَّنظِيمات المركزية.

(٨) - إرشاد الشَّبَاب إلى طريقة العمل المُسلّح وبناء خلايا سَرايا المُقاوَمة بطريقة (نظام العمل) وليس (التَّنظِيم للعمل) كما سنين لاحقاً هنا وفي البَاب الخاص بنظريات (أمن الحركة والتَّنظِيم والتّدريب والإعداد)..

(٩) - تنسيق طريقة تتلاقى فيها الجهود لتجميع نتيجتها بآلية تحقق إرباك العدوّ وإنهاكه ورفع معنويات الأُمّة لتنخرط في ظاهرة المُقاوَمة.

ساحات العمل الأساسيّة المستهدفة بجِهَاد الإرهَاب الفَرديِّ:

نظراً لاتساع الأُمّة والساحات الّتي تتواجد فيها أهداف العدوّ الغازي ومصالحه.. ونظراً لتعذر الرحيل إلى ساحات المُوَاجَهة عَلى كلّ الشَّبَاب الراغب بالمساهمة في المُقاوَمة. بل تعذر قيام مثل هذه الجبهات في المدى المنظور فإن طريقتنا تعتمد إرشاد المسلم الّذي يريد المساهمة والمُقاوَمة إلى العمل حيث هو، أو حيث يستطيع التواجد بشكل طبيعي ويمارس حياته العامّة بشكل طبيعي ويمارس الجِهَاد والمُقاوَمة سرياً بنفسه أو مع خلية صغيرة من الموثوقين لديه يشكلون سرية مستقلة للمقاومة والجِهَاد الفَرديِّ.

وأما أولوية الساحات الّتي يجب أن نضرب بها العدوّ فإن ترتيب أولوياتها يكون:

١- حيث تؤلم العدوّ أكثر وتكبده أفدح الخسائر.

٢- حيث توقظ المُسلِمِين أكثر وتحيي فيهم روح الجِهَاد والمُقاوَمة.

وبهذا يكون تسلسل الساحات بحسب أهميتها كما يلي:

١ - بلدان الجَزِيرَة العربيَّة والشّام ومصر والعراق:

فهذه الرقعة تحتوي المقدّسات، والنفط، وإسرائيل، ودول الطوق المحيط بها. والوجود الأمريكيّ عسكريّاً واقتصادياً، وهيَ المقر الأساسي والنّهائيّ للطائفة المَنصُورَة إلى قيام السَّاعة.

٢ - بلدان شمال إفريقيا من ليبيا إلى موريتانيا:

وفيها مصالح الغرب ولاسيما الدّول الأوروبية الحليفة الأساسيّة لأمريكا في النّاتو.

٣- تركيا والباكستان وبلدان وسط آسيا:

وفيها ثاني أكبر مخزون للنفط في العالم، وفيها مصالح أمريكا الاستراتيجيّة وقواعدها العسكريّة واستثماراتها الاقتصاديَّة الأساسيّة، وفيها حركات إسلاميّة ضخمة وتارِيخِيَّة، تعتبر عمقا استراتيجيا لحركات الجِهَاد والمُقاوَمة العربيَّة.

٤ - باقي بلدان العالم الإِسْلَاميّ:

وتحتوي عَلى مصالح وتواجد الأمريكان ودولهم الحليفة. وبمجموعها تحتوى عَلى الظهير الأساسي للمقاومة، وهم شباب الأُمّة المتعاطف مع قضاياها والراغب بالمشاركة في الجِهَاد والمُقاوَمة وهو ظهير بمئات الملايين من المُسلِمِين.

٥ - المصالح الأمريكيّة والحليفة في بلدان العالم الثّالث:

ولاسيما الداخلة في الهجمة الصّليبيّة وذلك لإمكانيَّاتها الأمنيّة الضعيفة قياساً بالإجراءات الأمنيّة الّتي تطبقها الدّول الغربيّة في بلدانها. والجِهَاد في هذه البلدان يقع أساساً عَلى عاتق المُجَاهدين المقيمين أساساً في تلك البلاد ويعيشون فيها حياة طبيعة تساعدهم عَلى الحركة والتخفي ومعرفة الأهداف وسهولة التعامل معها.

٦ - في دول أوروبّا الحليفة لأمريكا الداخلة معها في الحَرب:

وذلك لتواجد جاليات إسلاميّة ضخمة وقديمة فيها يزيد تعدادها في أوربّا عَلى ٤٥ مليون نسمة. وهي جاليات بالملايين في أستراليا وكندا وأمريكا الجنوبية.

وخاصة أوربّا لقربها من العالم العربيّ والإِسْلَاميّ وتداخل مصالحها معها وكثرة الحركة والتنقل فيما بينها وبينه. والمسلمون في تلك البلاد مثلهم مثل الْمُسلِمِين في كلّ مكان عليهم فريضة الجِهَاد والدفع والْمُقاوَمة سواءً بسواء مع الْمُسلِمِين في بلادهم.

ولمن العمل في أوربّا وتلك الدّول يجب أن يخضع لضوابط المصالح والمفاسد السّياسيّة بحسب مواقف تلك الحُكُومَات، مع اتخاذ استراتيجية كسب الشّعوب وعدم إيذائها، وهذا سنفصله في النَّظريَّة السّياسيّة للمقاومة إن شاء الله.

٧- في قلب أمريكا ذاتها. وذلك باستهدافها بالعمليَّات الاستراتيجيّة المؤثرة كما سيأتي بيان ذلك في الفقرات التّالية إن شاء الله. فهي رأس الأفعى كما أسماها الشَّيْخ أُسَامَة بحق، وهي أصل البلاء ورأس الحلف الّذي سينفرط بهزيمتها، وننتقل لمرحلة تارِيخِيَّة جديدة إن شاء الله.

أهمّ الأهداف المعادية الّتي يستهدفها جِهَاد الإِرهَاب الفَرديّ:

الهدف من عمليَّات الْمُقاوَمة وجِهَاد الإِرهَاب الفَرديّ هو إنزال أكبر كمية ممكنة من الخسائر البشرية والمادية في مصالح أمريكا والدّول الحليفة لها. وإشعارهم بأن الْمُقاوَمة قد تحولت إلى ظاهرة انتفاضه ضدهم بسبب عدوانهم تمتد من وسط آسيا وجنوبها وجزر الفلبين وإندونيسيا شرقا وإلى سواحل الأطلسي غربا، ومن القفقاس وبلاد القرم والبلقان وشمال أفريقيا شمالا، وإلى الهند ووسط أفريقيا جنوبا، عَلى امتداد العالم الإِسْلَاميّ بالإضافة لأماكن الانتشار البشري للمسلمين.

وساحة البلاد الإِسْلَاميّة هيَ السَّاحَة الأساسيّة للمقاومة كما بيننا في النَّظريَّة السّياسيّة وكما سنوضح في فقرة (استراتيجية الْمُقاوَمة) في نهاية هذا الفَصل الهام.

والأصل في العمل هو ممارسة الْمُجَاهد عضو الْمُقاوَمة بالجِهَاد الفَرديّ في أرضه حيث يعيش ويقيم، ومن دون أن يكلفه الجِهَاد مشقة السفر والهِجرَة والتحرك إلى حيث يمكنه الجِهَاد المباشر. فالعدو اليَوْم واحد وهو منتشر في كلّ مكان والحَمْدُ لله.

وإذا أردنا أن نذكر أهمّ الأهداف بحسب أهميتها فنقول بأنها:

١. في بلادنا (العالم العربيّ والإِسْلَاميّ)

٢. وفي بلادهم (أمريكا والدّول الحليفة).

٣. وفي (بلاد العالم الأخرى).

أولا: الأهداف في السَّاحَة الأساسيّة (بلاد العالم العربيّ والإسْلَاميّ):

(١) - مراكز التبشير والتنصير والبعثات الثَّقافيَّة والمؤسسات المشرفة عَلى الغزو الحضاري والفكريّ الأمريكيّ الغربيّ لبلاد المُسلِمِين. من دون المساس بدور العِبَادة ومرافق النّصَارى الأصليين المقيمين في بلادنا.

(٢) - كافّة أشكال التواجد الاقتصاديّ الأمريكيّ والغربيّ الحليف له: (شركات، مناجم، خبراء، مهندسين، تجار، مندوبين شركات أجانب (من غير المُسلِمِين).. مساكن أسر هَؤُلَاءِ اللصوص المُستَعمرين...إلخ.

(٣) - كافّة أشكال التواجد الدبلوماسي لأمريكا وحلفائها من سفارات وقنصليات وبعثات دبلوماسية...إلخ.

(٤) - كافّة أشكال التواجد العسكريّ لأمريكا وحلفائها.. (قواعد عسكريّة- أساطيل بحرية- موانئ - مطارات - محطات تحرك - قطعات عسكريّة...إلخ).

(٥) - كافّة أشكال التواجد الأمني لأجهزة الاستخبارات الأمريكيّة والغربيّة الحليفة مثل مكاتب (CIA) و(FBI) وسواها المعلنة أو المستترة بأغطية وهمية.

(٦) - كافّة أشكال وفود التطبيع الصّهيونيّ أو الأمريكيّ الغازية لبلادنا اليَوْم عبر المؤسسات المدنيّة والأهلية والحُكُوميّة من ثقافية ورياضية وفنية... وسوى ذلك.

(٧) - كافّة أشكال التواجد السياحي من شركات السياحة ووفود السياح الأجانب ومكاتبهم وشركات طيرانهم وغير ذلك. فهَؤُلَاءِ هم سفراء الرَّذِيلة والفساد والدعارة والانحلال. فضلاً عن أنهم الصُّورة المهينة للاحتلال الّذي استولي عَلى بلادنا وحولها إلى حديقة خلفية للاستراحة والاستجمام لفجاره والمترفين من شعوبه..

(٨) - الأركان الأساسيّة لأنظمة الرِّدَّة المتعاونة مع الحملات الغازية.

(٩) - الأركان الأساسيّة لقوى العمالة ومختلف أشكال التطبيع مع الحملات الغازية في شتّى المجالات.

و باختصار.. استهداف كافّة أشكال التواجد البشري والمادي للأمريكان وحلفائهم في بلادنا وهي السَّاحَة الأساسيّة للمقاومة.

تفاصيل هامة:

- **البعد الاقتصاديّ للاحتلال الأمريكيّ:**

إن البعد الاقتصاديّ للاحتلال الأمريكيّ القادم إلى بلادنا هو من أهمّ أبعاد هذا الاحتلال والغزو الصّليبيّ واليَهُوْدي، بعد البعد الدّيني والحضاري الّذي تحركه دوافعهم الصّهيونيّة والصّليبيّة. وإيمانهم بأساطيرهم وخرافات كتبهم الدّينيّة المنحولة.

و بلاد المُسلِمِين تحتوي عَلَى بحيرات النّفط الأساسيّة في العالم. حيث تمتلك السّعُودِيّة ودول مجلس التّعاون الخليجي أكبر احتياطي معروف في العالم، ويمتلك العراق أكبر احتياطي غير مستكشفي العالم يقدر بـ (٣٠٠مليار برميل عَلَى الأقل). وتمتلك منطقة وسط آسيا ومحيط قزوين ثاني أكبر احتياطي معروف في العالم، وفي سوريا احتياطيات هائلة يتحاشى الإستعمار الحديث عنها، وفي السُّودَان والقرن الإفريقي بحيرة جوفية نفطية هائلة، وفي شمال إفريقيا وخاصة في الجَزَائِر مثل ذلك، ويشكل غاز الجَزَائِر الّذي يعبر إلى أوربّا عبر المغرب ومن تحت مضيق جبل طارق نحو (٦٥٪) من استهلاك أوربّا للطاقة**!!**

ويمتلك العالم العربيّ والإِسْلَاميّ ثروات معدنية مختلفة هائلة أيضاً فضلاً عن الثّروات الزراعية والحيوانية ومصادر المياه العذبة...إلخ فالهدف الأوّل للاستعمار **هو نهب تلك الثّروات**، وكما صرح معاون بوش الأب إبّان حرب الكويت ١٩٩٠: (بأنهم جاؤوا لتصحيح خطأ الرب بخلق النّفط في بلادنا) تَعَالَى الله علوا كبيرا عما يقول أحفاد القردة والخنازير.

و الهدف الثّاني للاستعمار الأمريكيّ والغربيّ هو تحويل بلاد العالم الإِسْلَاميّ الّتي يشكل مجموع سكانها (١/٥) سكان الكرة الأرضية تحويلهم إلى **سوق لتصريف المنتجات** الغربيّة الصناعية والتكنولوجية الّتي تعاني من ركود كبير ومنافسة من مصادر شرق آسيا والصين. وهكذا يمكن اختصار الأهداف الاقتصاديَّة للاستعمار والغزو الأمريكيّ والغربيّ بنقطتين:

١ - نهب الثّروات **٢ - تصريف المنتجات.**

وهذين الهدفين يجب أن يكونا هدفاً للمقاومة وللإرهاب المشروع. بجب أن نقطع عليهم طريق أخذ الثّروات. ونمنعهم من بيع المنتجات. ليس فقط عبر جِهَاد العجزة والمقعدين من الدعاة للمقاطعة السّلميّة، ومن الحملات الكلامية العَالَمِيّة لدفع العدوان ! – وهي مقاومات هامة إذا اقترنت بالدفع الجهاديّ– ولكن بالمُقاوَمة العسكريّة وجِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ وعمل السَرايا المُقاوَمة الصغيرة.

إن فُقَهَاء الإِسْلَام مجمعون عَلى حرمة بيع العدوّ ما يقويه عَلى المُسلِمِين، فكيف بوقود الدبابات والطائرات وقت الحملات الصّليبيّة ؟!

وعليه فإن من أهمّ الأهداف المعادية تفصيلاً:

أولاً: النّفط ومصادر الطاقة من المنبع إلى المصب:

وهي من أهمّ أهداف المُقاوَمة (حقول النّفط – أنابيب النّفط – موانئ التّصدّير – خطوط الملاحة البحرية والناقلات – موانئ الاستيراد في بلادهم – مستودعات التخزين في بلادهم)..

قد يقول قائل بأن هذا النّفط هو مورد عيش المُسلِمِين في تلك البلدان المصدرة للنفط.. وهذا غير صحيح، إنها مصدر نهب العدوّ لهذا الشريان المتدفق عليهم بالطاقة والصناعة والمال..إنه شريان الحياة لأعدائنا القتلة الغُزَاة الصّليبيّين، ودم آلتهم العسكريّة الّتي تصب علينا الموت والذل صباح مساء منذُ مطلع القرن العِشرين، وإلى اليَوْم.. ولا يعود في الواقع منه عَلى بلادنا إلا نسبة يسيرة يصب معظمها في جيوب حفنة من الأمراء المرتدّين الحاكمين، وذريتهم وأزلامهم من الفساق والزناة والمعربدين الّذين يتحكمون بها. ولا يفيض منها عَلى باقي شعوبهم إلا الفتات. هذا فضلاً عن أن نصيب فقراء هذه الأُمّة من شعوب المُسلِمِين الأخرى، هو الحرمان رغم حق الجميع شَرعاً في نعمة الله هذه..

إن (٥٠ ٪) من عائدات النّفط تذهب للشركات الأجنبيّة بحكم العقود الاستعماريّة، وتتحول الـ (٥٠٪) الباقية أرقاماً إلكترونية بلهاء في بنوك اليَهُوْدية العَالَمِيّة ! ليس لأصحابها اللصوص من فجار الأمراء الحقّ والحريَّة في سحب شيء منها إلا بموافقة اللصوص الكبار أسيادهم من اليَهُوْد والصّليبيّن.

لقد تحول النّفط لعنة بعد أن كانَ نعمة. وهكذا بدل حُكّام المُسلِمِين نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار !!

نعم إن تعطل تصدير النّفط سيفقد تلك الحُكُومَات الخائفة ميزانياتها. وبالتالي سينعكس هذا عَلى قطاعات التنمية الاقتصاديَّة المحدودة الّتي تتم في تلك البلاد.. ولكن ما هو وزن هذه المضرة الجزئية عَلى تلك الشرائح المحدودة قياساً بمضرة وصول هذا النّفط إلى العدوّ الصّهيونيّ والصّليبيّ ؟! الأمر واضح.. !!

باختصار إنه شريان حياة أعدائنا وينبع من بلادنا ويجب علينا قطعه..

وعندما تؤول ثرواتنا إلينا ونملكها نتعامل معهم تعاملاً تجارياً صحيحاً عَلى أساس قواعد العدل وحسن الجوار.

ثانياً: مناجم الثّروات المعدنية:

ذهب، نحاس، حديد، ألومونيوم، كوبالت، فوسفات، إلخ. وقائمة ثرواتنا تطول. وهذه أيضاً يجب قطع الطّريق عن وصولها إليهم ومنعهم من استثمارها. وكذلك يكون ذلك بمنع تصديرها. بإغلاق المناجم وقطع طرق التّصَدّير ووسائلها.

ثالثا: المضائق البحرية والمعابر المائية الرَّئيسيَّة:

في الكرة الأرضية خمسة (٥) مضائق بحرية هامة أربعة منها في بلاد العَرَب والمُسلِمين والخامس في أمريكا وهو مضيق باناما. وهذه المضائق هيَ:

١- مضيق هرمز بوابة النّفط في الخليج العربيّ - الفارسي.

٢- قناة السويس في مصر.

٣- باب المندب بين اليمن والقرن الأفريقي.

٤- مضيق جبل طارق في المغرب الأقصى.

وهذه المعابر المائية يمر فيها معظم اقتصاد العالم الغربيّ تجارةً ونفطاً كما تمر فيها الأساطيل العسكريّة وحاملات الطائرات وصواريخ الموت الذاهبة إلى أطفالنا ونسائنا.. ويجب إغلاق هذه المعابر حتَّى ترحل الحملات الغازية. وذلك باستهداف سفن الأمريكان وسفن الدّول الحليفة معها من جهة. وذلك بإغلاقها بالألغام، وإغراق السفن فيها، أو بتهديد الحركة فيها بالعمليّات الاستشهادية وأعمال القرصنة وبقوة السّلاح ما أمكن.

يجب أن يعرف العدوّ وشعوب بلاد العدوّ أنهم أشعلوا حرباً عالميّة شريرة بسبب نزوات حكامهم والصّليبيّيّن والمتصهينين. وأن عليهم أن يرحلوا عن بلادنا وينهوا تدخلهم بها ودعمهم لحكامهم الخونة. وأنهم إن لم يعقلوا ويتصرفوا بعدل وإنسانية، فإنهم يجب أن يأخذوا خطهم من الموت الّذي يذيقونه لأهلنا وأطفالنا، وأن ينالوا حظهم من الفقر والإنهيار الاقتصاديّ ونكد العيش الّذي يسببوه لنا. ويجب أن نقنعهم بقوة السّلاح ونتائج المُقاوَمة وما يترتب عليهم من خسائر.. أنه من الخير لهم أن يتركوننا وشأننا، لنسقط حكامنا المجرمين، ومن ثمّ نقيم حُكُومَاتنا الشَّرعيَّة ونتعامل معهم وفق قواعد حسن الحوار والمعاملة الشَّرعيَّة المنصفة.

ويجب أن نفهم شعوبنا عبر البيان والإعلام والتّحريض، أن عليهم أن يتحملوا ضريبة الحَرب إلى جانب المُجَاهدين.. وأننا في حالة حرب فرضها العدوّ، ويجب أن نتحمل خسائرها الاقتصاديَّة المؤقتة. حتَّى لا نخسر كياننا وثرواتنا وديننا وكل مكوّنات وجودنا.

ضرب الأهداف الاستراتيجيّة لحلفاء الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية في البلاد العربيَّة والإسْلَاميّة:

كما بينا في البَاب الثّاني (النَّظريَّة السّياسيّة للمقاومة) فإن الحملات الأمريكيّة تعتمد بصورة رئيسيَّة في زحفها عَلى بلادنا عَلى ظهير ضخم من قوى الرِّدَّة والنِّفَاق. وعلى طابور خامس طويل عريض من المتأمركين الّذين يرحبون بهذا الغزو ويربطون مصالحهم ووجودهم به.

وهذا الفريق الضخم من تحالف المرتدّين والمُنَافِقين أشكال وأنواع بعضها متوافق وبعضها متنافس وبعضها متحارب.. وسنختار أهمّ وأبرز مفاصل هذه الجبهة من ركائز الإستعمار بحسب أولوياتها. ونبين أهمية وكيفِيَّة استهدافها بما يتناسب مع الاستراتيجيّة العامّة للمقاومة. وهي إعطاء المحور الأساسي في المُقاوَمة لمُوَاجَهة القوَّات الغازية. أمريكا وحلفائها. والاقتصار في الجبهات الفرعية في بلادنا عَلى المحاور الهامة والرَّئيسيَّة متوافقين مع نظريَّة البناء والهدم.

فكما يجب علينا أن نبني قوى المُقاوَمة وننشر سَراياها، يجب أن نهدم ونحطم ونصفي مرتكزات قوى الخصم الهامة بين أظهرنا، بما لا يشغلنا عن المحور الأساسي للهجوم الإستراتيجي قي مقاومة الاحتلال وهم الأَعدَاء الخارجيون.

وأهم هذه الأهداف العسكريّة للمقاومة من قوى الرِّدَّة والنِّفَاق في بلادنا:

(١) - الحُكُومَات العربيَّة والإِسْلَاميّة:

وذلك باستهداف ملوكها ورؤسائها وأمرائها وكبار وزرائهم ومسؤوليهم الكبار فقط. ولاسيما الّذين يرتكز عليهم مشروع الغزو الأمريكيّ. أو من ترتكز عليهم الحملات الأمنيّة من كبار المسؤولين ورجال الطّبقة الأولى.

دون تحويل ذلك إلى ثورة محليَّة وحركة جِهَاد هدفها جِهَاد الحكومة واستهداف منشأتها ورموزها كباراً وصغاراً عَلى غرار ما حصل في الثورات الجهاديّة السالفة في مصر وسوريا والجَزَائِر وغيرها وآلت للفشل كما بينا سابقا.

فالمطلوب فقط تصفية كبار رؤوس المرتدّين المتحالفين مع الحملات الأمريكيّة الغازية وقصدهم هجوماً.

(٢) - قوَّات الأمن والقوى العسكريّة والسّياسيّة المتعاونة مع الاحتلال مباشرة:

كحالة الشّرطة العِرَاقيَّة، والشّرطة الكشميرية.. والجيش الّذي يعمل بإمرتهم، حال وجود هذه الصُّورة. واستهدافهم هجوماً. وذلك قبل أن تتمدد هذه الأجهزة ويستغني الاحتلال بوجودها عن استخدام قوَّاته.[**وهذا في حال الاحتلال المباشر الصريح فقط**].

(٣) - قوَّات الأمن وجيش وعساكر الأنظمة والَّتي تستهدف المُجَاهدين والإِسْلَاميّين:

وهذه نشتبك معها دفاعاً فقط ولا نستهدفها هجوماً بل يجب أن تستهدف بخطاب إسلامي ووطني وعاطفي لين لجرها إلى خندق المُقاوَمة. ولإرشاد أفرادها وضباطها إلى الدَّور الّذي يمكن أن يؤدونه دفاعاً عن دينهم وبلادهم وأمتهم.

ولكن في حال تصديهم للمُجَاهدين وقصدهم بالقتل والاعتقال والأذى فيجب الاستبسال في دفعتهم وعدم الاستسلام لهم. وقتالهم قتال طائفة الرِّدَّة والكفر. من دون اعتقاد كفر أعيانهم (وقد أتى شرح هذا في نظريَّة المنهج).

ويجب نشر ثقافة عدم الاستسلام في شباب المُقاوَمة ورفض الأسر والدّفاع حتَّى الشَّهَادة ما أمكن.

(٤) - دعاة الإستعمار ورموزه:

ظهرت طبقة جديدة في المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة من العلمانيين والمعارضين الديمقراطيين الّذين يدعون صراحة إلى الترحيب بالمشروع الأمريكيّ عَلى كافّة الصعيد العسكريّة والسّياسيّة والفكريّة والثَّقافيَّة من أمثال النموذج الشهير الدكتور (سعد الدّين إبراهيم). وهذه (الموديلات المرتدّة المنافقة) تعمل اليَوْم صراحة، مستغلة الغطاء الأمريكيّ تحت ذرائع مؤسسات المجتمع المدني والدعوى الدِّيمقراطيَّة، حتَّى أنه أصبح لها حصانه ضدّ أجهزة قمع الطواغيت. وتمددت وصار لها ومؤسسات وبَرَامج عمل وموارد هائلة من الأمريكان علناً. فهذه النماذج هيَ من أهمّ الأهداف العسكريّة لسَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة. فيجب أن يقصد رؤوسها بالاغتيال والتصفية، ومؤسساتها بالنسف والحرق والتدمير، لتلحق بمساجد الضرار الّتي أمر الله تَعَالَى ورسوله بتحريقها وإزالتها.

(٥) - مشاريع التطبيع الصّهيونيّ والأمريكيّ:

يعتمد الهجوم الإستراتيجي الأمريكيّ اليَوْم عَلى بث مشاريع ذات طابع فكري أو ثقافي أو منهجي أو أكاديمي جامعي في البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة. والهدف منها نشر الثّقافة الاستعماريّة من جهة وتخريج أجيال من المتأمركين محلياً، أو ابتعاثهم إلى أمريكا وبعض الدّول الحليفة ليحوزوا الشهادات ويأخذوا الخبرات ويتأهلوا ليكونوا حُكّام ورجال المَرحَلَة الأمريكيّة القادمة في (الشّرق الأوسط الكبير)..

وتقوم وسائل الإعلام الأمريكيّة بالدعاية لهذه الشراذم المصنوعة أمريكياً، والترويج للحاق بها في أوساط الأقليات العرقية أو الدّينيّة، أو أوساط النُّخبَة المالية والسّياسيّة والاجتماعيَّة، في المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة. وهذه المشاريع من قبيل (مشروع وادي عربة) عَلى الحدود الإسرائيلية الأردنية وهذه المؤسسات والمنشآت هيَ من أولى أهداف المُقاوَمة بالنسف والتدمير والتحريف. وأولئك المتخرجين منها والمتعاملين معها وكبار الداعمين لها. من أهمّ الأهداف المقصودة بالتصفية والاغتيال. فهم مرتدون منافقون من كبار أئمة الكفر الطاعنين في دين الله، الخَائِنين للمسلمين.

(٦) - كبار الطاعنين في دين الله والمحاربين للمُجَاهدين من رجال الإعلام والفكر الاستعماريّ:

وهذا طابور بدأ يتوسع كثيرا هذه الأيّام، ويتكون من أدباء أو شعراء أو مفكرين أو كتاب أو صحفيين، وهَؤُلَاءِ الّذين يشنون اليَوْم الغارة عَلى عقائد الإِسْلَام وعلى المدافعين عنه بكل صراحة جهارا نهارا بلا خوف ولا حياء، وقد استطالوا عَلى دين الله وعلى عبادة المُجَاهدين. وراحوا تحت ستار وغطاء

(الحملة الدّولية عَلى الإرهَاب) كما يدعونها يكشفون عن أحقادهم الدفينة عَلى دين الله وأوليائه. وقد انجرت الصّحوة الإِسْلَاميّة ورجالها ومؤسساتها، إلى دوامة الاشتباك معهم عبر الحوارات والقنوات الفضائية وهذا جيد.

ولكن السباق يسير تحت عنوان احترام الآخر والاعتراف بالرّاي الآخر وهذا بَاطِل. فهَؤُلَاءِ ليسوا مجرد جهال أو مخالفين حتَّى يحاوروا بالحسنى. فأكثر هَؤُلَاءِ مُسلِمِين أصلاً مرتدين واقعاً، أو أنهم من غير المُسلِمِين أصلاً كالنّصَارى والأقليات الكافرة في مجتمعات المُسلِمِين. فهم ليسوا عَلى ذمة، ولو كانوا عليها لانتقضت بشنهم الحملات الدعائية عَلى الإِسْلَام وأهله.

فهَؤُلَاءِ أسماهم القرآن صراحة (أئمة الكفر)، وأمر بقتالهم واغتيالهم، فيجب قتلهم استجابة لأمره تَعَالَى في صريح كتابه العزيز: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [التوبة]

(٧) – دعاة الانحلال والفسوق والرَّذِيلة ومؤسسات إشاعة الفاحشة في الّذين آمنوا:

تعتمد الغزوات الأمريكيّة الصّليبيّة اليَهُوْدية اليَوْم. عَلى تحطيم الأسس الدّينيّة والأخلاقية والثَّقافيَّة والفكريّة للمسلمين. ومن أساليب ذلك نشر ثقافة الانحلال والرَّذِيلة والزنا والفجور، والسفور والعري والاختلاط.. ومختلف أشكال الفساد الاجتماعي. وقد افتتحت لذلك كثير من وسائل الإعلام والدعاية وشغلت فيها كثيراً من رجال الفكر والفن والأدب وسوى ذلك. ومن أعظم وسائلها اليَوْم المحطات التلفزيونية الفضائية الّتي تمول من قبل مليونيرات الدعارة والفساد من بعض رجال المال الخليجيين والسّعُودِيّين وسواهم من شاكلة أمير الدعارة (الوليد بن طلال بن عبد العزيز) وشبكة فضائيَّاته..

روتانا وغيرها.. والآن..

تحاول بعض وسائل الإعلام الشريفة، وبعض رجال الصّحوة الإِسْلَاميّة التّصَدّي لهذا السيل العفن والوباء الجارف من ثقافة الإفساد والانحلال والرَّذِيلة عبر الحوارات والتوجيهات المعاكسة. ويحاولون نشر ثقافة الفضيلة والحفاظ عَلى الهويّة الدّينيّة والأخلاقية للأمة. وهذا طيب ولكنه غير كاف.

فعندما تنتشر الجراثيم والأوبئة والجراد.. لا تكافح بالحوار !

وإنما بالمبيدات الحشرية، وأدوية إبادة الجراثيم. وهذا بدهي لكل عاقل.

فالواجب شَرعاً وعقلاً ومنطقاً أن تكون هذه المؤسسات وكبار رجالها ودعاتها والقائمين عليها هدفاً للنسف والتدمير والاغتيال لرؤوسها.

من أمثال سيء الذكر هذا ؛ الأمير (الوليد بن طلال) وأشباهه ومن أمثال (فضائيّة روتانا).. وبَرَامج (فيديو كلوب)، و(ستار أكاديمي)، وغيرها من مظاهر الطاعون الزاحف عبر الفضائيَّات اللبنانية وغيرها من دعاة الرَّذِيلة والفساد..

وقد اتسع الخرق عَلى الراقع فلا يستلزم ذلك فتح حرب مع كلّ صغير وكبير من هَؤُلَاءِ ولكن مع الرؤوس، الرؤوس الفنية والأدبية وقبل ذلك المالية الّتي تمول بوابات الشّيطان عَلى دين الأُمّة وأخلاقها قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور]

تنبيه هام جداً جدا... جدا:

هناك بعض المتنسبين لقطاع علماء المُسلِمِين أو دعاة وقيادات الصّحوة الإِسْلَامِيّة من الّذين شذوا إما طمعاً في المكاسب الدنيوية والمناصب لدى حُكُومَاتهم. أو خوفاً من بطشهم والتلبس بتهمة الإِرهَاب والعنف. فراحوا يدندنون تحت دوى (الإِسْلَام المعتدل) و(احترام الآخر) و(الوسطيّة).. بتقديم إسلام مشوه معدل عَلى المقاس الأمريكيّ. وقد تجاوز بعضهم إلى حد التهجم عَلى فريضة الجِهَاد ومبدأ المُقاوَمة. وصاروا يحاربون المُجَاهدين في سبيل الله، ويشنون هجمة لا هوادة فيها عَلى المقاومين ورؤوسهم ومُجَاهديهم من جند الله. ويصدرون الفتاوى بالحكم عليهم بأنهم مفسدون في الأرض. ويفتون الحكَّام والسُّلطات الاستعماريّة بأنهم خوارج ومفسدون، ويحلون لهم قتلهم وسجنهم وتعذيبهم، بل بلغ الأمر أنهم يتألون عَلى الله بأن هذه النُّخبَة من المُجَاهدين ليسوا شهداء ولا يدخلون الجنّة !! بل صاروا يدعون عوام المُسلِمِين إلى التّعاون مع أمن الحكّام المرتدّين والسُّلطات الاستعماريّة في كشف أسرار المُجَاهدين والتبليغ عنهم تحت دعاوى التّعاون ضدّ الإِرهَاب أو الحفاظ عَلى مصالح المُسلِمِين..

وهنا أنبه إلى أمر هام جداً..

فعلى الرغم من أن كثيراً من هَؤُلَاءِ قد صاروا بذلك في حكم المرتدّين والمُنَافِقين المُجَاهدين للمؤمنين بولائهم للطاغوت وللكفار الغُزَاة.. وحلت دماء الكثيرين منهم شَرعاً للردة والخيانة وحرب الله ورسوله والمُؤمِنِين..

إلا أن:

إلا أن من الأسس الاستراتيجيّة لدعوة المُقاومَة الإسْلاَميّة العَالمِيّة أن يكون سلاح المُواجَهة مع هذه الفئة المارقة من دعاة الشّيطان وعلماء السُّلطَان، الدعاة علىَ أبواب جهنم من أجابهم إليه قذفوه فيها ؛
هو بالحجة والبيان والأدِلّة الشّرعيّة والسّياسيّة والواقعية العقليّة. وليس بالسّلاح والسيف.
وإن كانَ كثير منهم يستأهلونه. وذلك درءاً لمفاسد عظيمة. مما لا يخفي من وضع السّيف بين المُسلِمين وتعصب أتباعهم لهم ومحاربتهم للمُجَاهدين وانقلابهم علىَ المُقاومَة إلى مُعَسْكَر الأعداَء.. إلى آخر ما هنالك من المفاسد العظيمة..
فالمُواجَهة مع هَؤُلَاءِ.. كما نؤكد ونعيد بالحجة والبينة من أهلها، من أهل العلم والقلم والأدب. وليس بالسّلاح..

السّلاح يوجه لصدور الغُزَاة وكبار المتعاونين معهم من كبار المرتدّين والخونة كما بينا هجوماً. وضد من قصد المُجَاهدين من جنود الطواغيت بالقتال دفاعاً. وهذا أساس استراتيجي في غاية الأهمّيّة من أسس النَّظريَّة السّياسيّة والعسكريّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالمِيّة.

ثانيا: ضرب الغُزَاة في بلادهم في قلب أمريكا وفي أراضي الدّول الحليفة لها عسكريّاً:

بالنسبة لضرب أمريكا أو أي من حلفائها في أراضيها واستهداف دولة أو ترك أُخرى. أو استهدافها ثمّ التوقف عن استهدافها. أو الإعراض عنها ثمّ استهدافها ثانية.. فهذا ليس محل بحثه هنا وإنما في البَاب الأوّل والثّاني الّذي اختص بالبعد الشَّرعيّ والعقدي وكذلك بالبعد السّياسيّ لأساسِيَّات دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة. ولكننا هنا نبحث الأمر من زاويته العسكريّة في حال كانَ من المصلحة

السّياسيّة استهداف دولة ما، فإذا ما كانَ استهداف دولة ما مشروعاً شَرعاً وللمقاومة فيه مصلحة سياسيّة فإن أهمّ الأهداف الّتي يجب استهدافها هيَ التّالية:

أهمّ الأهداف في أمريكا والدّولة الغربيّة الحليفة لها عسكريّاً:

(١) – الشخصيات السّياسيّة الرَّئيسيَّة الّتي تقود الحملة عَلى المُسلِمِين من رؤساء الدّول ووزرائها وقادتها العسكريّين والأمنيين.

(٢) – الأهداف الاقتصاديَّة الاستراتيجيّة الكبرى مثل: مقرات البورصة – مجمعات الطاقة والنفط – المطارات – الموانئ – شبكات السلك الحديدة والجسور وعقد الطرق السريعة – الأنفاق عَلى الطرق – شبكات مترو الأنفاق – الأهداف السياحية....إلخ من مصادر الاقتصاد والموارد.

(٣) – القواعد العسكريّة وثكنات تجمعات الجُيُوش. ولاسيما القواعد العسكريّة الأمريكيّة في أوروبّا.

(٤) – الشخصيات والمراكز الإعلاميَّة الّتي تشن الحَرب عَلى المُسلِمِين وتزكي الهجوم عليهم من المؤسسات الإعلاميَّة الصّهيونيّة الصّليبيّة المتصهينة.

(٥) – مراكز المعلومات والكومبيوترات المركزية الّتي يتحكم في ربط مؤسسات الدّولة المختلفة لأن هذا يشل الحركة كلياً في تلك الدّول.

(٦) – تجمعات اليَهُوْد وشخصياتهم ومؤسساتهم في أوروبّا. مع تجنب دور العِبَادة والكنس.

(٧) – المكاتب الرَّسميَّة للمؤسسات الحُكُوميّة للدول المحاربة عَلى مستوى الدّولة. وعلى مستوى الاتحادات والأحلاف السّياسيّة والعسكريّة حال مشاركتها في العدوان. كمكاتب حلف النّاتو. والاتحاد الأوروبي، وهذه تحتاج لقرارات تدرس سياسيّاً بشكل دقيق.

(٨) – مباني الأمن والإستخبارات المركزية في العواصم الأمريكيّة والدّول الغربيّة الحليفة.

(٩) – ضرب المدنيين عامة في حالات الردع والمعاملة بالمثل (مع تجنب النِّسَاء والأطفال إذا انفردوا عن الرّجال في أماكن مخصصة لهم كالمدارس وسواها..).

وذلك مثلا.. رداً عَلى عمل وحشي قامت به أمريكا وقوّاتها الحليفة. فالهدف الّذي يردع الدّول ويسقط الحُكُومَات هو المجازر البشرية الجماعية. وذلك باستهداف التَّجَمُّعات البشرية لإحداث أكبر

كمية ممكنة من الخسائر البشرية. وهذا سهل جداً لكثرة الأهداف كالملاعب الرِّيَاضية الحاشدة والحفلات السنوية الجماعية والمعارض الدّولية الكبرى. والأسواق المزدحمة وناطحات السحاب والعمارات المزدحمة...الخ.

وهنا يجب التنبيه إلى الملاحظات المتعلقة باستهداف المدنيين الّتي أوردناها في البَاب الثّاني والنَّظريَّة السّياسيّة وكذلك الضوابط الشَّرعيَّة الواردة في البَاب الثّالث في فقرة الأحكام الشَّرعيَّة الجهاديّة.. وهناك في هذه الحالة أهداف كثيرة جداً وسهلة يمكن أن يستهدفها المقاومون العاديون من المُسلِمِين المقيمين في أمريكا والدّول الغربيّة الحليفة لها للمشاركة في الجِهَاد والمُقاوَمة وتقديم يد العون للمُجَاهدين، وذلك عن طريق أعمال المُقاوَمة الشعبيَّة، مثل تخريب الأهداف الاقتصاديَّة وحرق الغابات في أوقات الحر في الصيف... من أعمال المُقاوَمة المدنيّة، وهنا يجب أن نلفت النَّظر إلى الفارق في المُوَاجَهة مع أمريكا ومع أوربّا كما أسلفنا أثناء تناول النَّظريَّة السّياسيّة، فالمُوَاجَهة مع أمريكا أساسية، ومع أوربّا فرعية لإخراجها من الحلف بالضغط عليها.

ثالثا: الأهداف الأمريكيّة والحليفة في دول العالم الإِسْلَاميّ وباقي دول العالم الثّالث وغيره:

(١) – الأهداف الاقتصاديَّة الأمريكيّة والغربيّة في مختلف دول العالم لسهولتها وكثرتها.

(٢) – الأهداف الدبلوماسية كالسفارات والقنصليات والبعثات..

(٣) – المصالح الاقتصاديَّة لأمريكا والدّول الحليفة في تلك الدّول.

(٤) – البعثات والوفود الأمريكيّة والغربيّة (في الدّول الحليفة)، الرِّيَاضية والتجاريَّة والسياحية..

(٥) – القواعد العسكريّة والبعثات العسكريّة – برية – بحرية – جوية..

وهذا مجال رحب من المساهمات، ولكن عليهما من ينتبهوا للضوابط الشَّرعيَّة والمصالح السّياسيّة والإشكالات الأمنيّة، وسيأتي لهذا تفاصيل لاحقا إن شاء الله.

وهناك ملاحظ أخيرة في موضوع استهداف الأهداف في قلب البلاد المعادية أمريكا والدّول الغربيّة الحليفة، وهي الابتعاد عن استهداف أماكن العبادة لكل دين وملة سواءً كانت نصرانية أو يهودية أو سوى ذلك، وتجنب إصابة المدنيين من رعايا تلك الدّول ممن لا علاقة لهم بالصِّرَاع ولو كانوا غير مُسلِمِين، للحفاظ عَلى سمعة المُقاوَمة أمام مختلف أوساط الرَّأي العام.

استراتيجية الردع بالإرهَاب:

تقوم نظريَّة الإرهَاب عَلى أساس ردع العدوّ بالخوف. كما قَالَ تَعالَى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ۝٦٠﴾ [الأنفال] وكما قَالَ تَعالَى: ﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧﴾ [الأنفال]

فالْمُقاوَمة في حالة حرب مع الحملات الغازية أساساً، ويجب أن تتعامل معها بأسلوب الإرهَاب والْمُوَاجَهة كما بينا، ولكن هناك أطرافاً أساسية أو فرعية تدخل عَلى خط هذه الْمُوَاجَهة بين حين وحين إما خوفاً من أمريكا وحلفائها أو طمعاً بما تعدها به.. ويجب أن لا تغفل الْمُقاوَمة أهمية ردع هَؤُلَاءِ، وأن تثبت أن ذراعها طويلة وتستطيع الوصول لكل من تسول له نفسه العدوان عَلى الْمُسلِمِين والْمُجَاهدين المقاومين أو نصرة أعدائهم الغُزَاة.

وفي الغالب فإن أغلب أعدائنا المناصرين للغزو الأمريكيّ، ولاسيما في قطاع المرتدّين والعملاء والْمُنَافِقين والمفسدين وأدعياء الثّقافة والتطور.. مجموعة من الفئران الجبانة، بدءا من كبار ملوكهم ورؤسائهم وأمرائهم وإلى أصغر كتابهم ورجال إعلامهم وأزلامهم بكافة أطيافهم.. وهَؤُلَاءِ يرتدع أكثرهم يأخذ العبرة من ضرب بعضهم والتنكيل بهم، حيث ينسحب أكثرهم من الْمُوَاجَهة.

فالأصل أن كلّ دولة ولو لم تكن في حلف أمريكا.. قبض عَلى مُجَاهد أو مقاوم أو داعية أو عالم وتسلمه لأمريكا أو لحكومته لتعرضه للقتل أو السّجن أو العذاب.. أن تتلقى عمليَّة الردع فوراً من أي مسلم أو سرية مقاومة يستطيع أداء هذه الفريضة، فهذا واجب نصرة الْمُسلِمِين وردع من امتد إليهم بأذى ولاسيما من أَسَرَهم وسلمهم لأعدائهم..

والأصل أن أي عمليَّة قتل للمدنيين أو أي أذى للآمنين الْمُسلِمِين، أو أي فعل تقوم به قوَّات دولة محاربة.. أن يقابله عمل رادع بالمثل كما قَالَ تَعالَى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٩٤] والأصل أن كلّ دولة تدخل حلف الأمريكان بأي تأييد عسكريّ أو سياسي أو أمني، أن تتلقى الضربة الرادعة فوراً.. لفك مفاصل هذا الحلف المجرم، وهكذا..

ولكن الّذي يجري حتَّى الآن هو العكس..

فالمسلمون والمُجَاهدون والمقاومون المتهمون بالإِرهَاب.. هم من أكثر المرهوبين في الحقيقة..ومنذ عشرات السنين، فهم مرهوبين من حكامهم، ومن أجهزة أمنهم، ومن أمريكا ومطارداتها، ومن الجواسيس.. ومن كلّ أعوان هذه السلسلة النكدة.

وكل هَؤُلَاءِ الإِرهَابيين الحقيقيين بدءا من أمريكا وسلسلة حلفائها ومنافقيها استطاعوا أن يقلبوا الصُّورة إعلامياً وسياسيّاً ويظهروننا بمظهر الإِرهَاب المرفوض أمام الرَّأي العام، وهذا هو مجال نجاحهم الحقيقي..

وليس لهذا حلّ إلا ما يجب من تكثيف جهود الدّعوة والإعلام والدعاية، والعمل السّياسيّ القائم عَلى المعرفة والفهم وإدراك ما يجري في عالم اليَوْم، بالإضافة إلى الردع العسكريّ الحقيقي..

لقد أثبت (الإِرهَاب المُسلّح) عبر التّاريخ نجاعته كأفضل الوسائل السّياسيّة في إقناع الخصم بالخضوع لإِرادَة فاعلة..

وإني أخط هذه السُّطُور بعيد أيّام قلائل من عمليَّة رادعة قامت بها سرية مُجَاهدة من المُجَاهدين في أسبانيا بتاريخ ١١ /٣/ ٢٠٠٤، حيث قامت بسلسلة تفجيرات أسقطت زهاء ٢٠٠ قتيل و١٧٠٠ جريح بحسب إحصائيات الإسبان، وكان من نتائجها الرَّئيسيَّة ما يلي:

١ - تغير الرَّأي العام في أسبانيا الّذي دلت الإحصائيات قبيل ثلاثة أيّام من الانتخابات البرلمانية والرئاسية عَلى أنه يسير لصالح الحزب اليمني ورئيسه (أثنار) المتحالف مع (بوش) والّذي أرسل نحو /٢٠٠٠/ جندي أسباني إلى العراق، تغييره عَلى الفور لصالح الحزب الاشتراكي المعارض لهذا الحلف الّذي كانَ رئيسه (ثباتيرو) تعهد بسحب قوّات أسبانيا إن وصل حزبه للحكم، مما أدى لفوز الأخير في الإنتخابات وهكذا أسقطت العمليّة الحكومة وأخرجت حليفا رئيسيا من جانب أمريكا بعملية واحدة كلفت مجموعة صغيرة من الشّهداء والأسرى، جزاهم الله خيراً وتقبل منهم.

٢ - إعلان رئيس الحكومة الجَدِيد عن سحب القوّات الأسبانية من العراق الّتي سحبت عَلى عجل بعيد ذلك بقليل ثمّ انسحاب جنود (هندوراس) تبعا لهم، وهكذا أدت عمليَّة رادعة واحدة لانسحاب جيش ودولة بكاملها من الحَرب.

٣- اهتزاز الحلف الأوروبي الأمريكيّ بكامله وبدء التصريحات من قبل العديد من الدّول بتفكيرها في الانسحاب.. وهذه أول عمليَّة ردع حقيقية منذُ بدأت هذه الحملات الظَّالمة عَلى المُسلِمِين منذُ أكثر من ١٤ سنة.

وأنا أتناول هذه العمليّة كمثال للبحث عَلى الأثر السّياسيّ للردع العسكريّ، وإلا فإن هناك بعض الملاحظات والحسابات السّياسيّة الهامة حول مثل هذه العمليَّات، والَّتي يجب أن تخضع قبل اتخاذ القرار فيها لحسابات سياسيّة شرعيّة دقيقة..تأخذ بعين الإعتبار المصالح والمفاسد والتوازنات السّياسيّة ومصلحة المُسلِمِين فيها.

وللأسف.. فمنذ انطلقت هذه الحملات الظَّالمة في ١٩٩٠ وإلى اليَوْم:

- قتل في حرب العراق الأولى أكثر من ٣٠٠ ألف شخص ومات في الحصار أكثر من مليون ونصف طفل عَلى مدى ١٣ سنة...

- وفي الحَرب الأخيرة للإسقاط صدام قتل زهاء ١٠ آلاف مدني، وفي السّجن اليَوْم عشرات الآلاف، وقد فضح الله أعمال أمريكا في تلكم السّجون.

- وقتل في فِلَسطِين الآلاف، وما يزال السّيف الإسرائيلي يعمل...

- وقتل في البوسنة أكثر من ٢٠٠ ألف مسلم، وسجلت أكثر من ٦٠، ٠٠٠ حالة اغتصاب لنساء المُسلِمِين هناك، مما أسفر عن آلاف مواليد الزنا من الاغتصاب ألقت بهم أمهاتهم ليتحلوا لأقبية الكنائس وينصروا !!

- وقتل في الشِّيشَان أكثر من ٣٠٠ ألف مسلم وانتهكت الأعراض، وهدمت البيوت وسجن آلاف النّاس وشرد مئات الآلاف.

- وقتل في أفغانستان عشرات الآلاف عن الحَرب الأهلية الّتي أشعلتها أمريكا وأدارتها باكستان.. ثمّ قتل أكثر من عشرة آلاف في الهجمة الأخيرة ٢٠٠١في ديسمبر، وملأت أمريكا غوانتانامو بمئات الأسرى من الأبرياء !

- وقتل الآلاف في إندونيسيا، ودفن النّصارى بعضهم أحياء وأحرقوهم وصوروهم وهم يأكلون لحومهم.

- وغير ذلك كثير في القرن الأفريقي ووسط أفريقيا والفلبين وتايلند وكشمير..

- ووصل عدد سجناء المُسلِمِين من الجهاديّين والإِسْلَاميّين في كلّ الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة لعشرات الآلاف بلا حسيب ولا رقيب.. وسجن علماء واختطف دعاة.. وقتل رموز.. وأحرقت مساجد ومراكز إسلاميّة في أوربّا وأمريكا.. واغتيل مسلمون مهاجرون من الجاليات الإِسْلَاميّة ظلماً وعدواناً.. الخ.

فأين ردع هَؤُلَاءِ الإِرهَابيين المُسلِمِين المزعومين ؟! حقيقة إن الإِرهَاب الحقيقي بمفهومه الصَّحِيح ليستحي من نسبتنا إليه.. ! فنحن في قعر قائمة المرهوبين من كلّ أشكال الكفرة والمرتدّين والظَّالمين.

ثمّ جاءت أحداث سِبتَمبر، ليدفع الغرب المتصهين والأمريكان، فاتورة صغيرة مما عليهم من حساب عسير، فقامت الدُّنيَا وما قعدت إلى الآن !!

سيتفلسف علينا المتفلسفون بالحديث عن دماء المعصومين والمستأمنين والمدنيين والمُسلِمين الخَائِنين من المُنَافِقين العملاء.. إلى آخر دعاوى فُقَهَاء السوء..

ولكن المُقاوَمة الجهاديّة في الحقيقة.. لا تستهدف إلا المستحقين للردع بالإِرهَاب والمقصودين بالتصفية، المستحقون للعقاب وفق قوانين السّماء وحتى تشريعات الأرض، بل إنها تعرض عن كثير من المستأهلين لذلك الردع درءاً للمفاسد واستجلاباً للمصالح..

وقد مر في فقرة الأحكام الشَّرعيَّة في البَاب الثَّالث الكثير من التفاصيل في أحكام الدِّماء المستهدفة.. فليعاد إليها في مكانها.

وأضيف:

إن هذه الهجمة الدّولية العاتية لا يمكن أن يقوم بردعها بعض التَّنظِيمات الجهاديّة ولا عشرات أو مئات المُجَاهدين هنا وهناك.. لا بُدَّ من أن تتحول المُقاوَمة إلى ظاهرة استراتيجية..إلى نموذج من الانتفاضة الفلسطينية ضدّ قوى الاحتلال والمستوطنين والمتعاونين معهم.. ولكن عَلى شكل موسع يعم كلّ أرجاء العالم الإِسْلَاميّ أساساً، وتصل ذراعه الرادعة إلى عقر ديار الغُزَاة الأمريكان وحلفائهم من الكفّار من كلّ جنس وفي كلّ مكان... يجب أن تتحرك الأُمّة.. بكامل شرائحها للمقاومة والردع وسنين في الفقرة التّالية، آلية عمل المُقاوَمة من النَّاحية العسكريّة والحَركيّة، لتحقيق مثل هذا الردع بإذن الله.

آلية عمل سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ونظرياتها العسكريّة ونظام عملها:

تمت عمليَّة استنباطنا لآلية العمل العسكريّ في دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة من خلال دراسة الطرق الثّلاثة السَّابقة، والبحث الدقيق والطويل في الأساليب القديمة الّتي مارسناها في تجارب الجِهَاد السالفة، وما آلت إليه، ومن خلال دراسة واقع موازين القوى الأمنيّة والعسكريّة بيننا كجهاديّين ومقاومين بشكل عام، وبين حجم القوَّات الأمريكيّة والحليفة من الخارج والداخل، وخاصة منذُ الهجمة الأخيرة عَلى أفغانستان والعراق والمطاردات الأخرى في غيرهما.

وكان التّفكير منصبا لدي ومنذ عدّة سَنَوات عَلى إيجاد طريقة يتوفر فيها الحد الأدنى من الشُّرُوط التّالية:

(١) - فتح إمكانية المشاركة أمام آلاف وقل مئات آلاف أو ملايين المُسلِمِين من المتعاطفين مع الجِهَاد وقضايا أمتهم حيث لا يمكن أن تستوعبهم إمكانيَّات التَّنظِيمات الجهاديّة المحدودة من جهة ولا يريد أكثرهم الارتباط بهذا الالتزام وتداعياته الأمنيّة والشخصية.. وكذلك لا يستطيعون أو لا يرغبون إحراق أنفسهم أمنيّاً باللحاق بالجبهات المفتوحة والمحدودة القدرة عَلى الاستيعاب أيضاً.

(٢) - إيجاد طريقة للعمل السري نستطيع فيها تجاوز مشكلة العلة الأمنيّة في القضاء عَلى كافّة التَّنظِيم جراء اعتقال بعض أفراده بفعل التعذيب للأسرى والمطاردات الأمنيّة الّتي انتقلت من المستوى القطري للإقليمي للدولي، وأجهضت بذلك نهَائِيّاً فكرة حرب العِصَابات المدنيّة السرية من أساسها.

(٣) - إيجاد طريقة تحول المبادرات الفرديَّة الرائعة الّتي تمت عبر العقد المنصرم، من نبضات عاطفية وردود أفعال مبعثرة، إلى ظاهرة يتم توجيهها واستثمارها، ودفع مشروع الجِهَاد بذلك ليكون معركة أمة وليس صِرَاع نخبة.

(٤) - إضفاء صفة حالة الوحدة العامّة عَلى الأعمال الفرديَّة لتيار جهاديّ مقاوم يناسب المَرحَلَة بحيث تلتف حوله جماهير الأُمّة، ويجمع ما بين شكل من أشكال المركزية عَلى صعيد الإنتماء والشعارات والرموز والأفكار، وبين عدم الارتباط المركزي بحيث لا يمكن إجهاضه أمنيّاً.

كنت أبحث باختصار عن طريقة ليس للعدو سبيل إلى إجهاضها حتَّى لو فهمها وفهم أساليبها، وقبض عَلى ثلثي العاملين فيها، طريقة قابلة لتجديد نفسها والاستمرار كظاهرة بعد أن تواجدت كلّ ظروفها

وأسبابها من قبل العدوّ ذاته، وهكذا ولدت الفكرة لدي عمليا من خلال التأمل في فحوى الآية الكريمة ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء]، وما أقدم عليه بعض المُجَاهدين الفدائيين من العمليَّات الفرديَّة.

حيث نشرتها سرا في بيان كانَ بعنوان: **(بيان من أجل قيام المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة)** أواخر سنة ١٩٩٠م أوائل ١٩٩١م وثم تطوير الفكرة كما ذكرت في المقدِّمة عَلى مراحل إلى أن وصلت شكلها النّهائيّ أواخر سنة ٢٠٠٠م في كابل ونضجت الآن مع دراسة تداعيات أساليب المواجهات بيننا وبين أمريكا وحلفائها في عالم ما بعد سِبتَمبر وغزو العراق، لتكون عَلى الشّكل الّذي أعرضه هنا.

خصائص طريقة عمل سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

١ – نظام لا تنظيم:

فهو نظام عمل لا تنظيم مركزي للعمل، حيث تقوم الفكرة عَلى أن يتم ربط كافّة أطياف المقاومين أفراد وخلايا وسَرايا وجماعات محدودة بثلاثة روابط مركزية فقط وهي:

الروابط المركزية لسَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

١- الاسم المشترك والعهد الشخصي مع الله تَعَالَى عَلى الانتماء إليه.

٢- المنهج السّياسيّ الشّرعيّ والعَقِيْدَة المشتركة والعهد مع الله عَلى الالتزام به.

٣- الهدف المشترك وهو مقاومة الغُزَاة وحلفائهم والعهد مع الله عَلى الجِهَاد في سبيله لدحرهم، ثمّ العمل عَلى تحكيم شرعه.

وذلك بالطَّريقة التّالية:

(١) – نشر فكر دعوة المُقاوَمة ومنهاجها وبَرَامج عملها وطريقة أدائها ونظريات عملها في المناحي الثمانية الّتي ذكرناها (العَقِيْدَة القتاليّة – النَّظريَّة السّياسيّة – طريقة التّربية المُتكامِلة للمقاومين – النَّظريَّة العسكريّة – نظريَّة الإعلام والتّحريض ثمّ نظريَّة الحركة الّتي تشتمل عَلى أساليب التّدريب والتّمويل والتَّنظِيم وأمن الحركة) بحيث تمَّ تعبئة شباب الأُمّة ورجالها العازمين عَلى المُقاوَمة في أي محور من محاورها العامّة ولاسيما المحور العسكريّ.

(٢) – توجيه الشَّبَاب إلى ضرب الأهداف المعادية في بلادنا خاصّة – وهي ساحة المُقاوَمة الأساسيّة – وفي بلادهم كساحة ردع ومعاملة بالمثل، بما يتناسب مع الضوابط الشَّرعيَّة للمنهج، وحسابات المصالح السّياسيّة، وذلك لتحقيق المردود السّياسيّ والهدف من المُقاوَمة.

(٣) – إرشاد الشَّبَاب إلى أن تعد كلّ مجموعة نفسها بنفسها، على ما يلزم من العمل العسكريّ وتقوم بالعمليَّات المتناسبة مع ما حققته من إمكانيَّات التّدريب والإعداد المختلفة، بدءاً من أساليب المُقاوَمة الشعبة وانتهاءً بالعمليَّات الاستراتيجيّة المعقدة، ومروراً بكل أشكال ومستويات عمليَّات العِصَابات سواءً كانت في المدن أو الأرياف أو سوى ذلك من أنواع حُرُوب العِصَابات السرية.

(٤) – ليس هناك أي رابط تنظيمي من أي شكل لكافة المنتمين لسَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة إلا الارتباط بـ (**منهج الاعتقاد، ونظام العمل، والاسم المشترك، والهدف المشترك.**).

(٥) – تعتبر كلّ سرية مكونة من فرد أو أكثر وحدة مستقلة يرأسها أميرها ويدبر شؤونها، وتتجه للعمل العسكريّ مباشرة ولا تتجه لأي شكل من أشكال التَّنظِيم والدّعوة والتّحريض وسوى ذلك من أعمال الجماعات السرية، بل تكون نفسها وتختار هدفها وتهاجمه، وتبلغ أي وسيلة إعلام (بطريقة أمنيّة سنشير إليها في نظريَّة الإعلام)، بأنها سرية (كذا) باسمها الخاص الّذي اختارته، وتؤكد عَلى أنها (من سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة) مما يشير لمنهج أصحاب العمل ويربط عمليتهم بإنتاج المجموع المكون لسَرايا المُقاوَمة، وسنأتي عَلى مزيد من التفاصيل التَّنظِيمية والعمليّة في نظريَّة العمل والحركة إن شاء الله.

(٦) – **فالفكرة هيَ عمليَّة جمع لجهد المقاومين من أصحاب الجِهَاد الفَرديِّ وبقايا التّيار الجهاديّ وأنصاره والمتعاطفون الجدد والناقمون عَلى الغزو الأمريكيّ والراغبون بالتحرك العملي من مختلف شرائح هذه الأُمّة بكل مستوياتها، وضبطها بالأسلوب المشترك والمنهج المشترك لتحقيق النَّتِيجَة، وتحويل الجِهَاد الفَرديِّ إلى ظاهرة يضم جهد المجموع تحت مسمّى واحد ولهدف واحد وعلى شعار واحد منضبط بمنهج سياسي شَرعِيّ تربوي واحد.**

فوائد هذه الطَّريقة وميزاتها:

(١) – تفتح الطَّريقة المجال للفرد المجرد إن كانَ يرغب في العمل بمفرده مطلقاً ولا يطمئن لمشاركة أحد، أو للسرية الصغيرة جداً من آحاد الرّجال والأصدقاء الّذين يثقون ببعضهم، لتكوين سرية من

شخصين أو أكثر يتعاهدون فيما بينهم ويعاهدون الله عَلى الانضمام. (لسَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة) من أقرانهم في كلّ مكان ومن كلّ لون وجنس من المُسلِمِين، وهكذا توفر لهم هذه الطَّريقة تجانسهم واحتياطهم الأمني وإمكانيَّاتهم وتفتح لهم مجال العمل المشترك الواسع دون ارتباط، وترشدهم للعمل حيث هم وحيث يستطيعون دون تكلف أعباء الرحيل إلى ساحات المُوَاجَهة أو الانضواء في تنظيم جامع يلزمهم بما لا يطيقون بحسب قناعاتهم، وهَؤُلَاءِ شريحة ضخمة جداً في الشَّبَاب المسلم.

(٢) - تسمح الطَّريقة بالانقطاع التام بين تلك الخلايا بحيث لو كشف كلّ من عمل يقوم وينفذ، فلا يؤثر هذا عَلى من يعمل أو ينوي العمل لأنه لا رابطة بينهم من أي شكل، فهو شكل من أشكال (تنظيم الفكرة) وليس (فكرة التَّنظِيم) و (نظام عمل) وليس (عمل تنظيم)..

وهذه هيَ الطَّريقة الوحيدة للاستمرار في ظل الهجمة الأمنيّة العاتية الّتي نشهدها اليَوْم ويواجهها كلّ من يريد الجِهَاد.

(٣) - يوحي تجمع الجهود تحت مسمّى واحد للأمة بوجود التَّنظِيم والجهة الموجهة والمركز الّذي يربط المجموع بحكم المسمى الواحد، والعَقِيْدَة القتاليّة المشتركة، وطريقة التّربية التفصيلية.

فيرفع هذا الهمم، ويحفز المترددين عَلى الانضمام لقافلة تسير في نظام عمل سري محكم.. كما يوحي المسمى المشترك والهدف والفكر للعدو بوجود تنظيم واحد وراء تلك الأعمال، تنظيم:

يوجه بالفكرة، ويدرب بالإرشاد، ويوحد بالهدف والاسم المشترك العام، ويدير من الخفاء وعن بعد.

ولكنه لما يأتي العدوّ ليقبض عليه، أو عَلى بعض أجزائه يكتشف أنه لم يقبض عَلى شيء يذكر قياساً لباقي الجسد، وهو أمة تجاهد، وليس مجموعة مُجَاهدين من أمة قاعدة.

(٤) - تراكم المتوالية الحسابية لعمليّات المُجَاهدين: وهذه هامة جداً..

سنطلق الفكرة وننشرها كاملة بكل مستلزماتها بإذن الله تَعَالَى وتيسيره بكل وسيلة، مباشرة أو بالمراسلة، أو عبر شبكات الاتّصال والإنترنيت، ووسائل النشر المختلفة مقرورة ومسموعة ومصورة.. وسنحاول وصولها مترجمة للغات الحية من أمم المُسلِمِين وللغات العَالَمِيّة الرَّئيسيَّة مع الوقت..

فلو فرضنا وهو ما نرجوه من الله أن يؤمن بهذه الفكرة بعض الآحاد ممن يساهم في عمل واحد في كلّ سنة مرّة واحدة عَلى الأقل، وهذا سهل إذا فتحنا أمامه مختلف أشكال الأهداف والأفكار الإِرهَابية

العسكريّة وأساليب المُقاوَمة الشعبيَّة وصولا إلى العمليَّات المعقدة للخلايا الّتي لاقت خطأً من التّدريب..

فلنفرض أن في طول الأُمّة وعرضها بمئات ملايينها المقهورة الثائرة، اقتنع في السنة الأولى من نشر الدّعوة اثني عشر مجموعة مكونة من فرد أو رهط من الأصدقاء.. وعملت كلّ مجموعة من هَؤُلَاءِ وبصورة لا مركزية مرّة في السنة فستكون الحصيلة / ١٢/ عمليَّة في السنة أي عمليَّة شهرياً ابتدأ.. ولو وصل العدد لاثنين وخمسين مُجَاهد أو خلية تعمل كلّ واحد منهم مرّة في السنة، لكانت الحصيلة عمليَّة أسبوعيا.. وهذا ليس بطاقة أي تنظيم سري أو عِصَابة مسلحة..

فلوما نسبت العمليّات لمسمى واحد جامع (سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة) وتحت فكر وشعار وهدف واحد، لكانت النَّتِيجَة المفترضة بإذن الله تحريض المئات والآلاف، وعندها تتدرج العمليَّات والمساهمات الفرديَّة لتصبح ظاهرة فعلاً كما هو شعار دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

الجِهَاد والمُقاوَمة: معركة أمة، وليس صِرَاع نخبة.

وبالتضافر مع ما سنوجه له من محاور المُقاوَمة الأخرى من المُقاوَمة المدنيّة والإعلاميَّة والفكريّة والسّياسيّة.. نصل إلى المنشود بإذن الله تَعَالَى، وهو انتفاضة أمة شاملة عَلى امتداد العالم الإِسْلَاميّ وحيث توجد الجاليات الإِسْلَاميّة من مختلف الجنسيات.. عَلى شاكلة (الانتفاضة الفلسطينية) ولكن ضدّ أمريكا بصورة رئيسيَّة ثمّ حلفائها الخارجين والمحليين في كلّ مكان، ضمن الضوابط الآنفة الذكر شرعياً وسياسيّاً.. وعندها ستولد بإذن الله خلايا تعمل ليس مجرد مرّة في السنة وإنما أكثر من ذلك..

وباكتشاف المتوالية الحسابية نجد أن بالإمكان الوصول لعشرات العمليَّات أو أكثر يومياً إن شاء الله، وهكذا نضع مهمة الجِهَاد في طريقها الصَّحِيح كفريضة الصّلاة والزّكاة.. وهذا يحتاج ضمّ جهود العُلَماء والدعاة والأدباء والخطباء والمفكرين والكتاب لتصب جميعها بالتّحريض كلّ بحسب حجمه وما يسمح له وضعه وأسلوبه.. لتهييج المشاعر لتظهر في النهاية آثار ذلك عَلى شكل سرية من سَرايا المُقاوَمة المنشودة بإذن الله.

(٥) - تسمح فكرة (سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة)، بل تتضمن فكرة تسمية كلّ سرية باسمها الخاص الّذي تختاره لنفسها سواءً كانت من مُجَاهد واحد أو اثنين أو خمسة أو أكثر.. وهذا يشعر السرية بإنتاجها وارتباط اسمها بإنتاجها وهذا إحساس ورغبة فطرية لدى الإنسان، كما تفتح باب التسابق بين السَرايا وفرق الكوماندوس المقاوم كلّ بحسب حجمها.. فيولد تسابق ومسارعة في درب الشَّهَادة وطاعة الله ونكاية أعدائه، وهكذا يمكن التشبيه بين فكرة انتشار المُقاوَمة ورابطتها بين أعضائها وسَراياها الّتي لا رابط بينها حركياً بفكرة (الطرق الصوفية) في انتشارها دون اتصال بقيادة ولا حتَّى معرفة بالمرشد وشيخ الطَّريقة، مع **الفارق الأساسي وهو أن:**

طريقة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالمِيّة:

طريقة متكاملة تعتمد عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة وفقه مذاهبهم المعتمدة وأئمتهم الأعلام، وتقوم علىَ فهم متكامل، فهي: طريقة عقدية جهاديّة سياسيّة سلوكية تربَويّة شاملة.

وكما تنتشر بعض الطرق ليعد أتباعها بالملايين من كلّ أقطار الدُّنيَا دونما رابط إلا اسم الطَّريقة ومنهاجها وبرنامجها التربوي ورموزها التارِيخِيَّة.. نأمل أن تنتشر طريقة المُقاوَمة العَالَمِيّة هذه حيث ستوفر قائمة الشّهداء في المُقاوَمة.. أقطاب ورموز هذه الطَّريقة الجهاديّة الشّاملة.

(٦) - تقوم فكرة سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة عَلَى تجانس السرية ضمن خيار أعضائها في المذاهب ضمن مدارس أهل السّنّة والتصوُّر والفهم العام سياسيّاً وأمنيّاً وعسكريّاً وتربوياً.. بما يناسب حالهم ومكان عملهم دون أن يتضارب هذا مع حالة التنوع عَلَى مستوى السَرايا ككل ودعوة المُقاوَمة بكل محاورها العسكريّة والمدنيّة والدعوية والسّياسيّة والإعلاميَّة.. إلى آخر مجالات ومحاور المُقاوَمة.

(٧) - سهولة الانتماء ومباشرة العمل دونما تعقيدات في مراحل التَّنظِيم والتكوين والتّربية كما هو معهود في الجماعات والتَّنظِيمات التقليدية، فكما شرحنا في نظريَّة التّربية، فإن شعار أداء الفريضة وتوقيتها هو قوله ﷺ «أَسْلِمْ ثمَّ قَاتِل»[١]:

---

(١) رواه البخاري (٢٨٠٨).

تعتبر طريقة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

قتال أعداء الله الغُزَاة ومن والاهم وقاتل المُسلِمِين معهم فرض عين كالصّلاة والزّكاة وتعتبر توقيت أداء الفريضة في أحوالنا هذه فوريا، يقع التكليف فيه بمجرد الإِسْلَام.

كما قَالَ ﷺ: « أَسْلِمْ ثُمَّ قَاتِلْ »

وهكذا:.. فكل من كانَ مسلماً حتَّى ولو دخل الإِسْلَام منذُ ساعة بعد أن دخل الإحتلال وحل الجِهَاد وصار فريضة عينية، تعينت عليه الفريضة، أما مراحل التّربية في مراحل العَقِيْدَة الجهاديّة والفهم السّياسيّ واستيعاب الأحكام الشَّرعيَّة.. فتتم مع الوقت ولكن عَلى أن يجدَّ أمير كلّ سرية أو مجموعة بتأهيل نفسه ومن معه من خلال برنامج دعوة المُقاوَمة المفصل والميسر بطريقة سهله ميسره..

وهكذا فما عَلى من يريد الجِهَاد والإنتماء لهذه الدّعوة إلا أن يعقد العزم عَلى ذلك، ويعاهد الله عَلى التزام منهجها واسمها وشعاراتها ويسلك سبيل العمل المباشر ضمن استطاعته، ولاسيما أولئك الّذين سبق لهم تلقي تدريب عسكريّ إما في جماعة جهاديّة أو مؤسسة عسكريّة رسمية أو غير رسمية..

فالقضية في أساسها كما سنشرح في نظريَّة التّدريب عَلى أساس الحقيقة الّتي تقول أن أساس عمل المُجَاهد ولاسيما في حُرُوب العِصَابات عَلى مبدأ (إِرادَة القِتَال) وتوفيره ورفع مستواه.

أنواع سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ومستوى عمليَّاتها العسكريّة:

تختلف المستويات بين سرية وأخرى من حيث الإِعداد العسكريّ والمادي واللوجيستي، مما يجعل أهليتهم في تنفيذ العمليَّات الّتي أشرنا لبعض نماذج أهدافها مختلفة أيضا، في الداخل والخارج.

وهنا نميز بين عدّة أنواع من السَرايا بحسب قدراتها الفنية والعسكريّة والتكنولوجية والأمنيّة والمالية.. وذلك بحسب التسلسل التّالي:

أولاً: سَرايا المُقاوَمة الشعبيَّة:

وتتكون هذه السَرايا من الأفراد والمجموعات الصغيرة المحدودة الإمكانيَّات من حيث التّمويل أو من حيث مستوى التّدريب وهم غالبية المُسلِمِين السَّاحقَة.

وهَؤُلَاءِ يستطيعون القيام بأعمال بسيطة محدودة المستوى من النَّاحية العسكريّة **ولكن أهمية مشاركتهم تأتي في الدرجة الأولى من كثرتها حال تحول المُقاوَمة إلى ظاهرة، لأنها لن تدع للمُستَعمر قراراً**

يقر في بلادنا، وستسبب إزعاجاً هائلاً إذا تفشت ظاهرة المُقاوَمة في الجاليات المُسلّحة المقيمة في الدّول المشاركة في الحَرب عَلى المُسلِمِين ولاسيما الدّول الغربيّة.

ثانياً: السَرايا العسكريّة العامّة:

وتتكون هذه السَرايا المُسلّحة محدودة الإمكانيَّات، من الأفراد الّذين سبق لهم التّدريب عَلى استخدام الأَسْلِحة الخفيفة الفرديَّة والمتفجرات بمستوى متوسط، وجل هَؤُلَاءِ من بقايا خلايا التّيار الجهاديّ وتنظيماته أو المُجَاهدين الّذي سبق لهم مشاركة ما في ساحات الجِهَاد كأفغانستان أو الشِّيشَان أو البوسنة وكشمير أو الفلبين أو غيرها، أو سبق لهم التّدريب في أن سبيل آخر، أو عبر خدماتهم في الأجهزة الأمنيّة أو العسكريّة لبلادهم.. وقد تكون العوائق المادية والأمنيّة حائلاً دون تمكن هذه السَرايا من عمليَّات نوعية كبيرة مدوية، **ولكن مساهماتها العسكريّة هيَ الأساس في حرب العِصَابات الّتي تشنها سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة لكثرة هذا النوع من الكوادر الجهاديّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ**، وحتى بين الجاليات المسلمة في البلاد المحاربة، فهو عدد من فئة عشرات الآلاف من الجهاديّين وأنصار المُقاوَمة، ناهيك عن مئات آلاف وقل الملايين من الرّجال الّذين انتسبوا لجهاز حكومي أمني أو عسكريّ في حياتهم كدورات عامة أو كمحترفين وتركوا ذلك أو ما زالوا في الخدمة، ويحركهم مشاعر دينية ووطنيّة وقومية أو مشاعر الضمير الحي بشكل قوي.

ثالثا: سَرايا المُقاوَمة النوعية:

وهي السَرايا عالية الإمكانيَّات الأمنيّة والحَركيّة والعسكريّة والمادية وتتشكل من العناصر أو المجموعات الّتي كانت قد تلقت تدريباً عالياً في المجال الأمني عَلى العمل السري والإِرهَاب المدني وإدارة الخلايا في حُرُوب العِصَابات وتقنيات الاتّصالات وأمنياتها وكذلك تدريباً عسكريّاً عالياً في مجال استخدام الأَسْلِحة والمتفجرات ولاسيما تكتيكات قتال حُرُوب العِصَابات في مختلف الظّروف وخاصة تصنيع المتفجرات واستخدامها وإتقان استعمال طرق التفجير المختلفة ولاسيما الإلكترونية.

وكذلك توفر لها عامل مهم للعمل وهو الإمكانيَّات المالية العالية الّتي تمكن هذه الخلايا من العمل عَلى مستوى عالي في داخل ساحة المُقاوَمة الرَّئيسيَّة الأولى أو في السَّاحَة الخارجيّة داخل الدّول المعادية أمريكا في أمريكا في الدرجة الأولى ثمّ الدّول الحليفة لها.

رابعاً: سَرايا العمليَّات الاستراتيجيّة:

وهذه السَرايا سَرايا خاصّة يمكن أن يقوم بتشكيلها من تتوفر لهم الشُّرُوط التّالية:

١ - فهم استراتيجي لطبيعة الصِّرَاع وما وصل إليه من النَّاحية السّياسيّة والعسكريّة والاستراتيجيّة عامةً وقدرة عَلى الدّراسة الشَّرعيَّة للعمليَّات الكبرى وآثارها السّياسيّة، من أجل قيادة وإدارة هذا النوع من السَرايا.

٢- إمكانيَّات مالية عالية جداً لتأهيل مثل هذه السَرايا وتمويل عمليَّاتها.

٣- إمكانيَّات أمنيّة وحركية عالية جداً للعناصر المتحركة للعمل والتنفيذ.

٤- إمكانيَّات عسكريّة عالية جداً للعناصر المتحركة للعمل والتنفيذ.

٥- معرفة وإمكانيَّات عمليَّاتية في امتلاك واستخدام أَسْلِحة الدمار الشّامل وقت الحاجة للمعاملة بالمثل أو للحسم الاستراتيجي للصراع مع أمريكا.

ويمكن أن يقوم بتشكيل هذه السَرايا نخبة من المولين المُسلِمِين المُؤمِنِين بنهج المُقاوَمة، بالتّعاون مع كبار قدماء الجهاديّين وبالتّعاون مع بعض الشرفاء الّذين سبق لهم العمل في أجهزة الأمن السابقين في حُكُومَات بلاد المُسلِمِين وكذلك قدماء العسكريّين والعُلَماء الإستراتيجيين في المجالات العسكريّة، وبعض السّياسيّين المخلصين من المتقاعدين أو حتَّى من الّذين مازالوا عاملين في بعض أجهزة الحُكُومَات العربيَّة أو الإِسْلَاميّة، ممن يمكن الوثوق بولائهم لدينهم وأمتهم وبلادهم، وبسريتهم وإيمانهم ببرنامج المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

وهَؤُلَاءِ يكفي أن ينجز من أعمالهم واحدة كلّ سنة أو سنتين عَلى أن تكون من الحجم الحاسم، والله الموفق ولله جنود السموات والأرض.. وما يعلم جنود ربّك إلا هو.

الثّقافة الإرهَابية والملكة الإرهَابية والصفات المكتسبة لمقاتل حرب العِصَابات:

الثّقافة الإرهَابية:

هيَ مجموعة المعارف والمعلومات والثّقافة العامّة الّتي يتملكها المقاتل بأسلوب (الإِرهَاب) ولاسيما في حرب عِصَابات المدن.. ومن ذلك بعناوين مختصره..

- الانخراط في الحياة العامّة بشكل عملي ومعرفة بأوجه نشاط النّاس.

- معرفة ومطالعات في كتب الإستخبارات والجاسوسية والحُرُوب الخفية.

- معرفة ومطالعات في أساليب الإستخبارات في التحقيق والاستجواب والتحري، وجمع المعلومات والمطاردات الأمنيّة والتجسس والتصنت وأدواتها وأجهزتها الحديثة.

- معرفة ومطالعات في علم الأدِلَّة الجنائية وأساليب الأمن في متابعة الوقائع الأمنيّة والحوادث الجنائية وما شابهها.

- معرفة ومطالعات في تاريخ العمليَّات الخاصّة وتفاصيل أحداثها، سواءً العسكريّة الّتي قامت بها النخب العسكريّة من كوما ندوس العِصَابات والجماعات المُسلّحة العَالَمِيّة وكذلك في أسباب نجاح وفشل تلك العمليَّات ولاسيما الكبرى منها..

- معرفة بأساليب عمل ما يسمى (بفرق مكافحة الإِرهَاب) وأسلحتها وتدريباتها وطرق عملها، ودراسة في بعض عمليَّاتها الناجحة والفاشلة في مختلف دول العالم ولاسيما خلال السَنَوات العشر الأخيرة.

- معرفة ومطالعات في كتب (حرب العِصَابات) بمختلف أشكالها.. حُرُوب العِصَابات المدن والجبال والغابات أو الأرياف، وحرب العِصَابات في الصَّحرَاء وحُرُوب الإنفاق وغير ذلك.. وغير ذلك من أنواع تلك الحُرُوب وفنون وأَسْلِحة كلّ نوع من تلك الحُرُوب وأساليبها وتاريخ تجاربها ومدارسها الشهيرة في التّاريخ الحديث ولاسيما في الثورات الكبرى في الحقبة الاستعماريّة في فترة ما بين الحَربين، ثمّ فترة الصِّرَاع ضدّ الإمبريالية الأمريكيّة بعد الحَرب العَالَمِيّة الثّانية ولاسيما في أمريكا الجنوبية وأفريقيا وبعض الدّول الأخرى في آسيا.

- علوم ومعارف عامة تساعد في عمل حرب العِصَابات عموماً ولاسيما حرب عِصَابات المدن أو أعمال الإِرهَاب المدني ومن ذلك:

* علم الكومبيوتر؛ فهو اليَوْم من أهمّ العلوم الّتي تساعد في كافّة مجالات العلوم والثقافات الأخرى اليَوْم وكذلك.

* معرفة عامة بعلم الكهرباء والإلكترونيات والأجهزة الإلكترونية، ومن المفيد معرفة عامة بعلم الميكانيكا والآلات ولاسيما المركبات والأَسْلِحة والتعامل معها وإصلاحها وتعديلها بحسب ما يلزم..

* شيء من المعلومات والمطالعات العامّة حول التّاريخ والسّياسة والاقتصاد... وبجغرافيا ومناخ واقتصاد وطرق وبنية البلد الّذي يعمل فيه والعادات والتقاليد وعموم أوجه النَّشَاط الحياتي البشري في منطقة عمل مقاتل عمل العِصَابات أو المُجَاهد بأسلوب حرب العِصَابات، إلى آخر ذلك..

إن مجموعة هذه العلوم والمعارف تكوِّن عند المُجَاهد في مجال حرب عِصَابات المدن أو ما يسمى (الإِرهَاب)، هذه المعارف تكون ثقافة لدى الإِرهَابي وتنمي لديه الملكة، ملكة الإِرهَاب في اختيار الأهداف وطبيعة العمليَّات وإمكانية تنفيذها ولوازمها وآثار ذلك وتبعاته من النواحي الأخرى السّياسيّة والأمنيّة.. الخ ذلك، وأقترح فعلاً عَلى المشرفين عَلى إعداد الخلايا والسَرايا الإِرهَابية أن يضيفوا إلى بَرَامج الإِعداد لديهم مادة باسم (ثقافة إرهابية) تشمل ذلك وتضم مكتبة ينصح بها المتدرب للمطالعة والتثقف.

الملكة الإِرهَابية:

أذكر أن ألقيت محاضرة في دورة لتأهيل الكوادر في تنظيم القَاعِدَة من بعض الشَّبَاب المختارين من المُجَاهدين العَرَب أيّام الجِهَاد الأفغاني سنة ١٩٨٩، وكانت بعنوان:

(الإِرهَاب ملكة)..

وفعلاً وبعد طول تماس مع التّيار الجهاديّ ومجالات التّدريب والعمل والاحتكاك بمئات المُجَاهدين من مختلف الجنسيات والأنواع والمستويات.. فضلاً عن مطالعات كثيرة يسرها الله تَعَالَى في هذه المجالات.. رأيت أن الاستعداد للعمل في مجال الإِرهَاب يقوم عَلى ثلاث أسس:

-(١) ملكة. -(٢) ثقافة عامة واسعة. -(٣) صفات مكتسبة وإعداد.

وفي حين يمكن أن يرفع مستوى الثّقافة لدي المُجَاهد، وكذلك يمكن رفع مستوى الإِعداد ومستوى الصفات المكتسبة، وهذا يؤثر في صقل الملكة.. ولكن تبقى الملكة أساس في إيجاد الإِرهَابي المتقن لعمله وأدائه.

ومن هذا الوجه فإن ملكة الإِرهَاب مثلها مثل ملكة الشعر والموسيقي والرسم ومختلف أوجه الفنون والأدب الهوايات.. والملكات والعقليَّة والعمليّة الأخرى عموماً.. هيَ موهبة، فهناك أشخاص مؤهلين بالفطرة والإمكانيَّات الذاتية ليكونوا إرهابيين ناجحين يتقنون اختيار العمليَّات والتخطيط لها وتنفيذها ويدركون حساباتها السّياسيّة وضوابطها الشَّرعيَّة والأخلاقية.. الخ.

وعلى المدربين والمشرفين عَلى إنشاء السَرايا في المُقاوَمة أن يكتشفوا تلك المواهب ويصقلوها بالثّقافة والتّدريب لتأخذ مكانها في قيادة أعمال الإِرهَابيين في هذا النوع من الجِهَاد المبارك..

الصفات المكتسبة لمقاتل العِصَابات:

وهي مجموعة العلوم والإمكانيَّات والمدارك والمعارف والقدرات البدنية والفنية الّتي يتم تدريب مقاتل العِصَابات عليها، في مختلف المجالات العسكريّة المباشرة كاستعمال الأَسْلِحة المختلفة، وما يتبع ذلك أو العلوم التَّابعة الأخرى.. وأترك الخوض في بعض تفاصيل هذه إلى باب الإِعداد والتّدريب بما يسيره الله تَعَالَى وهو المُستَعان.

وأخيراً في ختام النَّظريَّة العسكريّة بعد استعراض مجالي عمل المُقاوَمة في الجبهات المفتوحة والإِرهَاب الفَرديِّ، يجدر أن أعرج عَلى العلاقة بين هذين النوعين من الجِهَاد، قبل أن أختم هذا البَاب..

العلاقة بين جِهَاد الجبهات المفتوحة وجِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ:

سيأتي شيء من التفصيل لهذه الفقرة في باب نظريَّة التَّنظِيم ولكن يمكن إيجاز بعض الأفكار في هذه الفقرة بما يلي:

(١) – بضوابط أمنيّة صارمة يجب الأخذ بها يمكن أن تستفيد السَرايا العاملة في مجال جِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ في رفع إمكانيَّات عناصرها العسكريّة والتّدريبية عامة في الجبهات المفتوحة.

(٢) – يمكن أن تستفيد بعض العناصر العاملة في مجال تجنيد وبناء السَرايا من الجبهات المفتوحة في تجنيد بعض العناصر القادمة للجِهَاد وانتقائها وإرسالها للعمل في بلدانها أو حيث تستطيع في مجال إرهاب

الجِهَاد الفَرديِّ أو الخلوي مع مراعاة ملاحظة هامة جداً وهي أن لا يأخذ ذلك شكل التَّنظِيم والارتباط المركزي.

(٣) يمكن أن تشكل الجبهات المفتوحة مفراً وملاذاً آمناً للمطاردين والمطلوبين من الّذين عملوا في مجال جِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ، حيث كشفوا ولم يعودوا يستطيعون المتابعة بشكل مكشوف ولا يستطيعون الاختفاء.

(٤) - يجب التنبيه عَلى أن سَرايا المُقاوَمة من العاملين في مجال العمل السري يجب أن يبقوا عَلى أسلوبهم السري حال انتقالهم للعمل في الجبهات، ولا يتحولوا للعمل والدّعوة العلنية وهذا مقتل ومنزلق خطير نتيجة الأجواء الآمنة والعاطفية.

(٥) - يجب أن يعمل أفراد سَرايا السرية المُقاوَمة إن توجهوا للجبهات المفتوحة تحت قيادة أمراء تلك الجبهات وخاصة المحليين أو الإدارات العامّة الّتي تنشأ حال تكرار مثل ذلك، فيجب أن يعملوا تحت إدارتها بإخلاص وتفان طالما تواجدوا في تلك الأجواء، وأن يسعوا إلى التواجد في خطوط القِتَال الأولى ومُعَسْكَرَات الإِعداد لأداء الفريضة بإخلاص وللتماس بالمُجَاهدين ونشر الدّعوة ومنهجها بشكل سري ماأمكن.

(٦) - أما ما تستفيده الجبهات من سَرايا الجِهَاد الفَرديِّ والخلوي فهو أن عمل هذه السَرايا هو ذراع طويلة لجِهَاد تلك القضايا تستطيع من خلال عملها توفير الردع اللازم للقوى المعتدية، وفي تصفية قيادات الخصوم، والعمل خلف خطوط العدوّ، وتنفيذ العمليَّات الخاصّة بالتّعاون مع أمراء تلك الساحات والقضايا بشكل سري ومبرمج.

والآن وفي الختام نناشد من يبلغه النداء..

أيها الشَّبَاب المُجَاهد.. يا رجال هذه الأمّة من الشرفاء.. أيها الأوفياء العازمون عَلى الجِهَاد.. إن الأُمّة اليَوْم قد تماوت في معظم رجالها العزيمة، وضربها الوهن من «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»، ولاسيما منذُ سقطت خلافة المُسلِمين وكيانهم السّياسيّ واستعمرهم أعداؤهم.

ويجب أن نحيي الأُمّة ونأخذ بيدها من هذا الموات..

لقد كانَ بعض الشَّبَاب المُجَاهد إبَّان زحف الأمريكان الأوّل عَلى العراق سنة ١٩٩١. يعبر نهر الأردن بسكين أو مسدس أو ما تيسر له، يبحث عن جندي صهيوني ليصرعه ويساهم في جِهَاد هذه الأُمّة.. وكان بعض المُجَاهدين يذهب إلى آخر الدُّنيَا لتنفيذ عمل خلف خطوط العدوّ رداً عَلى عدوانه عَلى هذه الأمّة..أو ليلتحق بساحة جِهَاد لا يصلها إلا بشق الأنفس.

وها قد سهل الأمر.. لقد جاءتنا أمريكا بمئات آلاف الجنود والخبراء ونشرتهم بين أظهرنا.. فضلاً عن مئات آلاف المدنيين من العاملين في المجالات الاستعماريّة الأخرى من سياسيّة واقتصاديَّة وثقافية وسوى ذلك.. ولا يكلف الأمر الّذي ندعوا إليه انتسابا لتنظيم ولا يستدعي سفرا ولا هِجرَة، ولا تغييرا لنظام الحياة.

فكل ما يحتاجه الأمر:

- قرار شخصي حازم عَلى أداء الفريضة المتعينة، وعزم أكيد عَلى المساهمة في الجِهَاد والمُقاوَمة..
- عهد بينك وبين الله تَعَالَى، ثمّ بينك وبين من ستعمل معه عَلى الانتساب لدعوة المُقاوَمة.
- شكل سريتك.. وتكون بذلك عضواً في هذه الدّعوة، وسرية ضمن سَرايا المُقاوَمة العَالَمِيّة.
- إسع في فهم المنهج، وتطبيق برنامجه التربوي وسر به بتؤدة قدر استطاعتك.
- أعدَّ نفسك ومن معك قدر استطاعتك.
- بادر للعمل فالجِهَاد فريضة عينية واختر هدفا معاديا يناسب إمكانيَّاتك المادية والعسكريّة.
- تريث وفكر.. صمم واستخر الله.. ثمّ أقدم..

وحيا هلا عَلى طريق الحسنين، إما نصر وإما شهادة، إنها دعوة عمل وشهادة.. ليست طريقة جدل ولا منهجا للقيل والقال وكثرة السّؤال، فقد شبعت الأُمّة من ذلك وآلت إلى ما نحن فيه..

والله المُستَعان وآن أوان النَّفِير..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة]

الفصل الثامن

الباب الخامس

﴿نظريَّة التَّنظِيم ونظام العمل في سَرايا المُقاوَمة الإسْلاميّة العَالَمِيّة﴾

تقوم نظريَّة العمل والبناء التَّنظِيمي عَلى أساس القَاعِدَة والشعار الأساسي في طريقة العمل وهو: (نظام عمل وليس تنظيم للعمل) " **نظام لا تنظيم** " أي أن سَرايا المُقاوَمة الإسْلَاميّة تبني طريقة عملها كما مر شيء من شرح ذلك في النَّظريَّة العسكريّة عَلى أساس نظام للعمل وجمع جهود نتائجه وليس عَلى أساس التَّنظِيم المركزي، ولنبين ذلك بمزيد من الشرح:

أسس ومقوّمات بناء التَّنظِيمات التقليدية:

كنت قد لخصت في محاضرة ألقيتها في بيشاور سنة ١٩٩٠ المقوّمات والأسس الّتي تقوم عليها التَّنظِيمات التقليدية وهي خمسة:

١ – **المنهج:** وهو الفكر والعَقِيْدَة الحَركيّة الّتي يلتقي عليها أعضاء التَّنظِيم.

٢ – **القيادة:** وتشمل الأمير – ودائرة الشورى والإدارة – وطريقة اتخاذ القرار.

٣ – **المخطط:** وهو برنامج استراتيجية العمل لتحقيق الأهداف.

٤ – **التّمويل:** وهو الوسائط المادية الكفيلة بسد احتياجات تنفيذ ذلك المخطط.

٥ – **البيعة:** وهو نظام الارتباط بين الأمير والمأمور في تلك السلسلة الحَركيّة.

أسس ومقوّمات بناء دعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة وسَراياها المُجَاهدة:

كما بينت في النَّظريَّة العسكريّة، وعبر ما سبق فإن أسس البناء في دعوتنا تقوم على:

- **الإيمان بفكر الدّعوة وعقيدتها الأساسيّة والجهاديّة ونظريتها السّياسيّة الشَّرعيَّة.**
- **العمل لتحقيق الهدف المشترك وهو دفع الصّائل من الغُزَاة المحتلين وقتال من عاونهم.**

- **تطبيق منهج التّربية المُتكامِلة من قبل الأعضاء.**
- **طريقة العمل والحركة وتشتمل التفاصيل المحددة في النَّظريَّات (العسكريّة – التَّنظِيمية – الإِعداد – والتّدريب – التّمويل – التّحريض).**
- **حمل الإسم المشترك العام للسَرايا إلى جانب الاسم الخاص للسرية.**
- **العهد مع الله تَعَالَى عَلَى التزام المنهج والعمل عَلى تحقيق الهدف.**

فإذا ما أردنا عقد مقارنة بين مقوّمات التَّنظِيات التقليدية ومقوّمات نظام عمل سَرايا دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة لوجدناه اختصاراً بحسب الجدول التّالي:

أسس العمل	مقوّمات التَّنظِيات التقليدية	نظام عمل سَرايا المُقاوَمة
الهدف	إسقاط الحكومة وإقامة الحكومة الشّرعيَّة في القطر المحدد.	المُقاوَمة من أجل دفع صائل الغُزَاة وأعوانهم.
المنهج	فكر ومنهج التَّنظِيم الجهاديّ.	منهج دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة
القيادة	الأمير المركزي والقيادة	الإرشاد العام للسَرايا العَالَمِيّة. والأمير الخاص للسرية.
المخطط	برنامج عمل التَّنظِيم	مقاومة الإحتلال وضربه في كلّ مكان.
التّمويل	مصادر تمويل التَّنظِيم وبرنامج إنفاقه ومصادره التبرعات.	التّمويل الخاص بالسرية ومصدره الغنائم والتبرعات.
البيعة والعهد	بيعة مركزية للأمير	عهد مع الله عَلى الجِهَاد والمُقاوَمة وعهد عَلى طاعة أمير السرية.

فدعوة المُقاوَمة تقوم عَلى الخلايا اللامركزية، وسَراياها المُجَاهدة تقوم عَلى العمل الفَرديّ وعمل الخلايا الصغيرة المنفصلة تماماً واللامركزية تماماً، بحيث لا يربطها كما أسلفنا إلا **الهدف المشترك والاسم المشترك ومنهج الاعتقاد وطريقة التّربية.**

- **<u>بناء الخلايا والسَرايا: (نظام البناء والعمل):</u>**

عندما وضعتُ نظَريَّات المُقاوَمة بشكلها النّهائيّ سنة ٢٠٠٠ في كابل في ظلال الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان أيّام طالبان وبدأت محاولة بناء نواتها لأولى عَلى الأرض في أفغانستان، كانت صيغة البناء

التَّنظِيمي بحسب ما شرحتها في سلسلة دُروس (الجِهَاد هو الحل) ودُروس الفيديو (سَرايا المُقاوَمة) عَلى الشّكل الّذي سأبين في هذه الفقرة حيث سأذكر بعد هذا البيان، التعديل الّذي ألزمتنا إياه تداعيات أحداث سِبتَمبر والحملات الأمريكيّة وجعلتني أعدل الفكرة بما يناسب الواقع الحالي.

** الدوائر التَّنظِيمية الثّلاثة لسَرايا المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة:

*** أولاً : الدّائرة الأولى: وهي (السّرية المركزيّة):**

والَّتي مهمتها الأساسيّة الإرشاد والتوجيه والدّعوة، وذلك من خلال نشر أدبيات الدّعوة ومناهجها السّياسيّة الشَّرعيَّة والترَبويّة والحَركيّة وإيصالها إلى مختلف شرائح الأُمّة، وإصدار البيانات الإعلاميَّة والمنهجيّة باسم الدّعوة وسَراياها بحيث تشتمل عَلى فكرها وطرق أدائها ووجهة نظرها، بالإضافة إلى بناء السرية المركزية العاملة عسكريّاً عَلى أرض الجبهة الّتي كانت مفتوحة في أفغانستان، والعمل من خلال التّواصل مع من أمكن التّواصل معه في بناء علاقات تعاون وتنسيق مع سَرايا غير مركزية تحمل دعوة المُقاوَمة وتعمل بشكل منفصل تماماً عَلى الصعيد الحَركيّ.

*** ثانياً: دائرة التّنسيق أو (السَّرايا اللامركزيّة):**

وتتكون من العناصر الّتي أمكن التّواصل معها وإخضاعها لدورات التأهيل الفكريّ والمنهجي والتربوي المتكامل فكرياً وسلوكياً وعسكريّاً وحركياً من خلال التماس معها، حيث يكون برنامج تلك العناصر الارتحال عن الجبهة، والانتشار في الأرض كلّ بحسب ظرفه وحياته، والعمل بشكل حر ومنفصل تماماً عن السرية المركزية من النَّاحية الحَركيّة بحيث لا يربطها إلا الاسم والهدف والمنهج العقدي والتربوي وطريقة العمل وتنقطع الصلة بها تماماً، وميزة هذه السَرايا عن التّالية أن قياداتها قد أمكن تربيتها بشكل مباشر عَلى فكر الدّعوة مما يمكنها من نقل أساليب التّربية ومنهج الاعتقاد والتَّفكير والعمل بشكل سليم، كما أمكن إعدادها عسكريّاً بشكل متقن يمكنها من نشر العلوم العسكريّة اللازمة.

*** ثالثاً: الدّائرة الثّالثة (دائرة الدّعوة) أو السَّرايا العامّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:**

وهذه السَرايا هيَ الأساس في دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الّتي رفعت شعار:

(المُقاوَمة معركة أمة وليس صِرَاع نخبة)

حيث تكون الدّعوة وإيصال الفكرة بكل الأساليب المختصرة والمفصلة لتمكين الشَّبَاب العازم عَلى الجِهَاد من الدخول في الدّعوة وتشكيل سَراياهم الخاصّة المستقلة كليا للمشاركة في المُقاوَمة دون أي ارتباط حركي بالمركز.

حيث يقتصر الرابط كما أسلفنا عَلى الهدف المشترك والاسم المشترك ومنهج العَقِيْدَة الجهاديّة المشترك ومنهج التّربية المُتكامِلة، وحيث تُوفِر لهم المناهج المنشورة، كافّة المواد اللازمة لاستكمال إعدادهم الذاتي حيث هم لمباشرة العمل عَلى بصيرة ومن خلال منهج منضبط واضح.

بحيث لا يلزم العنصر الملتحق بسَرايا الدّعوة العامّة، إلا أن يؤمن بالفكرة ويجزم النِّيَّة ويلتحق بالدّعوة ويربي نفسه ومن معه عَلى منهجها مع الوقت مبتدءاً العمل وفق الأساليب والطرق المبينة في منهج الدّعوة المنشور وأدبياتها..

وقد ركزت في الكتابات والتسجيلات الّتي شرحت بها الطَّريقة عَلى أن أساس الدّعوة ومجالها الاستراتيجي هو الدّائرة الثّالثة سَرايا الدّعوة.. (سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة) وقد وضعنا تفاصيل تشرح للمريدين لهذه الطَّريقة سبل إنشائهم للسَرايا وطريقة عملهم الّتي سأبينها فيما يلي، **ولكني أشير قبل ذلك..**

إلى أن تداعيات أحداث سِبتَمبر وإسقاط إمارة أفغانستان، وانهيار نظَريَّات المُوَاجَهة المتمركزة نهَائِيَّاً مع الهجوم العسكريّ الأمريكيّ الطَّاغي مادياً وتكنولوجياً وبشرياً عَلى كلّ صعيد، وثبوت ذلك في المواجهات المحدودة الّتي تمت بين قوّات المُجَاهدين المتمركزة المكشوفة وقوّات هذه الحملات الأمريكيّة في أفغانستان ثمّ في باكستان وفي العراق وبعض البؤر الأخرى كاليمن وسواها، أكد لي تماماً الأهمّيّة الاستراتيجيّة للعمل السري الفَرديِّ والتركيز عَلى الدّائرة الأساسيّة في دعوة المُقاوَمة وهي دائرة الدّعوة العامّة..

إذ أنّي أعتقد أنه ربما سيطول الوقت.. والله أعلم.. قبل أن يمكن لنا.. إن بقينا إلى ذلك أو لغيرنا من المُجَاهدين **أن يستطيعوا التمركز ثانية والعمل وجهاً لوجه من خلال الدّفاع الثَّابِت والمُوَاجَهة الجبهوية.**

وعلينا ضمن معطيات الوضع الحالي أن نعمل من خلال دائرتين: هما الأولى والثّالثة.

**** الدّائرة الأولى:** وهي مركز الإرشاد:**

الّتي تشرف عَلى الإرشاد والتوجيه ونشر المنهج وبَرَامج التّربية وتصدر البيانات والأبحاث اللازمة لمتابعة ذلك، وتعمل بشكل سري يناسب الأحوال.

****الدّائرة الثّالثة (سَرايا دعوة المُقاوَمة):**

وهي السَرايا الّتي نأمل من الله، ونتوقع أن تتشكل بشكل تلقائي من قبل الراغبين بالعمل وفق هذا المنهج والطَّريقة والَّتي سيتشكل بإذن الله من خلال بلاغ الدّعوة لأوساط المُسلِمِين الّذين تدفعهم كلّ الظّروف من حولهم للانخراط في المُقاوَمة، وذلك من خلال العمل الدعوي السري عَلى إقناع تلك الشرائح بضرورة الضبط المنهجي للمقاومة، وضرورة العمل من خلال منطلقات هذه الدّعوة جمعاً للجهود ومحاولة للوصول إلى الهدف الاستراتيجي وهي دحر العدوان وهزيمة الحملات النازية وقيادتها الأمريكيّة الصّهيونيّة.

ولو قدر الله لي الحياة إلى أن يحصل التوازن الّذي نرجو بها يعيد لنا إمكانية التمركز والدّفاع الثَّابِت.. فسأعمل عَلى استئناف ما بدأت به من تكوين الدوائر الثّلاثة وبشكل عملي فقد كانت تلك البداية واعدة ومشجعة ولست بصدد استعراض تلك التَّجربة الّتي انهارت كغيرها من المحاولات الجهاديّة في ثنايا تداعيات سِبتَمبر وسقوط إمارة أفغانستان الإِسْلَاميّة.

وآمل إن حصل ذلك التوازن وتمكن المُجَاهدون من التمركز بعد أن أكون قد لقيت ربي وأساله الرحمة والمغفرة وشهادة في سبيله ترضيه، أن يقيض الله لبعض كوادر المُجَاهدين الأكفاء أن يعملوا عَلى ما حلمت به وعملت له من تشكيل:

(مكتب إرشاد سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة)، والسرية المركزية المحترفة لهذه الدّعوة الّتي لخصت فيها خُلاصة تجربتي وأفكاري الحَركيّة والجهاديّة عبر ربع قرن من الزَّمن تجربة وعملا وأسال الله الإخلاص.

وأرجو أن تكون الفكرة قد نضجت واحتوت مساهمة جدية بين المساهمات المخلصة الجادة لدفع صائل الغُزَاة وأعوانهم عن هذه الأُمّة المؤمنة المستضعفة الّتي آن - بإذن الله - أوان نهوضها.

أما الآن فسأعود إلى مزيد من الشرح الّذي يساعد الّذين يقتنعون بهذه الدّعوة الجهاديّة للمقاومة عَلى تشكيل سَراياهم السرية المستقلة بشكل كامل..

أنواع سَرايا المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة من حيث مهام عملها:

(١) - العناصر والسَرايا بانية السَرايا العاملة:

وهذه العناصر والسَرايا تتخصص في نشر فكرة دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، وإقناع الكوادر من الجهاديّين والشَّبَاب العازم عَلى المُقاوَمة بفكرة الدّعوة والمسارعة إلى تشكيل سريتهم المستقلة وإعدادهم فكرياً وعسكريّاً وأمنيّاً وتزويدهم بالأبحاث المختلفة الشَّرعيَّة والسّياسيّة والعسكريّة الأمنيّة وتأهيلهم لكي يدربوا عناصرهم وأنفسهم ليكونوا سَرايا فاعلة، كما أن من المهام المحتملة لمثل هذه السَرايا البانية أن تزود نويات السَرايا بالأموال الّتي تساعدهم عَلى الانطلاق من حيث أمكنها توفيرها.

ومن الصفات اللازمة للعناصر والسَرايا الّتي ستتصدى المهمة بناء السَرايا ما يلي:

١- أن تكون غير مكشوفة قادرة عَلى الحركة في أوساطها الّتي تعيش فيها بأمن وحرية.

٢- أن يكونوا متفهمين لمنهج دعوة المُقاوَمة ولديهم الأهلية الفكريّة لشرحها والدّعوة لها، وعلى قدر لا بأس به من الفهم الشَّرعيّ والسّياسيّ والحَركيّ.

٣- مستوى عالي من الفهم والأهلية الأمنيّة في الحركة لتأهيل الآخرين للحركة السرية.

٤- مستوى مناسب في القدرة عَلى التّدريب السري عَلى الأَسْلِحة الخفيفة والمتفجرات وأَسْلِحة العِصَابات الخفيفة الأخرى.

٥- قدرة عَلى الاتّصال ببعض مصادر تمويل المُقاوَمة لتزويد السَرايا العاملة الّتي شكلوها بالدفعة الأولى للانطلاق للعمل.

(٢) - السَرايا العاملة:

وتتكون من عنصر فأكثر، ويفضل أن لا يجاوز عدد السرية الخمسة إلى عشرة عَلى أقصى تقدير، بحيث تتشكل تلقائياً لإطلاعها عَلى الفكرة وأدبياتها وإيمانها بالانتماء للدعوة والتوجه للعمل مباشرة. أو بتشكلها بمساعدة عنصر من بناة السَرايا من الخلايا آنفة الذكر، ومهمة هذه السَرايا الانصراف للعمل

الجهاديّ والانخراط في القِتَال فورا، وتربية أنفسهم عَلى منهج الدّعوة ذاتياً، **وعدم الانجرار إلى التوسع والتّحول إلى بناء سَرايا أُخرى، ومقاومة الشعور الفطري بها لرغبة في التوسع خشية التّحول إلى هرميات تنظيمية صغيرة، وهذا خطير جدا وسيؤدي إلى القبض عليهم بسرعة - لا قدر الله -.**

(٣) - سَرايا التّحريض السرية:

وهذه السَرايا تتشكل من خلايا صغيرة جداً من (١-٣) عناصر، من أصحاب الكفاءة الشَّرعيَّة والسّياسيّة والفكريّة والخبرة الإعلاميَّة، والوعي الحَركيّ، والخبرة باستخدام الإنترنيت وشبكات الاتّصال الإلكتروني، ومهمة هذه السَرايا نشر دعوة المُقاوَمة وإعادة بث أدبياتها وأبحاثها ودراساتها ومناهجها المختلفة بوسائل النشر السري ولاسيما (الانترنت) والعمل عَلى ترجمة أبحاث المُقاوَمة وبياناتها إلى لغات المُسلِمِين واللغات العَالَمِيّة، مع الانتباه إلى أمنيات توزيع المواد بحيث تبتكر هذه السَرايا لنفسها طرقاً للعمل بحسب إمكانيَّات كلّ بلد ومكان تعمل فيه.

وسيأتي بعض البيان لطرق عمل هذه السَرايا في باب نظريَّة الإعلام والتّحريض.

إيضاحات عَلى طريقة بناء وعمل السَرايا السرية:

أولاً: طريقة بناء السَرايا المتعددة من قبل العناصر البانية للسَرايا العاملة:

مر معنا آنفاً طريقة البناء التَّنظِيمي الهرمي وخطورتها حيث يُؤَدِّي اعتقال أي من عناصر الهرم إلى اعتقال من معه ومن تحته ومن فوقه في الهرم التَّنظِيمي، وهكذا تتسع دوائر الاعتقال حتَّى يأتي الدمار عَلى الهرم التَّنظِيمي بكامله، فلو كانَ لدينا هرماً تنظيماً.

واعتقل عنصر ما سيؤدي اعتقاله إلى اعترافه عَلى من في مستواه، وعلى من فوقه وهو، وكذلك عَلى من في مثل مسؤولية.. وهكذا تتكرر المأساة باعتقال من تحته وفوقه وقد أدت أساليب الاعتقال والتعذيب الوحشية والغير أخلاقية إلى إجهاض أقوى التَّنظِيمات السرية في كلّ مكان خلال التَّجَارب السالفة.

وكما شرحنا آنفاً فقد اعتمدت بعض التَّنظِيمات الطَّريقة العنقودية بترك رؤوس العناقيد في بلد آخر غير الّذي تعمل فيه بحيث تقيم القيادة في مكان آمن وتتصل بالعناصر القيادية الميدانية أو تلتقي معها

حيث تقيم هيَ الأخرى في مكان آمن وتدير هذه العناصر عناقيد تنظيمية هرمية تعمل داخل ساحة البلد المعني بالعمل بحيث لو قضى عَلى الهرم المرتبط بالعنصر الرَّئيسي، لا يُؤَدِّي لاعتقاله وتنقطع سلسلة الانهيار عنده. وقد نجحت هذه الطَّريقة في إعطاء بعض التَّنظِيمات العربيَّة والإِسْلَاميّة وحتى العَالَمِيّة هامشاً للمناورة، ولكن التّعاون الدّولي الآن في مكافحة الإِرهَاب قضى عليها إذ يؤدى طلب العنصر المطلوب من قبل حكومته إلى اعتقاله من قبل حكومة أُخرى واعترافه عَلى من في بلدان أُخرى فيتم اعتقالهم خلال ساعات أو أيّام عَلى الأكثر، بعد أن رفع شعار القضاء عَلى الملاذات الآمنة، ولما لجأت قيادات التَّنظِيمات إلى بعض الملاذات خارج نطاق سيطرة النّظام الدّولي كأفغانستان والشِّيشَان.. كانَ من بَرَامج العدوّ الإطاحة بها وإخضاعها لسيطرة النّظام الدّولي.. وهكذا أجهض الأسلوب العنقودي بالإدارة من ملاذات آمنة، وانتهى بذلك زمن التَّنظِيمات نهَائِيّاً، ولا يمكنه أن يعود إلا بدمار النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد والله تَعَالَى أعلم، وهو الهدف الّذي نسعى إلى إيجاد طريقة لتحقيقه بعون الله.

**** وأما الطَّريقة الّتي نقترحها عَلى بناة السَرايا فهي التّالية:**

يقوم العنصر النشط من بناة السَرايا، والّذي يجب أن يكون من أهمّ مميزاته أهليته السَّابقة أمنيّاً وشرعيا وثقافيّاً.. كثرة المعارف والقدرة عَلى التّأثير في دائر ة واسعة من الآخرين.

يقوم باختيار بعض معارفه من الّذين يظن بهم الأهلية لقيادة سَرايا، ويفاتح كلاً منهم عَلى حدة وانفصال تام في الموضوع، بالتّدرّج وبعد أن يستوثق من كلّ واحد منهم عَلى حدة ويقوم بإعداده بصفة منفصلة أو مع معاون أو اثنين له عَلى الأكثر.. ويعدهم خلال فترة إعداد بالاستعانة بمناهج الدّعوة المطبوعة والمسموعة وخاصة هذا الكتاب، وسلسلة محاضراتي الّتي بعنوان (الجِهَاد هو الحل، لماذا وكيف)، ومحاضراتي المسجلة بالفيديو بعنوان (سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة)، أهمّها أبحاث هذا الكتاب لتوسعه وتدقيق معلوماتها، كما أن لدي عدد من المحاضرات المسجلة حول (أصول حرب العِصَابات) وهي مفيدة كثقافة عسكريّة للحُرُوب السرية وعمل العِصَابات، وهي ثلاث مجموعات (محاضرات مختصرة في شريطين)، و(دُروس في ستة أشرطة)، وأوسعها محاضرات كورس من (٣٢) شريط كاسيت، وهي (شرح كتاب حرب المستضعفين) وهو من أهمّ الكتب الّتي شرحت حُرُوب

العِصَابات وبينت أسباب نجاحها وفشلها والكتاب الّذي شرحته يقع في نحو ١٧٠ صفحة وهو مترجم لمؤلف أمريكي متخصص بمكافحة حُرُوب العِصَابات.

كما يفيد في الإِعداد الانتفاع بما تيسر من الأبحاث لأمنيّة والعسكريّة المتوفرة في السَّاحَة الآن وعلى شبكة الإنترنيت وبلغات متعددة، ولدى نية إن يسر الله لإعداد بعض الملخصات المختصرة من ذلك، مع بعض الأبحاث الفكريّة المتممة لما يحتويه هذا الكتاب الجامع لأهم ما يلزم من الإِعداد الفكريّ والسّياسيّ الشَّرعيّ والحَرَكيّ.

كما يجب عَلى من يبني السَرايا أن يخضعهم لبرنامج الإِعداد الفكريّ والأمني والعسكريّ لمدة أقدر أنها لا تحتاج أكثر من شهر أو شهرين إذا اتبع معهم أسلوب الكورس المكثف، هذا عن الإِعداد الفكريّ وهو الأهم، وسيأتي لاحقا بيان طرق الإِعداد العسكريّ السري إن شاء الله.

وهكذا لنفرض أن العنصر (باني السَرايا) أعد أربع أو خمس سَرايا منفصلة تماماً لا نعرف بعضها ولا تعرف عن بعضها شيئاً.

|| A | | B | | C | | D | | E | | F

الآن يوكل لكل واحد منهم مهمة بناء سريته من عنصرين أو ثلاثة أو لوحده إن شاء ويحدد لهم تاريخاً لا يبدؤون العمل قبله، لكي يبتعد هو من ساحتهم لأنها المقتل الوحيد لهذه المجموعات.

وقبيل حلول هذا التّاريخ يجب أن يكون العنصر المؤسس من بناة السَرايا قد غادر إلى جهة مجهولة لهم بحيث لا يمكن لهذه العناصر أن تدل عليه.

إما إلى جبهة من الجبهات المفتوحة في مناطق عدم السّيطرة، وإما إلى بلد آخر بأوراق شخصية لا يعرف أحد معلوماتها، وإما إلى الاختفاء التام في ساحة جديدة.

وإما بأن يكون عَلى برنامج العنصر المؤسس أن يقوم بعملية استشهادية بعد بنائه لعدد من السَرايا، لأنه يمثل نقطة المقتل الوحيدة أمنيّاً للسَرايا الّتي بناها، فإنه لو اعتقلت أي سرية لا سبيل لها للاعتراف إلا عليه لأنها لا تعرف الأخرى.

ومن الضَّروري جداً أن يتنبه العنصر المؤسس إلى أن لا يكون في حديثه أو حركته ولو من باب الإشارة والتشجيع ما يشير لبعض العناصر بأنه قد جند آخرين يمكن لبعضهم أن يخمن من هم هَؤُلَاءِ الآخرون فيعترفون عَلى بعضهم بالظن.

ويمكن أن تتشكل السرية تلقائياً من غير أن يبنيها مؤسس خارج عنها، وتعمل في المُقاوَمة مباشرة ولا تعمل عَلى دعوة غيرها، وذلك بأن يقتنع رجل بالإنخراط في دعوة المُقاوَمة، فيشكل سريته الصغيرة، أو يعمل بنفسه فقط أو مع صديق معاون يقنعه، فيعدون أنفسهم عَلى هذه الأبحاث، ويسمون سريتهم، ويعملون مباشرة، ولا يسعون إلى تنظيم غيرهم، ولا يعملون في مجال الدّعوة والتّحريض وينصرفون للعمل المباشر، وهذه أعل الإحتياطات الأمنيّة.

ويدرك من له أقل خبرة وإطلاع عَلى التّدريب وأصول العمل السري، بأن سرية صغيرة من عنصرين أو ثلاثة، مأهلة أمنيّاً وعسكريّاً، ولديها (ثقافة إرهابية) عالية، أن تقوم بأعمال هائلة، وتتنقل بأعمالها في دائرة بلدها في عدّة مدن، مما يخيل لمن لا يعرفها أن في البلد عشرات المجموعات العاملة، ولي العديد من القصص والشواهد الحية والأمثلة الرائعة عَلى ذلك مما يضيق المجال عن سرده.

ثانياً: الحذر من خلط العمل العسكريّ للسرية بالإعلاميّ والدّعوة للطريقة:

ويجب أن يحذر المُجَاهدون الّذين يقومون ببناء سريتهم كلّ الحذر من خلط الأعمال الدعوية بالعسكريّة فإنهم بذلك يجنون عَلى أنفسهم وعلى غيرهم.

فالأصل أن يشكل الّذي بلغته الفكرة واقتنع بها سريته من نفسه لوحده ويعمل في حدود إمكانيَّاته إن كانَ لا ثقة له بآخرين، أو مع اثنين أو ثلاثة عَلى الأكثر ممن يثق بهم، حيث

يشكلون سرية واحدة ويعملون بصمت واحتساب في المجال العسكريّ ويختارون هدفاً من الأهداف المعادية الّتي مر ذكرها والإشارة إلى بعضها ويقومون بعمل ولو في كلّ عدّة أشهر مرّة واحدة، ويبلغون بطريقة أمنيّة مناسبة وموجزة عن عملهم.

وليكن في علمكم: إن الدّعوة لتنظيم الآخرين، وأعمال الدعاية والإعلام.. وجمع التبرعات..

هيَ أساليب مناقضة للسرية ومباشرة العمل، ولا تجتمعان أبدا، وقد أدى الجمع بين هذه المتناقضات في تاريخنا الجهاديّ الحَركيّ إلى كوارث حقيقية، هذه من أهمّ خلاصات التَّجَارب المؤلمة الماضية.

إن مبدأ (علنية الدّعوة، وسرية التَّنظِيم) هو من أفشل المبادئ الحَركيّة ولقد أدت ممارسته إلى كوارث دموية، فمن يعمل بالدّعوة والتّحريض، فليترك العمل السري القتالي، والعكس بالعكس، واعلموا أنه في حين يلزم الأمّة عشرات آلاف المقاتلين الفدائيين اليَوْم، فإنه يكفيها بعض المحرضين بالدّعوة الكلامية.

إن ممارسة القِتَال ونكاية أعداء الله، وبذل النّفس في سبيل الله، هيَ أبلغ الرّسائل التّحريضية الّتي تحتاجها أمة قاعدة عن الجِهَاد كي تقوم من رقادها.

إن ممارسة التّحريض، لا تسقط عن المسلم فرض القِتَال المتعين اليَوْم، الّذي يعتبر الناكص عنه كتارك الصّلاة والزّكاة والصّيام والحج، بل أشر منهم، لما يترتب علىَ الأمّة بذلك من ضرر تسلط أعدائها، وذهاب دينها ودنياها.. فلا تغالطوا أنفسكم.. واتقوا الّذي يعلم السر وأخفى، ويحصل ما في الصدور إذا بعثر ما في القبور، فإن ربنا بعباده خبير بصير.

ثالثا: دعوة المُقاوَمة دعوة عمل جاد:

يجب أن يتنبه المُجَاهدون إلى أنه يكفي للتحريض بعض السَرايا، والحاجة ماسة للسَرايا العاملة، والأصل في الفريضة الهامة هيَ القِتَال ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ [النساء: ٨٤]، أما التّحريض فهو للكفاية والقادرين عليه والمؤهلين له.

فلا يترك العامل سبيلاً للشيطان يقعده عن العمل بإقناعه بأنه يحرض غيره أو يجند غيره، وهذا من تدليس إبليس، ومهمة تجنيد الغير مسؤولية كبيرة لأنها تقتضي منه كما ذكرنا الاختفاء تماماً السَّاحَة الّتي جند بها غيره من العاملين، ولذلك فالأصل أن يجند الإنسان نفسه ويعمل مع من ارتبط به مباشرة.

رابعا: شاركوا في المتوالية الحسابية للمقاومة:

أعيد الإشارة إلى ما ذكرته في باب النَّظريَّة العسكريّة، بأن أهمية فكرة سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة تأتي من انتشارها وتجميع الجهود، فكما أسلفت فإنه لو أن اثني عشر سرية تشكلت في طول عالمنا الإِسْلَاميّ وعرضه، وعملت كلّ سرية مرّة في السنة لكان لدينا عمليَّة شهرياً، ولو عملت مرتين لكان عمليَّة كلّ ١٥ يوم، وهذا لا يستطيعه أقوى التَّنظِيمات، فما بالك لو اقنع معنا خلال سنة من إطلاق الفكرة ١٠٠ شخص نجح بالعمل منهم ٥٠ شخصا، وعمل كلّ واحد عمليتين أو ثلاثة في السنة سيكون المردود أن يذكر جهد سَرايا المُقاوَمة يومياً عدّة مرات مع من الوقت، وهذا ينكأ العدوّ ويحفز المُسلِمِين عَلى العمل، وهو المرجو من الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى أن يبارك في هذه الفكرة ويهيئ لها رجالها ويبارك في جهودنا جميعاً ويرينا هزيمة الأَعدَاء ويختم لنا بالشَّهَادة في سبيله.

****

الفصل الثامن

الباب السادس

﴿نظريَّة التّدريب في دعوة المُقاوَمة الإسْلاميّة العَالَمِيّة﴾

استعراض طرق التّدريب القديمة الّتي اعتمدها الجهاديّون في تجاربه السالفة:

على نفس طريقتنا آنفة الذّكر في استنباط النَّظريَّة المناسبة والطّرق النّاجحة بإذن الله، فإنّنا نستخلص نظريَّة تدريب سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة من خلال دراسة طرقه التّدريب الّتي اعتمدت في تجاربنا الجهاديّة السَّابقة وهي طرق قد تسنّى لي بفضل الله أن أعمل في معظمها عَلى مرّ السّنين الماضية متدرّباً ثمّ مدرّبًا، ثمّ مشرفًا عَلى التّدريب في برنامجنا الخاصّ في أيّام طالبان، وبنظرةٍ شاملةٍ نجدُ أنَّ التَّجَاربَ الجهاديّة قد استخدمت إحدى الطّرق التّالية:

١ - التّدريب السّرّي في البيوت.

٢ - التّدريب في المُعَسْكَرَات السِّرِّية الصّغيرة في مناطق العمل ذاتها.

٣ - التّدريب العَلنيّ برعاية دول الملاذات الآمنة.

٤ - التّدريب العَلنيّ في مُعَسْكَرَات الجبهات المَفتوحة.

٥ - التّدريب في مناطق الفوضى وعدم السَّيطرة.

ولنُلقِ الضَّوء بإيجازٍ عَلى سلبيَّات وإيجابيَّات كلّ طريقة من هذه الطّرق وأمثلة عن كلّ منها لاختيار الأسلوب الأمثل للتّدريب اليَوْم في ظروفِ عالمٍ ما بعدَ سِبتَمبر وأجواء مكافحةِ الإرهَابِ العَالَمِيّةِ.

** التّدريب السري في البيوت:

استعملت التَّنظِيمات الجهاديّة السرية هذه الطَّريقة في كافّة التَّجَارب الجهاديّة، بل يمكن القول أن هذه الطَّريقة هيَ الأساس في إعداد كافّة التَّنظِيمات والعِصَابات السرية في العالم، ورغم أنها لا تسمح إلا بالتّدريب عَلى الأَسْلِحة الشَّخصيَّة والخفيفة وبعض دُروس استخدام المتفجرات وأَسْلِحة المَرحَلَة الأولى

من حُرُوب العِصَابات، إلا أنها أثبتت فعاليتها جداً، حيث أن الأساس كما سنين في عمل العِصَابات هو الدافع المعنوي وإِرادَة القِتَال وليس زيادة المعرفة بأَسْلِحة لن يستخدمها المُجَاهد عمليا.

وفي هذه الطَّريقة يتعلم المتدربون فك وتركيب السّلاح واستعماله وكيفِيَّة الرمي عليه نظرياً، حيث يقومون بشيء من التطبيقات العمليّة والرمي المحدود في المناطق الخالية أو الكهوف أو حتَّى الأقبية المعزولة عن خروج الصوت داخل البيوت ذاتها، وكثيراً ما تكون الطلقات الأولى الّتي يرميها المتدربون هيَ في عمليَّة اشتباك حقيقي.

وقد استعمل المُجَاهدون في التَّجربة السوريّة الجهاديّة (١٩٧٥-١٩٨٢) هذه الطَّريقة وكانت ناجحة ومفيدة، وفعلاً تمكن بعض المُجَاهدون من قتل بعض المرتدّين وأعوانهم بَاطِلاق النار لأول مرّة، وطوروا إمكانيَّاتهم من خلال العمل الحي، وكانت تجربة فريدة، وقد حصل مثل ذلك في تجارب جهاديّة في بلدان أُخرى.

**** التّدريب في المُعَسْكَرَات السرية الصغيرة:**

وقد استعملت التَّنظِيمات الجهاديّة هذه الطَّريقة حيث أمكن أن تتوفر بعض المناطق الخالية في الجبال والغابات أو الأرياف الزراعية البعيدة حيث تكون الطَّريقة هيَ إخضاع مجموعات صغيرة محدودة العدد ولا تتجاوز السرية الصغيرة ٥ – ١٢ شخص، بحيث يتمكنون من إنشاء مُعَسْكَر متنقل في مناطق نائية معزولة ويجرون دورات مكثفة يمكن أن يطبق فيها بعض التكتيكات العسكريّة المتقدمة عن حُرُوب عِصَابات المدن والأرياف من الكمائن والإنجازات والتمارين الأخرى، مع تطبيق شيء من الرمايات المحدودة التفجيرات في مناطق قريبة من مقالع الأحجار ومصائد الأسماك بالمتفجرات وحيث يؤلف سماع صوت التفجير.. أو حتَّى داخل لكهوف بكميات صغيرة محدودة، وهي طريقة فعالة جداً وكافية لتخريج المُجَاهدين القادرين عَلى دخول معارك المَرحَلَة الأولى من حُرُوب العِصَابات ولاسيما المدنيّة.

**** التّدريب العَلنيّ برعاية دول الملاذات الآمنة:**

وقد كانت هذه الطَّريقة معتمدة جداً في عالم ما قبل انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، فقد تمكنت كثير من التَّنظِيمات الجهاديّة الاستفادة من هوامش التناقضات السّياسيّة ومحاور الصِّرَاع الإقليمية والدّولية

كما أسلفت في الفَصل السَّادس وأقامت مُعَسْكَرَات معلنة في دول معارضة لأنظمة الحكم الّتي خرجت عليها.. ومن تلك التَّجَارب تجربتنا الجهاديّة في سوريا فقد تمكن المُجَاهدون من الطليعة المقاتلة ومن الإخوان المُسلِمِين في سوريا من إقامة مُعَسْكَرَات متطورة في العراق قدم لهم فيها النّظام العراقي مساعدات عسكريّة ومنيفة ومادية كبيرة، وتخرج خلال الفترة ما بين (١٩٨٠- ١٩٨٣) دفعات كثيرة من المُجَاهدين الّذين أجروا الدَّورات العامّة والإختصاصية الّتي وصلت بمختلف صنوف الأَسْلِحة الأرضية حتَّى المتوسطة والثقيلة مادون الطائرات، كما حصل مثل ذلك بشكل محدود في الأردن بمعاونة نظام الملك حسين وإشراف أجهزة استخباراته، وقد بدأ مثل ذلك مع مصر حيث أجرى فريق متخصص من المُجَاهدين من سوريا تدريبات عالية المستوى عَلى عمليَّات عِصَابات المدن والعمليَّات الخاصّة بإشراف جهاز المخابرات العامّة في مصر إبَّان خلاف السادات الشهير مع سوريا وبعض الدّول العربيَّة أواسط ١٩٨١م وقد شهدت بنفسي هذه التَّجَارب في العراق ومصر وكانت مفيدة جداً وحصلنا فيها خبرات عالية.

وقد عمل بهذه الطَّريقة عملياً كافّة التَّنظِيمات الإِسْلَاميّة وغير الإِسْلَاميّة في البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة خلال الفترة الممتدة من مطلع الستينات وإلى أواسط التسعينات حيث انتهت كما أسلفت بقيام نظام التعامل الأمني بين الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة بإشراف أمريكا ومن تلك التَّجَارب..

عمل التَّنظِيمات الجهاديّة في سوريا مع عدد من دول الجوار وعمل التَّنظِيمات المعارضة لصدام ولاسيما من الشّيعة في سوريا وإيران ولبنان، وعمل معظم إن لم يكن كافّة التَّنظِيمات الفلسطينية في سوريا وإيران ولبنان والأردن والسُّودَان وغيرها.. وعمل تنظيمات لبنانية إسلاميّة وغيرها كذلك.. وتدرب بعض التَّنظِيمات المصريَّة في لبنان عند حزب الله والفلسطينيين وفي إيران وكذلك بعض المجموعات من شمال إفريقيا الغربيّة في الجَزَائِر وليبيا وبعض دول وسط إفريقيا والعكس.. بل بقدر موضوع الهوامش هذا إلى دخول منظمات عسكريّة عالميّة مثل (E.T.A) والجيش الجمهوريّ الأيرلندي (I.R.A) للتدريب وتلقي المدد من دول عربيَّة وشرق أوسطية، واستفاد حزب العمال الكردستاني التركي من سوريا ولبنان وشمال العراق، ونمت منظّمة مُجَاهدو خلق الإيرانيين وغيرهم في العراق.. وهكذا، والأمثلة كثيرة جداً.

وهذه الطَّريقة مهمة جداً ومفيدة حيث تكررت ظروفها، إذا تجنبت التَّنظِيمات السلبيات السّياسيّة والأمنيّة لمثل ذلك الانفتاح فإن فوائدها العسكريّة كبيرة.

التّدريب العَلنيّ في مُعَسْكَرَات الجبهات المفتوحة:

والتَّجَارب الشهيرة الأخيرة أشهر من أن تذكر تفاصيلها مثل ما حصل في أفغانستان أيّام الجِهَاد الأفغاني (١٩٨٦- ١٩٩٢)، وفي شوط الثّاني للأفغان العَرَب أيّام طالبان (١٩٩٦- ٢٠٠١) حيث تدرب خلال هذين الشوطين عشرات آلاف المُجَاهدين العَرَب والمُسلِمين، واستفاد من ذلك الهامش الرائع عشرات التَّنظِيمات الجهاديّة والعديد من التَّنظِيمات الإِسْلَاميّة حتَّى غير الجهاديّة، وكذلك حصل مثل ذلك بحجم أقل في الشِّيشَان، والبوسنة، كما حصل مثل ذلك في العديد من مُعَسْكَرَات الثورات والجبهات المفتوحة في الفيليبين والقرن الأفريقي وكشمير.. وسوى ذلك.

وقد كانَ التّدريب في تلك المُعَسْكَرَات هو أفضل مجالات التّدريب عَلى الإطلاق إذ تتكامل فيه وسائل التّدريب العسكريّة والتربَويّة بكامل مناحيها بشكل حر تماماً بدون التعرض الضغوط والتوجيهات الّتي تحصيل في مُعَسْكَرَات دول الملاذات الآمنة الّتي غالباً ما تفرض حُكُومَاتها بعض القيود السّياسيّة والفكريّة.

التّدريب شبه العَلنيّ في مناطق الفوضى وعدم السّيطرة:

قبيل انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد كانت مناطق الفوضى وعدم السّيطرة في العالم كثيرة ولاسيما في نطاق العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وخصوصاً في مناطق القبائل شبه المستقلة والمناطق النائية البعيدة عن سيطرة الحُكُومَات الضعيفة في بعض الدّول.. كمناطق القبائل في اليمن والصّومال والقرن الأفريقي وقبائل المناطق الحدودية في باكستان والحزام الطويل في دول الصَّحرَاء الكبرى في أفريقيا والممتدة من السُّودَان وإلى سواحل المحيط الأطلسي وقد أمكن وربما لا يزال ممكناً أن تستفيد العديد من المجموعات الجهاديّة المحليَّة وغير المحليَّة من هذه المناطق وتنشئ المُعَسْكَرَات شبه العلنية حيث توفرت الأجواء والسّلاح والذخيرة بتكاليف قليلة، ولكن أمريكا بعد سِبتَمبر وضعت عَلى أول أولوياتها السّيطرة عَلى هذه الفجوات غير المسيطر عليها، ولكن مع ذلك ما تزال كثير من الفجوات صالحة للإفادة.. ولاسيما للمجموعات المحليَّة أو القريبة من تلك البلاد.

وإذا أردنا أن نسجل الملاحظات عَلى عمليَّات التّدريب والإِعداد الّتي قام بها الجهاديّون خلال المَرحَلَة الماضية عبر هذه الآفاق الخمسة نوجزها باختصار بما يلي:

١ - التّدريب الداخلي: في البيوت والمُعَسْكَرات الداخليَّة المحدودة:

في تجارب تدريب البيوت كانَ مستوى الإِعداد العسكريّ منخفض نسبياً، ولكن المردود الأمني كانَ عالياً إذ يتم ذلك في ظروف من السرية والاحتياط الكبير به، وكذلك كانَ التّدريب المعنوي والفكريّ عالياً وانعكس عَلى مستوى العَقِيْدَة الجهاديّة ومستوى الفهم الفكريّ والسّياسيّ وأصول نظريَّة حُرُوب العِصَابات الجهاديّة، ولاسيما في مثل التَّجَارب الجهاديّة في سوريا ومصر وليبيا والجَزَائِر والمغرب وغيرها.. وأذكر لما كنت عضواً في جهاز التّدريب أثناء إقامتنا شبة السرية في الأردن إبَّان الثَّورة الجهاديّة عَلى النّظام السّوري (١٩٨٠- ١٩٨٢).. كنا ندرِّس سراً في البيوت المنتشرة للمُجَاهدين في عمان وغيرها من المدن الأردنية أكثر من خمسة عشر مادة عسكريّة وتربَويّة نظرياً.. ونجري فيها امتحانات للخلايا المختلفة، وبعدها تقوم بإرسال الّذين تجاوزوها للمُعَسْكَرات في بغداد في العراق حيث تجري لهم دورات مكثفة ومختصرة لأَنّهم انتهوا من التّدريب النَّظري، ويُستبقى من سيتخصص منهم في العمل العسكريّ للدورات التخصصية عَلى مختلف صنوف الأَسْلِحة بما فيها الدبابات.. وقد رأينا أن المواد الّتي يمكن أن تدرس في البيوت ليست قليلة وهامة جداً، وخاصة العقائدية فيها والفكريّة، وفي حال تمكن الخلايا من عمل مُعَسْكَرات محدودة ومتنقلة فإن الدّائرة العمليّة تكتمل وتحتل أفضل صور الإِعداد حتَّى وإن لم تصل إلى مستويات عسكريّة عالية، نظراً لعدم وجود سلبيات أمنيّة وسياسيّة كما في حالة الرحيل إلى مُعَسْكَرات التّدريب في الخارج.

٢- في تجارب المُعَسْكَرات الخارجيّة في مُعَسْكَرات الملاذات الآمنة في الدّول الأخرى:

سجلت إيجابية واضحة وهي المستويات العسكريّة العالية الّتي أمكن أن يحققها بعض الكوادر من خلال ما وفرته إمكانات الدّول وجُيُوشها وأجهزتها الأمنيّة من الإِعداد ومواده المتعددة والراقية ولكن كانَ هناك سلبيات خطيرة كشفتها التَّجَارب مع الوقت ومن ذلك:

- كشف الكثير من أسرار التَّنظِيمات وخباياها الشَّخصيَّة والمعلوماتية للدول المضيفة للمُعَسْكَرات، وقد شكلت هذه المعلومات أوراق للضغط والمساومة وصبغت في النهاية عَلى طاولة

التّعاون الأمني الإستخباراتي بين الدّول الّتي تبدل مواقفها بشكل ميكافيلي ومتواصل، وأثبتت التَّجَارب أن هذا كانَ مقتلاً استراتيجياً.

- مكنت هذه الطَّريقة الدّول المضيفة من اختراق التَّنظِيمات حتَّى الجهاديّة والإِسْلَاميّة مع الوقت، وكسبت لصالح العمل تحت إدارتها واستخباراتها بعض أعضاء هذه التَّنظِيمات ولا سيما عندما طال مكوث تلك التَّنظِيمات في الدّول المضيفة وصار لها هياكل سياسيّة وإعلاميَّة وعسكريّة كما في التَّجربة الجِهَاد السوريّة، أثناء توجد قياداتها في العراق والأردن وكذلك غيرها.. ومع الوقت استطاعت تلك الدّول التدخل في شؤون الجماعات وفرض إرادتها لتصبح أوراق سياسيّة إقليمية في يدها اضطراراً حيث اتبعت تلك الدّول سياسة الإغراق والاستيعاب المالي كما سنشير لذلك في باب التّمويل.

- شكلت عمليَّة الرحيل إلى مُعَسْكَرَات الملاذات الآمنة المجاورة غالباً مقتلاً أمنيّاً بسبب تحرك العناصر المُجَاهدة وسفرها إلى هناك وكانت مصائد أمنيّة لأجهزة الاستخبارات اليقظة في مثل تلك الحالات حيث استطاعت في كثير من الحالات زرع عملاء لها في تلك المُعَسْكَرَات والأوساط المفتوحة الّتي غالباً ما تنساق للحركة العلنية وتترك ما هيَ عليه من الاستنفار الأمني وخاصة مع تطاول الوقت وتحول رحيل العناصر من هدف التّدريب والعودة إلى حجم المعارضات الّتي تهاجر للاستقرار وتفرغ ساحة الجِهَاد ذاتها.

٣ - مُعَسْكَرَات الجبهات المفتوحة:

والصُّورة النموذجية لهذه الحالة هيَ مُعَسْكَرَات أفغانستان في الشوطين العربيين الأوّل أيّام الرُّوس والثّاني أيّام طالبان، وكذلك مُعَسْكَرَات البوسنة إلى حد ما، في حين لم تشكل الشِّيشَان ساحة تدريب واستقطاب للتنظيمات والعناصر الراغبين في ذلك وإنما كانت ساحة قتال وجِهَاد وعمل مباشر كون كوادر ميدانية راقية المستوى.

وقد كانت إيجابيات هذه التَّجَارب (كبيرة جدا) من حيث النقطة الّتي نحن بصددها وهي موضوع التّدريب والإِعداد وخاصة في المستويات العسكريّة الّتي وفرتها، وأما سلبياته فبالإمكان إيجاز أهمّها بما يلي:

* ضياع فرصة التّربية المنهجيّة نتيجة كثرة التّنظِيمات والساحات والتجاذبات والتنافس الّذي لم يكن منضبطاً شَرعاً ولا عقلا في كثير من الأحوال وهذا قد سبقت الإشارة إليه.

* مشكلة التكاليف الباهظة لقدوم المتدربين من أقاصي العالم إلى ساحة التّدريب، (تكاليف السفر والإقامة..).

* مشكلة الاحتراق الأمن حيث يشكل الحصول عَلى الفيزا من سفارات الدّول المجاورة ولاسيما باكستان والعبور والحركة العلنية، والانتشار السهل للجواسيس والعملاء لكافة أشكال أجهزة الاستخبارات، مع حركة علنية بشكل كامل للمتواجدين، والإشكالات الأمنيّة الّتي ترتبت عَلى عودتهم وانتشارهم وتعامل العالم بأسره معهم تجاوباً مع حملات مكافحة الإِرهَاب بصفتهم إرهابيين مفترضين، وتكبد شرائح كثيرة منهم خسائر وأضرار قادحة دون أن تقوم بأي مردود جهاديّ يبرر ذلك العناء.

٤- مُعَسْكَرَات مناطق الفوضى:

.. فلم يرج استخدامها كثيراً في المَرحَلَة الماضية بشكل رئيس وإيجابيات وسلبياتها قريبة من طريقة المُعَسْكَرَات السرية الصغيرة مع فارق التكاليف المادية العالية للذهاب إليها..

هذه باختصار واستعراض سريع أهمّ سلبيات وإيجابيات أساليب التّدريب في عالم ما قبل سِبتَمبر والحملات الأمريكيّة الحالية عَلى العالم الإِسْلَاميّ.

أما اليَوْم فيبدو تلقائياً من خلال مسار الحملات إلغاء معظم تلك الأساليب بإلغاء الهوامش الّتي أتاحتها..

فلم يعد ممكناً ولا عملياً في الظّروف الحالية إقامة الجبهات المفتوحة، ولا عاد ممكنا الدّول أن تفتح الملاذات والمُعَسْكَرَات للإسلاميين والجهاديّين.. وتوشك مناطق الفوضى أن تكون تحت السّيطرة الأمريكيّة وتغلق كما في مناطق وقبائل اليمن ومناطق قبائل سرحد شمال غرب أفغانستان.. والحزام الصحراوي وسط أفريقيا وغيرها..

وهكذا يبدو واضِحاً أن الطّريقة الوحيدة الّتي بقيت ممكنة لنا الآن، في عالم الهجمة الأمريكيّة والتنسيق الدّولي لمكافحة الإِرهَاب هيَ أساليب التّدريب السري في البيوت والمُعَسْكَرَات المتنقلة.

والفرص الخاضعة لأساليب السرية بل شديدة السرية في هذه الظّروف بالغة الشدة والقسوة، وهو ما سنحاول أن نضع له بعض الآفاق والشرح لمساعدة سَرايا المُقاوَمة وغيرها من المُجَاهدين في كلّ مكان عَلى تدريب نفسها وإعداد قوَّاتها لإرهاب أعداء الله من الأمريكان والصهاينة وحلفائهم.

ولكن قبل الانتقال لصلب الموضوع وهو لب الفقرة أساليب تدريب سَرايا المُقاوَمة، أعرض لجملة من المفاهيم والنقاط الّتي تساعد عَلى استخلاص وفهم الفقرة الأساسيّة وهي طرق التّدريب اللازمة لنا الآن.

مفهوم الإعداد وسببه وهدفه:

الإعداد: هو الإلمام بمجموعة من المعارف والعلوم والإمكانيَّات المعرفية والبدنية من أجل أداء مهمة الجِهَاد وهو القِتَال في سبيل الله وقد لحضت مفاهيمه ووسائله وأهدافه الآيتان الكريمتان التاليتان، وفصلت في ذلك كثير من نصوص السنة القولية والفعلية الّتي يستأهل أن يفرد لها كتاب مفرد، ولكنا هنا بصدد الإيجاز، وهاتين الآيتين هما قوله تَعَالَى ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ۝٦٠﴾ [الأنفال] وفي الآية ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ۝٤٦﴾ [التوبة] ولنذكر بعض الفوائد الّتي تشير إليها هذه الآيات:

فأما آية الأنفال فإنها:

١- تقرر أن الإعداد عَلى قدر الاستطاعة وليس فوق الاستطاعة وهو التكليف الشَّرعيّ فكل مسلم يعد طاقته وسلاحه بحسب قدرته.

٢- القوّة ورباط الخيل: وهذا كلام جامع يشير إلى كلّ أسباب السّلاح وآلات الحَرب ووسائل الحركة والنقل وقد بينها رسول الله ﷺ في حديثه فقال: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ» يُكرِّرُها ثلاثَ مَرَّات[1].

وقد أوصى القرآن كلّ المُسلِمين بحيازة السّلاح وعدم الغفلة عنه فقال: ﴿وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ۝١٠٢﴾ [النساء]

(١) رواه مسلم (١٩١٧).

٣ - بينت الآية أن الفرض من الإعداد ليس مجرد حيازة المعرفة والرِّيَاضة وغير ذلك مما شاع مؤخراً من الإعداد كسياحة بغير قصد الجِهَاد، وإنما الإعداد لهدف محدد.. ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾الآية وهذا سبقت الإشارة له.

٤ - ثمّ أشارت الآية إشارة لطيفة بعد الأمر بالإعداد وحيازة السّلاح وآلة الحَرب إلى الإنفاق لعلم الله بتكاليف ذلك وقصور ذات يد غالب المريدين للجِهَاد عنه.. فأمرت الآية وختمت بالأمر بالإنفاق ووعدت بجزيل الأجر والعطاء من الله عليه..

وأما آية التوبة:

ففيها إشارات عظيمة وفقه عظيم لعلاقة الإعداد بالإيمان وعلاقته بالجِهَاد العملي ومن لطائف ذلك:

أن الآية تكلمت عن المُنَافِقين وزعمهم إرادَة الجِهَاد بعد أن تحدثت الآيات السَّابقة عن علاقة المُؤمِنين وأنهم يجاهدون بأموالهم وأنفسهم ولا يستأذنون للفرار كما يفعل المنافقون الّذين ارتابت قلوبهم واستأذنوا فراراً (ولذلك سميت سورة التوبة بالفاضحة للمنافقين)، وهنا تأت الآية الّتي نحن بصددها لتقرر أن من علامات نفاق المُنَافِقين إعراضهم عن الإعداد للقتال والجِهَاد وتقول عنهم ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ﴾ أي لو صدقت عزيمتهم عَلى القِتَال والخروج إليه ﴿لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ﴾ [التوبة: ٤٦]، أي لأعدوا للقتال ما يلزمهم وفق وسعهم وقدر استطاعتهم، وقررت أن الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى قد كره انبعاثهم للجِهَاد وثبطهم عنه لعلمه بحالهم، فأقعدهم رأفة بالمُجَاهدين، لأن خروج هَؤُلَاءِ خبال وأذى.

ولنعد لموضوعنا وهو علاقة الجِهَاد بالإعداد فالآية تشير إلى أن مراحل ذلك هو في قوله تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ۝٤٦﴾[التوبة] وما نفهمه من إشارات الآية أن مراحل ذلك هيَ ثلاث مراحل:

(إرادَة).. فـ (إعداد).. فـ (انبعاث)..

وهذا الترتيب الحَركيّ والمنطقي يختصر آلية العمل في فعل الجِهَاد والمُقاوَمة.

١ – الإرادَة: إرادَة القِتَال مقدمة للإعداد ثمّ الجِهَاد:

أجمعت كلّ المدارس العسكريّة عَلى أن **إرادَة القِتَال** و**الرّوح المعنوية للمقاتل** هيَ الأساس في الانتصار وحسن الأداء، والإرادَة أساس في كلّ عمل وكل وجه من أوجه النَّشَاط الإنساني كله.

فمن يبتغي الطعام أو الشراب أو الزواج أو التجارة أو السفر أو أي أمر، يجب أن يبتدئ ذلك عنده بالإرادَة الصادقة، وعلامة صدق تلك الإرادَة هيَ التّحرّك للإعداد اللازم لذلك العزم...

وفي حالتنا وهو الجِهَاد.. فإن الإعداد هو ثمرة الإرادَة الصادقة، وبعد أن تصدق الإرادَة والعزم يتحرك المرء للإعداد بحسب الاستطاعة ولإرهاب عدو الله وعدو المُسلِمِين.. وبعد الإعداد يحصل الانبعاث للقتال.. هذا إن صدق العزم وأعد المستطاع وتحرك الفرد منبعثاً ما لم يثبطه الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى لخباله وهوانه نسأل الله العافية والثّبات– وما لم يسلط عليه شيطان ونزعات نفسه من جبن وخور وقعود باعثه باختصار كما قَالَ ﷺ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ المُوْتِ».

إن هذه الإرادَة القتاليّة الّتي توجد الحافز للإعداد والنَّشَاط له إذا كانت هامة جداً وأساساً للجندي النّظامي، فهي أساس حركة مقاتل حُرُوب العِصَابات عامة والمُقاوَمة الجهاديّة خاصّة، بل هيَ سلاحه الأساسي الّذي يحركه بها استطاع حتَّى بالأَسْلِحة المدنيّة إن لم يجد سواها.

ظاهرة غريبة في دنيا الإِعداد المعاصر للجِهَاد:

لطالما أشرت لهذه الظَّاهِرة الغريبة، وأحببت أن نصححها ونصلح عوجها لأثرها السلبي الخطير عَلى الأُمّة.. فالمعروف في دنيا القاعدين والمُنَافِقين والفارين من الجِهَاد أنهم لا يعدون كما ذكرت الآية.. لو أرادوا الجِهَاد والانبعاث لأعدوا، ولكنهم ما أرادوا فلم يعدوا وبالتالي لم يجاهدوا..

ولكن لفت نظري خاصّة في تجربتنا الجهاديّة العظيمة في أفغانستان بشوطيها الأوّل والثّاني قدوم عشرات الآلاف من الشَّبَاب للإعداد في المُعَسْكَرَات وليس بغية الجِهَاد !! وإنما يصرحون صراحة بأنهم جاؤوا من أجل فريضة الإعداد!! وقد عاد هَؤُلَاءِ العشرات الآلاف إلى بلادهم متخمين بالدّورات العسكريّة الّتي أجروها وتعلموا خلالها استخدام مختلف أنواع الأَسْلِحة وتكتيكات القِتَال.. ومنذ ذلك الوقت عصفت بالأُمّة أحداث عظام مثل نزول القوّات الأمريكيّة والحليفة في جَزِيرَة العَرَب.. ثمّ احتلال أفغانستان ثمّ احتلال العراق وبين ذلك وقبله نزيف الدَّم في فِلَسطِين.. فضلاً عن استمرار

الحكّام المرتدّين بسلسلة مآسيهم وخياناتهم وظلم عملائهم.. ولم يبدوا من الغالبة السَّاحقَة لأولئك الّذين أعدوا ولم ينبعثوا حراك بل غطسوا في سكون عجيب..

وهنا يظهر لنا حالة جديدة في سلسلة تناقضات الأُمّة المعاصرة ومظاهر سقوطها وانهيارها وهو **ظاهرة من أعدوا ولكنهم لم يريدوا الانبعاث، لقد أرادوا الإِعداد وهم ينوون عدم الجِهَاد، لقد أرادوا القعود مع سبق الإصرار والترصد !**

ولست هنا بصدد أسباب ذلك وقد مر طرف كثير من أسبابها، ولكن أذكرها هنا لعلاقتها بالإِعداد وهو الإِعداد الفارغ دون فائدة الّذي لا يشكل إلا حجة عَلى صاحبه بالعقود عن خبرة، والعجز عن قوة.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أَسْلِحة المُقاوَمة والعِصَابات الجهاديّة:

أشرت في تسجيلات ومحاضرات سابقة إلى أسس حُرُوب العِصَابات ومراحلها وأسلحتها وأساليبها العسكريّة والسّياسيّة ونحن هنا بصدد موضوع التّدريب عَلى موضوع أَسْلِحة المُقاوَمة للتركيز عليها واعتماد أساليب من التّدريب بقدر الحاجة وبحسب مقتضيات الظّروف الحالية فكما تنقسم حُرُوب العِصَابات نظرياً بحسب التَّجَارب العَالَمِيّة المختلفة وبحسب كتَّاب هذا الفن إلى ثلاث مراحل، تختلف أَسْلِحة كلّ مرحلة من تلك المراحل وهذه المراحل بشكل رئيس هيَ:

المَرحَلَة الأولى: وتدعي مرحلة الإنهاك.

وهي مرحلة العِصَابات الصغيرة وحُرُوب الإِرهَاب المحدود حيث تعتمد العِصَابات الصغيرة العدد والحجم أسلوب الاغتيالات والإغارات والكمائن الصغيرة وأعمال المتفجرات المنتقاة لإرباك العدوّ سواءً كانَ سلطة استعماريّة أو حكومة استبدادية وذلك لإيصاله إلى حالة الإنهاك الأمني والإرباك السّياسيّ والإجِهَاد الاقتصاديّ.

المَرحَلَة الثّانية: وتدعي مرحلة التوازن.

وتنتقل فيها العِصَابات إلى مرحلة الهجمات الاستراتيجيّة الكبيرة وتجبر القوَّات النّظامية عَلى دخول معارك حاسمة قد تؤدي إلى تفكيك بعض قطعاتها والتحاق جزء من كوادرها وضباطها وعناصرها بقوَّات العِصَابات، ولكن دون الوصول إلى حال المواجهات المكشوفة إذ تبقى الإغارة

والكمين هيَ الأساس في عمليَّات العِصَابات وإن يشكل أوسع، وقد تقوم العِصَابات في هذه المَرحَلَة بعمليَّات سيطرة مؤقتة عَلى بعض المناطق لتحقيق أهداف هامة عسكريّة أو إعلاميَّة وسياسيّة ولكنها لا تتمركز.

المَرحَلَة الثّالثة: وتسمى مرحلة الحسم أو التحرير.

وفي هذه المَرحَلَة تدخل العِصَابات عمليَّات شبه نظامية وأخرى نظامية وتسيطر عَلى بعض المناطق وتنطلق فيها في عمليَّة تحرير لباقي رقعة البلد، وذلك بعد أن تكون قطعات من الجيش النّظامي قد التحقت بالثوار أو رجال العِصَابات وصار لديها القدرة التكتيكية والتسليحية عَلى دخول معارك المُوَاجَهة حيث تبقى للعِصَابات الصغيرة أهمية في العمل خلف الخطوط العدوّ في إرباك قوّاته بتكتيكات العِصَابات..

هذه النبذة المختصرة جداً عن مراحل عمل العِصَابات عموماً، تعطينا فكرة عن أَسْلِحة كلّ مرحلة.. وقد تحدثت كتب حُرُوب العِصَابات عن ذلك، وباختصار فإن:

**** أَسْلِحة المَرحَلَة الأولى:**

وهي الأَسْلِحة البدائية والأَسْلِحة الفرديَّة مثل المسدسات والرشاشات الخفيفة والمتوسطة كحد أبعد، والقاذفات الخفيفة المضادة للآليات مثل R.P.G وما يعادلها، والقنابل اليدوية وسلاح المتفجرات الشعبيَّة والعسكريّة.

**** أَسْلِحة المَرحَلَة الثّانية:**

و تدخل فيها الرشاشات المتوسطة والثقيلة الّتي تحتاج لأكثر من شخص أو التّحرّك عَلى آليات وبعض المدافع المتوسطة ولاسيما الهاون وكذلك سلاح الألغام المتنوعة، وبعض الصواريخ أرض أرض قصيرة المدى سهلة الحركة بالإضافة لسلاح المتفجرات الّذي يتطور استعماله في هذه المَرحَلَة لمرحلة الفرق الهندسية المختصة في الاستخدام الهندسي للمتفجرات والألغام.

**** المَرحَلَة الثّالثة:**

ويدخل فيها باقي أَسْلِحة الجيش بكافة صنوفها الأخرى بعد أن تدخل في عمليَّة الثَّورة ومُوَاجَهة القطعات النّظامية العسكريّة المتفككة لصالح العِصَابات.

ومن هنا ومن خلال هذه المقدِّمة، نجد أنفسنا في ظل الوضع الحالي وبما يتناسب مع نظريَّة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة في أهدافها السّياسيّة والعسكريّة أمام المَرحَلَة الأولى الآن وحاجتنا الآن وإلى أمد ليس بقصير هو لأَسْلِحة المُقاوَمة والعِصَابات الجهاديّة في مرحلتها الأولى وخاصة فيما يتعلق بسَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الشعبيَّة والبسيطة والَّتي تعتمد حرب الإنهاك ضدّ القوَّات الأمريكيّة وحلفائها الخارجين وعملائها المحليين كما بينت ذلك في البَاب الثّاني (السّياسيّ) والثّالث (العسكريّ) أما في المناطق الّتي نضطر فيها للمُوَاجَهة بعمليَّات شبه مكشوفة كما يحصل الآن في العراق وأفغانستان وأطراف قبائل سرحد فهذا يدعونا إلى تطوير أَسْلِحة المَرحَلَة الثّانية.

ولكن في ظل استراتيجية العدوّ الحالية الطَّاغية جوياً وبرياً وبحرياً وفي ظل استراتيجيتنا تبعا لذلك واضطرارنا لخوض ما يسمي بحُرُوب العِصَابات أو حُرُوب المستضعفين فإن حاجتنا للتدريب تتلخص في عنوانين:

(١) - اعتماد أسلوب تدريب البيوت السرية والمُعَسْكَرَات الصغيرة السرية المتنقلة.

(٢) - اقتصار التّدريب عَلى أَسْلِحة المَرحَلَة الأولى أساساً وأَسْلِحة المَرحَلَة الثّانية في بعض الساحات المناسبة لذلك كأفغانستان والعراق وما شابهها.

وتفصيل ذلك هو الفقرة التّالية:

تدريب سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة: الأسلوب والأَسْلِحة:

تقوم نظريتنا في التّدريب عَلى الأسس التّالية:

١ - التركيز عَلى الإِعداد العقدي والفكريّ وتنمية إِرادَة القِتَال والروح المعنوية.

٢- التركيز عَلى فهم نظريَّة حرب العِصَابات الجهاديّة أو ما يدعى بحرب المستضعفين.

٣- نشر مناهج التّدريب الفكريّة والنَّظريَّة والعسكريّة في الأُمّة بشتى الوسائل.

٤- اعتماد أسلوب تدريب البيوت السرية والمُعَسْكَرَات والمحدودة المتنقلة.

٥- تطوير الكفاءة القتاليّة من خلال العمل الجهاديّ والانخراط في المَعْرَكة.

ولنلق بشيء من التفصيل الضوء عَلى مناحي هذه الاستراتيجيّة في الإِعداد والتّدريب.

أما موضوع الإِعداد العقدي وترسيخ مبادئ العَقِيْدَة الإِسْلَامية عامة والعَقِيْدَة الجهادية خاصّة كأساس في عمليَّة المُقاوَمة لإيجاد المقاوم المُجَاهد العقائدي ورفع مستوى حرارة المناخ العام في الأُمّة إلى مستوى الجِهَاد والثَّورة عَلى الظَّالمين وأعوانهم، فقد مر ذكره بإسهاب في فقرات كثيرة في هذه السلسلة.

فقط أشير هنا إلى أن ذلك يجب أن يكون بأسلوب منهجي ويجب أن يكون ذلك من خلال جهد تقوم به كلّ سرية مهما صغرت أو كبرت بإشراف أميرها، بإعداد عناصرها وكوادرها إعداداً منهجياً بتوفير الأبحاث والكتب والمطالعات الإلزامية لهم بحسب مستوى فهمهم وقدراتهم عَلى الاستيعاب.

وقد وفرت في سلسلة رسائل المُقاوَمة هذه كماً لا بأس به من الأسس المنهجيّة، وأنصح بمعظم كتابات شهيدنا الإمَام عبدالله عزام رحمه الله فقد ترك تراثاً عظيماً لم يعرف قدره إلى الآن، بالإضافة للاستعانة بكتب المكتبة الإِسْلَاميّة التراثية والمعاصرة مما يعين عَلى رفع إرادَة القِتَال والتّحريض عليه وعلى بصيرة وعلم كما أسلفت في رسالة نظريَّة التّربية المُتكامِلة.

كما يجب التركيز عَلى فهم نظريَّة حرب العِصَابات عامة وأصول حُرُوب العِصَابات الجهاديّة خاصّة وذلك من خلال مذكرات منهجيّة (سأحاول توفير خلاصات عنها) ملحقة بهذه السلسة أن شاء الله وكذلك من خلال المكتب والمراجع العسكريّة الّتي تحدثت عن ذلك، وقد سبق أن سجلت خلال مرحلة الجِهَاد الأفغاني بشوطين سلسلة من المحاضرات في هذا الفن هيَ خُلاصة كتب ومطالعات كثيرة وفق الله لها وسجلت خلاصتها في تلك المحاضرات وأذكرها هنا لأهميتها وهي

- (دُروس في حرب العِصَابات) شريطين كاسيت في ثلاث ساعات.
- (إدارة وتنظيم حرب العِصَابات) ٦ أشرطة كاسيت في نحو ٩ ساعات.
- ثمّ البحث والكورس المطول والهام جداً وهو: (شرح كتاب حرب المستضعفين) وهو من أهمّ كتب حُرُوب العِصَابات المترجمة وقد شرحته في ٣٦ شريط كاسيت ربما في نحوه ٢٥ ساعة..

وسأحاول إن وفقني الله تَعَالَى وكان في العمر بقية أن أفرغ تلك التسجيلات وأحولها إلى كتاب بعنوان أصول حرب العِصَابات الجهاديّة في ضوء ظروف الحملات الأمريكيّة المعاصرة، فإن لم يقدر لي ذلك فأرجو أن يوفق الله من يستطيع ذلك إلى تفريغ الأشرطة كما هيَ وصياغتها بلغة الكتابة مع التدقيق

الشديد في المحافظة عَلى محتواها دونما إضافات أو تعليقات.. وأسأل الله أن ينفع بها ويكتب لي أجرها، وهذا الفن الهام جداً من العلوم العسكريّة قل من كتب فيه في المكتبة العربيَّة عموماً ولا أعرف في المكتبة الإِسْلَاميّة والجهاديّة كتابات مهمة فيه أو لم أطلع بالأحرى عَلى مثل ذلك رغم بحثي عنه.. وأرجو أن أكون قد سددت بتلك المحاضرات والكتب المنبثقة عنها إن تمَّ ذلك بعون الله ثغرة مهمة.

أما عن هذه الفقرة فهي من أهمّ مرتكزات التّدريب في دعوتنا الجهاديّة للمقاومة، وهي نشر ثقافة الإِعداد والتّدريب وبَرَامجها ومناهجها بكل مناحيها عبر كافّة وسائل النشر ولاسيما الإنترنت وتوزيع الأقراص الإلكترونية والإرسال المباشر والتسجيلات وبكل وسيلة.

أساليب تدريب سَرايا المُقاوَمة في ظل الحملات الأمريكيّة:

أظن أنه وإلى وقت لا أعتقد أنه سيكون قصيراً.. لن يمكن والله أعلم إنشاء المُعَسْكَرَات المفتوحة عَلى غرار ما عملناً في العقد الأخير، فالظروف الأمنيّة قد تغيرت جداً، ناهيك أن المُعَسْكَرَات والجبهات مهما اتسعت لن تستطيع استيعاب الأُمّة المليارية وشبابها المُجَاهد الّذي سيكون قريباً بالملايين إن شاء الله، لن يمكن استيعابهم في مُعَسْكَرَات ويجب أن تحافظ سَرايا المُقاوَمة عَلى سريتها وسرية حركتها بكاملها، ومن ذلك التّدريب والإِعداد ولذلك فعلى عكس ما كانت عليه نظريَّة التّدريب في الأوساط الجهاديّة خلال العقدية الأخيرين والّتي قامت عَلى دعوة الأُمّة للمُعَسْكَرَات، تقوم نظريَّة التّدريب في دعوتنا للمقاومة عَلى نقل المُعَسْكَرَات إلى داخل الأُمّة.

يجب نقل التّدريب إلى كلّ بيت وكل حي وكل قرية في بلاد المُسلِمِين.. وذلك بنشر المناهج وتفاصيلها ولاسيما العسكريّة.. ودروس استخدام الأسْلِحة وتكتيكات القِتَال في عمليَّة عسكرة شاملة لشباب الأمّة الإِسْلَاميّة ورجالها، وحتى نسائها وأطفالها.

فالقضية جد منطقية ؛ لا يمكن حشد الأمّة في مُعَسْكَرَات ولكن بالإمكان زرع المُعَسْكَرَات في أنحاء الأمّة في كلّ بيوتها وأحيائها.

هذا إذا أردنا أن نحقق شعارنا في المُوَاجَهة وهو: (**المُقاوَمة معركة الأُمّة وليست صراعات النُّخبَة**)

يجب استعمال أسلوب تدريب البيوت والمُعَسْكَرَات المحدودة المتنقلة كما أسلفت، فأَسْلِحة المُقَاوَمة الشعبيَّة وأَسْلِحة حرب العِصَابات الجهاديّة المدنيّة في مرحلة الإنهاك والإرباك بالإِرهَاب أَسْلِحة بسيطة.. مسدس ر شاش.. قنبلة يدوية.. قاذف صواريخ.. متفجرات.. هيَ أَسْلِحة بسيطة والتّدريب عليها جد بسيط ويجب عَلى من سبق له معرفة بهذه الأَسْلِحة وتلقي شيئاً من التّدريب أن يدرب من حوله وستساعد البَرَامج المنشورة المبسطة عَلى ذلك جداً.

* ولكن يجب أن يكون هناك حذر شديد في موضوع المتفجرات وقصر التّدريب عليها في البيوت نظرياً والخروج لخارج المناطق السكينة للتعامل مع مكوّناتها ولو البسيطة تفادياً للخسائر الناجمة عن الحوادث ولما يترتب عَلى ذلك من الكشف الأمني.

* وأما عمليَّة الرماية والتطبيق فتكون عن طريق إيجاد المواقع اللازمة والظروف المناسبة في الكهوف.. والجبال الخالية.. الغابات الواسعة.. الصحاري.. الخ، مع الإحتياطات الأمنيّة الشديدة ووضع نقاط إنذار أثناء العمل عَلى مسافات كبيرة.

* لقد أصبح اعتماد هذا الأسلوب ملحاً جداً في عالم ما بعد سِبتَمبر، وقد تنبهت لهذا الأمر في الحقيقة قبل ذلك بفترة، وحاولت أن أشيع هذه الملاحظة في أوساط المُجَاهدين العَرَب في أفغانستان أيّام طالبان بعد استهداف صواريخ الكروز لمُعَسْكَرَات القَاعِدَة في أفغانستان صيف ١٩٩٨م، والدقة الّتي لاحظتها في الاستهداف، والكثافة في الرماية حيث نزل عَلى الأهداف ٧٥ صاروخ كروز خلال دقائق محدودة استطاعت فيها أمريكا أن تضع صاروخاً في كلّ غرفة من غرف لمُعَسْكَرَات.. وقد حادثت العديد من إخواننا آنذاك بأن زمن المُعَسْكَرَات الثَّابِتة بهذه الحادثة قد ولى، وأن علينا اعتماد أسلوب تدريب البيوت و(مُعَسْكَرَات المُجَاهدين الرُحَل) كما أسميتها.. بيوت من الشعر وسيارتين وعدة عناصر ومخيم في الفيافي والقفار يطبق البرنامج ويمشي.. ويأتي غيره لمكان آخر وهكذا.. ولكن الأوساط العربيَّة كانت تعتمد أسلوب الدعاية والحشد ودعوة الأُمّة للمُعَسْكَرَات ولم تتنبه في عمومها إلى عصر الأقمار الصناعية والتصويب بعيد المدى.. وكان أمر الله قدراً مقدورا.. أما الآن فأرى أن انتشار المعرفة بمجربات الحَرب وأسلحتها يجعل الجميع يقتنع بالبحث عن وسائل بديله وما أرها إلا الحَرب السرية في كلّ شيء تدريساً وتدريباً وتنفيذاً.. طالما أن التكنولوجيا الحديثة الأمريكيّة تهمين عَلى الفضاء والأجواء.. وسأعطي في

نهاية هذه الرّسالة (فكرة عن بَرَامج مثل هذا التّدريب في دورات البيوت السرية والمُعَسْكَرَات المُجَاهدين الرُحَل).

* أما تطوير الكفاءة القتاليّة من خلال العمل المباشر والانخراط في المَعْرَكة فقد رأينا نجاعته عملياً من خلال ما تمَّ من التَّجَارب الجهاديّة في بعض البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة ومنها التَّجربة السوريّة، وكذلك في تجربة أفغانستان في مرحلتها.

فقد كانت السَرايا الأولى من المُجَاهدين في الطليعة المقاتلة للإخوان المُسلِمِين في سوريا تعتمد الأسلوب التّالي في التّدريب المنزلي والتطبيق في ميدان المَعْرَكة المُوَاجَهة كما يلي:

– أنقسم التَّنظِيم إلى عناصر كامنة غير مكشوفة وغير مطلوبة للنظام وإلى قسم آخر من المطلوبين الّذين يختفون في قواعد مدنيّة في مخابئ في البيوت.

– كانَ القسم الكامن غير المكشوف يعمل في مهام الاستطلاع وجمع المعلومات والأموال والتجنيد وبعض عمليَّات الإسناد وللعمليَّات.

– أما العناصر المكشوفة فكانت تقوم بالمهام العسكريّة الأساسيّة الّتي كانَ معظمها عمليَّات اغتيال أو كمائن محدودة لدوريات الأمن أو مهاجمة لبعض مراكز الحكومة الإستخبارات.

– كانَ التّدريب يجري في البيوت عَلى فك وتركيب الأَسْلِحة البسيطة الّتي كانت عبارة عن المسدسات في الغالب وبعض الرشاشات الخفيفة وخاصة الكلاشينكوف بالإضافة لبعض القنابل اليدوية، وكانت تتم بعض عمليَّات الرماية المحدودة أحياناً في البساتين والمناطق المعزولة، وأشرف عَلى التّدريب من كانَ لهم خبرات سابقة تلقوها في التّدريب مع المنظمات الفلسطينية ولاسيما مُعَسْكَرَات الإِسْلَاميّة سنة ١٩٦٩م، أو من كانَ قد خدم في بعض أجهزة الحكومة العسكريّة.

– كانَ العنصر غير المدرب يخرج في عمليَّة أولى بصفة مراقب فقط يشاهد تنفيذها مع النّاس، وفي المَرحَلَة الثّانية يخرج مسلح كعنصر إسناد لا يتدخل إلا للضرورة، وفي المَرحَلَة الثّالثة يخرج منفذ ويسنده عناصر مدربه قديمة، وبعدها ينخرط في التّدريب والمشاركة الميدانية معاً.

- وهكذا تطورت الخبرات من خلال المَعْرَكة، ثمّ بعد ذلك بدأ إرسال بعض العناصر ليتلقوا التّدريب في العراق اعتباراً من سنة ١٩٨١م وعادوا لتدخل بعض الأَسْلِحة المتوسطة كالرشاشات وقذائف الصواريخ المضادة للدروع والهاون الخفيف وال متفجرات.

- كانت بعض المُعَسْكَرَات التّدريبية تجري حتَّى قبل انطلاق الجِهَاد بقليل أثنائه من خلال المخيمات والكشفية وبغطاء رحلات الشَّبَاب حيث تمَّ التّدريب عَلَى اللياقة البدنية والتكتيكات العسكريّة بدون سلاح، ويبقى استخدام السّلاح لبعض الحالات المحدودة.. وقد خرَّجت هذه الطَّريقة كوادر ممتازة أدت أداءً حسناً وكان العامل الأساسي في ذلك هو إِرادَة القِتَال العالية جداً، والإِعداد المعنوي، وقد سمعت عن شبيه بهذه التَّجَارب في التّدريب في البيوت والرمايات في مُعَسْكَرَات محليَّة في المناطق المعزولة من قبل ما حصل في مصر وليبيا والجَزَائِر والمغرب وسواها..

* أما في تجربة أفغانستان فقد كانَ الأساس هو إخضاع العناصر لدوارات تدريبية جيدة قبل انتقالها لخطوط الجبهات، ولكني شهدت العديد من الحالات ودورات التّدريب من خلال المَعْرَكة واختلاط التّدريب بالجِهَاد الفعلي وكانت تجارب ممتازة، فقد شهدتُ ذات مرّة دورة عَلَى استعمال مدافع الهاون تمت في الجبهة مباشرة، أثناء الجِهَاد ضدّ الرُّوس والشُّيُوعِيّين، فقد شرح لنا المدرب (أبو همام المصري رحمه الله) دروساً نظريَّة عَلَى المدفع لمدة يومين، ثمّ تمَّ التطبيق الفعلي بالرمي الحي عَلَى أهداف معادية، حيث ردت علينا تلك الأهداف بالقصف المماثل.. وعلى مدى ثلاثة أو أربع أيّام عاش المتدربون أجواءً حيةً ممتازة للتدريب والقتال في آن واحد.

فالتّدريب الميداني الفعلي من خلال المَعْرَكة ممكن وفعال وله نكهة خاصّة وفاعلية مختلفة، إذا توفر بعض العناصر المدربة الّتي تشرف عَلَى التّدريب.. وأعود للقول بأني رأيت عملياً ومن خلال عملي كمدرب في أثناء تواجدنا في العراق والأردن إبّان الجِهَاد ضدّ النّظام الطَّاغي في سوريا، وكذلك في تجربة أفغانستان الأولى والثّانية وفي بعض تجارب العمل المحدودة الأخرى..

أن الأساس في تخريج المقاتل هو إرادَة القِتَال والتّدريب المعنوي وأما التّدريب العسكريّ فهو أساسي وضروري ولكن يمكن إجراؤه حتَّى بأبسط الوسائل والظروف وإرغام الفعالية من خلال الإنحراط في العمل.. ويكفي قوله تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾

[العنكبوت]. فالجِهَاد أساسه هو إمداد الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى وتوفيقه وعونه في التّدريب والعمل سواء.. والأصل الإِرادَة، ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ﴾ [التوبة: ٤٦]

فكرة مختصرة عن برنامج التّدريب من خلال البيوت والمُعَسْكَرَات السرية المتنقلة:

إن يسر الله فسنحاول أن نلحق برسائل المُقاوَمة ملحقاً عسكريّاً ببَرَامج دورات تفصيلية في بعض العلوم العسكريّة اللازمة لحرب العِصَابات ولاسيما المدنيّة والسرية الّتي هيَ أساس عمل سَرايا المُقاوَمة في المَرحَلَة الحالية، بحيث يغطي البرنامج التّدريب عَلى الأَسْلِحة الخفيفة وإتقانه الرماية عليها وعلم المتفجرات وملحقاته من بعض العلوم في الكهرباء والإلكترونيات، وبعض تكتيكات حُرُوب عِصَابات المدن إن شاء الله.

ولكني هنا أشير لبرنامج خفيف تستطيع أبسط الخلايا العازمة عَلى المُقاوَمة تطبيقه في أشد الظّروف الأمنيّة والسرية، ويشمل هذا البرنامج الخطوط العريضة كما يلي من برنامج التّدريب:

- إخضاع العنصر نفسه ومن معه لبرنامج رياضة بدنية مركز من خلال الانتساب لنادي رياضي في إحدى الرِّيَاضيات العنيفة (مصارعة، كاراتيه، جيدو.. ملاكمة.. الخ.. أو لبرنامج رياضي شخصي يومي يتضمن الجري لمسافات وأوقات طويلة وحركات بدنية رياضية توفر اللياقة العالية.
- دُروس في فك وتركيب المسدسات والرشاشات المتوفرة من خلال توفير مذكرات تبين ميزاتها وخصائصها وطريقة التعامل معها والرمي عليها.
- البدء بالرمي عَلى أَسْلِحة الصيد الّتي تستعمل الهواء المضغوط لصيد العصافير والطيور وهذه البنادق والمسدسات الّتي تستعمل المقذوفات الرصاصية الصغيرة متوفرة في كلّ مكان.
- الدّراسة النَّظريَّة لاستعمال القنابل اليدوية من خلال دراسة المذكرات والتدرب عَلى رمايتها برمي ما يشبهها من الأحجار حجما وزنا.

- الدّراسة النَّظريَّة لاستخدام المتفجرات وخصائصها وطرق تخزينها والتعامل معها، وتدريب العناصر عَلَى مجسمات شبيهيه بالمواد الأساسي مجسمات خشبية وحبال ونماذج بلاستيكية، دون استعمال المواد الأساسي واستخدام التمديدات الكهربائية لشرح طرق التوصيل و(اللمبات) والمصابيح الصغيرة بدل الصواعق، وقد جربنا هذه الطَّريقة عملياً وكانت ناجحة تماماً وكان كورس المتفجرات النَّظري يتكون من نحو ٤٠ ساعة من الدُّروس عَلَى نماذج خشبية وبلاستيكية حيث يتقن استعمال المتفجرات ولا يبقي إلا التطبيق في مكان مناسب عَلَى عبوات صغيرة جداً.
- إتقان استعمال أجهزة الاتّصال اللاسلكية ودراسة مذكرة عن أمنيات استخدامها وعدم استعمالها في البيوت الخاصّة وإنما في الخلاء ولمدد بث تدريبية لا تتجاوز نصف دقيقة حتَّى لا يتم رصدها والتحدث بأحاديث شبيه باتصالات الأجهزة الحُكُوميّة.
- دراسات نظريَّة تشمل المواد العسكريّة والتكتيكية التّالية من خلال المذكرات الّتي تتوفر اليَوْم عَلَى الإنترنت وسواها وأهم هذه المذكرات هيَ:

– مذكرات في الأَسْلِحة الخفيفة والمتوسطة.

– مذكرة في علم هندسة المتفجرات.

– مذكرة في علم الطوبوغرافيا العسكريّة.

– مذكرة في علم الاتّصالات اللاسلكية والشيفرة.

– مذكرة في الأمن والحركة والعمل السري والاختفاء والهروب من المطاردات الأمنيّة ورصد الأهداف.

– مذكرة في علم الكهرباء والإلكترونيات والعلوم الملحقة المساعدة لعلم هندسة المتفجرات.

– مذكرة في علم تركيب وتصنيع المتفجرات (**على أن يشرف عَلَى التطبيق متخصص بالكيمياء ويجري التطبيق في أماكن بعيدة عن السّكّان وبكميات محدودة جداً**).

– مذكرات في تكتيكات القِتَال مثل: – تكتيكات حُرُوب المدن – حُرُوب الجبال – حُرُوب الغابات – حُرُوب العِصَابات – تكتيكات الجُيُوش النّظامية وطرق مواجهتها ... الخ..

- مذكرات في السُّلُوك التَّنظِيمي والأمني وضبط المواعيد وتسليم واستلام الرّسائل سراً.. الخ..

إن هذه الثّقافة العسكريّة هامة جداً ويمكن توفيرها عَلى أقراص كومبيوتر ونقلها والإستفادة منها وتخريج العناصر عَلى برنامج مكثف وإجراء تطبيقات فعلية كثيرة ومفيدة في البيوت أو في المُعَسْكَرَات الرِّيَاضية والكشفية وسواها حيث تبقى الحاجة فقط إلى تطبق الرماية والتفجير، وهذا يبحث له عن مكان مناسب وتم في ساعات محددة سواءً في المُعَسْكَرَات المتنقلة السرية أو من خلال ما تيسير.. ومن المهم جداً ضبط أمن الحركة في إجراء هذه التّدريبات، والله الموفق.

الفَصلُ الثّامِن

البَابُ السّابِع

﴿ نظريَّة التّمويل لسَرايا المُقاوَمة الإسْلاميّة العَالَمِيّة ﴾

المال عماد الجِهَاد وأساسه، وقد أفهمنا الواقع المرير ذلك وجعلنا ندرك لم اقترن معظم ذكر الجِهَاد بالنّفس بذكر الجِهَاد بالمال وقدم عليه في الذكر في كثير النّصوص القرآنية..

وكدأبنا في استخلاص نظَريّات عمل سَرايا المُقاوَمة من خلال تجارب الماضي.. نبدأ البحث في مآسي هذه المشكلة الّتي أرهقت المُجَاهدين المعاصرين وأوردتهم البلايا عبر عقود طويلة من المعاناة، انتهت بكوارث الخطط العَالَمِيّة المعادية في مكافحة المُجَاهدين وبَرَامجها في تجفيف المنابع.. لنحاول البحث عن حلول لتمويل سَرايا المُقاوَمة المقبلة والله الهادي إلى سبيل الرشاد..

طرق التّمويل في التَّجَارب الجهاديّة للتنظيمات السرية في المراحل الماضية:

اعتمدت التَّنظِيمات الجهاديّة في التَّجَارب الماضية في تمويلها عَلى المصادر التّالية:

- البداية بمساهمة الأعضاء والمناصرين المقربين عند انطلاق العمل.
- الاعتماد عَلى تبرعات المحسنين المحليين في المراحل الأولى.
- الاعتماد عَلى تبرعات المحسنين الخارجين بعد انطلاق العمل وتحول المُوَاجَهة للعلن.
- الاعتماد عَلى دعم بعض الأنظمة المجاورة المستفيدة من جِهَاد تلك التَّنظِيمات لحُكُومَات مناوئة لها في السياسات الإقليمية، حيث استفادت بعض التَّنظِيمات من تلك الهوامش مادياً وفي غير ذلك.
- الاعتماد عَلى الغنائم بشكل جزئي لم يتطور في أي تجربة جهاديّة للتنظيمات والجماعات الجهاديّة ليكون مورداً أساسياً.

هذا بشكل عام، فقد اختلفت نسبة الاعتماد عَلى هذه الموارد من تجربة الأخرى، ولكن السمت العام لمعظم التَّجَارب بقي تبرعات المحسنين أساساً.. وكان خُلاصة نظريَّة التّمويل وشعارها في تجارب التَّنظِيمات.. هو: (لله يا محسنين.. أعينونا عَلى الجِهَاد..).

طرق التّمويل في تجارب الجِهَاد في الجبهات المفتوحة:

وذلك في مثل تجارب أفغانستان بشوطيها والجِهَاد في البوسنة والشِّيشَان وغيرها كالفيليبين وإريتريا وسواها.. ونلاحظ بوضوح أن مصادر تمويل الجِهَاد في حالة الجبهات أيضاً كانَ:

تبرعات المحسنين من المُسلِمِين لتلك القضايا الّتي حشدت الأُمّة أو معظمها في تأييدها..

تأييد بعض الحُكُومَات والجبهات الدّولية المستفيدة من اتجاه الجِهَاد في تلك الجبهات.

الغنائم من سلاح وعتاد العدوّ بشكل ليس أساسي لمصدر تمويل.

إلا أن خُلاصة قضية التّمويل وشعارها كانَ أيضاً في تجارب التّيار الجهاديّ لما شارك في تلك القضايا كانَ كذلك باختصار (لله يا محسنين.. أعينونا عَلى الجِهَاد..)..

ملاحظات سريعة عَلى قضية التّمويل في التَّجَارب الماضية:

يمكن اختصار الملاحظات والدُّروس والعبر في تجاربنا الماضية بالنقاط التّالية:

أولاً: أن مشكلة التّمويل ظلت في كافّة التَّجَارب الجهاديّة مشكلة المشاكل ومعضلة المعضلات، وكانت في كثير من الأحيان سبباً من الأسباب الرَّئيسيَّة في انهيار الجِهَاد أو استيعابه من جهات غير مخلصة وحرفه عن مساره نتيجة سياسة الاختراق وهو ما يسمى (سياسة الإغراق المالي) حيث تبدأ تلك الجبهات بالتّمويل المتدرج عَلى الشّكل التّالي:

أ- تمويل دون قيد أو شرط.

ب- تمويل مع نصائح وتوجيهات غير ملزمة.

ج- تمويل مع اقتراحات ملحقة وتذمر لعدم الأخذ بها.

د- التّمويل بشروط الالتزام بإرادَة الجهات الممولة بعد تأكدها من أن مصاريف الجِهَاد والمسؤولين عليه قد وصلت لحال يستحيل فيه عَلى قيادته أن تستمر بدون أموال الممولين الّذين يبدؤون بإملاءاتهم عند تحققهم من بلوغ الجِهَاد تلك المَرحَلَة.

ثانياً: ثبت أنه حتَّى أفضل الممولين إخلاصاً قل أن يمولوا بدون التدخل والتحكم ومحاولة الإملاءات عَلى قيادات الجِهَاد تنظيمية كانت أم جبهوية إلا في حالات نادرة جداً.

ثالثا: ثبت أن توسع التَّنظِيمات السرية ودخولها مرحلة المُوَاجَهة وتوسع قائمة المصاريف العسكريّة والتَّنظِيمية وتبعاتها من أسر الشّهداء والمعتقلين، بالإضافة إلى مصاريف الحركة.. الخ، تجعل المصاريف هائلة بشكل تعجز أكبر التَّنظِيمات عن حلّ هذا المشكل.

رابعا: ثبت أن الجبهات المفتوحة قد مرت بحالتين من حيث موضوع تمويلها:

١- جبهات كانَ سياق أدائها موافقاً لاتجاه السياسات الدّولية الرَّئيسيَّة الكبرى وخاصة اتجاه السياسات الغربيّة لأمريكا وحلفائها أو لأمريكا عَلى الأقل.. وقد انعكس ذلك شلالات من الدّعم المادي عَلى تلك الجبهات كما كانَ حال الجِهَاد الأفغاني الأوّل كنموذج للتوافق الدّولي عَلى الدّعم أو عَلى الأقل الإجازة بوصول أموال المحسنين بكميات هائلة إليه، وكما كانَ حال الجِهَاد في البوسنة في مراحله الأولى عند ما كانَ في صالح أمريكا الضغط عَلى أوروبّا وعرقلة مشاريعها النازعة للاستقلال عن القرار الأمريكيّ، وكذلك المراحل الأولى من الجِهَاد في الشِّيشَان والّذي وافق السياسات الأمريكيّة في حصار روسيا والضغط عليها.

٢- جبهات كانَ سياقها معاكساً للإرادَة الدّولية ولاسيما الأمريكيّة كما صار حال الجِهَاد في أفغانستان أيّام طالبان وفي البوسنة بعد (دايتون) وفي الشِّيشَان بعد رضوخ روسيا للسياسات الغربيّة وتواطؤ الغرب والعالم النّصراني بكامله بما فيه روسيا عَلى المُوَاجَهة العَالَمِيّة مع الإِسْلَام خاصّة منذُ أواسط التسعينات من القرن الماضي، وقد انعكس هذا حصاراً وسداً لمنافذ المال عَلى تلك الجبهات والعاملين فيها من قياداتها المحليَّة أو المتطوعين من المُجَاهدين المُسلِمِين للعمل فيها.

وكذلك كانت مشكلة التّمويل الخارجي بالتبرعات وبالاً عَلى الجبهات في الحالتين ففي حال الفتح وتدفق الأموال كانَ هذا العامل سبباً للسيطرة عَلى قيادات العمل وأطرافه وإملاءات الممولين من المحسنين والدّول وسيطرتها في النهاية عَلى مجريات تلك القضايا بشكل شبه كامل في الغالب كما كانت سبباً من الأسباب الرَّئيسيَّة لإجهاض العمل في حالات الإغلاق.

وإذا أردنا أن نذكر بعض الانعكاسات السلبية لمأساة التّمويل عَلَى التّيار الجهاديّ وتجاربه جماعات وأفراد خلال تلك التَّجَارب نجد من ذلك:

(١) - عَلَى عكس ما كانَ في تاريخ الإِسْلَام منذُ عصر الصّحابة فما بعده وإلى آخر أيّام الخِلافَة الإِسْلَاميّة، حيث كانَ المُجَاهدون من الطبقات الغنية في الأُمّة، بل بلغ بعضهم أن يكونوا من أغنى الأغنياء مما حصلوه من حصتهم في الغنائم وما حازوه من السلب والجوائز والحوافز كما كانَ سيدنا الزبير بن العوام رضي الله عنه أحد أغنياء الصّحابة ولم يكن له مورداً إلا ما حصله من الغنائم وقصته مشهورة. وكذلك الكثيرون من الصّحابة فمن بعدهم حتَّى كانَ قيادات الجند وكبار المحاربين والمُجَاهدين من الأغنياء والإقطاعيين عندما كانت الغنائم تقسم بالسوية والخُلَفَاء والملوك تعدل في الرعية.

ولكن ظاهرة الجِهَاد المعاصر جعلت المُجَاهدين المعاصرين من أفقر طبقات الأُمّة، وأشدهم إفلاسا وحاجةً وفاقة، وربطت وضع المُجَاهد بالتسول والحاجة والتبعية لمن يموله ويساعده عَلَى أداء هذه الفريضة، رغم أنهم كانوا طليعة الأُمّة وزبدتها وأرقي شرائحها ديناً وتضحية وفداءً!!

(٢) - رهنت مصادر التّمويل إِرادَة قيادات التَّنظِيمات أو حتَّى قيادات الجبهات ومسؤوليها لإِرادَة الممولين، وقد أدى هذا الكشف كثير من الأسرار عنوةً ودخول الممولين ومن رافقتهم من الاستخبارات في المُعَسْكَرَات والجبهات وجلسات خاصّة القيادات، بل بلغ الأمر في تجارب مثل الجِهَاد الأفغاني الأوّل أن تفرض المخابرات السّعُودِيّة عَلَى إدارة العَرَب مع وجود كبار رموزهم منع الحديث في (الحاكِمِيَّة) وإلقاء دروسها ونشر فكرها في المُعَسْكَرَات الرَّئيسيَّة العَرَب!! وفي البوسنة فرضت المخابرات السّعُودِيّة عَلَى مُعَسْكَرَات العَرَب منع تدريس (حُرُوب العِصَابات) ودروس المتفجرات، خشية أن يعود بها المُجَاهدون لبلادهم.. هذا من قبل الممولين المحسنين القادمين بجلباب الإِسْلَاميّة ولحى الإخوة.

ناهيك عما حصل من بلاء الدّول الداعمة، كما حصل للجِهَاد في سوريا من سيطرة الحكومة العِرَاقيَّة وفرضها للراية العلمانيّة عَلَى الجِهَاد في النهاية وإلزام الإخوان المُسلِمِين بالتَّحالف مع أحزاب المرتدّين بل مع جزء من النّظام النصيري المعادي!! وليس هنا محل ذكر مزيد من الشواهد ولكنه بحث مؤلم مرير كثير الشواهد..

(٣) - بلغ الأمر من المرارة أن تفرض حتَّى بعض التَّنظِيمات الجهاديّة الكبيرة المتمولة إرادتها عَلى التَّنظِيمات الصغيرة وتلزمها سياساتها ورغباتها ووجهات نظرها، بل وتفرض عليها النَّشَاط والتوقف بفعل المساعدات (الأخوية!) الّتي قدمتها لها (في سبيل الله) ! حيث كانت الجهات الممولة ترى مصلحة الإِسْلَام والمُسلِمين في ما تراه من سياسات وأساليب عمل..

فلما أدرك العدوّ ما لمسألة تمويل الجِهَاد من أهمية وأثر، اتخذ من شعار تجفيف المنابع خُطّة متكاملة للحصار والتجويع وشل المُجَاهدين عن الحركة، حيث أجبرت أمريكا كلّ الدّول عَلى رفع تقارير عن جهودها في مراقبة حركة الأموال، وتجميد حسابات من تتهمهم بالإِرهَاب، ووصل الأمر إلى حد سلب أموال مؤسسات خيرية وإلغائها، ونال البلاء المُجَاهدين وكل قريب منهم باي شكل من الأشكال ولو لمجرد تهمة أمريكا وعملائها لهم بذلك.

وهكذا وباختصار أقول..

لقد حفلت تجاربنا الماضية بمآسي كثيرة مما يجعل من أهمّ الأمور الّتي يجب أن نبحث فيها عن تصوُّر لتمويل سَرايا الجِهَاد المُقاوَمة للمقاومة في المَرحَلَة المقبلة هيَ موضوع مصادر تمويل الجِهَاد..

وقبل أن ننتقل لوضع تصوُّرنا في ذلك نذكر بعض الأفكار الّتي تضيء لنا تصوُّرات البحث عن الحلول.. والله المُستَعان..

- لو نظرنا في نظريَّة التّمويل في الإِسْلَام بكافة مراحله منذُ أُذن بالجِهَاد ثمّ فرض وعلى مختلف مراحل الدّولة الإِسْلَاميّة منذُ دولة المدينة في عهده ﷺ وإلى دولة الخُلَفَاء الرّاشدين فمن بعدهم من دول الإِسْلَام ومراحله ولاسيما في العهد والذهبية الزاهرة، لوجدنا أنها تقوم أساساً عَلى موارد الجِهَاد من الغنيمة والفيء من الجِهَاد المباشر.. أو عَلى ما ينتج من الموارد عن الجِهَاد مثل الجزية والخراج والعشور.. الخ، حيث لا تشكل الزّكاة والصدقات إلا مورداً فرعياً لسد حاجات بعض فقراء المُسلِمين محليا، أما المصاريف الأساسيّة للجِهَاد وحتى للدولة الإِسْلَاميّة فقد كانت من موارد الجِهَاد وأنفاله وما أدخله في أملاك المُسلِمين.
- لو نظرنا في غزوات رسول الله ﷺ وسَراياه لوجدنا قسماً كبيراً منها قد رصد لتحصيل الموارد.. ويكفي أن درة تلك الغزوات وطليعتها (بدر) بدر الكبرى الموقعة الّتي أسماها تبارك وتعالى

(يوم الفرقان) كانت أساساً لترصد عن قريش ليستعيد المُؤمِنُون عوضاً عما كانَ قد سلبه الكفّار منهم.. فقد كانَ البعد الاقتصاديّ بعداً هاماً جداً من أبعاد الجِهَاد، وهي ميزة من الميزات الّتي خص بها رسول الله ﷺ في خمس أعطيت له لم تعط لنبي من قبله منها أن أحلت له الغنائم وصارت حلالاً وسنة لأتباعه من بعده..

فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١).

فرزقه ورزق أمته من بعد في ظل رمحه ﷺ وظل رماحهم من بعده، رغم أنف المهزومين من أصحاب فلسفات الضلال عَلى دروب الوسطيّة المزعومة، وإذا أدهشهم ذلك فلينظروا لأمريكا الّتي جعلت اقتصادها وسياستها تحت ظل رمحها بعد أن صار المُسلِمُون غثاءا كغثاء السيل !

وفي الحديث الآخر عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيِّ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله أَذَالَ النَّاسُ الْخَيْلَ وَوَضَعُوا السِّلَاحَ وَقَالُوا: لَا جِهَادَ قَدْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا فَأَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «كَذَبُوا الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، وَلَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، وَيُزِيغُ اللهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ الله، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر والألباني (صحيح الجامع-٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاري.

(٢) رواه النسائي في سننه (٣٥٦١) وصححه الألباني (الصحيحة -١٩٣٥)، وروى نحوه أحمد (١٦٩٦٥) وحسنه الأرنؤوط.

وفي الحديث الآخر.. عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَتَبَايَعُوا بِالْعِينَةِ، وَتَبِعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ ذُلًّا لَا يَرْفَعُهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ»[1].

والشواهد كثيرة في الحقّ عَلى الغزو والغنائم..

وقد انطلق صحابة رسول الله ﷺ بهذه المعاني، فلما فتحوا البلاد ورأوا الأراضي وخصوبتها في الشّام والعراق في عهد عمر.. هموا في الزراعة.. وزرعوا سهول فِلَسطِين.. فلما علم عمر بخبرهم أرسل من حرق لهم المحصول وأرسل لهم يعلمهم أنهم بعثوا جنوداً ومُجَاهدين ولم يبعثوا زراعاً..

وهكذا فاض المال وتدفق عَلى المُجَاهدين والأُمّة من بعدهم خيراً ومددا وكان أساس ذلك الجِهَاد وما دره من أموال غنائم وفيء مباشر.. وأموال جزية وخراج أراضي.. الخ.. وهكذا كانت دورة الموارد والمصارف عبارة عن حلقات يصب بها الخير من موارد الجِهَاد من مصادر شيء..

ليملأ بيت المال وليصدر عنه بعد ذلك نحو المصارف من جديد، لتكتمل الدَّورة المالية للاقتصاد الإِسْلَاميّ، أما لو نظرنا في دورة الموارد والمصارف في قضايا الجِهَاد اليَوْم وتنظيماته وجماعه لوجدناها ببساطة عَلى عكس نظريَّة التّمويل التارِيخيَّة.

فخزانة تمويل التَّنظِيمات المرهقة بالمصارف يجب أن تغطي مصاريف القِتَال، والتّدريب، وأسر الشّهداء والمعتقلين، وحركة المُجَاهدين، والإعلام، إلخ وهذا محال، ولذلك وقع الخلل وصرنا للحال الّذي أشرت لبعض مآسيه، ولذلك فإن:

طريقة التّمويل في سَرايا المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة:

(١) – مساهمات الأعضاء المُجَاهدين حال القدرة لتأسيس السرية.

(٢) – المساعدات غير المشروطة من قبل المُجَاهدين بأموالهم من الموثوقين المعروفين لإدارة السرية المُجَاهدة.

---

(١) رواه أحمد (٤٨٢٥) والطبراني في الكبير (١٣٥٨٣)، والبيهقي في الشعب (٤٢٢٤) ضعفه الأرنؤوط وصححه الألباني (صحيح الجامع (٦٧٥).

(٣) – الغنائم والفيء من أموال الكفّار والمرتدّين بحيث يأخذ المُجَاهدون نصيبهم ويضعون ما عليهم من نسبة بيت المال في بيت مال السرية بحسب ما يتفق عليه بالشكل الّذي نفصله فيما يلي.

أولاً: الأموال الّتي يحل غنيمتها اليَوْم للمُجَاهدين في سبيل الله:

ذكرنا بعض التفصيل في فقرة أحكام شرعيّة جهاديّة في البَاب الثّالث الّذي تكلم عن التّربية المُتكامِلة للمُجَاهد ولذلك نشير هنا إلى ذلك إشارة دون تفصيل ونقول:

ترتكز هذه الأحكام عَلى الحقيقة الشَّرعيَّة القائمة في بلاد المُسلِمين والَّتي تمت الإشارة إليها في الفَصل الثّاني (الحكم الشَّرعيّ في واقع المُسلِمين) وهي أن الحُكُومَات القائمة في بلاد العَرَب والمُسلِمين اليَوْم حُكُومَات غير شرعيّة وساقطة، لردة الحكّام بسبب ولائهم للكافرين وبسبب حكمهم بغير ما أنزل الله وتشريعهم من الله ولأسباب فرعية أُخرى مما يزيد هذه الحقيقة تأكيداً، وعليه فإنه يتقرر:

أ – حلّ أموال الحُكُومَات المرتدّة وأملاكها العامّة، وأملاك كبار مجرميها الحاكمين.

ب – حلّ أموال كافّة الكفّار الأجانب في بلاد المُسلِمين لسقوط أمانهم بسقوط شرعيّة الحُكُومَات القائمة الّتي ليس لها حق إعطاء الأمان والذمة وإبرام العهود والمعاهدات مع الكفّار.

ج – حلّ أموال كافّة غير المُسلِمين المقيمين في بلاد المُسلِمين لنفس السبب السابق.

ج – حلّ أموال المرتدّين من المجاهرين بتعاونهم مع قوَّات الاحتلال ونصرتهم عَلى المُسلِمين.

د – حلّ أموال الكفّار في البلاد المحاربة للمسلمين لقيام حالة الحَرب بيننا وبينهم، وعدم وجود معاهدات بينهم وبين كيانات وإمارات إسلاميّة شرعيّة تلزم رعاياها من المُسلِمين بعهود بينها وبين أولئك الكافرين.

هذا بشكل عام، ويعاد لمزيد من التفصيلات الشَّرعيَّة في الفَصل الخاص بذلك مما سبق، ولتفصيلات المصالح السّياسيّة في تجنب ضرب بعض الأهداف لمصالح سياسيّة، وأذكر بالتنبيهات الهامة التّالية:

١ – الحرمة القطعية لأموال المُسلِمين ودمائهم حيث كانوا في بلاد المُسلِمين أو في بلاد الكافرين مهما تلبسوا به من الفسوق والمعاصي والنقائص، حتَّى ولو طرأ الشك عَلى أصل إيمانهم فالشك لا يذهب

اليقين، واليقين هنا هو شهادتهم أن لَاإِلَهَ إِلَّا الله وأن محمّد رَسُولُ الله، فيجب الحذر من الوقوع في دماء المُسلِمِين وأموالهم وأعراضهم فهي حرام ومقدّسة.

٢- من كانَ بينه وبين أحد من الكفّار عقد أو عهد يقتضي الأمان فلا يحل له أن ينقض عهده أو يخفر ذمته وأمانه سواءً كانَ في بلاد المُسلِمِين أو بلاد الكافرين قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة:١]، وقال: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾ [الإسراء].

٣- أمان أمراء الجِهَاد وأمراء المُسلِمِين إذ وجدوا في دائرة سلطانهم يجب احترامه وكذلك يجب عَلَى أتباعهم الوفاء بما أعطا أمراؤهم من الذمة والأمان للكفار.

٤- **أُذكر هنا بالحكم الشَّرعيّ لتلك الأموال والدِّماء للكافرين والمرتدّين من حيث حلها بشروطها، وأما تطبيق هذه الأحكام وممارسة أعمال الغنيمة منهم، فيجب أن يخضع بعد ذلك لدراسة المصالح والمفاسد السّياسيّة بالهجوم عَلَى هدف بعينه في مكان بعينه في وقت بعينه فإن تحقق ترتب مفسدة ظاهرة عَلَى ذلك للإسلام والمُسلِمين حرم ذلك ليس لأصل الحرمة وإنما للفساد المترتب عَلَى ذلك**، وعلى من يجهل تقدير هذه الأمور أن لا يتخوض بغير علم بل يسأل من يثق به من أهل الذكر وهم العارفون بأمور الأحكام الشَّرعيَّة والسّياسة الشَّرعيَّة من الثقاة في دينهم وفهمهم جِهَادهم.

- **مصادر غنائم وفيء سَرايا المُقاوَمة وطريقة قسمها بين المُجَاهدين:**

ونعود لسياق البحث لنقول بأن مصدر التّمويل الأساسي لسَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة يجب أن يكون بعد انطلاق العمل بمال المُجَاهدين الخاص، أو ما يصلهم من تبرعات غير مشروطة من محسنين أوفياء، هو من الغنيمة والفيء من أموال:

١- أموال الكفّار المحاربين في بلادهم أو في بلادنا.

٢- أموال الحُكُومَات المرتدّة المتعاونة مع الإحتلال مع الانتباه لحفظ دماء المُسلِمِين العاملين في تلك المصالح المختلفة.

٢- أعيان من ثبتت ردتهم بولائهم للكفار ومظاهرتهم عَلَى المُسلِمِين فأموالهم حلال كدمائهم لردتهم.

توزيع أموال الغنائم والفيء في سَرايا المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة:

سألت شيخنا عبد القادر عن ذلك أيّام الجِهَاد الأفغاني وكيف تقسم الغنيمة بين سرية من المُجَاهدين غنموها فقال التّالي:

أ- القَاعِدَة الأساسيّة: في قسمة الغنائم هو ما قرره القرآن ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١]: وهو ٢٠٪ من المال المغنوم يوضع في بيت مال المُسلِمِين. و(٨٠٪) من المال المغنوم يقسم عَلى المجموعة المُجَاهدة الّتي غنمته.

ب- الاتفاق بين أعضاء السرية المُجَاهدة هذه قبل الغنيمة عَلى طريقة قسمها وما اتفقوا عليه أنفذوه بالعدل عَلى أن لا يقل القسم المصروف في مصالح الجِهَاد والمُسلِمين عن الخمس وهو ٢٠٪ وإن رأوا زيادة ذلك بالرضا قبل العمل زادوه بالاتفاق لحاجة تنظيمهم أو سريتهم لمصاريف الجِهَاد..

ج - إذا كانت السرية تعمل بقوة تنظيم أو مجموعة سَرايا أُخرى توفر الخدمات العامّة من الذخيرة والسّلاح والاستطلاع والدعاية واللوازم الأخرى، يسهم لكافة أعضاء التَّنظِيم بنصيب يتفق عليه بحسب التراضي بين قيادة ذلك التَّنظِيم وقواعده.

وعليه فإن الطَّريقة المقررة لدينا في قسمة ما تحصله السَرايا المُقاوَمة من غنائم من العدوّ هو عَلى الشّكل التّالي:

١- تقوم السرية بتخصيص بيت مال خاص بها تضع فيه مساهمات أعضائها أو ما تحصله من دعم غير مشروط لأعمالها الجهاديّة من معارفها المقربين الموثوقين كما تضع فيه نسبة الخمس عَلى الأقل من أي غنيمة تغنمها أي ٢٠٪ من الغنيمة أو قيمتها المالية.

٢- يتفق أعضاء السرية عَلى الأسس المالية فيما بينهم إذا أرادوا رفع حصة بيت مالهم للمساهمة في زيادة قدرتهم التسليحية مثلاً أو الإنفاق في وجوه الجِهَاد أو معاونة سَرايا أُخرى أو معاونة أسر بعض من يعرفون من الّذين فقدوا عائلهم في الجِهَاد في سبيل الله أو ما رأوا من مصارف المُسلِمِين.

٣- يتفق أعضاء السرية عَلى الأسس الّتي يقسمون بها حصة لباقي أعضاء السرية الّذين لم يشاركوا في عمليه من عمليَّات الغنائم مباشرة.. باعتبارهم داعمين للسرية وبهذا يتكاملون فيما بينهم فمثلاً:

يمكن أن يتفقوا عَلى ثلاثة أسهم لكل رجل من المنفذين وسهم لكل عضو من السرية لم يحضر التنفيذ بعد إخراج الخمس أو ما اتفقوا عليه فيما بينهم وما اتفقوا عليه لزمهم إنقاذه بالعدل والإحسان، والله الموفق.

الفصل الثامن

الباب الثامن

«نظريَّة الإعلام والتّحريض في دعوة المُقاوَمة الإسْلاميّة العَالَمِيّة»

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾ [الأنفال] وقال تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء].

وقد أخذ التّحريض عَلى الجِهَاد والقتال والتحبيب فيه وذكر فضله والوعيد من تركه مساحة كبيرة من آيات القرآن الكريم منذُ نزلت آية الإذن بالقتال في السنة الثّانية للهِجرَة وقال الله تَعَالَى:
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [الحج]

وكما حفلت آيات القرآن الكريم بالتّحريض عَلى القِتَال وحض المُسلِمين عليه فكذلك جاءت الكثير من النّصوص النّبويّة والسنة الفعلية والتقريرية منه ﷺ تحض عَلى الجِهَاد وتفصل في فضله وأجره، وما أعد الله للمُجَاهدين والشّهداء، وتستنفر المُؤمِنِين للقتال، وتثير فيهم الحمية لدينه والبغض لأعدائه، والرغبة في الثواب عنده، وتعدهم النّصر والظفر والتمكين.

ويكفي أن رسول الله ﷺ قد خرج بنفسه للجِهَاد مرات كثيرة، وأرسل أحب النّاس إليه عَلى رايات الغزوات ولقيادة السَرايا، وجهز الغُزَاة ورعى شؤونهم، وقضى حياته يعد ويجاهدوا ويقاتل ويحرض المُؤمِنِين كما أمره ربه تبارك وتعالى، فجاهد في الله حق جِهَاده حتَّى أتاه اليقين صلوات الله وسلامه عليه، وبقى كذلك حتَّى لحظاته الأخيرة.. فكان هم الغزو والجِهَاد همه وهو عَلى فراش الموت،

وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة الزكية الطّاهرة، يحض عَلى إنفاذ جيش أُسَامَة لقتال الرُّوم، ويوصيهم «أخرجوا المشركين من جَزِيرَة العَرَب»..

والتّحريض صنو الجِهَاد والباعث عليه، ومهمة الخُلَفَاء والأمراء والعُلَمَاء والدعاة إلى الله والآمرين بالمعروف من كلّ شرائح وطبقات الأُمّة، هذا إذا كانَ طلباً للعدو في ديارهم وإعلاءً لكلمة الله ونشراً لدينه وراياته وتحكيماً لشريعته في الأرض، وإما إذا صار الجِهَاد دفعاً عن الدّين والنّفس والعرض والأرض والمقدّسات كما هو شأنه اليَوْم، وكما كانَ في أزمنة النّوازل الكبرى.. فهو من أهمّ الفرائض عَلى كلّ مسلم عامة، وعلى أهل العلم والدعاة إلى الله، بل حتّى الّذين عذرهم الله عن القِتَال لعجزهم عنه لمرضهم وعللهم المانعة لهم من الجِهَاد، اشترط عليهم قبول عذرهم بأن يحركوا ألسنتهم بالدّعوة إلى الله والتّحريض عَلى نصرة دينه فقال تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩١﴾ [التوبة]

وكما قلت فإن كتاب الله تَعَالَى وسنة نبيه وسيرة المصطفى ﷺ وسيرة خلفائه الرّاشدين من بعده وصالح الملوك والسلاطين والأمراء من بعدهم عَلى مر تاريخ الإِسْلَام، حافلة بالقصص والنماذج والسير والعبر، وتشكل كنوزاً من الآثار في فنون التّحريض وأساليبه ودروسه وعبره وتجاربه، وهي من أهمّ التراث العظيم الّذي يجب أن نعود إليه وتغترف منه ونقوم بفريضة التّحريض اليَوْم في أمة ران عليها الكسل وغلب عَلى خاصتها وعامتها القعود، ودب في غالبتها العظمى الوهن من «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ»، حتّى عدت عليها الأمم وتداعت تماماً كما أخبر رسول الله ﷺ تداعي الأكلة إلى قصعتها تتناهبها تناهب الذئاب الضواري وتنهشها نهش الكلاب العوادي، بعد أن فرَّ حراسها، وسكت عن الحقّ والدّعوة للجِهَاد والدفع علماؤها، وتاه عامتها في بحور العجز والضياع..

ونعود في استخلاص نظَرِيَّات عملنا وحركتنا من خلال تقييم دروسنا وتجاربنا الماضية، عبر مسار الدّعوة والتّيار الجهاديّ في صحوتنا المعاصرة. إذ يمكن دراسة تجارب التّحريض تلك من خلال مجالاتها ومقوّماتها الإعلاميَّة الأربعة بحيث ندرسها عَلى مستوى:

١- **جهة الخطاب**: وهي الجهة الّتي اتجه إليها خطاب المحرض من المُسلِمِين.

٢- **فحوى الخطاب**: وهي الرّسالة الإعلاميَّة التّحريضية والدّعوة الّتي وجهها الداعي للجِهَاد.

٣- **أسلوب الخطاب**: وهو لهجة وبناؤه وطريقة تقديمه لدعوته.

٤- **طريقة إيصال الخطاب**: وهي الوسائل الّتي اتبعها الداعي للجِهَاد لإيصال رسالته للنَّاس لدعوتهم للجِهَاد.

فإذا ما جئنا لنعقد مقارنه كي نستخلص طريقتنا ونظريَّة عملنا في الإعلام والتّحريض من خلال التَّجَارب السالفة ومعطيات الواقع وتغيراته سلباً وإيجاباً نجد ذلك كما يلي:

أولاً: طريقة التّحريض في التَّجَارب التارِيخِيَّة القديمة:

- **جهة الخطاب**: كانَ الدعاة إلى الجِهَاد عبر تاريخنا كله يوجهون الخطاب بالجِهَاد إلى عموم الأُمّة بكافة شرائحها وطبقاتها، حكامها ومحكوميها، فقرائها وأغنيائها، أقويائها وضعفائها، من كلّ جنس ولون وعنصر من عناصر هذه الأُمّة المحمّدية.

- **فحوى الخطاب**: كانَ عموم فحوى الخطاب هو تحريض الأُمّة عَلى جِهَاد الطلب أيّام كانَ حال الأُمّة ما كانَ من العز والسؤدد، بتذكيرهم بالأجر والثواب عند الله لهداية النّاس وإخراجهم من الظُّلمات لإلى النور، وما يترتب عَلى الظفر من الغزو من اتساعه دولة الإِسْلَام وما يفيض عَلى الأُمّة من خيرات الجِهَاد وغنائمه وفتوحه.

وإذا كانَ دفعاً كما في أيّام النّوازل وغارات العدوّ، كانَ الخطاب ينصب عَلى إثارة بواعث الغيرة والحميه للدين والعرض والأرض، والدفع عن أنفس المُسلِمِين وأموالهم، والتذكير بالوعيد المترتب عَلى ترك الجِهَاد من العقاب عند الله، ومن الذلة والصغار وتحكم الأَعدَاء وقتل الأنفس وانتهاك الأعراض وسبي الذرية وخراب الدِّيَار.

- **أسلوب الخطاب**: كانَ أسلوب الدّعوة إلى الجِهَاد يعتمد عَلى إثارة مكامن الغيرة لدين الله ويستنفر مكامن الطمع في جنذ الله وعفو ورضوانه ومكامن النخوة والرجولة في نفوس الأُمّة وكان يعتمد عَلى كلّ آفاق الوعد والوعيد وكان وسيلته الشعر والنثر والخطابة.

- **طريقة إيصال الخطاب**: كانت المساجد أساساً هيَ المحرك الأساسي للأمة حيث كانت محل دُروس العُلَماء وخطابات الخطباء.. ومنها تصدر الأخبار والمناشير والفرمانات عن السّلاطين والخُلَفاء والأمراء، وكذلك منها تخرج الفتاوى بالجِهَاد بحسبها كفاية أو عنياً بحسب الأحوال.

وكان للأدباء والشعراء والخطباء دور كبير ومكانة مرموقة في مجتمعات المُسلِمِين، وكانوا ولاسيما في النّوازل الكبرى يهيجون الأُمّة عَلى الدَّفع والبذل والعطاء حيث كانت تنتشر تلك الخطب والأشعار والفتاوى لتسير بها الركبان وتبلغ المشارق والمغارب.

ثانياً: التّحريض والإعلام في تجارب التّيار الجهاديّ وتنظيماته السرية المعاصرة:

وتناول ذلك أيضاً من خلال أركان الإعلام والتّحريض الأربعة:

- **جهة الخطاب**: إذا ما نظرنا إلى غالبية نشرات وأدبيات التّيار الجهاديّ ومحتواها ولهجتها والأوساط الّتي استهدفتها، سنجد أن الخطاب في معظمه كانَ موجهاً إلى النُّخبَة من شباب الصّحوة الإِسْلَاميّة بالدرجة الأولى وربما بشكل شبه حصري.

- **فحوى الخطاب**: ركز الخطاب الجهاديّ عَلى موضوع الحاكِمِيَّة بالدرجة الأولى، وأخذت فكرة كفر الحاكم ومفاصلته وطائفته، وقضية الخروج والثَّورة عليه، والأدِلَّة الفقهيّة عَلى ذلك القسم الأعظم من فحوى الخطاب ورسالة الجهاديّين الإعلاميَّة.

ومنذ الجِهَاد الأفغاني الأوّل أواخر الثمانينات، وعلى مر العقد الأخير في التسعينات أضيف إلى موضوع الحاكِمِيَّة الموضوع العقدي وفق الأسس السّلفيّة وطروحاتها العقدية، الّتي طبعتها اللهجة النخبوية والصيغة العلمية المعقدة، وهكذا يمكن القول بأن الفحوى.. فحوى رسالة الإعلام والتّحريض لدى الجهاديّين كانَ أحادي الطرح (**عقائد – حاكِمِيَّة**) وذا طابع معقد ونخبوي، ولم يكن ذا بعد شعبي يمكن القول بأنه موجه لجماهير جماهير المُسلِمِين عامة، وقد غاب عن بشكل شبه كامل أبعاد مفاتيح الطرح الأخرى كالجانب الاقتصاديّ والاجتماعي والسّياسيّ، وأبعاد معاناة المُسلِمِين اليومية، لقد كانَ خطاباً أحادياً منغلقاً عَلى نفسه.

- **أسلوب الخطاب:** تميز خطاب الجهاديّين الإعلاميّ التّحريضي إجمالاً النخبوية والفوقية، بل وبكثير من الشدة والجفاف وغلبة الوعيد وغياب آفاق العاطفة والرّقائق واستمالة الجماهير من مفاتيحها النّفسية، وكان الأسلوب صورة للفحوى أحادية الطابع والطرح نخبوياً في أسلوبه كما فحواه بالإجمال.

- **طريقة إيصال الخطاب:** اعتمد التّيار الجهاديّ في إيصال خطابه عَلى أسلوب المنشور والنشرة السرية.. وفي أحيان قليلة جداً الكاسيت الصوتي وقد تميز المجهود في إيصال المنشور بأنه قليل جداً قياساً إلى حجم الأداء العسكريّ وطول المدة الّتي عمل بها..

ففي مرحلة العمل السري وقبل المُوَاجَهة لم يكن هناك مجهود لإيصال أي خطاب للجماهير بما يتناسب مع حالة السرية! ومع اشتعال المُوَاجَهة أدت الأوضاع الأمنيّة إلى صعوبة وصول ذلك الخطاب! وبعد خروج التَّنظِيمات إلى المهجر.. صار الخطاب بعيداً، ولم يصل إلى الوطن الأم المعني بالثَّورة! بل صارت نشرات الجهاديّين عبارة عن نشرات مهاجرة تمثل خطاباً ذاتياً يكتبها ثلة من الإعلاميّين ويوزعونها في أوساط الجهاديّين أنفسهم ليعيدوا قراءة ذات أفكارهم الّتي آمنوا بها ولم يستطيعوا إيصالها عملياً للنَّاس!!

وبالإجمال يمكن القول أن البعد الإعلاميّ والتّحريضي لجماعات التّيار الجهاديّ كانَ أحد أبرز أوجه الفشل في الأداء.. ولم يسجل أي نجاح، اللّهم إلا بعد انفراط عقد الجمع العربيّ في الجِهَاد الأفغاني وانتشار الجهاديّين في المهاجر والملاذات.. حيث حصل نوع من انتشار الفكر والأدبيات الجهاديّة في أوساط الصّحوة ذاتها واتسعت آفاق المد الجهاديّ داخل الصّحوة ولكن الخطاب بقي بعيداً عن مختلف شرائح الأُمّة كماً وكيفاً ونوعاً..

ثالثاً: التّحريض والإعلام في التَّجَارب الجهاديّة في الجبهات المفتوحة:

ولنأخذ مثالاً عَلى ذلك أهمّ التَّجَارب وهي الجِهَاد الأفغاني ضدّ الرُّوس والجِهَاد مع المُسلِمين في البوسنة ضدّ حملات إبادة الصّرب الصّليبيّة، ثمّ تجربة الجِهَاد في الشِّيشَان ثمّ أخيراً الجِهَاد العربيّ إلى جانب طالبان.. وهي أبرز القضايا الّتي أخذت بعداً أمميا عَلى مستوى أمة الإِسْلَام في قضايا مواجهات جهاديّة فنجد أن المناحي الأربعة للإعلام والتّحريض في تلك القضايا كانت كما يلي:

- **جهة الخطاب**: توجه الخطاب الإعلاميّ في كلّ تلك القضايا الجهاديّة إلى عموم الأُمّة بكل شرائحها كما هو الأصل.

- **فحوى الخطاب**: ركز الخطاب عَلى مسألة بسيطة مفهومة (شعبياً) وحقيقة دينية راسخة من عقائد عموم المُسلِمِين وهي دفع الصّائل الغازي الأجنبيّ العادي عَلى المُسلِمِين وأن الجِهَاد معهم ونصرتهم بالنّفس والمال فرض عين عَلى المُسلِمِين.

- **أسلوب الخطاب**: كانَ الأسلوب عاطفياً سلساً.. تحريضاً جمع الوعد إلى الوعيد.. ورجح اتجاه الوعد بالثواب والأجر عَلى الجِهَاد وعلى ما أعد الله للمُجَاهدين والمرابطين والشّهداء..

- **طريقة إيصال الخطاب**: اعتمد الخطاب في بدايته أواخر الثمانينات عَلى المجلات والنشرات والكاسيت والفيديو.

وقد أسس الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله مدرسة إعلاميَّة رائعة في ذلك تستأهل الدّراسة والتأمل والاستفادة منها والتطوير والبناء عليها..

ثمّ أضافت المدرسة الإعلاميَّة للجِهَاد في البوسنة بعداً مهماً باستخدام الفيديو والكاسيت، وسدت ثغرة هائلة، ثمّ دخل الجِهَاد العربيّ في الشِّيشَان عَلى الخط ليطور تكتيكات الإنترنت فأوصل التَّجربة إلى آخر مداها ونجاحها، وعملوا عَلى نشر الفيديو أيضاً وسجلوا حضوراً عظيماً.. وبالاختصار..

لقد كانَ النجاح الإعلاميّ في جِهَاد الجبهات عظيماً ولا أدل ذلك ولا أبلغ من الوقفة الهائلة الّتي وقفت فيها الأُمّة مع تلك القضايا وانعكست في جودها بحر أموالها بمئات الملايين من الفقراء والأغنياء والرّجال والنِّسَاء.. وبطيران فلذات أكبادها بالآلاف بل بعشرات الآلاف إلى ساحات الشرف والنّصر والشَّهَادة.

ومن خلال دراسة هذه التَّجَارب والدُّروس نخرج بالخلاصة والعبر الّتي تساعدنا بإذن الله وتوفيقه عَلى وضع أسس نظريَّة الإعلام والتّحريض لسَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، ودعوتها الجامعة المُتكامِلة بإذن الله، وأهم هذه الدُّروس والعبر المستفادة من تجاربنا السالفة في هذا المجال الحيوي الهام:

(١) - يقول الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤]، أي كلّ المُؤمِنِين، ولفظا (المُؤمِنِين) و(المُسلِمِين) كما هو معلوم إذا انفردا دل اللفظ عَلى أهل ملة الإِسْلَام أهل لَاإِلَهَ إِلَّا الله، وإذا اجتمعتا عم لفظ (المُسلِمِين) أهل الإِسْلَام، وخص لفظ المُؤمِنِين الصفوة المؤمنة منهم كما قَالَ تَعَالَى:

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]

وموضع الشاهد هنا، أن الأمر لرسول الله ﷺ بتحريض الأُمّة في الآية الّتي كانت أساس دعوتنا ومستندها ومنطلق نظرياتها وشعارها وهي قوله تَعَالَى:

﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤]

هيَ أمر لكل فرد وتكليف شخصي بالقتال، سواء قاتل النّاس أم قعدوا.. وأمر للمُجَاهد عامة ولأهل العلم والدّعوة وأصحاب الخطابة والقلم والكلمة، أن يحرضوا المُؤمِنِين، أي كلّ المُسلِمِين، فالدرس الأوّل هو الإتجاه للأمة، كلّ الأُمّة، بدعوة المُقاوَمة، وليس فقط لخاصتها من أهل الصّحوة أو أهل التدين، فالجِهَاد فريضة عَلى الجميع وعلينا أن نحرض الجميع ونقاتل معهم برهم وفاجرهم، قويهم وضعيفهم، ولاسيما وأن دعوة المُقاوَمة هيَ دعوة دفع صائل عامة براية الإِسْلَام العامّة.

(٢) - أن أنجح شعارات الحشد والجمع عَلى الجِهَاد كانت شعارات الجِهَاد ضدّ الصّائل الخارجي، وهو حالنا اليَوْم، وهو هدف دعوة المُقاوَمة، فعلى رسالتنا التّحريضية ودعوتنا أن تتخذ من ذلك أساس الدّعوة، دفع الصّائل والفريضة العينية في ذلك.

(٣) - أن أمة الإِسْلَام اليَوْم تتعرض لهجوم الصّائل عليها في كافّة مناحي وجودها، فهو يستهدفها في دينها بالإزالة والطمس والتبديل، وفي أنفسها بالقتل وبالإبادة، وفي أعراض بالأذى وانتهاك الكرامة، وفي أموالها وثرواتها بالنهب.. الخ، ولذلك فإن مفتاح الجِهَاد وبرنامج التّحريض وشعاراته يجب أن يكون شاملاً لكل ذلك، ويجب أن يأخذ مفتاح الطرح والجِهَاد ثلاث أبعاد عامة ويشتمل برنامج الإعلام عَلى تفاصيلها:

أبعاد الرّسالة الإعلاميَّة لدعوة المُقاوَمة إسلاميّة العَالمِيّة:

أولا: البعد الدّيني: الدّفاع عن (العقائد - المقدّسات - أركان الدّين وأسسه).

ثانياً: البعد الاقتصاديّ: الدّفاع عن (الثّروات - الأرض - مقوّمات الوجود).

ثالثا: البعد السّياسيّ: الدّفاع عن (الكيان الحضاري مقوّمات الوجود).

رابعا: البعد العاطفي: الدّفاع عن الكرامة والأعراض والقيم والمثل والأعراف والتقاليد العالية الموروثة، كالغيرة والرجولة، وحماية العرض والشرف...

(٤) – استعمال الأسلوب الشعبي العاطفي السهل، كانَ أساس دعوة عوام الأُمّة وليس المطولات الفقهيّة والمسائل العقدية وتفاصيلها.. فإثارة الغيرة عَلى الدّين والمقدّسات.. والنخوة عَلى العرض والدم والمال.. ومكامن الرجولة في المُسلِمِين والثأر للدين والأعراض والأنفس والأموال.. إثارة العَوَاطِف في مآثر الجِهَاد وقصص البطولات ومآثر الأبطال والشّهداء قديماً وحديثاً.. إثارة الشجون والأشواق للجنة ومنازل الشّهداء وما أعده الله لهم – اللّهم اجعلنا منهم برحمتك يا ربّ وكرمك وفضلك – والتخويف من القعود وعواقبه في الدُّنيَا والآخرة..

(٥) – اعتماد الطرق المتنوعة في أسلوب إيصال الخطاب لأن يكون شعبيا.. وفي هذا الزّمان فإن المحوران الرَّئيسيان في التماس مع الجمهور هما.. الإنترنت والفضائِيَّات.. ثمّ ما يمكن نشره من الأفلام والتسجيلات والمُؤلّفات عبر أقراص الكومبيوتر، هذه الأساليب الشعبيَّة الّتي تطال النُّخبَة وعامة النّاس، قامت بها فعلاً حجة الله عَلى من يريد البلاغ من خلقه، ففي الوقت الّذي كانَ تكاليف طباعة كتاب ونشره عَلى نطاق واسع تفوق إمكانيَّات أكثر التَّنظِيمات، ناهيك عن صعوبة نشر الفكر الجهاديّ بل استحالته.. دخلت الفضائِيَّات والإنترنت والكومبيوتر كلّ البيوت.. أغنياء وفقراء عَلى حد سواء.. وصار الأمر لا يحتاج بعد توفيق الله أكثر من العزيمة والصدق والنِّيَّة والإخلاص في الصدع بالحق والقيام بواجهة وشيء من الحَركيّة وسعة الأفق.

(٦) – عدم إغفال دور المساجد ومؤتمراتها الأسبوعية.. خطب الجمعة، هذا المفتاح العظيم الّذي أعطاه الله لورثة الأنبياء.. فأضاعه أكثر علماء ودعاة هذه الأُمّة رهباً ورغباً للسلاطين.

المساجد، بُعد إعلامي تحريضي غائب يجب إعادته..

(٧) - الابتكار والتنوع في الأساليب والمضامين والتجديد والحضور في الأُمّة وخطابها بمستجدات القضايا ومتابعة الرّسالة الإعلاميَّة معها..وعليه فإن:

خُلاصة نظريَّة الإعلام والتّحريض لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

أولاً: جهة الخطاب: خطاب المُقاوَمة متجه للأمة، كلّ الأُمّة بكل شرائحها، عالمها وجاهلها، عربيها وعجميها، عاملها وقاعدها، ذكرها وأنثاها، فقيرها وغنيها.. الكل مقصود بدعوة المُقاوَمة كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: ٨٤] كلّ المُؤمِنِين أي كلّ المُسلِمِين.

ثانياً: فحوى الخطاب: هو دفع الصّائل وأنه فرض عين عَلى كلّ مسلم ومسلمة وتفاصيل الفحوى بحسب كلّ شريحة، فهناك الخطاب العام الموجه للعموم، وهناك الخطابات الخاصّة لكل فئة بما يناسبها.

ثالثا: أسلوب الخطاب: خطاب النّاس عَلى قدر عقولهم، عَلى قدر أفهامهم وعلمهم وثقافتهم ولغتهم ونوعها.. فالخطاب العام الموجة لعموم الأُمّة.. أسلوبه التأليف والرحمة وجمع المفرق ونفي أسباب الفتن والتفرق، من أجل الاجتماع عَلى دفع الصّائل، وأسلوب ذلك الخطاب الجاد والعاطفي والقائم عَلى بالكتاب والسنة، وأما الخطاب الخاص فأسلوبه ما يناسب حال أهله من الثّقافة والجنس والحال الخاص بهم.

رابعا: وسائل إيصال الخطاب: كما أسلفنا استخدام الوسائل الشعبيَّة والعصرية في آن واحد وعلى رأسها: الفضائيَّات وشبكات الاتّصال والكومبيوتر، وإيصال رسالتنا بالوسائل المقروءة والمسموعة، والمصورة لإيصال رسالة المُقاوَمة إلى كافّة طبقات وشرائح الأُمّة.

****ونأتي لشيء من الشرح والتفصيل لإيضاح ما أوجزنا في أسس نظريتنا في الإعلام والتّحريض:**

- **جهة الخطاب العامّة والجهات الخاصّة وفحوى خطابها وأسلوبه ووسيلته:**

جهة الخطاب العامّة هيَ الأُمّة والشرائح العريضة منها بصرف النَّظر عن أي عامل يخصصها.. وخطابها يكون بصفة الإِسْلَام فقط، بصرف النَّظر عن الجنس، أو المستوى العلمي الشَّرعيّ، أو الوعي الثقافي.. خطابها خطاباً عاماً.

أما جهات الخطاب الخاصّة، فهو بسبب تميز شريحة بعامل رئيس يجمعها، بحيث يكون خطابها آخذين بعين الاعتبار هذه الخاصية الجامعة لها.. ويمكن أن يكون هذا من قبيل ما يلي كأمثلة لا للحصر..

* **الجنس والقوم:** وعند ذلك يؤخذ بعين الإعتبار فهم حالهم وتاريخهم وواقعهم وخطابهم بلغتهم وتذكيرهم بمآثرهم، والعزف عَلى وتر تفاعلاتهم العاطفية مع الإِسْلَام وقضية دفع الصّائل من خلال خصوصيتهم.

* **مستوى العلم الشَّرعيّ:** فخطاب العُلَماء غير خطاب الجهلاء، وخطاب الدعاة غير خطاب قواعد الدّعوة.. فهنا يبرز دور الدليل الشَّرعيّ وتفاصيله، وحتى داخل هذه الشريحة، هناك مستويات وأنواع فخطاب العُلَماء يختلف عن خطاب الدعاة الحَركيّين.

* **المستوى الثقافي:** خطاب المثقف غير خطاب العامي والجاهل والأمي، ولكل مفتاحه ومداخله، فالمثقفون، يخاطبون بالمنطق والإحصائيات والأرقام والدلائل السّياسيّة والواقعية، وهم أيضاً أنواع وشرائح ومستويات يخاطب كلّ بحسبها، والعامة تخاطب بالعاطفة وبواعث الحمية.

* **الانتماء الفكريّ والسّياسيّ:** حيث يختلف خطاب المسلم الملتزم أو ابن الصّحوة، عن خطاب صاحب الهويّة الفكريّة السّياسيّة الأخرى من العلمانيين أو الوطنيين أو القوميين، ولكل مداخله الّتي يجب البحث عن القواسم المشتركة بين المخاطب وبين دعوة المُقاوَمة بجمع الشرفاء عَلى راية المُقاوَمة وفروعها، وتألف الآخرين من دون الإخلال بثوابت الدّين والهويّة، والحكمة أساس ذلك ومن يؤتها فقد أوتي خيراً كثيراً.

وهكذا.. فخطاب أهل السّنّة يختلف عن خطاب الفرق العقدية من أهل القبلة، وحتى داخل أهل السّنّة يأخذ بين الاعتبار المدرسة العقدية والمذهب الفُقْهيّ لكل فريق وقوم، وهكذا تتعدد التصنيفات.. فخطاب الرّجال غير خطاب النِّسَاء.. وخطاب الشَّبَاب غير خطاب الكهول والمسنين، وخطاب العمال يختلف عن خطاب التجار والزراع.. وهكذا إذا دخلنا مجالات الخطاب الخاص يجب أن نأخذ بعين الإعتبار فهم المخاطب وثقافته ومستواه وقناعته وخصائصه وواقعه ومشاكله كلّ ذلك بحثاً عن مكان الإقناع لديه لجره إلى الخط العامل، وتأليف الكل عَلى دعوة المُقاوَمة وفرضيتها العينين مستند به إلى الأصل الجامع في عقيدتنا عَقِيْدَة أهل السّنّة بأن قتال الدَّفع لا يشترط له شرط ولا راية وأنه مع كلّ بر وفاجر من أئمة المُسلِمِين وعامتهم.

وهكذا فإن تحديد جهة الخطاب بدقة يحدد باقي معطيات الإعلام والتّحريض، فتحديد جهة الخطاب يحدد فحوى الخطاب، وأسلوبه ووسيلته، وهي النقطة المفصلية في إصابة الخيارات أو خطئها في باقي مقوّمات عمليَّة التّحريض والإعلام.

سَرايا التّحريض والإعلام والدّعوة لدعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة:

مهمة الإعلام والتّحريض في الأُمّة عامة وخاصة، فأما العامّة فهي الدّعوة العامّة لمحاربة محاور الحملات الغازية بكل مناحيها العسكريّة والثَّقافيَّة والفكريّة والتربَويّة والاقتصاديَّة والسّياسيّة والاجتماعيَّة وكل مجال.. لأن الحملات اليَوْم شاملة كاملة، لها برنامج في كلّ مقوم من مقوّمات حضارتنا وحضارتهم، فهم يستهدفون كلّ شيء يريدون هدمه وإحلال نقيضه من مقوّمات حضارتهم وعليه فإن مهمة المُوَاجَهة الحَضَاريَّة تقع عَلى عاتق كامل مكوّنات الأُمّة.

علماءها في مساجدهم وكتبهم ودروسهم، ومثقفها في محاضراتهم وأدبياتهم ونشاطهم الثقافي، ورجالها في ميادين عملهم ووجوه حركتهم، ونسائها في بيوتهم وتربية أطفالهم..

وهكذا.. يبرز الدَّور للجميع في التّحريض والإعلام العام لإحياء جُذُور المُقاوَمة وخلق أجواء المُقاوَمة ومناخ الثَّورة عَلى الغازي وأعوانه والتّحريض عَلى دفعهم.. فهذا مجال عام يجب أن نحرض أوساطه عَلى أن يكون لكل منها دوره..

فهناك دور للعلماء وللشعراء والكتاب والأدباء، وهناك دور للمثقفين وللسياسيين وللاقتصاديين وللأكاديميين، وهناك دور للطلاب والعمال ولكل شريحة.. هذا عن مجال التّحريض العام للحفاظ عَلى هوية الأُمّة ومكوّناتها وأسس نهضتها وحضارتها وكينونتها بكل مقوّماتها الدّينيّة والقومية والوطنيّة وغير ذلك..

أما مجال التّحريض الخاص، فهو التّحريض عَلى المُقاوَمة المُسلّحة، وهو من مهام أعضاء دعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة ومؤيديها، وخلاصته التّحريض عَلى الانخراط في مهمة القِتَال وتكون السَرايا الضاربة المنفصلة، سَرايا المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة، السَرايا الجهاديّة المُسلّحة.. وهذه مهمة يجب أن تقوم بها خلايا تنذر نفسها لهذه المهمة.

إن مهمة القِتَال هيَ مهمة كلّ مسلم وفرض عين عَلى كلّ مسلم وعلى كلّ مسلم، أن يجدد وسعه ويبذل جهده بقدره لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وعليه أن يرفع من مستوى ذلك الوسع بإعداد نفسه والتّعاون مع من يثق من إخوانه المُسلِمِين.

وأما مهمة التّحريض فهي مهمة كلّ بحسبه، وهي فرض عَلى كلّ امرئ حتَّى من عذر الله عن الجِهَاد من أصحاب الأعذار الّذين عذرهم الله تَعَالَى عن القِتَال فقال تَعَالَى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩١﴾ [التوبة: ٩١]. فقد عذرهم بشرط: ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وسمى ذلك منهم إحساناً فقال تَعَالَى: ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖ﴾

ولكن مهمة التّحريض المتخصصة تقع عَلى عاتق المؤهلين لذلك.. ومهمتهم أن يشكلوا خلايا للدعوة للجِهَاد والتّحريض عليه، ويسهلوا سبل ذلك للنَّاس بإمدادهم بالمعلومات والتوجيه والبَرَامج، وهذه الخلايا هيَ ما ندعوه **سَرايا التّحريض** عَلى أن يدرك القائمون عَلى هذه السَرايا أن القيام بمهمة التّحريض لا يسقط عنهم فريضة القِتَال، إلا أن يكونوا حالات خاصّة من أهل العلم المتفرغين للدعوة والجِهَاد بالعلم والفكر والنيَّة كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾ [التوبة]

ومن المهام الرَّئيسيَّة لسَرايا التّحريض في دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ما يلي:

(١) – نشر كتب ورسائل دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة بكل وسيلة ونشر ممكنة، لإيصالها لأوسع دائرة ممكنة من شرائح الأُمّة المسلمة ومكوّناتها.

(٢) – نشر كلّ ما من شأنه مساعدة الأُمّة عَلى الجِهَاد من مناهج التّدريب والإعداد العسكريّ والدَّورات العسكريّة وطرق المُقاوَمة الشعبيَّة.. وسنحاول أن نيسر من ذلك ملاحق لسلسلة كتب ورسائل دعوة المُقاوَمة بإذن الله.

(٣) – ترجمة هذه الرّسائل والكتب والمناهج إلى اللغات الإِسْلَاميّة الحية الرَّئيسيَّة كاللغة التركية والأردية والإندونيسية والماليزية..غيرها من لغات المُسلِمِين الكثيرة، وهذه مهمة من يتقن اللغة العربيَّة من أبناء تلك الجنسيات والقوميات ونقل هذه المُؤلّفات والرسائل إلى اللغات الحية الرَّئيسيَّة المتداولة

من قبل المُسلِمِين مثل اللغة الإنكليزية والفرنسية والأسبانية والرُّوسية والألمانية، وهذه مهمة من يتقن هذه اللغات واللغة العربيَّة بشكل مجيد يمكنه من الترجمة الأمنيّة، ولاسيما التدقيق عَلى ترجمات النّصوص الدّينيّة والفتاوى، فهو مستوى يتطلب العلم باللغتين، بالإضافة لمستوى عال من فهم النّصوص الشَّرعيَّة ولغة الخطاب الدّيني.

(٤) - نشر كلّ فكر من شأنه إذ كاد روح المُقاوَمة ومن ذلك:

- فتاوى العُلَماء الأقدمين والمعاصرين في جِهَاد الأَعدَاء ومن أعانهم بكل وسيلة.

- فتاوى العُلَماء وكتابات المفكرين الإِسْلَاميّين الّذين ينادون بمفاصلة الكافرين ومقاطعتهم ومقاطعة من تعاون معهم في كلّ مجال.

- الشعر والأدبيات والأناشيد والكتابات الفكريّة وكل نشاط أدبي أو فكري أو ثقافي أو فني ينشر روح المُقاوَمة.

ويجب الانتباه لأمرين مهمين جداً جداً.. وهما:

١ - وهو عدم إصدار أي بيان أو كتاب أو فتوى أو مؤلف بالإسم المحدد (دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة) حتَّى لا يلحق بها جهلاً أو عمداً ما يتناقض مع منهجها الّذي حددناه ونشرناه تحت اسم سلسلة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

وإنما نشر ما يرونه داعما للمقاومة باسم أصحابه أو باسم عام حقيقي أو حركي بحسب ما يختار أصحابه له، وهذا أمر مهم جداً.

أما السَرايا الّتي تنفذ العمليَّات فلا تزيد في بيانها عَلى تبني العمليّة باسم سَرايا المُقاوَمة واسم السرية الخاص، بدون أي رسالة إعلاميَّة فكريّة أو سياسيّة أو شرعيّة.

٢ - الالتزام في نشر تلك الأدبيات والنَّشاطات والفتاوى وإن كانَ باسم أصحابها بمبادئ دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة وأسَّسَها العقدية المبنية في دستور المُقاوَمة ونظريتها المنهجيّة.

والمشروحة في أسس نظريتها السّياسيّة واستراتيجيتها العامّة المبينة في نظريتها السّياسيّة وأسَّسَها الأخرى المبينة في باقي أدبياتنا الخاصّة، كلّ هذا تمشياً مع الوضع السري الّذي يفرضه علينا الواقع الأمني والحَركيّ للحملات الطَّاغية الآن.

وعندما تنجلي هذه الأزمة سنعمل عَلى ذلك من خلال هيئة شرعيّة إعلاميَّة سياسيّة معلنة بمكوّناتها وأسماء كتابها وإدارتها إن شاء الله تَعَالَى.

وأما ونحن في مرحلة الجِهَاد السري والمُقاوَمة السرية قتالاً وتحريضاً فيجب الالتزام بهذه الضوابط حتَّى لا تنحرف الدّعوة بقصد المفسدين العامدين المدسوسين، أو بجهل المندفعين الّذين يقع بعضهم بجهله بأعظم من فجور الفاجر كما جاء في الأثر: (**إن الجاهل ليصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر**).

وأؤكد هنا عَلى براءة من ينتسب لهذه الدّعوة وبراءتي شخصيا من كلّ ما يتنافى مع أسس الدّعوة ومبادئها والَّتي بيناها بوضوح، وبينا أدلتها من الكتاب والسنة ومقتضى المصالح والمفاسد بناءا عَلى دُروس تجارب الجِهَاد السَّابقة ومسار الصّحوة الإِسْلَاميّة وعناءاتها.

أساليب وأفكار إعلاميَّة تحريضية لإحياء دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

أولاً: من حيث مادة الخطاب:

الاهتمام والتركيز عَلى جمع المواد في الأبواب التّالية:

١ – النّصوص القرآنية الّتي تحرض عَلى القِتَال والجِهَاد وتذكر أجر فاعله وجزاء القاعد عنه، ونصوص السنة النّبويّة في مثل ذلك.

٢ – فتاوى العُلَماء الأقدمين والمعاصرين في فرضية الجِهَاد ولاسيما جِهَاد الدَّفع، وفقه الجِهَاد وأحكامه وآدابه وما يتعلق به.

٣ – جمع القصص من سيرة الرَّسُول ﷺ ومن سير المغازي وقصص التّاريخ الإِسْلَاميّ كله مما يحرض عَلى القِتَال ويذكر بأمجاد المُسلِمِين ومآسيهم ونوازلهم الكبرى.

٤ – التركيز عَلى تاريخ الحملات الصّليبيّة الأولى وأحداثها ووقائعها وأدبياتها ومجرياتها فأكثر أحداث اليَوْم وأطرافه هيَ مما يعيد فيه التّاريخ نفسه.

٥ – التركيز عَلى الحملات الصّليبيّة الاستعماريّة المعاصرة منذُ مطلع القرن السَّادس عشر ولاسيما حملات الدّول الاستعماريّة الكبرى منذُ القرن الثَّامن عشر وأحداث ذلك وتاريخه وقصص جِهَاد أجدادنا للروم المعاصرين في كلّ بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

٦ - جمع قصص المآسي والعدوان والمجازر والدمار الّذي أحدثه الاستعمار الحديث في بلادنا بالوقائع والإحصائيات والشواهد ولاسيما من مصادرهم وكتبهم الّتي اعترفت بذلك.

٧ - ذكر تاريخ المؤامرات المعاصرة عَلى العالم الإِسْلَاميّ من قبل المُستَعمرين وحركات الإستشراق وعلاقة الاستشراق والغزو الفكريّ بالإستعمار ومساره.

٨ - ذكر دور حملات التغريب الفكريّ والمذاهب العلمانيّة المعاصرة وأحزابها ومفكريها ودعاتها ورجالها من أبناء عالمنا العربيّ والإِسْلَاميّ ودورهم الفكريّ والسّياسيّ في خدمة الاستعمار وتدمير الأُمّة.

٩ - ذكر وقائع الهجمة الصّهيونيّة اليَهُوْدية عَلى العالم الإِسْلَاميّ منذُ وعد بلفور والهجرات الصّهيونيّة لفلسطين ومراحل قيام إسرائيل ومراحل الصِّرَاع العربيّ الإسرائيلي وتاريخه ثمّ تاريخ مؤامرات ما يسمى (بالسَّلام مع اليَهُوْد) والتطبيع معهم وبرَامجه العسكريّة والسّياسيّة والاقتصاديَّة والثَّقافيَّة والاجتماعيَّة وأثره المدمر عَلى العالم الإِسْلَاميّ.

١٠ - ذكر وقائع الهجمة الأمريكيّة المعاصرة عَلى العالم الإِسْلَاميّ منذُ انطلاق النّظام العَالَميّ الجَدِيد وأساليبها وميادينها، والتعريف بأمريكا وفسادها في الأرض في كلّ مجالات الحضارة والحياة والعلوم ومجازرها وهجمتها في البشرية منذُ انطلقت إلى العالم إبَّان الحَرب العَالَميّة الثّانية وإلى اليَوْم وكشف مساوئها الحَضَاريَّة بكل أبعادها للمسلمين، وذكر دور حلفائها الأوروبيين والغربيّين المعاصرين ولاسيما الرَّئيسين من مكوّنات حلف النّاتو، وواقع خداعهم ومكرهم ومشاركتهم في الغزو الحالي.

١١ - الاهتمام بذكر تاريخ الصّحوة الإِسْلَاميّة ومآثرها بكافة مدارسها في الحفاظ عَلى دين الأُمّة ومكوّناتها، وصراعات الصّحوة وتجاربها ومشاهدها وشهدائها ورجالها وتاريخها في كلّ بلد من قبل أصحاب ذلك البلد ومن شهد تلك التَّجارب ولاسيما الجهاديّة منها ونشر وعي الأُمّة بتاريخها المعاصر.

١٢ - الاهتمام بنشر أدب المُقاوَمة المعاصر شعراً ونشراً ونشيداً وفناً وكل ما من شأنه إزكاء روح الحماسة والإقدام والجِهَاد.

١٣ - التنبه عَلى محاور الغزو الفكريّ والثقافي الأمريكيّ المعاصر ووسائله في الإفساد الفكريّ والاجتماعي ووسائله عبر الإنترنت والفضائِيَّات ودور الطابور الخامس من المستغربين والمتأمركين

صراحةً ومن العادين عَلى الإِسْلَام وفكرة وتراثه باسم الإعتدال والوسطية ودعاة الإِسْلَام الأمريكيّ المعاصر.

١٤ - نشر الثّقافة الأمنيّة وكتبها ونشر ملخصات لذلك وتوعية المُسلِمِين بأساليب الأَعدَاء الأمنيّة في اختراق مجتمعاتنا ومحاربة المُقاوَمة.

١٥ - نشر الثّقافة العسكريّة وكتبها وملخصات بكتبها وبالمدارس العسكريّة المعاصرة وبحُرُوب العِصَابات وأساليبها وطرق المُقاوَمة الشعبيَّة وأسلحتها، وتبادل الخبرات والتَّجَارب المعاصرة في مُوَاجَهة هذه الحملات الأمريكيّة الطَّاغية.

١٦- نشر أبعاد الحملات الأمريكيّة في كلّ مجال، في مجال المهينة العسكريّة ومجال المؤامرات السّياسيّة ومجال النهب الاقتصاديّ ومجالات التدمير الحضاري الثقافي والاجتماعي وطرق مكافحة كلّ ذلك..

١٧- نشر فظائع الحملات الأمريكيّة وأفعالها وأفعال حلفائها وفظائعهم لاستثارة الهمم والنخوة والحمية في الأُمّة.

١٨ - تعميم فتاوى العُلَماء والمواد المفيدة الصغيرة الحجم من خلال إرسالها عبر البريد الإلكتروني لمختلف شرائح الأُمّة..

١٩ - إرسال رسائل النصح والتذكير للمنحرفين والمتعاونين مع الحملات الأمريكيّة في كلّ مجال من مجالاتها الحَضَاريَّة عامة.

٢٠ - إرسال رسائل التهديد والوعيد للمؤسسات والشخصيات المتعاملة مع الحملات الأمريكيّة الغربيّة الصّهيونيّة في كلّ مجال.

٢١- إرسال رسائل التّحريض الموجزة المدعمة بالصُّور والشواهد لمختلف المؤسسات والأوساط والشخصيات في مختلف شرائح الأُمّة.

هذه مجرد أمثلة لفتح الآفاق والبركة في إبداع العاملين بتوفيق الله.

ثانياً: أفكار في وسائل إيصال الخطاب: أذكر بالأساليب الأساسيّة:

١ - استغلال إمكانيَّات شبكات الإنترنت والبريد الإلكتروني وشبكات الاتّصال الدّولية في إيصال كلّ تلك المعلومات وتبادلها وبلاغها لأصحابها ودخول المنتديات الحوارية مع الانتباه الأمني لاستعمال تلك

الشبكات، وهذا باب خطير يجب التنبه له بعدم بث مواد خطير ومن مواقع ثابتة أو فتح مواقع مراقبة من أرقام شخصية...

٢ استغلال السباق الإعلاميّ في الفضائِيَّات العربيَّة والإِسْلَاميّة والإعلاميَّة في إيصال المواد الإعلاميَّة من بيانات وفتاوى ومعلومات وكل ما يمكن أن تستجيب الفضائِيَّات لنشره وكذلك عبر الندوات والمقابلات والحواريات والاتّصال المباشر مع مراعاة الرزانة والأدب والعلمية وهوامش الحريَّة في تلك الفضائيَّات..

٣ - استغلال إمكانيَّات الكومبيوتر في نشر كلّ المواد عبر الكتب والنشرات والمحاضرات والصُّور وأفلام الفيديو الّتي يمكن تحميل كميات كبيرة منها في الأقراص الإلكترونية المضغوطة، وإرسالها بالبريد أو التبادل الشخصي، أو عبر الانترنيت.

٤ - الاستفادة من المساجد والدُّروس والخطب والاجتماعات العامّة بكل صعيد يمكن في خطاب المُسلِمِين.

٥ - نشر المنشورات والأبحاث مطبوعة وتداولها بين المُسلِمِين ولاسيما الشرائح الشعبيَّة الّتي لا تستعمل وسائل الاتّصال المعاصرة وكذلك نشر الكاسيت وأفلام الفيديو في تلك الأوساط.

شواهد مختارة للتّحريض وشَحذ الهِمَم:

فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر:

قَالَ الإِمَام الجصاص في أحكام القرآن(١)، ما ننقل منه باختصار:

[قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران] قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ حَوَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَعْنَيَيْنِ. أَحَدُهُمَا: وُجُوبُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَالْآخَرُ: أَنَّهُ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ لَيْسَ بِفَرْضٍ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ فِي نَفْسِهِ إذَا قَامَ بِهِ غَيْرُهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ وَحَقِيقَتُهُ تَقْتَضِي الْبَعْضَ دُونَ الْبَعْضِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ فَرْضُ الْكِفَايَةِ إذَا قَامَ بِهِ بَعْضُهُمْ سَقَطَ عَنْ الْبَاقِينَ.

وَقَدْ ذَكَرَ الله تَعَالَى الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ مِنْ كِتَابِهِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال فيما حكى عن لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان] وقال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات] وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة]

فَهَذِهِ الْآيُ وَنَظَائِرُهَا مُقْتَضِيَةٌ لِإِيجَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَهِيَ عَلَى مَنَازِلَ: أَوَّلُهَا تَغْيِيرُهُ بِالْيَدِ إذَا أَمْكَنَ، فَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ وَكَانَ فِي نَفْيِهِ خَائِفًا عَلَى نَفْسِهِ إذَا أَنْكَرَهُ بِيَدِهِ فَعَلَيْهِ إنْكَارُهُ بِلِسَانِهِ، فَإِنْ تَعَذَّرَ ذَلِكَ لِمَا وَصَفْنَا فَعَلَيْهِ إنْكَارُهُ بِقَلْبِهِ.

عن أبي سعيد الخدري قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَاسْتَطَاعَ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(٢).

---

(١) أحكام القرآن للجصاص: (٢/ ٣١٥) وما بعدها.

(٢) رواه مسلم (٤٩) وهذا اللفظ عند ابن ماجه (٤٠١٣).

عن عبدالله بن جرير البجلي عن أبيه، أن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ، لَمْ يُغَيِّرُوهُ إِلَّا عَمَّهُمُ الله بِعِقَابٍ»(١).

عن عبدالله بن مسعود قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ الله قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة] إلى قوله: ﴿فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة] ثُمَّ قَالَ: كَلَّا وَالله لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا»، قَالَ أبو داود وزاد فيه: «أَوْ لَيَضْرِبَنَّ الله بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ»(٢)، فأخبر النبيّ ﷺ أَنَّ مِنْ شَرْطِ النَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ أَنْ يُنْكِرَهُ ثُمَّ لَا يُجَالِسَ الْمُقِيمَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَلَا يُؤَاكِلَهُ، وَلَا يُشَارِبَهُ، وَكَانَ مَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ ذَلِكَ بَيَانًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المائدة: ٨٠] فَكَانُوا بِمُؤَاكَلَتِهِمْ إِيَّاهُمْ وَمُجَالَسَتِهِمْ لَهُمْ تَارِكِينَ لِلنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة] مَعَ مَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ إِنْكَارِهِ بِلِسَانِهِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ ينفه مع مجالسته ومؤاكلته ومشاربته إياه، قَدْ رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتَضَعُونَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإنا سمعنا النبيّ ﷺ يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعِقَابٍ»(٣)، وحدثنا محمّد بن بكر (...) حدثني أبو أمية الشعباني قَالَ: **سألت أبا ثعلبة الخشني فقلت: { يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ فقال: أَمَا وَالله لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ الله ﷺ قَالَ:** «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ - يَعْنِي - بِنَفْسِكَ، وَدَعْ

---

(١) رواه أحمد (١٩٢٣٠) وأبو داود (٤٣٣٩) وابن ماجة (٤٠٠٩) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه أبو داود (٤٣٣٦، ٤٣٣٧) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه أبو داود (٤٣٣٨) والترمذي (٢١٦٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

عَنْكَ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ»، وَزَادَنِي غَيْرُهُ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ»[١].

وَفِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ لَهُمَا حَالَانِ: حَالٌ يُمْكِنُ فِيهَا تَغْيِيرُ الْمُنْكَرِ وَإِزَالَتُهُ فَفَرْضٌ عَلَى مَنْ أَمْكَنَهُ إزَالَةُ ذَلِكَ بِيَدِهِ أَنْ يُزِيلَهُ؛ وَإِزَالَتُهُ بِالْيَدِ تَكُونُ عَلَى وُجُوهٍ: مِنْهَا أَنْ لَا يُمْكِنَهُ إزَالَتُهُ إلَّا بِالسَّيْفِ وَأَنْ يَأْتِيَ عَلَى نَفْسِ فَاعِلِ الْمُنْكَرِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، كَمَنْ رَأَى رَجُلًا قَصَدَهُ أَوْ قَصَدَ غَيْرَهُ بِقَتْلِهِ أَوْ بِأَخْذِ مَالٍ أَوْ قَصَدَ الزِّنَا بِامْرَأَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَنْتَهِي إنْ أَنْكَرَهُ بِالْقَوْلِ أَوْ قَاتَلَهُ بِمَا دُونَ السِّلَاحِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَهُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ رَأى مِنْكُم مُنكرًا فليغيّرهُ بيدِهِ»[٢]، فَإِذَا لَمْ يُمْكِنْهُ تَغْيِيرُهُ بِيَدِهِ إلَّا بِقَتْلِ الْمُقِيمِ عَلَى هَذَا الْمُنْكَرِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَهُ فَرْضًا عَلَيْهِ، وَإِنْ غَلَبَ فِي ظَنِّهِ أَنَّهُ إنْ أَنْكَرَهُ بِيَدِهِ وَدَفَعَهُ عَنْهُ بِغَيْرِ سِلَاحٍ انْتَهَى عَنْهُ لَمْ يَجُزْ لَهُ الْإِقْدَامُ عَلَى قَتْلِهِ، وَإِنْ غَلَبَ فِي ظَنِّهِ أَنَّهُ إنْ أَنْكَرَهُ بِالدَّفْعِ بِيَدِهِ أَوْ بِالْقَوْلِ امْتَنَعَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ دَفْعُهُ عَنْهُ وَلَمْ يُمْكِنْهُ إزَالَةُ هَذَا الْمُنْكَرِ إلَّا بِأَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ مِنْ غَيْرِ إنْذَارٍ منه له فعليه أن يقتله.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ رُسْتُمَ عَنْ مُحَمَّدٍ فِي رَجُلٍ غَصَبَ مَتَاعَ رَجُلٍ: (وَسِعَكَ قَتْلُهُ حَتَّى تَسْتَنْقِذَ الْمَتَاعَ وَتَرُدَّهُ إلَى صَاحِبِهِ) وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ فِي السَّارِقِ إذَا أَخَذَ الْمَتَاعَ: (وَسِعَكَ أَنْ تَتْبَعَهُ حَتَّى تَقْتُلَهُ إنْ لَمْ يَرُدَّ الْمَتَاعَ)، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ فِي اللِّصِّ الَّذِي يَنْقُبُ الْبُيُوتَ: (يَسَعُكَ قَتْلُهُ) وَقَالَ فِي رَجُلٍ يُرِيدُ قَلْعَ سِنِّك، قَالَ (فَلَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ إذَا كُنْت فِي مَوْضِعٍ لَا يُعِينُك النَّاسُ عَلَيْهِ) وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْله تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩]، فَأَمَرَ بِقِتَالِهِمْ، وَلَمْ يَرْفَعْهُ عَنْهُمْ إلَّا بَعْدَ الْفَيْءِ إلَى أَمْرِ الله تَعَالَى وَتَرْكِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الْبَغْيِ وَالْمُنْكَرِ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ رَأى مِنكُم مُنكرًا فليغيّرهُ بيدِهِ»[٢] يُوجِبُ ذَلِكَ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَمَرَ بِتَغْيِيرِهِ بِيَدِهِ عَلَى أَيِّ وَجْهٍ أَمْكَنَ ذَلِكَ، فَإِذَا لَمْ يُمْكِنْهُ تَغْيِيرُهُ إلَّا بِالْقَتْلِ فَعَلَيْهِ قَتْلُهُ حَتَّى يُزِيلَهُ.

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤)، وحسنه الأرنؤوط، وقال الألباني: ضعيف لكن فقرة أيام الصبر ثابتة.

(٢) رواه مسلم (٤٩).

وَكَذَلِكَ قُلْنَا فِي أَصْحَابِ الضَّرَائِبِ وَالْمُكُوسِ الَّتِي يَأْخُذُونَهَا مِنْ أَمْتِعَةِ النَّاسِ: إِنَّ دِمَاءَهُمْ مُبَاحَةٌ وَوَاجِبٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَتْلُهُمْ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ إِنْذَارٍ مِنْهُ لَهُ، وَلَا التَّقَدُّمِ إِلَيْهِمْ بِالْقَوْلِ؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ مِنْ حَالِهِمْ أَنَّهُمْ غَيْرُ قَابِلِينَ إِذَا كَانُوا مُقْدِمِينَ عَلَى ذَلِكَ مَعَ الْعِلْمِ بِحَظْرِهِ، وَمَتَى أَنْذَرَهُمْ مَنْ يُرِيدُ الْإِنْكَارَ عَلَيْهِمْ امْتَنَعُوا منه حَتَّى لَا يُمْكِنَ تَغْيِيرُ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْمُنْكَرِ، فَجَائِزٌ قَتْلُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُقِيمًا عَلَى ذَلِكَ، وَجَائِزٌ مَعَ ذَلِكَ تَرْكُهُمْ لِمَنْ خَافَ إِنْ أَقْدَمَ عَلَيْهِمْ بِالْقَتْلِ أَنْ يُقْتَلَ؛ إِلَّا أَنَّ عَلَيْهِ اجْتِنَابَهُمْ وَالْغِلْظَةَ عَلَيْهِمْ بِمَا أَمْكَنَ وَهِجْرَانَهُمْ.

وحديث أبي ثعلبة الخشني أيضًا الّذي قدمناه يدل عَلى ذلك؛ لأنه قال ﷺ: «**ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ حَتَّى إذَا رَأَيْت شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْك نَفْسَك وَدَعْ عَنْك الْعَوَامَّ**» يَعْنِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ: إذَا لَمْ يَقْبَلُوا ذَلِكَ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَآرَاءَهُمْ فَأَنْت فِي سَعَةٍ مِنْ تَرْكِهِمْ وَعَلَيْك نَفْسَك وَدَعْ أَمْرَ الْعَوَامّ وَأَبَاحَ تَرْكَ النَّكِيرِ بِالْقَوْلِ فِيمَنْ هَذِهِ حَالُهُ، وَرُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ لَهُ: قَدْ أَعْيَانِي أَنْ أَعْلَمَ مَا فُعِلَ بِمَنْ أَمْسَكَ عَنْ الْوَعْظِ مِنْ أَصْحَابِ السَّبْتِ فَقُلْت لَهُ: أَنَا أُعَرِّفُك ذَلِكَ اقْرَأْ الْآيَةَ الثَّانِيَةَ قَوْله تَعَالَى: ﴿أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥] قَالَ: فَقَالَ لِي: أَصَبْت وَكَسَانِي حُلَّةً، فَاسْتَدَلَّ ابْنُ عَبَّاسٍ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ مَنْ عَمِلَ السُّوءَ وَمَنْ لَمْ يَنْهَ عَنْهُ فَجَعَلَ الْمُمْسِكِينَ عَنْ إنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِمَنْزِلَةِ فَاعِلِيهِ فِي الْعَذَابِ.

وَحَدَّثَنَا مَكْرَمُ بْنُ أَحْمَدَ الْقَاضِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَطِيَّةَ الْكُوفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحِمَّانِيُّ قَالَ: سَمِعْت ابْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا حَنِيفَةَ قَتْلُ إبْرَاهِيمَ الصَّائِغَ بَكَى حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَمُوتُ فَخَلَوْت بِهِ فَقَالَ: كَانَ وَاللهِ رَجُلًا عَاقِلًا وَلَقَدْ كُنْت أَخَافُ عَلَيْهِ هَذَا الْأَمْرَ؛ قُلْت: وَكَيْفَ كَانَ سَبَبُهُ؟ قَالَ: كَانَ يَقْدُمُ وَيَسْأَلُنِي وَكَانَ شَدِيدَ الْبَذْلِ لِنَفْسِهِ فِي طَاعَةِ اللهِ وَكَانَ شَدِيدَ الْوَرَعِ كُنْت رُبَّمَا قَدَّمْت إلَيْهِ الشَّيْءَ فَيَسْأَلُنِي عَنْهُ وَلَا يَرْضَاهُ وَلَا يَذُوقُهُ وَرُبَّمَا رَضِيَهُ فَأَكَلَهُ فَسَأَلَنِي عَنْ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ إلَى أَنْ اتَّفَقْنَا عَلَى أَنَّهُ فَرِيضَةٌ مِنْ اللهِ تَعَالَى فَقَالَ لِي: مُدَّ يَدَك حَتَّى أُبَايِعَك فَأَظْلَمَتْ الدُّنْيَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ؛ فَقُلْت: وَلِمَ؟ قَالَ: دَعَانِي إلَى حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ اللهِ فَامْتَنَعْت عَلَيْهِ وَقُلْت لَهُ إنْ قَامَ بِهِ رَجُلٌ وَحْدَهُ قُتِلَ وَلَمْ يَصْلُحْ لِلنَّاسِ أَمْرٌ وَلَكِنْ إنْ وَجَدَ عَلَيْهِ أَعْوَانًا صَالِحِينَ وَرَجُلًا يَرْأَسُ عَلَيْهِمْ مَأْمُونًا عَلَى دَيْنِ اللهِ لَا يَحُولُ، قَالَ: وَكَانَ يَقْتَضِي ذَلِكَ كُلَّمَا قَدِمَ عَلَى تَقَاضِي الْغَرِيمِ الْمُلِحِّ كُلَّمَا قَدِمَ عَلَيَّ تَقَاضَانِي فَأَقُولُ لَهُ: هَذَا أَمْرٌ لَا يَصْلُحُ بِوَاحِدٍ مَا أَطَاقَتْهُ

الْأَنْبِيَاءُ حَتَّى عَقَدَتْ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ وَهَذِهِ فَرِيضَةٌ لَيْسَتْ كَسَائِرِ الْفَرَائِضِ؛ لِأَنَّ سَائِرَ الْفَرَائِضِ يَقُومُ بِهَا الرَّجُلُ وَحْدَهُ وَهَذَا مَتَى أُمِرَ بِهِ الرَّجُلُ وَحْدَهُ أَشَاطَ بِدَمِهِ وَعَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْقَتْلِ فَأَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يُعِينَ عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ، وَإِذَا قُتِلَ الرَّجُلُ لَمْ يَجْتَرِئْ غَيْرُهُ أَنْ يُعَرِّضَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ يَنْتَظِرُ فَقَدْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَرْوَ حَيْثُ كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ، فَكَلَّمَهُ بِكَلَامٍ غَلِيظٍ فَأَخَذَهُ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ فُقَهَاءُ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَعِبَادُهُمْ حَتَّى أَطْلَقُوهُ، ثُمَّ عَاوَدَهُ فَزَجَرَهُ، ثُمَّ عَاوَدَهُ ثُمَّ قَالَ: مَا أَجِدُ شَيْئًا أَقُومُ بِهِ للهِ تَعَالَى أَفْضَلَ مِنْ جِهَادِكَ وَلَأُجَاهِدَنَّكَ بِلِسَانِي لَيْسَ لِي قُوَّةٌ بِيَدِي، وَلَكِنْ يَرَانِي اللهُ، وَأَنَا أُبْغِضُكَ فِيهِ فَقَتَلَهُ].

وأضاف الجصاص رَحِمَهُ اللهُ:

[وَلَمْ يَدْفَعْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ وَفُقَهَائِهَا سَلَفِهِمْ وَخَلَفِهِمْ وُجُوبَ ذَلِكَ إِلَّا قَوْمٌ مِنَ الْحَشْوِ وَجُهَّالِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ أَنْكَرُوا قِتَالَ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالسِّلَاحِ وَسَمُّوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فِتْنَةً إِذَا احْتِيجَ فِيهِ إِلَى حَمْلِ السِّلَاحِ وَقِتَالِ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ مَعَ مَا قَدْ سَمِعُوا فِيهِ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] وَمَا يَقْتَضِيهِ اللَّفْظُ مِنْ وُجُوبِ قِتَالِهَا بِالسَّيْفِ وَغَيْرِهِ وَزَعَمُوا مَعَ ذَلِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ لَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ الظُّلْمُ وَالْجَوْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ وَإِنَّمَا يُنْكَرُ عَلَى غَيْرِ السُّلْطَانِ بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْيَدِ بِغَيْرِ سِلَاحٍ فَصَارُوا شَرًّا عَلَى الْأُمَّةِ مِنْ أَعْدَائِهَا الْمُخَالِفِينَ لَهَا لِأَنَّهُمْ أقعدوا الناس عَنْ قِتَالِ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ وَعَنْ الْإِنْكَارِ عَلَى السُّلْطَانِ الظُّلْمَ وَالْجَوْرَ حَتَّى أَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَغَلُّبِ الْفُجَّارِ بَلْ الْمَجُوسِ وَأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ حَتَّى ذَهَبَتْ الثُّغُورُ وَشَاعَ الظُّلْمُ وَخَرِبَتْ الْبِلَادُ وَذَهَبَ الدين والدنيا وظهرت الزندقة والغلو ومذهب الثَّنَوِيَّةِ وَالْخُرَّمِيَّةِ وَالْمَزْدَكِيَّةِ وَالَّذِي جَلَبَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْهِمْ تَرْكُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ وَالْإِنْكَارِ عَلَى السُّلْطَانِ الْجَائِرِ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ»[(١)]، وحدثنا محمّد بن عمر قَالَ (...): سمعت أبا حنيفة يقول: أنا حدثت إبراهيم الصائغ عن

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (٢١٧٤) وصححه الألباني.

عكرمة عن ابن عبّاس: قَالَ النبيّ ﷺ: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ»[(١)].

قَالَ الحسن قَالَ النبيّ ﷺ: «من أَمر بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَن الْمُنكر فَهُوَ خَلِيفَة الله فِي أرضه وَخَلِيفَة رَسُوله وَخَلِيفَة كِتَابه»[(٢)]، وعَنْ دُرَّةَ بِنْتِ أَبِي لَهَبٍ قالت: جاء رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وهو عَلى المنبر فقال: من خير النّاس يا رسول الله؟ قَالَ: «آمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وأتقاهُم لله وأوصَلِهم لِرَحِمه»[(٣)].

عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا يحلّ لمؤمنٍ أنْ يُذِلَّ نَفسَهُ» قالوا: يا رسول الله وما إذلاله نفسه؟، قَالَ: «يَتَعَرَّضُ مِنَ البَلَاءِ لما لا يَقُومُ لَهُ» قلت وخرجه ابن ماجه[(٤)] عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن بن جندب عن حذيفة عن النبيّ ﷺ وكلاهما قد تكلم فيه، وروي عن بعض الصّحابة أنّه قَالَ: «**إنّ الرجل إذا رأى مُنكرا لا يستطيع النكير عليه فليقل -ثلاث مرات-: اللّهم إن هذا مُنكر فإذا قَالَ ذلك فقد فعل ما عليه**» وزعم ابن العربيّ: أن من رجا زواله وخاف عَلى نفسه من تغييره الضرب أو القتل جاز له عند أكثر العُلَمَاء الاقتحام عند هذا الغرر وإن لم يرج زواله فأي فائدة عنده قَالَ والّذي عندي أن النِّيَّة إذا خلصت فليقتحم كيف ما كانَ ولا يبالي قلت هذا خلاف ما ذكره أبو عمر من الإجماع وهذه الآية تدل عَلى جواز الأمر بالمعروف والنهي عن الْمُنكر مع خوف القتل، وقال تَعَالَى: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان]وهذا إشارة إلى الإذاية.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤٨٨٤) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧٤).

(٢) جاء في الفتن لابن حماد (٢٤٥) وفي كنز العمال (٥٥٦٤)، وقد رَوَاهُ ابْن عدي فِي كِتَابه الْكَامِل من حَدِيث كَادِح بن رَحْمَة الْقَرنِي عَن عبد الله بن لَهِيعَة عَن ابْن أبي حبيب عَن مُسلم بن جَابر الصَّدَفِي عَن عبَادَة ابْن الصَّامِت، وَفِيه حَدِيث مُرْسل رَوَاهُ عَلّي بن معبد فِي كتاب الطَّاعَة وَالْمَعْصِيَة ثَنَا بَقِيَّة ابْن الْوَلِيد الْحِمصِي عَن حسان بن سُلَيْمَان عَن أبي نَضرة عَن الْحسن، فَذكره وَبِهَذَا السَّنَد رَوَاهُ الثَّعْلَبِيّ فِي تَفْسِيره.

(٣) رواه أحمد (٢٧٤٣٤) بلفظ قريب وضعف إسناده الأرنؤوط.

(٤) رواه الترمذي (٢٢٥٤) وابن ماجه (٤٠١٦) وأحمد (٢٣٤٤٤) وهو عندهم بلفظ: «لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ» قَالُوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «يَتَعَرَّضُ مِنَ البَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ». صححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

روى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ الله مَتَى نَتْرُكُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: «إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله وَمَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا؟ قَالَ: «الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ، وَالْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ» قَالَ زَيْدٌ: (تَفْسِيرُ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَالْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ»، إِذَا كَانَ الْعِلْمُ فِي الْفُسَّاقِ) [١].] أهـ.[٢]

وقال الإمَام ابن تَيمِيّة في الفتاوى في الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر:

[وقال تعَالَى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]

ولهذا قَالَ أبوهريرة: (**كُنْتُمْ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي الْأَقْيَادِ وَالسَّلَاسِلِ حَتَّى تُدْخِلُوهُمْ الْجَنَّةَ**) فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ خَيْرُ الْأُمَمِ لِلنَّاسِ: فَهُمْ أَنْفَعُهُمْ لَهُمْ وَأَعْظَمُهُمْ إحْسَانًا إلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَمَّلُوا أَمْرَ النَّاسِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِمْ عَنْ الْمُنْكَرِ مِنْ جِهَةِ الصِّفَةِ وَالْقَدْرِ حَيْثُ أَمَرُوا بِكُلِّ مَعْرُوفٍ وَنَهَوْا عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ لِكُلِّ أَحَدٍ وَأَقَامُوا ذَلِكَ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَهَذَا كَمَالُ النَّفْعِ لِلْخَلْقِ.

وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ لَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ بِعَيْنِهِ بَلْ هُوَ عَلَى الْكِفَايَةِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَلَمَّا كَانَ الْجِهَادُ مِنْ تَمَامِ ذَلِكَ كَانَ الْجِهَادُ أَيْضًا كَذَلِكَ فَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ مَنْ يَقُومُ بِوَاجِبِهِ أَثِمَ كُلُّ قَادِرٍ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ؛ إذْ هُوَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ إنْسَانٍ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[٣].

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَإِتْمَامَهُ بِالْجِهَادِ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْمَعْرُوفِ الَّذِي أُمِرْنَا بِهِ؛ وَلِهَذَا قِيلَ: لِيَكُنْ أَمْرُك بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُك عَنْ الْمُنْكَرِ غَيْرَ مُنْكَرٍ، وَإِذَا كَانَ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ والمستحبات فَالْوَاجِبَاتُ والمستحبات لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ الْمَصْلَحَةُ فِيهَا رَاجِحَةً عَلَى الْمَفْسَدَةِ؛ إذْ بِهَذَا بُعِثَتْ الرُّسُلُ وَنَزَلَتْ الْكُتُبُ وَاَللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ؛ بَلْ كُلُّ مَا أَمَرَ الله بِهِ فَهُوَ صَلَاحٌ، و وَقَدْ أَثْنَى الله عَلَى الصَّلَاحِ وَالْمُصْلِحِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَمَّ الْمُفْسِدِينَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فَحَيْثُ كَانَتْ مَفْسَدَةُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ أَعْظَمَ مِنْ مَصْلَحَتِهِ لَمْ تَكُنْ مِمَّا أَمَرَ الله بِهِ وَإِنْ كَانَ قَدْ تُرِكَ وَاجِبٌ وَفُعِلَ مُحَرَّمٌ؛ إذْ

---

(١) رواه ابن ماجة (٤٠١٥) وأحمد (١٢٩٤٣)، وضعفه الألباني وقواه الأرنؤوط.

(٢) (أحكام القرآن للجصاص: ٢/ باختصار).

(٣) رواه مسلم (٤٩).

الْمُؤْمِنُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَّ فِي عِبَادِهِ وَلَيْس عَلَيْهِ هُدَاهُمْ وَهَذَا مَعْنَى قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥] وَالِاهْتِدَاءُ إنَّمَا يَتِمُّ بِأَدَاءِ الْوَاجِبِ فَإِذَا قَامَ الْمُسْلِمُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ كَمَا قَامَ بِغَيْرِهِ مِنْ الْوَاجِبَاتِ لَمْ يَضُرَّهُ ضَلَالُ الضُّلَّالِ، وَذَلِكَ يَكُونُ تَارَةً بِالْقَلْبِ؛ وَتَارَةً بِاللِّسَانِ؛ وَتَارَةً بِالْيَدِ، فَأَمَّا الْقَلْبُ فَيَجِبُ بِكُلِّ حَالٍ؛ إذْ لَا ضَرَرَ فِي فِعْلِهِ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْهُ فَلَيْس هُوَ بِمُؤْمِنِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ: «وَذَلِكَ أَدْنَى - أَوْ - أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» وقال: «لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»، وَقِيلَ لِابْنِ مَسْعُودٍ: مَنْ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ؟ فَقَالَ: (**الَّذِي لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا**).

وَإِذَا كَانَ هَذَا حَدُّ كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ: فَالْآمِرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنْ الْمُنْكَرِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَلَا يَكُونُ عَمَلُهُ صَالِحًا إنْ لَمْ يَكُنْ بِعِلْمِ وَفِقْهٍ وَكَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ عَبَدَ اللهَّ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ، وَكَمَا فِي حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه: (**الْعِلْمُ إمَامُ الْعَمَلِ وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ**) وَهَذَا ظَاهِرٌ فَإِنَّ الْقَصْدَ وَالْعَمَلَ إنْ لَمْ يَكُنْ بِعِلْمِ كَانَ جَهْلًا وَضَلَالًا وَاتِّبَاعًا لِلْهَوَى كَمَا تَقَدَّمَ وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَلَا بُدَّ مِنْ الْعِلْمِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا، وَلَا بُدَّ مِنْ الْعِلْمِ بِحَالِ الْمَأْمُورِ وَالْمَنْهِيِّ، وَمِنْ الصَّلَاحِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَهُوَ أَقْرَبُ الطُّرُقِ إلَى حُصُولِ الْمَقْصُودِ.

وَلَا بُدَّ فِي ذَلِكَ مِنْ الرِّفْقِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ: «مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إلَّا زَانَهُ؛ وَلَا كَانَ الْعُنْفُ فِي شَيْءٍ إلَّا شَانَهُ»(١)، **وَقَالَ**: «إنَّ اللهَّ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»(٢) «وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ»(٣) وَلَا بُدَّ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا صَبُورًا عَلَى الْأَذَى؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ أَذًى؛ فَإِنْ لَمْ يَحْلُمْ وَيَصْبِرْ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ، كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان] وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ الرُّسُلَ - وَهُمْ أَئِمَّةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ - بِالصَّبْرِ كَقَوْلِهِ

---

(١) أصله عند ابن حبان (٥٥١) بلفظ: «ولا كان الفحش..» وأحمد (١٣٥٣١) وغيرهما، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواية البخاري (٦٩٢٧)

(٣) رواية مسلم (٢٥٩٣).

لِخَاتَمِ الرُّسُلِ؛ بَلْ ذَلِكَ مَقْرُونٌ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا أُرْسِلَ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ اقْرَأْ الَّتِي بِهَا نُبِّئَ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ⑦﴾ [المدثر] فَافْتَتَحَ آيَاتِ الْإِرْسَالِ إلَى الْخَلْقِ بِالْأَمْرِ بِالنِّذَارَةِ وَخَتَمَهَا بِالْأَمْرِ بِالصَّبْرِ وَنَفْسُ الْإِنْذَارِ أَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ، فَعُلِمَ أَنَّهُ يَجِبُ بَعْدَ ذَلِكَ الصَّبْرُ وَقَالَ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] وقال تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ⑩﴾ [المزمل] ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]، ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ⑪⑮﴾ [هود].

فَلَا بُدَّ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ: الْعِلْمُ؛ وَالرِّفْقُ؛ وَالصَّبْرُ.

الْعِلْمُ قَبْلَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ؛ وَالرِّفْقُ مَعَهُ وَالصَّبْرُ بَعْدَهُ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْ الثَّلَاثَةِ مُسْتَصْحَبًا فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ؛ وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ وَرَوَوْهُ مَرْفُوعًا ؛ ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى فِي الْمُعْتَمَدِ: " لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنْ الْمُنْكَرِ إلَّا مَنْ كَانَ فَقِيهًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ؛ فَقِيهًا فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ؛ رَفِيقًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ؛ رَفِيقًا فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ؛ حَلِيمًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ حَلِيمًا فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ "، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ بِهَذِهِ الْخِصَالِ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ مِمَّا يُوجِبُ صُعُوبَةً عَلَى كَثِيرٍ مِنْ النُّفُوسِ؛ فَيَظُنُّ أَنَّهُ بِذَلِكَ يَسْقُطُ عَنْهُ فَيَدَعُهُ؛ وَذَلِكَ مِمَّا يَضُرُّهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَضُرُّهُ الْأَمْرُ بِدُونِ هَذِهِ الْخِصَالِ أو أَقَلَّ: فَإِنَّ تَرْكَ الْأَمْرِ الْوَاجِبِ مَعْصِيَةٌ: فَالْمُنْتَقِلُ مِنْ مَعْصِيَةٍ إلَى مَعْصِيَةٍ أَكْبَرَ مِنْهَا كَالْمُسْتَجِيرِ مِنْ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ وَالْمُنْتَقِلُ مِنْ مَعْصِيَةٍ إلَى مَعْصِيَةٍ كَالْمُنْتَقِلِ مِنْ دِينٍ بَاطِلٍ إلَى دِينٍ بَاطِلٍ؛ وَقَدْ يَكُونُ الثَّانِي شَرًّا مِنْ الْأَوَّلِ: وَقَدْ يَكُونُ دُونَهُ؛ وَقَدْ يَكُونَانِ سَوَاءً؛ فَهَكَذَا تَجِدُ الْمُقَصِّرَ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْمُعْتَدِيَ فِيهِ قَدْ يَكُونُ ذَنْبُ هَذَا أَعْظَمُ: وَقَدْ يَكُونُ ذَنْبُ هَذَا أَعْظَمُ؛ وَقَدْ يَكُونَانِ سَوَاءً وَمِنْ الْمَعْلُومِ بِمَا أَرَانَا الله مِنْ آيَاتِهِ فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِنَا وَبِمَا شَهِدَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: أَنَّ الْمَعَاصِيَ سَبَبُ الْمَصَائِبِ؛ فَسَيِّئَاتُ الْمَصَائِبِ وَالْجَزَاءُ مِنْ سَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ وَأَنَّ الطَّاعَةَ سَبَبُ النِّعْمَةِ فَإِحْسَانُ الْعَمَلِ سَبَبٌ لِإِحْسَانِ الله قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ⑳﴾ [الشورى] وقال تَعَالَى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، وقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقال: ﴿أَوْ

﴿يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ۝٣٤﴾ [الشورى]، وقال: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ۝٤٨﴾ [الشورى]، وقال تعالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾ [الأنفال]](١).

من تراث الشَّيْخ الشّهِيد عبدالله عزام في مجال التّحريض:

و نقتطف من كلمات رجل وهب حياته لأداء فريضة الجِهَاد وتحريض المُسلِمين عليها، بالقدوة الحسنة بنفسه، وبلسانه وخطاباته، وبما خطه بقلمه، تاركا تراثا ثرا من الدّعوة لأداء هذه الفريضة، قَالَ شيخنا الشّهِيد عبدالله عزام رَحِمَهُ الله:

(١)- الجِهَاد بالمال:

[لا شَّكَّ أن الجِهَاد بالنّفس أعلى مرتبة من الجِهَاد بالمال، ولذلك لم يعف الأغنياء في زمن الرَّسُول ﷺ من المشاركة بأنفسهم، من أمثال عثمان وعبد الرَّحْمَٰن بن عوف رضي الله عنهما، لأن صقل النفوس وتربية الأرواح إنما تتم عَلى مستوى رفيع في خضم المَعْرَكة، ولذا فقد أوصى ﷺ أحد أصحابه قائلا: «...وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ»(٢)، ولذلك فعندما سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيُفتَنُ المرءُ في قبرِهِ؟ قَالَ: كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيوفِ عَلى رَأسِهِ فِتْنَة»(٣).

ولذا فقد حذر رسول الله ﷺ من الانشغال بالدنيا عن الجِهَاد: فقد أشار ذاتَ مرّةٍ إلى سِكَّةِ مِحرَاثٍ وقَالَ: «لاَ يَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ الله الذُّلَّ»(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢٨/ ١٣٨).

(٢) رواه أحمد (١١٧٧٤)، ضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني بمجموع طرقه.

(٣) لعل الشيخ قصد الحديث الذي رواه النسائي (٢٠٥٣) وصححه الألباني، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً».

(٤) رواه البخاري (٢٣٢١).

وفي الصَّحِيح: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ: سلَّطَ الله عليكم ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حتَّى تَرجِعُوا إِلى دِينِكُم»(١).

وفي الصَّحِيح كذلك: «لَا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا»(٢) والضيعة: هيَ العقار أو الحرفة، ففي هذه الأحاديث جمع رسول الله ﷺ متاع الدُّنيَا وأسباب الانشغال: الزراعة، والتجارة بالربا وحيلة (العينة) والإنتاج الحيواني، والصناعة، والحرف (الصنعة)، فالانشغال بهذه في وقت يتعرض فيه الإِسْلَام لمعركة الوجود أو الاجتثاث يعد حراما وموبقة شرعيّة.

أما الجِهَاد بالمال فهو فرض إذا احتاج المُجَاهدون إليه، فرض عَلى النِّسَاء وفي أموال الصغار حتَّى لو كانَ الجِهَاد فرض كفاية، كما قرر ذلك ابن تَيمِيّة.

ولذا يحرم عَلى النّاس الادخار في حالة الحاجة للمال، بل لقد سئل ابن تَيمِيّة سؤالا: (لو ضاق المال عن إطعام الجياع والجِهَاد الّذي يتضرر بتركه فقال: قدمنا الجِهَاد وإن مات الجياع، كما في مسألة التترس وأولى، فإن هناك – التترس – نقتلهم بفعلنا وهنا يموتون بفعل الله).

قَالَ القرطبي: (اتفق العُلَماء عَلى أنه إذا نزلت بالمُسلِمين حاجة بعد أداء الزّكاة فإنه يجب صرف المال إليها)، وقال مالك: (يجب عَلى النّاس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم وهذا إجماع أيضا).

والحفاظ عَلى الدّين مقدم عَلى الحفاظ عَلى النفوس، والحفاظ أولى من الحفاظ عَلى المال، فأموال الأغنياء ليست أغلى ولا أثمن من دماء المُجَاهدين، فلينتبه الأغنياء إلى حكم الله في أموالهم، حيث الجِهَاد في أشد الحاجة، ودين المُسلِمين وديارهم معرضة للزوال، والأغنياء غارقون في شهواتهم، ولو صام الأغنياء يوما واحدا عن شهواتهم، وأمسكوا أيديهم عن إتلاف الأموال في كمالياتهم، وحولوها إلى المُجَاهدين الّذين يموتون بردا، وتتقطع أقدامهم من الثلج، ولا يجدون قوت يومهم، ولا ذخيرة يدفعون بها عن أنفسهم ويحقنون بها دماءهم.

---

(١) رواه أبو داود (٣٤٦٢) وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد (٤٠٤٨، ٣٥٧٩، ٤٢٣٤) صحح إسناده شاكر وضعفه الأرنؤوط، ورواه الترمذي (٢٣٢٨) وقال: حديث حسن، وصححه الألباني، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٧٩١٠) وصححه ووافقه الذهبي، ورواه ابن حبان في صحيحه (٧١٠).

الخلاصة:

أولًا: الجِهَاد بالنّفس فرض عين عَلى كلّ المُسلِمِين في الأرض.

ثانيًا: لا إذن لأحد عَلى أحد في الجِهَاد، فلا إذن للوالدّين عَلى الولد.

ثالثًا: الجِهَاد بالمال فرض عين ويحرم الادخار ما دام الجِهَاد بحاجة إلى مال المُسلِمِين.

رابعًا: إن ترك الجِهَاد كترك الصّلاة والصّيام، بل ترك الجِهَاد أشد في هذه الأيّام، ونقل ابن رشد الإتفاق عَلى أن الجِهَاد إذا تعين أقوى من الذهاب إلى حجة الفريضة].أهـ.(١)

القعود وطمس البصيرة:

وختاما نقول: ليست القضية بكثرة النّصوص ووفرة الشواهد، وإنما الأمر متعلق بالقلوب، فإن أعطاه الله نورا أبصرت الحقّ وأتضح فيه، وإن أظلمت القلوب لم تعد ترى، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج]

وإبصار القلوب للبصائر والآيات الربانية تأتي نتيجة التقوى والطاعة والاجتهاد في العِبَادة ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام]، **وهذه البصيرة تفجر في القلب ينابيع المعرفة والإدراك، وهذه لا تنال بكسب ولا دراسة، إن هو إلا فهم يؤتيه الله عبدا في كتابه ودينه عَلى قدر بصيرة قلبه، (وهذه البصيرة تنبت في أرض القلب)، يفرق به بين الحقّ والبَاطِل، والصادق من الكاذب، قَالَ تَعَالَى:** ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر]

وكل من آثر الدُّنيَا من أهل العلم واستحبها، فلا بُدَّ أن يقول عَلى الله غير الحقّ في فتواه وحكمه في خبره وإلزامه، لأن أحكام الرب سبحانه كثيرا ما تأتي عَلى خلاف أغراض النّاس، ولاسيما أهل الرياسة والّذين يتبعون الشَّهَوَات فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحقّ، ولاسيما إذا قامت له شبهة، فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى فيخفى الصُّورة وينطمس وجه الحقّ، وإذا كانَ الحقّ ظاهرا لا خفاء به ولا شبه فيه أقدم عَلى مخالفته وقال: لي مخرج بالتوبة، وفي هَؤُلَاءِ وأشباههم قَالَ تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟

(١) (الذخائر العظام: ج١/ ١٣٠).

ٱلْكِتَٰبِ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [الأعراف]

فإن إتباع الهوى يعمي عين القلب، فلا يمز بين السنة والبِدَعة، أو ينكسه فيرى البِدَعة السنة والسنة بدعة، فهذه آفة العُلَماء إذا آثروا الدُّنيَا واتبعوا الرياسات والشهوات.(١).

وهذه الآيات فيهم إلا قولهم: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف] ولذلك فإن النّصوص وحدها لا تكفي، ولا بُدَّ من بصيرة القلب حتَّى يبصر بها الحقّ.

إن القلب إذا كثر تكالبه عَلى الدُّنيَا، وكثرت ذنوب النّفس الّتي تحمله يكون عليه الران، لأن كلّ ذنب يكون نكتة سوداء عَلى القلب، ولا تزال النكات السوداء تتكاثر حتَّى يكون الران (الغلاف الأسود) الّذي يمنع النور إلى هذا القلب.

وعندما يظلم القلب لا تظهر صورة الأشياء عَلى حقيقتها، فيلتبس الحقّ ولا تظهر صورته، وقد ينتكس القلب فيرى الحقّ بَاطِلا والبَاطِل حقا.

ولذا لا بُدَّ من التقوى حتَّى يظهر الفرقان، ويصفو القلب، وتبدو الأشياء عَلى مرآته جلية واضحة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال] ولذا كانوا إذا أشكل عليهم وأعضلتهم مسألة يقولون: اسألوا أهل الثُّغُور لأنَّهم أقرب النّاس إلى الله، وقد سألوا أحمد بن حنبل من نسأل بعدك؟ قَالَ: أسألوا أبا بكر الوراق فإن عنده ورع – كما يحسب – وأرجوا أن يوفق للإجابة] أهـ.(٢)

مبررات الجِهَاد:

إنّ النّاظر في واقع المُسلِمين اليَوْم يجد أنّ مصيبتهم الكبرى هيَ ترك الجِهَاد «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ»، ولذا تسلط الطّغاة عَلى رقاب المُسلِمين في كلّ ناحية وفوق كلّ أرض، وذلك لأنّ الكفّار لا

(١) (الفوائد لابن القيم: ١١٣).

(٢) (الذخائر العظام: ج١/ ١٣٩).

يهابون إلّا القِتَال: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾﴾ [النساء]

ونحن إذ ندعو المُسلِمِين ونستحث خطاهم للقتال لأسباب كثيرة وعلى رأسها:

١- حتَّى لا يسود الكفر.

٢- لقلة الرّجال { المستعدين للقتال } .

٣- الخوف من النار.

٤- أداء الفريضة واستجابة للنداء الرباني.

٥- إتباعا للسلف الصّالح.

٦- إقامة القَاعِدَة الصلبة الّتي تكون منطلقا للإسلام.

٧- حماية المستضعفين في الأرض.

٨- طمعا في الشَّهَادة.

١ ـ حتَّى لا يسود الكفر:

ففي الآية الكريمة: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة]

إذا توقف القِتَال ساد الكفر، وانتشر الفتنة وهي الشرك.

٢ ـ لقلة الرّجال:

إن أزمة العالِم الإِسْلَامِيّ هيَ أزمة الرّجال الّذين يضطلعون بحمل المسؤوليّة، والقيام بأعباء الأمانة، وكما جاء في الصَّحِيح(١): «النّاسُ كَإِبِلٍ مائة لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَة».

أي لا تجد في كلّ (مائة جمل) واحدا يحتملك في أسفارك، وقد روي أن عمر بن الخطاب ﷺ قَالَ لصفوة من صحبه: تمنوا، فتمنى كلّ واحد منهم شيئا، ثمّ قالوا: تمن يا أمير المُؤمِنِين، فقال: أتمنى أن

---

(١) رواه البخاري (٦٤٩٨) ومسلم (٢٥٤٧).

يكون لي ملء هذا البيت مثل أبي عبيدة، إن الرّجال الّذين يعلمون قليلون، والّذين يعملون أقل، وإن الّذين يجاهدون أندر وأغرب، وإن الّذين يصبرون عَلى هذا الطّريق لا يكادون يذكرون.

ونحن نأمل من الإخوة الّذين لم يستطيعوا أن ينفلتوا من قفص العادات الاجتماعيَّة، ولم ينفضوا عن رؤوسهم ركام التقاليد، ولم يلقوا عن كاهلهم موروثات الأجيال المهزومة تحت ضغط الواقع المرير، وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر الشرير، أقول هَؤُلَاءِ الإخوة: إن لم ينفروا إلينا بأنفسهم فلا أقل من أن يدعوا الّذين يرفرفون بأرواحهم فوق أرض الجِهَاد أن يصلوا بأجسادهم إليها.

ولذا فقد آن أوان الرّجال، وهذا مقام الفعال دون حال المقال.

فدع عنك نهباً صحيحاً في حجراته وهات حديثا ما حديث الرواحل

لقد حلّ بالمُسلِمين أمور عظيمة، وأرزاء فادحة أليمة، فدع الكلام عن الطعام وعن أساليب الكلام، ولكن حدثني عن هذا الأمر الجلل وماذا قدم له المُسلِمُون.

أمـــــور لـو تـأملهن طفل لطفل في عوارضه المشيبُ
أتسبى المسلمات بكل صقع وعيش المُسلِمِين إذا يطيبُ
أما لله والإِسْـــــلَام حـــق يـدافـع عنه شبان وشيبُ

٣ ـ الخوف من النار:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة]

قَالَ ابن العربيّ(١): (فَالْعَذَابُ الْأَلِيمُ هُوَ الَّذِي فِي الدُّنْيَا بِاسْتِيلَاءِ الْعَدُوِّ عَلَى مَنْ لَمْ يَسْتَوْلِ عَلَيْهِ، وَبِالنَّارِ فِي الْآخِرَةِ)

وقال القرطبي(٢): (وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْآيَةِ وُجُوبُ النَّفِيرِ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَظُهُورِ الْكَفَرَةِ وَاشْتِدَادِ شَوْكَتِهِمْ)، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٥١١)

(٢) تفسير القرطبي (٨/ ١٤٣).

قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ٩٩﴾ [النساء].

روى البُخَارِيّ[1] بإسناده عن عكرمة قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ» فَأَنْزَلَ الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا...ۚ﴾ فإذا كانَ الْمُؤمِنُون في مكّة – القابضون عَلَى دينهم ولم يهاجروا وخرجوا حياء وخوفا من الكفّار يوم بدر فكثروا سواد المشركين (عددهم) ثمّ قتل بعضهم – قد استحقوا جهنم برواية البُخَارِيّ، فما بالك بالملايين من المتمسلمين الّذين يسامون سوء العذاب، ويعيشون حياة السوائم، لا يملكون أن يردوا عادية عن أعراضهم أو دمائهم أو أموالهم، بل لا يستطيع أحدهم أن يتحكم في لحيته فيطلقها لأنها تهمة إسلاميّة ظاهرة، بل لا يستطيع أن ينفرد في لباس زوجته فيطيله حسب الشَّرع لأنها جريمة يؤخذ عليا بالنواصي والأقدام، ولا يستطيع أن يعلم القرآن لثلاثة من الشَّبَاب المسلم في بيت الله، لأن هتجمع غير مشروع في عرف الجَاهِلِيَّة، بل لا يستطيع في بعض البلدان المسماة الإِسْلَامِيّة أن يغطي شعر زوجته، ولا يستطيع أن يمنع رجال المخابرات أن يأخذوا بيد ابنته بعد وهن من الليل، تحت جنح الظلام الدامس إلى حيث يشاؤون!! وهل يستطيع أن يرفض أمرا يصدر من الطَّاغوت يقدم فيه هذا الفرد قربانا رخيصا عَلَى مذبح شهوات هذا الطَّاغية؟!

أليست هذه الملايين تعيش ذليلة مهينة مستضعفة وتتوفاها الملائكة ظالمة لأنفسها ؟ فماذا سيكون جوابها إذا سألتها الملائكة ﴿فِيمَ كُنتُمۡۖ﴾ ألا يقولون: ﴿كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ إن الضّعف ليس عذرًا عند ربّ العَالَمِيّن، بل هو جريمة يستحق صاحبها جهنّم، وقد أعذر الله الطّاعنين في السّنّ والأطفال والصغار والنِّسَاء الّذين لا يجدون حيلةً للتخلّص، ولا يعرفون الطّريق إلى أرض العزّة، ولا يستطيعون الهِجرَة إلى دار الإِسْلَام، ولا الوصول إلى قاعدة الجِهَاد:

سأصرف وجهي عن بلاد غدا بها   لسـاني معقولًا وقلبي مقفلَا
وإن صريح الحزم والرّأي لامرئٍ   إذا بلغته الشّمس أن يتحوّلَا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٥٩٦).

إن الجِهَاد والهِجرَة إلى الجِهَاد جزء أصيل لا يتجزأ عن طبيعة هذا الدّين، والدّين الّذي ليس فيه جِهَاد لا يستطيع أن يثبت فوق أي أرض ولا أن تستوي شجرته عَلى سوقها، وأصالة الجِهَاد الّتي هيَ من صميم هذا الدّين ولها وزنها في ميزان ربّ العامين ليست ملابسة طارئة من ملابسات تلك الفترة الّتي تنزل فيها القرآن، وإنما هو ضرورة مصاحبة لهذه القافلة الّتي يوجهها هذا الدّين.

يقول الأستاذ سيد قطب في الظلال (٢-٧٤٢) في تفسير هذه الآية: [لو كانَ الجِهَاد ملابسة طارئة في حياة الأُمّة المسلمة ما استغرق كلّ هذه الفصول من صلب الكتاب الله في مثل هذا الأسلوب ! ولما استغرق كذلك كلّ هذه الفصول من سنة رسول الله ﷺ وفي مثل هذا الأسلوب، لو كانَ الجِهَاد ملابسة طارئة ما قَالَ رسول الله ﷺ تلك الكلمة لكل مسلم إلى قيام السَّاعة: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ مَاتَ عَلى شُعبَةٍ مِنْ النِّفَاقِ»(١).]

إن الله سبحانه يعلم أن هذا أمرا تكرهه الملوك! ويعلم أن لا بُدَّ لأصحاب السُّلطَان أن يقاوموه، لأنه طريق غير طريقهم، ومنهج غير منهجهم، ليس في ذلك الزَّمن فقط ولكن اليَوْم وغدا وفي كلّ أرض وفي كلّ جيل! وإن الله سبحانه يعلم أن الشر متبجح، ولا يمكن أن يكون منصفا، ولا يمكن أن يدع الخير ينمو مهما يسلك هذا الخير من طرق سليمة موادعة، فإن مجرد نمو الخير يحمل الخطر عَلى الشر، ومجرد وجود الحقّ يحمل الخطر عَلى البَاطِل، ولا بُدَّ أن ينجح الشر إلى العدوان ولا بُدَّ أن يدافع البَاطِل عن نفسه بمحاولة قتل الحقّ وخنقه بالقوة! هذه جبلة! وليست ملابسة وقتية، هذه فطرة ! وليست حالة طارئة.

ومن ثمّ لا بُدَّ من الجِهَاد... لا بُدَّ منه في كلّ صورة... ولا بُدَّ أن يبدأ في عالم الضمير، ثمّ يظهر فيشمل عالم الحقيقة والواقع والشهود... ولا بُدَّ من لقاء البَاطِل المترس بالعدد بالحق المتوشح بالعدة... وإلا كانَ الأمر انتحار أو كانَ هزلا لا يليق بالمُؤمِنين.

(١) رواه مسلم (١٩١٠).

٤- الإستجابة للنداء الرباني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٤١﴾ [التوبة]

وقد أورد القرطبي(١) في تفسيرها عشرة أقوال(٢) [﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ :

١- روي عن ابن عباس: شُبَّانًا وَكُهُولًا.

٢- روي عن ابن عباس وقتادة: نشاطاً وغير نشاط.

٣- الخفيف: الغني، والثقيل: والفقير، قاله مجُاهد.

وَالصَّحِيحُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ النَّاسَ أُمِرُوا جُمْلَةً أَيِ انْفِرُوا خَفَّتْ عَلَيْكُمُ الْحَرَكَةُ أَوْ ثَقُلَتْ... وَرُوِيَ أَنَّ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ جَاءَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَقَالَ لَهُ: أَعَلَيَّ أَنْ أَنْفِرَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» حَتَّى أَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [الفتح: ١٧]، وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ إِنَّمَا هِيَ عَلَى مَعْنَى الْمِثَالِ فِي الثِّقَلِ وَالْخِفَّةِ].

ولا يشك عاقل أن حالتنا الّتي نعيشها في أفغانستان وفي فِلَسطِين، بل في معظم أرجاء العالم الإِسْلَام يداخله تحت نص هذه الآية، فقد اتفق المفسرون المحدثون والفقهاء والأصوليون عَلى أنه إذا دخل العدوّ أرضا إسلاميّة أو كانت في يوم من الأيّام دار للإسلام، فإنه يجب عَلى أهل تلك البلدة أن يخرجوا الملاقاة العدوّ، فإن قعدوا أو قصروا أو تكاسلوا أو لم يكفوا توسع فرض العين عَلى من يليهم، فإن قصروا أو قعدوا فعلى من يليهم، وثم حتَّى يعم فرض العين الأرض كلها، ولا يسع (يمكن) أخذا تركه كلاصلاة والصّيام، بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والمدين دون إذن دائنه، والمرأة دون إذن زوجها والعبد

---

(١) تفسير القرطبي: (٨ – ١٥٠) بتصرف يسير.

(٢) والعشرة أقوال هي : (الْأَوَّلُ: رُوِيَ عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّهُ قَالَ: شُبَّانٌ وَكُهُولٌ، مَا سَمِعَ الله عُذْرَ أَحَدٍ؛ فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَجَاهَدَ حَتَّى مَاتَ. الثَّانِي: شُبَّانًا وَشِيبًا. الثَّالِثُ: فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ. الرَّابِعُ: فِي الْفَرَاغِ وَالشُّغْلِ. الْخَامِسُ: مَعَ الْكَسَلِ وَالنَّشَاطِ. السَّادِسُ: رِجَالًا وَرُكْبَانًا. السَّابِعُ: صَاحِبُ صَنْعَةٍ وَمَنْ لَا صَنْعَةَ لَهُ. الثَّامِنُ: جَبَانًا وَشُجَاعًا. التَّاسِعُ: ذَا عِيَالٍ وَمَنْ لَا عِيَالَ لَهُ. الْعَاشِرُ: الثَّقِيلُ: الْجَيْشُ كُلُّهُ، وَالْخَفِيفُ: الْمُقَدَّمَةُ. وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا غَيْرُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ جُمْلَةٌ تَدُلُّ عَلَى مَا بَقِيَ، وَالْكُلُّ مُحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِالْآيَةِ، لَكِنْ مِنْهُ مَا يَقْرُبُ، وَمِنْهُ مَا يَبْعُدُ).

دون إذن سيده، ويبقى فرض العين مستمرًا حتَّى تطهر من رجس الكفّار (ولكن خروج المرأة لا بُدَّ له من محرم).

ولم أجد (بقدر اطلاعي القليل) كتابا في الفقه، أو التفسير أو في الحديث إلا ونصّ عَلى هذه الحالة، ولم يقل أحد من السَّلَف أن هذه الحالة فرض كفاية، أو أنه يجب استئذان الوالدّين، ولا يسقط الإثم عن رقاب المُسلِمِين ما دامت أية بقعة في الأرض (كانت إسلاميّة) في يد الكفّار، ولا ينجو من الإثم إلا الّذي يجاهد.

فكل من ترك الجِهَاد اليَوْم فهو تارك لفريضة، كالمفطر في رمضان بدون عذر، أو كالغني الّذي يمنع زكاة ماله، بل تارك الجِهَاد أشد.

وكما يقول ابن تَيمِيّة[١]: (والْعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ أَوْجَبَ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ دَفْعِهِ).

والحق المبين الّذي لا محيد عنه قول أبي طلحة عندما قرأ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ [التوبة: ٤١] قَالَ: شُبَّانًا وَكُهولًا، مَا سَمِعَ الله عُذْرَ أَحَدٍ، ثمّ قَالَ: أَيْ بَنِيَّ جَهِّزُونِي جَهِّزُونِي فَقَالَ بَنُوهُ: يَرْحَمُكَ الله! لَقَدْ غَزَوْتَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى مَاتَ وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ حتى مَاتَ وَمَعَ عُمَرَ حَتَّى مَاتَ فَنَحْنُ نَغْزُو عَنْكَ، قَالَ: لَا، جَهِّزُونِي، فَغَزَا فِي الْبَحْرِ فَمَاتَ فِي الْبَحْرِ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ جَزِيرَةً يَدْفِنُونَهُ فِيهَا إِلَّا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ فَدَفَنُوهُ فِيهَا، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ رضي الله عنه[٢].

يقول القرطبي[٣] في تفسيره: (إِذَا تَعَيَّنَ الْجِهَادُ بِغَلَبَةِ الْعَدُوِّ عَلَى قُطْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ، أَوْ بِحُلُولِهِ بِالْعُقْرِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ وَجَبَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ تِلْكَ الدَّارِ أَنْ يَنْفِرُوا وَيَخْرُجُوا إِلَيْهِ خِفَافًا وَثِقَالًا، شَبَابًا وَشُيُوخًا، كُلٌّ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ، مَنْ كَانَ لَهُ أَبٌ بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَمَنْ لَا أَبَ لَهُ.

وَلَا يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ، مِنْ مُقَاتِلٍ أَوْ مُكَثِّرٍ، فَإِنْ عَجَزَ أَهْلُ تِلْكَ الْبَلْدَةِ عَنِ القيام بعدو هم كان على من قاربهم وجاور هم أَنْ يَخْرُجُوا عَلَى حَسَبِ مَا لَزِمَ أَهْلَ تِلْكَ الْبَلْدَةِ، حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّ فِيهِمْ

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٥٣٨).

(٢) رواه ابن حبان (٧١٨٤) والحاكم (٢٥٠٣) وصححه الذّهبي على شرط مسلم، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) تفسير القرطبي: (٨-١٥١).

طَاقَةً عَلَى الْقِيَامِ بِهِمْ وَمُدَافَعَتِهِمْ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ علم بضعفهم عن عدو هم وَعَلِمَ أَنَّهُ يُدْرِكُهُمْ وَيُمْكِنُهُ غِيَاثُهُمْ لَزِمَهُ أَيْضًا الْخُرُوجُ إِلَيْهِمْ.

فَالْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، حَتَّى إِذَا قَامَ بِدَفْعِ الْعَدُوِّ أَهْلُ النَّاحِيَةِ الَّتِي نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْهَا وَاحْتَلَّ بِهَا سَقَطَ الْفَرْضُ عَنِ الْآخَرِينَ.

وَلَوْ قَارَبَ الْعَدُوُّ دَارَ الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَدْخُلُوهَا لَزِمَهُمْ أَيْضًا الْخُرُوجُ إِلَيْهِ، حَتَّى يَظْهَرَ دِينُ الله وَتُحْمَى الْبَيْضَةُ وَتُحْفَظُ الْحَوْزَةُ وَيُخْزَى الْعَدُوُّ، وَلَا خِلَافَ فِي هَذَا) أهـ.

وما أجمل أبيات النابغة الجعدي وهو يخاطب زوجته الّتي ترجوه أن يجلس عند عائلته:

باتت تذكرني بالله قاعدة ... والدمع يهطل من شأنيها سبلا
يا بنت عمي كتاب الله أخرجني ... كرها وهل أمنعن الله ما فعلا
فإن رجعت فرب الخلق أرجعني ... وإن لحقت بربي فابتغي بدلا
ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرني ... أو ضارعا من ضنى لم يستطع حولا

٥- اتباعاً للسّلف الصّالح:

فقد كانَ الجِهَاد دينا للسلف الصّالح وكان ﷺ سيدا للمُجَاهدين، وقائدا للغر الميامين، فكانوا إذا اشتد الوطيس يحتمون برسول الله ﷺ فيكون أقربهم إلى العدوّ، وعدد مغازيه ﷺ الّتي خرج بنفسه فيها سبع وعشرون، وقاتل في تسع منها بنفسه: (بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكّة، وحنين، والطائف) وهذا عَلَى قول من قَالَ: مكّة فتحت عنوة، وكانت سَرايا ه الّتي بعثها سبعاً وأربعين، وقيل أنّه قاتل بني النّضير.

وهذا يعني أن رسول الله ﷺ كانَ يخرج في غزوة أو يرسل سرية في كلّ شهرين أو أقل.

وسار الصحب الكرام عَلَى سنة النبيّ الكريم ﷺ، فلقد كانَ القرآن الكريم يربي هذا الجيل تربية جهاديّة، ويحميهم من أن ينغمسوا في الدُّنيَا كما يحمي أحدنا لديغه من الماء، فلقد روى الحاكم في المستدرك[1] وصحّحه ووافقه الذهبي، عن أسلم أبو عمران قَالَ: **حمل رجل من المُهَاجِرين - بالقُسطَنْطينيّة - عَلى**

(١) رواه الحاكم (٣٠٨٨، ٢٤٣٤) ورواه أبو داود (٢٥١٢) والترمذي (٢٩٧٢) وصححه الألباني.

صف العدوّ حتَّى خرقه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذا الآية، إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما فشا الإسْلَام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار تحببا، فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ حتَّى فشا الإسْلَام وكثر أهله، وكنا قد آثرناه عَلَى الأهلين، والأموال والأولاد، وقد وضعت الحَرب أوزارها، فنرجع إلى أهلنا وأولادنا فنقيم فيها، فنزل فينا: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة] فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجِهَاد، وقد روى عكرمة أن ضمرة بن العيص – وكان من المستضعفين في مكّة وكان مريضا – فلما سمع ما أنزل الله في الهِجرَة قَالَ: أخرجوني، فهيء له فراش ثمّ وضع عليه وخرج، فمات في الطّريق بالتنعيم – عَلَى بعد (٦كم) من مكّة. وأسند الطبري عمن رأى المقداد بن الأسود في حمص عَلَى تابوت صراف، وقد فضل عَلَى التابوت من سمنه وهو يتجهز للغزو، فقيل: عذرك الله، فقال: أتت علينا سورة البعوث ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ [التوبة: ٤١].

وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهب إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل، فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحَرب كثرت السواد وحفظت المتاع.

وروى أن بعض النّاس رأى في غزوات الشّام رجلا حاجباه عَلَى عينيه من الكبر، فقال له: يا عم إن الله قد عذرك، فقال: يا ابن أخي قد أمرنا بالنَّفِير خفافا وثقالا.

وهذا إبراهيم بن أدهم (الصوفي !) عندما أحس بالموت قَالَ: أوتروا لي قوسي، وتوفي وهو في كفه، ودفن في إحدى جزائر البحر في بلاد الرُّوم.

وهذا عبدالله بن المبارك كانَ يقطع مسافة ألفين وستمائة كيلومترا راجلا أو راكبا عَلَى دابته ليقاتل في سبيل الله في ثغور المُسلِمِين.

وقال زهير بن قمير المروزي: أشتهى لحما من أربعين سنة ولا آكلها حتَّى أدخل الرُّوم فآكله من مغانم الرُّوم.

وهذا قاضي الكوفة عروة بن الجعد كانَ في بيته سبعون فرسا مربوطة للجِهَاد.

وهذا محمّد بن واسع كانَ من العِبَاد المحدثين الغُزَاة المرابطين يقول عنه القائد قتيبة بن مسلم الباهلي: لإصبع محمّد بن واسع تشير إلى السّماء في المَعْرَكة أحب إلى من مائة ألف سيف شهير وشاب طرير – قوي –.

وهذا أحمد بن إسحاق السلمي يقول: أعلم يقينا أَنّي قتلت بسيفي هذا ألف تركي ولولا أن يكون بدعة لأمرت أن يدفن معي.

وهذا أبو عبدالله بن قادوس لكثرة قتله من نصارى الأندلس كانَ النّصراني إذا سقى فرسه فلم يقبل عَلى الماء قَالَ له: مالك أرأيت بن قادوس في الماء؟!

وهذا بدر بن عمار يقتل الأسد بسوطة، فيمدحه المتنبي:

أمعفر الليث الهزبر بسوطه ۞ لمن ادخرت الصارم المصقولا

وهذا عمر المختار يقول عنه غارسياني (القائد الإيطالي): لقد خاض عمر المختار مع جنودنا (٢٦٣) معركة خلال عشرين شهرا، أما مجموع معاركة فقد بلغت ألف معركة!!

وهذا الشَّيْخ محمّد فرغلي { مُجَاهد من الإخوان المُسلِمِين } كانَ الإنجليز في الإسماعيلية { في مصر} يعلنون حالة الطوارئ في معسكراتهم إذا دخل الفرغلي المدينة، وقد دفع الإنجليز خمسة آلاف جنيه لمن يأتي برأسه حيا أو ميتا.

وهذا يوسف طلعت { مُجَاهد آخر من الإخوان } كانَ يسمى (جزار الإنجليز) لكثرة ما قتل منهم في قناة السويس، فأعدمهما عبد النّاصر { رئيس مصر١٩٥٢-١٩٦٩ } إرضاء لسادته الأمريكان!!

٦ - إقامة القَاعِدَة الصّلبة لدار الإِسْلَام:

إن إقامة المجتمع المسلم فوق بقعة أرض ضرورية للمسلمين، ضرورة الماء والهواء، وهذا الدار لن تكون إلا بحركة إسلاميّة منظّمة تلتزم الجِهَاد واقعا وشعارا، وتتخذ القِتَال لحمة ودثارا.

وإن الحركة الإِسْلَاميّة لن تستطيع إقامة المجتمع المسلم إلا من خلال جِهَاد شعبي عام، تكون الحركة الإِسْلَاميّة قلبه النابض، وعقله المفكر، وتكون بمثابة الصاعق الصغير الّذي يفجر العبوة النّاسفة الكبيرة، فالحركة الإِسْلَاميّة تفجر طاقات الأُمّة الكامنة وينابيع الخير المخزونة في أعماقها.

فالصّحابة رضوان الله عليهم كانَ عددهم قليلا جدا بالنسبة لمجموع عامة المُسلِمِين الّذين قوضوا عرش كسرى وثلوا مجد قيصر. بل إن القبائل المرتدّة عن الإِسْلَام في أيّام الصّديق قد سيرهم عمر بن الخطاب – بعد أن أعلنوا توبتهم – إلى قتال الفرس، ولقد أصبح طلحة بن خويلد الأسدي – الّذي ادعى النبوة من قبل – أحد أبطال القادسية البارزين، واختاره سعد لمهمة استكشاف أخبار الفرس فأبدى شجاعة فائقة.

أما الحفنة من الضُّبَّاط الّتي يمكن أن يتوهم البعض أن بإمكان هم عمل مجتمع مسلم فهذا ضرب من الخيال، أو وهم يشبه المحال لا يعدوا أن يكون تكرارا لمأساة عبد النّاصر مع الحركة الإِسْلَاميّة مرّة أُخرى.

والحركة الشعبيَّة الجهاديّة مع طول الطّريق ومرارة المعاناة وضخامة التضحيات، وفداحة الأرزاء تصفي النفوس فتعلو عَلى واقع الأرض الهابط، وترتفع الاهتمامات عن الخصومات الصغيرة عَلى دراهم، وعن الأغراض القريبة، وسفاف المتاع، وتزول الأحقاد، وتصقل الأرواح، وتسير القافلة صعدا من السفح الهابط إلى القمة السامقة بعيدا عن نتن الطين وصراع الغايات.

وعلى طول طريق الجِهَاد تفرز القيادات، وتظهر الكفاءات من خلال العطاء والتَّضحِيَة، ويبرز الرّجال شجاعتهم وبذلهم.

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا الحَرب والفتكة البكر

ومع ارتفاع الاهتمامات ترتفع النفوس عن الصغائر، وتصبح الأمور العظيمة غاية القلوب وأمل الشّعوب.

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم
يرى الجبناء أن الجبن عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم

وطبيعة المجتمعات كالماء تماما، ففي الماء الراكد تطفو عَلى السطح الطحالب والأعفان، وأما المتحرك فلا يحمل العفن فوقه، والقيادات في المجتمعات الراكدة لا يمكن أن تكون عَلى قدر المسؤوليّة لأنها لا تبرز من خلال الحركة والتَّضحِيَة والبذل والعطاء، فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ما برزوا إلا

من خلال الأعمال الجليلة والتضحيات الباهظة، ولذا لم يكن أبو بكر بحاجة إلى دعاية انتخابية عندما أجمعت الأُمّة عَلى انتخابه، فما أن فاضت روح رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى في الجنّة تطلعت العيون إلى السَّاحَة فلم تجد أفضل من أبي بكر رضي الله عنه.

والأُمّة الّتي تجاهد، تبذل الثَّمن غاليا فتجني الثمرة الناضجة، ليس من السهل أن تفرط فيما جنته بالعرق والدم، وأما الّذين يتربعون عَلى صدور النّاس من خلال البيان الأوّل في انقلاب عسكريّ صنع وراء الكواليس في السفارات، يسهل عليهم التفريط بكل شيء.

ومن أخذ البلاد بغير حرب   يهون عليه تسليم البلاد

والأُمّة الجهاديّة الّتي يقودها أفذاذ بروزا من خلال الحركة الجهاديّة الطويلة، ليس من السهل أن تفرط بقياداتها أو تخطط للإطاحة بها، وليس من اليسير عَلى أعدائها أن يشككوها بمسيرة أبطالها، والحركة الجهاديّة الطويلة تشعر الأُمّة بأفرادها جميعا أنهم قد دفعوا الثَّمن وشاركوا في التَّضحِيَة من أجل قيام المجتمع الإِسْلَاميّ، فيكون حراسا أمناء لهذا المجتمع الوليد، الّذي عانت الأُمّة جميعها من آلام مخاضه.

لا بُدَّ للمجتمع الإِسْلَاميّ من ميلاد، ولا بُدَّ للميلاد من مخاض، ولا بُدَّ للمخاض من آلام.

٧ - حماية المستضعفين في الأرض:

إن من بواعث الجِهَاد الإِسْلَاميّ حماية المستضعفين في الأرض، ورفع الظُّلم عنهم..

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۝٧٥﴾ [النساء]

ومعنى الآية وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين.

كيف القرار وكيف يهنأ مسلم   والمسلمات مع العدوّ المعتدي

القـائـلات إذا أردن تأسـفا   جهد المقالة ليتنا لم نـولـد

وقد اتفق الفقهاء عَلى أن الجِهَاد فرض عين بالنّفس والمال إذا سبيت امرأة مسلمة، وفي (البزازية) إذا امرأة سبيت في المشرق وجب عَلى أهل المغرب تخليصها.

فـليتهم إذا لـم يـذودوا حـمـيـة   عن الدّين ضنوا غيرة بالمحارم

وإن زهدوا في الأجر إذ حمي الوغى ❁ فهــلا أتــوه رغبة في المغانم

وكما قَالَ آخر:

أتسبى المسلمات بكل ثغر ❁ وعيش المُسلِمِين إذا يطيب

أمــا لله والإِسْلَام حق ❁ يدافع عنه شبان وشيب

لقد جاء الإِسْلَام لإقرار العدل فالأرض: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾ [الحديد]

٨- طمعا بالشَّهَادة والمنازل العلى في الجنّة:

لقد جاء في الحديث الصَّحِيح الّذي رواه أحمد والتِّرْمِذِيّ[(١)] عن المقدام بن معد يكرب مرفوعاً: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ الله سَبْعُ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجُنَّةِ وَيُحَلَّى حُلَّةَ الإِيمَانِ وَيُزَوَّجُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ الْعِينِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَيَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَاناً مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ».

وقد روى البُخَارِيّ[(٢)] عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ ﷺ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَّ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ».

٩ - إن الجِهَاد حفظ لعزة الأُمّة ورفع للذل عنها:

ففي الحديث الصَّحِيح الّذي رواه أحمد[(٣)] عن ابن عمر مرفوعاً: «إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَتَبَايَعُوا بِالْعِينَةِ، وَتَبِعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، [سلط الله عَلَيْهِمْ ذُلًّا] لَا يَرْفَعْهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ».

---

(١) رواه أحمد: (١٧١٨٢)، والترمذي: (١٦٦٣)، وابن ماجة (٢٧٩٩) وصححه الألباني: (صحيح الجامع – ٥١٨٢).

(٢) صحيح البخاري (٢٧٩٠).

(٣) رواه أحمد (٤٨٢٥) والطبراني في الكبير (١٣٥٨٣)، والبيهقي في الشعب (٤٢٢٤)، ضعفه الأرنؤوط وصححه الألباني في (صحيح الجامع (٦٧٥). وروى نحوه أبو داود (٣٤٦٢) ولفظ: «سلط الله عليهم ذلا» عنده وليس عند أحمد.

١٠ - إن الجِهَاد حفظ لهيبة الأمّة ورد لكيد أعدائها:

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء]

وفي الحديث الصَّحيح الّذي رواه أحمد وأبو داوود(١) عن ثوبان: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله! فَمِنْ قِلَّةٍ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «لا ولكنّكم غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ يُجْعَلُ الْوَهْنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَيُنْزَعُ الرُّعْبُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ لِحُبِّكُمُ الدُّنْيَا وكَرَاهِيَتِكُم الموْت».

١١ - في الجِهَاد صلاح الأرض وحمايتها من الفساد:

﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]

١٢ - في الجِهَاد حماية للشعائر الإسْلَاميّة:

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [الحج]

١٣- وفي الجِهَاد حماية الأُمّة من العذاب ومن المسخ والاستبدال:

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [التوبة: ٣٩]

١٤ - وفي الجِهَاد غني الأُمّة وزيادة ثرواتها:

«وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي»(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧) وأحمد (٢٢٣٩٧، ٨٧١٣)، حسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني بهذا اللفظ: انظر صحيح الجامع (٨١٨٣).

(٢) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر والألباني (صحيح الجامع-٢٨٣١)، وقد ذكره البخاري بصيغة ليست بالقوية في (باب: ماقيل في الرماح، وَيُذْكَرُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي...»)

١٥ – والجِهَاد ذروة سنام الإِسْلَام:

«ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَادُ»[١] حديث صحيح عن معاذ، وهو رهبانية هذه الأُمّة «وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ»[٢].

١٦ –الجِهَاد من أفضل العِبَادات وبه ينال المسلم أرفع الدرجات:

قَالَ أفضل بن زياد: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل وذكر أمر العدوّ يبكي ويقول: ما من أعمال البر أفضل منه، وقال عنه غيره: ليس يعدل لقاء العدوّ شيئ، ومباشرة القِتَال بنفسه أفضل الأعمال، والّذين يقتلون العدوّ هم الّذين يدافعون عن الإِسْلَام، وعن حريمهم، فأي عمل أفضل منه؟ النّاس آمنون وهم خائفون وقد بذلوا مهج أنفسهم.

ورد في البُخَارِيّ[٣] الحديث: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ».

ونحن عَلَى قدر إطلاعنا القليل وعلمنا اليسير، نعتقد أن الجِهَاد في مثل هذه الحالة الراهنة في أفغانستان فرض عين بالنّفس والمال كما قرره فُقَهَاء المذاهب الأربعة بلا استثناء، ومعهم جمهرة المفسّرين والمحدثين الأصوليين.

يقول ابن تَيمِيّة في الفتاوى الكبرى (٤-٦٠٨): إذا دخل العدوّ بلاد الإِسْلَام فلا ريب أنه يجب دفعه عَلَى الأقرب فالأقرب...

ويقول في مجموع الفتاوى (٢٨-٣٥٨): فإذا أراد العدوّ الهجوم عَلَى المُسلِمِين فإنه يصير دفعه واجبا عَلَى المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]

(١) رواه أحمد (٢٢٠٥١) وصححه الأرنؤوط.

(٢) رواه أحمد (١١٧٧٤)، ضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني بمجموع طرقه.

(٣) صحيح البخاري (٢٧٩٠).

كما أمر النبيّ ﷺ بنصر المسلم، وسواء كانَ الرجل من المرتزقة للقتال، أو لم يكن، وهذا يجب بحسب الإمكان عَلى كلّ أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة والمشي والركوب، وكما كانَ المُسلِمُون لما قصدهم العدوّ عام الخندق لم يأذن الله في تركه لأحد.

ونصوص فُقَهَاء المذاهب الأربعة صريحة قاطعة بهذا لا تحتمل تأويلا دون لبس ولا غموض.

يقول ابن عابدين الحنفي في حاشيته(٣- ٢٣٨): (إن هجم العدوّ عَلى ثغر من ثغور الإِسْلَام، فيصير فرض عين عَلى من قرب منه، فأما من وراءه ببعد عن العدوّ فرض كفاية إذا لم يحتج إليهم، فإن احتيج إليهم بأن عجز من كانَ قرب العدوّ عن المُقاوَمة مع العدوّ أو لم يعجزوا عنها ولكنهم تكاسلوا ولم يجاهدوا، فإنه يفترض عَلى من يليهم -فرض عين - كالصّلاة والصّوم، ولا يسهم تركه، وثم وثم إلى أن يفترض عَلى جميع أهل الإِسْلَام شرقا وغربا عَلى هذا التدريج).

وبمثل هذا النّص الواضح الجلي أفتى الكاساني الحنفي في بدائع الصنائع (٧- ٧٢)، وابن نجيم الحنفي في البحر الرائق (٥- ٧٢)، وابن همام في فتح القدير (٥-١٩١).

وراجع إن شئت حاشية الدسوقي المالكي (٢-١٧٤)، ونهاية المحتاج للرملي الشّافعي (٨-٥٨)، والمغني لابن قدامة الحنبلي (٨-٣٤٥).

ولعلّ بعض النّاس يجدون مبررا لأنفسهم بأن كثيرا من الأفغان ليسوا عَلى المستوى الإِسْلَاميّ المقبول من التّربية، ويعذرون أنفسهم بالقعود بسبب بعض المخالفات.

ولكن الردّ عَلى هذا بأن الفقهاء نصوا عَلى أنه يجب الجِهَاد ولو مع عسكر كثيري الفجور.

وهذا من أصول أهل السّنّة والجماعة (الغزو مع كلّ بر وفاجر) «**فإِنَّ اللهَ يُؤَيّد هذا الدّين بالرجل الفاجر**»[(١)]، و«**بِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ**»، وهذا طريقة خيار هذه الأُمّة قديما وحديثا، وهي واجبة عَلى كلّ مكلف.

---

(١) رواه البخاري (٣٠٦٢، ٦٦٠٦) ومسلم (١١١).

وعدم الغزو مع الأمراء (ولو كانوا فجارا) أو مع عسكر كثيري الفجور هو مسلك الحرورية – من فئات الخوارج – وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم(١).

وبعض النّاس يعذرون أنفسهم بأن مكانهم في بلدهم ضروري للتربية والتّعليم، ونحن نورد لهم قول الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل، فقال استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحَرب كثرت السواد وحفظت المتاع.

فأي النّاس منزلته وعمله يداني سيد التَّابعين، ووارث علم النبوة عن طريق صهره والد زوجته أبي هريرة رضي الله عنه، لقد بلغ السيل الزبى، وجاوز الحزام الطبيين، واشتد الأمر عَلى المُسلِمِين، فمتى النَّفِير؟! وإلى متى القرار؟!

فإن كانَ الفقهاء يفتون كما جاء في البزازية: امرأة سبيت في المشرق وجب عَلى أهل المغرب تخليصها.

فماذا يفتي علماؤنا بالآلاف من العواتق تنتهك أعراضهن في خدورهن؟

وماذا يجيبون في النِّسَاء اللواتي يلقين بأنفسهن في نهر (كونر في لغمان) فرارا بأعراضهن من الانتهاك عَلى يد الجنود الحمر، لأن المرأة لا يجوز لها باتفاق العُلَماء أن تستسلم للأسر إذا خشيت عَلى عرضها.

أو ما تخشى أن تدور الدّائرة عليك ويصل الأمر إلى عرضك؟ {ورسول الله ﷺ يقول}: «مَا مِنْ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا عِنْدَ مَوْطِنٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ امْرِئٍ يَنْصُرُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ الله فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ»(٢) فاتقوا الله في أعراضكم.

وقال حبان بن موسى: خرجنا مع ابن المبارك مرابطين إلى، الشّام، فلما نظر إلى ما فيه القوم من التعبد والغزو والسَرايا كلّ يوم التفت إلي وقال: إنا لله إنا إليه راجعون عَلى أعمار أفنيناها وليال وأيّام قطعناها في علم (الخلية والبرية) – كنايات الطلاق – وتركنا هاهنا أبواب الجنّة مفتوحة!!

(١) (مجموع الفتاوى لابن تَيمِيّة ٢٨ – ٥٠٦).

(٢) رواه أبو داوود (٤٨٨٤) وأحمد (١٦٣٦٨) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

هذا ابن المبارك الّذي كانَ يرابط شهرين أو أكثر في السنة، يدع تجارته ومجالس الحديث ويخرج للرباط، لأنه لم يرابط طيلة عمره انشغل بالعلم عن الرِّبَاط، فماذا يقول الّذين لم يطلقوا طلقة في سبيل الله؟!

إذا كانَ مرض الموت الّذي ألم برسول الله ﷺ لم يشغله عن تذكير الصّحابة بإنفاذ بعث أُسَامَةَ رضي الله عنه .

وعندما حاول أبو بكر الصّديق أن ينفذ بعث أُسَامَة حاول الصّحابة أن يثنوه عن عزمه، فقال كلمته المشهورة: والّذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشا وجهه رسول الله ﷺ، ولا حللت لواء عقده رسول الله.

ويشاء الله أن تكون آخر وصايا صاحب رسول الله ﷺ في حث النّاس عَلَى الجِهَاد إذ يستدعي أبو بكر عمر في آخر ساعات حياته قائلا: اسمع يا عمر! أقول لك ثمّ اعمل به، أنّي لأرجو أن أموت من يومي هذا – وذلك يوم الاثنين – فإن أنا مت فلا تمسين حتَّى تندب النّاس مع المثنى، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتَّى تندب النّاس مع المثنى، لا يشغلنكم مصيبة – وإن عظمت – عن أمر دينكم، ووصية ربكم، وقد رأيتني مُتوفَى رسول الله ﷺ وما صنعت، ولم يصب الخلق بمثله، وبالله لو أنّي تأخرت عن أمر رسوله لخذلنا الله ولعاقبنا فأضرمت المدينة نارا.

فلقد أدرك أبو بكر – خير النّاس بعد النبيّ ﷺ – أن التأخر في تنفيذ أمر الله وأمر رسوله ﷺ بالنَّفِير إلى الجِهَاد عاقبته الخذلان ومآله الخسران.

هذا كتاب الله يحكم بيننا، وهذه سنة رسوله ﷺ ناطقة شاهدة علينا، وهذا هدي أصحابه في فهمهم لأهمية الجِهَاد في هذا الدّين فهل لنا من تعقيب عَلَى هذه النّصوص المتوافرة الناصعة الجلية القاطعة؟

لقد وصل اللص إلى داخل خدور المؤمنات، فهل ندعه ؟!! ينتهك الأعراض ويمسخ القيم ويجتث المبادئ؟!

رُبَّ وَا مُعتَصِـمَاهُ انـطَلَقَـت ۞ مِلءَ أَفوَاهِ الصَّبَايَا الـيُتَّمِ
لامَسَتْ أسـمَـاعَهُمْ لكـنَّهَا ۞ لَمْ تُلَامِـسْ نَخْوَةَ المُعتَصِمِ

لقد أخذ الرُّوس مائتين وخمسة آلاف من أطفال المُسلِمِين الأفغان لتربيتهم عَلى العَقِيْدَة الشُّيُوعِيّة، ولغرس الإلحاد في أعماقهم، وقرر الأمريكان فتح ستمائة مدرسة، وتعهد مائة وخمسة آلاف من أطفال الأفغان في الداخل والخارج بالتّربية والتّعليم.

فأين دعاة الإِسْلَام؟ وأين المربون المُسلِمُون؟ وماذا أعدو لإنقاذ الجيل المسلم، ومن أجل رعاية هذا الجيل المبارك العظيم، { أقول: ولله الأمر من قبل ومن بعد، فقد آتت أعمال الأمريكان هذه أكلها في بحر عشرين سنة، وجاءتنا مع كرزاي (٢٠٠٢م) بجيش من هَؤُلَاءِ الأفغان المتأمركين الّذين تربوا في مدارسها وبلدها }.

لقد نص الفقهاء عَلى أن بلاد المُسلِمِين كالبلد الواحد، فأي بقعة من بقاع المُسلِمِين تعرضت الخطر وجب أن يتداعى جسد الأُمّة الإِسْلَامِيّة كلها لحماية هذا الشلو الّذي تعرض لغزو الجراثيم.

ماذا عَلى العُلَماء لو حرضوا الشَّبَاب عَلى الجِهَاد ؟ لاسيما والتّحريض فرض ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤]

ماذا عَلى الدعاة لو خصصوا سنة من حياتهم للعيش بين المُجَاهدين يوجهون ويرشدون؟

ماذا عَلى طلاب الجامعة لو أجلوا سنة من دراستهم لينالوا شرف الجِهَاد، وليسهموا بأنفسهم في إقامة دين الله في الأرض؟ ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [التوبة]

ماذا عَلى الأئمة لو أخلصوا النصح لمن يستنصحهم بالخروج في سبيل الله بالدم والروح؟

إلى متى يُثبَط الشَّبَاب المؤمن ويعوق عن جِهَاد؟ الفتية الّذين تضطرم أفئدتهم نارا وتتفجر حماسا وتلتهب غيرة لتسقي تربة المُسلِمِين بدمهم الطّاهر، إن الّذي ينهى شابا عن الجِهَاد لا يفرق عن الّذي ينهاه عن الصّلاة والصّوم.

أما يخشى الّذي ينهى عن الجِهَاد أن يدخل – ولو بطريقة غير مباشرة – تحت المعنى العام الآية الكريمة في قوله تَعالَى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب]

ماذا عَلى الأمهات لو قدمت الواحدة منهن أحد أبنائها في سبيل الله يكون عزا لها في الدُّنيَا وذخرا لها في الآخرة بالشفاعة؟

ماذا عَلى الآباء لو دفعوا بأحد أبنائهم ليشب في مصانع الأبطال وميادين الرّجال وساحات النزال؟ وليهب أحدهم أن الله خلقه عقيما، فمن شكر النعمة أن يُؤَدِّي زكاة أولاده شكرا لربه.

أنفس هو خالقها، وأموال هو رازقها، فلم البخل عَلى ربّ العَالَمِيّن؟ البخل عَلى المالك بما يملك، مع العَقِيْدَة الراسخة بأنه: **(لن تموت حتَّى تستكمل أجلها ورزقها)**.

ماذا عَلى المُسلِمِين لو سطروا في صحائف أعمالهم وديوان حسناتهم أيّاما من الرِّبَاط، وساعات من القِتَال؟

وقد ثبت في الحديث الصَّحِيح: «**رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه**»[1]، وفي الحديث الحسن[2]: «**رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل يقام ليلها ويصام نهارها**»، وفي الحديث الصَّحِيح[3]: «**قيام ساعة في الصف للقِتَال في سبيل الله خير من قيام ستين سنة**».

فيا إخوة الإِسْلَام أقبلوا لحماية دينكم ونصرة ربكم وإعلاء سنة نبيكم.

أيها الأخ الحبيب: إمتشق حسامك، واعل صهوة جوادك، وامسح العار عن أمتك، إن لم تقم بالعبء أنت فمن يقوم به إذن؟ أيها الأخ الكريم:

طال المنام عَلى الهـــــوان ... فـأين زمجرة الأســود

و استنسرت عصب البغاث ... ونحن في ذل الـعـبيد

ذل العبيد من الخــــنـوع ... وليس من زرذ الحديد

فمـتى نثور عَلى الــــقيود ... متى نثور عَلى الـقيود

فيا خيل الله اركبي!!!

(١) رواه أحمد (٢٣٧٢٨) وصححه الأرنؤوط لغيره.

(٢) رواه الترمذي (١٦٦٧) وأحمد (٤٧٠) والنسائي (٣١٦٩) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه أحمد والتِّرْمِذِيّ وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٢٩).

أيها الأخ العزيز: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]

فقصة بخارى الدامية، ورواية فِلَسطِين الجريحة، وعدن المحترقة، والأوجادين الأسيرة، وأحاديث الأندلس الأسيفة، وإرتريا الأليمة، وبلغاريا المكلومة، السُّودَان مع قرنك المحزنة، ولبنان الممزقة أشلاؤها، والصّومال وبورما وتشاد وقفقاسيا بجراحاتها العميقة، وأوغندا وزنجبار وإندونيسيا ونيجيريا...... ذات الملاحم والمآسي خير عبرة لنا، فهل نعتبر فيما مضى قبل فوات الأوان؟ أم تجري علينا السنن ونحن نتجرع الهوان، ونندثر كما اندثروا، ونضيع كما ضاعوا؟ ونحن نأمل من الله أن يندحر الرُّوس في أفغانستان { وينهزموا من تلقاء أنفسهم في العراق وغيرها }، ويرتدوا عَلَى أعقابهم خائبين، وإن كانت الأخرى، فليت شعري أي داهية تحل بالمُسلِمين؟

فقد روى أبو داوود بإسناد قوي عن أبي أمامة مرفوعا: «من لم يغز أو يجهز غازيا، أو يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة»[1].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق٧]

ألا هل بلغت؟ اللّهم فاشهد، ألا هل بلغت؟ اللّهم فاشهد؟ ألا هل بلغت؟ اللّهم فاشهد.

١- إذا دخل العدوّ أرض المُسلِمين يصبح الجِهَاد فرض عين عند جميع الفقهاء المفسّرين والمحدثين.

٢- إذا أصبح الجِهَاد فرض عين فلا فرق بينه وبين الصّلاة والصّوم عند الأئمة الثّلاثة، أما الحنبلية فيقدمون الصّلاة.

جاء في بغلة السالك لأقرب المسالك في مذهب الإِمَام مالك: الجِهَاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تَعَالَى كلّ سنة فرض كفاية إذا قام البعض سقط عن الباقين ويتعين - أي يصير فرض عين كالصّلاة والصّوم - يتعين الإِمَام وبهجوم العدوّ عَلَى محلة قوم وجاء في مجمع الأنهر في المذهب الحنفي: **فإذا لم تقع الكفاية إلا بجميع النّاس فحينئذ صار فرض عين كالصّلاة.**

وجاء في حاشية ابن عابدين الحنفي (٢-٢٣٨): وفرض عين هجم العدوّ عَلَى ثغر من ثغور الإِسْلَام، فيصير فرض عين كالصّلاة والصّوم ولا يسعهم تركه.

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٠٣) وابن ماجة (٢٧٦٢) وحسنه الألباني وصححه الأرنؤوط.

٣- إذا أصبح الجِهَاد فرض عين فلا إذن للوالدّين، كما لا يستأذن الوالدّين في أداء فريضة الصبح أو صيام رمضان.

٤- لا فرق بين تارك الجِهَاد بدون عذر إذا تعين (صار فرض عين) وبين مفطر رمضان بدون عذر.

٥- لا يغني دفع المال عن الجِهَاد بالنّفس مهما كانَ المبلغ الّذي دفع، ولا تسقط فريضة الجِهَاد اللازمة في عنقه، فكما أنه لا يجوز أن يدفع مبلغا من المال لفقير حتَّى يصوم عنه أو يلي فكذلك الجِهَاد بالنّفس.

٦- الجِهَاد فريضة العمر كالصّلاة والصّوم، فكما أنه لا يجوز أن يصوم عاماً ويفطر أو يصلي يوما ويترك آخر، فكذلك الجِهَاد لا يجوز أن يجاهد سنة ويترك سَنَوات قدر طاقته.

٧- إن الجِهَاد الآن فرض عين بالنّفس والمال في كلّ مكان استولى عليه الكفّار، ويبقى فرض العين مستمرا حتَّى تتحرر كلّ بقعة الأرض كانت في يوم من الأيّام إسلاميّة.

٨- إن كلمة الجِهَاد إذا أطلقت إنما تعني القِتَال بالسّلاح كما قَالَ ابن رشد وعليه اتفق الأئمة الأربعة.

٩- إن المتبادر من كلمة (**في سبيل الله**) هو الجِهَاد، كما قَالَ ابن حجر في الفتح (٦- ٢٢).

١٠- إن قولهم رجعنا من الجِهَاد الأصغر- القِتَال - إلى الجِهَاد الأكبر- جِهَاد النّفس - الّذي يرددونه عَلى أساس أنه حديث، هو حديث بَاطِل موضوع لا أصل له، وإنما هو من قول إبراهيم بن أبي عبلة أحد التَّابعين، وهو مخالف للنصوص والواقع.

١١- إن الجِهَاد ذروة سنام الإِسْلَام وتسبقه مراحل، فقبله الهِجرَة، ثمّ الإِعداد (التّدريب) وثمّ الرِّبَاط، ثمّ القِتَال، والهِجرَة ملازمة للجِهَاد، ففي الحديث الصَّحِيح الّذي رواه أحمد[١] عن جنادة مرفوعا: « «إِنَّ الْهِجْرَةَ لَا تَنْقَطِعُ مَا كَانَ الْجِهَادُ».

وأما الرِّبَاط وهو السكن عَلى حدود العدوّ لحماية المُسلِمِين فهو ضرورة من ضرورات القِتَال، لأن المعارك ليست كلّ يوم، فقد يرابط الإنسان فترة طويلة ويدخل معركة أو معركتين في هذه الفترة.

(١) رواه أحمد (١٦٥٩٧) وصححه الأرنؤوط.

١٢- إن الجِهَاد اليَوْم فرض عين بالنّفس والمال عَلى كلّ مسلم، وتبقى الأُمّة الإِسْلَاميّة آثمة حتّى تتحرر آخر بقعة إسلاميّة من يد الكفر، **ولا ينجو من الإثم إلا المُجَاهدون.**

١٣- إن الجِهَاد في زمان رسول الله ﷺ كانَ أنواعا، فقد كانت غزوة بدر مندوبة – مستحبة – وكانت غزوة الخندق وتبوك فرض عين عَلى كلّ مسلم، استنفر الأُمّة، وأما الخندق فلأن الكفّار غزوا أرض الإِسْلَام، وأما غزوة خيبر (٧هـ) فكانت فرض كفاية ولم يأذن رسول الله ﷺ بحضورها إلا لمن شهد الحديبية (٦هـ).

١٤- أما الجِهَاد في أيّام الصّحابة والتّابعين فمعظم أحواله فرض كفاية، لأنه كان فتوحات جديدة.

١٥- أما الجِهَاد بالنّفس اليَوْم فكله فرض عين.

١٦- لم يعذر الله عَزَّ وَجَلَّ أحدا بترك الجِهَاد إلا المريض والأعرج والأعمى، والطفل الّذي لم يبلغ الحنث، والمرأة الّتي لا تعرف طريق الجِهَاد والهِجرَة، والطاعن السن وحتى المريض مرضا شديدا، والأعرج، والأعمى إذا استطاعوا أن يصلوا مُعَسْكَرَات التّدريب لينضموا للمُجَاهدين ويعلموهم القرآن ويحدثوهم ويشجعوهم فالأولى أن يأتوا كما فعل عبدالله بن أم مكتوم في أحد وفي القادسية.

وغير هَؤُلَاءِ ليس لهم عذر عند الله سواء كانَ موظفا أو صاحب صنعة أو من أرباب الأعمال أو تاجرا كبيرا، فهَؤُلَاءِ ليسوا معذورين بترك الجِهَاد بأنفسهم وأن يدفعوا أموالهم.

١٧- إن الجِهَاد عبادة جماعية، وكل جماعة لا بُدَّ لها من أمير، وطاعة الأمير في الجِهَاد من الضّرورات، فلا بُدَّ من تعويد النّفس عَلى التزام طاعة الأمير: «عَلَيْكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ»(١).

حكم الصادّين عن الجِهَاد:

إن الّذي يصد عن الجِهَاد كالذي يصد عن الصّيام، ومن نصح مسلما قادرا.

---

(١) أصله عند البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

الأولى هجران الّذين يثبطون عن الجِهَاد وعدم الدخول معهم في نقاش يُؤَدِّي إلى جدل يقسي القلوب.

يقول شيخ الإِسْلَام ابن تَيمِيّة في مجموع الفتاوى (١٥- ٣١٣): [وجماع الهِجرَة هيَ هِجرَة السيئات وأهلها، وكذلك هجران الدعاة إلى البِدَع، وهجران الفساق، وهجران من يخالط هَؤُلَاءِ أو يعاونهم، **وكذلك من يترك الجِهَاد الّذي لا مصلحة لهم بدونه، فإنه يعاقب بهجرهم له لما لم يعاونهم عَلى البر والتقوى، فالزناة واللوطية ومن ترك الجِهَاد وأهل البِدَع وشربة الخمر فهَؤُلَاءِ كلهم، ومن خالطهم مضرة عَلى دين الإِسْلَام، وليس فيهم معاونة عَلى بر ولا تقوى فمن يهجرهم كانَ تاركا للمأمور فاعلا للمحظور**].

{ فانظر بمن قرن الإِمَام تارك الجِهَاد !! سبحان الله !! }

حكم التخوف من سؤال أجهزة الأمن إذا رجع المُجَاهد من الجِهَاد إلى مسقط رأسه:

إن هذا الأمر ليس عذرا أبدا لأنه ظن وشك، واليقين لا يزول بالشك، فالجِهَاد يقيني، والخوف من سؤال المخابرات شك، وكذلك لو تيقن أن المخابرات تسأله فهذا ليس عذرا يرفع به إثم القعود عن الجِهَاد، لأن العذر بالإكراه المعتبر في الشّريعة الّذي يسقط به إثم ترك الفرائض هو (الإكراه الملجئ الّذي به فوات النّفس أو العضو) أي الّذي فيه موت أو قطع عضو، وكذلك التخوف من أجهزة الأمن في البلدان الّتي يحمل جوازها – ولو تيقن أنه إذا رجع وأمسكت به قتلته أو قطعت عضوا من أعضائه – فهذا ليس عذرا مقبولا عند الله، لأنه في هذه الحالة يجب أن يترك بلده في أرض الجِهَاد:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧ ﴾ [النساء].]أهـ.[1]

حكم الّذي به عاهة تمنعه عن القِتَال ولكن لا تمنعه من العمل في مجالات أُخرى:

(١) (الذخائر: ج١/ ١٩٤)

إن فرضية العين لا تسقط عن الأعرج ولا عن المريض غير مقعد، لأن بإمكانهم أن يعملوا في مجالات الصحة والتّعليم وهو ميدان واسع، والمُجَاهدون الآن حاجتهم إلى الدعاة أشد من حاجتهم إلى الطعام والسّلاح والدَّواء.

قَالَ ابن الهمام[١]: (وَأَمَّا الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ دُونَ الدَّفْعِ -القِتَال- يَنْبَغِي - يجب - أَنْ يَخْرُجَ لِتَكْثِيرِ السَّوَادِ، فَإِنَّ فِيهِ إِرْهَابًا)، فإذا كانَ الخروج لتكثير العدد واجب، فكيف بالخروج لتعليم المُجَاهدين أحكام دينهم ؟ إن هذا أشد وجوبا وأعظم فرضية.] أهـ.[٢]

(١) فتح القدير لابن الهمام: (٥/ ٤٤١)

(٢) الذخائر العظام: (ج- ١- ١٧٩/ ١٩٤).

إتحاف العِبَاد بفضائل الجِهَاد

فضل الشَّهَادة:

١- رائحة دمه كالمسك: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ الله كَلْمًا - وَالله أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ الله - إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ»(١).

سبحان الله، لقد رأينا هذا من كثير الشّهداء، رائحة دمائهم كالمسك...

٢- أحبّ القطرات إلى الله: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى الله مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ، قَطْرَةُ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ الله، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِي سَبِيلِ الله، وَأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ الله، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ الله»(٢).

كلمة الجِهَاد إذا أطلقت كما يقول ابن رشد: (وكلمة الجِهَاد إذا أطلقت إنما تعني قتال الكفّار بالسيف حتَّى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون).

٣- الشّهيد يحب أن يرجع إلى الدُّنيا: عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ، لَهُ عِنْدَ الله خَيْرٌ، يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدَ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى»، وفي لفظ: «فيقتل عشرَ مراتٍ لما يرى منَ الكَرَامة»(٣).

٤- حارثة في الفردوس الأعلى: عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ البَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ الله، أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٢٨٠٣) ومسلم (١٨٧٦) وأصحاب السنن.

(٢) رواه التِّرمِذِيّ (١٦٦٩) وحسنه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٢٨١٧، ٢٧٩٥) واللفظ له، ومسلم(١٨٧٧).

(٤) رواه البخاري (٢٨٠٩، ٣٩٨٢، ٦٥٥٠).

٥- أرواحهم في حواصل طيور خضر: عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ الله عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران] قَالَ: (أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً»، فَقَالَ: «هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟» قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا»[1].

قَالَ القاضي: فيه أن الأرواح باقية لا تفنى فينعم المحسن، ويعذب المسيء، وقد جاء به القرآن، والآثار، وهو مذهب أهل السّنّة، فأرواح الشّهداء في حواصل طيور خضر، وأما غيرهم فإنما يعرض مقعده بالغداة والعشي كما جاء في حديث ابن عمر، وكما قَالَ في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]

وقيل: بل المراد وجميع المُؤمِنِين الّذين يدخلون الجنّة الآن بدليل عموم الأحاديث، وقيل بل أرواح المُؤمِنِين عَلى أفنية قبورهم: وقيل إن المتنعم جزء من الجسد تبقى فيه الرّوح.

(١) رواه مسلم (١٨٨٧).

٦- خصال الشّهيد: عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ الْحَكَمُ: سِتَّ خِصَالٍ - أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى - قَالَ الْحَكَمُ: وَيُرَى - مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ - قَالَ الْحَكَمُ: يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ - وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ»(١).

٧- شهداء أحد: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ، لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا فِي الْحَرْبِ؟ فَقَالَ اللهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠]»(٢).

الشّهداء أحياء:

وقد رأينا بعض الآيات البينات تدل حسّا عَلَى أن الشّهداء أحياء...

٨- الشّهداء عَلَى بارق نهر: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ - نَهَرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ - فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»(٣).

يعني تعرض أرزاقهم عَلَى أرواحهم فيصل إليهم الرّوح والفرح كما تعرض النار عَلَى آل فرعون غدوا وعشيا فيصل إليهم الوجع..

قَالَ القرطبي في الجامع: لعلّ هَؤُلَاءِ هم الشّهداء الّذين عليهم دين وكان معهم وفاء ولم يوفوه.

---

(١) رواه أحمد(١٧١٨٢، ١٧١٨٣) والتِّرمِذِيّ (١٦٦٣) وابن ماجه(٢٧٩٩) وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٢٠) وأحمد (٢٣٨٨) وحسن إسناده الألباني.

(٣) رواه أحمد (٢٣٩٠) وابن حبان (٤٦٥٨) والحاكم (٢٤٠٣) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

٩- الشَّهَادة خير من المدن والقرى: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «وَلَأَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ الله، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي أَهْلُ الْوَبَرِ وَالْمَدَرِ»(١).

١٠- الشّهيد لا يحس بالألم: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ»، وفي رواية صحيحة: «الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ مَسَّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمُ الْقَرْصَةَ يُقْرَصُهَا»(٢).

١١- منازل الشُّهَدَاء: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أفضل الشّهداء الَّذِينَ إِنْ يُلْقَوْا فِي الصَّفِّ لَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْغُرَفِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ»(٣).

١٢- القتلى ثلاثة: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «الْقَتْلَى ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ الله حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ فَذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُمْتَحَنُ، فِي خَيْمَةِ الله، تَحْتَ عَرْشِهِ، وَلَا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلَّا بِفَضْلِ دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ، وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ قَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ الله حَتَّى، إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَتِلْكَ مَصْمَصَةٌ مَحَتْ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ، إِنَّ السَّيْفَ مَحَّاءٌ لِلْخَطَايَا، وَأُدْخِلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ، فَإِنَّ لَهَا ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، وَبَعْضُهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَرَجُلٌ مُنَافِقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ الله، حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَذَلِكَ فِي النَّارِ، إِنَّ السَّيْفَ لَا يَمْحُو النِّفَاقَ»(٤)، فأين المُجَاهدون الّذين يريدون غسل ذنوبهم بالسّيوف؟

---

(١) رواه النّسائيّ (٣١٥٣) وأحمد (١٧٨٩٤) وحسنه الألباني، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٢) رواه الترمذي (١٦٦٨) والنسائي (٣١٦١) وابن ماجه (٢٨٠٢) وأحمد (٧٩٥٣) وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) رواه أحمد (٢٢٤٧٦) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه أحمد (١٧٦٥٧) وابن حبان (٤٦٦٣) والدارمي (٢٤٥٥) وصححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

١٣- أي القتل أفضل: عن رسول الله ﷺ أنه سُئِلَ: أَيُّ الْقَتْلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ أُهَرِيقَ دَمُهُ، وَعُقِرَ جَوَادُهُ»(١).

١٤- سيد الشّهداء: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ»(٢).

وهذا يدل عَلى منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر في الإِسْلَام.. وإنكار المُنكر والظُّلم في المجتمع واجب، ولو في وجه الحاكم المسلم إذا كانَ ظالمًا أو فاسقًا، أما الحاكم الكافر فلا يجوز السكوت عليه بحال، ولا تجوز ولايته، والخروج عليه فرضٌ من قبلِ الأُمّة جميعًا.

١٥- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ»(٣).

١٦- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «ادْفِنُوا الْقَتْلَى فِي مَصَارِعِهِمْ»(٤)، قالها رسول الله ﷺ في شهداء أحد، قَالَ جابر: [بَيْنَمَا أَنَا فِي النَّظَّارِينَ إِذْ جَاءَتْ عَمَّتِي بِأَبِي، وَخَالِي عَادِلَتَهُمَا عَلَى نَاضِحٍ (جمل)، فَدَخَلَتْ بِهِمَا الْمَدِينَةَ لِتَدْفِنَهُمَا فِي مَقَابِرِنَا، وجاء رَجُلٌ يُنَادِي: أَلَا «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا بِالْقَتْلَى، فَتَدْفِنُوهَا فِي مَصَارِعِهَا حَيْثُ قُتِلَتْ» فَرَجَعْنَا بِهِمَا فَدَفَنَّاهُمَا حَيْثُ قُتِلَا، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِذْ جَاءَنِي رَجُلٌ فَقَالَ: يَا جَابِرُ بْنَ عَبْدِ الله، وَالله لَقَدْ أَثَارَ أَبَاكَ عُمَّالُ مُعَاوِيَةَ، فَبَدَا (ظهر) فَخَرَجَ طَائِفَةٌ (جزء) مِنْهُ، فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي دَفَنْتُهُ، لَمْ يَتَغَيَّرْ إِلَّا مَا لَمْ يَدَعِ الْقَتْلُ - أَوِ الْقَتِيلُ - فَوَارَيْتُهُ](٥)، فصارت سنة الشّهداء أن يدفنوا في مصارعهم.

---

(١) جاء بهذا اللفظ في معجم ابن الأعرابي (١١٨٨) ورواه أبو داود (١٤٤٩) والنسائي (٢٥٢٦) وأحمد (١٥٤٠١) وغيرهم بلفظ «أي القتل أشرف»، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤٨٨٤) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧٤).

(٣) رواه التِّرْمِذِيّ (١٦٤١) وأحمد (٢٧١٦٦) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه أبو داود (٣١٦٥) والترمذي (١٧١٧) والنسائي (٢٠٠٥) وصححه الألباني.

(٥) رواه أحمد (١٥٢٨١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

١٧- عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خَمْسٌ مَنْ قُبِضَ فِي شَيْءٍ مِنْهُنَّ فَهُوَ شَهِيدٌ: الْمَقْتُولُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ وَالْغَرِيقُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ، وَالْمَطْعُونُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ، وَالنُّفَسَاءُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ»(١).

١٨- عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»(٢)، ولكن الصِّدق في طلب الشَّهَادة هو إعداد العدة: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦]، أما أن تمر عشر سَنَوات عَلى الجِهَاد في أفغانستان، والطريق آمنة، والحدود مفتوحة، ولا يصل بيشاور، فهذا نرجو الله أن يغفر له إن كانَ يظن أنه صادق في طلب الشَّهَادة، ألم تر إلى ذلك الأعرابي الّذي قَالَ لرسول الله ﷺ: **اتبعك عَلى أن أضرب ها هنا - حلقه - فأدخل الجنّة فأصيب الأعرابي حَيْثُ أَشَارَ فقال** ﷺ: «صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ»(٣).

١٩- وفي حديث أمّ حَرام بنت مِلحَان: «**فَخَرَجَتْ مَعَ زَوْجِهَا عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ غَازِيًا أَوَّلَ مَا رَكِبَ الْمُسْلِمُونَ الْبَحْرَ مَعَ مُعَاوِيَةَ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا مِنْ غَزْوِهِمْ قَافِلِينَ، فَنَزَلُوا الشَّأْمَ، فَقُرِّبَتْ إِلَيْهَا دَابَّةٌ لِتَرْكَبَهَا، فَصَرَعَتْهَا، فَمَاتَتْ**»(٤)، وهذا يدل أيضا أن حكم الراجع من الغزو، حكم الذاهب إليه.

٢٠- عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(٥).

وهذا يسمى في الفقه: دفع الصّائل هو الّذي يسطو بالقوة عَلى الأعراض والنفوس والأموال.

---

(١) رواه النسائي (٣١٦٣) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (١٩٠٩).

(٣) رواه النسائي (١٩٥٣) وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري (٢٧٩٩) ومسلم (١٩١٢).

(٥) رواه أحمد (١٦٥٢) وصححه الأرنؤوط، وروى أبو داود نحوه (٤٧٧٢) وصحَّحه الألباني والأرنؤوط.

وقد اتفق الفقهاء الأربعة عَلى وجوب دفع الصّائل عَلى الأعراض، وأما الصّائل عَلى النّفس أو المال فيجب دفعه عند جمهور العُلَماء، مع الرَّأي الراجح في مذهبي مالك والشّافعي، ولو أدى إلى قتل الصّائل المسلم.

قَالَ الجصاص: (لا تعلم خلافا أن رجلا لو شهر سيفا عَلى رجل ليقتله بغير حق أن عَلى المُسلِمين قتله).

وقال ابن تَيمِيّة: فالعدو الصّائل الّذي يفسد الدّين والدُّنيَا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه.

وكم كلف جهل هذا الحكم الشَّرعيّ المُسلِمين من ضحايا، لأن المخبر كانَ يأخذ زوجته في منتصف الليل ولا يقتله خوفًا من سفك دم امرئ مسلم!!

٢١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[١].

ويفسر الحديث الّذي رواه مسلم[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ».

تمني الشَّهَادة:

٢٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ الله، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ الله، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»[٣] وفي رواية[٤]: «وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً فَيَتَّبِعُونِي، وَلَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَقْعُدُوا بَعْدِي».

---

(١) رواه النسائي (٤٠٩٣، ٤٠٩٦) وقال الألباني: صحيح- صحيح الجامع الصغير (٦٤٤٧).

(٢) رواه مسلم (١٤٠).

(٣) رواه البخاري (٢٧٩٧)

(٤) وهذه رواية مسلم (١٨٧٦).

وروى الحاكم بسند صحيح[١] عن جابر: كانَ النبيّ ﷺ إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابُ أُحُدٍ قال: «وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي غُودِرْتُ مَعَ أَصْحَابِي بِحِضْنِ الجَبَلِ».

٢٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «غَزْوَةٌ فِي الْبَحْرِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي الْبَرِّ، وَمَنْ أَجَازَ الْبَحْرَ فَكَأَنَّمَا أَجَازَ الْأَوْدِيَةَ كُلَّهَا، وَالْمَائِدُ فِيهِ كَالْمُتَشَحِّطِ فِي دَمِهِ»[٢].

٢٤- وعنه: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ»[٣].

قَالَ القرطبي: (الدّين الّذي يحبس به صاحبه عن الجنّة – والله أعلم – هو الّذي قد ترك له وفاء ولم يوص به، أو قدر عَلى الأداء ولم يؤده أو أدانه – استدانه – في سرف أو في سفه ومات ولم يوفه وأما من أدان في حق واجب لفاقة أو عسر ومات ولم يترك وفاء فإن الله لا يحبسه عن الجنّة إن شاء الله).

والشّهيد الّذي يحبس عن الجنّة تكون روحه عَلى نهر بباب الجنّة يسمى (بارقا) في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم بكرة وعشيا – والله أعلم – كما قَالَ القرطبي.

وهنا يرد سؤال: إذن أيها أولى للمدين، أينفر في سبيل الله أم يعمل حتّى يسد الدّين ثمّ ينفر؟

وهنا يقول وبالله التوفيق: (إنه إذا وطئ شبر من أراضي المُسلِمين أصبح الجِهَاد فرض عين، وهنا يخرج المدين دون إذن دائنه والولد دون إذن والده) وهذا محل اتفاق بين سلف الأُمّة وخلفها.

وينظر المدين: فإن لم يكن معه سداد (قضاء) دينه فإنه ينفر ولا ينتظر قضاء الدّين، وإن كانَ مع المدين وفاء دينه فإنه ينظر فإن كانَ يظن أن الدائن لو استوفى دينه فإنه يستعمل المال في الجِهَاد فالواجب أداء الدّين له – وفاؤه – لتحصيل المصلحتين: الوفاء والجِهَاد.

هكذا أفتى ابن تَيمِيّة في الفتاوى الكبرى (٤/ ١٨٣).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك بموضعين الأول (٢٤٠٧) باللفظ المذكور أعلاه وصححه ووافقه الذهبي على شرط مسلم، والثاني (٤٣١٨) بلفظ: «بِحِضْنِ الْجَبَلِ» يَقُولُ: «قُتِلْتُ مَعَهُمْ»، ورواه أحمد (١٥٠٢٥) بلفظ : «مَعَ أَصْحَابِ نُحْصِ الْجَبَلِ» يَعْنِي: سَفْحَ الْجَبَلِ. وحسنه الأرنؤوط.

(٢) رواه الحاكم (٢٦٣٤) وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٤١٥٤)

(٣) رواه مسلم (١٨٨٦).

وقال ابن تَيمِيّة: (يجب عَلى النِّسَاء الجِهَاد إن كانَ فيها فضل وكذلك في أموال الصغار إذا هجم العدوّ، فإن دفع ضررهم عن الدّين والنّفس والحرمة واجب إجماعا).

٢٥- شهيد لم يركع لله ركعة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنْ عَمْرَو بْنَ أُقَيْشٍ، كَانَ لَهُ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ، فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو عَمِّي؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ، قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو، قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لِأُخْتِهِ: سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ، أَوْ غَضَبًا لَهُمْ أَمْ غَضَبًا للهِ؟ فَقَالَ: بَلْ غَضَبًا للهِ وَلِرَسُولِهِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَا صَلَّى للهِ صَلَاةً»(١).

٢٦- شهيد قتل بسلاح نفسه: عن سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ قَاتَلَ أَخِي قِتَالًا شَدِيدًا، فَارْتَدَّ عَلَيْهِ سَيْفُهُ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ فِي ذَلِكَ: وَشَكُّوا فِيهِ رَجُلٌ مَاتَ بِسِلَاحِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَاتَ جَاهِدًا مُجَاهِدًا»، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: ثُمَّ سَأَلْتُ ابْنًا لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، فَحَدَّثَنِي عَنْ أَبِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَذَبُوا مَاتَ جَاهِدًا مُجَاهِدًا، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ»(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٣٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٣٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

فضائل الهِجرَة:

١- استمرار الهِجرَة إلى يوم القيامة: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ الْهِجْرَةَ لَا تَنْقَطِعُ مَا دَامَ الْجِهَادُ»(١) وعن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا قُوتِلَ الْكُفَّارُ»(٢).

وهذا يدل عَلى أن الهِجرَة مرتبطة بالجِهَاد، والحق أن الجِهَاد لا ينفصم عن الهِجرَة، والهِجرَة ماضية إلى يوم القيامة بسبب استمرار الجِهَاد إلى يوم القيامة.

٢- الأمر بالهِجرَة: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ اللهَّ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ: وأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ الله أَمَرَنِي بِهِنَّ بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله»(٣).

قَالَ العيني: (الهِجرَة في الشَّرع مفارقة دار الكفّار إلى دار الإِسْلَام خوف الفتنة وطلب إقامة الدّين).

وقال ابن حجر: وقد وقعت في الإِسْلَام عَلى وجهين:

- الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هِجرَة الحبشة.
- الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان وذلك بعد أن استقر النبيّ ﷺ في المدينة.

والرَّسُول ﷺ رتب الأمور الضَّرورية الّتي لا بُدَّ منها للوصول إلى الجِهَاد، فهي درجات تبتدئ بالجماعة، لأن الجِهَاد عبادة جماعية، فلا بُدَّ من جماعة، ولا جماعة بلا أمير، ولا إمارة بلا سمع وطاعة، ثمّ الهِجرَة وهي الخطوة الأساسيّة للجِهَاد، لأنها عنوان الصِّدق في الخلاص من عوائق الأرض، وتحطيم القيود، وأما الجِهَاد فهو ذروة سنام الإِسْلَام.

٣- الشّيطان يحارب الهِجرَة لأنها طريق الجنّة: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ الْمَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ»، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) رواه أحمد: (١٦٥٩٧، ٢٣١٨٦) والطبراني في الكبير (٢٥١٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه النسائي (٤١٧٣) وابن حبان (٤٨٦٦) وأحمد (١٦٧١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه الترمذي (٢٨٦٣) وأحمد (١٧١٧٠) وصححه الألباني والأرنؤوط.

أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»[١].

٤- تزداد حصته في الجنّة بقدر بعده عن مولده: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ قِيسَ لَهُ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى مُنْقَطَعِ أَثَرِهِ فِي الْجَنَّةِ»[٢].

٥- الرَّسُول ﷺ يكفل للمهاجر ببيوت في الجنّة: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَهَاجَرَ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى غُرَفِ الْجَنَّةِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَمْ يَدَعْ لِلْخَيْرِ مَطْلَبًا، وَلَا مِنَ الشَّرِّ مَهْرَبًا، يَمُوتُ حَيْثُ يَشَاءُ أَنْ يَمُوتَ»[٣].

٦- براءة الرَّسُول ﷺ ممن يسكن مع المشركين: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «بَرِئَتِ الذِّمَّةُ مِمَّنْ أَقَامَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي دِيَارِهِمْ»[٤].

لا يجوز السكن في أرض لا يستطيع المسلم أن يظهر فيها شعائر دينه كالصّلاة والصّوم والزّكاة، وتجب الهِجرَة من كلّ أرض تجري فيها أحكام الكفر إلى بلد فيها أحكام الإِسْلَام ويختار في آخر الزّمان أقلها إثما وأحوطها لسلامة العرض والدّين والمال، ولا يجوز السكن تحت حكم عدوّ الدّين بحيث يخاف المسلم عَلى دينه وأهله وماله.

٧- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»[٥]

قَالَ ابن تَيمِيّة: (المشابهة والمشاكلة في الأمور الظَّاهِرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة، والمشاركة في الأمر الظَّاهِر توجب مناسبة وائتلافا، وإن بعد المكان والزّمان، وهذا أمر محسوس فمرافقتهم ومساكنتهم ولو قليلا سبب لاكتساب أخلاقهم، ولما كانَ مظنة الفساد خفي غير منضبط

---

(١) رواه النسائي (٣١٣٤) وابن حبان (٤٥٩٣) وأحمد (١٥٩٥٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه ابن ماجه (١٦١٤) والنسائي (١٨٣٢) وأحمد (٦٦٥٦) وحسنه الألباني وضعفه الأرنؤوط.

(٣) رواه النسائي (٣١٣٣) وابن حبان (٤٦١٩) والحاكم (٢٣٩١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٢٢٦٢) وروى نحوه البيهقي في الكبرى (١٧٧٥٠) وحسنه الألباني: صحيح الجامع (٢٨١٨).

(٥) رواه أبو داود (٢٧٨٧) وضعف إسناده الأرنؤوط، وصحح الحديثَ الألباني.

علق الحكم به (المساكنة) وأدير التحريم عليه، فمساكنتهم في الظَّاهِر سبب ومظنة لمشابهتهم في الأخلاق والأفعال المذمومة، بل في نفس الاعتقادات، فيصر المساكن للكافر مثله، وأيضا المشاركة في الظَّاهِر تورث نوع محبة ومودة وموالاة في الباطن).

٨- المهاجر له الجنّة مهما كانت ميتته: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ فَصَلَ فِي سَبِيلِ الله فَمَاتَ أَوْ قُتِلَ أَوْ وَقَصَهُ فَرَسُهُ أَوْ بَعِيرُهُ أَوْ لَدَغَتْهُ هَامَّةٌ أَو مَاتَ فِي فِرَاشِهِ بِأَيِّ حَتْفٍ شَاءَ الله فَإِنَّهُ شَهِيدٌ وَإِن لَهُ الْجَنَّة»(١).

فضل الإعداد والرمي:

١- عن عُقبة بن عَامِرٍ يقولُ: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ، وَيَكْفِيكُمُ الله، فَلَا يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ»(٢).

٢- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، أَنَّ فُقَيْمًا اللَّخْمِيَّ، قَالَ لِعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: تَخْتَلِفُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْغَرَضَيْنِ وَأَنْتَ كَبِيرٌ يَشُقُّ عَلَيْكَ، قَالَ عُقْبَةُ: لَوْلَا كَلَامٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ لَمْ أُعَانِيهِ، قَالَ الْحَارِثُ: فَقُلْتُ لِابْنِ شَمَاسَةَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّهُ قَالَ: «مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا» أَوْ «قَدْ عَصَى»(٣).

٣- عن رسولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ الله فَبَلَغَ مُخْطِئاً أَوْ مُصِيباً فَلَهُ مِنَ الأَجْرِ كَرَقَبَةٍ أَعْتَقَهَا مِنَ وَلَدِ اسْمَاعِيلَ وأَيُّمَا رَجُل شاب فِي سَبِيلِ الله فهوَ لَهُ نُورٌ»(٤).

---

(١) رواه أبو داود (٢٤٩٩) والحاكم (٢٤١٦) وصححه، ولم يوافقه الذهبي، وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه مسلم (١٩١٨).

(٣) رواه مسلم (١٩١٩).

(٤) رواه أحمد (١٩٤٣٩)، والطبراني في الأوسط عن عمرو بن عبسة (٣١٦٥)، وصححه الألباني: (صحيح الجامع٢٧٣٩)، وصححه الأرنؤوط دون لفظ: «مِنَ وَلَدِ اسْمَاعِيلَ».

٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «كلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ الله لَهْوٌ وَلَعِبٌ إلا أَنْ يَكُونَ أَرْبَعَةً: مُلاَعَبَةُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَتَأْدِيبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ، وَمَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ، وَتَعْلِيمُ الرَّجُلِ السِّبَاحَة»(١)، أي هذه الأربعة من اللهو المشروع.

٥- مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا»(٢).

٦- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «اللَّهْوُ فِي ثَلاَثٍ: تَأْدِيبِ فَرَسِكَ، وَرَمْيِكَ بِقَوْسِكَ، وَمُلاَعَبَتِكَ أَهْلَكَ»(٣).

٧- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ أَحْسَنَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ فَقَدْ تَرَكَ نِعْمَةً مِنَ النِّعَمِ»(٤).

٨- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالرَّمْيِ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَعِبِكُمْ»(٥).

٩- عن عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو عَلى المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»(٦)، وهذا الحديث من دلائل النبوة، لأن الرمي بالسهم في عهد رسول الله ﷺ لم يكن الوسيلة الغالبة في المعارك، إذ أن معظم أدوات المعارك المستعملة كانت السّيف والرّمح، أما اليَوْم فالرّمي هو الوسيلة الغالبة

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (٨٨٩٠، ٨٨٩١) والطبراني في الكبير (١٧٨٥) والبيهقي في الكبرى (١٩٧٤١) وصححه الألباني (صحيح الجامع ٤٥٣٤).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٢٨٩٩، ٣٣٧٣، ٣٥٠٧) .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٥٣٠٩) والحاكم (٢٤٦٨) وصححه ووافقه الذهبي، ورواه إسحاق القراب في فضائل الرمي (١٣) واللفظ عنده، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٥٤٩٨).

(٤) رواه إسحاق القراب في فضائل الرّمي (٢٩)، عن يحيى بن سعيد مرسلًا، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٧٢).

(٥) رواه الطبراني في الأوسط (٢٠٤٩) وصححه الألباني (الصحيحة ٦٢٨).

(٦) رواه مسلم (١٩١٧).

في الحُرُوب الحديثة ابتداء من طلقة المسدس والبندقيّة ومرورًا بالمدفعيّة والهاون وانتهاء بالصّواريخ.

فضل الرِّبَاط:

١ – عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أَرْبَعَةٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ: مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ الله، وَمَنْ عَلِمَ عِلْمًا أُجْرِيَ لَهُ أَجْرُهُ مَا عَمِلَ بِهِ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَجْرُهَا يَجْرِي لَهُ مَا جرت، وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَدًا صَالِحًا، فَهُوَ يَدْعُو لَهُ»(١).

وهذا أجر عظيم ومنزلة رفيعة، أن يموت المرء وتبقى أعماله جارية عليه إلى يوم القيامة، فنرجوا الله سبحانه ألّا يحرمنا من الشَّهَادة في سبيله، وأن تكون الخاتمة في أرض الرِّبَاط إنّه سميع قريب مجيب.

وسمي الرِّبَاط رباطًا لأنّهم كانوا يربطون خيولهم بجانبهم انتظارًا لمعركة يكرون أو يدفعون بها عَلى الثُّغُور، فسمّي المقام بالثّغر رباطًا وإن لم يكن فيه خيل.

٢ – عن رَسُولِ الله ﷺ أنّه قَالَ: «رِبَاطُ شَهْرٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ دَهْرٍ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ الله أَمِنَ مِنَ الْفَزَعِ الأكبرِ، وَغُدِيَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ وَرِيحَ مِنْ الْجَنَّةِ، وَيَجْرِي عَلَيْهِ أَجْرُ الْمُرابِطِ، حتّى يَبعثَهُ الله عَزّ وجَلّ»(٢).

قَالَ ابن العربيّ: (والأمن من فتنة القبر فضيلة عظيمة لم تعط إلا للشّهيد والمرابط).

٣– «رِباطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِنْ صِيامِ شَهْرٍ وَقِيامِهِ، وَمَنْ ماتَ فِيهِ وَقِي فَتْنَةَ القَبْرِ وَنَما لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ»(٣).

قَالَ أحمد: (ليس يعدل الجِهَاد عندي والرِّبَاط شيء دفع عن المُسلِمِين وعن حريمهم، وقوة لأهل الثغر ولأهل الغزو، فالرِّبَاط أصل الجِهَاد وفرعه، والجِهَاد أفضل منه للعناء والتعب والمشقة).

---

(١) رواه أحمد (٢٢٢٤٧) والطبراني في الكبير (٧٨٣١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٥٠٤) وذَكَرَ أنّه من رواية الطبراني ورجاله ثقات، وصححه الألباني (صحيح الجامع -٣٤٧٩)

(٣) رواه الترمذي (١٦٦٥) وصححه الألباني.

قَالَ القرطبي في الجامع: (وأما سكان الثُّغُور دائما بأهليهم الّذين يعمرون ويكتسبون هناك فهم وإن كانوا حماة فليسوا مرابطين).

قَالَ ابن عطية، وقال ابن خويز منداد: (وللرباط حالتان: حالة يكون فيها الثغرة مأمونا منيعا يجوز سكناه بالأهل والولد، وإن كانَ غير مأمون جاز أن يرابط فيه إذا كانَ من أهل القِتَال ولا ينقل إليه والولد).

٤ – عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «كُلُّ عَمَلٍ مُنْقَطِعٌ عَنْ صَاحِبِهِ إِذَا مَاتَ، إِلَّا الْمُرَابِطُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ، وَيُجْرَى عَلَيْهِ رِزْقُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[١].

قَالَ المناوي: (والرِّبَاط وأجره فيمن ذهب للثغر لحراسة المُسلِمِين فيه مدّة لا في سكانه أبدا وهم وإن كانوا حماة مرابطين).

قَالَ ابن حجر: (وفيه نظر، لأن ذلك المكان قد يكون وطنه وينوي الإقامة فيه لدفع العدوّ).. وكلام ابن حجر: فيمن كانَ مستعدا لدفع العدوّ بأن كانَ مدربا مستعدا وعنده السّلاح الّذي يدفع به لا من يعيش من أجل راتبه أو وظيفته أو تجارته أو زراعته.

٥ – عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَا رُزِقَ عَبْدٌ خَيْرًا لَهُ وَلَا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[٢].

وقد أوردت حديث الصّبر في الرِّبَاط لأن الرِّبَاط قائم عَلى قاعدة كبير وهي الصّبر.

والرِّبَاط: هو حبس النّفس في الثُّغُور حيث تخيف العدوّ ويخيفك انتظارا لمعركة والجِهَاد – القِتَال – عموده الرِّبَاط، وأن المعارك قليلة والرِّبَاط ممتد وطويلة، والنّفس مع طول الانتظار تمل وتسأم، خاصّة حيث تقل الحركة ويقسو الجو ويخشن العيش، وقد وجدنا أن أعظم مشكلة تواجهنا في الجِهَاد هيَ أن الإخوة لا يصبرون عَلى طول الرِّبَاط، فكان الإخوة المرابطون عَلى الحدود لا يستمرون طويلا ولا يطيقون الصّبر عَلى الرِّبَاط فينزلون من الثُّغُور إلى مدينة بيشاور، وبقاء المُجَاهد في المدينة يفسد نفسيته،

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٦٤١) وصححه الألباني (صحيح الجامع ٤٥٣٩).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣٥٥٢) وصححه وافقه الذهبي، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٥٦٢٦).

ويقلل أجره، وقد يطلق للسانه العنان فيحبط أجره وقد يرجع مأزورا غير مأجور، كما جاء في الحديث الصَّحِيح(١): «لم يرجع بالكفاف».

٦- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ الله أَجْرَى عَلَيْهِ أَجْرَ عَمَلِهِ الصَّالِحِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ رِزْقَهُ، وَأَمِنَ مِنَ الْفَتَّانِ، وَبَعَثَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنًا مِنَ الْفَزَعِ»(٢).

قَالَ بن حبيب: (الرِّبَاط شعبة من الجِهَاد وبقدر خوف ذلك الثغر يكون كثرة الأجر).

وقال أبو عمرو: (شرع الجِهَاد لسفك دماء المشركين، وشرع الرِّبَاط لصون دماء المُسلِمِين وصون دماء المُسلِمِين أحب إلي) وهذا يدل عَلى أنه مفضل عَلى الجِهَاد.

٧- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «الْإِيمَانُ: الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ»(٣).

فالصّبر: حبس النّفس عن شهواتها، وإلجامها عن نزوتها، والكرم، تطهير النّفس من أدران شحها.

٨- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ الْمَعُونَةَ تَأْتِي مِنَ اللهَّ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ، وَإِنَّ الصَّبْرَ يَأْتِي مِنَ الله عَلَى قَدْرِ الْبَلاءِ»(٤).

وهذا الحديث هو الّذي فسر لي صبر المُجَاهدين الأفغان هذه السنين العشر، والبلايا تطحن أعِصَابهم وتسحق عظامهم، ورحى الحَرب دائرة لا تذر شيئا أتت عليه إلا جعلته كالرميم تحول كلّ بيت إلى مأتم وميتم، ومع ذلك فلم تلن لهم قناة ولم تهن لهم عزيمة، إنه إلقاء الصّبر عَلى القلوب المبتلاة.

---

(١) رواه أبو داود (٢٥١٥) والنسائي (٣١٨٨) وأحمد (٢٢٠٤٢)، حسنه الألباني وضعفه الأرنؤوط، وتمام الحديث: «الْغَزْوُ غَزْوَانِ: فَأَمَّا مَنْ ابْتَغَى وَجْهَ الله وَأَطَاعَ الْإِمَامَ وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ، وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ، وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ، فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً، وَعَصَى الْإِمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ».

(٢) رواه ابن ماجة (٢٧٦٧) وأحمد (٩٢٤٤) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه الطبراني في مكارم الأخلاق (٣١) وأحمد (١٩٤٣٥) وصححه الألباني (صحيح الجامع ٢٧٩٥).

(٤) رواه البزار (٨٨٧٨) وقال: لا نَعْلَمُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلا بِهَذَا الإِسْنَادِ. وقال الألباني: حسن لغيره، ورواته محتج بهم في (الصحيح)؛ إلا طارق بن عمار، ففيه كلام قريب، ولم يترك، والحديث غريب .(الصحيحة ١٦٦٤)

٩- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «رباط ليلة في سبيل الله خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ»(١).

وأما الراوية الأخرى: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ رَابَطَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ الله تعالى كانت كَأَلْفِ لَيْلَةٍ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»(٢).

قَالَ ابن العربيّ: وخرج التِّرْمِذِيّ(١) عن عثمان صحيحًا: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ» فجعل حسنة الجِهَاد بألف.

(نصوص في) الجِهَاد والقتال والإعداد:

١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله»(٣).

٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»(٤).

وهذا يعني أن النِّيَّة الصادقة مع العذر المقبول عند الله فيها أجر عظيم، والنِّيَّة الصادقة تعني أنه لولا العذر لنفذ العمل المطلوب، ولذ ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا»(٥).

٣- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «انْتَدَبَ الله لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ الله ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»(٦)

---

(١) لم أقف عليه بلفظ «رباط ليلة» وإنما هو بلفظ «رباط يوم»، رواه أحمد (٤٧٠، ٤٤٢، ٤٧٧) والترمذي (١٦٦٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه ابن ماجة (٢٧٦٦) وضعفه الأرنؤوط والألباني.

(٣) رواه أبو داوود: (٢٤٨٦) وحسنه الألباني.

(٤) رواه البُخَارِيّ (٢٨٣٩).

(٥) رواه البخاري (٢٩٩٦).

(٦) متفق عليه، رواه البخاري (٢٧٩٧، ٢٩٧٥، ٣٦) ومسلم (١٨٧٦).

٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «اطْلُبُوا اسْتِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْتِقَاءِ الْجُيُوشِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، ونُزُولِ الْغَيْثِ»(١).

٥- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَتَبَايَعُوا بِالْعِينَةِ، وَاتَّبَعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ ذُلًّا، ثُمَّ لَا يَنْزِعُهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ»(٢).

٦- «خَيْرُ النَّاسِ فِي الْفِتَنِ رَجُلٌ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ - أَوْ قَالَ: بِرَسَنِ فَرَسِهِ - خَلْفَ أَعْدَاءِ الله يُخِيفُهُمْ وَيُخِيفُونَهُ، أَوْ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي بَادِيَتِهِ يُؤَدِّي حَقَّ الله الَّذِي عَلَيْهِ»(٣) .

قَالَ النووي: مذهب الشّافعي وأكثر العُلَماء: أن الاختلاط أفضل (٣/ ٤٠٤٢) بشرط السَّلامة، وقال النووي أيضا: فيه فضل العزلة في أيّام الفتن إلا أن يكون له قوة عَلى إزالة الفتن فيلزمه السعي في إزالها عينا وكفاية.

وفي الحديث: «الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»(٤).

والمُجَاهد: يحقق الجهتين، يحقق العزلة ويحقق عبادة الجِهَاد الّتي هيَ ذروة سنام الإِسْلَام.

٧- «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ

---

(١) رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٧٢٣٦) بسنده عن الشّافعي عن مكحول مرسلا، وصححه الألباني (صحيح الجامع ١٠٢٦).

(٢) رواه أحمد (٢٨٢٥، ٥٠٠٧) وأبو داود (٣٤٦٢) وهو باللفظ الوارد عند أبي نعيم في الحلية (٣/ ٣١٨) وصححه الألباني (الصحيحة ١١) .

(٣) رواه الحاكم (٨٤٣٣، ٨٣٨٠) وصححه ووافقه الذهبي على شرطهما، وصححه الألباني (الصحيحة ٦٩٨).

(٤) رواه الترمذي (٢٥٠٧) وأحمد (٥٠٢٢) وصححه الألباني والأرنؤوط.

قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»(١).

قَالَ ابن الحجر في الفتح (٦/ ٨٣): (إن كانَ في الحراسة كانَ في الحراسة، أي: إن كانَ في الحراسة كانَ فيها أو: فهو في ثواب الحراسة، وقيل: هو للتعظيم أي كانَ في الحراسة فهو في أمر عظيم، والمراد منه لازمة أي فعليه أن يأتي بلوازمه، ويكون مشتغلا بخويصة عمله).

وقال ابن الجوزي: أي أنه خامل الذكر لا يقصد السمو، فكأنه قَالَ: إن كانَ في الحراسة استمر فيها، قوله: إن استأذن لم يؤذن له فيه ترك حب الرياسة والشهرة، وفضل الخمول والتواضع، والساقة، مؤخرة الجيش.

٨- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ الله فَانْهَزَمَ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ، فَيَقُولُ الله تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ»(٢) .

وهذا دليل أنه يستحب للمسلم أن يجاهد ولو وحده، ولو تيقن من القتل إن كانَ في ذلك مصلحة للمسلمين ورفع لمعنوياتهم أو نكاية بأعدائهم، وهذا دليل كذلك أنه يستحب للمسلمين أن يقوم بعمليّات انتحارية { استشهادية } يتيقن من الموت فيها إن كانَ في ذلك مصلحة للإسلام، وقد ثبت أن بعض الصّحابة انغمسوا في صفوف الكفّار وكانوا وحدهم.

٩- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لاَ يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا؟ وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلاَ أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلاَ أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلاَدَهَا، فَغَزَا فَدَنَا مِنَ القَرْيَةِ صَلاَةَ العَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللهمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ الله عَلَيْهِ»(٣).

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٢٨٨٧).

(٢) رواه أبو داوود (٢٥٣٦) وأحمد (٣٩٤٩) وحسنه الألباني، وصححه الأرنؤوط.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٣١٢٤) ومسلم (١٧٤٧).

وهذا دليل عَلى أنه يجب التفرغ للجِهَاد، لأن النّفس المرتبطة بالدنيا لا تبذل كلّ طاقتها ولا تعطي كلّ إنتاجها، وأما النبيّ فهو (يوشع بن نون) وأما القرية فهي بيت المَقْدِس.

١٠- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «غَزْوَةٌ فِي الْبَحْرِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي الْبَرِّ، وَمَنْ أَجَازَ الْبَحْرَ، فَكَأَنَّمَا أَجَازَ الْأَوْدِيَةَ كُلَّهَا، وَالْمَائِدُ فِيهَا كَالْمُتَشَحِّطِ فِي دَمِهِ»[١].

١١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ الله أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» وفي رواية : «خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ» وآخر الحديث في البُخَارِيّ: «وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[٢].

وقال ابن المهلب: خير من الدُّنيَا أي ثواب هذا الزَّمن القليل في الجنّة من زمن الدُّنيَا كلها.

وكذا ورد في البُخَارِيّ[٣]: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَقَابُ قَوْسٍ فِي الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ».

قاب القوس: طول القوس وهو ذراع (٤٦ سم): أي موضع سوط أحدكم في الجنّة، فأخبر أن قصير الزّمان وصغير المكان في الآخرة خير من طويل الزّمان وكبير المكان في الدُّنيَا، تصغيرا لها وتزهيدا بها وترغيبا في الجِهَاد.

قَالَ القرطبي: أي الثواب الحاصل عَلى مشية واحد في الجِهَاد، خير لصاحبه من الدُّنيَا وما فيها لو جمعت له بحذافيرها.

١٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «الْغَازِي فِي سَبِيلِ الله، وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ، وَفْدُ الله، دَعَاهُمْ، فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ»[٤].

---

(١) رواه الحاكم (٢٦٣٤) وصححه ووافقه الذهبي على شرط البخاري، وصححه الألباني (صحيح الألباني ٤١٥٤).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٢٧٩٢، ٦٤١٥، ٦٥٦٨) ومسلم (١٨٨٠، ١٨٨٣).

(٣) رواه البخاري (٢٧٩٣).

(٤) رواه ابن ماجة (٢٨٩٣) وحسنه الألباني.

١٣- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «الْغَزْوُ غَزْوَانِ، فَأَمَّا مَنْ غَزَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله [تعالى] وَأَطَاعَ الْإِمَامَ وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ، وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً، وَعَصَى الْإِمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ»(١).

١٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «قِيَامُ سَاعَةٍ فِي الصَّفِّ لِلْقِتَالِ فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ سِتِّينَ سَنَةً»(٢).

١٥- عن راشد بن سعد رضي الله عنه، عن رجل من الصّحابة، أن رجلا قَالَ: **يَا رَسُولَ الله، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ:** «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»(٣).

١٦- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَوْقِفُ سَاعَةٍ فِي سَبِيلِ الله، خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ»(٤).

١٧- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «اطْلُبُوا إِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْتِقَاءِ الْجُيُوشِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَنُزُولِ الْغَيْثِ»(٥).

١٨- عن أنس أن رسول الله ﷺ **كانَ إذا غزا قَالَ:** «اللهمَّ أَنْتَ عَضُدِي، وَأَنْتَ نَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أُصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»(٦).

١٩- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «كانَ يُعجبهُ أَن يَلقَى العَدُوَّ عنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ»(٧).

---

(١) رواه أبو داود (٢٥١٥)، والنسائي (٣١٨٨، ٤١٩٥) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه ابن عدي وابن عساكر (٢٧٢٣) وصححه الألباني (صحيح الجامع ٤٤٢٩).

(٣) رواه النسائي (٢٠٥٣) وصححه الألباني.

(٤) رواه ابن حبان (٤٦٠٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٥) الأم للشافعي (ج١ص٢٨٩) وصححه الألباني (الصَّحِيحَة: ١٤٦٩)

(٦) رواه أبو داود (٢٦٣٢) واللفظ له، والترمذي (٣٥٨٤) وغيرهما وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٧) رواه الطبراني عن عبدالله بن أبي أوفى في المسند (٢٢) وأحمد (١٩١٤١) وصححه الأرنؤوط والألباني (الصحيحة ٢١٢٦).

٢٠- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ الله أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ، لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(١) .

٢١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَقَيْدُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»(٢).

٢٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لِلْمَائِدِ أَجْرُ شَهِيدٍ، وَلِلْغَرِيقِ أَجْرُ شَهِيدَيْنَ»(٣).

٢٣- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(٤).

٢٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ الله فَتَمَسَّهُ النَّارُ»(٥).

٢٥- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله، وَالله أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ، وَتَوَكَّلَ الله لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ، بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»(٦).

والله أعلم بمن يجاهد في سبيله: تنبيه عَلى أهمية الإخلاص والصدق (٨١٥٦/ ٥).

قَالَ ابن العربيّ: (والمعنى فيه أنه بها يدخل عَلى قلب العدوّ من الهم الدائم والغيظ اللازم يكون عمله دائما وسائر الأعمال تدركها الفترات (الضّعف والإنقطاع).

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٢٧٩٦، ٦٥٦٨) ومسلم (١٨٨٠).

(٢) رواه أحمد (٨١٦٧) وابن حبان (٦١٥٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٣٢٤) وابن أبي عاصم في الجهاد (٢٨٦، ٢٨٥) وأبو داود بنحوه (٢٤٩٣) وصححه الألباني (صحيح الجامع ٥١٨٧).

(٤) رواه مسلم (١٩٢٢).

(٥) رواه البخاري (٢٨١١).

(٦) متفق عليه، رواه البخاري (٢٧٨٧) ومسلم (١٨٧٨).

٢٦- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْخَاشِعِ الرَّاكِعِ السَّاجِدِ»(١).

٢٧- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً، أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ»(٢).

٢٨- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمَا الله مِنَ النَّارِ: عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ، وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام»(٣).

٢٩- عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيِّ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله أَذَالَ النَّاسُ الْخَيْلَ وَوَضَعُوا السِّلَاحَ وَقَالُوا: لَا جِهَادَ قَدْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا فَأَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «كَذَبُوا الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، وَلَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، وَيُزِيغُ اللهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ الله، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٤).

٣٠- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، وَقَرَأَ: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾[آل عمران](٥).

---

(١) رواه النسائي (٣١٢٧) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (١٨٨٩).

(٣) رواه النسائي (٣١٧٥) وأحمد (٢٢٣٩٦)، وصححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

(٤) رواه النسائي في سننه (٣٥٦١) وصححه الألباني (الصحيحة -١٩٣٥)، وروى نحوه أحمد (١٦٩٦٥) وحسنه الأرنؤوط.

(٥) رواه أحمد (٩٦٥١) والدارمي (٢٨٦٢) والترمذي (٣٠١٧ و ٣٢٨٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

٣١- «مَنْ رَاحَ رَوْحَةً فِي سَبِيلِ الله، كَانَ لَهُ بِمِثْلِ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْغُبَارِ مِسْكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

٣٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «من قاتلَ في سبيلِ الله فُواقَ ناقةٍ فقد وجَبَتْ له الجنةُ، ومن سألَ اللهَ القتلَ من نفسِه صادقاً ثم ماتَ أو قُتِلَ فإن له أَجرَ شهيدٍ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ الله أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ، لونُها لونُ الزعفرانِ، وريحُها ريحُ المِسك، ومن خَرج به خُرَاج في سبيل الله فإن عليه طابَعَ الشهداءِ»(٢).

٣٣- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أفضل الجِهاد مَنْ عُقِرَ جَوادُهُ وَأُهْرِيقَ دَمُهُ»(٣).

٣٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ الله وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ، وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ»(٤).

٣٥- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْخُذُ الْوَبَرَةَ مِنْ جَنْبِ الْبَعِيرِ مِنَ الْمَغْنَمِ ثُمَّ يَقُولُ: «مَا لِي فِيهِ إِلا مِثْلُ مَا لأَحَدِكُمْ مِنْهُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُول فَإِنَّ الْغُلُولَ خِزْيٌ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمَخِيطَ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ الله تَعَالَى الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِنَّهُ لِيُنَجِّي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَأَقِيمُوا حُدُودَ الله فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَلا تَأْخُذُكُمْ فِي الله لومة لائم»(٥).

٣٦- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أَتَعْلَمُ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي؟» قَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَقَالَ: «الْمُهَاجِرُونَ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَيَسْتَفْتِحُونَ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْخَزَنَةُ، أَوَ قَدْ

(١) رواه ابن ماجة (٢٧٧٥) ضعفه الأرنؤوط وحسنه الألباني.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٤١) والترمذي (١٦٥٧) والنسائي (٣١٤١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه أحمد (١٧٠٢٧، ١٩٤٣٥) وقال الأرنؤوط : حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه فمن رجال مسلم.

(٤) أخرجه أحمد (١١٧٧٤) ضعفه الأرنؤوط وصححه الألباني (الصحيحة ٥٥٥).

(٥) أخرجه عبدالله بن أحمد (٢٢٧٩٥) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني (الصحيحة ٦٧٠).

حُوسِبْتُمْ، فَيَقُولُونَ بِأَيِّ شَيْءٍ نُحَاسَبُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ أَسْيَافُنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا فِي سَبِيلِ الله، حَتَّى مِتْنَا عَلَى ذَلِكَ، -قَالَ-: فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيَقِيلُونَ فِيهِ أَرْبَعِينَ عَامًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا النَّاسُ»(١).

٣٧- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ الله مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ الله فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(٢).

٣٨- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ آمَنَ بِالله وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ الله أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنّة وأعلى الجنّة – أراه – فوق عرش الرّحمٰن ومنه تفجر أنهار الجنّة»(٣).

٣٩- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ الله، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»(٤).

٤٠- مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ بِشِعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٌ فَأَعْجَبَتْهُ لِطِيبِهَا، فَقَالَ: لَوِ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ، فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعْبِ، وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ الله ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ

---

(١) أخرجه الحاكم (٢٣٨٩) وصححه ووافقه الذهبي على شرط الشيخين، وصححه الألباني على شرط مسلم فقط (الصحيحة ٨٥٣).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني – السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

(٣) صحيح البخاري (٢٧٩٠).

(٤) رواه مسلم (١٩٢٤).

سَبْعِينَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ، اغْزُو فِي سَبِيلِ الله، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ الله فَوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»(١).

٤١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»(٢).

٤٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِرًا ثُمَّ سَدَّدَ وَقَارَبَ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي جَوْفِ مُؤْمِنٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ الله وَفَيْحُ جَهَنَّمَ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ»(٣).

٤٣- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَا يَزَالُ الله يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ»(٤).

٤٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى الله عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ العَفَافَ»(٥).

٤٥- جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: «لاَ أَجِدُهُ» قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلاَ تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلاَ تُفْطِرَ؟»، قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟!(٦).

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (١٦٥٠) وقال: هذا حديث حسن. وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٩٢٢).

(٣) رواه النسائي (٣١٠٩) وأحمد (٨٤٧٩) وحسنه الألباني وصححه الأرنؤوط.

(٤) رواه أحمد (١٧٧٨٧) وابن ماجة (٨) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٥) رواه الترمذي (١٦٥٥) وقال: حسن، وحسنه الألباني.

(٦) رواه البُخَارِيّ (٢٧٨٥).

٤٦- قِيلَ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ»، قَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»(١).

اختلف العُلَماء في العزلة والبعد عن الاختلاط وأكثر العُلَماء قالوا: أن الاختلاط أفضل بشرط السَّلامة من الفتن، وهذا هو رأي الشّافعي، فقد كانَ الأنبياء عليهم الصّلاة والسَّلام يختلطون بالنّاس، وهذا حال جماهير الصّحابة والتَّابعين والزهاد، فيحصلون بالاختلاط منافع شهود الجمعة والجماعة وعيادة المرضى وحلق الذكر، وفي الحديث الصَّحيح: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»(٢).

وقال قسم من العُلَماء: العزلة خير من الاختلاط خاصّة في الفتن والحُرُوب بين المُسلِمين.

٤٧- عن أم حرام رضي الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ البَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا»، قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: «أَنْتِ فِيهِمْ»، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ»، فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «لاَ»(٣)، والحديث من معجزات النبوة.

٤٨- عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّبِيتِ -قَبِيلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ-، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَمِلَ هَذَا يَسِيرًا، وَأُجِرَ كَثِيرًا»(٤).

٤٩- عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»، فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الْهَيْئَةِ، فَقَالَ:

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٢٧٨٦).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٨٨) وابن ماجة (٤٠٣٢) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه البُخَارِيّ (٢٩٢٤).

(٤) رواه مسلم (١٩٠٠).

يَا أَبَا مُوسَى، آنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ(١).

٥٠ - حدث النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ، وَقَالَ آخَرُ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَقَالَ آخَرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ، فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، وَقَالَ: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩](٢)

٥١ - عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: غَزَوْنَا بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحمن بن الوَلِيد، وَالرُّوم مُلصِقُوا ظُهُورِهِمْ بِحَائِطِ الْمَدِينَةِ فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى الْعَدُوِّ فَقَالَ النَّاسُ: مَهْ مَهْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ! فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا نَصَرَ الله نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ دِينَهُ الْإِسْلَامَ، قُلْنَا: هَلُمَّ نُقِيمُ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] فَالْإِلْقَاءُ بِالْأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا فَنُصْلِحَهَا وَنَدَعَ الْجِهَادَ». قَالَ أبو عمران: (فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتَّى دفن بالقُسطَنْطينيَّة). وفي التِّرْمِذِيّ: فضالة بن عبيد بدل عبد الرَّحمٰن بن خالد بن الوليد.(٣)

(١) رواه مسلم (١٩٠٢).

(٢) رواه مسلم (١٨٧٩).

(٣) رواه أبو داود (٢٥١٢) والتِّرْمِذِيّ (٢٩٧٢) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

رعاية أسر المُجَاهدين والشّهداء:

١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ، كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ»[1]. الخارج: الغازي أو المُجَاهد في سبيل الله

٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَالسَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله»[2].

٣- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى الله تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا - وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ الله قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ الله قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ»، «وإن سوء الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ»[3].

٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»[4].

٥- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «اللهمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ، وَالْمَرْأَةِ»[5].

---

(١) رواه مسلم (١٨٩٦).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤٧٤٢) وصححه الألباني انظر (المشكاة ٤٩٥٢).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٣٦٤٦) وحسنه لغيره الألباني دون « وإن سوء....العسل» فهي ضعيفة جداً، ولم ترد في رواية الطبراني، انظر (السلسلة الصحيحة ٩٠٦). وقد كرر «الشيخ أبو مصعب» هذا الحديث في الصفحة التالية وقد قمنا بحذف التكرار.

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٦٠٠٦، ٦٠٠٧، ٥٣٥٣) ومسلم (٢٩٨٢).

(٥) رواه ابن ماجة (٣٦٧٨) وابن حبان (٥٥٦٥) والحاكم (٢١١) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني والأرنؤوط.

٦- عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»(١).

٧- عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْتَقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»(٢).

٨- عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

حرمة نساء المُجَاهدين:

١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «كُلَّمَا نَفَرْنَا غَازِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، تَخَلَّفَ أَحَدُكُمْ يَنِبُّ نَبِيبَ التَّيْسِ، يَمْنَحُ إِحْدَاهُنَّ الْكُثْبَةَ، إِنَّ اللهَ لَا يُمْكِنِّي مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا» أَوْ «نَكَّلْتُهُ»(٤).

٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ، إِلَّا وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ، فَمَا ظَنُّكُمْ؟»(٥).

---

(١) متفق عليه، رواه البُخَارِيّ (٣٤٦٧) ومسلم (٢٢٤٥).

(٢) رواه التِّرْمِذِيّ (١٩٢٧) وقال: حسن غريب، وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).

(٤) رواه مسلم (١٦٩٢). والحديث عن رجل قصير أشعر زنى آناء خروج النبي وصحبه للغزو. (ينب نبيب التيس): أي يصوت كصوته عند السفاد وهو كناية عن إرادة الوقاع لشدة توقانه إليه. (إلا جعلته نكالا) أي: عظة وعبرة لمن بعده بما أصبته من العقوبة ليمتنعوا من تلك الفاحشة].

(٥) رواه مسلم (١٨٩٧).

من أنواع الجِهَاد:

١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «اهْجُ قُرَيْشاً فَإِنَّهُ أَشَدّ عَلَيْهِم مِنْ رَشْقِ النَّبْلِ»(١).

٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «اهْجُ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنْ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ» قاله لحسان(٢).

٣- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»(٣).

لأن مُجَاهد العدوّ متردد بين رجاء وخوف، وصاحب السُّلطَان إذا أمره بمعروف تعرض للعذاب والموت أحيانا، فهو أفضل من جهة غلبة الخوف، ولأن ظلم السُّلطَان يسري إلى جم غفير، فإذا كفه فقد أوصل النفع إلى خلق كثير، بخلاف قتل كافر.

والسلطان: من له سلاطة وقهر.

٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ»(٤).

ومن الجِهَاد باللسان فتوى العُلَماء في وجوب الجِهَاد خاصّة عندما تخالف هوى السُّلطَان، فهنا تكون الفتوى شديدة عَلى النّفس، لأنها قد تكلف العالم وظيفته أو عنقه، ولذا لا يستفتى في أمور الجِهَاد إلا الصادقون العالمون العاملون.

قَالَ ابن تَيمِيّة في فتاوى الكبرى (٤/ ١٨٥): **والواجب أن يعتبر في أمور الجِهَاد برأي أهل الدّين الصَّحِيح الّذين لهم خبرة بما عليه أهل الدُّنيَا، دون الّذين يغلب عليهم النَّظر في ظاهر الدّين فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدّين الّذين لا خبرة لهم في الدُّنيَا أي يشترط في الّذي يفتي في أمور الجِهَاد: أن يكون قادرا عَلى الاستنباط مخلصا، وأن يعرف طبيعة المَعْرَكة وأحوال أهلها.**

٥- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ»(٥).

إذا أطلق الجِهَاد فهو قتال الكفّار بالسّلاح حتَّى يسلموا أو يعطوا الجزية.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩٠).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٣٢١٣) ومسلم (٢٤٨٦) وهذا اللفظ لأحمد (١٨٦٧٨).

(٣) رواه التِّرْمِذِيّ (٢١٧٤) وصححه الألباني.

(٤) رواه أحمد (١٥٧٨٥)، وصححه الألباني، وقال الأرنؤوط: على شرط الشيخين.

(٥) رواه أحمد (١٢٢٤٦) وأبو داود (٢٥٠٤) وغيرهما، وصححه الألباني والأرنؤوط.

بأموالكم: بتجهيز الغُزَاة، وأنفسكم: بالقتال بالسّلاح، بألسنتكم: بهجو الكافرين والإغلاظ عليهم، ولا يعارض هذا مطلق النهي عن المشركين لئلا يسبوا المُسلِمِين.

وجاء في الحاشية: بأن تخوفوهم وتوعدوهم بالقتل والأخذ والنهب وغير ذلك، وبأن تذلوهم وتذلوهن وتسبوهم إذا لم يؤد ذلك إلى سب الله تَعَالَى، وبأن تدعوا عليهم بالخذلان والهزيمة، وللمسلمين بالنّصر والغنيمة، وبأن تحرضوا النّاس عَلى الغزو ونحو ذلك.

والآن الجِهَاد باللسان: بأن تظهر الجِهَاد كذلك بأنصع صورة، وبدر عنه الحملة الإعلاميَّة مما نراه من الحملات المسعورة عَلى الجِهَاد الأفغاني، وأن تقف دون تشويه الجِهَاد أو حرق شخصياته أو الإساءة إلى رموزه، وترد عَلى المثبطين والمعوقين والمخذلين والمرجفين.

٦- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ: رَجُلٌ لَهُ دِرْهَمَانِ فَأَخَذَ أَحَدَهُمَا فَتَصَدَّقَ بِهِ، وَرَجُلٌ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَأَخَذَ مِنْ عُرْضِ مَالِهِ مِائَةَ أَلْفٍ فَتَصَدَّقَ بِهِ»[(١)].

سئل ابن تَيمِيّة: لو ضاق المال عن إطعام جياع والجِهَاد الّذي يتضرر بتركه قدمنا الجِهَاد وإن مات الجياع كما في مسألة التترس (اعتصام الكافرين ببعض المُسلِمِين عند القِتَال) وأولى، فإن هناك نقتلهم بفعلها وهنا يموتون بفعل الله.

٧- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «فَقَاتِلْ حَتَّى تَحْرُزَ مَالَكَ، أَوْ تُقْتَلَ فَتَكُونَ فِي شُهَدَاءِ الْآخِرَةِ »[(٢)].

٨- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ أُتِيَ عِنْدَ مَالِهِ، فَقُوتِلَ فَقَاتَلَ فَقُتِلَ، فَهُوَ شَهِيدٌ»[(٣)].

قَالَ ابن جرير: هذا أبين بيان وأوضح برهان عَلى الإذن لمن أريد ماله ظلما في قتال ظالمه، والحث عليه كائنا من كانَ، لأن مقام الشَّهَادة عظيم، فقتال اللصوص والقطاع مطلوب، وتركه من ترك النهي عن المُنكر، ولا مُنكر أعظم من قتل المؤمن وأخذ ماله ظلما.

٩- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ

---

(١) رواه النسائي (٢٥٢٧) وابن حبان (٣٣٤٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه أحمد (٢٢٥١٤)، وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه ابن ماجه (٢٥٨١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»(١).

١٠- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لك بها سبعمائة ناقة مخطوطة في الجنّة»(٢).

١١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «نِعمَ [الميتةُ] أَنْ يَمُوتَ الرَّجُلُ دُونَ حَقِّهِ»(٣).

فإنه يموت شهيداً كما مر في الأحاديث الماضية وهذا شهيد الآخرة، أما نحن فنعامله معاملة الميت العادي نغسله ونكفنه ونصلي علي أي كثواب الشّهِيد مع التفاوت تبين الشهادتين والثوابين.

١٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يُعْطَوْنَ مِثْلَ أُجُورِ أَوَّلِهِمْ فَيُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ»(٤).

أي إن الله يثيب جماعة من المُسلِمِين تأتي متأخرة كما يعطي الصّحابة الّذين نصروا الإِسْلَام وأسسوا مجتمعه.

تعريف الرَّسُول ﷺ الجِهَاد بأنه القِتَال:

١٣- عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «أَنْ يُسْلِمَ قَلْبُكَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ»، قَالَ: فَأَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ»، قَالَ: وَمَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «تُؤْمِنُ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ»، قَالَ: فَأَيُّ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْهِجْرَةُ»، قَالَ: فَمَا الْهِجْرَةُ؟ قَالَ: «تَهْجُرُ السُّوءَ»، قَالَ: فَأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ»، قَالَ: وَمَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: «أَنْ تُقَاتِلَ الْكُفَّارَ إِذَا لَقِيتَهُمْ»، قَالَ: فَأَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:

---

(١) [تم اختصار الروايات]، رواه البُخَارِيّ (٢٤٩٣).

(٢) رواه مسلم (١٨٩٢) واللفظ عند أبي نعيم في الحلية (٨/ ١١٦).

(٣) أخرجه أحمد: (١٥٩٨) وقال الأرنؤوط : إسناده ضعيف لانقطاعه، وصححه الألباني في الصحيحة (٦٩٧).

(٤) رواه أحمد في المسند (١٦٥٩٢، ٢٣١٨١) وحسنه الأرنؤوط لغيره، وصححه الألباني لغيره (الصحيحة ١٧٠٠).

«مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ وَأُهْرِيقَ دَمُهُ»، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثُمَّ عَمَلَانِ هُمَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِمِثْلِهِمَا: حَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ أَوْ عُمْرَةٌ»(١)]أهـ(٢).

مبررات القِتَال ودوافعه:

عن أبي موسى ﵁ قالَ، سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل قالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله»(٣).

وعن أبي هريرة ﵁ قَالَ: إنَّ رَجُلاً قَالَ يَا رَسُولَ الله: رَجُلٌ يُرِيدُ الجِهَادَ في سَبِيلِ الله وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضاً مِنَ الدُّنيَا، فَقَالَ: «لَا أَجْرَ لَهُ»، فَأَعَادَهَا ثَلاثاً، كلّ ذلكَ يَقُولُ: «لَا أَجْرَ لَهُ»(٤).

الآيات:

١- ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ ﴾ [البقرة: ١٩٣]

٢- ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٩ ﴾ [الصف]

٣- ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨ ﴾ [الصف]

٤- ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ: ٢٨]

٥- ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧ ﴾ [الأنبياء]

إن هذا الدّين جاء إعلانا عاماً للبشرية كافّة يؤذن المجال عمله هو الإنسان – كلّ إنسان – في الأرض – كلّ الأرض – ومن ثمّ فإن الجِهَاد ضرورة حتمية تلازمه كلما أردنا أن نبلغه للنَّاس أو ننشره في ربوع العَالِمَيّن، لأنه سيقف في وجهه العقبات الكبرى الّتي يقوم عليها كيان الجَاهِليَّة.

---

(١) رواه أحمد (١٧٠٢٧، ١٩٤٣٥) وقال الأرنؤوط : حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه فمن رجال مسلم.

(٢) الذخائر العظام: (ج١- ٢٥٢/ ٢٧٦).

(٣) رواه البخاري : (٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨) ومسلم (١٩٠٤) وأصحاب السنن.

(٤) رواه أبو داود (٢٥١٦) وأحمد (٧٩٠٠، ٨٧٩٣)، وحسنه الألباني.

سيقف في وجهه عقبات كأداء: سياسيّة واجتماعيَّة واقتصاديَّة وعرقية وجغرافية، ولا يمكن لدين جاء لينقذ البشرية أن يقف مكتوف اليدين يبلغ باللسان ويدع للجاهلية السّلاح والسنان، لأن الجَاهِليَّة نفسها ستتحرك لتحمي كيانها وتجتث الإِسْلَام من الجُذُور ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الصف: ٨].

وسواء تحركت الجَاهِليَّة أم لم تتحرك فلا بُدَّ للإسلام أن ينطلق بحركته الذاتية الَّتي لا بُدَّ منها لقانون التدافع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٥١﴾ [البقرة].

إن قانون التدافع بين الحقّ والبَاطِل هو الّذي يحفظ الحياة الصّالحة، وإلا أسنت الحياة وتعفنت، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي النّاس ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝٧٣﴾ [الأنفال]، يعني إن لم تحصل الموالاة بين المُؤمِنِين، والجِهَاد، والهِجرَة في سبيل الله يعم الشرك الأرض.

وقانون التدافع: هو التفسير الإِسْلَاميّ للتاريخ والأحداث، إن الإِسْلَام لم يأت ليكون دين الجَزِيرَة العربيَّة فحسب، أو ليكون دين العَرَب فقط، ثمّ بعد ذلك يقبع في أرجاء الجَزِيرَة يدافع عن حدودها ويحمي أطرافها، إن رسول الله ﷺ بعث للأحمر والأسود.

إن الجِهَاد ضرورة لحماية الشعائر، وحفظ الفرائض التعبدية وأماكن أدائها ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠].

فالتمكين في الأرض ضرورة حتمية وفرض لازم لحماية العِبَادة ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١].

لقد بلغت الجرأة بأعداء الله أن يعلن أتاتورك تحويل مسجد أياصوفيا إلى متحف، ويمنع الأذان بالعربيَّة، ويمنع الصّلاة أمام النّاس، ويفرض السفور عَلَى كلّ امرأة تتعامل الدّولة أو تدرس في مدارسها!!

ولقد وصل الصلف بعبد الحكيم عامر أن يوزع عَلَى خطباء المساجد أن يمتنعوا عن الكلام عَلَى فرعون سيدنا موسى!!

وبلغ الغرور بالنصيري حافظ الأسد { رئيس سوريا } أن يعلن الحكم بالإعدام عقوبة عَلَى من ثبت أنه من الإخوان المُسلِمِين!!

ووصل الاستهتار والسخرية بالقيم عند أحدهم أن يؤسس نوادي للعراة يسميها (صفر في الأخلاق!)!!

ويعلن جمال سالم { أحد أعوان الرَّئيس المصري عبد النّاصر } هزأه بالقرآن الكريم، فيطلب من الأستاذ الهضيبي أن يقرأ الفاتحة معكوسة.

ويصرح حمزة البسيوني { رئيس استخبارات عبد النّاصر في مصر } قائلا لمن استغاثوا بالله أثناء التعذيب: (لو جاء الله لوضعته في الزنزانة)!!

إنها مهزلة مضحكة قاتلة أن يقول قائل: إن وظيفة الإِسْلَام أن يقف واعظا لأمثال هَؤُلَاءِ ينصحهم باللسان ولا شأن له بالسنان، لأنه لا إكراه في الدّين!!

لا بُدَّ للإسلام من البيان باللسان، وإزالة الحواجز أما دعوته بالسنان.

نعم لا إكراه في الدّين بعد تحطيم العقبات الّتي تحول دون وصول الإِسْلَام إلى النّاس، وتمنع دخول النّاس في هذا الدّين، وتعبدهم لغير ربّ العَالَمِيّن، وإن الحقّ يأبى الحدود الجغرافيّة، ولا يرضى أن ينحصر في حدود ضيقة اخترعها علماء الجغرافيّا، فالحق يتحدى العقول البشرية النزيهة ويقول لها: ما بالكم تقولون إن القضية الفلانية في هذا الجانب من الجبل أو النهر، وهي بَاطِل إذا تعدت هذا الشاطئ الآخر.

إن وظيفة الجِهَاد الإِسْلَاميّ تتخلص في ثلاث نقاط:

١- نشر الدّعوة الإِسْلَاميّة – وهذه أهمّها وأساسها –.

٢- حماية دار الإِسْلَام الّتي يقيمها لتكون منطلقا لدعوته ومحضنا آمنا لفكرته.

٣- إنقاذ المستضعفين في الأرض.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء]

إن قيمة الأرض ذاتها؛ أنها ليس لها قيمة ولا وزن في نظر الإِسْلَام إلا إذا ساد فيها منهج الله، وحكمتها شريعته، وهيمن عليها دينه.

يقول الشّهيد سيد[١]: [إن الأرض تعتبر قيِّمة في المنهج الإِسْلَاميّ عندما تكون محضنا للعَقِيْدَة، وحقلا للمنهج، ودارا للإسلام، ومنطلقا لتحرير الإنسان، وحقيقة أن حماية دار الإِسْلَام حماية للعَقِيْدَة والمنهج والمجتمع الّذي يسود فيه المنهج، ولكنها ليست الهدف النّهائيّ، وليست حمايتها هيَ الغاية الأخيرة لحركة الجِهَاد الإِسْلَاميّ، وإنما هيَ الوسيلة لقيام مملكة الله فيها، ثمّ لاتخاذها قاعدة انطلاق إلى الأرض كلها، وإلى النوع الإنساني هو موضوع هذا الدّين، والأرض هيَ مجاله الكبير.

إن مكّة – وهي الّتي تضم البيت العتيق ويكن حبها في قلبه ﷺ _ تترك إذا أقفرت من أن تنبت خضرة أو تعطي ثمرة، إن الجِهَاد في الإِسْلَام لا يمكن أن يكون دفاعا عن بقعة أرض أو عن عرق أو قومية إنه دفاع عن الدّعوة والعَقِيْدَة الّتي يجب أن تعم الأرض كلها، وعن الدّين الّذي يريد الله أن يظهره عَلى كله، إن من حق الإِسْلَام أن يتحرك ابتداء، فالإِسْلَام ليس نحلة قوم ولا نظام وطن، ولكنه منهج إله ونظام عالم، ومن حقه أن يتحرك لتحطيم الحواجز بين الأنظمة والأوضاع الّتي تغل من حرية الإنسان في الاختيار.

إن الإِسْلَام دين واقعي يواجه فساد التصوُّر والمعتقدات بالآيات البينات، ويقابل قوة الجَاهِليَّة والسلطان بالقوة والحركة والسنان].

ولا بُدَّ من الانتباه إلى بعض النقاط الهامة عَلى الطّريق إلى الجِهَاد:

١- إن الطّريق إلى الجِهَاد لنشر دين الله في ربوع العَالَمِيّن لا بُدَّ أن يبدأ بدعوة صريحة للتوحيد الخالص، ولتوضيح لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله في النفوس، وتوحيد الربوبية (المعرفة والإثبات)، وتوحيد الله بأفعاله بأن نثبت له الوحدانية في الرزق والأجل والإحياء والإماتة والقدرة.

٢- توحيد الأسماء والصفات فنثبت لله الأسماء الحسنة والصفات العليا، دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، كما ورد في الكتاب والسنة، دون اشتقاق أسماء جديدة لله عَزَّ وَجَلَّ فلا نقول أن الله جابر مع أن اسمه الجبار، فلا نسمي عبد الجابر، ولا نقول يا ساتر لأن صفته الواردة في السنة هيَ (الستير).

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣/ ١٤٤٣)

وهذه الدّعوة هيَ جماع دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء]

وتبدأ هذه الدّعوة إلى التّوحيد منذُ اللحظة الأولى بتجمع النّاس عليها، وعندما يتجمع حولها مجموعة من النّاس، يضحكون من أجلها، ويعيشون في سبيل إعلائها، تتحرك الجَاهِليَّة من حولهم لسحقها وسحقهم، فتقوم المَعْرَكة بين الحقّ والبَاطِل، فيسقط عَلى الطّريق أناس، ويفتن أناس، ويستشهد أناس، ويصبر أناس يحملون اللواء والنبراس، وهَؤُلَاءِ ينصرهم الله ويمكن لهم في الأرض، ويجعلهم ستارا وأداة لنصرة شريعته.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف]

لا بُدَّ من البحث عن قطعة أرض مناسبة يقام عليها دين الله، وعلى الدعاة أن يركزوا جهودهم وجِهَادهم عليها حتَّى يأذن الله لهم بالنّصر، ويفتح عليهم بالغلبة، هذه الأرض تكون دارا للإسلام، ومن طلقا لدعوته، ومحضنا لفكرته، ومناخا صالحا لنبتته، ولذا لا بُدَّ من وضع النقاط عَلى الحروف في هذه القضية:

١ - إن سكوت الجَاهِليَّة عن الحقّ ومهادنته لهو أمر خلاف سنة الله في الحياة، وعكس قانونه في التدافع، فإن كانَ هنالك سكوت فهو أمر عارض ولوقت محدود.

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ [البقرة]

إنه يستحيل عَلى النّفس أن تعيش طويلا في مجتمع فاسد دون أن تتحرك لإزالته وتغييره.

٢- إن نصر الله لا يتنزل إلا بعد طول البلاء وشدة المحنة: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ [البقرة]

فالّذين ينتظرون أن يتنزل النّصر عليهم وراء مكاتبهم وهم جالسون عَلى مقاعدهم، هَؤُلَاءِ لا يدركون سنة الله في المجتمعات ولا قانونه في الدعوات.

إن الأفغانيين قد قدموا حتَّى الآن بين مليون إلى أكثر من مليون ومائتي ألف شهيد، ولم يصلوا إلى نصر دين الله بعد، ولم يتمكنوا من إقامة شرعه في الحياة.

٣- إن الصّبر الطويل عَلى ظلم الجَاهِليَّة وكبت الأنفاس الحارة من أن تخرج من الأعماق، والزفرات من أن تفرج عن الصدور، أقول إن الصّبر الطويل قد يظنه البعض مفيدا للدعوات، ولا يعلمون أنه قاتل للنفوس، خاصّة إذا صاحبه هلع شديد، وحذر بالغ يصل إلى حد الهوس، وجبن خالع يُؤَدِّي إلى الموت البطيء التدريجي.

إن الغير تكبت أولا، ثمّ تذوي، ثمّ تضمحل، ثمّ تموت، فإذا ماتت تحول الإنسان إلى جثة هامدة لا تنكر مُنكرا ولا تعرف معروفا، أو كما جاء في الحديث: «إنَّهُ لم يَتَمَعَّرْ – أي يحمَرّ – وَجههُ يوماً غَضَباً لله»(١).

يَرَى الجُبَنَاءُ أنَّ الجُبْنَ عَقلٌ ✿ وَتِلكَ خَدِيعَةُ الطَّبعِ اللئيم

إن الصّبر الطويل عَلى المُنكرات وأنت غارق في سريتك القاتلة يُؤَدِّي إلى الإستئناس يوميا بالجَاهِليَّة الطَّاغية، وأخيرا يُؤَدِّي إلى الإلفة الّتي تمسخ الفطرة، وتعكس النَّظرة «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ المُعْرُوفَ مُنْكَرًا، وَالمُنْكَرَ مَعْرُوفًا؟»(٢)، إن الإلفة الّتي تقتل الحس الإِسْلَاميّ في القلب هو الداء الّذي يصيب كثيرا من الدعاة الصامتين، بل أكثر من ذلك يُؤَدِّي إلى اختلاف الدعاة وتمزق العاملين عَلى هذا النهج، «لَمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي المَعَاصِي فَنَهَتْهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا، فَجَالَسُوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ وَوَاكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ، فَضَرَبَ الله قُلُوبَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَعَنَهُمْ عَلى لسان داود وعيسى ابن مريم، -ثمّ تلا ﷺ الآية- ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨﴾ [المائدة: ٧٨] -وقال:- كلّا لَتَأْمُرُنَّ بِالْمُعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِي الظَّالِمِ وَلتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، ولَتقصرنَّهُ عَلى الحقّ قصراً، أَوْ لَيضربَنَّ اللهُ قُلوبَ بَعضِكُم بِبَعضٍ ويَلعَنكُم كَما لَعَنَهُم»(٣).

بل وصل الأمر لأكثر من ذلك، حيث يوسم الّذي يغار عَلى الحرمات ويصدع بالحق بالتهور والاندفاع، ويوصف الساكت بالتزام والإتزان !!

---

(١) رواه ابن الأعرابي في معجمه (٢٠١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧١٨٩)، والطبراني في الأوسط (٧٦٦١) وقال الألباني: ضعيف جداً (الضعيفة١٩٠٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٩٣٢٥) وابن حماد في الفتن (١١١) وأبو يعلى في مسنده (٦٤٢٠) وإسناده ضعيف.

(٣) رواه أبو داود (٤٣٣٦) وضعفه الألباني.

قَالَ لي أحد الدعاة: لقد مكثت في مكتب سنتين مع موظف آخر لم يعرف اتجاهي خلالها، فقلت: إذن لم تتكلم خلال السنتين كلمة واحدة عن الحقّ الّذي تحمله بين جوانحك!!

ترى لو فعل الصّحابة كما يفعل كثير من الدعاة السريين اليَوْم، هل تظنون أن الإِسْلَام خرج من حدود مكّة ؟!

لو سكت بلال، وراوغ ياسر وسمية واستسلم ظاهرا عثمان بن مظعون، وقبل أبو بكر بشرط ابن الدغنة - الّذي أجار أبا بكر بشرط ألا يرفع صوته في القرآن لأن صوته مؤثر بأبناء الحي من قريش - أقول لو سكت هَؤُلَاءِ أمام طغيان الجَاهِليَّة وجبروتها، فإن الإِسْلَام لا يمكن أن يخرج من بطحاء مكّة ويتجاوز الحروراء.

إن إصبع بلال الّتي تشير إلى السّماء، وهو تحت العذاب الشديد مرددا: أحد.. أحد.. لهو زلزلة للكفر من أعماقه، وهز لشجرة الجَاهِليَّة من جُذُورها.

إن الدعوات لا تنتصر في مراحلها الأولى إلا (بصوت الرّوح) لا بصوت العقل كما يقول مالك بن نبي، إن مرحلة العقل هيَ مرحلة تالية لمرحلة (صوت الرّوح) الّتي تدفع للبذل وتحرك التَّضحِيَة.

إن صوت العقل يقول لبلال: أخدع أمية ابن خلف، وقل له أنا عَلَى دين اللاة والعزى، وفي الليل تعال إلى محمّد ﷺ قائدك الحقيقي وواليك ورائدك وقل له: لقد ضحكت عَلَى أمية وخدعته فحسبني معه وتركني وشأني.

ولكن الدعوات لا تنتصر بهذه الكياسة والسّياسة، إنها تنتكس وتتحطم إذا لم يوجد من يغذيها بالدِّماء، ويبنيها بالجماجم والأشلاء.

لقد أصبح الدعاة يرددون عَلَى ألسنتهم: هذا عاطفي، وهذا طيب ووهذا مندفع، وكأن هذه الصفات الّتي يقوم عليها الجِهَاد الحقيقي أصبحت معرة وملامة في أنظار الّذين لا يعلمون سنن الدعوات..

لا بُدَّ من السرية في بادئ الأمر وولا بُدَّ من الحذر أثناء الطّريق، ولا بُدَّ من ضبط النفوس أثناء المسيرة، ولكن السرية في دعوة الرَّسُول ﷺ كانَ لها وقت قصير سرعان ما تجاوزته إلى الإعلان، والحذر لا بُدَّ منه مع النَّفِير، ﴿خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ﴾ [النساء: ٧١]، ليس الحذر الّذي يُؤَدّي إلى الشلل والجزع والموت.

وضبط النّفس أثناء المسيرة ليس عن إعلان العَقِيْدَة وتوضيح المبدأ، فهذا شيء لم يضبط أحد من الصّحابة نفسه عنه.

إن عرض الدّعوة وإشهار الدّين كانَ ديدن كلّ مسلم بعد أن نزل قول الله تَعَالَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝﴾ [المدثر: ٢]، إن الصّبر له حدود، والصمت له مدى، وإلا مسخ الفطرة وقتل الغيرة.

٤- إن المَعْرَكة مع الجَاهِلِيَّة بالسّلاح والسنان لا تمكن إلا إذا سبقتها معركة البيان واللسان، وإن التَّضحِيَة بالنّفس والجود بالروح في أرض القِتَال لا يكون إلا بعد بذل الوقت والمال.

إن الّذين يعجزون أن يسيروا أمتارا، سيهلكون إذا حاولوا قطع الأميال.

إن الّذين ينتظرون من حفنة من الضُّبَّاط أن يقيموا لهم دين الله في الأرض وهم يصدرون لهم الأوامر لهم أثناء معافسة الأولاد والنِّسَاء والانشغال بِعَدِّ الأموال وتسجيل العقارات، هَؤُلَاءِ يظنُّون أن إقامة المجتمعات وتغيير النفوس والأشخاص والقلوب وبناء الأرواح وصقلها يتم بهذه السهولة وبهذا الرخص من التَّضحِيَة !!

٥- إن المَعْرَكة والجِهَاد في سبيل الله هيَ الّتي تفرز القيادات، وتبرز الرّجال من خلال التضحيات.

إن قدر أبي بكر بين المُسلِمِين بحيث أن انتخابه كانَ بشبه إجماع، لم يأت مصادفة ولا اعتباطا، وإنما أبرزت أبا بكر الأحداث وميزته التضحيات، ورفعته المواقف والمحن والملمات، ولذا قَالَ عمر يوم تبوك، بعد أن جاء بنصف ماله، ورأى أن أبا بكر قد جاء بماله كله، وقال لرسول الله ﷺ عندما سأله: «ماذا تَرَكْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: (تَرَكتُ لَهم اللهَ ورسولَه) ! عندها قَالَ عمر: (ما تسابقت أنا وأبو بكر في مسألة إلا سبقني أبو بكر)[1].

ولم يكن أبو بكر بحاجة إلى دعاية انتخابية، ولا للاشتراك في قائمة مرشحين، لأن قدره كانَ قد برز أثناء المسيرة، وعلى طول الطّريق، فلم يعد بحاجة إلى شراء الضمائر بالأموال، ولا إلى تضليل النفوس ببريق الإعلام وتلميع الأعمال.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥) وقال: حسن صحيح، والحاكم (١٥١٠) وصححه، وحسنه الألباني.

إن المجتمعات الراكدة كالماء الراكد، لا يطفو عليها إلا العفن والطحالب والأشنات، فقيادة المجتمعات الراكدة الّتي لا تتحرك للقتال تطفو متعفنة فاسدة، وأما المجتمع المُجَاهد فإنه كالماء المتحرك والنهر الجاري، يأبى أن يحمل العفن أو أن يطفو عَلى وجهه الخبث.

كيف يمكنني أن أسوي بين إنسان عادي تاجر أو صاحب مال، يأتي من السّعُودِيّة أو دول البترول، ليقدم ماله بيده، ويقدم زكاته بنفسه إلى المُجَاهدين ويطلع عَلى أحوالهم، كيف أسوي بينه وبين داعية يحضر إلى باكستان لأداء امتحان في جامعة من جامعاتها، ويمكث شهرا أو شهرين انتظارا لموعد مناقشة الماجستير، أو النَّظر في أمر تسجيله في الجامعة ؟ دون أن يخصص أسبوعا للمُجَاهدين !!

أنا أقول في نفسي: إن هذا الداعية لم يعد في نفسه أية حرقة عَلى هذا الدّين، وأية غيرة تدفعه للاهتمام بأمر المُسلِمِين، ولا يمكن لقلبي أن يصدق أن هذا من الدعاة، بل إن ذلك الإنسان العادي أفضل بكثير من هذا الداعية الّذي طال عليه الأمد فقسى قلبه، وأرجو أن لا يكون من الفاسقين فإن «مَنْ لَمْ يَهتَمّ بِأَمرِ المُسلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُم»(١).] أهـ(٢).

انتهى كلام شيخنا الشّهِيد أكرم الله نزله، وجمعنا به مع الرفيق الأعلى في عليين، ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾

****

(١) «من لم يهتم....» : رواه الطبراني في الأوسط (٤٧١) وقال الألباني : ضعيف جداً (الضعيفة ٣١٠).

(٢) (الذخائر العظام: ج١/ ٦٥٣-٦٥٧).

دَعوةُ المُقاوَمةِ الإسلاميّةِ العالميّة

الشيخ عمر عبد الحكيم أبو مصعب السوري

الفصل التاسع

وَصَايَا.. وَرُدُود.. وَمُبَشِّرَات

مكتبة الجيل الثالث

أولاً: وصايا ومحاذير

- ❖ حذار من ترك مراقبة النِّيَّة والإخلاص والمحاسبة علىَ الدوام.
- ❖ حذار من إهمال زرع العَقِيْدَة الجهاديّة بتفاصيلها في قلوب المُجَاهدين وعقولهم.
- ❖ حذار من إهمال التّربية المُتَكاملِة وخاصة العِبَادية الشَّرعيَّة والأخلاقية السُّلُوكية.
- ❖ حذار من تكفير المُسلِمِين بالبَاطِل، وحذار من الجري وراء تكفير المعيّنين.
- ❖ حذار من الخلط بين مجالات جِهَاد السّلاح والسنان ومجالات جِهَاد الحجة والبيان.
- ❖ حذار من مُوَاجَهة علماء السُّلطَان وضلاّل قيادات الصّحوة بغير الحجة والبينة.
- ❖ حذار من عدم الاحتياط الشديد في دماء المُسلِمِين أثناء قتال الكافرين والمرتدّين.
- ❖ حذار من إهمال أحكام الجِهَاد، وآدابه وأخلاقيات الإسْلاَم مع العدوّ والصديق.
- ❖ حذار من كلّ ما يجعل المُقاوَمة والمُجَاهدين يخسرون الرَّأي العام للمسلمين.
- ❖ حذار من استهداف المحايدين في هذه المُوَاجَهة ولو كانوا كفارا.
- ❖ حذار من تحويل سَرايا دعوة المُقاوَمة إلى تنظيمات مركزية هرمية.
- ❖ حذار من إصدار بيانات منهجيّة أو إعلاميَّة من قبل أي سرية من سَرايا المُقاوَمة باسم دعوة المُقاوَمة الإسْلاَميّة العَالمَيّة. فهذا لمكتب الإرشاد المركزي فقط.
- ❖ حذار من الإنتماء إلى مؤسسات الإحتلال أو الطواغيت الحاكمين بغير ما أنزل الله، باسم مصلحة الدّعوة ومقاومة الإحتلال أو الطواغيت.
- ❖ حذار من الجِهَاد المكشوف المتمركز في جبهات مفتوحة، أو مجالات محددة، إلا اضطرارا، ما لم تسقط قوة أمريكا العسكريّة وتنتهي هيمنتها، وخاصة الجوية.
- ❖ حذار من التهاون في أمن الاتّصالات بكل أشكالها الهاتفية واللاسلكية والإنترنيت..
- ❖ حذار من حب الإشاعة وإفشاء الأسرار، وإهمال شعار المعرفة علىَ قدر الحاجة.
- ❖ حذار من ترك فريضة القِتَال وخداع النّفس بالتّحريض عليها فقط.
- ❖ حذار من الانشغال بالجدليات والمعارك الفكريّة مع المُسلِمِين. وخاصة خارج دائرة المُوَاجَهة.

وعليكم بتقوى الله تَعَالَى في السر والعلن، فإن خير الزاد التقوى. وعليكم بحسن التوكل عليه. واللجوء إليه، ولا تتركوا الذكر فهو الدرع الواقي، وسبب لمعية الله. ولا تنسوا سلاح الدّعاء، فإنه أمضى أسلحتنا وهو مخ العِبَادة. واعلموا أن ما شاء الله كانَ وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثانياً: استشراف المستقبل والبشائر الواقعية والنصية

ونحنُ نختتمُ هذا الكتاب بآخرِ فُصُولِه، نحاولُ تلمُّسَ أسباب النّصرِ، وتتبّع ما يبشّرنا بالنّصر المحتوم عَلى أعدائنا كما تتابعت به البَشائِر في كتاب الله تَعَالَى، وفي أحاديث الصَّادق المَصدُوق ﷺ، وكذلك فيما تدل عليه وقائع السّياسة والأحوال في بلاد المُسلِمين وأعدائهم الكافرين عَلى حدٍّ سَوَاء، ونبتدِئ بدلائل الواقع، ونختم باستشراف المستقبل من خلال الأحاديث النّبويّة والآثار الشَّريفة مما جاء في أخبار آخر الزّمان – الّذي أظلَّنا – وآثار الملاحِم والفِتَن وأشرَاط اقتراب السَّاعة.

قَالَ الشَّيْخ عبدالله عزَّام تحتَ عنوان:

مبشِّرَات نَصْر الإسْلاَم:

- **الأدِلَّة الواقعيَّة لانهيَار الحضَارَة الغَربيّة:**

لقد تسلَّم الرَّجل الغَربيّ قيادة البَشريَّة بعد أن خاضَ معركةً شرِسَةً مع الكنيسة، وبعد أن دفعَ ثمنًا غاليًا ليحطِّمَ القيودَ الوثيقة الّتي كبَّلَتْهُ بها، ورأى بأمِّ عينه زهرة أبناء مجتمعات أوروبّا تحرق في الشَّوارع العامّة عَلى يدِ محاكم التَّفتِيش الكَنَسِّيَة، ولذا سخط عَلى الكنيسة وإلهها، ونفضَ عن كاهِلِه غُبار القُرون المتَرَاكِم، وانطلقَ لا يَلوي على شيءٍ، لا يقبلُ وصايَةً من دينٍ ولا من حزبٍ، ولا يريدُ أن يؤمنَ بشيءٍ يغلُّ يدَهُ ويحجُرُ عَلى عقلِه، وحاربَ التَّفكير الدّينيّ والطَّابع الغَيبيّ.

ولكن الجوعة الرُّوحيّة الّتي كانت تشبع – نوعًا ما – من خلال تردّد هذا الرَّجل الغَربيّ عَلى الكَنيسةِ، وإيمانه بالآخرة، ولقائِه برجالِ الدّين.

هذه الجوعة لَم يَعُدْ يُشبِعُها شيءٌ بعد أن كفرَ الرَّجلُ الغَربيّ بالكنيسةِ ورِجَالِها، فحصَلَ الفراغُ الرُّوحيُّ الهائِل، وحاولت أوروبّا أن تُقيمَ من العقلِ إلهاً يسدّ الفراغ النّفسيّ الرَّهيب، ونَصَبَت تِمثَالاً لإلهِ العَقلِ في إِحدَى المُدُنِ الفرنسيّة وهو صورة أجمل امرأةٍ في باريس، ودفعت بأمثالِ (هِيجل ونِيتشه) لسدّ الفراغ من خلال المدرَسَة (العقليَّة المثاليّة)، ولكن هيهات هيهات.

وجاء (كومت) لينصب الطّبيعة إلهًا مقامَ الكنيسة، ولكن لم تكن نتيجة محاولته تختلف عن المحاولات السَّابقة، وأخيرًا جاء (ماركس) ليقيمَ منَ الاقتصادِ إلهًا يسدّ الفراغ ويفسّر التّاريخَ ويحلّل سيرَ الجنس البَشريّ، كلّ هذه المحاولات باءَت بالفشلِ الذَّريع.

يقول (ليبولد فلم دانز) في كتابِه (الإنسان والضّمير المأسَاوِيّ المُمَزَّق): "إنَّ الإنسان المُنتمي إلى عصرنا هذا لا يؤمنُ بشيءٍ، ولا يفكّرُ، أو أنّه لم يفكر بعدُ ولكنَّه يعلمُ كثيرًا، إنّ نهاية المَسيحيَّة تشكّل أيضاً نهاية الأيديولوجيات الأخرى كالماركسيّة الّتي تجتاز من أجلِ ذلكَ أزمة عميقة، وإنَّ هذه الأَزمة لَيست أبداً علامة حياة بل علامة موت".

ويقول المفكّر (لامُوني): "إنَّ الجنس البشريّ بكامله يمشي بخطى حثيثة إلى الهلاك، إنّه في النّزع الأخير، كذلك الإنسان الجريح المسكين الّذي لا يُرجَى لَهُ شفاء، فكثرة الأخطاء في حضارتنا تجرّها إلى الغَرق".

ومن هنا فإنّ سبب انهيار الحضارة الغربيّة واضح بسيط، هو أنّها قامت بلا دين، واتّخذت ربّها وراءها ظهريّاً ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٣ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ۝٣٤﴾ [الرعد]

يقول (برجسبون – الفيلسوف الفرنسي): "إنّ فصل الدّينِ عن العلمِ هو فَناءٌ محتُوم للاثنين"

ويقول (برناردشو):" كنتُ أعرفُ دائمًا أنّ الحضارةَ تحتاجُ إلى دينٍ، وأنّ حياتها أو موتها يتوقّفَان عَلى ذلك".

ولقد وضع كذلك الكاتب الإنجليزي (كولن ولسون) في كتابه (اللامنتمي) أي المتمرّد يده عَلى الدّاءِ فقال: "إنَّ حلّ القدّيس بولس يعتبر أمرًا غير مقبول بالنّسبة لحضارة في مُنتصف القَرن العِشرين، حضارة ذاتَ تطوّرٍ ميكانيكيّ عالٍ استمرّ ثلاثَةَ قُرون يصاحبه فراغٌ كبيرٌ لا تعرف الحضارة كيف تُنفِقه" – أي تملأه –] أهـ[1].

---

(١) (الذخائر العظام – ج١: ٧٥٦).

يقول (ألكسيس كاريل) في كتابه (الإنسان ذلك المجهول): "إنّ القلق والهموم الّتي يعاني منها سكّان المدن العصريّة تتولّد عن نظمهم السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، إنّ البيئة الّتي أوجدها العلمُ للإنسانِ لا تلائمه لأنّها أُنشئت دونَ اعتبارِ ذاتِ الإنسان".

ويضيف (برتراند رسل) عن شقاء الإنسان فيقول: "إنّ حيوانات عالمنا يغمرُها السُّرور والفرح، عَلى حين كانَ النّاس أجدر من الحيوان بهذه السعادة، ولكنَّهم محرومونَ من نعمتها في العالم الحديث، واليوم أصبح من المستحيل عَلى هذه النِّعمة ولا سعادة".

ويقول (ما كنيل): "إنَّ الحضارة الغربيّة في الطَّور الأخير من أطوار حياتها الأشبه بالوحش الّذي بلغت شراسَتُهُ النِّهاية في انتهاكه ما هو معنويٌّ، وبلغ اعتداؤه – عَلى تراثِ السَّلَفِ وعلى كلِّ مقدّسٍ ومحرَّمٍ – قمَّتَهُ، ثمّ أغاصَ مخالبَه في أمعائِه فانتزعها وأخذَ يمُوقُها ويَلُوكُهَا بين فكّيه بمنتهى الغيظِ والتَّشفّي".

إنّ الخَواء الرّوحيّ والفراغُ في حياةِ الغَربِ، وعدمُ وجودِ غايةٍ كُبرى يهدفُ إليها الإنسانُ، والجحودُ بالإلهِ الّذي تفزَع إليه وقتَ الشّدّة والحزن، كلّ هذه أوصلت الغرب إلى المصير المُؤلم، والنّهاية الأسيفة المُحزنة، إنّه الشَّقاءُ والتّمزُّق الدَّاخليّ، والتّوتُّر العَصبيّ، والفزع وشبح هولِ الحَربِ المُسيطر عَلى الأخيلَةِ، إنّه الهُرُوب من الحياة إلى الكُحُول ثمّ المُخدَّرات، وأخيرًا لا بُدَّ من وضعِ حدّ لهذه الحياة البَئيسة التّعيسَة بالانتحار الّذي هو إعلانٌ عامٌّ أنَّ الشّقاء في النّفس لم يَعُد يُحتَمَل، كما فعل (جاكوب مارينو، وآرنست همنغواي ونيتشه، وغيرهم).] أهـ(١).

- **مأساة الفكر الغربيّ:**

إنّ المتتبّع للكتّاب الغربيّين، وخاصّةً الكتّاب الطّليعيين أو رُوّاد مسرح اللّامعقول من الوجوديين ليرى العجب العُجاب من القلقِ والضَّنك من خلالِ أسطُرِهم الّتي تفوح بالآلام وتعتصرُ بالأسى.

إنَّ اليأس، والقلق، والأسى، والألم، والملل، والعبث، والتمزُّق، والمأساة والشَّقاء.. هذه العبارات لا تكاد تخلو منها صفحةٌ واحدةٌ من صفحاتِ هَؤُلَاءِ الكتّاب، اقرأ إن شئت للكاتب الفرنسيّ (وكاميو)

(١) (الذخائر العظام – ج١: ٧٥٨).

في مسرحيَّات: (الرَّجل المتمرّد، سوء التّفاهم، حالة الحصار...)، يقول (كامي): "ينبغي ألّا نؤمن بشيءٍ في هذه العالم سوى الخَمر هيَ الموتُ للعالمِ، حطِّموا كلّ شيءٍ، يجبُ أن نُلغيَ كلّ شيءٍ، الإلغاءُ والإطاحةُ هو إنجيلي".

ويقول (آرثر ميللر) الأمريكيّ في مسرحيّته (بعد السُّقوطِ): "إنّ أكثر الأماكن براءةً في بلدي هو مصحَّة الأمراض العقليَّة، وكمال البَرَاءةِ هو الجُنون".

يقول (سلاكرو – الكاتب الفرنسيّ): "إنَّ الآلهة لا عمل لها إلَّا أن تعبث بحطام الإنسان".

واقرأ إن شئتَ كذلك مسرحيَّات (جان بول سارتر) الفرنسيّ (جلسة سريّة، موتى بلا قُبور، الأيدي القذره، البغيُّ الفاضِلة، سُجَنَاء الطّونا)، واقرأ من كتبه: (موتة الرّوح، سبيلُ العقلِ، عصر الحريَّة الذّباب).

يقول (يونسكو) الفرنسيّ: "الواقعُ كابوسٌ مؤلمٌ لا يُطَاقُ"، وطالع كتابه: (قاتلٌ بلا أجرٍ)، والموتُ هو مشكلةُ المشاكلِ في نظرِ الكُتَّاب الغربيّين، فالموتُ يثيرُ الرُعبَ لأَنَّهُ واقعةُ فظيعةُ في حدِّ ذاتها، بل أنّه يجعل كلّ الحياة الّتي سبقتهُ عبثًا وسُخفًا كما يقولُ (صموئيل بكت) في كتابه: (الأيّامُ السَّعيدةُ): "فاليَأسُ والعبثُ والألمُ والقلقُ هو عنوانُ الحياةِ الغَربيّة".

يرى (هيدجر): أنَّ الحياة الحقَّةَ تكون في اليأسِ، أمّا (سارتر) فَيَرى أنَّ الحياةَ الحقّةَ تكون فيما وراء اليأسِ، بل يقول سارتر: "الإنسانُ في صميمِه قلقٌ".

أما نيتشه – الفيلسوف الألمانيّ – فيرى أنَّ الإنسانَ بين التَّسليمِ والتَّمرُّدِ، فوجوده تمزّقٌ وسلبٌ، وهو العالم اللامعقول، ولا يجدُ الخلاصَ إلَّا بالجنونِ الّذي يخلّصهُ من تَعاسَتِه الحاضرة، ويرى نيتشه أنَّ اليأس والقلق شَرطان دائمًا للعظَمَة الإنسانيَّة.

أمَّا (كيرك جارد) – رائد الفلسفة الوجوديّة – فيقول:" إنَّ الوجودَ معناهُ أن نعاني اليأس والقلق حتمًا، وإنّ من يختارُ اليأسَ يختارُ ذاتَه في قيمتها الأَبديَّة"، ولذا نَجدُه قد حاولَ الإنتحارَ مرارًا.

إنَّ الوعيَ يظهرُ دائمًا في صورةِ القلقِ، وأما اليأسُ فهو الحدُّ الّذي يُفضي إليه، لقد بقيت الكآبة القاتلة ملازمة لكيرك جارد حتَّى الموت، وهناك عنوانٌ لأحد كُتبه: (الخوف والرَّعدة)، وعنوانٌ لبحثٍ له (اليأسُ أو المرضُ حتَّى الموت).

هذه الملامح الرَّئيسيَّة للعالم اليَوْم، والَّتي تبرز واضحةً مجسَّدةً في معطياتٍ كبار الكتَّاب والأدباء، فوضى تأخذ بخناق العالم، تبعثر كلّ ما تبقى فيه من نظام وتسعى إلى تمزيق بقايا خيوط العنكبوت من القيم الغربيّة، والإنسانُ اليَوْم يرى هذا الإعصار الفوضويّ المأساويّ يُحيق بالإنسانيَّة، ويُدمِّر كيانها، ويسحق آدميَّتها، آليّة طاغية عارمة حوَّلت الإنسان إلى آلة، وسحقت كلّ تجارب الرّوح والوجدان، وجماعيّة صمَّاء قضت عَلى كلّ مطمحٍ بالتَّفردِ والنُّبوغ والتَّفوّق والإبداع، واختلال رهيب بين كفيّ المادّة والرُّوح، وعزلة غربيَّة مُضنية إزاءَ عالمٍ أصمٍّ لا يستجيب لتوسُّلاته، وسقوط وتهافت في سائر النُّظم والوضعيَّة السّياسيّة والاجتماعيَّة والعسكريّة الّتي تُمسك بزمامِ العالم اليَوْم، بالإضافةِ إلى الخوفِ العَالَمِيّ من الدّمار والحُرُوب والقنابل الذَّريَّة وميكافيليّة تضحّي في سبيل المصلحة بكل خلق وقيمة.

وكلمة أوسبورن الكاتب الإنجليزيّ في مسرحيّته (المُسافر) هيَ خير تعبير عن حالةِ الإنسان الغربيّ: "نحن موتى مكدودون مضيَّعون، نحن سكّيرون مجانين، نحن حمقى، نحن تافهون"] أهـ.[1]

- **قانون الله في المجتمعات:**

إنّ ناموس الله للحياة البشريّة لا يخيب ولا يخطئ، وإنّ قانون الله للإنسان لا يتخلّف ولا يكذب ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى]

المصائب تنتج نتيجة البعد عن منهج الله.

الذّنوب مصائب وآلام ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام].

هيَ ثلاثة أطوار مرّت بها أوربّا وتمرُّ بها كلّ الحضارات العلمانيّة المادّيّة:

١- **الهرب من الله.**

٢- **فتح أبواب كلّ شيء عليها: الإنتاج والإبداع في ناحية أو نواح كثيرة.**

٣- **طور الضمور والانحلال فالاستبدال.**

(١) (الذخائر العظام – ج١: ٧٥٩).

لقد كانت كلمات الحريَّة والدِّيمقراطيَّة ومصلحة الأُمّة تحرّك مشاعر الجماهير في أوروبّا، وتسيّر الجُيُوش من أجل استعمار الشّعوب وامتصاص خيراتها ودمائها.

ثمّ حصلت الحَربُ العَالَمِيّة الأولى والثّانية، وفقدت أوروبّا حوالي ستّين مليونًا من زهرات شبابها في ميادين الحَرب، وانتهت الحَرب ليفقد الشَّبَاب كلّ قيمة كانَ يتمسّك بها، وانتهت هذه الكلمات، لم يعد للحياة أي معنى، وجاء عصر الجاز، ابتدأ من سنة (١٩٢٠م)، واستبدل الشَّبَاب بأنهار الدِّماء الّتي جرّت الحَرب أنّها الخمر الّذي أصبح المهرب الوحيد للشّباب من القلق الفارغ، وانطلق الشَّبَاب يريد أن يستمتع ويُشبع بهيميَّة الجنس وسعاره الحيوانيّ، وأضحى المجتمع بحاجة ماسّة إلى مستشفيات الأمراض الجنسيّة المريعة وبحاجة إلى علوم النّفس، ومستشفيات الأمراض العصبيّة والعقليَّة.

مصائب الفراغ الرُّوحيّ:

نرى أن الفراغ والخواء الرُّوحيّ أنتج ما يلي:

١- الولوغ في المشروبات الكحوليّة.

٢- الإدمان عَلى المخدّراتِ.

٣- الأمراض العصبيّة والعقليَّة.

٤- التّمرّد وعدمُ الإنتماء إلى الحضارة.

٥- الجرَائم.

٦- السّعارُ الجنسيّ وأمراض الجنس.

٧- الانتحار.

وإليك بعض الأرقام المذهلةِ عن أمراضِ الحضارة:

١- في أمريكا (في الأربعينيّات) عدد مدمني الخمر سنويّاً (٤٢) مليون.

٢- الّذين يتعاطون المخدّرات (سنة ١٩٧٥م) (١٩٪) من الشَّعب الأمريكيّ.

الّذين يتعاطون المخدّرات (سنة ١٩٧٨م) (٤٩٪) من الشّعب الأمريكيّ.

٣- عدد المرضى في مستشفيات الأمراض العقليَّة في الولايات المتّحدة (٧٥٠) ألفا، ويشغلون (٥٥٪) من جميع أسرة المستشفيات.

عدد من أعفتهم القوّات المُسلّحة الأمريكيّة في الحَرب الثّانية لاضطرابات نفسيّة وعقليَّة (٤٣٪) من المجموع الّذي يُساوي (٩٨٠) ألفًا، وعدد من رفضوا الامتحانات لاختبار الخدمة العسكريّة (٩٦٠) ألفًا.

أما السّويد:

وهي من أرقى بلدان العالم من ناحية مستوى دخل الفرد والتّأمينات الاجتماعيَّة ففيها أعلى نسبة للأمراض النّفسيَّة والعقليَّة، فنسبة المرضى عقليّاً وعصبيّاً ونفسيّاً (٢٥٪) من سكّان السّويد ! وتُنفق الدّولة (٣٠٪) من ميزانياتها عَلى علاجهم.

ونسبة الموظّفين الّذين يخرجون من وظائفهم بسبب هذه الأمراض يساوي (٥٠٪) من مجموع المخرّجين.

٤- أما التّمردّ فيكفي ما نشاهد من ظواهر (البيتلز والهيبيين).

٥- أما الجرائم ففي أمريكا وحسب إحصائيّات دوائرها: حصلت سنة (١٩٧٥م) (١١٠٢٥٧) جريمة.

٦- أما الجنس وأمراضه وسعاره فحدّث عنه ولا حرج، ففي نيويورك (١٢٠٨٢٩)، عمليَّة إجهاض سنة (١٩٧٤م) بنسبة ١١٣٨ إجهاض، مقابل كلّ ١٠٠٠ ولادة، و(٦٧٪) من المجهِضات غير متزوِّجَات، وفي نيويورك (١,٢٠٠,٠٠٠) شاذٍّ جنسيّاً، أجريت في جامعة (لو أنجلس/ كاليفورنيا) إحصائيّة للشّاذِّين جنسيّاً من الجنسين في الجامعة فكانت النّسبَة (٨٤٪).

وقد كانَ عدد المستشفيات المخصّصة للأمراض الجنسيّة في الولايات المتّحدة (٦٥٢)، وهذا يفوق جميع المستشفيات لجميع الأمراض عدا السّل.

ونقل المودودي رحمه الله عن دائرة المعارف البريطانيَّة أنّه في الأربعينيّات كانَ (٩٠٪) من الشَّبَاب الأمريكيّ مصابًا بالزُّهريِّ، وقد كنت أحتفظ في جيبي بصورةٍ لأحد الشَّبَاب الأمريكيّ عمره في الحادية والعشرين تزوّج جدّته وعمرها (٧٧) سنة، وعقدت لهما عقدهما الكنيسة في قرية قرب لوس أنجلس!

وقد صرح الرّئيس كندي سنة (١٩٦٢ م) أنّ (٨٥,٧٪) من الشّبَاب الّذين يتقدّمون للجنديّة غير صالحين، لأنّ الشّهوات الّتي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطّبّيّة والنّفسيّة.

إنّ مستقبل أمريكا في خطر لأنّ شبابها مائع منحلٌّ غارقٌ في الشَّهَوَاتِ، الأمر الّذي سيجعلهم عاجزين عن القيامِ بالمهامِ الملقاةِ عَلى عواتِقِهم.

- **الانهيارُ في الشَّرق الشُّيُوعِيّ:**

أما الشّرقُ الشُّيُوعِيّ الملحدُ فحدّث ولا حرج من حيث:

١- كبت الحريّات، وتكميم الأفواه، وإحصاء الأنفاس، وأجهزة المراقبة عَلى البيوت، وشقاء الإنسان بين فكيّ الجوع والإِرهَابِ.

٢- الإنهيار الاقتصاديّ وفقد الأقوّات من الأسواقِ رغمَ أنّ جميع دماء النّاس وعرقهم يصبُّ في جيوب الطّغمة الحاكمة.

فالإتّحاد السُّوفيتيّ {البائد} كانَ يستورد من أمريكا سنويًا (١٥٠٨) مليون طن من القمح، وفي رومانيا كانَ العجز في الميزانيّة سنة (١٩٦٧م) (٢١٥) مليون جنيه إسترليني، وإنتاج العامل في رومانيا بمقدار (٣٣٪ - ٥٠٪) من إنتاج العامل الإيطاليّ والفرنسيّ.

وكانت نتيجة الاستفتاء الّذي أجراه (دوبتشك) سكرتير الحزب الشُّيُوعِيّ في تشيكوسلوفاكيا: أنّ (٩٠٪) من الشّعب يحبذون إلغاء الحزب الشُّيُوعِيّ من الحكم، لأن الحزب: أنانيّ، جبان، وأصحابه ذوو ضمائر سيّئة.

وبعد قرارات لينين سنة (١٩١٧م): إخضاع الملكيّات الزّراعيّة والصّناعيّة والتّجاريَّة والمؤسّسات والبنوك والعمّال ولجانهم، حصل التّدهور الاقتصاديّ الكبير، حيث انهار الإنتاج إلى (٢٠٪) مما كانَ عليه، وأمّا العملة فقد وصلت إلى (١٪) من قيمتها الّتي كانت عليها قبل الثَّورة.

٣- هِجرَة الأدمغة، وهرب العقول، رغم السّتار الحديديّ المضروب عَلى النّاس وحرمان الفرد حتَّى من جواز السّفر.

٤- الشّقاء الّذي يعاني منه العمّال وجميع الطّبقات ما عدا سدنة الحزب الشُّيُوعِيّ وكبار دهاقينهم الّذين يستأثرون بالسّلطة والمال، وبقية الأُمّة محرومون من الحياة البسيطة العاديّة، وهذا مما حدا

بشعب الشّقاء وأمّة الضّياع في المجتمعات الشُّيُوعِيّة أن تتّجه إلى الكحول بنَهمٍ عجيبٍ لم يشهد التّاريخ له مثيلاً، وذلك تسرية لأحزانهم ونسيانهم لهمومهم وشقائهم، إنّ شجرة المادّيّة بفرعيها الغربيّ النّفعيّ العلمانيّ، والشّرقيّ الإلحاديّ تتآكل اليَوْمَ وينخر بها السّوس من كلّ طرف وجزء من كيانها.

لقد بدأ العفن منذُ أيّامها الأولى لأنّها قامت عَلى غير أساس وبُنِيَت على غيرِ هدى، لقد أراد زارعها الغربيّ أن يتحدّى طبيعتها وفطرتها، وظنّ أنّه يستطيع أن يغيّر صبغتها فيزرعها بلا ريٍّ، وأراد أن يغرس الموز في بلاد الإسكيمو، والصّنوبر والتّفاح في خطّ الاستواء ففشل فشلاً ذريعًا، وذهب جدّه وكدّه أدراج الرّياح، وراح جهده هباء منثورًا، لأنه تحدى إِرادَة الله وناموسه فقهر.

لقد زرع الغربيّ حضارته بعيدا عن الله، وخنق فيها الرّوح منذُ اللحظة الأولى، فولت ميتة بلا روح، مادية بلا حياة، لا يجري الدَّم في عروقها.

ولدت الحضارة الغربيّة مشلولة الدماغ، وظن الغربيّ أنه يستطيع علاج هذا الشلل، ولكن كلما تقدم الزّمان ومرت الأيّام يبين الشلل في الأعضاء والعطل في جميع الأنحاء.

إنني ألمح الذبول في فرعي الحضارة (الغربيّ والشرقي)، ولكنني أرى أن الضمور والاصفرار في الفرع الشرقي أشد وأكثر، هذا مع تأكيدي – والله أعلم – أن الشجرة بفرعها ستذوي، وليس زمن سقوطها نهَائِيًّا بعيدا لأنها سنة الله، ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾[يونس: ١٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس].

سنة الله وناموسه يمضي عَلى كلّ حضارة، إن القانون يجري عَلى المجتمعات والحياة والأحياء: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر]، لقد استكبر الإنسان الغربيّ في الأرض واستعلى، ومكر السيئات، وأظهر الفساد في البلاد، فجنى حصاد ما زرعت يداه، ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ﴾

جنى الشوك والشقاء، والقلق وبالبلاء، وحصد من بذور الشك شوكا، وأنتج من بذور الهجر لله ندما وخسارا، وألما وبوارا، وضياعا وحيرة وانتحارا

أقول: إنني ألمح الذبول في الفرع الشرقي أشد رغم أنه أحدث سنا وأصغر عمرا، أراه يلوي عَلى نفسه ويتدلى بسرعة ويفقد بقية الحياة فيه اللحظة تلو اللحظة، ولذا فإنني أتوقع أن يكون انهيار الشُّيُوعِيّة – الفرع الشرقي – أسرع والله أعلم، لأن بقية نسمات الحريَّة في الفرع الغربيّ، بقية الأقلام الّتي ما زالت تنتقد وتحذر، بقية العقول الّتي لم توضع في داخل الطوق الحديدي، مازالت تشير إلى النهاية الرهيبة، بقية الأفواه المكممة ما زالت تصيح وتنذر من الهوة المهلكة الّتي ستسقط فيها البشرية.

فأوروبّا بشقيها الآن في طور الاستبدال والتغيير، ولكن من المرشح لوراثة الإنسان الغربيّ في قيادة البشرية؟ وأي حضارة هذه الّتي ستتقدم بإذن ربها لإنقاذ الإنسان؟ إنها الإِسْلَام، دين الله الّذي ارتضاه للنَّاس منهاجًا وإمامًا ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾ [آل عمران].

يقول شبنجلر: (**إن للحضارة دورات فلكية تغرب هنا لتشرق هناك، وإن حضارة جديدة أوشكت عَلى الشروق في أروع صورة هيَ حضارة الإِسْلَام الّذي يملك أقوى قوة روحانية عالميّة نقية**).

وهنالك نصوص في الكتاب والسنة تؤيد هذه النَّتِيجَة وتثبت هذه الحقيقة.] أهـ.[1]

المبشرات النصية الّتي تبشر بانتصار الإِسْلَام والمُسلِمين في الكتاب والسنة:

هنالك نصوص كثيرة تطمئن النّفس وتؤذن أن الإِسْلَام سيتقدم لإنقاذ البشرية كلها إن شاء الله.

أ. ففي الكتاب العزيز:

١- ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾[التوبة]

قَالَ الشّافعي: (**لَيُظْهِرَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ دِينَهُ عَلَى الْأَدْيَانِ حَتَّى لَا يُدَانَ الله عَزَّ وَجَلَّ إلَّا بِهِ وَذَلِكَ مَتَى شَاءَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى**)[2]. فلا بُدَّ إن شاء الله أن يعم هذا الدّين الأرض ليظهر عَلى الدّين كله، لا بُدَّ أن يبدد هذا النور ظلمات الجَاهِليَّة الّتي عمت الأرض، لا شيء إلا لأنه دين الله الّذي

(١) (الذخائر العظام :ج١/ ٧٦٠).

(٢) الأم للشافعي: (٤/ ١٨٠).

يشبع الرّوح، وينسجم مع الفطرة، وترتاح له النّفس، ويستقر به الضمير، وكما بين الله عَزَّ وَجَلَّ في مبررات سيادته وانتشاره أنه الهدى ودين الحقّ، ولذا لا جرم أن الحقّ ثابت والبَاطِل زاهق، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨﴾ [الأنبياء].

٢- والحق أصيل في الأرض والنّفس، والبَاطِل دخيل لصيق في الأرض والنّفس كذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ٢٤ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ٢٦﴾ [إبراهيم]

٣- والحق نافع يبقى، والبَاطِل زبد زائل: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ١٧﴾ [الرعد]

ب. أما بشارات النُّبوَّة فهيَ كثيرةٌ جدّاً وإليك بعضها:

١- روى ثوبان ﷺ قَالَ: قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»(١).

٢- قَالَ ﷺ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ»(٢).

٣- عن أبي قبيل قَالَ: **كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي، وَسُئِلَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَدَعَا عَبْدُ الله بِصُنْدُوقٍ لَهُ حَلَقٌ، قَالَ: فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ**

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩)

(٢) رواه أحمد (١٦٩٥٧) من حديث تميم الداري ﷺ، وصححه الأرنؤوط وقال: على شرط مسلم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣).

الله: "بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ نَكْتُبُ، إِذْ سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا » يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ.(١)".

٤- قَالَ ﷺ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ الله أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ الله أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ الله أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ الله أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ الله أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»(٢).

هذه الأحاديث تطمئن القلب أن هذا الدّين سيعود لينقذ الإنسان المعذب، ويأخذ بيده من الهوة السحيقة إلى المرتقى السامق، سيطهره ويريحه ويقدم إليه إنسانيته الّتي فقدها، سيجد الإنسان أنه ولد من جديد، يتذوق السعادة والطمأنينة، ويشعر أنه مخلوق كريم إن شاء الله، وهناك حديث رواه البزار بسند صحيح وهو قريب في لفظه من الحديث الرَّابع: «إن أول دينكم نبوة ورحمة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثمّ يرفعها الله جلاله، ثمّ يكون ملكا عضا فيكم ما شاء الله أن يكون ثمّ يرفعه الله جلاله، ثمّ تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل في النّاس بسنة النبيّ، وَيُلْقِي الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ فِي الْأَرْضِ، يرضى عنها ساكن السّماء وساكن الأرض، لا تدع السّماء من قطر إلا صبته مدرارا، ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئا إلا أخرجته»(٣).

وهناك أحاديث صحيحة كثيرة تشير إلى أن نهاية اليَهُوْد في فِلَسطِين، وأن الجيش الّذي سيقاتلهم جيش مسلم، حتَّى يقول الشجر والحجر: «يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ»(٤).

---

(١) رواه الحاكم (٨٣٠١) وصححه الذهبي، ورواه الدارمي (٥٠٣) و أحمد (٦٦٤٥)، وضعفه الأرنؤوط، وصححه شاكر، والألباني في الصحيحة : (٤).

(٢) رواه أحمد (١٨٤٠٦) وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥).

(٣) لم أقف عليه بهذه السياقة عند البزار وغيره.

(٤) صحيح مسلم (٢٩٢٢).

وفي رواية البزار ورجالها ثقات رجال الصَّحِيح كما جاء في مجمع الزوائد للهيثمي في المجلد السَّابع[1]: «أَنْتُمْ شَرْقِيَّ النهر وَهُمْ غَرْبِيَّهُ»، ويُعقِّب رواي الحديث فيَقُولُ: ولم نكن نعرف أين الأردن من الأرض يومذاك.

فهذا يعني أن المنطقة قبل المَعْرَكة الفاصلة لا بُدَّ أن تكون محكومة بالإِسْلَام، ويهيمن الإِسْلَام عَلَى الجندي والقائد والحاكم والمحكوم، بدليل أن الشجر والحجر سينادي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله.

وقد جاء الروايات تشير إلى أن رجوع المُسلِمِين إلى الله، واستسلامهم لشرعه، وجِهَادهم في سبيله، عندما تكون الفتن تبدأ في الأرض المباركة حيث تكون الجماعة المسلمة، وحيث يقوم فسطاط المُسلِمِين.

ففي رواية الإِمَام أحمد وأبي داوود: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله وَهُمْ كَذَلِكَ». **قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ:** «بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»[2]، الحديث قسم منه في الصَّحِيحين[3] وبقية الحديث جاء من روايات عديدة في غير الصَّحِيحين.

وقد عقد البيهقي بابا في سننه عنوانه: باب إظهار دين النبيّ ﷺ عَلَى سائر الأديان (ج٩/ ١٧٧)، وقد قَالَ الشَّيْخ سعيد حوى: " إن هذا الدّين سينتصر، ولا بُدَّ أن ينطلق من فوق أرض صلبة يتمثل فوقها هذا الدّين حيًا واقعيًا، وهذه الأرض الّتي تمثّل شمالَ أفغانستان مع تركستان الشَّرقيَّة والغَربيّة إسمها (طُوران) وقد أخرجت الأتراك الّذين حكموا العالم الإِسْلَاميّ خمسةَ قُرونٍ بالإِسْلَام، ومن أرضِ أفغانستانَ خرجَ محمودُ الغزنويّ الّذي حكم الهند وحطَّم ساموناتا، ومنها خرجَ أحمدْ شاه بابا الّذي حكم شرقَ إيرانَ وأفغانستانَ والهِند.

فهل يبدأ التَّغير من فِلَسطِين والأرض المباركة (بلاد الشّام)؟ أم يبدأ من خُراسان (أفغانستان)؟ إنَّه في علمِ العليمِ الحكيمِ...."

---

(١) مجمع الزوائد: (٣٣٨٧)، والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم: (٢٤٥٨) وغيرهما، وضعفه الألباني: (الضعيفة ١٢٩٧)

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٢٠) وصححه الأرنؤوط والألباني دون: [قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»] فهذه الزيادة ضعيفة.

(٣) حتى أنه متواتر كما قال الألباني.

وإن الغرب الممزق المعذب فيه صرخات الاستنجاد، وإصبعه الباقية فوق سطح الماء قبل الغرق الوشيك تتوسل بالشرق أن يتقدم بدينه لينقذها.

يقولا (سولجنستين) – الروائي الرُّوسي –: **(إن الطَّريقة الوحيدة نحو تصحيح المسار المادي المنحرف للإنسان الغربيّ المعاصر هو عودة الإنسان إلى الإيمان بقوة مهيمنة عَلى مصير الإنسان، وهي الّتي تحدد له قيمه ومسؤولياته الأخلاقية والاجتماعيَّة، وكذلك الإيمان بوجود قيم أخلاقية عالية وموضوعية شاملة لكل البشر، وهي تعلو عَلى كلّ اعتبارات الحريَّة الفرديَّة الّتي لا تحدها حدود)**

ألا ترى معي أن سولجنستين يشير إلينا أن نتقدم له هذه الشّريعة الربانية الّتي تنقذه ولو رغم أنفه، وتجره إلى السعادة كارها أو راضيا؟

وهذا (ديباسيكييه) المفكر الفرنسي يرشح الإِسْلَام كمنقذ وحيد للبشرية فيقول: (إن الغرب لم يعرف الإِسْلَام أبدا، فمنذ ظهور الإِسْلَام اتخذ الغرب موقفا عدائيا منه، ولم يكف عن الإفتراء عليه والتنديد به لكي يجد المبررات لقتاله، وقد ترتب عَلى هذا التشويه أن رسخت في العقليَّة الغربيّة مقولات فظة عن الإِسْلَام، ولا شَّكَّ أن الإِسْلَام هو الوحدانية الّتي يحتاج إليها العالم المعاصر ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة الّتي لا بُدَّ إن استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان).] أهـ.[١]

ما أشبه اليَوْم بالبارحة:

دين الله يحارب في بلاده، وتشن عليه معارك يعرفها العام والخاص، والدعاة إلى الله يشردون ويسجنون ويقتلون ويرسفون في الأغلال عَلى يد أبناء جنسهم الّذين يلهجون بلغتهم وهم من جلدتهم.

ولكن الغرب يفرق من مستقبل هذا الدّين، الغرب بشقيه الصّليبيّ والإلحادي الشرقي، أضف إليه الخوف الرعيب الّذي ترتجف منه أوصال الصّهيونيّة العَالَمِيّة من التّيار الإِسْلَاميّ في المنطقة، وهي تحذر وتنذر وتصرخ وتخطط لمُوَاجَهة المد الإِسْلَاميّ المقبل.

يقول بن غوريون: **(نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا القوميات ولا الملكيات في المنطقة، إنما نخشى الإِسْلَام، وهذا المارد الّذي نام طويلا وبدأ يتململ في المنطقة، إنّي أخشى أن يظهر محمّد جديد في المنطقة).**

---

(١) (الذخائر العظام – ج١: ٧٦٥).

ويقول جب في كتابه (wither Islam) (جهة الإِسْلَام):

(إن الحركات الإِسْلَاميّة تتطور عادة بسرعة مذهلة مدهشة، فهي تنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الإسترابة في أمرها، فالحركات الإِسْلَاميّة لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدّين).] أهـ.(١)

****

المبشرات الواقعية في الواقع الحياة:

يتسم النصف الأخير من القرن العِشرين برجوع خاشع قانت إلى الله، رجوع النفوس الظامئة لري هذا الدّين، أوبة الّذين يئسوا من كلّ أنظمة الأرض، فالإنسان أصبح آيسا من كلّ التَّجَارب البشرية.

لقد فشلت الرأسمالية بديمقراطيتها، وانهارت الليبرالية بفروعها، كفر الإنسان بكل ما قدمه الفلاسفة الغربيّون، لم تستطع الطبيعة أن تملأ الفراغ الّذي خلفه دين الكنيسة بعد أن نابذته العناد والعداء، ولم يفلح ماركس في حلّ لغز الإنسان، ولم يسد جوعته لمعرفة سره وطياته وأعماقه.

لقد سقطت الأنظمة جميعا لأنها اصطدمت بفطرة الإنسان.

لقد كفر الإنسان بالفلسفة وفلاسفتها، وبالآراء ومفكريها، لقد فقد الإنسان الغربيّ والشرقي أي هدف يتعلق به في الحياة لم يعد للبشر مثل أعلى يتعلقون به ويبذلون من أجله، ولم يعد الغربيّ يردد عَلى لسانه أثناء أزَمَاته وملماته: يا الله، ولم يعد يفزع لإله ولا كنيسة ولا للمسيح فتراكم الشقاء عَلى قلبه.

ومن هنا فهذا الإنسان الحائر اليائس القلق الّذي ليس له هدف، لا يعرف لماذا يعيش، كما جاء في إحصائية في أمريكا جوابا عَلى سؤال: ما هدفك في الحياة؟ فأجاب (٨٠٪) لا أدري. (٢٠٪) قالوا: لجمع المال.

ومن هنا بدأ المفكرون في الغرب ينادون بالرجوع إلى الدّين، لقد ظهر في إحصائية للحزب الشُّيُوعِيّ الإيطالي أن (٧٠٪) منهم يترددون عَلى الكنيسة.

---

(١) (الذخائر العظام – ج١: ٧٦٧).

الشُّيُوعِيّة الّذي أنكر الله والأديان ضغطت عليه مشاعره المكبوته وفطرته المسحوقة المغمورة بالمكابرة والعناد فاضطرته إلى العودة إلى الكنيسة ليردد وراء القسيس ألحانه، لقد زار البَاب يوحنا الثّاني في يونيو حزيران سنة (١٩٧٩م) مسقط رأسه بولونيا الّتي حكمت بالشُّيُوعِيّة منذُ نيف وثلاثين عاماً فكتب الصّحف الغربيّة (الأيّام التِّسعة الّتي هزت العالم)، لم تعد رحلة الأوديسا الّتي قام بها عَلى مدى تسعة أيّام مجرد فصل مثير في تاريخ البشرية، بل أصبحت أكبر مجابهة في الأزمة الحديثة بين القوى الملحدة والمشاعر الإيمانية العارمة.

وتقول عجوز كاثوليكية في فرصوفيا – بولونيا –: (إنّنا دولة كاثوليكية منذُ ألف سنة، وسنظل هكذا عَلى الدوام).

إن الحنين إلى الله منغرز في أعماق الفطرة البشرية لن تمحوه أدوات إرهاب ولا وسائل إغراء، إن اللجوء إلى الخالق صبغة الله الّتي صبغ النّاس عليها، وفطرته الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله.

أما في العالم الشرقي الّذي كانَ يحكم بالإِسْلَام، والّذي خطط لأبنائه أن يظلوا بعيدين عن الله وعن دينه، والّذين رسم لهم أن يكفروا بكل تفكير غيبي خاصّة المثقفين منهم، حيث ظن الغرب أنه سيخرج أجيالا علمانية شهوانية لا أخلاقية، حتَّى افتخر (زويمر) في بداية هذا المؤتمر العَالَمِيّ للتبشير في القُدس سنة (١٩٣٣م) حيث قَالَ:

(إن مهمتكم إخراج المسلم من الإِسْلَام ليصبح مخلوقا لا صلة بالله وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاقية الّتي تعتمد عليها الأمم في حياتها، إنكم أعددتم شبابا في بلاد الإِسْلَام لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإِسْلَام، وبالتالي جاء النشء الإِسْلَاميّ طبقا لما أراده له الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في الدُّنيَا إلا في الشَّهَوَات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشَّهَوَات يجود بأغلى ما يملك).

يقول زويمر: **(إن السّياسيّة الاستعماريّة لما قضت منذُ سنة (١٨٨٢م) عَلى بَرَامج التّعليم في المدارس الابتدائية أخرجت منها القرآن ثمّ تاريخ الإِسْلَام، وبذلك أخرجت ناشئة لا هيَ مسلمة ولا**

هيَ مسيحية ولا هيَ يهودية، ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعَقِيْدَة ولا تعرف حقا للدين ولا للوطن حرمة).

ويقول (هاملتون جب) المستشرق الإنجليزي في كتابه (جهة الإِسْلَام) سنة (١٩٣٢): (إن العالم الإِسْلَاميّ سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينيا في كلّ مظاهر حياته)

هذا ما كانَ الغرب يتوقعه من الأجيال القادمة، ولقد عادوا يفركون أيديهم فرحا أن رأوا مجموعات من خريجي جامعاتهم لا يعبأون بدين ولا يهتمون بخلق ولا قيمة، ولكنهم يمكرون ويمكر الله ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال]، ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١﴾ [النمل].

لقد أنفقوا أموالهم، وأحكموا خططهم، ودبروا مكائدهم لإخراج جيل لا ديني – علماني –، توقع سادته أن يكون سحق الإِسْلَام في المنطقة عَلى يده وأقاموا الجامعات، وفرضوا الاختلاط، وأقصوا الصادقين – حملة القيم والأخلاق – عن كلّ المراكز الحساسة، وقربوا دعاة الإباحية والإلحاد والعلمانيّة والفساد إليهم، ونصبوهم قضاة وسادة، وأقاموا حولهم الهالات، ونفخوا في الأقزام حتَّى أضحوا عمالقة في أعين الرعاع والدهماء، ولكن هل كانَ لهم الّذي أرادوا ؟ هل أُقصي الإِسْلَام نهَائِيًّا عن حياة الفرد والأسرة والمجتمع؟ نعم لقد جنوا بعض الثمرات النكدة لجهودهم المضنية، ولكن إلى حين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝٣٦﴾ [الأنفال]

لقد عادت المدارس الّتي خططوا لها تدفع بالأفواج إلى الله، عاد الجيل آيبا خاشعا متبتلا صادقا إلى ربه.

لقد أضحت الجامعات الّتي سهروا عَلى منهاجها وظنوها مراكز التدمير، أضحت تقدم نماذج من الشَّبَاب الصادق الملتزم الّذي يضحي بكل شيء من أجل عقيدته ودينه.

لقد أصبحت الجامعات كبلاط فرعون يربي فيه موسى عليه الصّلاة والسَّلام ليهدم بيده عرش فرعون، ويسحب البساط من تحت رجليه.

لقد بطل السحر وألقي السحرة سجدا، وقالوا آمنا برب هارون وموسى، وقالوا لفرعون بعد تهديدهم بالقتل: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾[طه]

لم يعد سحر الحضارة الغربيّة يخدع الأبصار ويأخذ بالألباب، فلقد تفتحت أعين الجيل عَلى نور الإِسْلَام، وانفتحت بصائرهم لتقبل الحقّ، وبطل السحر وبان الزيف، بعد انبلاج الحقّ وسطوع نوره عَلى القلوب والنفوس.

حيثما تتوجه الآن في الكرة الأرضية تجد رجوعا إلى الله، ونفوسا متعطشة للدين حتَّى تستظل بفيئه بعد أن أضناها لفح الهاجرة، وأرهقها طول المشي في التيه.

أما في الشّرق الّذي كانَ دارا للإسلام يتحاكم إلى شريعته، ثمّ أقضي عن دينه تدريجيا رغبا ورهبا، فإنك تجد النفوس الآن مصممة عَلى طريق الله مهما يكن الثَّمن باهظا، طالما صفقت هذه النفوس للحضارة المادية الغربيّة الّتي أفلست.] أهـ.(١)

لقد كنت في القاهرة أيّام إعداد الدكتوراة سنة (١٩٧١م)، وكان في جامعة القاهرة – الّتي تعد حوالي مائة وعشرين ألفا – طالبة واحدة فقط ترتدي اللباس الشَّرعيّ، اليَوْم وبعد مضي بضع سَنَوات نرى العجب العجاب في الجامعة نفسها، إذ أن عدد اللواتي يرتدين اللباس الشَّرعيّ يفوق (١٥,٠٠٠) فتاة، وبينهن مجموعات تعد بالألوف ممن ينتقبن – أي يغطين وجوهن بالنقاب –، وترى مثل هذه الإعداد في جامعة الإسكندرية، وسر إلى جامعة أسيوط والمنيا وهكذا دواليك في أنحاء العالم العربيّ والإِسْلَاميّ تجد الشَّبَاب الّذي يبحث عن تراثه ودينه يتلمس الطّريق إلى ربه.

إن الكتاب الإِسْلَاميّ هو أكثر الكتب رواجا في الأسواق، لذا فقد أقبل أصحاب المطابع عليه – حتَّى أصحاب المطابع النّصرانية – وقد كانَ دارجا عَلى ألسنة تجار الكتب في بيروت وغيرها أنه إذا أشرف أحدهم عَلى الإفلاس ينصحه زملاؤه قائلين:

إطبع كمية من (ظلال القرآن) لسيد قطب، لقد اكتسح الكتاب الإِسْلَاميّ السوق، وكسدت كتب الأدب الرخيص والشعر الماجن.

(١) (الذخائر العظام – ج١: ٧٧٠).

لقد أضحت مكّة المكرمة هيَ قبلة الشَّبَاب فعلا – عدا عن الصّلاة – فرحلاتهم ونزهاتهم وقضاء أوقات العطل الرَّسميَّة تكون عمرة إلى البت العتيق، ودعاء عند الحجر الأسود والملتزم وزيارة للمسجد النبوي وقبر الرَّسُول ﷺ.

وكذلك التّحول الكبير من الأحزاب القوميّة والعلمانيّة الشُّيُوعِيّة إلى الحركة الإِسْلَاميّة، كما يحصل الآن في المنطقة المحتلة، وحيثما أدركك الوقت – ظهرا أو عصرا – في أروقة أية كلية في الجامعات أو مستشفى من المستشفيات يطرق مسامعك صوت الأذان الّذي يدوي بـ (اللهُ أكبَر).

لقد أصبح الفكر الإِسْلَاميّ والصوت الإِسْلَاميّ حديث المنتديات الفكريّة في الشّرق والغرب، وأصبح ذوو المناصب والهيئات في العالم الإِسْلَاميّ يحاولون أن يتلبسون بثياب الإِسْلَام نقاط التشابه بين واقعهم وبين الحياة الإِسْلَاميّة.

المظاهر الإِسْلَاميّة.. الشعائر الإِسْلَاميّة.. الحياة الإِسْلَاميّة.. في الأفراح والأحزان، العقيقة – ذبحة تذبح للمولود –، اللحية، عزل النِّسَاء عن الرّجال في قاعة الدرس.

الامتناع عن تقديم الدخان في المأتم والأفراح، والإعراض عن لبس خواتيم الخطبة خاصّة الذهبية منها.

تحري الحلال والحرام في المأكولات المستوردة المعلبات والذبح والحلويات والمعجنات والصابون واللحوم المثلجة والمرطبات...

التدقيق عَلى خلو الأطعمة والأشربة من شحم الخنزير والكحول، وانتشار أشرطة القرآن الكريم، والندوات الإِسْلَاميّة أصبحت من الظواهر الاجتماعيَّة.

امتلاء المساجد بالشَّبَاب، والرحلات في نشرة الدّعوة الإِسْلَاميّة، ودعوة النّاس إلى الكتاب والسنة.

الاعتزاز بالفكر الإِسْلَاميّ، وانتقال الشَّبَاب الملتزم بدينه من دور الدّفاع إلى دور التحدي، ونقل الفكر الإِسْلَاميّ من مرحلة الاستحياء إلى مرحلة البروز والاعتزاز.

كانَ الّذين يكتبون عن الإِسْلَام يصورون الإِسْلَام كأنه متهم في قفص الاتهام يدفعون عنه، ويبررون قضايا الطلاق وتعدد الزوجات والجِهَاد، فالجِهَاد عندهم دفاعي – أي دفاع عن حدود الجَزِيرَة العربيَّة وعما حولها –.

ومُوَاجَهة هذا الدّين لأهل الكتاب كأنها قضية تارِيخِيَّة مرت وانتهت، ألا ترى الآن أن الإِسْلَام بدأ يمرغ الصّليبيّة في الوحل؟ أجل فالمسلمون الآن يعتزون بإعلان أن الجِهَاد إنما شرع لحماية الدّعوة ونشرها في كلّ أجزاء الأرض لإنقاذ الإنسان من عبادة العِبَاد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدُّنيَا إلى سعة الدُّنيَا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإِسْلَام.

والجِهَاد ماض إلى يوم القيامة، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، وأنت تبصر مصداق هذا في الشّرق الإِسْلَاميّ كله كانَ المُسلِمُون يتلمسون نقاط التشابه بين الإِسْلَام والنظم المعاصرة، ويخلعون عَلَى الإِسْلَام كلّ يوم اسما جديدا، ولونا جديد ويصبغونه صبغة تشبه الصبغة الباهتة الّتي سرعان ما تزول، ففترة يطلقون عَلَى الإِسْلَام بأنه (ديموقراطي)، وأخرى يسمونه (اشتراكيا)، بل أيّام الغزو الهتلري للعالم كانوا يتشبثون ببعض النقاط في النازية لتلوين الإِسْلَام بها، أما الآن فقد أضحى الشَّبَاب المسلم يبرزون الإِسْلَام كحل لقضايا العالم المعاصر ومشكلاته، وأيقن الشَّبَاب تهاوي الأنظمة الغربيّة ابتداء بالرأسمالية والدِّيمقراطيَّة وانتهاء الإشتراكية والشُّيُوعِيّة.] أهـ.(١)

انتهى النقل عن كتاب شيخنا الشّهيد رحمه الله.

---

(١) (الذخائر العظام – ج: ٧٧١).